

شكلا ترفيح الملاهي

تأليف

محمد تقي الدين عثمان

مراجعة وتقديم

محمد شكري

كتاب التوبة

كتاب صفات المنافقين وأحكامهم

كتاب صفة القيامة والجنة والنار

كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها

كتاب الفتن وأشرط الساعة - كتاب الزهد والرفائق

كتاب التفسير

الجزء السادس

دار إحياء التراث العربي

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة للناسر

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لدار إحياء التراث العربي
بيروت - لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو
مجزئاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على
إسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Copyright @

All rights reserved

All rights of this publication are reserved exclusively to **DAR
EHIA AL-TOURATH AL-ARABI** Beirut - Lebanon. No part of
this publication may be translated, reproduced, photocopied, pho-
tographed, taped on audio cassettes, or stored in a data base or
saved on a retrievable system distributed in any form or by any
means, without the prior written permission of the publisher.

الطبعة الأولى

1426 هـ - 2006 م

دار إحياء التراث العربي
بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٩ - كتاب: التوبة

(١) - باب: في الحَضِّ على التوبة والفرح بها

٦٨٨٧ - (١) حَدَّثَنِي سُؤَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ مَيْسَرَةَ، حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا جَنَدُ ظَنِّ عَبْدِي بِي. وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي. وَاللَّهُ، لِلَّهِ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ

كتاب: التوبة

(١) - باب: في الحَضِّ على التوبة والفرح بها

١ - (٢٦٧٥) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في التوحيد، باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه (٧٥٣٧)، والترمذي في الدعوات، باب حسن الظن بالله (٣٥٩٨)، وابن ماجه في الآداب، باب فضل العمل (٣٨٦٧)، وقد مرَّ طرف منه في أول كتاب الذكر.

قوله: (أنا عند ظنِّ عبدي بي) قد مرَّ تفسيره مبسوطاً في أول كتاب الذكر والدعاء.

قوله: (للهُ أفرح بتوبة عبده) قال الخطابي: «معنى الحديث أن الله أَرْضَى بالتوبة وأقبل له. والفرح الذي يتعارفه الناس بينهم غير جائز على الله» وقال ابن العربي: «كل صفة تقتضي التغير لا يجوز أن يوصف الله بحقيقتها، فإن ورد شيء من ذلك كُحِلَ على معنى يليق به. وقد يعبر عن الشيء بسببه أو ثمرته الحاصلة عنه، فإن من فرح بشيء جاد لفاعله بما سأل وبلَدَنَ له ما طلب. فعبر عن عطاء الباري وواسع كرمه بالفرح» وقال القرطبي في المفهم: «هذا مثَلٌ قصد به بيان سرعة قبول الله توبة عبده التائب، وأنه يُقبل عليه بمغفرته ويعامله معاملة من يفرح بعمله».

أما التوبة، فمعناها في اللغة: الرجوع. وهو في اصطلاح الشريعة: «ترك الذنب، والتندم على فعله، والعزم على عدم العود، وردة المظلمة إن كانت، أو طلب البراءة من صاحبها، وأداء ما ضيَّع من الفرائض» وزاد ابن المبارك رحمه الله: «وأن يعمد إلى البدن الذي ربَّاه بالسحت فيذيبه بالهم والحزن حتى ينشأ له لحم طيب، وأن يذيق نفسه ألم الطاعة كما أذاقها لذة المعصية» ولا شك أنه ليس داخلياً في مفهوم التوبة، ولكنه من جملة المكملات التي يأتي بها المَتَّقُونَ المحسنون كنتيجة طَبِيعِيَّةٍ للتندم الذي حصل لهم على ارتكاب الذنوب. وقد ذكر الباقلاني رحمه

أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْقَلَاءِ. وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا. وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا. وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي، أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أَهْرُولًا».

٦٨٨٨ - (٢) حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنُ قَعْنَبٍ الْقَعْنَبِيُّ، حَدَّثَنَا الْمُعْبِرَةُ (يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجَزَامِيَّ)، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَلَّهِ أَشَدُّ قَرَحًا بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ، مِنْ أَحَدِكُمْ بِضَالَّتِهِ، إِذَا وَجَدَهَا».

٦٨٨٩ - (١٠٠) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، بِمَعْنَاهُ.

٦٨٩٠ - (٣) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ - وَاللَّفْظُ لِعُثْمَانَ - (قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا. وَقَالَ عُثْمَانُ: حَدَّثَنَا) جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ أَعُوذُهُ وَهُوَ مَرِيضٌ. فَحَدَّثَنَا بِحَدِيثَيْنِ: حَدِيثًا عَنْ نَفْسِهِ وَحَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَلَّهِ أَشَدُّ قَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ ذَوْنِ مَهْلِكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ».

الله أن من شرائط قبول التوبة أن لا يعود إلى الذنب، ولو عاد إليه تبين أن توبته باطلة. ولكن ردة عليه الحافظ في الفتح (١١ : ١٠٤)، فإنه مخالف لحديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه. رفعه: «ما أصر من استغفر، ولو عاد في اليوم سبعين مرة» أخرجه أبو داود والترمذي. وكذلك سيأتي في باب قبول التوبة من الذنوب حديث أبي هريرة، وهو يدل على أن التوبة تقبل وإن تكررت الذنوب.

قوله: (أقبلت إليه أهرولاً) أي: أسمى. وقد مر شرح هذه القطعة من الحديث في أوائل كتاب الذكر.

٣ - (١٠٠) - قوله: (دخلت على عبد الله) يعني ابن مسعود رضي الله عنه، وهذا الحديث أخرجه البخاري في الدعوات، باب التوبة (٦٣٠٨)، والترمذي في صفة القيامة، باب المؤمن يرى ذنبه كالجبل (٢٤٩٩ و ٢٥٠٠).

قوله: (في أرض ذويّة) بفتح الدال وتشديد الذوا والياء، وهي الأرض القفر والقلاء الخالية، وهي منسوبة إلى الذوا، وهي البرية التي لا نبات بها، وسيأتي في رواية أبي بكر بن أبي شيبَةَ (داوِية) بالالف بعد الدال وتخفيف الواو وتشديد الياء، وهي لغة في (الذويّة) على إبدال إحدى الواوين ألفاً، كما قيل في النسب إلى طي (طائي). وأما المهلكة، بفتح اللام وكسرها، فهي موضع خوف الهلاك.

ولم يذكر مسلم حديث عبد الله عن نفسه، وذكره البخاري والترمذي، وهو قوله: (المؤمن

عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ. فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ. فَطَلَبَهَا حَتَّى أَذْرَكَهُ الْعَطَشُ. ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعْ إِلَى مَكَانِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ. فَأَنَامَ حَتَّى أَمُوتَ. فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ. فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ. فَلِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ».

٦٨٩١ - (١٠٠) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ، عَنْ قُطَيْبَةَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنِ الْأَعْمَشِ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ. وَقَالَ: «مَنْ رَجُلٍ بِذَاوِيَةِ مِنَ الْأَرْضِ».

٦٨٩٢ - (٤) وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ سَنُصُورٍ. حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ. حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا عُمَارَةُ بْنُ عُمَيْرٍ. قَالَ: سَمِعْتُ الْحَارِثَ بْنَ سُوَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ حَدِيثَيْنِ: أَحَدُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْآخَرُ عَنْ نَفْسِهِ. فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ». بِمِثْلِ حَدِيثِ جَرِيرٍ.

٦٨٩٣ - (٥) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ. حَدَّثَنَا أَبِي. حَدَّثَنَا أَبُو يُونُسَ، عَنْ سِمَاكِ قَالَ: خَطَبَ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ فَقَالَ: «لِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ حَمَلَ زَادَهُ وَمَزَادَهُ عَلَى بَعِيرٍ. ثُمَّ سَارَ حَتَّى كَانَتْ بِقَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَأَذْرَكَهُ الْقَانِئَةُ. فَتَزَلَّ فَقَالَ تَحْتَ شَجَرَةٍ. فَغَلَبَتْهُ غَيْثُهُ. وَانْسَلَّ بِعِيرُهُ. فَاسْتَيْقَظَ فَسَعَى شَرْفًا فَلَمْ يَزْ شَيْئًا، ثُمَّ سَعَى شَرْفًا ثَانِيًا فَلَمْ يَزْ شَيْئًا. ثُمَّ سَعَى شَرْفًا ثَالِثًا فَلَمْ يَزْ شَيْئًا. فَأَقْبَلَ حَتَّى أَتَى مَكَانَهُ الَّذِي قَالَ فِيهِ. فَبَيْنَمَا هُوَ قَاعِدٌ إِذْ جَاءَهُ بِعِيرُهُ يَمْشِي. حَتَّى وَضَعَ خَطَامَهُ فِي يَدِهِ. فَلِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ، مِنْ هَذَا جِئَ وَجَدَ بِعِيرَهُ عَلَى حَالِهِ».

يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الكافر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه، فقال به هكذا».

٥ - (٢٧٤٥) - قوله: (خطب النعمان بن بشير) هذا الحديث موقوف على النعمان بن بشير برواية سماك، ومرفوع من رواية الشعبي ولم يخرج أحد من الأئمة الستة سوى المصنف رحمه الله تعالى. وكان النعمان بن بشير رضي الله عنه سمع هذا الحديث المرفوع، فرواه إلى سماك دون أن ينسبه إلى رسول الله ﷺ، كما كان كثير من الصحابة والتابعين يفعلون ذلك، ورواه إلى الشعبي مرفوعاً.

قوله: (زاده ومزاده) هو اسم جنس للمزادة، وهي القرية العظيمة، سميت بذلك لأنه يزداد فيها من جلد آخر.

قوله: (سمى شرفاً) الشرف: المكان المرتفع.

قَالَ سِمَاكٌ: فَرَعَمَ الشَّعْبِيُّ، أَنَّ الشَّعْمَانَ رَفَعَ هَذَا الْحَدِيثَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ. وَأَمَّا أَنَا فَلَمْ أَسْمَعُهُ.

٦٨٩٤ - (٦) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَجَعْفَرُ بْنُ حُمَيْدٍ. (قَالَ جَعْفَرُ: حَدَّثَنَا. وَقَالَ يَحْيَى: أَخْبَرَنَا) عُيَيْدُ اللَّهِ بْنُ إِدَادِ بْنِ لُقَيْطٍ، عَنْ إِدَادٍ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ تَقُولُونَ بِفَرْحِ رَجُلٍ انْقَلَبَتْ مِنْهُ رَاحِلَتُهُ. تَجُرُّ زِمَامَهَا بِأَرْضٍ قَفَرٍ لَيْسَ بِهَا طَعَامٌ، وَلَا شَرَابٌ. وَعَلَيْهَا لَهُ طَعَامٌ وَشَرَابٌ. فَطَلَبَهَا حَتَّى شَقَّ عَلَيْهِ. ثُمَّ مَرَّتْ بِجَذَلٍ شَجَرَةٍ فَتَعَلَّقَ زِمَامُهَا. فَوَجَدَهَا مُتَمَلِّقَةً بِهِ؟» قُلْنَا: شَدِيداً يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا، وَاللَّهِ، لَلَّهُ أَشَدُّ فَرْحاً بِتَوْنَةِ عَبْدِهِ، مِنَ الرَّجُلِ بِرَاحِلَتِهِ».

قَالَ جَعْفَرُ: حَدَّثَنَا عُيَيْدُ اللَّهِ بْنُ إِدَادٍ، عَنْ أَبِيهِ.

٦٨٩٥ - (٧) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ. قَالَا: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُوسُفَ. حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَارٍ. حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ. حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، وَهُوَ عَمُّهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرْحاً بِتَوْنَةِ عَبْدِهِ جِئْتُ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ فَانْقَلَبَتْ مِنْهُ. وَعَلَيْهَا طَعَامٌ وَشَرَابٌ. فَأَيَسَ مِنْهَا. فَاتَى شَجَرَةً. فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا. قَدْ أَيْسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ. فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةٌ عِنْدَهُ. فَأَخَذَ بِحُطَامِهَا. ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرْحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأُ مِنْ شِدَّةِ الْفَرْحِ».

٦٨٩٦ - (٨) حَدَّثَنَا هَذَابُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا هَمَامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرْحاً بِتَوْنَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ إِذَا اسْتَبَقَ عَلَى بَعِيرِهِ، قَدْ أَضَلَّهُ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ».

٦ - (٢٧٤٦) - قوله: (عن البراء بن عازب) هذا الحديث أيضاً مما تفرد المصنف بإخراجه.

قوله: (بجذل شجرة) بكسر الجيم وفتحها، وهو أصل الشجرة القائم.

قوله: (قلنا: شديداً) أي: سيفرح فرحاً شديداً.

٧ - (٢٧٤٧) - قوله: (حدثنا أنس بن مالك) هذا الحديث أيضاً من تفردات المصنف رحمه الله.

قوله: (أخطأ من شدة الفرح) يعني: كان يريد أن يقول: أنت ربّي وأنا عبدك، فعكس الأمر. وفيه دليل على أن مثل هذا الخطأ لا مواخذة عليه.

وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ الدَّارِمِيُّ . حَدَّثَنَا حَبَّانٌ . حَدَّثَنَا هَمَامٌ . حَدَّثَنَا قَتَادَةُ . حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ
مَالِكٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، بِمِثْلِهِ .

(٢) - باب: سقوط الذنوب بالاستغفار، توبة

٦٨٩٧ - (٩) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ . حَدَّثَنَا لَيْثٌ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ ، قَاصُ
عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، عَنْ أَبِي صِرْمَةَ ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ ، أَنَّهُ قَالَ ، جِئْتُ حَضْرَتَهُ الْوَفَاءَ : كُنْتُ
كَتَمْتُ عَنْكُمْ شَيْئاً سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «لَوْلَا أَنْكُمْ
تُذَيِّبُونَ لِلَّهِ خَلْقًا يُذَيِّبُونَ ، يَغْفِرُ لَهُمْ» .

٦٨٩٨ - (١٠) حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ . حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ . حَدَّثَنِي عِيَّاضٌ ،
(وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْفِهْرِيُّ) ، حَدَّثَنِي إِسْرَاهِيمُ بْنُ عُبَيْدٍ بْنِ رِفَاعَةَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ
الْقُرْظِيِّ ، عَنْ أَبِي صِرْمَةَ ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : أَنَّهُ قَالَ : «لَوْ
أَنْتُمْ لَمْ تَكُنْ لَكُمْ ذُنُوبٌ ، يَغْفِرُهَا اللَّهُ لَكُمْ ، لَجَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ لَهُمْ ذُنُوبٌ ، يَغْفِرُهَا لَهُمْ» .

٦٨٩٩ - (١١) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ . حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ
جَعْفَرِ الْجَزْرِيِّ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

(٢) - باب: سقوط الذنوب بالاستغفار توبة

٩ - (٢٧٤٨) - قوله : (قاص عمر بن عبد العزيز) القاص : الواعظ ، لأنه يذكر قصصاً
للاعتبار .

قوله : (عن أبي أيوب) هذا الحديث أخرجه أيضاً الترمذي في الدعوات ، (باب : ١٠٥ ،
حديث : ٣٥٣٣) .

قوله : (كنت كتمت عنكم شيئاً) وإنما كتمت الحديث مخافة أن يجترئ الناس على
المعاصي ، ولكن حدث به عند وفاته لئلا يكون كاتماً للعلم ، وربما لم يكن أحد يحفظه غيره ،
فتعين عليه أدائه .

قوله : (يقفر لهم) أي : باستغفارهم على ما هو الأصل ، وفيه تسلية للمذنبين النادمين بأن
استغفارهم وتوبتهم تمحو السيئات ، ومعنى الحديث واضح ، لأن الله سبحانه خلق هذا الخلق بما
فيه من خير وشر لحجكم هو أعلم بها ، فخلق الذنوب فيه حكمة ، كما أن خلق الحسنات فيه
حكمة . ولا ينبغي أن يجترأ به الإنسان على الذنوب ، لأن الله سبحانه حرّمها صراحة ، ولكن
لا يفتن من رحمة الله إذا فرط منه شيء منها ، لأن الاستغفار كفارة له .

١١ - (٢٧٤٩) - قوله : (عن أبي هريرة) هذا الحديث لم يخرج أحد من الأئمة الستة غير
المصنف رحمه الله .

«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذَيِّبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذَيِّبُونَ، فَيَسْتَفْهِرُونَ اللَّهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ».

(٣) - باب: فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة، والمراقبة،

وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات، والاشتغال بالدنيا

٦٩٠٠ - (١٢) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ وَقَطَنُ بْنُ نُسَيْرٍ، (وَاللَّفْظُ لِيَحْيَى)، أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ إِسَاسٍ الْجَرِيرِيِّ، عَنْ أَبِي عُمَرَ التَّهْدِي، عَنْ حَنْظَلَةَ الْأَسَدِيِّ قَالَ: (وَكَانَ مِنْ كُتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) قَالَ: تَقِيَّبِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: كَيْفَ أَتَيْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: تَأَخَّرَ حَنْظَلَةُ. قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ. حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضُّبُعَاتِ. فَتَسْبِيحًا كَثِيرًا. قَالَ أَبُو بَكْرٍ:

(٣) - باب: فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة إلخ

١٢ - (٢٧٥٠) - قوله: (وَقَطَنُ بْنُ نُسَيْرٍ) يفتح القاف والطاء، واسم أبيه مصغر بضم التوت، هو أبو عباد الغبري البصري أخرج له مسلم وأبو داود والترمذي وذكره ابن حبان في الثقات، وكان أبو زرعة يحمل عليه، وذكر أنه روى أحاديث عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس مما أنكر عليه. وقال ابن عدي: كان يسرق الحديث ويوصله، ولكن أخرج له مسلم هنا مقروناً بيحيى ابن يحيى، فهذا الإسناد لا غبار عليه.

قوله: (عن حنظلة الأسدي) بضم الهمزة مصغراً، اسمه حنظلة بن الربيع بن صيفي، ويقال له حنظلة النكاتب أيضاً، لأنه كان من كتاب النبي ﷺ، وهو ابن أخي أكرم بن صيفي حكيم العرب، وأرسله النبي ﷺ إلى أهل الطائف، وشهد القادسية ونزل الكوفة، واعتزل الفتنة فيما بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ونزل قرقيسياد حتى توفي في خلافة معاوية رضي الله عنه، ويقال: إن الجرح رثته بعد موته، وفي موته تقول امرأته في أبيات:

إِنْ سَوَادَ الْعَمِينَ أَوْدَى بِهِ حَزَنِي عَمَلِي حَنْظَلَةُ الْكَاتِبِ وَحَدِيثُهُ أَخْرَجَهُ أَيْضاً التِّرْمِذِيُّ فِي صِفَةِ الْقِيَامَةِ، بَاب، وَتَكُنْ يَا حَنْظَلَةُ إِنْخ (٢٥١٦).

قوله: (حتى كأننا رأي عين) قال الفاضل: «ضبطناه بالضم، أي: كأننا بحال من يراها بعينه. ويصح النصب على المصدر، أي: يراها رأي عين» والحاصل أننا نستحضر الجنة والنار نراها بأعيننا.

قوله: (عافسنا الأزواج) المعافسة: المعالجة والمخالطة، يعني أنهم إذا خرجوا من عند رسول الله ﷺ اشتغلوا بالأزواج والأولاد والضبيعات، وتركوا تلك الحالة الشريفة التي كانوا

قَالَ اللَّهُ، إِنَّا لَنَنْفِقُ مِثْلَ هَذَا. فَاذْهَبْ أَتَا أَبُو بَكْرٍ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: نَافِقٌ حَنْظَلَةُ. يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ. تَذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كُنَّا رَأْيَ عَيْنٍ. فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ. نَسِينَا كَثِيرًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنْ لَوْ تَدَوَّمُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحْتُكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ. وَلَكِنَّ، يَا حَنْظَلَةُ، سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

١٩٠١ - (١٣) حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ. أَخْبَرَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ. سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ. حَدَّثَنَا سَعِيدُ الْجُرَيْرِيُّ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، عَنْ حَنْظَلَةَ. قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَوَعظَنَا فَذَكَرَ النَّارَ. قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ إِلَى الْبَيْتِ فَصَاحَكْتُ الصَّبِيَّانَ وَلَا عِثْتُ الْمَرْأَةَ. قَالَ: فَحَرَجْتُ فَلَقِيْتُ أَبَا بَكْرٍ. فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ. فَقَالَ: وَأَنَا قَدْ فَعَلْتُ مِثْلَ مَا تَذَكَّرُ. فَلَقِينَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَافِقٌ حَنْظَلَةُ! فَقَالَ: «مَهْ» فَحَدَّثَنِي بِالْحَدِيثِ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَأَنَا قَدْ فَعَلْتُ مِثْلَ مَا فَعَلَ. فَقَالَ: «يَا حَنْظَلَةُ، سَاعَةً وَسَاعَةً. وَلَوْ كَانَتْ تَكُونُ قُلُوبُكُمْ كَمَا تَكُونُ عِنْدَ الذِّكْرِ. لَصَافَحْتُكُمْ الْمَلَائِكَةُ. حَتَّى تُسَلِّمَ عَلَيْكُمْ فِي الطَّرِيقِ».

عليها يحضر من رسول الله ﷺ وفقدوا ذلك الاستحضار. وظن حنظلة ﷺ أن هذا الفرق بين الحالتين شعبة من النفاق.

ورواه الخطابي (عائنا) بالنون بدلاً من الفاء ومعناه الملاعبة. ورواه ابن قتيبة (عائنا) بالنون والشين، ومعناه: المعاينة، والأول هو المعروف، وهو أعم.

قوله: (والضَّيْعَاتِ) جمع ضَيْعَةٍ، بفتح الضاد، وهي العقار والأرض كما في القاموس، وربما تستعار لمعاش الرجل من مال أو حرفة أو صناعة.

قوله: (لصافحتكم الملائكة على فرشكم) يعني: كنتم حيثنأ أفضل من الملائكة لاستدامة الذكر بالرغم من دواعي النسيان، فإن الملائكة وإن كانوا يداومون الذكر، ولكنهم بمعزل عن دواعي الغفلة والنسيان. وذكر القرطبي رحمه الله تعالى أن الله سبحانه خلق الإنسان متوسطاً بين الملائكة والشیاطين، فالملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون، والشیاطين في شر وإغواء لا يألون في ذلك، أما الإنسان، فإن الله سبحانه جعله مثلوناً، فله ساعات يذكر فيها ربه وساعات يقضي فيها حوائجه.

قوله: (ساعة وساعة) يعني: تستحضر الجنة والنار وتذكر ربك ساعة، وتشغل بحوائجك في ساعة أخرى. وهذا لا محذور فيه شرعاً ما لم يرتكب المرأة معصية.

٦٩٠٢ - (١٠٠) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ. حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ. حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ سَعِيدِ الْجُرَيْرِيِّ، عَنْ أَبِي عُمَانَ النَّهْدِيِّ، عَنْ حَنْظَلَةَ التَّمِيمِيِّ الْأَسَدِيِّ الْكَاتِبِ. قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ. فَذَكَّرْنَا الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثَيْهِمَا.

(٤) باب في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه

٦٩٣ - (١٤) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ. حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ، (عَنْ الْجَزَائِمِيِّ)، عَنْ أَبِي الزُّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنْ رَحِمْتِي تَغْلِبَ غَضَبِي».

ودل الحديث على أن كيفية الاستحضار الدائم والاستغراق في ذكر الله تعالى وإن كانت محموداً، ولكنها غير مقصودة، والمقصود أن يباشر الإنسان أعمالاً صالحة، ويجتنب عن الحرام، وعلى أن الالتفات إلى حوائج الإنسان في معاشه ليس من النفاق، بل لو توجه إليه بنية أداء الحقوق وتنشيط النفس للأعمال الصالحة، صار هذا الالتفات داخلًا في ذكر الله تعالى. ولهذا قالوا: كل مطيع لله فهو ذاك.

(٤) - باب: في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه

١٤ - (٢٧٥١) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: «وَمَنْ أَلْزَمَ يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ» (٣١٩٤)، وفي التوحيد، باب قول الله تعالى: «وَنُعَذِّبُهُمْ اللَّهُ أَنْفُسَهُمْ» (٧٤٠٤)، وباب «وَكُنَّا عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ» (٧٤٢٢)، وباب قوله تعالى: «وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَاتُنَا لِإِبَادَةِ الْفَرَسَيْنِ» (٧٤٣٥)، وباب قول الله تعالى: «بَلَىٰ هُوَ قَوْلُهُمْ أَنَّهُمْ فِي لَوْجٍ مُّخْطُومٍ» (١٢)، وأخرجه ابن ماجه في الزهد، باب ما يرجي من رحمة الله يوم القيامة (٤٣٤٩).

قوله: (فهو عنده فوق العرش) قيل: معناه دون العرش، وهو كقوله تعالى: «يَوْمَئِذٍ فَسَا فَوْقَهَا». والحامل على هذا التأويل استبعاد أن يكون شيء من المخلوقات فوق العرش، ولا محذور في إجراء ذلك على ظاهره، لأن العرش خلق من خلق الله تعالى. ويحتمل أن يكون المراد بقوله: (فهو عنده) أي: ذكره أو علمه، فلا تكون العندية مكانية، بل هي إشارة إلى كمال كونه مخفياً عن الخلق، مرفوعاً عن حيز إدراكهم. كذا في فتح الباري (٦: ٢٩١).

قوله: (إن رحمتي تغلب غضبي) وفي الرواية الآتية: قال الله عز وجل: «سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي». قال النووي: «قال العلماء: غضب الله ورضاه يرجعان إلى معنى الإرادة. فإرادته الإثابة للمطيع ومنفعة العبد تسمى رضا ورحمة، وإرادته عقاب العاصي وخذلانه تسمى غضباً» وذكر الحافظ في الفتح أن السبق والغلبة باعتبار التعلق، أي: الرحمة غالب سابق على تعلق الغضب،

٦٩٠٤ - (١٥) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ. حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَبِي الزُّنَادِ، عَنْ
الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: سَبَقْتُ رَحْمَتِي غَضَبِي».

٦٩٠٥ - (١٦) حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ. أَخْبَرَنَا أَبُو صَمْرَةَ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ مَيْمَنَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا قَضَى
اللَّهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ عَلَى نَفْسِهِ، فَهُوَ مَوْضُوعٌ عِنْدَهُ: إِنْ رَحِمْتِي تَغْلِبَ غَضَبِي».

٦٩٠٦ - (١٧) حَدَّثَنَا حَرَمَلَةُ بْنُ يَحْيَى التَّجِيبِيُّ. أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ. أَخْبَرَنِي يُونُسُ،
عَنِ ابْنِ شِهَابٍ؛ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ أَخْبَرَهُ؛ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
يَقُولُ: «جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عَنْهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ. وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا
وَاحِدًا. فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ تَفَرَّاحُ الْخَلَائِقِ. حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِزَهَا عَنْ وَلَدِهَا، خَشْيَةً أَنْ
تُصِيبَهُ».

لأن الرحمة مقتضى ذاته المقدسة، وأما الغضب فإنه متوقف على سابقة عمل من المعبود الحادث.
وقيل: معنى الغلبة: الكثرة والشمول. وقال الطبري: في سبق الرحمة إشارة إلى أن قسط الخلق
منها أكثر من قسطهم من الغضب، وأنها تنالهم من غير استحقاق، وأن الغضب لا ينالهم إلا
باستحقاق. فالرحمة تشمل الشخص جنيئاً ورضيعاً وقطيماً وناشئاً قبل أن يصدر منه شيء من
الطاعة، ولا يلحقه الغضب إلا بعد أن يصدر عنه ذنب.

١٧ - (٢٧٥٢) - قوله: (أن أبا هريرة قال) هذا الحديث أخرجه البخاري في الأدب، باب
جعل الله الرحمة في مائة جزء (٦٠٠٠)، وفي الرقاق، باب الرجاء مع الخوف (٦٤٦٩)،
وأخرجه الترمذي في الدعوات باب (١٠٧ و ١٠٨) حديث (٣٥٣٥ و ٣٥٣٦)، وابن ماجه في
الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة (٤٣٤٧).

قوله: (مائة جزء) ذهب النكرمانى إلى أن ذكر المائة إنما جرى على سبيل التمثيل تسهيلاً
للفهم وتقليلاً لما عند الخلق وتكثيراً لما عند الله سبحانه، وإلا فرحمة الله تعالى غير متناهية.
وذكر المهلب ما يفيد أن الرحمة رحمتان: رحمة من صفة الذات وهي لا تعدد ولا تنجز،
ورحمة من صفة الفعل، وهي المشار إليها ههنا. وقال القرطبي: «مقتضى هذا الحديث أن الله
علم أن أنواع النعم التي ينعم بها على خلقه مائة نوع، فأنعم عليهم في هذه الدنيا بنوع واحد
انتظمت به مصالحهم وحصلت به مرافقهم. فإذا كان يوم القيامة كمل لعباده المؤمنين ما بقي،
فبلغت مائة، وكلها للمؤمنين. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (الأحزاب،
آية: ٤٣)، فإن (رحيماً) من أبنية المبالغة التي لا شيء فوقها، ويفهم من هذا أن الكفار لا يمتنى
لهم حظ من الرحمة، لا من جنس رحمات الدنيا ولا من غيرها إذا كمل كل ما كان في علم الله

٦٩٠٧ - (١٨) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقَتَيْبَةُ وَابْنُ حُجْرٍ . قَالُوا : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ، (يَعْنُونَ ابْنَ جَعْفَرٍ) ، عَنْ الْأَعْلَاءِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «خَلَقَ اللَّهُ مِائَةَ رَحْمَةٍ ، فَوَضَعَ وَاحِدَةً بَيْنَ خَلْقِهِ ، وَخَبَأَ عِنْدَهُ مِائَةَ ، إِلَّا وَاحِدَةً» .

٦٩٠٨ - (١٩) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ . حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ ، عَنْ عِظَاءَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ الشَّيْخِ ﷺ قَالَ : «إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ . أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِ . فِيهَا يَتَعَاطَفُونَ . فِيهَا يَتَرَاحَمُونَ . وَفِيهَا تَغْطِفُ الْوُحْشُ عَلَى وَلَدِهَا . وَأَخَّرَ اللَّهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً . يَرُحِمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» .

٦٩٠٩ - (٢٠) حَدَّثَنِي الْحَكَمُ بْنُ مُوسَى . حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ . حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ . حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ الشَّهْدِيُّ ، عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ . فَمِنْهَا رَحْمَةٌ بِهَا يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ بَيْنَهُمْ ، وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ» .

٦٩١٠ - (١٠٠) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى . حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ ، عَنْ أَبِيهِ ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ .

٦٩١١ - (٢١) حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ . حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ ، عَنْ أَبِي عُمَرَ ، عَنْ سَلْمَانَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ، يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، مِائَةَ رَحْمَةٍ . كُلُّ رَحْمَةٍ طَبَاقٌ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الْأَرْضِ رَحْمَةً . فِيهَا تَغْطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا . وَالْوُحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ» .

من الرحمات للمؤمنين، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿فَسَاكِنَتَهَا لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ﴾ [الأعراف، آية: ١١٥] الآية. وراجع فتح الباري (١٠ : ٤٣٣) للتفصيل.

١٨ - (١٠٠) - قوله : (وخياً عنده) أي : أخفاها عن الأعين .

٢٠ - (٢٧٥٣) - قوله : (عن سلمان الفارسي) هذا الحديث تفرد بإخراجه المصنف من بين الأئمة الستة .

٢١ - (١٠٠) - قوله : (طباق ما بين السماء والأرض) أي ملؤه . و (طباق) منصوب على الحالية ، والتقدير (خلقها طباق إنخ) ويجوز فيه الرفع ، على أنه خير مبتدؤه : كل رحمة .

قوله : (فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة) قال الحافظ : «فيه إشارة إلى أن الرحمة التي في الدنيا بين الخلق تكون فيهم يوم القيامة يتراحمون بها أيضاً» . وصرح بذلك المهلب

٦٩١٢ - (٢٢) حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلَوَانِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ سَهْلٍ التَّمِيمِيُّ، (وَالْقَلْبُ لِحَسَنٍ)، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ. حَدَّثَنَا أَبُو عَسَا. حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، أَنَّهُ قَالَ: قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْبِي. فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ، تُسَبِّحِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ، أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِسُطْبِهَا وَأَرْضَعَتْهُ. فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتَرَوْنَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟» قُلْنَا: لَا، وَاللَّهِ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا».

٦٩١٣ - (٢٣) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ وَابْنُ حُجْرٍ. جَمِيعاً عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ. قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، أَخْبَرَنِي أَعْلَاءُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ بِحُجَّتِهِ أَخَذَ. وَلَوْ

فَقَالَ: الرَّحْمَةُ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ لِعِبَادِهِ وَجَعَلَهَا فِي نَفْسِهِمْ فِي الدُّنْيَا هِيَ الَّتِي يَتَغَفَرُونَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّبَاتُ بَيْنَهُمْ. قَالَ: وَيَجُوزُ أَنْ يَسْتَعْمَلَ اللَّهُ تِلْكَ الرَّحْمَةَ فِيهِمْ فَيَرْحَمُهُمْ بِهَا سِوَى رَحْمَتِهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَهِيَ الَّتِي مِنْ صِفَةِ ذَاتِهِ وَلَمْ يَزَلْ مُوصُوفاً بِهَا، فَهِيَ الَّتِي يَرْحَمُهُمْ بِهَا زَائِداً عَلَى الرَّحْمَةِ الَّتِي خَلَقَهَا لَهُمْ».

٢٢ - (٢٧٥٤) - قوله: (عن عمر بن الخطاب) هذا الحديث أخرجه البخاري في الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانفته (٥٩٩٩).

قوله: (فإذا امرأة من السبي تبغي) أي: تطلب ابنها. وكانت من سبي هوازن كما صرح به الحافظ في التفتح (١٠: ٤٣٠) ووقع في بعض روايات البخاري (٩) وهو أوضح وفي بعضها (تحلب لديها نسفي).

قوله: (وأرضعته) وكانت فقدت صبيها وتضررت باجتماع اللبن في ثديها، فكانت إذا وجدت صبيّاً أرضعته ليخف عنها، أو كانت لا تصبر عن ولدها، فكانما وجدت صبيّاً حمته لتسلي نفسها به.

قوله: (لله أرحم بعبياده) أي: المؤمنين منهم، والمعروف في القرآن الكريم أن الله سبحانه حينما يضيف (عبد) أو (عباد) إلى نفسه بدون واسطة اللام، فأنمراد: العباد المؤمنون، وحينما يضيف إلى نفسه بواسطة اللام فيدخل فيه الكفار أيضاً، كما في قوله تعالى: ﴿بَشِّرْ عِبَادَ اللَّهِ الَّذِينَ هُمْ وَأَنْسُؤُهُمْ﴾ [الأنعام: ١٤].

٢٣ - (٢٧٥٥) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه الترمذي في الدعوات، باب عظم العقوبة وعظم الرجاء (٣٥٣٦). والحديث واضح المعنى، والمقصود منه أن يجمع الإنسان بين الخوف والرجاء.

يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قُتِّطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَخَذَهُ.

٦٩١٤ - (٢٤) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَرْزُوقٍ ابْنُ بَنِي مَهْدِيٍّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ، لَمْ يَمْعَلْ حَسَنَةً قَطُّ، لِأَهْلِهِ: إِذَا مَاتَ فَحَرَّقُوهُ. ثُمَّ أَذْرُوا نِصْفَهُ فِي الْبَرِّ وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ. فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا لَا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ. فَلَمَّا مَاتَ الرَّجُلُ

٢٤ - (٢٧٥٦) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٣٤٨١)، وفي التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ (٧٥٠٦)، وأخرجه أيضاً عن حذيفة وأبي سعيد رضي الله عنهما في باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٣٤٧٨، ٣٤٧٩)، وأخرجه النسائي في الجنائز، باب أرواح المؤمنين (٢٠٧٩)، ومالك في جنائز الموطأ، جامع الجنائز، وابن ماجه في الزهد، باب ذكر النوبة (٤٣٠٩).

قوله: (رجل لم يعمل حسنة قط) ذكر الحافظ عن رواية للطبراني أنه كان من بني إسرائيل، وكان ينش القبور. وقد صرح عقبه بن عمرو رضي الله عنه بكونه نباشاً، وذلك في حديثه عند البخاري في الأنبياء.

قوله: (لأهله) وفي حديث لأبي سعيد الخدري رضي الله عنه عند البخاري في الرقاق (٢٤٨١): «عن النبي ﷺ ذكر رجلاً فممن كان سلف - أو قبلكم - آتاه الله مالاً وولداً - يعني: أعطاه - قال: فلما خُصِر قال لبيته: أي أب كنت لكم؟ قالوا: خير أب. قال: فإنه لم ينتثر عند الله خيراً - فسرهما قتادة: لم يذخر - وإن يقدم على الله يعذبه، فانظروا، فإذا مات فأحرقوني إلخ».

قوله: (ثم أذروا نصفه في البر) يقال: ذرت الريح وأذرت الشيء: إذا فرقته بهبوبها. والمراد: أذروا نصف رمادي في هواء البر ونصفه في هواء البحر.

قوله: (فوالله لئن قدر الله عليه) ظاهر هذا الكلام أنه نفي لقدرة الله تعالى، وهو كفر، والعباد بالله العلي العظيم، فكيف غفر له؟ وقد أجاب العلماء عن هذا السؤال بطرق مختلفة نلخصها فيما يلي:

١ - قال بعض العلماء: إن (قدر) ههنا بمعنى (ضيق) كما في قوله تعالى: ﴿قَطَّلْنَا أَن لَّنْ نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء، آية: ١٨٧] والمعنى: (لئن ضيق الله عليّ) فليس فيه نفي القدرة، ولكنه جواب ضعيف عندي، لأن أمره بتحريقه وسحق رماده في البر والبحر يدل على أنه أراد معنى القدرة، ويدل على ذلك أيضاً ما ورد في بعض الروايات أنه قال: (لعلني أضل الله).

٢ - قال بعضهم: إنه لم يجحد قدرة الله تعالى، ولكنه جهل صفة من صفات الله تعالى، والكفر إنما هو الجحود أما جهل صفة من صفات الله تعالى، فليس مستلزماً للكفر كما هو

فَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ فَأَمَرَ اللَّهُ الْبَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ. وَأَمَرَ الْبَخْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ. ثُمَّ قَالَ: لِمَ فَعَلْتُمْ هَذَا؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ. يَا رَبِّ، وَأَنْتَ أَهْلَمَ، فَفَقَرْتُ اللَّهُ لَهُ.

٦٩١٥ - (٢٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ. (قَالَ عَبْدُ: أَخْبَرَنَا. وَقَالَ ابْنُ رَافِعٍ - وَاللَّفْظُ لَهُ -: حَدَّثَنَا) عَبْدُ الرَّزَّاقِ. أَخْبَرَنَا مُعَمَّرٌ قَالَ: قَالَ لِي الزُّهْرِيُّ: أَلَا أُخَذْتُكَ بِحَدِيثَيْنِ عَجِيبَيْنِ؟ قَالَ الزُّهْرِيُّ: أَخْبَرَنِي حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ فَلَمَّا خَضِرَ الْمَوْتُ أَوْصَى بَنِيهِ فَقَالَ: إِذَا أَنَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي. ثُمَّ اسْحَقُونِي. ثُمَّ أَذْرُونِي فِي الرِّيحِ فِي الْبَحْرِ فَوَاللَّهِ، لَنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي، لَيُعَذِّبُنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ بِهِ أَحَدًا. قَالَ: فَقَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ. فَقَالَ لِلْأَرْضِ: أَدِّي مَا أَخَذْتَ. فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ. فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَيَّ مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: خَشْيَتُكَ، يَا رَبِّ، - أَوْ قَالَ - مَخَافَتُكَ، فَفَقَرْتُ لَهُ بِذَلِكَ».

٦٩١٦ - قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَحَدَّثَنِي حُمَيْدٌ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا. فَلَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا. وَلَا هِيَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ. حَتَّى مَاتَتْ هَزَلًا».

قَالَ الزُّهْرِيُّ: ذَلِكَ، لِثَلَا يَتَكَلَّ رَجُلٌ، وَلَا يَتَأَسَّ رَجُلٌ.

مذهب الإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله الذي استقرَّ عليه أخيراً، وكان قبل ذلك يؤيد قول ابن جرير الطبري أن جهل الصفة كفر.

٣ - قالت طائفة: كان هذا الرجل في زمن فترة حين ينفع مجرد التوحيد، ولا تكليف قبل ورود الشرع على المذهب الصحيح.

٤ - وأحسن الأجوبة عندي أن اللفظ على ظاهره، ولكنه قال ذلك في حال دهشته وغلبة الخوف عليه حتى ذهب بعقله، ولم يقله قاصداً الحقيقة معناه، بل في حالة كان فيها كالغافل والذاهل والناسي الذي لا يؤاخذ بما يصدر منه. وهذا ما يسميه بعض الصوفية (غلبة الحال). أو يقال: مثله كمثل رجل ضعيف البنية حمل عليه أسد، فإنه ربما يتقي بما تيسر له من الأسباب، وإن كانت ضعيفة، فإنه يعرف بيقين أن هذه الأسباب لا تنفعه أمام صولة الأسد، ولكنه تغلبه دهشته يفعل ذلك. وإن شدة خشيته من الله تعالى هي التي سببت له المغفرة في المال.

(٢٦١٩) - قوله: (وحدثني حميد، عن أبي هريرة) قد مرَّ هذا الحديث بشرحه وتخريجه في كتاب قتل المحييات، باب تحريم قتل الهرة، وفي البر والصلة، باب تحريم تعذيب الهرة. والخشاش: هوام الأرض.

قوله: (ثلاثا يتكل رجل ولا يئأس رجل) يعني: أن قصة تعذيب المرأة بسبب الهرة توجب

٦٩١٦ - (٢٦) حَدَّثَنِي أَبُو الرَّبِيعِ، سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ. حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنِي الرَّبِيعِيُّ، قَالَ الزُّهْرِيُّ: حَدَّثَنِي حَمِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَسْرَفَ عَبْدٌ عَلَى نَفْسِهِ». بَنَحُو حَدِيثَ مَعْمَرٍ. إِلَى قَوْلِهِ: «فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ».

وَلَمْ يَذْكُرْ حَدِيثَ الْمَرْأَةِ فِي قِصَّةِ الْهَرَّةِ.

وَفِي حَدِيثِ الرَّبِيعِيِّ قَالَ: «فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، لِكُلِّ شَيْءٍ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا: أَوْ مَا أَخَذَتْ مِنْهُ».

٦٩١٧ - (٢٧) حَدَّثَنِي عُيَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعُتْبَرِيُّ. حَدَّثَنَا أَبِي. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ. سَمِعَ عُقْبَةَ بْنَ عَبْدِ الْعَافِرِ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ يُحَدِّثُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ. رَأَسَهُ اللَّهُ مَالًا وَوَلَدًا. فَقَالَ لِوَلَدِهِ: لَتَفْعَلَنَّ مَا أَمَرَكُم بِهِ. أَوْ لأُولَئِينَ مِثْرَائِي غَيْرَكُمْ. إِذَا أَنَا مِتُّ، فَأُخْرِقُونِي، (وَأَكْثَرُ عِلْمِي أَنَّهُ قَالَ): لَمْ اسْحَقُونِي. وَادُّوْنِي فِي الرِّيحِ. فَلَئِنِّي لَمْ أَبْتَهَرْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا، وَإِنَّ اللَّهَ يَقْبِضُ عَلَيَّ أَنْ يَعْذِبَنِي، قَالَ: فَأَخَذَ

الحذر من الذنوب، فإن الذنب اليسير ربما يكفي لتعذيب الإنسان في الآخرة، فهذه القصة تنفي الإنكسار على الرجاء والغفلة عن الخوف، وأما قصة الرجل الذي أوصى بتحريقه، فإنها تنفي اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى، فليكن الإنسان دائراً بين الخوف والرجاء، ولذلك أتبع الإمام الزهري رحمه الله حديث الرجل بحديث الهرة، ليستوي الطرفان.

٢٦ - (٢٧٥٦) - قوله: (لكل شيء أخذ منه شيئاً) يعني: أمر كل شيء أمسك بشيء من رماد الرجل المسحوق أن يؤدي ما عنده منه.

٢٧ - (٢٧٥٧) - قوله: (سمعت أبا سعيد الخدري) هذا الحديث أخرجه البخاري في الرقاق، باب الخوف من الله (٦٤٨١)، وفي الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٣٤٧٨)، وفي التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُوكَ أَنْ يَسْكَدُوا كَلِمَةَ اللَّهِ﴾ (٧٥٠٨).

قوله: (رأسه الله مالاً وولداً) أي: أعطاه الله. وفي رواية المعتمر عن أبيه عند البخاري في الرقاق: (أناه الله). وقد رواه بعضهم في نسخة مسلم (رأسه) ولكن خطأه القاضي عياض، وقال: لا وجه له.

قوله: (أو لأولين ميثرائي غيركم) إما أن يكون ذلك جائزاً في شريعتهم، أو قال ذلك وهو لا يعرف الحكم الشرعي. والحكم الثابت في شريعتنا أنه لا يجوز لمورث أن يحرم وارثاً من ورثته.

قوله: (ثم اسحقوني) سحقه، كمنعه: إذا دقّه. وسحقّت الریح الأرض: عفت آثارها.

قوله: (فلئن لم أبتهر عند الله خيراً) أي: لم أذخر. وأصله (لم أبتر) بالهمزة، وقد وقع في

مِنْهُمْ مِثْقَاً. فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ. وَرَبِّي. فَقَالَ اللَّهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟ فَقَالَ: مَخَافَتُكَ قَالَ: فَمَا تَلَاؤُهُ غَيْرُهَا.

٦٩١٨ - (٢٨) وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الْخَارِجِيُّ. حَدَّثَنَا مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: قَالَ لِي أَبِي: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ. ح. وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى. حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ. ح. وَحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى. حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ. حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ. يَكْلَاهُمَا عَنْ قَتَادَةَ. ذَكَرُوا جَمِيعاً بِإِسْنَادٍ شُعْبَةَ. نَحْوَ حَدِيثِهِ. وَفِي حَدِيثِ شَيْبَانَ وَأَبِي عَوَانَةَ: «أَنَّ رَجُلًا مِنَ النَّاسِ رَغِبَ إِلَى اللَّهِ مَالاً وَوَلَدًا»، وَفِي حَدِيثِ الثَّيْمِيِّ: «قَالَهُ لَمْ يَنْتَبِزْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا» قَالَ: فَسَرَّهَا قَتَادَةُ: لَمْ يَدْخَرْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا، وَفِي حَدِيثِ شَيْبَانَ: «قَالَهُ. وَاللَّهِ، مَا ابْتَنَزَ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا»، وَفِي حَدِيثِ أَبِي عَوَانَةَ: «مَا ابْتَنَزَ» بِالْبَيْمِ.

(٥) - باب: قبول التوبة من الذنوب، وإن تكررت الذنوب والتوبة

٦٩١٩ - (٢٩) حَدَّثَنِي عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَادٍ. حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ. عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ. عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ

بعض الروايات هكذا بالهمزة ورواية الهاء فيها إبدان انهمزة بالهاء. وقد وقع في بعض الروايات (ثم أبتنز) بالزاي في الأخير، وهو غير صحيح. وأصله من البشارة بمعنى الذخيرة. قال أهل اللغة: بَأَرْتُ الشَّيْءَ وَابْتَأَرْتُهُ: إِذَا خَبَأْتَهُ. وفي رواية ابن السكن: (ثم يَأْتِر) بتقديم الهمزة، وهو صحيح أيضاً، وهو بمعنى الأول، وراجع فتح الباري (١١: ٣١٤).

قوله: (فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ وَرَبِّي) الواو هنا للتقسيم. أُنْصِمَ الْمُخْبِرُ بِهَذَا الْخَيْرِ بِرَبِّهِ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ.

ووقع في رواية المعتمر عند البخاري في التوحيد: «فَأَخَذَ مَوَائِقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَرَبِّي» فَقَدَّمَ القسم.

قوله: (فَمَا تَلَاؤُهُ غَيْرُهَا) أَي: لَمْ يَتَذَكَّرْ سِوَهُ عَمَلِهِ إِلَّا خَشْيَتُهُ لِلَّهِ تَعَالَى، فَضَمِيرُ الْمُؤَنَّثِ رَاجِعٌ إِلَى الْمَخَافَةِ.

٢٨ - (٠٠٠) - قوله: (وَرَغِبَ إِلَى اللَّهِ) أَي: أَكْثَرَ لَهُ، وَالرَّغْبُ (يَفْتَحُ الرِّاءَ وَسُكُونُ الْغَيْنِ): النِّعْمَةُ. وَرَغِبَ إِلَى اللَّهِ، مِنْ بَابِ فَتَحَ، وَارْغَبْ مَالاً: أَكْثَرْ لَهُ وَبَارِكْ فِيهِ. قوله: (مَا ابْتَنَزَ) الْمِيمُ هَهُنَا مُبْدَلَةٌ مِنَ الْبَاءِ، كَمَا فِي مَكَّةَ وَبَكَّةَ. وَقَدْ مَرَّ تَفْسِيرُ الْابْتِنَازِ.

(٥) - باب: قبول التوبة من الذنوب، وإن تكررت الذنوب والتوبة

٢٩ - (٢٧٥٨) - قوله: (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ) هَذَا الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي التَّوْحِيدِ، بَابِ

النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا. فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ. ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ. فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ، اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا. فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ. ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ، اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا. فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ اغْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ».

قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبْسِلُوا كَلِمَةَ اللَّهِ﴾ (٧٥٠٧)، وسند مسلم في هذا الحديث أعلى من سند البخاري.

قوله: (ويأخذ بالذنوب) أي: يعاقب فاعله. وزاد البخاري: (غفرت لعبدي).

قوله: (ثم عاد فأذنوب) وفي رواية البخاري: «ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنباً».

قوله: (اعمل ما شئت فقد غفرت لك) معناه: ما دمت تذنوب ثم تتوب غفرت لك. وقد فسر العلماء هذا الحديث بطريقتين:

الأول: أن من أذنوب ذنباً وتاب منه توبة خالصة، وكان في عزمه إذا ذاك أن لا يعود، قُبِلَتْ توبته، فإن أذنوب مرة أخرى وقد غلبه الشيطان أو النفس ثم ندم ثانياً وعزم أن لا يعود، فتأب بنية خالصة: قُبِلَتْ توبته مرة أخرى، وهكذا. وليس المراد منه أن يكون عازماً على العود عند كل توبة، فإن التوبة لا تتم إلا بالإقلاع وعزم عدم العود. فلو تكرّر منه مثل ذلك، وفي كل مرة يعزم أن لا يعود، فإنه تقبل توبته وإن صدر منه الذنب مائة مرة أو ألف مرة. والمذكور في الحديث على هذا التفسير قاعدة عامة تُطْرَد في كل مذنوب وتائب.

الثاني: أن المراد منه الاستغفار فقط والاستغفار أعم من التوبة، فلا يشترط فيه الإقلاع ولا العزم على العود، وإنما هو طلب المغفرة. وفي مثله روي عن الربيع بن خيثم أنه قال: «لا تقل: (استغفر الله وأتوب إليه) فيكون ذنباً وكذباً إن لم تفعل، بل قل: اللهم اغفر لي وتب علي» ذكره النووي في كتاب الأذكار (ص: ٥١٩)، وقال: هذا حسن.

فإن حُمل الحديث على الاستغفار فقط، دون التوبة بجميع شروطها، فالحديث غير جاز على قاعدة عامة، وإنما هو على سبيل حكاية حال لا عموم لها، فإن من استغفر الله تعالى بهذا المعنى، ولم يقلع عن المعصية، أو لم يعزم على تركه فيما يستقبل فإنه لا يُضمن له بالمغفرة، إلا أن يعامله الله تعالى بنطق ورحمة في جزئية خاصة ويستثنيه عن الأصل العام.

والظاهر في حديث الباب أن التفسير الأول هو الصحيح، لأنه قد ورد ذم من يستغفر مصراً على ذنبه. وقد أخرج ابن أبي الدنيا من حديث ابن عباس مرفوعاً: «الثائب من الذنب كمن لا

قَالَ عَبْدُ الْأَعْلَى: لَا أَدْرِي أَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ: «اعْمَلْ مَا شِئْتَ».

قَالَ أَبُو أَحْمَدَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَنْجُوْبَةِ الْقُرَشِيُّ الْقُسَيْرِيُّ. حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَّادٍ التَّرْسِيُّ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ.

٦٩٢٠ - (٣٠) حَدَّثَنِي عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ. حَدَّثَنِي أَبُو الْوَلِيدِ. حَدَّثَنَا هَمَّامٌ. حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ. قَالَ: كَانَ بِالْمَدِينَةِ قَاصٌّ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي عَمْرَةَ. قَالَ: فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنْ عَبْدًا أَذْنَبَ ذَنْبًا، بِمَغْنَى حَدِيثِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، وَذَكَرَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، أَذْنَبَ ذَنْبًا، وَفِي الثَّالِثَةِ: قَدْ عَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ».

٦٩٢١ - (٣١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى. حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ

ذَنْبٍ لَهُ، وَالْمُسْتَغْفِرُ مِنَ الذَّنْبِ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَيْهِ كَالْمُسْتَهِزِءِ بِرَبِّهِ ذَكَرَهُ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (١٣: ٤٧١) وَقَالَ: «وَالرَّاجِعُ أَنْ قَوْلُهُ (وَالْمُسْتَغْفِرُ) إِلَى آخِرِهِ مَوْقُوفٌ» وَرَوَى عَنْ الْفَضِيلِ بْنِ عِيَّاضٍ قَالَ: «اسْتَغْفَارَ بِلَا إِفْلَاحٍ تَوْبَةُ الْكَذَّابِينَ» وَعَنْ رَابِعَةِ الْعَدَوِيَّةِ قَالَتْ: «اسْتَغْفَارُنَا يَحْتَاجُ إِلَى اسْتَغْفَارٍ كَثِيرٍ» ذَكَرَهُ النَّوَوِيُّ فِي الْأَذْكَارِ (ص: ٥١٩).

وحديث الباب، وإن وقع فيه لفظ الاستغفار دون التوبة، ولكن هذا اللفظ قد غلب استعماله في معنى التوبة وإن كان موضوعاً في أصل اللغة لطلب المغفرة فقط، نية عليه السبكي الكبير، كما نقل عنه الحافظ في الفتح.

نعم، ذهب بعض العلماء، كالإمام الغزالي رحمه الله في الإحياء، إلى أن من يجد نفسه عاجزاً عن ترك ذنب من الذنوب والإقلاع عنه بالكيالة بسبب من الأسباب فلأن يرجع إلى الله تعالى بالندم والاستغفار أولى من أن يترك الاستغفار رأساً، وإن مثل هذا الاستغفار، وإن كان لا يضمن له بالمغفرة، ولكنه لا يخلو من فائدة إن شاء الله تعالى، وربما يؤديه إلى الإقلاع عن الذنب في المستقبل، فلا ينبغي لمثل هذا الرجل أن يتركه.

ثم هناك نكتة أخرى سمعتها عن بعض مشايخي، وهي أن المشروط لقبول التوبة هو العزم على ترك الذنب في المستقبل، ومعناه عقد القلب على أن لا يذنب باختياره، وهذا القدر كاف لصحة التوبة. أما إذا قارنه الخوف من نفسه أنه لا يأمن من وقوعه فريسته مرة أخرى، فإن هذه الخشية المحضة لا تنافي صحة التوبة إن كان عزمه عند التوبة صادقاً، ويسأل الله تعالى أن يرزقه الاستقامة عليها، والله سبحانه وتعالى أعلم.

٣٠ - (٥٠٠) - قوله: (كان بالمدينة قاصٌّ) أي: واعظ، وإنما يقال له (قاصٌّ) لأنه يستشهد

بالقصص في أكثر الأحوال.

عُمَرُ بْنُ مُرَّةٍ. قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عُبَيْدَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ، لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ. وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ، لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ. حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

٦٩٢٢ - (١٠٠) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ. حَدَّثَنَا أَبُو ذَاوُدَ. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، نَحْوَهُ.

(٦) - باب: غيرة الله تعالى، وتحريم الفواحش

٦٩٢٣ - (٣٢) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ. (قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا. وَقَالَ عُثْمَانُ: حَدَّثَنَا) جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الْمَذْحِ مِنَ اللَّهِ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ».

٣١ - (٢٧٥٩) - قوله: (عن أبي موسى) وحديثه هذا مما تفرد بإخراجه المصنف من بين الأئمة الستة.

قوله: (يبسط يده) قال النووي: «ولا يختص قبولها بوقت... فبط اليد استعارة في قبول التوبة، قال المأزري: المراد به قبول التوبة، وإنما ورد لفظ (بسط اليد) لأن العرب إذا رضي أحدهم بشيء بسط يده لقبوله، وإذا كرهه قبضها عنه».

قوله: (حتى تطلع الشمس من مغربها) أي: حتى يأتي يوم القيامة، وحينئذ ينسد باب التوبة، والعباد بالله.

(٦) - باب: غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش

٣٢ - (٢٧٦٠) - قوله: (عن عبد الله) يعني ابن مسعود رضي الله عنه وحديثه هذا أخرجه البخاري في النكاح، باب الغيرة (٥٢٢٠)، وفي تفسير سورة الأنعام، باب قول الله تعالى: «وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ» (٤٦٣٤)، وفي تفسير سورة الأعراف، باب قوله تعالى: «إِنَّمَا حَرَّمَ ذِي الْفَوَاحِشِ» (٤٦٣٧)، وفي التوحيد، باب قول الله تعالى: «وَيَعِزُّكُمْ اللَّهُ تَعَالَى» (٧٤٠٣) وأخرجه الترمذي في الدعوات، (باب ٩٧، حديث: ٣٥٢٠).

قوله: (ليس أحد أحب إليه المدح من الله) قال النووي: «حقيقة هذا مصلحة للعباد، لأنهم يشنون عليه سبحانه وتعالى فيشبههم فينتفعون، وهو سبحانه غني عن العالمين، لا يضره مدحهم ولا يضره تركهم ذلك. وفيه تنبيه على فضل الثناء عليه سبحانه وتعالى وتسييحه وتهليله وتحميدته وتكبيره وسائر الأذكار».

ولا شك أن الله سبحانه وتعالى بريء من جميع أنواع الانفعالات، فكل ما نسب إليه

وَلَيْسَ أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ.

٦٩٢٤ - (٣٣) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ وَأَبُو كُرَيْبٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، ح وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، (وَأَنْتَلَفُ لَهُ)، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ وَأَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ، وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ. وَلَا أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَذْحُ مِنَ اللَّهِ».

٦٩٢٥ - (٣٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْأُمَيْيِّ وَأَبْنُ بَشَّارٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ غَمْرٍو بْنِ مُرَّةٍ. قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: (قُلْتُ لَهُ: أَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ؟) قَالَ: نَعَمْ. وَرَفَعَهُ؛ أَنَّهُ قَالَ: «لَا أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ. وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ. وَلَا أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَذْحُ مِنَ اللَّهِ، وَلِذَلِكَ مَذَحَ نَفْسَهُ».

٦٩٢٦ - (٣٥) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ. (قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا. وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا) جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ مَالِكِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَذْحُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَذَحَ نَفْسَهُ. وَلَيْسَ أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ. وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ».

تعالى شيء مما يدل على الانفعال ظاهراً، فإن المراد منه نتائجته وتوابعه. فحبت الله تعالى لمذحه، ليس كما يحب الإنسان مذحه، وإنما المقصود منه أنه يجوز الثواب على المذح، لأن مذحه تعالى يبعث في الإنسان حالة الرجوع إلى الله تعالى والشكر له والإنابة إليه، وكل ذلك يعينه في الاجتناب عن المعاصي وبعثه على أداء الحقوق.

قوله: (ليس أحد أغير من الله) الغيرة المعروفة في الإنسان: الحمية والأنفة، وهيجان الغضب. والتغير محال على الله تعالى بالدلالة القطعية، فالمراد من غيرة الله لازمها، كالوعيد وإيقاع العقوبة بالفاعل.

٣٥ - (٠٠٠) - قوله: (وليس أحد أحب إليه العذر من الله) فستره بعض العلماء بقبول التوبة، وهو من قوله: (عذره) إذا قبل عذره. وفسره آخرون بمعنى الإعذار، وهو إتمام الحجّة، وقد يأتي العذر بمعنى الإعذار، كما في قوله تعالى: ﴿عُذْرًا أَوْ دُونُهَا﴾ (المرسلات: آية: ٦) وبه فسر عياض كما في شرح الأبي. وإن تفسيره بالإعذار في حديث الباب هو المرجح عندي. فإنه أوفق بقوله فيما بعد: (من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل).

٦٩٢٧ - (٣٦) حَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ. حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَلِيَّةَ، عَنْ حَجَّاجِ بْنِ أَبِي عُثْمَانَ. قَالَ: قَالَ يَحْيَى: وَحَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ. وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ. وَغِيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنَ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ».

2762 - قَالَ يَحْيَى: وَحَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ، أَنَّ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ حَدَّثَهُ، أَنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ حَدَّثَتْهُ، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

٦٩٢٨ - (١٠٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى. حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ. حَدَّثَنَا أَبَانُ بْنُ يَزِيدَ وَخَرَّبُ بْنُ شَدَّادٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. بِمِثْلِ رِوَايَةِ حَجَّاجٍ. حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ خَاصَّةٌ. وَلَمْ يَذْكُرْ حَدِيثَ أَسْمَاءَ.

٦٩٢٩ - (٣٧) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدَّمِيُّ. حَدَّثَنَا يَسْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ أَسْمَاءَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ اللَّهَ لَا شَيْءَ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

٦٩٣٠ - (٣٨) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ. حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، (يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ)، عَنْ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ يَغَارُ. وَاللَّهُ أَشَدُّ غِيْرًا».

٦٩٣١ - (١٠٠) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى. حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: سَمِعْتُ الْعَلَاءَ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ.

٣٦ - (٢٧٦١) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في النكاح، باب الغيرة (٥٢٢٣)، والترمذي في الرضاع، باب ما جاء في الغيرة (١١٦٨).

قوله: (وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم عليه) أي: غيرة الله تعالى منع المؤمن من الحرام، أو سبب غيرة الله تعالى، وهي العذاب، أن يرتكب المؤمن حراماً.

(٢٧٦٢) - قوله: (أن أسماء بنت أبي بكر حدثته) هذا الحديث أخرجه البخاري في النكاح، باب الغيرة (٥٢٢٢).

٣٨ - (٢٧٦١) - قوله: (والله أشد غيْراً) بفتح الغين وسكون الياء منصوب بالأنف، وهي لغة في الغيرة.

(٧) - باب: قوله تعالى: إن الحسنات يذهبن السيئات

٦٩٣٢ - (٣٩) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَبُو كَامِلٍ، فَضِيلُ بْنُ حُسَيْنٍ الْجَحْدَرِيُّ، بِلَاهُمَا عَنْ يَزِيدَ بْنِ زُرَيْعٍ، (وَاللَّفْظُ لِأَبِي كَامِلٍ)، حَدَّثَنَا يَزِيدُ، حَدَّثَنَا التَّيْمِيُّ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنْ امْرَأَةٍ قُبْلَةً. فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ. قَالَ: فَتَرَكْتُ: ﴿وَأَتِمَّ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِذْ أَلَسْتُ بِدُحْنٍ﴾

(٧) - باب: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾

٣٩ - (٢٧٦٣) - قوله: (عن عبد الله بن مسعود) هذا الحديث أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفارة (٥٢٦)، وفي تفسير سورة هود، باب ﴿وَأَتِمَّ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ﴾ (٤٦٨٧)، وأبو داود في الحدود، باب في الرجل يصيب من المرأة ما دون الجماع (٤٤٦٨)، وأخرجه الترمذي في تفسير سورة هود (٣١١١)، وابن ماجه في الزهد، باب ذكر التوبة (٤٣٠٨).

قوله: (أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة) قد ذكر العيني رحمه الله في عمدة القاري (٢): (٥١٥) ستة أقوال في تعيين هذا الرجل ورجح أنه أبو اليسر (بفتح الياء والسين) الأنصاري ﷺ، كما وقع التصريح بذلك في رواية الترمذي، ونفطها: «عن أبي اليسر قال: أتتني امرأة تبتاع تمرًا، فقلت: إن في البيت تمرًا أطيب منه، فدخلت معي في البيت فأهويت إليها فقبلتها، فأتيت أبا بكر ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: استر على نفسك وتب. فأتيت عمر ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: استر على نفسك وتب ولا تخبر أحداً. فلم أصبر فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: أخلفت غازياً في سبيل الله في أهله بمثل هذا؟ حتى تمنى أنه لم يكن أسلم إلى تلك الساعة، حتى ظن أنه من أهل النار قال: فأطرق رسول الله ﷺ طويلاً حتى أوحى الله تعالى إليه: ﴿وَأَتِمَّ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِذْ أَلَسْتُ بِدُحْنٍ﴾ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلذَّكْرِينَ ﷺ. قال أبو اليسر: فأتيته، فقرأها علي رسول الله ﷺ. فقال أصحابه: يا رسول الله! ألهذا خاصة أم للناس عامة؟ قال: بل للناس عامة قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وأبو اليسر، هو بفتح الياء والسين واسمه كعب بن عمرو السلمي، وهو من البدرين.

قوله: ﴿وَأَتِمَّ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ﴾ (هود، آية: ١١٤) وهما: الغداة والعشي كما فسر به الثعلبي، وروي عن ابن عباس أنه فسرهما بصلاة الفجر وصلاة المغرب، وفسره الضحاك بالفجر والعصر، ومقاتل بالفجر والظهر، كما في عمدة القاري.

قوله: (وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ) الزُّلْفُ، جمع زُلْفَةٍ: وهي ساعة من أول الليل المتصل بالنهار، أو من آخر الليل المتصل بالنهار.

قوله: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (هود، آية: ١١٤) يعني: أن الحسنات تكون كفارة

أَلَسِّنَاتٌ ذَلِكَ وَكَرَى لِلذَّكْرِ ﴿١١٤﴾ [مورد: ١١٤]. قَالَ: فَقَالَ الرَّجُلُ: أَلَيْ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟
قَالَ: «لِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي».

٦٩٣٣ - (٤٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى. حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ، عَنْ أَبِيهِ. حَدَّثَنَا أَبُو عَثْمَانَ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ. فَذَكَرَ أَنَّهُ أَصَابَ مِنْ أَمْرَأَةٍ، إِمَّا قُبْلَةً، أَوْ مَسًّا بِبَيْدٍ، أَوْ شَيْئًا. كَأَنَّهُ يَسْأَلُ عَنْ كَفَّارَتِهَا. قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. ثُمَّ ذَكَرَ بِمَثَلٍ حَدِيثٍ يَزِيدُ.

٦٩٣٤ - (٤١) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ. قَالَ: أَصَابَ رَجُلٌ مِنْ أَمْرَأَةٍ شَيْئًا دُونَ الْقَاجَشَةِ. فَأَتَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَعَظَّمَ عَلَيْهِ. ثُمَّ أَتَى أَبَا بَكْرٍ فَعَظَّمَ عَلَيْهِ. ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَذَكَرَ بِمَثَلٍ حَدِيثٍ يَزِيدُ وَالْمُعْتَمِرُ.

٦٩٣٥ - (٤٢) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَفُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ - وَاللَّفْظُ لِيَحْيَى - (قَالَ يَحْيَى: أَخْبَرَنَا. وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا) أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنْ سِمَاكِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ وَالْأَسْوَدِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي عَالَجْتُ أَمْرَأَةً فِي أَفْصَى الْمَدِينَةِ. وَإِنِّي أَصَبْتُ مِنْهَا مَا دُونَ أَنْ أَمْسَهَا، فَأَنَا هَذَا. فَأَقْضِ فِيَّ مَا شِئْتَ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لَقَدْ سَتَرَكَ اللَّهُ، لَوْ سَتَرْتَ نَفْسَكَ. قَالَ: فَلَمْ يَرُدِّ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا. فَقَامَ الرَّجُلُ فَاَنْطَلَقَ. فَاتَّبَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا دَعَا، وَتَلَا عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَوَلَقَا مِنْ أَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ

لِلصَّغَائِرِ، فَإِنْ ارْتَكَبَ الْإِنْسَانُ صَغِيرَةً فَإِنَّ الْحَسَنَاتِ الَّتِي يَأْتِي بِهَا تَكْفُرُ هَذِهِ الصَّغِيرَةَ، وَلَا يَتَعَدَّى هَذَا الْحُكْمُ إِلَى الْكِبَائِرِ لِمَا تَقَرَّرَ فِي مَوْضِعِهِ أَنَّ الْحَسَنَاتِ إِنَّمَا تَكْفُرُ الصَّغَائِرَ دُونَ الْكِبَائِرِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَحْسَبُوا صُحُفَكُمْ مَا تُهَوِّنُ عَنْهُ تُكْفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١].

قوله: (لمن عمل بها من أمتي) وفي رواية للبخاري في المواقيت: «الجميع أمتي كلهم» والمراد أن كون الحسنات مكفرة للصغائر يعم جميع المسلمين، فإن الله تعالى يغفر لهم سيئاتهم بما فعلوه من الحسنات.

٤٢ - (٥٠٠) - قوله: (عَالَجْتُ أَمْرَأَةً) أي اسْتَمْتَعْتُ بِهَا بِالْمَعَانِقَةِ وَالتَّقْيِيلِ وَغَيْرِهِ، وَقَوْلُهُ (مَا دُونَ أَنْ أَمْسَهَا) أَرَادَ بِهِ الْجَمَاعَ، فَإِنَّ الْمَسَّ رُبَّمَا يَسْتَعَارُ لِمَعْنَى الْجَمَاعِ. وَمُرَادُهُ أَنَّهُ اسْتَمْتَعَ بِهَا دُونَ أَنْ يَجَامِعَهَا.

قوله: (لو سترت نفسك) فيه دليل على أن من صدر منه مثل ذلك، لا يجب عليه أن يخبر به الحاكم أو أحداً غيره، بل يتوب إلى الله سبحانه وتعالى، ويستر على نفسه.

أَلَسَيِّئَاتُ ذَلِكَ ذِكْرُ لِلذَّكْرَيْنِ ﴿١١٤﴾ (معد: ١١٤). فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هَذَا نَبِيُّ غَاثَةٍ؟ قَالَ: «بَلَى لِلنَّاسِ كَافَّةً».

٦٩٣٦ - (٤٣) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى. حَدَّثَنَا أَبُو التَّعَمَّانِ، الْحَكَمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعِجْلِيُّ. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ. قَالَ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ يَحْدُثُ، عَنْ خَالِهِ الْأَسْوَدِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، بِمَعْنَى حَدِيثِ أَبِي الْأَخْوَصِ، وَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: فَقَالَ مُعَاذُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا لِهَذَا غَاثَةٌ، أَوْ لَنَا غَاثَةٌ؟ قَالَ: «بَلَى لَكُمْ غَاثَةٌ».

٦٩٣٧ - (٤٤) حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَلَوَائِيُّ. حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ. حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمُّهُ عَلَيَّ. قَالَ: وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمُّ فِيَّ كِتَابَ اللَّهِ. قَالَ: «هَلْ حَضَرْتَ الصَّلَاةَ مَعَنَا؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «قَدْ غُفِرَ لَكَ».

٤٤ - (٢٧٦٤) - قوله: (عن أنس) هذا الحديث أخرجه البخاري في الحدود، باب إذا أقر بالحد ولم يبين: هل للإمام أن يستر عليه (٦٨٢٣).

قوله: (أصبت حدًّا) يحتمل أن يكون هذا الرجل هو الذي سبق قصته في حديث ابن مسعود ﷺ، وكان قد زعم أن ما فعله بالمرأة موجب للحد، وبما أنه لم يكن موجباً للحد في نفس الأمر، لم يقم عليه رسول الله ﷺ، بل بشره بالمغفرة بالصلاة. ويحتمل أن تكون هذه قصة أخرى. وقد ذكر الحافظ في الفتح (١٢: ١٣٤) عن أبي بكر البرزنجي أنه رواه بلفظ: «أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إنى زنيت فأقم علي الحد ولو صخ فإنها قصة غير قصة أبي اليسر قطعاً، فإنه صرح بأنه لم يجامع المرأة. لكن يشكل عليه مغفرة الزنا بالصلاة، فإن الزنا كبيرة، وإنها لا تكفرها الحسنات، ويحتمل أنه زعم ما ليس زناً زناً، ويحتمل أن يكون الراوي عبر بالزنا من قوله (أصبت حدًّا) فرواه بالمعنى الذي ظنه، والأصل ما في الصحيح، فهو الذي اتفق عليه الحفاظ، ويحتمل أيضاً أن يكون ذلك خصوصية لذلك الرجل.

واستدل البخاري بهذا الحديث على أن من جاء إلى الحاكم معترفاً بأنه أصاب حدًّا، ولم يفسر السبب الموجب للحد، فإنه لا يقيم عليه الحد، ولا يكلفه أن يفسر المجهول. وهذا استدلال جيد. ولو ثبت رواية البرزنجي التي صرح فيها الرجل بالزنا، فهي دليل لمذهب الحنفية ومن وافقهم بأن من اعترف بالزنا مرة واحدة لا يقام عليه الحد إلا إذا تكرّر الاعتراف منه أربع مرات. وأمّا إخباره ﷺ بمغفرته، فلأن صنيعه دلّ دلالة واضحة على أنه قد تاب من هذه الكبيرة، فغفرت كبيرته بالتوبة، وصغائرته بالصلاة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

٦٩٣٨ - (٤٥) حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْظِيُّ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، (وَاللَّفْظُ لِزُهَيْرٍ)، قَالَا: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ. حَدَّثَنَا عِكْرَمَةُ بْنُ عَمَارٍ. حَدَّثَنَا شَدَّادُ. حَدَّثَنَا أَبُو أُمَامَةَ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، وَنَحْنُ قُعُودٌ مَعَهُ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا. فَأَقِمْهُ عَلَيَّ. فَسَكَتَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. ثُمَّ أَعَادَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا. فَأَقِمْهُ عَلَيَّ. فَسَكَتَ عَنْهُ. وَأُقِمَتِ الصَّلَاةُ. فَلَمَّا انْصَرَفَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ قَالَ أَبُو أُمَامَةَ: فَاتَّبَعَ الرَّجُلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ انْصَرَفَ. وَاتَّبَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْظُرُ مَا يَرُدُّ عَلَى الرَّجُلِ. فَلَحِقَ الرَّجُلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا، فَأَقِمْهُ عَلَيَّ. قَالَ أَبُو أُمَامَةَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرَأَيْتَ حِينَ خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ، أَلَيْسَ قَدْ تَوَضَّأْتَ فَأَخْسَنْتَ الْوُضُوءَ؟» قَالَ: بَلَى. يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «ثُمَّ شَهِدْتَ الصَّلَاةَ مَعَنَا؟» فَقَالَ: نَعَمْ. يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ حَدَّكَ - أَوْ قَالَ: - قَتْلَكَ».

(٨) - باب: قبول توبة القاتل، وإن كثر قتله

٦٩٣٩ - (٤٦) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، (وَاللَّفْظُ لَابْنِ الْمُثَنَّى)، قَالَا: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ. حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الصَّدِيقِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا. فَنَسَأَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ قَدْلًا عَلَى رَاهِبٍ. فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا. فَهَلْ

٤٥ - (٢٧٦٥) - قوله: (حدثنا أبو أمامة) هذا الحديث أخرجه أبو داود في الحدود، باب في الرجل يعترف بحد ولا يسميه (٤٣٨١).

قوله: (إني أصبت حدًا) الكلام في هذا الحديث مثل ما تقدم في حديث أنس، ويحتمل أن تكون قصته عين القصة المذكورة في حديث أنس، ويحتمل أن تكون غيرها، والله سبحانه أعلم.

(٨) - باب: قبول توبة القاتل، وإن كثر قتله

٤٦ - (٢٧٦٦) - قوله: (عن أبي سعيد الخدري) هذا الحديث أخرجه البخاري في الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٣٤٧٠)، وابن ماجه في الديات، باب هل لقاتل مؤمن توبة؟ (٢٦٥١).

قوله: (كان فيمن كان قبلكم) وفي رواية شعبة عند البخاري: «كان في بني إسرائيل رجل».

قوله: (قدل على راهب) بضم الدال على البناء للمجهول، يعني: أن الناس دلوه على

لَهُ مِنْ تُوبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا. فَقَتَلَهُ. فَكَمَّلَ بِهِ بَائَةً. ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فُذِّلَ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ. فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ بَائَةً نَفْسٍ. فَهَلْ لَهُ مِنْ تُوبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التُّوبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا. فَإِنْ بِهَا أَنْاسٌ يَخْبُدُونَ اللَّهَ فَأَخْبِدِ اللَّهَ مَعَهُمْ. وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضٌ سَوْءٌ.

راهب. واستنبط الحافظ في الفتح (٦: ٥١٧) من لفظ الراهب أن ذلك كان بعد رفع عيسى عليه السلام، لأن الرهبانية إنما ابتدئها أتباعه كما نص عليه القرآن.

قوله: (قال: لا) ذهب بعض العلماء إلى أن هذا الراهب لم يكن عالماً، وإنما أفتى بغير علم، وردّ عليهم الأبيّ لاحتمال أن يكون هناك خلاف في شريعتهم كما هو عندنا، فأفناه الراهب بقول من يقول: لا توبة للقاتل. وعلى كلّ، فإنّ جواب الراهب كان خلاف المصلحة، لأنه وإن كانت المسألة مجتهداً فيها، فلم يكن له أن يقض بغير صحة توبته، ويوفعه في البأس بعد ما ظهر ندمه على فعله.

قوله: (انطلق إلى أرض كذا وكذا) قال القاضي عياض: «فيه الحضي على مفارقة الأرض التي اقترف فيها الذنب والإخوان الذين ساعدوه عليه مبالغ في التوبة، واستبدال ذلك بصحة أهل الخير والصالح» ووقع في المعجم الكبير للطبراني أن اسم تلك القرية (نصرة) والقرية التي أذنب فيها اسمها (كفرة). ذكره الحافظ.

قوله: (ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء) فيه استحباب مفارقة التائب الأرض التي تكثر فيها الدواعي للذنوب، وأن ينتمس بصحة أهل الخير والصالح فإنها أكبر عون له في إصلاح نفسه وتركبة خلقه وسلوكه. وكان جواب هذا العالم موافقاً لما عليه جمهور الأمة من أن القاتل تصح توبته إن تاب. وقد دل عليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مآخَرٌ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ كُذَّابٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَلْجِئُهُ اللَّهُ إِلَىٰ عُذْرٍ رَجِيمًا ۚ﴾ (٦٨-٧١) فإنه قول الله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ﴾ (٦٧) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٦٨﴾ [الفرقان، الآيات: ٦٨-٧١] فإنه قول الله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ استثناء من جميع ما سبق، ومن جعلته قتل النفس. وكذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء، آية: ١١٦] وسيأتي تمام الكلام على المسألة في كتاب التفسير إن شاء الله.

وقد يشكل على توبة القاتل أنه قد ارتكب ذنباً يتعلق بحقوق العباد، فكيف يُغفر له بدون أن يغفر عنه صاحب الحق، وهو مقتول لا يمكن إرضاءه؟ وأجاب عنه الحافظ في الفتح والعيني في العمدة (٧: ٤٦٩) بأن الله تعالى إذا قبل توبة القاتل تكفل برضا خصمه.

وبه استدلل شيخ مشايخنا الإمام أشرف علي التهانوي رحمه الله تعالى على أن حقوق العباد

فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَنَاةَ الْمَوْتِ. فَاخْتَصَصَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ. فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ ثَابِتًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ. وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ خَيْرًا قَطُّ. فَأَنَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ. فَعَمَلُوا بَيْنَهُمْ. فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ. فَوَلَّى أَيْتَهُمَا كَانَ أَذْنَى، فَهُوَ لَهُ. فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَذْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ. فَقَبِضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ.

قَالَ قَتَادَةُ: فَقَالَ الْحَسَنُ: ذَكَرَ لَنَا أَنَّهُ لَمَّا أَنَاةَ الْمَوْتِ نَأَى بِصُدْرِهِ.

وإن كان الأصل فيها أنها لا تغفر إلا يعفو صاحب الحق، ولكن إذا تعذر للتائب الصادق الرجوع إليه بعد بذل كل ما في وسعه، فإنه يرجى قبول توبته وأن الله تعالى يُرضي خصمه. أما إذا كان في وسعه أن يتدارك حق خصمه أو يطلب منه العفو، فلا توبة إلا به.

قوله: (حتى إذا نصف الطريق) هو بتخفيف الصاد، وينصب الطريق على كونه مفعولاً، يعنى: إذا بلغ نصف الطريق.

قوله: (جاء ثابِتًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ) قال القاضي عياض رحمه الله: «علموا ذلك بإطلاع الله تعالى إياهم على ما في قلبه من ذلك، ولو اطلع عليه ملائكة العذاب لم تنازع، ولكن إنما شهدت بما علمت من ظاهر أمره بأنه لم يفعل خيراً قط. وملائكة الرحمة أثبتت وملائكة العذاب نفت، ومن أثبت أولى ممن نفى، ولكن لما تنازع الصنفان خرجا عن الشهادة إلى الدعاوي، فبعث الله ملكاً في صورة رجل أخفاه عن الملائكة ليفصل بين الصنفين.

قوله: (قيسوا ما بين الأرضين) الظاهر أن كون التائب أقرب إلى أرض هجرته ليس شرطاً لقبول توبته، فمن تاب من ذنوبه توبة نصوحاً، وقد فعل كل ما في وسعه لتدارك الحقوق الواجبة عليه، قبلت توبته بمجرد فعله ذلك، فكيف علق الحكمُ أمره على كونه أقرب إلى أرض الهجرة؟ ولم أجد في كلام شراح الصحيحين جواباً عن هذا السؤال. ويمكن الجواب عنه بأن الذي يشترط لقبول التوبة هو أن يكون صادقاً في توبته وأن يبذل كل ما في وسعه لتدارك الحقوق وإصلاح نفسه، وكان ذلك أمراً مخفياً على ملائكة العذاب، فاستدل الحكم بكونه أقرب إلى أرض الإصلاح على أنه كان صادقاً في توبته وأنه قد أدى واجبه في إصلاح حاله، حيث سافر إلى أرض الإصلاح حتى قرب منها، وأقام بذلك حجة على ملائكة العذاب الذين لم يطلعوا على صدق توبته، فأمل، والله سبحانه أعلم.

قوله: (نأى بصدره) أي: نهض بصدره ليقترب إلى أرض الإصلاح بقدر الإمكان، وفيه أن المرء يجب عليه أن يفعل كل ما في وسعه لإصلاح الحال، وإن كان الظاهر أن ذلك الفعل لا يكفي لحصول المقصود، فإنه حينما يفعل ما في قدرته، يتدارك الله سبحانه ما فات منه لعدم قدرته.

٦٩٤٠ - (٤٧) حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ؛ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا الصَّدِيقِ الشَّاجِي، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَجَعَلَ يَسْأَلُ: هَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَأَتَى زَاهِبًا فَسَأَلَهُ فَقَالَ: لَيْسَتْ لَكَ تَوْبَةٌ. فَقَتَلَ الزَّاهِبَ. ثُمَّ جَعَلَ يَسْأَلُ. ثُمَّ خَرَجَ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَى قَرْيَةٍ فِيهَا قَوْمٌ صَالِحُونَ. فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ أَذْرَكَهُ الْمَوْتُ. فَأَتَى بِصَدْرِهِ. ثُمَّ مَاتَ. فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ. فَكَانَ إِلَى الْقَرْيَةِ الصَّالِحَةِ أَقْرَبَ مِنْهَا بِشِيرٍ. فَجَعَلَ مِنْ أَهْلِهَا».

٦٩٤١ - (٤٨) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، نَحْوَ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ مُعَاذٍ، وَزَادَ فِيهِ: «فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْ هَذِهِ: أَنْ تَبَاعِدِي. وَإِلَى هَذِهِ: أَنْ تَقْرَبِي».

٦٩٤٢ - (٤٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، دَفَعَ اللَّهُ عَرْ وَجَلَ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا. فَيَقُولُ: هَذَا فَكَأَنَّكَ مِنَ النَّارِ».

٦٩٤٣ - (٥٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ؛ أَنَّ عَوْنًا وَسَعِيدَ بْنَ أَبِي بُرْدَةَ حَدَّثَاهُ؛ أَنَّهُمَا شَهِدَا أَبَا بُرْدَةَ يُحَدِّثُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا أَدْخَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ، النَّارَ، يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا». قَالَ: فَاسْتَخْلَفَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ،

٤٩ - (٢٧٦٧) - قوله: (عن أبي موسى) هذا الحديث مما تفرد بإخراجه المصنف من بين الأئمة الستة.

قوله: (هذا فكأَنَّكَ مِنَ النَّارِ) الفكَاك، بفتح الفاء وكسر هاء، والفتح أشهر؛ انقضاء. وظاهر هذا اللفظ أن الكافر يكون فدية للمسلم، وهذا ظاهر غير مراد، لما تقرر في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾. وتفسيره الصحيح ما ذكره النووي رحمه الله، قال: «ومعنى هذا الحديث ما جاء في حديث أبي هريرة: نكل أحد منزل في الجنة ومنزل في النار، فائمن من إذا دخل الجنة خلفه الكافر في النار لاستحقاقه ذلك بكفره. ومعنى (فكأَنَّكَ مِنَ النَّارِ) أنك كنت معرضاً لدخول النار، وهذا فكأَنَّكَ، لأن الله تعالى قدر لها عدداً يحملوها فإذا دخلها الكفار بكفرهم وذنوبهم صاروا في معنى الفكَاك للمسلمين».

٥٠ - (٥٠٠) - قوله: (عن أبيه) يعني عن والد أبي بردة، وهو أبو موسى عليه السلام.

قوله: (فاستخلفه عمر بن عبد العزيز) وإنما استخلفه لزيادة الاستيثاق والطمأنينة. ولما حصل له من السرور بهذه البشارة العظيمة للمسلمين أجمعين، ولأنه إن كان عنده فيه شك

ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَحَلَفَ لَهُ. قَالَ: فَلَمْ يُحَدِّثْنِي سَعِيدٌ أَنَّهُ اسْتَحْلَفَهُ. وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَى عَوْنِ قَوْلِهِ.

٦٩٤٤ - (١٠٠) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، جَمِيعًا عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَبْدِ الْوَارِثِ، أَخْبَرَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، نَحْوَ حَدِيثِ عَفَّانَ، وَقَالَ: عَوْنُ بْنُ عُثْبَةَ.

٦٩٤٥ - (٥١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَبْدِ بْنِ جَبَلَةَ بْنِ أَبِي رَوَّادٍ، حَدَّثَنَا حَرَمِيُّ بْنُ عُمَارَةَ، حَدَّثَنَا شَدَّادُ، أَبُو طَلْحَةَ الرَّاسِبِيُّ، عَنْ غِيلَانَ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَجِيءُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، بِذُنُوبٍ أَشْبَاهِ الْجَبَالِ، فَيُغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ. وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَيَمَّا أَخْبَبَ أَنَا. قَالَ أَبُو رَوْحٍ: لَا أَذْرِي مِمَّنِ الشُّكُّ.

وخوف غلط أو نسيان أو اشتباه نحو ذلك أمسك عن اليمين، فإذا حلف تحقق انتفاء هذه الأمور. وقد جاء عن عمر بن عبد العزيز وعن الشافعي رحمه الله أن هذا الحديث أرجى حديث للمسلمين.

قوله: (ولم ينكر على عون قوله) يعني: أن سعيد بن أبي بردة، وإن لم يذكر قصة الاستحلاف التي ذكرها عون، ولكنه لم ينكر على عون في ذكره للاستحلاف، فكانه سكت عن إثباته أو نفيه. وإنما نبه الراوي على ذلك للإشعار بأن سكوت سعيد عن قصة الاستحلاف لا يدل على أنها لم تقع، لأن المثبت مقدم على النافي، فعلى الساكت أولى.

٥١ - (٠٠٠) - قوله: (فيغفرها الله لهم) إما لتوبتهم في أوانها، أو لرحمته الخاصة التي لا تتقيد بالقواعد، وعلى الصورة الثانية لا يسع للمؤمن أن يجترأ على الذنوب والمعاصي رجاء رحمة الله تعالى، لأن مثل هذه الرحمة مستثناة من القواعد العامة، فلا سبيل إلى الجزم بأنه سوف ينالها، والأصل الذي نطق به نصوص الكتاب والسنة أن الذنوب تستحق العقاب إلا إذا تداركها المؤمن بالتوبة في أوانها. وبهذا صرح النبي ﷺ في حديثه المعروف: «الْكَيْسُ مِنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ. وَالْعَاجِزُ مِنْ أَتَبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَنَمَى عَلَى اللَّهِ».

قوله: (ويضعها على اليهود والنصارى) ليس معناه أن اليهود والنصارى يُحْمَلُونَ مِنَ الذَّنُوبِ مَا ارْتَكَبَهَا الْمُسْلِمُونَ، لأن ذلك مخالف نصريح قوله تعالى: ﴿وَلَا تُزِدْهُ وَزْدًا وَّتَدَّ أُخْرَى﴾ (الأنعام، آية: ٢١٦٤). بل المراد أن اليهود والنصارى يوضع عليهم ذنوبهم، في حين المسلمين المذكورين لا يوضع عليهم ذنوبهم، بل يُغْفَرُ لَهُمْ. فضمير المؤنث في (يضعها) راجع إلى جنس الذنوب، لا إلى آحادها التي ارتكبتها المسلمون.

قَالَ أَبُو بُرْزَةَ: فَحَدَّثْتُ بِهِ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ: أَبُوكَ حَدَّثَكَ هَذَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ؟ قُلْتُ: نَعَمْ.

٦٩٤٦ - (٥٢) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ. حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ هِشَامِ الدَّسْتَوَائِيِّ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُخَرِّزٍ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لَابْنِ عُمَرَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «يَذْنِي الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ. حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ. فَيُقَرَّرُ بِذُنُوبِهِ. فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَعْرِفُ. قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ. فَيُعْطَى صَجِيْفَةً

٥٢ - (٢٧٦٨) - قوله: (قال رجل لابن عمر) هذا الحديث أخرجه البخاري في المظالم، باب قول الله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (٢٤٤١)، وفي تفسير سورة هود، باب قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ أَلَا أَشْهَدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَنْ رَبِّهِمْ﴾ (٤٦٨٥)، وفي الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه (٦٠٧٠)، وفي التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (٧٥١٤)، وأخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية (١٧١)..

قوله: (في النجوى) هي ما تكلم به المرء يسمع نفسه ولا يسمع غيره، أو يسمع غيره سراً دون من يليه. وأصله مصدر، وقد يوصف بها فيقال: هو نجوى، وهم نجوى. والمراد هنا المناجاة التي تقع من الرب سبحانه وتعالى يوم القيامة مع المؤمنين. وقال الكرمانى: أطلق على ذلك النجوى لمقابلة مخاطبة الكفار على رؤوس الأشهاد هناك. كذا في فتح الباري (١٠): (٤٨٨).

قوله: (حتى يضع كنفه) بفتح الكاف والنون، وهو في اللغة: الجانب، والمراد من كنف الله تعالى ما يليق بشأنه، والكنف أيضاً: الستر، ورجح الحافظ في الفتح أنه المراد هنا، والمراد أنه يجعله في حجاب الله وأعلم.

قوله: (وإني أغفرها لك اليوم) وفي رواية سعيد بن جبير عند الطبراني: «قيلت يمنة ويسرة فيقول: لا بأس عليك إنك في سترى، لا يطلع على ذنوبك غيري» وقال الحافظ في الفتح: «فدل مجموع هذه الأحاديث على أن العصاة من المؤمنين في القيامة على قسمين: أحدهما من معصية بينه وبين ربه، فدل حديث ابن عمر على أن هذا القسم على قسمين: قسم تكون معصيته مستورة في الدنيا، فهذا الذي يستره الله عليه في القيامة، وهو بالمنطوق. وقسم تكون معصيته مجاهرة، فدل مفهومه على أنه بخلاف ذلك. والقسم الثاني من تكون معصيته بينه وبين العباد: فهم على قسمين أيضاً: قسم ترجع سيئاتهم على حسناتهم، فهؤلاء يقعون في النار، ثم يخرجون بالشفاعاة، وقسم تتساوى سيئاتهم وحسناتهم، فهؤلاء لا يدخلون الجنة حتى يرفع بينهم التقاص، وهذا كله بناء على ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة وإلا فلا يجب على الله شيء».

حَسَنَاتِهِ. وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيُنَادَىٰ بِهِمْ عَلَىٰ رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ.

(٩) - باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه

٦٩٤٧ - (٥٣) حَدَّثَنِي أَبُو الطَّاهِرِ، أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنُ سَرْجٍ، مَوْلَى بَنِي أُمَيَّةَ. أَخْبَرَنِي ابْنُ وَهْبٍ. أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ. قَالَ: ثُمَّ غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكَ. وَهُوَ يُرِيدُ الرُّومَ وَنَصَارَى الْعَرَبِ بِالشَّامِ. قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: فَأَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ كَعْبٍ بْنُ مَالِكٍ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ كَعْبٍ كَانَ قَائِدَ كَعْبٍ، مِنْ بَنِيهِ، حِينَ عَمِيَ. قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ حَدِيثَهُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ. قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: لَمْ أَتَخَلَّفْ

(٩) - باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه

قوله: (سمعت كعب بن مالك يحدث) هذا الحديث أخرجه البخاري في الوصايا، باب إذا تصدق أو وقف بعض رقيقه أو دوابه فهو جائز (٢٧٥٧)، وفي الجهاد، باب من أراد غزوة فوری بغيرها (٢٩٤٧ و ٢٩٤٨ و ٢٩٤٩ و ٢٩٥٠)، وباب الصلاة إذا قدم من سفر (٣٠٨٨)، وفي المناقب، باب صفة النبي ﷺ (٣٥٥٦)، وفي مناقب الأنصار، باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ (٣٨٨٩)، وفي المغازي، باب قصة غزوة بدر (٣٩٥١)، وباب حديث كعب بن مالك (٤٤١٨)، وفي تفسير سورة البراءة، باب ﴿سَيَلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ (٤٦٧٣)، وباب ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوا النَّبِيَّ الَّذِي تَبِعُوا﴾ (٤٦٧٧)، وباب ﴿يَتَابُهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (٤٦٧٨)، وفي الاستئذان، باب من لم يسلم على من اقترف ذنباً (٦٢٥٥)، وفي الأيمان والتذور، باب إذا أهدى ماله على وجه النذر والتوبة (٦٦٩٠)، وفي الأحكام، باب هل للإمام أن يجمع المجرمين وأهل المعصية من الكلام معه (٧٢٢٥)، وأخرجه أبو داود في الطلاق، باب فيما عني به الطلاق والنيات (٢٢٠٢)، وفي الجهاد، باب إعطاء البشير (٢٧٧٣)، وفي الأيمان والتذور، باب فيمن نذر أن يتصدق بماله (٣٣١٧ إلى ٣٣٢٠)، والترمذي في التفسير، باب ومن سورة براءة (٣١٠١)، والنسائي في الطلاق، باب إلحقي بأهلك (٣٤٢٢ إلى ٣٤٢٦)، وفي الأيمان والتذور، باب إذا أهدى ماله على وجه النذر (٣٨٢٤ إلى ٣٨٢٦).

قوله: (في غزوة تبوك) (تبوك) مكان معروف، وهو نصف طريق المدينة إلى دمشق، وهو من المدن المشهورة اليوم في المملكة العربية السعودية في أقصى شمالها. وكان السبب في غزوة تبوك ما ذكره ابن سعد وغيره من أن الأنباط الذين كانوا يقدمون بالزيت من الشام إلى المدينة

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ غَزَاهَا قَطُ. إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ. غَيْرَ أَنِّي قَدْ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ. وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهُ. إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ عِيرَ قُرَيْشٍ. حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ، عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ. وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ. حِينَ تَوَاقَفْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ. وَمَا أَحِبُّ أَنْ لِي بِهَا مَشْهَدٌ بَدْرٍ. وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا. وَكَانَ مِنْ خَبْرِي، حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ. وَاللَّهُ، مَا جَمَعْتُ قَبْلَهَا رَاجِلَتَيْنِ قَطُّ. حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ. فَغَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَرْ شَدِيدٍ. وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَقَارًا. وَاسْتَقْبَلَ عَدُوًّا كَثِيرًا.

أخبروا المسلمين بأن الروم جمعت جموعاً، وأجلبت معهم لخم وجذام وغيرهم من متحصنة العرب، وجاءت مقدمتهم إلى البلقاء. فندب النبي ﷺ الناس إلى الخروج. وأعلمهم بجهة غزوهم. وتدل بعض الروايات على أن الذي حث هرقل على الخروج هم نصارى العرب، وكتبوا إليه بأن النبي ﷺ هلك وأصابتهم سنون فهلكت أموالهم، فبعث رجلاً من عظمائهم يقال له: قباد، وجهاز معه أربعين ألفاً. أخرجه الطبراني عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

قوله: (إلا في غزوة تبوك) زاد أحمد من رواية معمر: «وهي آخر غزوة غزاها» وهذه الزيادة رواها موسى بن عقبة عن ابن شهاب بغير إسناد. ومثله في زيادات المغازي ليونس بن بكير من مرسل الحسن، كما في فتح الباري (٨: ١٧).

قوله: (ولم يعاتب أحدًا تخلف عنه) وقد أخرجه البخاري في غزوة بدر في رواية الكشميهني بلفظ: (ولم يعاتب الله أحدًا).

قوله: (إنما خرج رسول الله ﷺ) إلخ: هذا بيان لسبب عدم العتاب على من تخلف عن غزوة بدر. وحاصله أن غزوة بدر لم تقع بعزم سابق، فلم يكن فيه النفي عاماً، إنما خرج رسول الله ﷺ بمن تيسر من أصحابه يريد عير قريش فقط.

قوله: (على غير ميعاد) يعني: دون أن يكون بين المسلمين والمشركين مواعدة للقتال.

قوله: (ولقد شهدت) إلخ: يريد أنه وإن لم يتشرف بحضور غزوة بدر، ولكنه تشرف بحضور ليلة العقبة التي بايع الأنصار فيها رسول الله ﷺ على مؤازرته والدفاع عنه. فأبدله الله تعالى عن نعمة الحضور في غزوة بدر بنعمة أخرى، وهي شهود ليلة العقبة.

قوله: (وإن كانت بدر أذكى في الناس) يعني: أن غزوة بدر كانت أعظم ذكراً في الناس بالنسبة إلى ليلة العقبة، ولكنني لا أحب أن أستبدل ليلة العقبة بغزوة بدر، لأن الشرف الذي حصل لي بشهود ليلة العقبة أجل عندي قدرًا من أن أستعين به.

فَجَلَا لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرُهُمْ لِيَتَأْتَهُوا أُغْيَةً غَزَوْهُمْ. فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِمُ الَّذِي يُرِيدُ. وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَثِيرٌ. وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ، (يُرِيدُ بِذَلِكَ الْدِيَّانَ)، قَالَ كَتَبْتُ: فَقُلَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ، يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ سَيُخَفَى لَهُ مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الشُّمَارُ وَالظُّلَالُ. فَأَنَا إِلَيْهَا أَصْعَرُ. فَتَجَهَّزَ

قوله: (فَجَلَا لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرُهُمْ) كذا وقع هنا بتخفيف اللام بمعنى: أوضح وبين، ووقع في بعض الروايات كما في البخاري: (جَلَى) بتشديد اللام، وهما بمعنى. وزاد البخاري قبله: «ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورى بغيرها» وسيأتي في رواية محمد بن عبد الله بن مسلم والمقصود أن النبي ﷺ كان من عادته أن لا يعلن جهة خروجه للفتك، بل كان من عادته التورية بذلك، فإن كان يريد جهة المشرق مثلاً، توجه إلى المغرب عند الخروج، ثم عاد إلى المشرق لتلا يتبين أمره على المنافقين وعلى طلائع العدو، وكان ذلك من تدبير الحرب، فإن الحرب خدعة. ولكنه لم يفعل مثل ذلك في غزوة تبوك، بل أعلن جهة خروجه قبل أن يخرج، لما رأى من طول السفر وكثرة العدو وزيادة المشقة، فالمراد أن يكون المسلمون على بينة من الأمر ويستعدوا لهذا السفر بما يتيسر لهم.

قوله: (وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَثِيرٌ) وسيأتي في رواية معقل عن الزهري أنهم يزيدون على عشرة آلاف، ولحاكم في الإكمال من حديث معاذ: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى غزوة تبوك زيادة على ثلاثين ألفاً» وبهذه العدة جزم ابن إسحق، وأورده الواقدي بسند آخر موصل، وزاد: «إنه كان معه عشرة آلاف فارس» فتحمل رواية معقل على إرادة عدد الفرسان. وراجع فتح الباري (٨: ١١٨).

قوله: (كِتَابٌ حَافِظٌ) الرواية هنا بإضافة (كتاب) إلى (حافظ). ورواية البخاري (كتاب حافظ) بانوصف وقد شرحه الزهري بالديوان، يعني: لم يكن هناك كتاب أو ديوان تسجل فيه أسماء المشاركين في الغزوة.

قوله: (فَقُلَّ رَجُلٌ) وفي رواية البخاري: (وَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنُّ) والمقصود أن من كان يريد أن يتغيب عن الغزوة فإنه كان من السهل عليه أن يفعل ذلك، لأنه كان يظن أن لا يطلع على غيابه أحد، لعدم تسجيل الأسماء، إلا أن ينزل في ذلك وحى من الله تعالى على رسوله.

قوله: (حِينَ طَابَتِ الشُّمَارُ وَالظُّلَالُ) يعني: كانت الأشمار تاضجة على الأشجار، وهو موسم كان أهل المدينة يشناقون إليه، لتوفر الثمار فيه، وتكونها زمن تجارتهم فيها والحصول على الأرباح فيها، وهي التي كانت أساس معيشتهم في ذلك الزمان.

قوله: (فَأَنَا إِلَيْهَا أَصْعَرُ) أي: أميل. وفي رواية لأحمد: «وأنا في ذلك أصغر إلى الشمار والظلال».

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ. وَطَفِيقُ أَغْدُو لِيَكُنِي أَتَجَهَّرَ مَعَهُمْ. فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا. وَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَنَا قَائِدٌ عَلَى ذَلِكَ، إِذَا أَرَدْتُ. فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتِمَادِي بِي حَتَّى اسْتَمَرَّ بِالنَّاسِ الْجَدُّ. فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَايِبًا وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ. وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جِهَازِي شَيْئًا. ثُمَّ عَدَوْتُ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا. فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتِمَادِي بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ. فَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَجِلَ فَأَذْرِكُهُمْ. فَيَا لَيْتَنِي فَعَلْتُ. ثُمَّ لَمْ يَقْدَرْ ذَلِكَ بِي. فَطَفِيقُ، إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ، بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَحْزُنُنِي أَنِّي لَا أَرَى لِي أُسْوَةً. إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ فِي النِّفَاقِ، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَّرَ اللَّهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ. وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكًا فَقَالَ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ يَتُبُوكُ: «مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ؟» قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَالنَّظَرُ فِي عَطْفِيهِ. فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِشَسِّ مَا قُلْتَ، وَاللَّهِ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا. فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ رَأَى رَجُلًا مُبَيَّضًا يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ. فَقَالَ

قوله: (فلم يزل ذلك يتمادي بي) يعني: أن تزداد رأيت في الخروج والقيود لم يزل يؤخرني عن الخروج.

قوله: (حتى استمر بالناس الجد) بكسر الجيم وضم الدال على أنه فاعل (استمر)، وأصله: استمر الناس بجدهم في الخروج. وفي رواية البخاري: (اشتد الناس الجد). والحاصل: أن الصحابة غيروا جدوا في مسيرهم فخرجوا.

قوله: (ولم أقض من جهازي) بفتح الجيم وكسرها، بمعنى الأبهة. أي: لم أكمل عذتي للسفر.

قوله: (وتفارت الغزو) أي: تقدم الغزاة وسبقوا وفاتوا.

قوله: (لا أرى لي أسوة) أي: لا أرى أحداً تأسي بي في القيود.

قوله: (مغموصاً عليه في النفاق) أي: مطعوناً عليه في دينه، متهماً بالنفاق، وقيل: معناه: مستحقر. تقول: عمصت فلاناً، إذا استحققرته.

قوله: (حتى بلغ تبوكاً) كذا وقع هنا منصرفاً لإرادة المكان، وفي أكثر الروايات (تبوك) غير منصرف.

قوله: (حبسه برداه والنظر في عطفه) بكسر العين، أي: جانيبه، وهو إشارة إلى إعجابه بنفسه ولباسه.

قوله: (رجلاً مبيضاً) بكسر الياء، أي: لابس البياض.

قوله: (يزول به السراب) أي: يتحرك وينهض، والمراد أنه كان يرى من بعيد في وسط السراب.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ»، فَإِذَا هُوَ أَبُو خَيْثَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ. وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِضِعَاعِ الثَّمَرِ حِينَ لَمَزَهُ الْمُنَافِقُونَ.

فَقَالَ كُغَبُ بْنُ مَالِكٍ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلًا مِنْ تَبُوكَ، حَضَرَنِي بَنِي، فَطَفِقْتُ أَنْذَكُرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ: بِمِ أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ عَدَا؟ وَأَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي. فَلَمَّا قِيلَ لِي: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا، رَاحَ عَنِّي الْبَاطِلُ. حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أُنْجُو مِنْهُ بِشَيْءٍ أَبَدًا. فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ. وَصَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَادِمًا. وَكَانَ، إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، يَدُا بِالْمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رُكْعَتَيْنِ. ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ. فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ. فَطَفِقُوا يَغْتَدِرُونَ إِلَيْهِ. وَيَخْلِفُونَ لَهُ. وَكَانُوا بِضْعَةَ وَثَمَانِينَ رَجُلًا. فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَانِيَتَهُمْ. وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ. وَوَكَّلَ سَرَايِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ. حَتَّى جِثْتُ. فَلَمَّا سَلَّمْتُ، تَبَسَّمَ تَبَسُّمُ الْمُغْضَبِ ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَى فَجِثْتُ

قوله: (كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ) قال النووي: «قيل: معناه: أنت أبو خَيْثَمَةَ. قال ثعلب: العرب تقول: كن زيداً، أي: أنت زيد. قال القاضي عياض: والأشبه عندي أن (كن) هنا للتحقق والوجود، أي: لتوجد هذا الشخص أبا خَيْثَمَةَ حَقِيقَةً. وهذا الذي قاله القاضي هو الصواب. وهو معنى قول صاحب التحرير: تقديره: ألهم اجعله أبا خَيْثَمَةَ».

واسم أبي خَيْثَمَةَ هذا: سعد بن خَيْثَمَةَ. كذا أخرجه الطبراني من حديثه، ولفظه: «تخلفت عن رسول الله ﷺ، فدخلت حائطاً، فرأيت عريشاً قد رُشَّ بالماء، ورأيت زوجتي، فقلت: ما هذا بإنصاف. رسول الله ﷺ في السموم والحريز، وأنا في الظلِّ والنعيم. فقممت إلي ناضح لي وتمرات، فخرجت. فلما طلعت على العسكر فرأني الناس. قال النبي ﷺ: كن أبا خَيْثَمَةَ، فجئت، فدعا لي» كذا في الفتح.

قوله: (حين لمزه المنافقون) أي: عابوه واحتقروه.

قوله: (توجه قافلاً) أي: راجعاً، وذكر ابن سعد أن قدوم رسول الله ﷺ المدينة كان في رمضان.

قوله: (حضرتي بني) أي: صرت مهموماً، كيف أواجه رسول الله ﷺ.

قوله: (فأجمعت صدقه) الإجماع هنا بمعنى العزم الصميم، والمراد أنني عزمتم ألا أتكلم عند رسول الله ﷺ إلا بصدق.

قوله: (وكانوا بضعة وثمانين رجلاً) وذكر الواقدي أن هذا العدد كان من منافقي الأنصار، وأن المعذرين من الأعراب كانوا أيضاً اثنين وثمانين رجلاً من بني غفار وغيرهم، وأن عبد الله بن أبي ومن أطاعه من قومه كانوا من غير هؤلاء وكانوا عدداً كثيراً.

أَمْسِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ. فَقَالَ لِي: «مَا خَلَفَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَغَيْتَ ظَهْرَكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي، وَاللَّهِ، لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَتَى سَاخِرُجَ مِنْ سَخَطِهِ بَعْدِي. وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا. وَلَكِنِّي، وَاللَّهِ، لَقَدْ عَلِمْتُ، لَيْتَنِي خَدْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي، لِيُوشِكُنِ اللَّهُ أَنْ يُسَخِّطَكَ عَلَيَّ. وَلَيْتَنِي خَدْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ، وَاللَّهِ، مَا كَانَ لِي عُذْرٌ. وَاللَّهِ، مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا هَذَا، فَقَدْ صَدَقَ. فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ» فَقُمْتُ. وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ فَأَتَيْتُوَنِي. فَقَالُوا لِي: وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا. لَقَدْ عَجِزْتَ فِي أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بِمَا اعْتَذَرَ بِهِ إِلَيْهِ الْمُخَلَّفُونَ. فَقَدْ كَانَ كَأَيْتِكَ ذَنْبُكَ، اسْتَغْفَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَكَ.

قَالَ: قَوْلَ اللَّهِ، مَا زَالُوا يُؤْتِيُونَنِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَأُكْذِبُ نَفْسِي. قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيْتُ هَذَا مَعِيَ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالُوا: نَعَمْ. لَقِيَهُ مَعَكَ رَجُلَانِ. قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ. فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلَ مَا قِيلَ لَكَ. قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ رَبِيعَةَ الْعَامِرِيُّ، وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ. قَالَ: فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا، فِيهِمَا أَسُوءَةٌ. قَالَ: فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي.

قوله: (فقال لي: ما خلفك) أي: ما هو السبب الذي جعلك تتخلف عن غزوة تبوك؟ وعند ابن عائد في المغازي: «فأعرض عنه فقال: يا نبي الله لم تعرض عني؟ فوالله ما نافقت ولا ارتبت ولا بدلت. قال: فما خلفك؟».

قوله: (ولقد أعطيت جدلاً) وهو مقابلة الحجة بالحجة. أي: أعطاني الله فصاحة وقوة كلام بحيث أخرج عن عهدة ما ينسب إلي بما يقبل ولا يرد.

قوله: (تجد علي فيه) هو ههنا من الموجدة بمعنى الغضب، أي: تغضب علي الآن.

قوله: (ما زالوا يؤتوني) هو من التأنيب بمعنى الملامة.

قوله: (مرارة بن ربيعة العامري) وفي رواية البخاري: (العمري)، وهو الصحيح، وغلط المحدثون رواية مسلم، واسم أبيه في رواية البخاري (الربيع) دون (ربيعة) وهو المشهور. وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن مرسلاً أن سبب تخلفه أنه كان له حائط حين زها، فقال في نفسه: قد غزوت قبلها، فلو أقمت عامي هذا. فلما تذكر ذنبه قال: اللهم إني أشهدك أنني قد تصدقت به في سبيلك».

قوله: (هلال بن أمية الواقفي) وهو الذي قصته معروفة في اللعان، وقد مرت في كتاب الطلاق، وهو منسوب إلى واقف، بطن من الأنصار، وذكر ابن أبي حاتم في مرسل الحسن

قَالَ: وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامَيْنَا، أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ، مِنْ بَيْنِ مَنْ تَحَلَّفَ عَنْهُ.

قَالَ: فَاجْتَنَبْنَا النَّاسَ. وَقَالَ: تَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنْكَرْتُ لِي فِي نَفْسِي الْأَرْضُ. فَمَا هِيَ بِالْأَرْضِ الَّتِي أَعْرِفُ. فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً. فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتَيْهِمَا بَيْنَكِيَانِ. وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ. فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ وَأُطْلِفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ. وَآتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَسْلَمَ عَلَيْهِ، وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ. فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَكْتُ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ، أَمْ لَا؟ ثُمَّ أَصْلِي قَرِيباً مِنْهُ وَأَسَارِفُهُ النَّظَرَ. فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي نَظَرَ إِلَيَّ. وَإِذَا التَّمْتُ نَحْوَهُ أَغْرَضَ عَنِّي. حَتَّى إِذَا ضَالَ ذَلِكَ عَلَيَّ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ، مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ. فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ. فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ، أُنْشِدْكَ بِاللَّهِ، هَلْ تَعْلَمَنَّ أَنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟ قَالَ: فَسَكَتَ. فَعُدْتُ فَنَاشِدْتُهُ، فَسَكَتَ. فَعُدْتُ فَنَاشِدْتُهُ. فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَقَاضَتْ عِشَايَ، وَتَوَلَّيْتُ، حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ.

المذكور سبب تخلفه أنه كان له أهل تفرقوا ثم اجتمعوا، فقال: لو أقمت هذا العام عندهم. فلما تذكر قال: اللهم لك علي أن لا أرجع إلى أهل ولا مال.

قوله: (عن كلامنا أيها الثلاثة) قال القاضي: هو (أي: الثلاثة) بالرفع، وموضعه النصب على الاختصاص. قال سيويه نقلاً عن العرب: اللهم اغفر لنا أيثها العصاية. وهذا مثله. وليس هذا من الهجران الممنوع لكونه لسبب ديني منصوص، كما تقدم تفصيله في البر والصلة، باب تحريم الهجران فوق الثلاث.

قوله: (فما هي بالأرض التي أعرف) وفي رواية معمر عند أحمد: «وتنكرت لي الحيطان، حتى ما هي بالحيطان التي أعرف، وتنكر لنا الناس حتى ما هم الذين أعرف» وزاد البخاري في التفسير: «وما من شيء أهم إلي من أن أموت فلا يصلي علي رسول الله ﷺ، أو يموت فأكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمني أحد منهم ولا يصلي علي».

قوله: (فاستكانا) أي: خضعا.

قوله: (أشب القوم وأجلدهم) أي: أصغرهم سنّاً وأفواههم.

قوله: (حتى تسوّرت جدار حائط أبي قتادة) أي: علوت سور حائطه، ولعل ذلك من بشاشة العشرة فيما بينهما لكونه ابن عنه.

قوله: (فقال: الله ورسوله أعلم) ثم يكن من الكلام المنهني عنه، إمّا لكونه لم يرد به

فَبَيْنَا أَنَا مُشِي فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ، إِذَا نَبْطِي مِنْ نَبْطِ أَهْلِ الشَّامِ، مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ. يَقُولُ: مَنْ يَذُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ. قَالَ: فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إِلَيَّ. حَتَّى جَاءَنِي فَذَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ. وَكُنْتُ كَاتِبًا. فَقَرَأْتُهُ فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ. فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ. وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بِدَارِ هَوَانَ وَلَا مَضِيعَةً فَالْحَقُّ بِنَا ثَوَائِكَ، قَالَ: فَقُلْتُ، حِينَ قَرَأْتَهَا: وَهَذِهِ أَيْضاً مِنَ الْبَلَاءِ. فَتَيَمَّمْتُ بِهَا الشُّوْرَ فَسَجَرْتُهَا بِهَا. حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ مِنَ الْخَمْسِينَ، وَاسْتَلَبْتُ الْوَحْيَ، إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

مخاطبة كعب رضي الله عنه، أو لأنه حمل النهي على كلام مفيد، لا على ما يفيد البعد والمنافرة.

قوله: (إذا نبطي من أنباط أهل الشام) النبطي، بفتح النون والياء، نسبة إلى النبط، وهو مشتق من استنباط الماء واستخراجه، وهؤلاء كانوا في ذلك الوقت أهل الفلاحة. وهذا النبطي الشامى كان نصرانياً كما وقع في رواية معمر عند أحمد: «إذا نصراني جاء بطعام له يبيعه».

قوله: (كتاباً من ملك غسان) قيل: هو جبلة بن أيهم، وقيل: هو الحارث بن أبي شمر، وكان ملكاً لنصارى العرب له عهد وصداقة مع نصارى الروم.

قوله: (بدار هوان ولا مضيعة) بسكون الضاد وفتح الياء، أو بكسر الضاد وسكون الياء، اسم ظرف من (ضاع) أي: لم يجعلك حيث يضيع حقلك. وفي رواية لابن عائد: «فإن لك مشحولة أي: مكاناً تتحول إليه».

قوله: (وهذه أيضاً من البلاء) وفي رواية لابن أبي شيبه: «فقلت: إنا لله، قد طمع في أهل الكفر».

قوله: (فتياممت) أي: قصدت بها الشُّورَ، وهي لغة في تيممت فسجرتها، أي: أوقدت الشُّورَ بها، والضمير المؤنث للصحيفة أو الرسالة المفهومة من لفظ الكتاب. قال الحافظ في الفتح: «دل صنيع كعب هذا على قوة إيمانه ومحبه لله ورسوله. وإلا فمن صار في مثل حاله من النهج والإعراض قد يضعف عن احتمال ذلك، وتحمله الرغبة في الجاه والمال على هجران من هجره، ولا سيما مع أمته من الملك الذي استدعاه إليه أنه لا يكرهه على فراق دينه، لكن لما احتمل عنده أنه لا يأمن من الافتتان، حسم المادة وأحرق الكتاب ومنع الجواب. هذا مع كونه من الشعراء الذين طبعت نفوسهم على الرغبة، ولا سيما بعد الاستدعاء والحث على الوصول إلى المقصود من الجاه والمال، ولا سيما والذي استدعاه قريبه ونسيبه، ومع ذلك فغلب عليه دينه وقوي عنده بقيته، ورجح ما هو فيه من التكد والتعذيب على ما دُعي إليه من الراحة والنعيم حباً لله ورسوله».

قوله: (واستلبت الوحى) أي: أبطأ.

قوله: (أن تعتزل امرأتك) وهي عميرة بنت جبير بن صخر بن أمية الأنصاري رضي الله عنه، وهي أم

يَأْتِينِي. فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ. قَالَ: فَقُلْتُ: أَطْلُقُهَا أَمْ حَاضًا أَعْمَلُ؟ قَالَ: لَا. بَلْ اعْتَزِلْهَا. فَلَا تَقْرَبْنَهَا. قَالَ: فَأَرْسَلَ إِلَيَّ صَاحِبِي بِمِثْلِ ذَلِكَ. قَالَ: فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: الْحَقِّي بِأَهْلِكَ فَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ. قَالَ: فَجَاءَتْ امْرَأَةُ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَتْ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هِلَالَ بْنِ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ. فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ: «لَا. وَلَكِنْ لَا يَفْرَنْتُكَ» فَقَالَتْ: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا يُوْ حَرَكَةً إِلَيَّ شَيْءٍ. وَاللَّهِ مَا زَالَ يَتِيكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِ مَا كَانَ. إِلَيَّ يَوْمِهِ هَذَا.

قَالَ: فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَوْ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي امْرَأَتِكَ؟ فَقَدْ أَذِنَ لَامْرَأَةِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ. قَالَ: فَقُلْتُ: لَا اسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. وَمَا يُدْرِي مَاذَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا اسْتَأْذَنَتْ فِيهَا، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ. قَالَ: فَلَيْسَتْ بِذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ. فَكَمَلْتُ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَيْ عَنْ كَلَامِنَا. قَالَ: ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا. فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الْيَاسِرِ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَّا. قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى سَلْعٍ يَقُولُ، بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، أَبْشِرْ. قَالَ: فَكَبَّرْتُ سَاجِدًا. وَعَرَفْتُ أَنَّ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ.

أولاده الثلاثة عبد الله وعبيد الله ومعبد. ويقال: اسم امرأته التي كانت يومئذ عنده: خيرة، والله أعلم.

قوله: (الحقِّي بأهلك) هذا الحديث دليل على أن هذه الكلمة ليست صريحة في الطلاق، بل هي كناية لا يقع بها الطلاق إلا إذا نوى بها المتكلم ذلك، فإن سياق الكلام هنا صريح في أنه لم يرد بها الطلاق وإنما أمرها أن تلحق بأهلها لمدة إلى أن يأتي الله تعالى له بالفرج.

قوله: (فجاءت امرأة هلال بن أمية) اسمها خولة بنت عاصم، كما صرح به الحافظ في الفتح.

قوله: (فقال لي بعض أهلي) ربما يقع إشكال بأنه كيف كلمه أهله مع نهْي النبي ﷺ عن الكلام معه؟ ويجاب بأنه لعلة بعض ولده أو من النساء، ولم يقع النهي عن الكلام الثلاثة للنساء اللاتي في بيوتهم، أو الذي كلمه كان منافقاً، أو كان ممن يخدمه ولم يدخل النهي.

قوله: (وأنا رجل شاب) أي: أقدر على خدمة نفسي، أو أخاف على نفسي من أن أصيب امرأتي.

قوله: (أوفى على سلع) أي: طلع على جبل سلع بفتح السين وسكون اللام وزاد ابن مردويه: «وكتبت ابنتي خيمة في ظهر سلع فكتت أكون فيها».

قَالَ: فَأَذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ بِتُوبَةِ اللَّهِ عَنَيْنَا، حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا. فَذَهَبَ قَبْلَ صَاحَتِي مُبَشِّرُونَ. وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعَ مَنْ أَسْلَمَ قَبْلِي. وَأَوْفَى الْجَبَلِ، فَكَانَ النَّصُوتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي، فَتَرَعْتُ لَهُ تُوْبَتِي فَكَسَوْتُهُمَا إِثَابَهُ بِبِشَارَتِهِ. وَاللَّهُ، مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ. وَاسْتَعْرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا. فَأَنْطَلَقْتُ أَنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنِّئُونَنِي بِالتُّوبَةِ وَيَقُولُونَ: لِنَهْنَيْكَ تُوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ. حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ، وَحَوْلَهُ النَّاسُ. فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ يَهْرُولُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَانِي. وَاللَّهُ، مَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ.

قَالَ: فَكَانَ كَعَبٌ لَا يَنْسَاهَا لَطَلْحَةُ.

قَالَ كَعَبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ الشُّرُورِ

قوله: (فأذن رسول الله ﷺ) أي: أعلن. ووقع في رواية إسحاق بن راشد ومعمّر (عند أحمد): «فأنزل الله توبتنا على نبيه حين بقي الثلث الأخير من الليل، ورسول الله ﷺ عند أم سلمة، وكانت أم سلمة محسنة في شأني معتنية بأمرِي، فقال: يا أم سلمة! تيب على كعب، قالت: أفلا أرسل إليه فأبشره؟ قال: إذا يحظكم الناس فيمنعوكم النوم سائر الليلة، حتى إذا صلى الفجر أذن بتوبة الله علينا».

قوله: (وسعى ساع من أسلم قبلي) يعني: أن رجلاً ركض إليّ فرساً، وآخر جعل يسعى على قدميه، كل واحد منهما يريد أن يبشّرني، وذكر الواقدي أن الذي ركض فرساً هو الزبير بن العوام، والذي سعى على قدميه هو حمزة بن عمرو الأسلمي. قال الواقدي: وكان الذي بشّر هلال بن أمية بتوبته سعيد بن زيد. قال سعيد: فما ظننته يرفع رأسه حتى تخرج نفسه، يعني: لما كان فيه من الجهد، فقد قيل: إنه امتنع من الطعام حتى كان يواصل الأيام صائماً، ولا يقتر من البكاء. وكان الذي بشّر مراة بتوبته سلمان بن سلامة، أو سلمة بن سلامة بن وقش.

قوله: (ما أملك غيرهما يومئذ) أي: من الشياطين، وإلا فقد تقدم أنه كانت له راحلتان ومملوكات أخرى كما سيأتي.

قوله: (واستعرت ثوبين) وقد صرح الواقدي في روايته بأنه استعار من أبي قتادة ثوبين.

قوله: (لنهنتك) بكسر النون، وزعم ابن التين والسفاقي بأنه بفتحها، والمعروف الأول.

قوله: (لا ينساها لطلحة) قالوا: سبب ذلك أن النبي ﷺ كان أخى بينه وبين طلحة، والذي ذكره أهل المغازي أنه كان أخا الزبير، لكن كان الزبير أخا طلحة في أخوة المهاجرين، فهو أخو أخيه. كذا في الفتح.

وَيَقُولُ: «أُبَشِّرُ بِخَيْرٍ يَوْمَ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدْتِكَ أُمُّكَ» قَانَ: فَقُلْتُ: أَمِنْ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «لَا، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَازَ وَجْهَهُ، كَأَن وَجْهَهُ بَضْعَةٌ قَمَرٍ. قَالَ: وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ.

قَالَ: فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أُنْخَلَعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةٌ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمْسِكْ بَعْضَ مَالِكَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» قَالَ: فَقُلْتُ: فَإِنِّي أَمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْرٍ. قَالَ: وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ اللَّهُ إِنَّمَا أَتَجَانِي بِالْصَدَقِ، وَإِنْ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحْدِثُ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيَتْ. قَالَ: فَوَاللَّهِ، مَا عَلِمْتُ أَنْ أَحْدَا مِنْ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاةَ اللَّهِ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ، مُنْذُ ذُكِرْتُ ذَلِكَ يُرْسِلُ اللَّهُ ﷻ إِلَى يَوْمِي هَذَا، أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَايَ اللَّهُ بِهِ. وَاللَّهِ، مَا تَعَمَّدْتُ كَذِبَةً مُنْذُ قُلْتُ ذَلِكَ يُرْسِلُ اللَّهُ ﷻ، إِلَى يَوْمِي هَذَا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيَ.

قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «لَقَدْ نَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُنْصَرَفِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَرِيحُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ نَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُمْ بِهِمْ رُدُّوا رَّجِيمٌ» (١١٧) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَقُوا حَتَّى إِذَا مَاتَ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ

قوله: (أبشر بخير يوم مر عليك) قال النووي: «معناه سوى يوم إسلامك، وإنما لم يستثنه، لأنه معلوم لا بد منه» وقال الحافظ: «إن يوم توبته مكمل ليوم إسلامه، وإن كان يوم إسلامه خيرا، فيوم توبته المضاف إلى إسلامه خير من يوم إسلامه المجرد عنها». والذي يظهر لهذا العبد الضعيف عفا الله عنه: أن خيرية هذا اليوم كانت من جهة مخصوصة، وهي أن الله تعالى خصه بالذكر وأنزل على رسوله توبته باسمه، وإن هذه الخصوصية لم تحصل له من قبل، ولا يستلزم أن يكون ذلك اليوم خيرا من يوم إسلامه من كل وجه.

وبهذا يظهر أن المرء إذا صدق في توبته واستغفاره، وإنه ربما يرتقي بها إلى منزلة لم تكن حاصلة له من قبل.

قوله: (أن انخلع من مالي صدقة) أي: أننازل عن جميع مالي وأجعلنه صدقة في سبيل

الله.

قوله: (أمسك بعض مالك) ولا بأس مردويه من طريق ابن عيينة عن الزهري: «فقال النبي ﷺ: يجزيء عنك من ذلك الثلث» ذكره الحافظ. وفيه دليل على أنه يستحب للمرء أن يبقى من ماله ما يكفي لعباله. وأن لا يتصدق بماله كله حتى يبقى عياله بدون شيء.

قوله: (أبلاه الله) أي: أنعم عليه.

قوله: (وعلى الثلاثة الذين خلّفوا) أي: أخرجوا في أمر توبتهم، وليس المراد هنا أنهم

عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ ﴿النَّبِیَّة: ١١٧، ١١٨﴾ حَتَّى بَلَغَ: ﴿بِتَابِ الْأَیْمِ مَاتُوا أَنْفُوا اللَّهَ وَكَوْنُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿النَّبِیَّة: ١١٩﴾.

قَالَ كَعْبٌ: وَاللَّهِ، مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ، بَعْدَ إِذْ هَدَانِي اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ، أَعْظَمَ فِي نَفْسِي، مِنْ صِدْقِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. أَنْ لَا أَكُونَ كَذِبْتُهُ فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا. إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا، حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ، شَرًّا مَا قَانَ لِأَحَدٍ. وَقَالَ اللَّهُ: ﴿سَيَلْفُوتُونَ بِاللَّهِ لَعْنُكُمْ إِذَا أَفْلَحْتُمْ إِلَيْهِمْ لِعَرَضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآوَهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٩٥﴾ يَخْلِفُونَ لَعْنُكُمْ لِعَرَضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرَضُوا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ﴿النَّبِیَّة: ٩٥ - ٩٦﴾.

قَالَ كَعْبٌ: كُنَّا خُلَفْنَا، أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ، عَنْ أَمْرِ أَوْلِيكَ الَّذِينَ قَبْلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ خَلَفُوا لَهُ. فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ. وَأَرْجَأَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللَّهُ فِيهِ. فَبِذَلِكَ قَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعَلَّ الثَّلَاثَةُ الْأَیْمَ خَلَفُوا﴾. وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ بِمَا خُلَفْنَا، تَخَلَّفْنَا عَنِ الْغَزْوِ. وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا، وَإِرجاؤه أَمْرَنَا، عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَدَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ.

٦٩٤٨ - (٠٠٠) وَحَدَّثَنِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ زَائِعٍ. حَدَّثَنَا حَجَّيْنُ بْنُ الْمُسْتَنَى. حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، بِإِسْنَادِ يُونُسَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ. سَوَاءً.

٦٩٤٩ - (٥٤) وَحَدَّثَنِي عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ. حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ. حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ، ابْنُ أَخِي الزُّهْرِيِّ عَنْ عَمِّهِ، مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ الزُّهْرِيِّ. أَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ كَعْبٍ بْنَ مَالِكٍ، وَكَانَ قَائِدَ كَعْبٍ حِينَ عَمِي، قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ حَدِيثَهُ، حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ، وَزَادَ فِيهِ، عَلَى يُونُسَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَلَمًا يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَى بِغَيْرِهَا، حَتَّى كَانَتْ بِلَاكُ الْغَزْوَةِ.

خَلَفُوا عَنِ الْغَزْوِ فَمَعْنَى الْكَلَامِ: لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى الَّذِينَ أَخْرَجَتْ تَوْبَتَهُمْ، وَهُوَ التَّضْمِيرُ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ كَعْبٌ نَفْسَهُ فِي قَوْلِهِ الْآتِي: «كُنَّا خُلَفْنَا، أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ، عَنْ أَمْرِ أَوْلِيكَ الَّذِينَ قَبْلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ خَلَفُوا، فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ. وَأَرْجَأَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللَّهُ فِيهِ. فَبِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعَلَّ الثَّلَاثَةُ الْأَیْمَ خَلَفُوا﴾. وَنَبِيَّ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ «مِمَّا خُلَفْنَا» تَخَلَّفْنَا عَنِ الْغَزْوِ، وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا وَإِرجاؤه أَمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَدَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ».

٥٤ - (٠٠٠) - قَوْلُهُ: (لَا وَرَى بِغَيْرِهَا) أَيُّ: أَوْهَمَ بِغَيْرِهَا، وَأَصْلُهُ مِنَ الْوَرَاءِ، كَأَنَّهُ جَعَلَ

وَلَمْ يَذْكُرْ، فِي حَدِيثِ ابْنِ أَبِي الزُّهْرِيِّ، أَبَا حَنِيمَةَ وَلُحُوقَهُ بِالنَّبِيِّ ﷺ.

٦٩٥٠ - (٥٥) وَحَدَّثَنِي سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ. حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَعْيَنَ. حَدَّثَنَا مَعْقِلٌ (وَهُوَ ابْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ)، عَنِ الزُّهْرِيِّ. أَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنُ مَالِكٍ، عَنْ عَمِّهِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ. وَكَانَ قَائِدَ كَعْبٍ حِينَ أَصِيبَ بِصُرَّةٍ. وَكَانَ أَعْلَمَ قَوْمِهِ وَأَوْعَاهُمْ لِأَحَادِيثِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ، وَهُوَ

البيان وراء ظهره، قاله النووي. والمراد هنا: التورية الفعلية، فكان بفعله يوهم أعداءه أنه يخرج لجهة أخرى.

٥٥ - (١٠٠) - قوله: (وأوعاهم لأحاديث أصحاب رسول الله ﷺ) أي: كان عبيد الله ابن كعب أحفظ قومه للأحاديث.

فوائد من حديث كعب بن مالك ﷺ:

وقد دل حديث كعب ﷺ هذا على فوائد كثيرة ذكرها النووي والحافظ في الفتح، ومن أهمها ما يأتي:

- ١ - فضيلة أهل العقبة، لأن كعباً ﷺ لم يؤثر عليها فضيلة حضوره في بدر.
- ٢ - جواز الحلف من غير استحلاف في غير الدعوى عند القاضي، لقول كعب عند رسول الله ﷺ: والله ما كان لي عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك.
- ٣ - إنه ينبغي لأمر الجيش إذا أراد غزوة أن يخفي أمره الذي في ظهوره على الأعداء فتنة.
- ٤ - جواز التأسف على ما فات من الخير، ونسي المتأسف أنه كان فعله، لقول كعب: فيا ليتني فعلت!
- ٥ - رد غية المسلم، لقول معاذ لمن ذكر كعباً بالسوء: ينس ما قلت.
- ٦ - فضيلة الصدق والثبات عليه وإن كان فيه مشقة، فإن عاقبه خير.
- ٧ - استحباب صلاة القدام من سفر ركعتين في مسجد محلته أول قدمه قبل كل شيء.
- ٨ - أنه يستحب للقادم من سفر إذا كان مشهوراً يقصده الناس لسلام عليه أن يقعد لهم في مجلس بأنه هين الوصول إليه.
- ٩ - الحكم بظاهر أحوال الناس، والله يتولى السرائر، وقبول معاذير المنافقين ونحوهم ما لم يترتب عليه مفسدة.
- ١٠ - جواز هجران من ارتكب معصية ومقاطعته زجراً له، وقد تقدم الكلام على ذلك في البر والصلة.
- ١١ - استحباب البكاء على نفسه إذا صدرت منه معصية.

أَخَذَ الثَّلَاثَةَ الَّذِينَ يَبِ عَلَيْهِمْ، يُحَدِّثُ؛ أَنَّهُ لَمْ يَتَحَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ عَدَاهَا قَطُّ. غَيْرَ غَزَوَتَيْنِ. وَسَاقَ الْحَدِيثَ وَقَالَ فِيهِ: وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَنَاسٍ كَثِيرٍ يَزِيدُونَ عَلَى عَشْرَةِ آلَافٍ. وَلَا يَجْمَعُهُمْ دِيوَانٌ حَافِظٌ.

(١٠) - باب: في حديث الإفك وقبول توبة القاذف

٦٩٥١ - (٥٦) حَدَّثَنَا جَبَانُ بْنُ مُوسَى، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ الْأَيْلِيُّ، ح وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ

١٢ - أن مسارقة النظر في الصلاة والالتفات لا يطنها.

١٣ - جواز إحراق الورق الذي فيه ذكر الله لمصلحة، لأن كعباً أحرق رسالة الغساني وفيها: (لم يجعلك الله بذار هوان).

١٤ - الورع والاحتياط بمجانبة ما يخاف منه الوقوع في منهي عنه، لأن كعباً لم يستأذن في خدمة امرأته له خشية الوقوع في محذور.

١٥ - استحباب سجود الشكر عند الاطلاع على ما يسر الإنسان، واستحباب تهنئة من رزقه الله خيراً أو نعمة.

١٦ - استحباب إكرام المبشر بجائزة أو خلعة ونحوها.

١٧ - يجوز تخصيص الألفاظ العامة في اليمين بما أَرَادَهُ الْحَافِثُ لِقَوْلِهِ: (والله لا أملك غيرهما) وأراد تخصيصه بالثياب.

١٨ - استحباب سرور الإمام وكبير القوم بما يسر أصحابه وأتباعه.

١٩ - استحباب التصديق لمن حصلت له نعمة ظاهرة أو اندفعت عنه كربة ظاهرة.

٢٠ - يستحب لمن رأى من يريد أن يتصدق بكل ماله ويخاف عليه أن لا يصبر على الضيق الذي يحصل بعنه أن ينهأ عن ذلك ويشير عليه بإمساك بعض المال.

٢١ - يستحب لمن حصلت له نعمة بعمل صالح أن يحافظ على ذلك العمل، كما فعل كعب حيث أنجاه الصدق، فحافظ عليه.

٢٢ - إن القوي في الدين يؤخذ بأشد مما يؤخذ به الضعيف في الدين.

٢٣ - إن الجهاد كان فرض عين على الأنصار، أو على جميع الصحابة في عهده ﷺ، أو إذا كان التغيير عامّاً على اختلاف أقوال العلماء، ولذلك وقعت هذه المعاتبة الشديدة على النخلف، والله سبحانه أعلم.

(١٠) - باب: في حديث الإفك، وقبول توبة القاذف

حُمَيْدٍ. (قَالَ ابْنُ رَافِعٍ: حَدَّثَنَا. وَقَالَ الْآخَرَانِ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ. أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ وَالْمِثَاقُ حَدِيثُ مَعْمَرٍ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ وَابْنِ رَافِعٍ. قَالَ يُونُسُ وَمَعْمَرٌ. جَمِيعاً عَنِ الزُّهْرِيِّ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَعَلْقَمَةُ بْنُ وَقَّاصٍ وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ. حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا. فَبَرَأَهَا اللَّهُ بِمَا قَالُوا، وَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي طَائِفَةً مِنْ حَدِيثِهَا. وَبَعْضُهُمْ كَانَ أَوْعَى لِحَدِيثِهَا مِنْ

٥٦ - (٢٧٧٠) - قوله: (عن حديث عائشة) هذا الحديث أخرجه البخاري في الهبة، باب هبة المرأة لغير زوجها (٢٥٩٣)، وفي الشهادات، باب إذا عدل رجل رجلاً (٢٦٣٧)، وباب تعديل النساء بعضهم بعضاً (٢٦٦١)، وباب القرعة في المشكلات (٢٦٨٨)، وفي الجهاد، باب حمل الرجل امرأته في الغزو دون بعض نسائه (٢٨٧٩)، وفي المغازي، باب شهود الملائكة بدراً، (٤٠٢٥)، وباب حديث الإفك (٤١٤١)، وفي تفسير سورة يوسف، باب ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾، (٤٦٩٠)، وفي تفسير سورة النور، باب ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ (٤٧٤٩)، وباب ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾ (٤٧٥٠)، وباب ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ (٤٧٥٧)، وفي النكاح، باب المرأة تهيب يومها من زوجها لضررتها (٥٢١٢)، وفي الأيمان والنذور، باب قول الرجل: لعمر الله (٦٦٦٢)، وباب اليمين فيما لا يملك (٦٦٧٩)، وفي الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَقْرَبُ شُورَىٰ يَتِيمَ﴾ (٧٣٦٩ و ٧٣٧٠)، وفي التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿بُرِيدُكَ أَنْ يَسْأَلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾، (٧٥٠٠)، وباب قول النبي ﷺ: الماهر بالقرآن مع الصفوة الكرام البررة (٧٥٤٥)، وأخرجه الترمذي في تفسير سورة النساء (٢١٧٩)، والنسائي في الطهارة، باب بدء التيمم (٣١٠).

قوله: (وكلهم حدثني طائفة من حديثها) أي: بعضهم، وهو قول الزهري، كما صرح به فليح بن سليمان عند البخاري في الشهادات، ولفظه: «كلهم حدثني طائفة من حديثها - وبعضهم أوعى من بعض وأثبت له اقتصاصاً - وقد وعيت عن كل واحد منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة، وبعض حديثهم يصدق بعضاً. زعموا أن عائشة قالت إلخ: وحاصله أن الزهري سمع حديث الإفك عن أربعة من التابعين: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعلقمة بن وقاص، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، كل واحد منهم يروي طرفاً من القصة عن عائشة رضي الله عنها، فجمع الزهري رواياتهم وجعلها حديثاً واحداً. وذكر القاضي عياض اعتراض العلماء على صنيع الزهري هذا، حيث لفق بين الروايات، وكان عليه أن يفرد حديث كل واحد منهم عن الآخر، ولكن ذلك لا يقدح في صحة الحديث، قال النووي: «هذا الذي ذكره الزهري من جمعه الحديث عنهم جائز لا منع منه ولا كراهة فيه، لأنه قد بين أن بعض الحديث عن بعضهم، وبعضه عن بعضهم. وهؤلاء الأربعة أئمة حفاظ ثقات من أجل التابعين، فإذا ترددت اللفظة من هذا الحديث بين كونها عن هذا أو ذاك لم يضر، وجاز الاحتجاج بها، لأنهما ثقتان، وقد اتفق

بَعْضُ، وَأَثْبَتَ اقْتِصَاصاً. وَقَدْ وَعِثْتُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ الْحَدِيثَ الَّذِي حَدَّثَنِي. وَبَعْضُ حَدِيثِهِمْ يُصَدِّقُ بَعْضاً. ذَكَرُوا: أَنَّ عَائِشَةَ، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا، أَفْرَعَ بَيْنَ يَسَائِهِ. فَأَيُّتَهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا، خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ.

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَفْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةِ عَزَاها. فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي. فَخَرَجْتُ مَعَ

العلماء على أنه لو قال: حدثني زيد أو عمرو، وهما ثقتان معروفان بالثقة عند المخاطب جاز الاحتجاج به.

ثم إن قصة الإفك مروية بعدة طرق، وقد تبعها الحافظ في الفتح (٨: ١٥٦ و ١٥٧) وذكر أن جميع من رواها من الصحابة غير عائشة ستة، وهم: عبد الله بن الزبير، وأم رومان، وابن عباس، وابن عمر، وأبو هريرة، وأبو اليسر. ورواها عن عائشة عشرة من التابعين فيهم هؤلاء الأربعة الذين روى عنهم الزهري، وقد رواها عن الزهري جماعة كبيرة من تلامذته.

قوله: (ان يخرج سفرًا) أي: إلى سفر، فهو منصوب بنزع خافض، أو فيه تضمين لمعنى الإنشاء.

قوله: (أفرع بين نسائه) أي: ساهم بينهن تطيباً لقلوبهن. قال العيني في العمدة (٦: ٣٦١): «وكيفية القرعة بالخواتيم: يؤخذ خاتم هذا وخاتم هذا ويدفعان إلى رجل، فيخرج منهما واحداً. وعن الشافعي: يجعل رقاعاً صغاراً يكتب في كل واحد اسم ذي السهم، ثم يجعل بتادق طين، ويغشى عليها ثوب، ثم يدخل رجل يده، فيخرج بتدقة، وينظر من صاحبها؟ فيدفعها إليه. وقال أبو عبيد بن سلام: عمل بالقرعة ثلاثة من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، نبينا، ويونس، وزكريا عليهم السلام».

وقد ذكر النووي ههنا أن أبا حنيفة رحمه الله لا يقول بالقرعة. والصحيح من مذهبه أنه لا يعتبر القرعة حجة في إثبات الحقوق والإلزام، ولكنه يجيز القرعة في تعيين أحد المباحات المحتملة، كما في القسمة. فيجوز عنده أن يقع تعيين الليالي بين الزوجات بالقرعة. وكذلك السفر خارج عن القسمة، فيجوز للزوج أن يأخذ معه من شاء من أزواجه، ولكن القرعة أولى لتطيب قلوبهن.

قوله: (في غزوة عزاها) هي غزوة بني المصطلق، كما ذكره البخاري في المغازي معلقاً عن الزهري وصرح به محمد بن إسحاق في روايته، وكذا أفلح بن عبد الله عند الطبراني، وكانت سنة ست فيما جزم به ابن التين، وقيل: في شعبان سنة خمس، وروي عن موسى بن عقبة: سنة أربع. والصحيح الذي عليه المحققون أنها وقعت سنة خمس وسبأتي. وكان سببها أن النبي ﷺ بلغه أن بني المصطلق (بكسر اللام وهم بطن من بني خزاعة) يجمعون له، وفائدتهم

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وَذَلِكَ بَعْدَمَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ. فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي، وَأُنْزَلُ فِيهِ، مَسِيرَنَا. حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوِهِ، وَقَفَلْنَا، وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ، أَذِنَ لَيْلَةُ بَاثِرْجِيلَ، فَقُمْتُ حِينَ أَذْنُوا بِالرَّحِيلِ. فَمَسَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَبِشَ. فَلَمَّا قَضَيْتُ مِنْ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ. فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عَقْدِي مِنْ جَزَعِ ظَفَارٍ قَدْ انْقَطَعَ. فَرَجَعْتُ

الحارث بن أبي ضرار، وأرسل عيناً بأنه يخبر المسلمين، فخرج النبي ﷺ إليهم حتى لميهم على ماء من مياههم يقال له العريسيق قريباً من الساحل (ولذلك تسمى هذه الغزوة غزوة العريسيق أيضاً) فزاحف الناس واقتتلوا، فهزمهم الله تعالى وقتل منهم، ونقل رسول الله ﷺ نساءهم وأبناءهم وأموالهم. كذا ذكر ابن إسحاق بأسانيد مرسله.

قوله: (بعد ما أنزل الحجاب) أي: بعد ما نزل حكم الحجاب للنساء، وإنما قالته توطئة للسبب في كونها مستترة في الهودج حتى أفضى ذلك إلى تحميله وهي ليست فيه وهم يظنون أنها فيه، بخلاف ما كان قبل الحجاب، فلعل النساء حينئذ كن يركبن ظهور الرواحل بغير هودج، أو يركبن الهودج غير مستترات.

قوله: (فأنا أحمل في هودجي) الهودج، بفتح الهاء وسكون الواو وفتح الدال: محمل نهبة تستر بالثياب ونحوها، يوضع عن ظهر البعير يركب عليه النساء ليكون أسرهن. وفي رواية ابن إسحاق: «فكنت إذا رَحَلُوا بعيري جلست في هودجي، ثم يأخذون بأسفل الهودج، فيضعونه على ظهر البعير» وهو معنى قولها (أحمل في هودجي) وكذلك معنى قولها (أنزل) أي: كانوا يُنزلون الهودج عن ظهر البعير إلى الأرض، وهي فيه.

قوله: (مسيرنا) ينصب الراء، تعني: وقع ذلك في سائر مسيرنا، أي: سفرنا، فهو منصوب بنزع الخافض.

قوله: (أذن ليلة بالرحيل) وفي رواية ابن إسحاق: «فنزول منزلاً قيات فيه بعض الليل»، ثم أذن بالرحيل أي: أعلن بالسفر من ذلك الموضع.

قوله: (فلما قضيت من شأني) أي: حاجتي التي ذهبت من أجلها، ولم تذكرها لاستيفاج ذكرها.

قوله: (فإذا عقدني من جزع ظفار قد انقطع) العقد، بكسر العين: فلادة تعلق في العنق للزينة والجزع بفتح الجيم وسكون الزاي، خرز معروف في سواده بياض، كان يجلب من اليمن والصين وغيرهما ويقال: ليس في الحجارة أصلب من الجزع، وكانوا لا يتيمنون به، فيزعمون أن من تقلد به كثرت همومه ورأى أحلاماً رديئة، حتى قيل: إن وجه تسميته بالجزع أنه يورث الجزع.

وأما (ظفار) فهي بفتح الظاء والفاء وراؤها مبنية على الكسر، وهي قرية باليمن، وقيل:

فَأَلْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ. وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا بَرَحْلُونَ لِي فَحَمَلُوا هَوْدَجِي
فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ. وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ.

قَالَتْ: وَكَانَتْ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خُفَافًا، لَمْ يُهَيَّلْنَ وَلَمْ يُغَشَّهِنَّ اللَّحْمُ. إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلُقَةَ
مِنَ الطَّعَامِ. فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ يُقَالُ الْهُودَجُ جِوِينَ رَحْلُوهُ وَرَفَعُوهُ. وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةً
السِّنِّ. فَبَغْتُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا. وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَمَا اسْتَمَرَّ الْجَبِشُ. فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ

جبل، وكان أهلها من حمير، تنسب إليها القلائد الثمينة. ووقع في رواية الواقدي: «فكان في
عقدي عقد من جزع ظفار كانت أمي أدخلتني به على رسول الله ﷺ».

واتفقت نسخ مسلم على أن الكلمة ههنا (ظفار) بدون الهمزة في أوله. ووقع في رواية
البخاري في التفسير وفي الشهادات (جزع أظفار) بالهمزة المفتوحة في أوله، وهو جمع ظفر وهو
أحد أنواع القسط، وهو طيب الرائحة يشخر به، فإن ثبتت هذه الرواية فلعل الظفر عمل مثل
الخرز فأطلقت عليه جزءاً تشبيهاً به، ونظمته قلادة، إما لحسن لونه أو لطيب ريحه. وقد حكى
ابن التين أن قيمته كانت اثني عشر درهماً. وهذا يؤيد أنه ليس جزءاً ظفاريّاً، إذ لو كان كذلك
لكانت قيمته أكثر من ذلك. كذا في فتح الباري (٨: ٤٥٩).

قوله: (فحبسني ابتغاءه) أي: أبطأت في طلبه، وفي رواية الواقدي: «وكنيت أظن أن القوم
لو لبثوا شهراً لم يبعثوا بعيري حتى أكون في هودجي».

قوله: (الذين كانوا برحلون لي) بفتح الياء والحاء بدون تشديد، والراء بينهما ساكنة، أي:
يجعلون الرحل على البعير، وذكر الحافظ عن الواقدي أن أحدهم كان أبو موهبة مولى
رسول الله ﷺ، وهو أبو موهبة الذي روى عنه عبد الله بن عمرو بن العاص حديثاً في مرض
رسول الله ﷺ ووفاته، أخرجه أحمد وغيره. وقال البلاذري: شهد أبو موهبة غزوة المريسيع،
وكان يخدم بعير عائشة.

قوله: (لم يُهَيَّلْنَ) بضم الياء وفتح الهاء والباء المشددة، أي: يثقلن، يقال: هَيَّلَ اللحم
وأهبله إذا أثقله وكثر لحمه وشحمه، فيجوز فيه ضم الياء وسكون الهاء وتخفيف الباء من باب
الإكرام. ويحتمل أن يكون بفتح الياء وسكون الهاء وضم الباء (يُهَيَّلْنَ).

قوله: (وإنما يأكلن العُلُقَةَ) بضم العين وسكون اللام، أي: القليل. قال القرطبي: كان
المراد الشيء القليل الذي يسكن الرمق، ويقال له (البُلغة) أيضاً. والحاصل أن النساء يومئذ كنَّ
لا يأكلن الكثير من الطعام فكنَّ خفيفة الوزن، فكانت عائشة رضي الله عنها كذلك، فلما حمل اليهودج
أصحابه لم يشعروا بأنها ليست جائسة فيه، وزعموا أنها فيه، فراحلوا.

قوله: (وكننت جارية حديثة السن) وإنما بلغت حينذاك خمس عشرة سنة، ولعلها أشارت

وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ. فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ. وَكُنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونَنِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ. قَبِينَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَنِي عَيْنِي فَنِمْتُ. وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعْظَلِ السُّلَمِيِّ، ثُمَّ الذُّكْوَانِيُّ، قَدْ عَرَّسَ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَأَدْلَجَ. فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي.

بذلك إلى خفة وزنها، أو إلى بيان عذرها فيما فعلته من الحرص على العقد، ومن استقلالها بطلبه في تلك الحال وترك إعلام أهلها بذلك.

قوله: (فتيممت منزلي الذي كنت فيه) أي: قصدته، ولزمت ذلك المكان. وهذا من كمال عقلها عليها السلام، وإلا فإن النساء في مثل هذه الحالة يغلب عليهن الفزع ويعتھن على الاضطراب من مكان إلى مكان، ولكنها عليها السلام علمت أن رسول الله ﷺ لا يظن به أزلاً إلا في نفس المكان الذي تركها فيه فلزمته.

قوله: (غلبتني عيني فنمت) وهذا من كمال طمأننتها وثقتها بالله تعالى، وإلا فالفزع [في] مثل هذه الحالة ربما يمنع من النوم، أو أن الله تعالى لطف بها فألقى عليها النوم لتستريح من وحشة الانفراد في البرية بالليل.

قوله: (صفوان بن معقل السلمي) بتشديد الطاء، والسلمي بضم السين وتخفيف اللام المفتوحة، والذكواني نسبة إلى ذكوان بن ثعلبة بن بھثة بن سليم، وهو بطن من بني سليم، وكان صحابياً فاضلاً شجاعاً خيراً شاعراً، أول مشاهدته عند الواقدي الخندق، وعند ابن الكلبي المريبع، وسيأتي ما يدل على تقدم إسلامه، وقد ذكر ابن إسحاق أنه استشهد في غزاة أرمينية في خلافة عمر سنة سبع عشرة. وقيل: بل عاش إلى سنة أربع وخمسين فاستشهد بأرض الروم في خلافة معاوية رضي الله عنه.

قوله: (قد عرّس من وراء الجيش) التعريس: النزول في السفر آخر الليل للمراحة. ووقع في حديث ابن عمر عند الطبراني وابن مردويه بيان سبب تأخر صفوان، ولقظه: «سأل النبي ﷺ أن يجعله على الساقة فكان إذا رحل الناس قام يصلي ثم اتبعهم، فمن سقط له شيء أتاه به. وفي حديث أبي هريرة عند البزار: «وكان صفوان يتخلف عن الناس، فيصيب القدح والجراب والإداوة» وفي مرسل مقاتل بن حبان عند الحاكم في الإكليل: «فيحمله فيقدم به فيعرفه في أصحابه».

قوله: (فأدّج فأصبح عند منزلي) هو هنا بتشديد الدال، والأدّج بتشديد الدال هو السير في آخر الليل، أما قولهم (أدّج) من باب الإكram وبتخفيف الدال، فهو السير في أول الليل، والمراد هنا السير في آخر الليل فضطرب بتشديد الدال. وكأنه تأخر في مكانه حتى قرب الصبح فركب ليظهر له ما يسقط من الجيش مما يخفيه الليل. ويحتمل أن يكون سبب تأخيره ما جرت به عادته من غلبة النوم عليه، ففي سنن أبي داود ومسند أحمد والبزار وابن سعد وصحيح ابن حبان

فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ. فَأَتَانِي فَعَرَفَنِي جِبْنَ رَأْيِي. وَقَدْ كَانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ الْحِجَابُ عَلَيَّ. فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ جِبْنَ عَرَفَنِي. فَخَمَرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي. وَوَاللَّهِ، مَا يُكَلِّمُنِي كَلِمَةً وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ. حَتَّى أَتَانَا رَجُلْتُهُ.....

والحاكم من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد: «أن امرأة صفوان بن المعطل جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله! إن زوجي يضربني إذا صليت، ويفطرنني إذا صمت، ولا يصلي صلاة الفجر حتى تطلع الشمس. قال: وصفوان عنده، قال: فسأله عما قالت فقال: أما قولها يضربني إذا صليت فإنها تقرأ بسورتين وقد نهيتها، قال: فقال: لو كانت سورة واحدة لكففت الناس. وأما قولها يفطرنني، فإنها تنطلق فتصوم، وأنا رجل شاب فلا أصبر، فقال رسول الله ﷺ يومئذ: لا تصوم امرأة إلا بإذن زوجها، وأما قولها: إني لا أصلي حتى تطلع الشمس، فإنما أهل بيت قد عرف لنا ذلك، لا تكاد نستيقظ حتى تطلع الشمس، قال: فإذا استيقظت فصلّي. وهذا لفظ أبي داود في كتاب الصوم من سننه (رقم: ٢٤٥٩) ونقظ أحمد من رواية أبي بكر عن الأعمش في مسنده (٣: ٨٥): «وأما قولها إني لا أصلي حتى تطلع الشمس فإني ثقیل الرأس، وأنا من أهل بيت يعرفون بذلك، بثقل الرؤوس. قال: فإذا قمت فصلّي».

واستنكر بعض العلماء، كالبيزار، متن هذا الحديث وزعمه مخالفاً لما ثبت عن صفوان بن معطل في قصة الإفك أنه قال: «والله ما كشفت كنف أنثى قط» أخرجه البخاري في تفسير سورة النور وفي رواية سعيد بن أبي هلال عن هشام بن عروة عند أبي عوانة: «والله ما أصبت امرأة قط حلالاً ولا حراماً»، وهذا يدل على أنه لم تكن له امرأة، فزعم البيزار أن الأعمش دلّس عن أبي صالح حديث أبي سعيد، ورده الحافظ في الفتح (٨: ٤٦٢) بأن رجائه رجال الصحيح، وقد قال أبو داود بعد روايته: «رواه حماد بن سلمة عن حميد عن ثابت عن أبي المتوكل» وهذه متابعة جيدة، وإن ابن سعد صرح في روايته بالتحديث بين الأعمش وأبي صالح. وأما قوله في قصة الإفك إنه لم يصب امرأة حلالاً ولا حراماً، فيجوز أن يكون عزياً يومئذ، ثم تزوج بعد ذلك، فوقع له ما ذكر في حديث أبي سعيد عند أبي داود وغيره.

قوله: (فرأى سواد إنسان نائم) السواد: الشخص، فكأنها قالت: رأى شخص آدمي، لكن لا يظهر أهو رجل أو امرأة.

قوله: (كان يراني قبل أن يضرب الحجاب عليّ) وهذا يدل على قدم إسلام صفوان بن معطل، فإن الحجاب نزل سنة ثلاث أو أربع في الأصح.

قوله: (فاستيقظت باسترجاعه) أي: بقوله: (إنا لله وإنا إليه راجعون) والمراد أن صفوان ﷺ لما وجدها نائمة وحدها، تفطن أنها تخلفت عن الجيش، فاسترجع على ذلك.

قوله: (ما يكلمني كلمة) إلخ: فهم أكثر الشراح من هذه العبارة أن صفوان ﷺ لم

فَوَطِئَ عَلَى يَدَيْهَا فَرَكِبَتْهَا. فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ. حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ. بَعْدَمَا نَزَلُوا مُوْغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ. فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ فِي شَأْنِي. وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ

يخاطبها بكلام غير أنه استرجع فقط. فقالوا: استعمل معها الصمت اكتفاء بقرائن الحال مبالغه منه في الأدب، وإعظاماً لها وإجلالاً. ولكن دلت بعض الروايات الأخرى على أنه خاطبها بكلام يتوقع في مثله. فقد وقع في رواية ابن إسحاق أنه قال لها: ما خلفك؟ وأنه قال لها: اركبي، واستأخر. وفي رواية أبي أويس عند أبي عوانة والطبراني: «فاسترجع وأعظم مكاني - أي: حين رأيي وحدي - وقد كان يعرفني قبل أن يضرب علينا الحجاب، فسانني عن أمري، فسترت وجهي عنه بجلبابي وأخبرته بأمرى، فقرّب بعيره فوطئ على ذراعه فولاني ففاه فركبت» ومن أجل هذا الروايات رجح الحافظ في الفتح (٨: ٤٦٣) أن مرادها في حديث الباب نفي الكلام غير الاسترجاع إلى أن ينيخ راحلته لأن لفظها: «ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى أناخ راحلته» تعني أنه لم يكلمها بشيء إلى أن أناخ راحلته. فأما بعد أن أناخها، فقد كَلَّمَهَا بما وقع في الروايات الأخرى.

قوله: (فوطئ على يديها) أي: على يد الناقة، ليكون أسهل لركوبها، ولا يحتاج إلى مسنها عند ركبها.

قوله: (بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة) بضم الجيم وكسر الغين، أي: نازلين في وقت الوغرة (بفتح الواو وسكون الغين) وهي شدة الحر لما تكون الشمس في كبد السماء، ومنه أخذ (وغير الصدر) وهو توقده من الغيظ بالحق، وأوغر فلان: إذا دخل في ذلك الوقت كأصبح وأمسى. وقولها (في نحر الظهيرة) تأكيد لقولها (موغرين)، فإن نحر الظهيرة أولها، وهو وقت شدة الحر، ونحر كل شيء أوله، كأن الشمس بلغت غايته في الارتفاع، كأنها وصلت إلى النحر الذي هو أعلى الصدر. ووقع في رواية ابن إسحاق: «فوالله ما أدركنا الناس ولا افتقدت حتى نزلوا واطمأنوا، طلع الرجل يقودني».

قوله: (فهلك من هلك في شأني) أي: قذفها مع صفوان بن معطل رضي الله عنه بما هي عنه بريئة، وأشارت بذلك إلى من تكلموا بالإفك وخاضوا في ذلك. ووقع في الروايات أنهم عبد الله بن أبي، ومسطح بن أثانة، وحسان بن ثابت، وحمئة بنت جحش، وزاد بعضهم عبد الله وأبا أحمد ابني جحش. وقد سبق منا في فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه أن بعض العلماء، كالسهيدي رحمه الله، أنكروا أن حسان بن ثابت كان من جملة القاذفين، فإنه أنكروا ذلك صراحة.

قوله: (وكان الذي تولى كبره) بكسر القاف وسكون الباء، ويكثر الشيء: معظمه، والمراد أن عبد الله بن أبي هو المرجع والمسؤول في أكثر ما قيل في الإفك، لأنه اخترع هذه التهمة الشيعة، ومعروف أنه كان رأس المنافقين.

أَبِي ابْنِ سَلُولٍ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَاسْتَكَيْتُ، حِينَ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُقْبِضُونَ فِي قَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ، وَلَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ يُرِيْبُنِي فِي وَجْعِي أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اللَّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ اسْتَكَيْتُ، إِنَّمَا يَدْخُلُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَسْلَمُ ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ تَيْكُم؟» فَذَاكَ يُرِيْبُنِي، وَلَا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ، حَتَّى خَرَجْتُ بَعْدَمَا نَقِهْتُ وَخَرَجْتُ مَعِي أُمُّ مَسْطَحَ قَبْلَ الْمَنَاصِعِ، وَهُوَ مُتَبَرِّزْنَا، وَلَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُتْفَ قَرِيبًا مِنْ بَيْوتِنَا، وَأَمَرْنَا أَمْرَ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ.....

قوله: (والناس يقبضون في قول أهل الإفك) أي: يخوضون، ويقال: أفاض في قول: إذا أكثر منه. ووقع في حديث ابن عمر عند الطبراني وابن مردويه: «فشاع ذلك في العسكر، فبلغ النبي ﷺ، فلما قدموا المدينة أشاع عبد الله بن أبي ذلك في الناس، فاستند على رسول الله ﷺ». قوله: (وهو يريْبُنِي في وجعِي) (هو) ههنا زائدة، ويرِيْبُنِي بضم الياء وفتحها، من رابه الأمر وأراه، إذا أوقعه في شكٍّ ويخاف عاقبته.

قوله: (كيف تَيْكُم؟) وفي رواية ابن إسحق: «فكان إذا دخل قال لامي وهي تمرْضُنِي: كيف تَيْكُم؟» و (تَيْكُم) اسم إشارة للمؤنث مثل (ذاكُم) للمذكر. ووقع في رواية أبي أويس: «إلا أنه يقول وهو مازٍ: كيف تَيْكُم؟ ولا يدخل عندي ولا يعودني، ويسأل عني أهل البيت» وفي حديث ابن عمر: «كنت أرى منه جفوة ولا أدري من أي شيء».

قوله: (بعدما نقهت) بفتح القاف وكسرهما، والفتح أشهر، والتَّاق: الذي أفاق من مرضه ولم تتكامل صحته، وإن الإنسان في هذه الحالة يغلب عليه الضعف.

قوله: (وخرجت معي أم مسطح قبل المناصع) وفي رواية أبي أويس: «فقلت: يا أم مسطح! خذي الإداوة فامثليها ماء، فاذهبي بنا إلى المناصع» والمناصع: مواضع خارج المدينة كانوا يشربون فيها، والواحد منصع وقال الأزهري: أراه موضعاً يعينه خارج المدينة، وهو في الحديث صعيد أبيح خارج المدينة. وقال ابن السكيت: المناصع في اللغة: المجانس. كذا في عمدة القاري (٦: ٣٦٤).

قوله: (وهو متبرِّزْنَا) بفتح الراء، اسم ظرف من التبرَّز، وهو الخروج إلى البراز لقضاء الحاجة.

قوله: (قبل أن نتخذ الكُتْف) جمع (كنيف) وهو الموضع الذي أعذ لقضاء الحاجة. وهو في أصل اللغة: الساتر.

قوله: (أمر العرب الأول) بضم الهمزة وتخفيف الواو، جمع الأول، فهو مجرور على أنه صفة للعرب، وضبطه بعضهم (الأول) بفتح الهمزة وتشديد الواو، وحينئذ هو مرفوع على أنه

فِي النَّزْهِ. وَكُنَّا نَتَأَذَّى بِالْكُفْبِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ يَبُوتَنَا. فَأَنْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مَسْطَحَ، وَهِيَ بِنْتُ أَبِي رُحْمِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ. وَأُمُّهَا ابْنَةُ صَخْرَ بْنِ عَامِرٍ، خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ. وَابْنُهَا مَسْطَحُ بْنُ أَثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ. فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَبِنْتُ أَبِي رُحْمِ قَبْلَ بَيْتِي. حِينَ فَرَعْنَا مِنْ شَأِنِنَا. فَعَثَرْتُ أُمُّ مَسْطَحٍ فِي مِرْطَظِهَا. فَقَالَتْ:

صفة للأمر. والمراد أن العرب كانوا يخرجون إلى القضاء لقضاء حوائجهم، ولم يكونوا تخلقوا بأخلاق العجم باتخاذ الكنف في البيوت.

قوله: (في التنزه) أي: في طلب النزاهة بالخروج إلى الصحراء، فكانوا ينتزهون عن أن يكون في بيوتهم موضع فيه نجاسة.

قوله: (وأم مسطح) اسمها سلمى، وهي أم لمسطح بن أثاثه، أحد الذين وقعوا فريسة الإفاك.

قوله: (وأمها ابنة صخر) اسمها رائطة، فكانت أم مسطح بنت خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

قوله: (مسطح بن أثاثه) بضم الهمزة، والمسطح بكسر الميم: عود من أعواد الخباء، وهو لقب واسمه عوف، وقيل: عامر، وذكر الحافظ أن المعتمد هو الأول. وكان هو وأمه من المهاجرين الأولين، وكان أبوه مات وهو صغير، فكفله أبو بكر لقراءة أم مسطح منه. وتوفي مسطح سنة (٣٤هـ)، وقيل: ٣٧هـ: بعد أن شهد صفين مع علي رضي الله عنه.

قوله: (في مِرْطَظِهَا) بكسر الميم وسكون الطاء، وهو كساء من صوف. وقال ابن فارس: ملحفة يؤتزر بها وقال الهروي: المروط الأكسية. وضبطه ابن النين المِرْطُ بفتح الميم. كذا في عمدة القاري.

ثم ظاهر هذا الحديث أن أم مسطح إنما عثرت بعد أن قضت عائشة حاجتها، ولكن وقع في رواية هشام بن عروة عند البخاري (رقم ٤٧٥٧): «خرجت لبعض حاجتي ومعني أم مسطح، فعثرت وقالت: تعس مسطح، فقلت لها: أي أم! تسبين ابنك؟ وسكتت. ثم عثرت الثانية، فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: تسبين ابنك؟ ثم عثرت الثالثة، فقالت: تعس مسطح، فانتهرتها، فقالت: والله ما أسبه إلا فيك. فقلت: في أي شأني؟ قالت: فنقرت لي الحديث. فقلت: وقد كان هذا؟ قالت: نعم والله، فرجعت إلى بيتي كأن الذي خرجت له لا أجد منه قليلاً ولا كثيراً» وكذلك وقع في رواية ابن إسحاق: «فوالله ما قدرت أن أقضي حاجتي» وفي رواية ابن أبي أويس: «فذهب عني ما كنت أجد من الغائط، ورجعت عودي على بدني».

فهذه الروايات تدل على أن أم مسطح عثرت في طريقهما إلى المناسع، فرجعت عائشة رضي الله عنها دون أن تقضي حاجتها، وجمع بينهما الحافظ بأن المراد من قولها في حديث الباب (وقد فرغنا من شأننا) أي: من شأن المسير، لا قضاء الحاجة. وهو جمع مستبعد، لأن لفظ حديث الباب

تَعَسَ مِسْطَحٌ. فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتَ. أُنْسِبِينَ رَجُلًا قَدْ شَهِدَ بَذْرًا. قَالَتْ: أَيُّ هُنَا، أَوْ لَمْ تَسْمَعْ بِي مَا قَانَ؟ قُلْتُ: وَمَاذَا قَانَ؟ قَالَتْ، فَأَخْبَرْتَنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ. فَازْدَدْتُ مَرَضًا إِلَى مَرَضِي. فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: «كَيْفَ بَيْكُم؟» قُلْتُ: أَتَأْذُنِي أَنْ أَبْويَ؟ قَالَتْ، وَأَنَا حَسْبُكَ أُرِيدُ أَنْ أَتَيْقُنَ الْخَبَرَ مِنْ قَبْلِهِمَا. فَأَذَّنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَجِئْتُ أَبْويَ فَقُلْتُ لَأُمِّي: يَا أُمَّتَاهُ، مَا يَتَخَدُّثُ النَّاسُ؟

صريح أنهما حين عثرت أم مسطح كانتا راجعتين إلى البيت. فالتعارض بين هذه الرواية والروايات الأخرى واضح، ولم أقف على طريق الجمع بينهما، إلا أن يقال: إن أحد الرواة في حديث الباب وهم في تفصيل القصة، والله سبحانه أعلم.

قوله: (تعس مسطح) تعس، بكسر العين وفتحها، لغتان مشهورتان، ومعناه: عثر، وقيل: هلك، وقيل: كبّ لوجهه، وقيل: لزمه الشر، وقيل: بعد، وقيل: التعس أن لا ينتعش من عثرته، وقد تعس تعسا وأتعسه الله. وقال ابن التين: المحدثون يقرؤونه بكسر العين، وهو عند أهل اللغة بفتحها، كذا في عمدة القاري.

قوله: (أي: هتاه) بفتح الهاء وسكون النون وفتحها، والسكون أشهر، وبضم الهاء الأخيرة، وتسكن، وذكر القرطبي تشديد النون أيضاً، وأنكره الأزهرى. قالوا: وهذه اللفظة تختص بالنساء، ومعناها: يا هذه! وقيل: يا امرأة. وقيل: يا بلهى، كأنها نسبت إلى قلة المعرفة بمكاييد الناس وشرورهم ثم صيغة النداء هذه تختص بنداء البعيد، وتستعمل للقريب حيث ينزل منزلة البعيد. وهذا ملخص ما في العمدة والفتح.

وقال ابن أبي جمرة: يحتمل أن يكون قول أم مسطح (تعس مسطح) عمداً لتتوصل إلى إخبار عائشة بما قيل فيها، وهي غافلة، ويحتمل أن يكون اتفاقاً أجراه الله على لسانها لتسنيق عائشة من غفلتها عما قيل فيها.

قوله: (فأخبرتني بقول أهل الإفك) وفي رواية ابن أبي أويس عند أبي عوانة والطبراني: «إن مسطحاً وفلاناً وفلاناً يجتمعون في بيت عبد الله بن أبي يتحدثون عنك وعن صفوان يرمونك به».

قوله: (فازددت مرضاً إلى مرضي) وفي رواية هشام عند البخاري أنها وعكت، أي: أصابها الحمى. وعند الطبراني بإسناد صحيح عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة قالت: «لما بلغني ما تكلموا به هممت أن آتي قليلاً فأطرح نفسي فيه».

قوله: (فجئت أبوي) وفي رواية هشام عند البخاري: «فقلت: أرسلني إلى بيت أبي، فأرسل معي الغلام».

فَقَالَتْ: يَا بَنِيَّةُ، هَوْنِي عَلَيْكَ. قَوْلَ اللَّهِ، لَقَلَّمَا كَاتَبَ امْرَأَةٌ قَطُّ وَصِيَّتَهُ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، وَلَهَا ضَرَائِرُ، إِلَّا كَثُرْنَ عَلَيْهَا، قَالَتْ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟ قَالَتْ، فَبِكَيْتِ بَلَّكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بَنُومٍ. ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي. وَدَعَا

قوله: (يا بنيتي! هوني عليك) وفي رواية هشام: «خففي عليك الشأن».

قوله: (وصيئة) أي: جميلة، وهو من الوضاعة بمعنى الجمال، وفي نسخة لمسلم (حظية) أي: ذات منزلة ووجاهة.

قوله: (إلا كثرون عليها) أي: أكثر من القول في عيبها. قال الحافظ في الفتح: «وفي هذا الكلام من فطنة أمها وحسن تأنيها في تربيته ما لا مزيد عليه، فإنها علمت أن ذلك يعظم عليها، فهولت عليها الأمر بإعلامها بأنها لم تنفرد بذلك، لأن المرأة يتأسى بغيره فيما يقع له، وأدمجت في ذلك ما تطيب به خاطرها من أنها فائقة في الجمال والحظوة، وذلك مما يعجب المرأة أن توصف به، مع ما فيه من الإشارة إلى ما وقع من حملة بنت جحش، وأن الحامل لها على ذلك كون عائشة ضرة أختها زينب بنت جحش... وأما ضرائرها هي، فلأنهن وإن كنَّ لم يصدر منهن في حقها شيء مما يصدر من الضرائر، لكن لم يعدم ذلك ممن هو منهن بسبيل، كما وقع من حملة، لأن روع أختها منهن من القول في عائشة كما منع بقية أمهات المؤمنين. وإنما اختصت زينب بالذكر لأنها التي كانت تضاهي عائشة في المنزلة».

قوله: (وقد تحدَّث الناس بهذا؟) زاد الطبري من طريق معمر عن الزهري: «وبلغ رسول الله ﷺ قالت: نعم» وفي رواية هشام: «فقلت: وقد علم به أبي؟ قالت: نعم، قلت: ورسول الله؟ قالت: نعم» وفي رواية ابن إسحاق: «فقلت لأمي: غفر الله لك، يتحدث الناس بهذا ولا تذكرين لي» وفي رواية هشام بن عروة عند البخاري: «فاستعبرت فبكيت، فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق البيت يقرأ، فقال لأمي: ما شأنها؟ فقالت: بلغها الذي ذكر من شأنها، ففاضت عيناه فقال: أقسمت عليك يا بنيتي إلا رجعت إلى بينك، فرجعت».

قوله: (لا يرقأ لي دمع) أي: لا يتقطع، يقال: رقا الدمع: إذا انقطع.

قوله: (ولا أكتحل بنوم) أي: لا أنام قطعاً، وهي استعارة جيدة، كأنها قالت: لم يأتيني النوم حتى بمقدار ما يكون الكحل في عين المكتحل.

ثم إن طرق حديث الإفك مجتمعة على أن عائشة بلغها الخبر من أم مسطح، ولكن وقع في حديث أم رومان عند البخاري في المغازي ما قد يخالف ذلك، ولفظه: «بينما أنا قاعدة أنا وعائشة إذ ولجت علينا امرأة من الأنصار، فقالت: فعل الله بفلان وفعل، فقلت: ما ذاك؟ قالت: ابني ومن حدث الحديث، قالت: وما ذلك؟ قالت: كذا وكذا هذا لفظ البخاري في المغازي، ولفظه في قصة يوسف: «قالت: إنه نعى الحديث، فقالت عائشة: أي: حديث؟

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ جِئْنَا اسْتَلْبَثْتُ الْوُحْيَ. يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ. قَالَتْ: فَأَمَّا أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالَّذِي يَنْعَلُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي يَنْعَلُ فِي نَفْسِهِ لَهُمْ مِنَ الْوُدِّ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُمْ أَهْلُكَ وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا. وَأَمَّا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: لَمْ يَضِيحِ اللَّهُ عَلَيْكَ. وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ. وَإِنْ تَسْأَلِ الْجَارِيَةَ تَصَدَّقْكَ. قَالَتْ: فَدَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَرِيرَةَ فَقَالَ: «أَيُّ بَرِيرَةٍ، هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ

فَأَخْبَرْتَهَا، قَالَتْ: فَسَمِعَهُ أَبُو بَكْرٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَتْ: وَرَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. فَخَرَّتْ مَغْشِيًا عَلَيْهَا» وَطَرِيقُ الْجَمْعِ بَيْنَ الرِّوَايَاتِ، عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْحَافِظُ، أَنَّهَا سَمِعَتْ أَوَّلًا مِنْ أُمِّ مَسْطُحٍ، ثُمَّ ذَهَبَتْ لِبَيْتِ أُمِّهَا لِتَسْتَيْقِنَ الْخَبَرَ مِنْهَا، فَأَخْبَرَتْهَا أُمُّهَا بِالْأَمْرِ مُجْمَلًا كَمَا مَضَى مِنْ قَوْلِهَا (هُوَ عَلِيٌّ) ثُمَّ دَخَلَتْ عَلَيْهَا الْأَنْصَارِيَّةُ فَأَخْبَرَتْهَا بِمِثْلِ ذَلِكَ بِحَضْرَةِ أُمِّهَا، فَقَوِيَ عِنْدَهَا الْقَطْعُ بِوُقُوعِ ذَلِكَ، فَسَأَلَتْ هَلْ سَمِعَهُ أَبُوهَا وَزَوْجُهَا، تَرْجِيًا مِنْهَا أَنْ لَا يَكُونَا سَمِعَا ذَلِكَ لِيَكُونَ أَسْهَلَ عَلَيْهَا، فَلَمَّا قَالَتْ لَهَا إِنَّهُمَا سَمِعَاهُ غَشِيَ عَلَيْهَا.

قوله: (حين استلبت الوحي) أي: تأخر.

قوله: (هم أهلك) أي: أن عائشة ؓ عفيفة لا ثقة بأن تكون أهلك. ووقع في بعض الروايات (أهلك) بالنصب، بدون (هم)، أي: أمسك أهلك ولا تسمع فيها أحداً.

قوله: (والنساء سواها كثير) قال النووي: «هذا الذي قاله علي ؓ هو النصب في حقه، لأنه رآه مصلحة ونصيحة للنبي ﷺ في اعتقاده، ولم يكن ذلك في نفس الأمر، لأنه رأى النزاع بين النبي ﷺ بهذا الأمر وتقلقه، فأراد إراحة خاطره، وكان ذلك أهم من غيره»، وقال الحافظ في الفتح: «كان رسول الله ﷺ شديد الغيرة، فرأى علي ؓ أنه إذا فارقتها سكن ما عنده من القلق بسببها إلى أن يتحقق براءتها، فيمكن رجوعها»، وقال ابن أبي جمرة: «لم يجزم علي بالإشارة بفرقتها، لأنه عقب ذلك بقوله (وسل الجارية تصدقك) ففوض الأمر في ذلك إلى نظر النبي ﷺ، فكانه قال: إن أردت تعجيل الراحة ففارقتها، وإن أردت خلاف ذلك فابحث عن حقيقة الأمر إلى أن تطلع علي براءتها، لأنه كان يتحقق أن بريرة لا تخبره إلا بما علمته، وهي لم تعلم من عائشة إلا البراءة المحضة.

قوله: (فدعا رسول الله ﷺ بريرة) استشكل ذكر بريرة في هذه القصة بأن عائشة ؓ إنما اشترت بريرة وأعتقتها بعد فتح مكة، فكيف تكون بريرة عند عائشة في قصة الإفك التي وقعت قبل فتح مكة بكثير؟ ولذلك ذكر بعض العلماء أن بعض الرواة وهم في تسمية الجارية، فإنه لما روى قول علي: (وإن تسأل الجارية تصدقك؟) زعم أن الجارية بريرة، فسماها. وذكر بعض العلماء احتمالاً أن بريرة هذه غير بريرة التي كانت زوجة مغيث فأعتقتها عائشة، ويؤيده أن من ألف في الصحابة ذكر جارية أخرى باسم (بريرة) وذكر أنها كانت مولاة لرسول الله ﷺ. وقد

يُرِيكَ مِنْ عَائِشَةَ؟» قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمَصَهُ عَلَيْهَا، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثُ السَّنَنِ، ثَنَامٌ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ. قَالَتْ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمَنِيرِ. فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي إِبْنِ سَلُولٍ. قَالَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هُوَ عَلَى الْمَنِيرِ: إِنَّا مَعْشَرُ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ يَغْلِزُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي. فَوَاللَّهِ، مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا.....

أخرج ابن أبي شيبة عن عبد الله بن بريرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا استبَقَظ من الليل دعا جارية له يقال لها بريرة بالسواك. ذكره الحافظ في الإصابة (٤: ٢٤٥) ويحتمل أن تكون غير بريرة المعروفة ويحتمل أن تكون هي مولاة عائشة ونسبت إلى رسول الله ﷺ مجازاً. وذكر الحافظ احتمالاً آخر، وهو أن بريرة كانت تخدم عائشة بأجرة وهي عند مواليها قبل أن تشتريها عائشة، فكانت في بيت عائشة في قصة الإفك كاجيرة، لا كرفيقة لها أو معتقة والكل محتمل. والله سبحانه أعلم.

قوله: (إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمَصَهُ عَلَيْهَا) إِنْ ههنا نافية، و (أَغْمَصَهُ) معناه: أَعْيَبَهُ. وفي رواية هشام بن عروة عند البخاري: «مَا عَلِمْتُ مِنْهَا إِلَّا مَا يَعْلَمُ الصَّانِعُ عَلَى الذَّهَبِ الْأَحْمَرِ أَيْ: كَمَا لَا يَعْلَمُ الصَّانِعُ مِنَ الذَّهَبِ الْأَحْمَرِ إِلَّا الْخُلُوصَ مِنَ الْعَيْبِ، فَكَذَلِكَ أَنَا لَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا الْخُلُوصَ مِنَ الْعَيْبِ. وَكَأَنَّهَا أَشَارَتْ بِذِكْرِ الصَّانِعِ إِلَى أَنَّهُ إِنْ كَانَ فِي عَائِشَةَ شَيْءٌ يَشِينُهَا لَعَلَّمْتَهُ مَعَهَا كَانْ خَفِيًّا، كَمَا أَنَّ الصَّانِعَ يَعْرِفُ عَيْبَ الذَّهَبِ وَإِنْ كَانَ خَفِيًّا، وَهَذَا تَأْكِيدٌ مِنْهَا وَمُبَالَغَةٌ فِي تَبَرُّتِ عَائِشَةَ ﷺ. وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ ابْنِ حَاطِبٍ عِنْدَ الطَّبْرِيِّ وَالطَّبْرَانِيِّ: «وَاللَّهِ! لَعَائِشَةُ أَطْيَبُ مِنَ الذَّهَبِ، وَلَوْ أَنَّ كَانَتْ صَنَعَتْ مَا قَالَ النَّاسُ لِيُخْبِرَنَّكَ اللَّهُ. قَالَتْ: فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ فَقْهَائِهِ».

قوله: (ثَنَامٌ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا) الْعَجِينِ: الدَّقِيقُ الْمَعْجُونُ بِالْمَاءِ. وَلَفْظُ رِوَايَةِ مُقْسَمٍ عَنْ عَائِشَةَ عِنْدَ أَبِي عَوَانَةَ وَالطَّبْرَانِيِّ: «مَا رَأَيْتُ مِنْهَا مَذْكَتٌ عِنْدَهَا إِلَّا أَنِّي عَجَجْتُ عَجِينًا لِي، فَقُلْتُ: احْفَظِي هَذِهِ الْعَجِينَةَ حَتَّى أَقْبِسَ نَارًا لِأَخْرِجَهَا، فَفَعَلْتُ، فَجَاءَتِ الشَّاةُ فَأَكَلَتْهَا».

قوله: (فَتَأْتِي الدَّاجِنُ) وَهِيَ الشَّاةُ الَّتِي تَأْلِفُ الْبَيْتَ وَلَا تَخْرُجُ إِلَى الْمَرْعَى. وَقِيلَ: هِيَ كُلُّ مَا يَأْلِفُ الْبَيْتَ مُطْلَقًا، شَاةٌ أَوْ طَيْرٌ. وَقَالَ ابْنُ الْمُنِيرِ: «هَذَا مِنَ الْإِسْتِثْنَاءِ الْبَدِيعِ الَّذِي يَرَادُ بِهِ الْمُبَالَغَةُ فِي نَقْيِ الْعَيْبِ، فَفَعَلْتُهَا مِنْ عَجِينِهَا أَيْعَدَ لَهَا مِنْ مِثْلِ الَّذِي رُمِيتَ بِهِ، وَأَقْرَبُ إِلَى أَنْ تَكُونَ مِنَ التَّغَالُطَاتِ الْمُؤْمَنَاتِ».

قوله: (فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي) أَيِ: طَلَبَ مِنْ يَعْذُرُهُ مِنْهُ، أَيْ: يَنْصِفُهُ، أَوْ يَقْرُمَ بَعْدَهُ إِذَا كَافَاهُ عَلَى قَبِيحِ أَعْمَالِهِ وَلَا يُلُومُهُ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: يَنْصَرُهُ، وَالْعَذِيرُ: النَّاصِرُ.

قوله: (قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي) وَفِي رِوَايَةِ هِشَامٍ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ: «أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي أَنْاسِ

وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَّا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا. وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي فَقَامَ
سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ،

أَيُّهَا أَهْلِي» وهو بفتح الهمزة والباء المخففة بمعنى: عابوا واتهموا. ولغظ الحديث هذا دال
صريحاً أن أزواجه عليه السلام داخلة في مضمون قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ
أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: آية: ٣٣] وحجة على الرافضة المنكرين لذلك.

قوله: (ولقد ذكروا رجلاً) المراد به صفوان بن معطل عليه السلام، وزاد الطبري في روايته:
«صالحاً»، ووقع في رواية أبي أويس عند أبي عوانة والطبراني: «وكان صفوان بن معطل قعد
لحسان، فضربه ضربة بالسيف وهو يقول:

تَلَقَّى ذِئَابَ السَّيْفِ مَنِي، فَلَمَنِي إِذَا هُوجِيَتْ، لَسْتُ بِشَاعِرٍ
فَصَاحَ حَسَانٌ، فَرَّ صَفْوَانٌ، فَاسْتَوَهَبَ النَّبِيُّ عليه السلام مِنْ حَسَانٍ ضَرْبَةَ صَفْوَانٍ، فَوَهَبَهَا لَهُ».

قوله: (فقام سعد بن معاذ) استشكل كون سعد بن معاذ حاضراً في قصة الإفك، لأنه مات
بعد الأحزاب متصلاً عند غزوة بني قريظة، وكانت غزوة الخندق سنة أربع عند أكثر أصحاب
الشَّير، وسنة خمس عند الواقدي، وعلى كلا التقديرين كانت الأحزاب قبل غزوة المريسيع التي
وقع فيها قصة الإفك، فكيف يكون سعد بن معاذ حاضراً فيها؟ وأجاب العلماء عن هذا الإشكال
بطرق مختلفة:

١ - إن ذكر سعد بن معاذ في هذه الرواية وهم من أحد الرواة وإنما وقعت المكالمة مهنا
بين أسيد بن حضير وسعد بن عباد، وبهذا جزم ابن حزم وابن عبد البر وابن العربي والقرطبي
وإنفاضي عياض رحمهم الله تعالى، كما في عمدة القاري (٦: ٣٦٦).

٢ - قال القطب الحلبي: إن الرواية الصحيحة (سعد) فقط، دون (ابن معاذ) وهو سعد آخر
غير ابن معاذ، وكان من بني عبد الأشهل كما في رواية صالح بن كيسان عند البخاري في
المغازي (فلت: ولكن صرح في نفس الرواية أنه سعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل) وفي بني
عبد الأشهل جماعة من الصحابة يسمى كل منهم سعداً، منهم سعد بن زيد الأشهلي.

٣ - ذكر الحافظ في الفتح عن بعض شيوخه أن البخاري حكى عن موسى بن عقبة أن
المريسيع وقعت سنة أربع، وكذلك الخندق كان سنة أربع، فيحتمل أن تكون المريسيع قبل
الأحزاب، لأن ابن إسحاق جزم بأن المريسيع كانت في شعبان وأن الخندق كانت في شوال،
فإن كانا من سنة واحدة استقام أن تكون المريسيع قبل الخندق، فلا يمتنع أن يشهدها سعد بن
معاذ.

٤ - ذكر البيهقي احتمالاً أن جرح سعد بن معاذ لم يتفجر عقب الفراغ من بني قريظة، بل
تأخر زمناً ثم انفجر بعد ذلك، وأن مراجعته في قصة الإفك وقعت في أثناء ذلك، فكانت

إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْنَا عَنْقَهُ. وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا الْخَزَرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ. قَالَ لَهُ
فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزَرَجِ، وَكَانَ رَجُلًا ضَالِحًا. وَلَكِنْ اجْتَنَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ.
فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: كَذَبْتَ. لَعَمْرُ اللَّهِ، لَا تَقْتُلُهُ وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ.....

المريسيع بعد الخندق، ولم يشهدا سعد لجرحه، ولكن كان حيًّا يومئذٍ. وهذا أبعد ما قيل في
هذا الموضوع.

٥ - ورجع الحافظ ابن حجر نفسه أن كلاً من غزوة المريسيع والخندق وقعت سنة خمس،
(وما ذكره البخاري عن موسى بن عقبة من أن المريسيع وقعت سنة أربع سبق قلتم) فيمكن أن
تكون المريسيع وقعت قبل الأحزاب، وحينئذٍ، فلا إشكال في كون سعد بن معاذ حاضراً في
قصة الإفك. ثم ذكر فيه الحافظ إشكالاً آخر لم يتعرض له غيره، وهو أن ابن عمر كان معهم في
غزوة بني المصطلق، وهي المريسيع، كما ثبت من حديثه في المغازي من صحيح البخاري،
وثبت في الصحيحين أيضاً أنه عرض في يوم أحد فلم يجزه النبي ﷺ، وعرض في الخندق
فأجازه. فإذا كان أول مشاهدته الخندق، وقد ثبت أنه شهد المريسيع لزم أن تكون المريسيع بعد
الخندق، فيعود الإشكال. ثم أجاب عنه الحافظ بأنه لا يلزم من كون ابن عمر كان معهم في
غزوة المريسيع أن يكون أجيز له في القتال، فقد يكون صاحب أباه ولم يباشر القتال، والله
سبحانه أعلم.

قوله: (إن كان من الأوس) وهي قبيلة سعد بن معاذ، وإنما قال ذلك لأنه سيدهم، وحكمه
فيهم نافذ.

قوله: (ضربنا عنقه) لأن إيلاء النبي ﷺ كفر وارتداد، وعقوبته القتل.

قوله: (أمرتنا، ففعلنا أَمْرَكَ) أي: إن أمرتنا بقتله قتلناه، وإلا فلا.

قوله: (ولكن اجتئلته الحمية) كذا وقع لمعظم رواة مسلم (اجتئلته) بالجيم والهاء، أي:
استخففته وأغضبته، وحملته على الجهل. وفي رواية ابن مهران (احتملته) بالحاء والميم. وكذا
رواه مسلم بعد هذا من رواية يونس وصالح، وكذا رواه البخاري، ومعناه: أغضبته، فالروايتان
صحيحتان، كذا في شرح النووي.

قوله: (كذبت، لعمر الله! لا تقتله) وليس المراد أنك لا تقدر على قتله، ولو أمرك
النبي ﷺ بقتله، وحاشا سعد بن عبادَةَ أن يقصد ذلك، وإنما المراد، كما نقله ابن التين عن
الداودي، أن النبي ﷺ لا يجعل حكمه إليك، فلا تقدر على قتله. وأما قوله (كذبت) فالمراد منه
قوله (إن كان من الأوس ضربنا عنقه) فتسبه إلى الكذب في هذه الدعوى وأنه بقتله إن كان من
رهطه مطلقاً، وأنه إن كان من غير رهطه، إن أمر بقتله قتله وإلا فلا، فكانه قال له: بل الذي
نعتقد على العكس مما نطق به، وأنه لو كان من رهطك ما أحبيت أن يقتل، ولكنه من غير
رهطك، فأنت تحب أن يقتل. فقد وقع في رواية ابن إسحاق: «فقال سعد بن عبادَةَ: ما قلت

فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَنُ الرَّاهِلَةَ، لَنَقُتِلَنَّكَ. فَأَنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ. فَقَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ. حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَفْتَتِلُوا. وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ. فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَنُوا وَسَكَتَ. قَالَتْ: وَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ. لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ. ثُمَّ بَكَيْتُ لَيْلَتِي الْمُقْبِلَةَ. لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ. وَأَبْوَايَ يَظُنَّانِ أَنَّ الْبُكَاءَ قَالِقٌ كَبْدِي.

هذه المفاضة إلا أنك علمت أنه من الخزرج وفي رواية ابن حاطب عند الطبري والطبراني: «يا ابن معاذ! والله ما بك نصرة رسول الله ﷺ، ولكنها قد كانت بيننا ضغائن في الجاهلية وإن لم تحلل لنا من صدوركم». فقال ابن معاذ: الله أعلم بما أردت.

والحاصل أن سعد بن عبادَةَ قد فهم من كلام سعد بن معاذ ﷺ أنه انتهز هذه الفرصة للحمل على الخزرج، لأنه كان يعلم أن من ارتكب القذف يتعلّق بالخزرج، فأشار على رسول الله ﷺ بقتله، وإنما جاء بذكر الأوس نوطاً لكلامه لئلا ينسب إليه أنه يشير بقتل أحد من الخزرج، فردّ كلام سعد بن معاذ على أساس أن النبي ﷺ لم يأمر بقتله بعد. وكان هذا الزعم من سعد بن عبادَةَ مبنياً على ما كان بينهم في الجاهلية من الضغائن، وإن الإسلام وإن كان نجاهم منها، ولكن كانت تظهر بعض آثارها في بعض المواضع على مقتضى البشرية، والله أعلم.

وليعلم أن سعد بن عبادَةَ كانت أم حسان بن ثابت بنت عمة من فخذ، كما وقع في رواية صالح بن كيسان عند البخاري في المغازي.

قوله: (فقام أسيد بن حضير) بضم الهمزة مصغراً. وكذلك اسم أبيه بضم الحاء مصغراً. وكان من الأوس. أسلم على يد مصعب بن عمير بالمدينة بعد العقبة الأولى، واختلف في شهوده يدرأ، وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد، وشهد مع عمر رضي الله عنه فتح بيت المقدس، ومات بالمدينة سنة عشرين في خلافة عمر، وصلى عليه عمر كذا في عمدة القاري.

قوله: (فإنك منافق) قال المأزري: إن ذلك وقع منه على جهة الغيظ والحنق والمبالغة في زجر سعد بن عبادَةَ عن المجادلة عن أبي أبي وغيره، ولم يرد النفاق الذي هو إظهار الإيمان وإبطان الكفر. قال: ولعله ﷺ إنما ترك الإنكار عليه لذلك.

قوله: (تجادل عن المنافقين) لم يثبت عن سعد بن عبادَةَ ﷺ أنه دافع عن عبد الله بن أبي ولا يتصور من مثله ذلك، وإنما قال ما قال رداً على ما فهم من كلام سعد ابن معاذ من الحمل على الخزرج، ومراد أسيد بن حضير أن نتيجة كلامه أنه ينفع المنافقين الذين تولوا قذف عائشة رضي الله عنها.

قوله: (إن البكاء فالق كبدي) أي: أن كبدي ينشق بسبب حزني وبكائي.

فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي، وَأَنَا أَبْكِي، اسْتَأْذَنْتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَذِنْتُ لَهَا
فَجَلَسَتْ تَبْكِي. قَالَتْ: قَبِينَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَسَلَّمْ ثُمَّ جَلَسَ.
قَالَتْ، وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ لِي مَا قِيلَ. وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحِي إِلَيَّ فِي شَأْنِي
بَشْيَءٍ. قَالَتْ: فَتَشْهَدُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جِئْتُ جَلَسَ ثُمَّ قَالَ: «أَمَا بَعْدُ. يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ قَدْ
بَلَّغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا. فَإِنْ كُنْتَ بِرَيْفَةٍ فَصَبِّرْ لِرَبِّكَ اللَّهُ. وَإِنْ كُنْتَ أَلَمْتَ بِذَنْبٍ. فَاسْتَغْفِرِي
اللَّهُ وَتُوبِي إِلَيْهِ. فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ ثُمَّ تَابَ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ» قَالَتْ: فَلَمَّا قَضَى
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتَهُ، فَلَصَّ دُمُعِي حَتَّى مَا أَجِسُ مِنْهُ قَطْرَةً. فَقُلْتُ لِأَيِّ:

قوله: (فبينما هما جالسان عندي) وفي رواية البخاري (فأصبح أبوأي عندي) قال الحافظ:
«أي: أنهما جاءا إلى المكان الذي هي به من بيته، لا أنها رجعت من عندهما إلى بيتها. ووقع
في رواية محمد بن نور عن معمر عند الطبري: وأنا في بيت أبيي» قال العبد الضعيف عفا الله
عنه: هذا مخالف لما ثبت في رواية هشام بن عروة عند البخاري (رقم: ٤٧٥٧) وفيه أنها لما
جاءت إلى بيت أبييها، وسمعت من أم رومان ما وقع في قصة الإفك وبكت، قال لها أبو
بكر ﷺ: «أقسمت عليك أي بنية إلا رجعت إلى بيتك» قالت عائشة: «فرجعت» وهذا صريح
في أنها رجعت من عندهما إلى بيتها، ولم يثبت أنها ذهبت إليهما مرة أخرى، فالظاهر أنهما
جاءا إلى بيتها.

قوله: (دخل علينا رسول الله ﷺ) وفي رواية هشام المذكورة: «دخل علي رسول الله ﷺ
وقد صلى العصر، وقد اكتفني أبوأي عن يميني وعن شمالي» وفي رواية ابن حاطب عند الطبري
والطبراني: «وقد جاء رسول الله ﷺ حتى جلس على سرير وجاهي» وفي حديث أم رومان عند
البخاري في المغازي (رقم: ٤١٤٣): «فجاء النبي ﷺ فقال: ما شأن هذه؟ قلت: يا رسول الله! أخذتها الحمى بنافض. قال: فلعل في حديث تحدث به؟ قالت: نعم، فقعدت عائشة».

قوله: (وإن كنت ألممت بذنب) أي: وقع منك على خلاف العادة، وهو حقيقة الإلزام.

قوله: (فإن العبد إذا اعترف بذنب) قال الداودي: «أمرها بالاعتراف، ولم يندبها إلى
الكتمان لئلا يفرق بين أزواج النبي ﷺ وغيرهن، فيجب على أزواجه الاعتراف بما يقع منهن ولا
يكتمنه إياه، لأنه لا يحل لنبي إمساك من يقع منها ذلك، بخلاف نساء الناس، فإنهن ندين إلى
الستر».

قوله: (قلص دمي) أي: استمسك نزوله فانقطع. ومنه: قلص الظل وتقلص: إذا شمر.
ذكر القرطبي أن سبب انقطاع دموعها أن الحزن والوجد قد انتهت نهايتهما وبلغت غايتهما،
ومهما انتهى الأمر إلى ذلك قلص الدمع لفرط حرارة المصيبة. ذكره العيني في العمدة. ويحتمل

أَجِبَ عَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ، مَا أَذْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ لَأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ، وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السَّنَنِ، لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ: إِنِّي، وَاللَّهِ، لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِهِذَا حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي نَفُوسِكُمْ وَصَدَقْتُمْ بِهِ. فَإِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ، وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ، لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ. وَلَئِنْ اغْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ، وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ، لَتُصَدِّقُونَنِي. وَإِنِّي، وَاللَّهِ، مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ: فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا نَصِفُونَ.

أيضاً أنها لما سمعت من النبي ﷺ أنها إن كانت بريئة فسيبرئها الله، قلَّ حزنها وسكن جأشها فانقطع الدمع.

قوله: (أجب عني رسول الله ﷺ) قال الحافظ: (قيل: إنما قالت عائشة لأبيها، مع أن السؤال إنما وقع عما في باطن الأمر، وهو لا اطلاع له على ذلك، لكن قالته إشارة إلى أنها لم يقع منها شيء في الباطن يخالف الظاهر الذي هو يطلع عليه، فكانها قالت له: برئني بما شئت، وأنت على ثقة من الصدق فيما تقول: وإنما أجابها أبو بكر بقوله: (لا أدري) لأنه كان كثير الاتباع لرسول الله ﷺ، فأجاب بما يطابق السؤال في المعنى، ولأنه وإن كان يتحقق براءتها، لكنه كره أن يزكي ولده، وكذا الجواب عن قول أمها: لا أدري).

قوله: (لا أقرأ كثيراً من القرآن) إنما قالت ذلك توطئة لعذرها في أنها نسيت اسم يعقوب عليه السلام في كلامها الآتي. ووقع في رواية هشام بن عروة: «فلما لم يجيبها؛ شهدت فحمدت الله وأثنت عليه بما هو أهله ثم قلت: أما بعده وفي رواية ابن إسحاق: «فلما استعجما عليّ امتعبرت فبكيت ثم قلت: والله لا أتوب مما ذكروا أبدًا».

قوله: (وصدقتم به) قالت هذا وإن لم يكن على حقيقته، على سبيل المقابلة لما وقع من المبالغة في التنقيب عن ذلك، وهي لما كانت تحققته من براءة نفسها ومنزلتها تعتقد أنه كان ينبغي لكل من سمع عنها ذلك أن يقطع بكذبه، لكن العذر لهم في ذلك أنهم أرادوا إقامة الحجة على من تكلم في ذلك، ولا يكفي فيها مجرد نفي ما قالوا والسكوت عليه، بل تعين التنقيب عليه لقطع شبههم. ويحتمل أن يكون مرادها بقولها: (وصدقتم به) من صدق به من أصحاب الإفك، لكن ضمت إليه من لم يكنهم تغليبا.

قوله: (لا تصدقوني بذلك) أي: لا تقطعون بصدقي.

قوله: (لتصدقوني) لأن المرء مؤاخذ بإقراره.

قوله: (كما قال أبو يوسف) تعني: يعقوب عليه السلام، وفي رواية ابن جريج عند أبي

قَالَتْ: ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي. قَالَتْ، وَأَنَا، وَاللَّهِ، جِئْتُكَ أَغْلَمَ أَنِّي
 بَرِيئَةٌ. وَأَنَّ اللَّهَ مُبَرِّئِي بَرَاءَتِي. وَلَكِنْ، وَاللَّهِ، مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يَنْزَلَ فِي شَأْنِي وَحْيٌ يَتْلَى.
 وَلِشَأْنِي كَانَ أَحَقَرُ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيَّ بِأَمْرِ يَتْلَى. وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو
 أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهَ بِهَا. قَالَتْ: فَوَاللَّهِ، مَا زَامَ
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسَهُ، وَلَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى
 نَبِيِّهِ ﷺ. فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرْخَاءِ عِنْدَ الْوُحْيِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ
 مِنَ الْعَرَقِ، فِي الْيَوْمِ الشَّاتِ، مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ. قَالَتْ: فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ
 رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّْلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: «أُبَشِّرِي. يَا عَائِشَةُ،
 أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ بَرَّأَكَ فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ. فَقُلْتُ: وَاللَّهِ، لَا أَقُومُ إِلَيْهِ. وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا
 اللَّهَ. هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي.

عوانة والطبراني: «واختلس مني اسمه» وفي رواية هشام بن عروة عند البخاري: «والتمست اسم
 يعقوب فلم أقدر عليه» وفي رواية أبي أويس: «نسيت اسم يعقوب لما بي من البكاء واحتراق
 الجوف».

قوله: (فاضطجعت على فراشي) زاد ابن جريج: «ووليت وجهي نحو الجدار».

قوله: (ما زام رسول الله ﷺ) أي: فارق، وهو من (زام يريم زئما) وأما (زام يروم زؤما)
 فمعناه: قصد.

قوله: (ما كان يأخذه من البرحاء) بضم الباء وفتح الراء: هي شدة الحمى، أو شدة
 الكرب، وقيل: شدة الحر.

قوله: (لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ) أي: ينزل، والجُمان، بضم الميم: اللؤلؤ، فشبهت
 قطرات عرقه ﷺ باللآلئ، لمشابهتها في الصفاء والحسن.

قوله: (في اليوم الشاتي) أصله: اليوم الشاتي، أي: يوم بارد من الشتاء، وزاد ابن جريج:
 «قال أبو بكر: فجعلت أنظر إلى رسول الله ﷺ أخشى أن ينزل من السماء ما لا مرد له، وأنظر
 إلى وجه عائشة فإذا هو منبق فيطمعني فيها» وفي رواية ابن إسحاق من حديث عائشة: «فأما أنا،
 فوالله ما فزعنت. قد عرفت أنني بريئة، وأن الله غير ظالمٍ. وأما أبواي فما سرِّي عن
 رسول الله ﷺ حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقا من أن يأتي من الله تحقيق ما يقول الناس».

قوله: (قومي إليه) أي: استبشاراً بما ظهر من الفرج، وحمداً له ﷺ.

قوله: (والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله) وزاد في رواية الأسود عن عائشة عند أبي

قَالَتْ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ (النور: ١١) عَشْرَ آيَاتٍ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ بَرَاءَتِي. قَالَتْ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقَرِهِ، وَاللَّهُ، لَا أَنْفِقُ عَلَيْهِ شَيْئاً أَبَداً بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (النور: ٢٢).

عوانة والطبراني: «وأخذ رسول الله ﷺ بيدي فأنزعت يدي منه، فنهضني أبو بكر» قال ابن الجوزي: «إنما قالت ذلك إدلالاً، كما يُدَلُّ الحبيب على حبيبه»، وروى الطبري وأبو عوانة عن مجاهد قال: «قالت عائشة لما نزل عذرها فقيل أبو بكر رأسها: فقلت: ألا عذرتني؟ فقال: أي سماء تظلني وأي أرض تظلني إذا قلت ما لا أعلم».

قوله: (قالت: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ) إلخ: قال الزمخشري: «لم يقع في القرآن من التغليب في معصية ما وقع في قصة الإفك بأوجز عبارة وأشبعها لاشتماله على الوعيد الشديد والعتاب البليغ، والزرع العنيف، واستعظام القول في ذلك واستشناعه بطرق مختلفة وأساليب متقنة، كل واحد منها كاف في بابه. بل ما وقع منها من وعيد عبدة الأوثان إلا بما هو دون ذلك، وما ذلك إلا لإظهار علو منزلة رسول الله ﷺ، وتطهير من هو بسبيل».

ثم إن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذكرت ههنا أن الذي نزل في هذه القصة عشر آيات. وهي إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (النور: آية: ٢٠). لكن وقع في رواية عطاء الخراساني عن الزهري عند أبي عوانة في صحيحه والطبراني: «فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا﴾ - إلى قوله - «أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النور: الآيات: ٢١، ٢٢) وعدد الآيات إلى هذا الموضع اثنا عشرة آية. وجمع بينهما الحافظ في الفتح بأن عائشة ألغت الكسر. والذي يظهر لهذا العبد الضعيف - عفا الله عنه - أن الذي نزل بثبوتة لعائشة أولاً عشر آيات كما ذكرته عائشة في هذه الرواية. ثم إن أبا بكر حلف أن لا ينفق على مسطح، فنزلت الآيتان بعدها. ففصلت عائشة في رواية الباب، ووقع في رواية عطاء الإجمال، فذكرت اثنا عشرة آية بالجملة. ووقع في رواية الحكم بن عتيبة مرسلاً عند الطبري أن الله تعالى أنزل خمس عشرة آية من سورة النور حتى بلغ ﴿أَلْقَيْتُكَ لِلْجَبِينِ﴾ (النور: آية: ٢٦) ففعل ما بين قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ (النور: آية: ٢٦) وقوله تعالى: ﴿أَلْقَيْتُكَ لِلْجَبِينِ﴾ نزل في المرة الثانية عندما حلف أبو بكر أن لا ينفق على مسطح. والله سبحانه أعلم.

قوله: (والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً) يؤخذ منه مشروعية ترك المواخذه بالذنب ما دام احتمال عذمه موجوداً، لأن أبا بكر لم يقطع نفقة مسطح إلا بعد تحقق ذنبه فيما وقع منه.

قوله: (ولا يأتل) قال أبو عبيدة: معناه: لا يفتعل من أليت، أي: أقسمت. وله معنى آخر

قَالَ جِبَّانُ بْنُ مُوسَى: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: هَذِهِ آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ.
فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ، إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي. فَرَجَعَ إِلَى مَسْطَحِ النَّفَقَةِ الَّتِي
كَانَ يَتَفَقَّحُ عَلَيْهَا. وَقَالَ: لَا أَتْرَعُهَا مِنْهُ أَبَدًا.

قَالَتْ عَائِشَةُ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ
أَمْرِي: «مَا عَلِمْتَ؟ أَوْ مَا رَأَيْتِ؟» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِي سَمْعِي وَبَصْرِي. وَاللَّهِ،
مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا.

قَالَتْ عَائِشَةُ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ. فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ.
وَوَظِفَّتْ أُخْتُهَا حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ تُحَارِبُ لَهَا. فَهَلَكْتَ فِيمَنْ هَلَكَ.
قَالَ الزُّهْرِيُّ: فَهَذَا مَا انْتَهَى إِلَيْنَا مِنْ أَمْرِ هَؤُلَاءِ الرَّعِطِ.
وَقَالَ فِي حَدِيثِ يُونُسَ: اخْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ.

من (الوت) أي: قصرت. وفسره ابن عباس بقوله «ولا ياتل يقول: لا أقسم» أخرجه ابن أبي
حاتم، فالتفسير الأول أولى.

قوله: (هذه أرجى آية) لكونه يبشر بالمغفرة من يعفو ويصفح عن خطأ غيره.
قوله: (فرجع إلى مسطح النفقة) وفي رواية للطبراني أنه صار يعطيه ضعف ما كان يعطيه
قبل ذلك.

قوله: (أحبي سمعي وبصري) أي: أصونهما عن ذكر ما لم أسمع ولم أبصر.
قوله: (وهي التي كانت تُساميني) إلخ: أي: تبارزني وتعاليني، من السمو، وهو العلو
والارتفاع، أي: تطلب من العلو والرفعة والحظوة عند النبي ﷺ ما أطلب، أو تعتقد أن منزلتها
عند النبي ﷺ مثل منزلتي عنده.

قوله: (وظففت أختها حمنة) بفتح الحاء وسكون الميم، وكانت تحت طلحة بن عبيد الله.
قوله: (تُحَارِبُ لَهَا) أي: تجادل لأختها زينب، وتتعصب، وتحكي ما قال أهل الإفك
لتنخفض منزلة عائشة وتعلو مرتبة زينب.

قوله: (فهلكت فِيمَنْ هَلَكَ) أي: وقعت في القذف مع من وقع فيه.
ثم اختلف العلماء: هل أقام النبي ﷺ حد القذف على من ارتكبه في عائشة ﷺ. وصحح
الحافظ في الفتح أنه ﷺ أقام الحد على الذين تكلموا بالإفك، وفيهم عبد الله بن أبي، كما ثبت
بحديث عائشة عند ابن إسحاق، وبحديث أبي هريرة عند البراز، وبرواية أبي أويس عند الحاكم
في الإكليل.

٦٩٥٢ - (٥٧) وَحَدَّثَنِي أَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ. حَدَّثَنَا فُلَيْحُ بْنُ سُلَيْمَانَ. ح وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلَوَانِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ. قَالَا: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ. حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ. كِلَاهُمَا عَنِ الزُّهْرِيِّ، بِمِثْلِ حَدِيثِ يُونُسَ وَمَعْمَرٍ. بِإِسْنَادِهِمَا.

وَفِي حَدِيثِ فُلَيْحٍ: اجْتَهَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ. كَمَا قَالَ مَعْمَرٌ.

وَفِي حَدِيثِ صَالِحٍ: احْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ كَقَوْلِ يُونُسَ، وَزَادَ فِي حَدِيثِ صَالِحٍ: قَالَ عُرْوَةُ: كَانَتْ عَائِشَةُ تَكْرَهُ أَنْ يُسَبَّ عِنْدَهَا حَسَنًا. وَتَقُولُ: فَإِنَّهُ قَالَ:

فَإِنْ أَبِي وَوَالِدَتُهُ وَعِمْرُضِي لِعِمْرُضٍ مُحَمَّدٌ مِنْكُمْ وَقَاءُ
وَزَادَ أَيْضًا: قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: وَاللَّهِ، إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي قِيلَ لَهُ مَا قِيلَ لِيَقُولُ:
سُبْحَانَ اللَّهِ، قَوْلَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا كَشَفْتُ عَنْ كَنَفِ أَنْثَى قَطُّ. قَالَتْ: ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ
شَهِيدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وَفِي حَدِيثِ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ: مُوَعِرِينَ فِي نَحْرِ الظُّهَيْرَةِ.

وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ: مُوَعِرِينَ.

قَالَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ: قُلْتُ لِعَبْدِ الرَّزَّاقِ: مَا قَوْلُهُ مُوَعِرِينَ؟ قَالَ: الْوَعْرَةُ شِدَّةُ الْحَرِّ.

٦٩٥٣ - (٥٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ. قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو
أَسَامَةَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: لَمَّا ذُكِرَ مِنْ شَأْنِي الَّذِي ذُكِرَ،
وَمَا عَلِمْتُ بِهِ، قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطِيبًا فَتَشَهَّدَ. فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ. ثُمَّ

٥٧ - (٥٠٠) - قوله: (تكره أن يسبَّ عندها حسان) أي: ابن ثابت رضي الله عنه، وذلك من كمال
حبها لرسول الله ﷺ، وكان حسان يذنب عن رسول الله ﷺ بشعره. فكرهت أن يذكر بسوءه،
وقد معنا في باب مناقب حسان بن ثابت عن السهيلي أنه لم يقع في القذف، والله سبحانه أعلم.

قوله: (إن الرجل الذي قيل له ما قيل) تعني: صفوان بن معقل رضي الله عنه.

قوله: (ما كشفت عن كنف أنثى) الكنف هنا، بفتح الكاف والنون، الثوب الذي يستور
المرأة، وهو كناية عن كونه لم يقارب امرأة قط. وقد تقدم ما فيه في شرح قول عائشة في هذا
الحديث: (فأدلى فأصبح عند منزلي).

قوله: (وفي حديث يعقوب بن إبراهيم: موعرين) يعني: بالعين المهملة، وهو من قولهم:
أوعر به الطريق: أي: صار وعراً، ولكن هذه الرواية ضعفتها النووي. والصحيح (موعرين)
بالعين المعجمة، وقد مر شرحه.

قَالَ: «أَنَا بَعْدُ. أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي أَنَاسِ أَبْنَاءِ أَهْلِي. وَإِنَّمَا اللَّهُ، مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي مِنْ سُوءٍ قَطُّ. وَأَبْنُوهُمْ، بَمَنْ، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَطُّ، وَلَا دَخَلَ بَيْتِي قَطُّ إِلَّا وَأَنَا حَاضِرٌ. وَلَا غَيْبْتُ فِي سَفَرٍ إِلَّا غَابَ مَعِيَ»، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِقِصَّتِهِ، وَفِيهِ: وَلَقَدْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتِي فَمَسَّأَلُ جَارِيَتِي. فَقَالَتْ: وَاللَّهِ، مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا عَنِيًّا، إِلَّا أَنَّهَُا كَانَتْ تَرْفُقُ حَتَّى تَدْخُلَ الشَّاءُ فَتَأْكُلُ عَجِيئَتَهَا. أَوْ قَالَتْ: حَمِيرُهَا - (شَكُّ هِشَامٍ) - فَاتْتَهَرَهَا بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اضْطَرِّفِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. حَتَّى اسْقُطُوا لَهَا بِهِ. فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَاللَّهِ، مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا مَا يَعْلَمُ الصَّابِغُ عَلَى تَبَرِّ الذَّهَبِ الْأَخْمَرِ.

وَقَدْ بَلَغَ الْأَمْرُ ذَلِكَ الرَّجُلَ الَّذِي قِيلَ لَهُ، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَاللَّهِ، مَا كَشَفْتُ عَنْ كَتَفِ أُنْتَى قَطُّ.

قَالَتْ عَائِشَةُ: وَقُتِلَ شَهِيدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وَفِيهِ أَيْضًا مِنَ الزِّيَادَةِ: وَكَانَ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا بِهِ مُسْتَطَحَّ وَحِمْنَةٌ وَحَسَانُ. وَأَمَّا الْأُمْنَانِيُّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي فَهْرٍ الَّذِي كَانَ يَسْتَوْشِيهِ وَيَجْمَعُهُ. وَهُوَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ، وَحِمْنَةٌ.

٥٨ - (٥٠٠) - قوله: (في أناس أبناء أهلي) بفتح الهمزة والياء المخففة، أي: اتهموا وعابوا، يقال: أبته يأبته بضم الياء في المضارع وكسرها: إذا اتهمه ورماه بخلة سوء، فهو مأبون.

قوله: (وأبنوهم بمن؟) استفهام للتعجب، يعني: من اتهموا أهلي به، يعني: صفوان رجل لا يعلم منه إلا خيرا.

قوله: (حتى أسقطوا لها به) يعني: صرّحوا لها بالأمر، فالإسقاط بمعنى التصريح. وقيل: معناه: أتوا بسقط من القول في سؤالها وانتهارها. يقال: أسقط وسقط في كلامه: إذا أتى فيه بساقط. وقيل: إذا أخطأ فيه، ووقع في رواية ابن مهران: «أسقطوا لها بها» وظاهر معناه أنهم ضربوها حتى سقطت لهاها في الحلق، واللهاة: مضغة صغيرة من اللحم في حلق الإنسان. وقيل: معناه أنهم أسكتوها، فإسقاط اللهاة كناية عن الإسكات. ولكن هذه الرواية ضعيفة. والرواية الصحيحة: «أسقطوا لها به».

قوله: (كان يستوشيه) أي: يستخرجه بالبحث والمسألة، ثم يقشيه ويشيعه ويحركه ويشي به.

ثم إن حديث عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك تضمن فوائد كثيرة سردها النووي في شرحه، ونلاحظ في النسخ، ومن أهمها ما يلي:

١ - يجوز أن يخدم الأجانب المرأة من وراء الحجاب، لأن رجالاً كانوا يحملون هودج عائشة رضي الله عنها وهي فيه.

٢ - يجوز للمرأة أن تتحلى في السفر بالقلادة ونحوها، لأن عائشة لبست القلادة في السفر ولم ينكر عليها رسول الله ﷺ.

٣ - يستحسن من المرأة أن يتفقد ماله ويصونه من الضياع، وإن كان قليلاً، لأن قلادة عائشة لم تكن من ذهب ولا من فضة، وإنما كانت من جزع، ولكنها ذهبت مرة ثانية للتفتيش عنها.

٤ - يجوز لبعض أصحاب الجيش أن يتأخروا عن عامة الجيش لحاجة تعرض لهم.

٥ - إن المرأة، ولا سيما المرأة، إن انفصلت عن أهلها، فعليها أن تلزم المكان الذي تركها أهلها فيها، ليسر وجدانها في ذلك المكان عند التفقد، بخلاف ما إذا خرجت إلى مكان آخر، فقد لا يهتدي إليه الباحثون.

٦ - الأدب مع الأجنبية أن لا يتكلم الرجل معهن بكلام كثير، كما فعل صفوان مع عائشة رضي الله عنها.

٧ - إذا اضطر الرجل على السير مع الأجنبية في خلوة، فإنه يتقدم عليها، لتأمن من كشف شيء من جسمها أمامه.

٨ - تغطي المرأة وجهها عن نظر الأجنبي، سواء كان صالحاً، كما فعلت عائشة مع صفوان.

٩ - من مكارم الأخلاق إكرام ذوي القدر وإيثارهم بالركوب وتجشم المشقة لأجل ذلك.

١٠ - لا ينبغي لأهل المريض أن يعلموه بما يؤدي بباطنه، لئلا يزيد ذلك في مرضه، كما فعل بعائشة أهل بيتها حيث لم يخبروها بما أشاع فيها أهل الإفك، حتى علمت ذلك من أم مسطح.

١١ - يستحب ملاطفة الزوجة وحسن معاشرتها، والتقصير من ذلك عند إشاعة ما يقتضي النقص وإن لم يتحقق. وفائدة ذلك أن تنفطن لتغيير الحال فتعذر أو تعترف. وفيه إشارة إلى مراتب الهجران بالكلام والملاطفة. فإذا كان السبب محققاً فترك أصلاً، وإن كان مظنوناً فيخفف، وإن كان مشكوكاً فيه أو محتملاً، فيحسن التقليل منه، لا للعمل بما قيل بل لئلا يظن بصاحبه عدم المبالاة بما قيل في حقه، لأن ذلك من خوارم المروءة.

١٢ - وجوب الثبوت في أمر من أشيع عنه خير قبيح، وأن لا يتهم بسوء حتى يظهر ما يشبهه بطريق شرعي.

١٣ - إن أزواج النبي ﷺ أولى بالدفاع من أولاد المرأة، حيث سببت أم مسطح ابنها لوفوعه في الإفك.

(١١) - باب: براءة حرم النبي ﷺ من الريبة

٦٩٥٤ - (٥٩) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ. حَدَّثَنَا عَفَّانُ. حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ. أَخْبَرَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُتَّهَمُ بِأَمْرِ وَلَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا هُوَ فِي رَيْبٍ يَتَّبِعُ فِيهَا. فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: أَخْرِجْ. «أَذْهَبَ فَاضْرَبَ عُنُقَهُ» فَأَتَاهُ عَلِيٌّ فَإِذَا هُوَ فِي رَيْبٍ يَتَّبِعُ فِيهَا. فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: أَخْرِجْ.

١٤ - إن الراجح في أهل بدر أنه لا يمتنع منهم وقوع الذنب، ولكنه مقرون بالتوبة والمغفرة.

١٥ - يتوقف خروج المرأة من بيتها على إذن زوجها، ولو كان الخروج إلى بيت أبيها.

١٦ - ربما يذكر عيب يسير للمرأة لدفع تهمة كبيرة عنه، ولا يُعد ذلك غيبة، فإن الجارية ذكرت نوم عائشة عن عجين أهلها، لتستدل به على براءتها، لأن ذلك أكبر ما رأت فيها من نقص. ولكن يستحسن في مثل ذلك أن يذكر العذر في ذلك، كما قالت الجارية: «إنها جارية حديثة السن».

١٧ - إن إلال المرأة على زوجها لا ينافي تعظيمه، فإن عائشة رضي الله عنها قالت: «والله لا أقوم إليه».

(١١) - باب: براءة حرم النبي ﷺ من الريبة

٥٩ - (٢٧٧١) - قوله: (عن أنس) هذا الحديث لم يخرج أحد من الأئمة الستة غير المصنف رحمه الله تعالى، وأخرجه أحمد في مسنده: (٣: ٢٨١).

قوله: (أن رجلاً كان يُتَّهَمُ) ذكر القاضي عياض رحمه الله أنه كان قبطياً، وكان يتكلم مع مارية القبطية رضي الله عنها لكونها من أهل وطنه، فاتهمه بعض الناس من أجل ذلك.

قوله: (فاضرب عنقه) هذا الأمر مشكل جداً، لأن مجرد التهمة لا تكفي للحكم بقتل المتهم، حتى يثبت ما يوجب بينة أو إقرار والظاهر أنه لم يكن هناك بينة ولا إقرار، لظهور أنه كان مجبوراً. وذكر بعض العلماء أن النبي ﷺ لم يأمر بقتله بسبب التهمة، بل يحتمل أن يكون قد ارتكب فعلاً آخر يوجب القتل، أو كان من المنافقين، ولكن يعكر عليه بأن علياً رضي الله عنه قد أمسك عن قتله بعد ما رآه مجبوراً، فلو كان السبب الموجب للقتل شيء آخر غير تهمة بالفاحشة، لما أمسك عن ذلك.

وقيل: إن النبي ﷺ علم بالوحي أنه مجبوب، وأن علياً سبى منه ذلك، فلما بعثه لتكشف حقيقته وترفع تهمة. ذكره الأبي عن القاضي عياض رحمه الله.

والواقع أن هذه الرواية فيها إجمال شديد، وليس فيها ذكر ما أجاب به النبي ﷺ علياً رضي الله عنه بعد ما أخبره بكونه مجبوراً. ولا يمكن في هذه الحالة القطع في تفسير ما ذكر فيها. ويمكن على

فَنَاقِلُهُ يَدَهُ فَأَخْرَجَهُ. فَإِذَا هُوَ مَجْبُوبٌ لَيْسَ لَهُ ذَكْرٌ. فَكَفَّ عَلَيَّ عَنْهُ. ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ لَمَجْبُوبٌ، مَا لَهُ ذَكْرٌ.

الاحتمال الأول أن يقال: إن عليّاً ﷺ لم يكف عن قتله للأبد، وإنما أراد أن يخبر النبي ﷺ بما يدل قطعاً أن من اتهمه بالفاحشة ليس مُصِيباً، ولتثبت به براءة أم ولد لرسول الله ﷺ بيقين، بعد ما كانت مبنية قبل ذلك على حسن الظن ونفي ما يثبت خلاف ذلك. أما قتله فكان لسبب آخر، فيمكن أن يكون قتله بعد ذلك ولم يُذكر في الحديث، لكون غرض الراوي مقتصرًا على بيان نفي التهمة عن أم ولد النبي ﷺ، والله سبحانه وتعالى أعلم.

قد تم شرح كتاب التوبة بفضل الله تعالى ونوفيقه قبيل صلاة العصر، للسابع والعشرين من شهر محرم سنة: (١٤١٤هـ)، وأسأل الله سبحانه أن يوفقني لإكمال باقي الشرح على ما يحبه ويرضاه، إنه تعالى على كل شيء قدير، وصلى الله تعالى على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وبارك وسلم تسليماً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٠ - كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم

٦٩٥٥ - (١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، أَنَّهُ سَمِعَ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ يَقُولُ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، أَصَابَ النَّاسَ فِيهِ شِدَّةٌ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي لَاضِحَابٍ: لَا تَنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِهِ. قَالَ زُهَيْرٌ: وَهِيَ قِرَاءَةُ مَنْ خَفَضَ حَوْلَهُ.

كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم

١ - (٢٧٧٢) - قوله: (سمع زيد بن أرقم) هذا الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة (المنافقون) باب قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الشَّقِيقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ﴾ (٤٩٠٠)، وماب ﴿أَقْبَدُوا أَيْمَنَهُمْ حُتَّةً﴾ (٤٩٠١)، وماب ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ (٤٩٠٢)، وماب ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ تَبَجَّحُوا بِأَجْسَانِهِمْ﴾ (٤٩٠٣)، وماب ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَكَالُواِ يُسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ (٤٩٠٤)، وأخرجه الترمذي في التفسير، باب من سورة المنافقين (٣٣٠٩ و ٣٣١٠).

قوله: (في سفر) ووقع في رواية محمد بن كعب عن زيد بن أرقم عند النسائي أنه كان في غزوة تبوك، وبمثله أخرج عبد بن حميد عن سعيد بن جبيرة مرسلاً. وذكر أهل المعازي أنه كان في غزوة بني مصطلق، كما في فتح الباري (٨: ٦٤٤) وكونه في تبوك مشكل على قول أهل انسغازي أن عبد الله بن أبيي تخلف عنها، ومات بعد منصرفهم منها وراجع عمدة القاري (٨: ٦٤٩).

قوله: (حتى ينفضوا) أي: ينفردوا.

قوله: (وهي قراءة من خفض «حَوْلَهُ» لفظ «مِنْ حَوْلِهِ») ليس موجوداً في القرآن الكريم، ولم يقصد الراوي تلاوة الآية، وإنما أراد حكاية كلام عبد الله بن أبيي. وذكر بعض العلماء أن (من حَوْلَهُ) موجود في قراءة عبد الله بن مسعود، وقراه بعضهم بكسر الميم واللام (مِنْ حَوْلِهِ) وبعضهم بفتحهما: (مَنْ حَوْلَهُ) وعلى الثاني يكون بدلاً من ضمير الفاعل في (ينفضوا). وعلى كل، ليس هو موجوداً في القراءات المتواترة اليوم، والظاهر أنها كانت زيادة تفسيرية من قبل عبد الله بن

وَقَالَ: لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُنَا أَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ. قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ. فَأَرْسَلَ إِلَيَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي قَسَّالَةَ فَأَجْتَهَدَ يَمِينَهُ مَا فَعَلَ. فَقَالَ: كَذَبَ زَيْدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِمَّا قَالُوهُ شِدَّةٌ. حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ تَصْذِيقِي: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ [المنافقون: ١١].

قَالَ: ثُمَّ دَعَاهُمْ النَّبِيُّ ﷺ لِيَسْتَغْفِرَ لَهُمْ. قَالَ: فَلَوْا رُؤُوسَهُمْ. وَقَوْلُهُ: ﴿كَانْتُمْ خَشِيبٌ مُسْنَدَةٌ﴾ [المنافقون: ١١]. وَقَالَ: كَانُوا رِجَالًا أَجْمَلَ شَيْءٍ.

٦٩٥٦ - (٢) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الضَّبِّيُّ - وَاللَّفْظُ لِابْنِ أَبِي شَيْبَةَ - (قَالَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ: أَخْبَرَنَا. وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا) سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عُمَرُو، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرًا يَقُولُ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ قَبْرَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَسَّالَةَ فَأَخْرَجَهُ مِنْ قَبْرِهِ فَوَضَعَهُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ. وَنَفَثَ عَلَيْهِ مِنْ رِيقِهِ. وَأَلْبَسَهُ قَمِيصَهُ. قَالَ: أَعْلَمُ.

مسعود، وقد ثبت أن مثل هذه الزيادات التفسيرية ربما سميت بالقراءات، والله أعلم.

قوله: (وقال: لن رجعنا إلى المدينة) إلخ: وسبب قوله هذا ما مر في حديث جابر في نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً، من كتاب البئر والصلة أن رجلاً من المهاجرين كسع رجلاً من الأنصار، فقال: (يا للأنصار!) وقال المهاجري: (يا للمهاجرين!) فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: (دعوها، فإنها متة) فسمعها عبد الله بن أبي، فقال: (لن رجعنا إلخ).

قوله: (فأخبرته بذلك) وفي مرسل الحسن عند عبد الرزاق: «فقال رسول الله ﷺ: لعنك أخطأ سمعتك، لعنك شبة عليك».

قوله: (كانوا رجالاً أجمل شيء) هذا تفسير لقوله تعالى: ﴿تُعْجِزُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [المنافقون: ١١] وخشب مسندة تمثيل لأجسامهم.

٢ - (٢٧٧٣) - قوله: (سمع جابراً) هذا الحديث أخرجه البخاري في الجنائز، باب انكفن في القميص الذي يكف أو لا يكف (١٢٧٠)، وباب هل يخرج الميت من القبر والحد (١٣٥٠)، وفي الجهاد، باب الكسوة للأسارى (٣٠٠٨)، وفي اللباس، باب لبس القميص (٥٧٩٥)، والنسائي في الجنائز، باب إخراج الميت من اللحد (٢٠١٩ و ٢٠٢٠)، وباب القميص في الكفن (١٩٠١)، وابن ماجه في الجنائز، باب في الصلاة على أهل القبلة (١٥٢٣).

قوله: (فأخرجه من قبره) وكان أهل عبد الله بن أبي خشوا على النبي ﷺ المشقة في حضوره، فبادروا إلى تجهيزه قبل وصول النبي ﷺ. فلما وصل وجددهم قد دلوه في حفرة، فأمر بإخراجه إنجازاً لوعده في تكفنه في القميص والصلاة عليه. كذا في فتح الباري (٣: ١٣٩) وإنما فعل به النبي ﷺ هذا مع علمه بكونه منافقاً، تمشية له على ظاهر حاله، وإكراماً لابنه لأنه

٦٩٥٧ - (١٠٠) حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ الْأَزْدِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي عُمَرُو بْنُ دِينَارٍ، قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي، بَعْدَ مَا أُذْجِلَ حُفْرَتُهُ، فَذَكَرَ بِمَثَلِ حَدِيثِ سُفْيَانَ.

٦٩٥٨ - (٣) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: لَمَّا تَوَفَّى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي، ابْنُ سَلُولٍ، جَاءَ ابْنُهُ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ قِمِيصَهُ يَكْفِي فِيهِ أَبَاهُ، فَأَعْطَاهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِتَوْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصَلِي عَلَيْهِ وَقَدْ نَهَاكَ اللَّهُ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا خَبَرَنِي اللَّهُ فَقَالَ: «اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً، وَسَأَرِيدُهُ عَلَى سَبْعِينَ» قَالَ: إِنَّهُ مُنَافِقٌ، فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَلَا تُصَلِّيْ عَلَى أَسْرٍ مِنْهُمْ مَا تَابَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ» [البقرة: ١٨٤].

٦٩٥٩ - (٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا يَحْيَى، (وَهُوَ الْقَطَّانُ)، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، نَحْوَهُ، وَزَادَ: قَالَ: فَتَرَكَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِمْ.

٦٩٦٠ - (٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ الْمُكِّيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: اجْتَمَعَ عِنْدَ النَّبِيِّ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، قُرَشِيَّانِ وَثَقَفِيَّ، أَوْ ثَقَفِيَّانِ وَقُرَشِيٍّ، قَلِيلٌ بَقِيَ قُلُوبُهُمْ، كَثِيرٌ شَحْمٌ يُطَوِّبُهُمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَتُرَوْنَ

كَانَ مُؤْمِنًا صَادِقًا، وَكَانَ قَبْلَ نَزُولِ قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَلَا تُصَلِّيْ عَلَى أَسْرٍ مِنْهُمْ مَا تَابَ أَبَدًا» [البقرة: آية: ١٨٤].
٣ - (٢٧٧٤) - قوله: (عن ابن عمر) هذا الحديث أخرجه المصنف أيضاً في كتاب الفضائل، باب فضائل عمر رضي الله عنه، وتقديم تخريجه وشرحه هناك ميسوفاً، والله الحمد.

٥ - (٢٧٧٥) - قوله: (عن ابن مسعود) هذا الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة حم السجدة، باب «وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمَكُكُمْ» (٤٨١٦)، وباب «وَلَكُمْ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْتَهَوْا عَنْكُمْ» (٤٨١٧)، وفي التوحيد، باب قول الله تعالى: «وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ» إلخ (٧٥٢١)، وأخرجه الترمذي في تفسير حم السجدة (٣٢٤٥).

قوله: (ثلاثة نفر) وفي رواية روح بن القاسم عند البخاري: «كان رجلان من قريش وختن لهما من ثقيف».

قوله: (أو ثقفيان وقريشي) وفي رواية رُوِّحَ المذكورة: «أو رجلان من ثقيف وختن لهما من قريش» وهذا الشك من أبي معمر تلميذ مجاهد. وأخرجه عبد الرزاق من طريق وهب بن ربيعة

اللَّهُ يَسْمَعُ مَا نَقُولُ؟ وَقَالَ الْآخَرُ: يَسْمَعُ إِنَّ جَهْرَنَا. وَلَا يَسْمَعُ إِنْ أَخْفَيْنَا. وَقَالَ الْآخَرُ: إِنْ كَانَ يَسْمَعُ إِذَا جَهْرَنَا، فَهُوَ يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ﴾ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ ﴿[نصحت: الآيتان: ٢٢، ٢٣].

٦٩٦١ - (١٠٠) وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ خَلَّادٍ الْبَاهِلِيُّ. حَدَّثَنَا يَحْيَى، (يَعْنِي ابْنَ سَعِيدٍ)، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ. حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ وَهْبِ بْنِ رِبِيعَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ. ح. وَقَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى. حَدَّثَنَا سُفْيَانُ. حَدَّثَنِي مَنْصُورٌ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ. بِتَخْوِهِ.

٦٩٦٢ - (٦) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَمَرِيُّ. حَدَّثَنَا أَبِي. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَدِيٍّ، (وَهُوَ ابْنُ ثَابِتٍ)، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ زَيْدٍ يُحَدِّثُ، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ: أَنَّ

عن ابن مسعود، ولفظه: «ثقفي رختاه قرشيان» ولم يشك. وأخرجه المصنف في الرواية الآتية، لكنه لم يسق لفظه. وذكر الثعلبي، وتبعه البغوي، أن الثقفي عبد ياليل بن عمرو بن عمير، والقرشيان صفوان وربيعه ابنا أمية بن خلف. وراجع فتح الباري (٨: ٥٦٢).

قوله: (كثير شحم بطونهم) إشارة إلى سمنهم، وإلى أن سمن الجسم ربما لا يجتمع مع العقل والفهم الصحيح.

قوله: (يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا) وفي رواية رُوح المذكورة: «يسمع بعضه». قوله: (فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ﴾) يعني: ما كان لكم أن تستتروا من أن يشهد عليكم أعضاؤكم عند الله. والحاصل: أن الله تعالى يسمع ما تجهرن وما تخفون، ويشهد على ذلك أعضاؤكم وتمايم الآيت: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ﴾ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُصَبِّحْتُمْ بِهِ الْفِتْنَةَ ﴿٢٣﴾ [نصحت، الآيتان: ٢٢، ٢٣].

ثم إن إدراج هذا الحديث في كتاب صفات المنافقين لا يظهر له وجه، لأن الآية إنما نزلت في المشركين المجاهرين لا في المنافقين. ولعل مسلماً رحمه الله أورده هنا من جهة أن ما يضمن المنافقون في صدورهم من النفاق يدل على أنهم يعتقدون أن الله تعالى لا يعلم ما في ضمائرهم، ولا يسمع ما يخفونه، كما زعم هؤلاء المشركون الذين نزلت فيهم الآية، والله أعلم.

٦ - (٢٧٧٦) - قوله: (عن زيد بن ثابت) هذا الحديث أخرجه البخاري في فضائل المدينة، باب المدينة تنفي الخبث (١٨٨٤)، وفي المغازي، باب غزوة أحد (٤٠٥٠)، وفي التفسير، سورة النساء، باب (فما لكم في المنافقين فئتين) (٤٥٨٩). وأخرجه الترمذي في تفسير سورة النساء (٣٠٣١).

النَّبِيِّ ﷺ خَرَجَ إِلَى أَحَدٍ. فَرَجَعَ نَاسٌ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ. فَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فِيهِمْ فِرْقَتَيْنِ. قَالَ بَعْضُهُمْ: نَقُتْلُهُمْ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا. فَتَرَلْتُ: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْأَنْفُسِ أَنْ تَهَيَّجُوا فِيهِمْ﴾ (النساء: ٨٨).

٦٩٦٣ - (١٠٠) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ. حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ. ح وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ نَافِعٍ. حَدَّثَنَا عُثْمَرُ بْنُ كَلَّاهُ عَنْ شُعْبَةَ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، نَحْوَهُ.

٦٩٦٤ - (٧) حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَلَوَائِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ سَهْلٍ التَّمِيمِيُّ. قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ. أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ. أَخْبَرَنِي زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، عَنْ غَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ، فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَانُوا إِذَا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْعَزَا تَخَلَّفُوا عَنْهُ. وَفَرَحُوا بِمَقْعِدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَإِذَا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ اعْتَذَرُوا إِلَيْهِ. وَحَلَفُوا. وَأَجَبُوا أَنْ يُحَمَّدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا. فَتَرَلْتُ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَا وَيُحْجُونَ أَنْ يُحَمَّدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازٍ مِنَ الْمَذَابِ﴾ (آل عمران: ١٨٨).

٦٩٦٥ - (٨) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَمَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، (وَاللَّفْظُ لِرُحْمَةَ)، قَالَا:

قوله: (فرجع ناس ممن كان معه) أي: رجعوا من الطريق وأبوا أن يشاركوا في القتال، وهم عبد الله بن أبي وأتباعه.

٧ - (٢٧٧٧) - قوله: (عن أبي سعيد الخدري) هذا الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة آل عمران، باب ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَا﴾ (٤٥٦٧)، والترمذي في تفسير سورة آل عمران (٣٠١٨).

قوله: (فتزلت: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ (آل عمران، آية: ١٨٨) إلخ) هكذا ذكره أبو سعيد الخدري رحمه الله في سبب نزول الآية، وأن المراد من كان يعتذر عن التحلف من المنافقين. وفي حديث ابن عباس الذي أخرجه المصنف بعد هذا أن المراد من أجاب من اليهود بغير ما سئل عنه وكنتموا ما عندهم من ذلك. ويمكن الجمع بأن تكون الآية نزلت في الفريقين معاً، وبهذا أجاب انقرضي وغيره. وحكى الثراء أنها نزلت في قول اليهود: نحن أهل الكتاب الأول والنصلاة والطاعة، ومع ذلك لا يقولون بمحمد ﷺ، فتزلت: ﴿وَيُحْجُونَ أَنْ يُحَمَّدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ (آل عمران، آية: ١٨٨). وروى ابن أبي حاتم من طرق أخرى عن جماعة من التابعين نحو ذلك، ورجحه الطبري. ولا مانع من أن تكون نزلت في كل ذلك، أو نزلت في أشياء خاصة، وعمومها يتناول كل من أتى بحسنة ففرح بها فرح إعجاب، وأحب أن يحمده الناس ويشنوا عليه بما ليس فيه، والله أعلم. كذا في فتح الباري (٨: ٢٣٣).

حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ. أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ؛ أَنَّ حُمَيْدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَخْبَرَهُ؛ أَنَّ مَرْوَانَ قَالَ: أَذْهَبَ يَا رَافِعُ، (لِبَوَائِهِ)، إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقُلْتُ: لَيْتَنِي كَانَتْ كُلُّ أَمْرِيءٍ مِنَّا فِرْحَ بِمَا أَتَى، وَأَحَبُّ أَنْ يُحْمَدَ بِمَا لَمْ يَفْعَلْ، مُعَذِّبًا، لِنُعَذِّبُنَّ أَجْمَعُونَ. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا لَكُمْ وَلِهَذِهِ الْآيَةُ؟ إِنَّمَا أَنْزَلْتُ هَذِهِ الْآيَةَ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ. ثُمَّ تَلَا ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [١٨٧] عمران: هَذِهِ الْآيَةُ. وَتَلَا ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ [١٨٨] عمران: وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: سَأَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ فَكَتَمُوهُ إِنَاءً. وَأَخْبَرُوهُ بِغَيْرِهِ. فَخَرَجُوا قَدْ أَرَوْهُ أَنْ قَدْ أَخْبَرُوهُ بِمَا سَأَلَهُمْ عَنْهُ. وَاسْتَحْمَدُوا بِذَلِكَ إِلَيْهِ. وَفَرَحُوا بِمَا أُوتُوا، مِنْ كِتْمَانِهِمْ إِنَاءً، مَا سَأَلَهُمْ عَنْهُ.

٦٩٦٦ - (٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا أَسْوَدُ بْنُ غَامِرٍ. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ قَيْسٍ قَالَ: قُلْتُ لِعِمَّارٍ: أَرَأَيْتُمْ صَنِّعَكُمْ هَذَا

٨ - (٢٧٧٨) - قوله: (أن مروان قال) أنخ: هذا الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة آل عمران، باب ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا﴾ (٤٥٦٨)، والترمذي في تفسير سورة آل عمران (٣٠١٨).

قوله: (أذهب يا رافع) قال الحافظ ابن حجر: «رافع هذا لم أر له ذكراً في كتاب الرواة إلا بما جاء في هذا الحديث، والذي يظهر من سياق الحديث أنه توجه إلى ابن عباس فبلغه الرسالة ورجع إلى مروان بالجواب، فلو لا أنه معتمد عند مروان ما قنع برسائنه ومن هنا ألزم الإسماعيلي البخاري بأنه كان ينبغي له أن يصحح حديث بسرة في من الذكر على هذا الأساس، لأن مروان أرسل فيه شرطياً يسأل بسرة عن حديث من الذكر فأخبرته. ولعل الفرق أن الشرطي هناك غير مسمى، فهو مجهول مطلقاً، بخلاف رافع هنا، فإنه مسمى، ولا يبعد أن يكون البخاري ومسلم قد عرفا كونه ثقة، والله أعلم.

قوله: (معذباً) هو خير نقولته (لئن كان) وحاصل شبهته أن كلاً منا يفرح بما يعمل من الخير، وربما يحب أن يُحمد بما لم يفعل، وإن الله سبحانه وتعالى قد ذم هذا التصنيع وأخبر أنه موجب للعذاب، ونتيجة ذلك أن يكون كل من معذباً. وحاصل جواب ابن عباس ﷺ أن هذه الآية نزلت في اليهود الذين كانوا يكتُمون أشياء من النبي ﷺ ويفرحون بكتمانهم، ويظهرون له خلاف الواقع، ويحبون أن يحمدهم رسول الله ﷺ والمسلمون على ما أظهروه من خلاف الواقع، فالموجب للعذاب هو فرحهم بكتمان الحقيقة، وحبهم للحمد على كذبهم. أمّا فرح المسلمين بما فعلوه من حسنة فهو عاجل بشرى المؤمن، كما جاء في الحديث، إذا لم يكن على وجه العجب والكبر.

قوله: (عن قيس) هذا الحديث مما تفرد بإخراجه المصنف رحمه الله من بين الأئمة الستة.

الَّذِي صَنَعْتُمْ فِي أَمْرِ عَلِيٍّ، أَرَأَيْتُمْ رَأَيْتُمُوهُ أَوْ شَيْئاً عَهْدَهُ إِلَيْكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: مَا عَهْدُ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئاً لَمْ يَعْهْدْهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَلَكِنْ حُدِّثَهُ أَخْبَرَنِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فِي أَصْحَابِي اثْنَا عَشَرَ مَنْافِقاً فِيهِمْ ثَمَانِيَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يُلَاحَظَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ، ثَمَانِيَةٌ مِنْهُمْ تُكَفِّبُكُمُ الدُّبَيْلَةَ، وَأَرْبَعَةٌ لَمْ أُحْفَظْ مَا قَالَ شُعْبَةُ فِيهِمْ».

قوله: (صنعتكم في أمر علي) أي: من تأييده ومؤازرته والقتال معه.

قوله: (أو شيئاً عهده إليكم) أي: أوصاكم به رسول الله ﷺ.

قوله: (في أصحابي اثنا عشر منافقاً) يعني: من جملة الذين ينسبون إلى صحبتي في الظاهر، والا فالمنافق لا يسمى صاحبياً. ولذلك ورد هذا الحديث في الرواية الآتية بلفظ: «وَأَنَا فِي أَمْتِي اثْنَا عَشَرَ مَنْافِقاً».

وأما تخصيص اثني عشر رجلاً في هذا الحديث، مع أن المنافقين كانوا أكثر من ذلك، فلأن هذا الحديث يتعلق بقصة مخصوصة، أخرجها الطبراني في الأوسط عن حذيفة قال: «كنت أخذاً بزمام ناقة رسول الله ﷺ أقود، وعمار يسوق، أو عمار يقود وأنا أسوق به، إذ استقبلنا اثنا عشر رجلاً متلثمين. قال: هؤلاء المنافقون إلى يوم القيامة. قلت: يا رسول الله! ألا تبعث إلى كل رجل منهم فتقتله؟ فقال: أكره أن يحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، وعسى يكفينيهم الدبيلة. قلنا: وما الدبيلة؟ قال: شهاب من نار يوضع على نياط قلب أحدهم فيقتله» ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١: ١٠٩) وقال: وفيه عبد الله بن سلمة، وثقه جماعة، وقال البخاري: لا يتابع على حديثه.

قوله: (يلج الجمل في سمّ الخياط) الخياط: الإبرة والسمّ، بفتح السين: ثقبها، وهو تعليق بالمحال بمعنى النفي.

قوله: (تكفّيكهم الدبيلة) بضم الدال، تصغير للدبيل، بفتح الدال بمعنى الطاعون، والدبيلة أيضاً: الدامية وداء في الجوف، كما في القاموس. وقال ابن الأثير في النهاية (٢: ٩٩): «هي خراج ودمل كبير تظهر في الجوف فتقتل صاحبها غالباً، وهي تصغير دبلة. وكل شيء جُمع فقد دُبِلَ» ومثله في مجمع البحار.

والمعنى أن ثمانية من هؤلاء المنافقين يموتون بمرض الدبيلة، فكان الدبيلة تكفي المسلمين عن شرهم. وحاصل جواب عمار ؓ أن النبي ﷺ أخبر بأن بعض المنافقين يبقون بعده ﷺ فيشرون الفتن فيما بين أصحاب النبي ﷺ، فكان عماراً ؓ أشار إلى أن من قام حرباً على علي ؓ، إنما فعل ذلك بتدسيس من هؤلاء المنافقين، وكان علي ؓ على حق، فوجب علينا مؤازرته. والله أعلم.

٦٩٦٧ - (١٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، (وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى)، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ، قَالَ: قُلْنَا لِعَمَّارٍ: أَرَأَيْتَ قِتَالَكُمْ، أَرَأَيْتَ رَأَيْتُمُوهُ؟ فَإِنَّ الرَّأْيَ يُخْطِئُ وَيُصِيبُ. أَوْ عَهْدًا عَهْدَهُ إِلَيْكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: مَا عَهْدَ إِيَّتِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا لَمْ يَعْهْدْهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنْ فِي أُمَّتِي».

قَالَ شُعْبَةُ: وَأَخْبَسِيهِ قَالَ: حَدَّثَنِي حُذَيْفَةُ.

وَقَالَ غُنْدَرٌ: أَرَاهُ قَالَ: «فِي أُمَّتِي اثْنَا عَشَرَ مَنَافِقًا لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَخْرُجُونَ رِيحَهَا، حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ. ثَمَانِيَةٌ مِنْهُمْ تَكْفِيكُهُمُ الدَّبِيلَةَ. سِرَاجٌ مِنَ النَّارِ يَظْهَرُ فِي أَكْتَافِهِمْ. حَتَّى يَنْجَمَ مِنْ صُدُورِهِمْ».

٦٩٦٨ - (١١) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ. حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الْكُوفِيُّ. حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ جُمَيْعٍ. حَدَّثَنَا أَبُو الطَّفِيلِ قَالَ: كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْعَقَبَةِ وَبَيْنَ حُذَيْفَةَ بَعْضُ مَا يَكُونُ

١٠ - (٠٠٠) - قوله: (عن قيس بن عباد) بضم العين وتخفيف الباء، مر ترجمته في مناقب عبد الله بن سلام ﷺ

قوله: (سراج من نار يظهر في أكتافهم) تفسير للدبيلة، يعني: أن دمعاً يظهر في أكتافهم وفيه حمرة وحرارة كأنها سراج من نار. وفي رواية الطبراني المذكورة: «شهاب من نار».

قوله: (ينجم من صدورهم) هو بضم الجيم، بمعنى يظهر ويرتفع.

١١ - (٠٠٠) - قوله: (حدثنا أبو الطفيل) هو عامر بن واثلة ﷺ، آخر من مات من الصحابة، وقد مر ترجمته في كتاب الفضائل، باب كان النبي ﷺ أبيض مليح الوجه. وهذا الحديث أيضاً مما تفرد بإخراجه مسلم فيما بين الأئمة الستة.

قوله: (رجل من أهل العقبة؟) قال النووي: «هذه العقبة ليست العقبة المشهورة بمعنى، التي كانت بها بيعة الأنصار ﷺ، وإنما هذه عقبة على طريق تبوك، اجتمع المنافقون فيها للغدر برسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فعصمه الله منهم».

وتفصيل هذه القصة أخرجه أحمد في مسنده (٥: ٤٥٣) من طريق يزيد (وهو يزيد بن هارون) عن الوليد بن عبد الله بن جميع، عن أبي الطفيل قال: «لما أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أمر منادياً، فنادى أن رسول الله ﷺ أخذ العقبة فلا يأخذها أحد، فيما رسول الله ﷺ يقوده حذيفة ويسوق به عمار إذ أقبل رهط مثلثون عنى الرواحل غشوا عماراً، وهو يسوق برسول الله ﷺ، وأقبل عمار يضرب وجوه الرواحل، فقال رسول الله ﷺ لحذيفة: قد قد، حتى

بَيْنَ النَّاسِ. فَقَالَ: أُنْشِدُكَ بِاللَّهِ، كَمْ كَانَ أَصْحَابُ الْعَقَبَةِ؟ قَالَ: فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ: أَخْبِرْهُ إِذْ سَأَلَكَ. قَالَ: كُنَّا نُخْبِرُ أَنَّهُمْ أَرْبَعَةٌ عَشَرَ، فَإِنْ كُنْتَ مِنْهُمْ فَقَدْ كَانَ الْقَوْمُ خَمْسَةَ عَشَرَ. وَأَشْهَدُ بِاللَّهِ أَنَّ اثْنَيْ عَشَرَ مِنْهُمْ حَرَبَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ.

هبط رسول الله ﷺ. فلما هبط رسول الله ﷺ نزل، ورجع عمار، فقال: يا عمار! هل عرفت القوم؟ فقال: قد عرفت عامة الراجل، والقوم متلثمون. قال: هل تدري ما أرادوا؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: أرادوا أن ينفروا برسول الله ﷺ فيطرحوه ورجال إسناده رجال الصحيح.

وهذا الحديث أخرجه أيضاً الطبراني في الكبير، ومنه نقله الهيثمي في مجمع الزوائد (١): (١١٠) وقال: رجاله ثقات.

فالمراد من (أهل العقبة) هنا: الرجال المتلثمون الذين أرادوا المكور برسول الله ﷺ، والرجل المذكور هنا كان من جملتهم، واسمه ودبة بن ثابت كما ذكره في حديث لجابر رضي الله عنه الطبراني في الكبير بسند فيه الواقدي، ولفظه: «عن جابر، قال: كان بين عمار بن ياسر ودبة بن ثابت كلام، فقال ودبة لعمار: إنما أنت عبد أبي حذيفة بن المغيرة ما أعتقك بعد. قال عمار: كم أصحاب العقبة؟ قال: الله أعلم. قال: أخبرني عن علمك، فسكت ودبة، قال من حضره: أخبره - وإنما أراد عمار أن يخبره أنه كان فيه - قال: كنا نتحدث أنهم أربعة عشر. فقال عمار: فإن كنت فيهم، فإنهم خمسة عشر. فقال ودبة: مهلاً يا أبا اليقظان! أنشدك الله أن تفضحني اليوم. فقال عمار: ما سميت أحداً، ولا أسميه أبداً، ولكنني أشهد أن الخمسة عشر رجلاً: اثنا عشر رجلاً منهم حرب لله ورسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١): (١١٠) وقال: فيه الواقدي وهو ضعيف. وهذه الرواية مذكورة أيضاً في مغازي الواقدي (٣: ١٠٤٤) بتغير في بعض الألفاظ.

ثم إن المذكور في رواية مسلم هنا أن هذا الكلام وقع بين حذيفة ورجل من أهل العقبة، ولكن روايات أحمد والطبراني كلها متفقة على أن ذلك وقع بينه وبين عمار رضي الله عنه، ويمكن الجمع بأن كلا من حذيفة وعمار كان موجوداً حينئذٍ، ويحتمل أيضاً أنه قد وقع من أحد الرواة اشتباه في تسمية الصحابي، فإن قصة العقبة شهد بها كل منهما، فكان أحدهما يقود ناقة رسول الله ﷺ، والآخر يسوقها، والله سبحانه أعلم.

قوله: (أخبره إذ سألك) إنما قالوا له ذلك، لأن الرجل أبي في أول الأمر أن يخبر بذلك، كما ذكرنا عن حديث جابر، وكان حذيفة رضي الله عنه يريد أن يظهر أنه كان من جملة أهل العقبة الذين مكروا برسول الله ﷺ.

قوله: (فإن كنت منهم) هذه مقولة لحذيفة رضي الله عنه، وحذف الراوي من هنا كلمة (قال) أي: قال حذيفة. وهذه الكلمة مصرح بها في روايات أحمد والطبراني.

وَعَدَرُ ثَلَاثَةَ. قَالُوا: مَا سَمِعْنَا مُنَادِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَلَا عَلِمْنَا بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ. وَقَدْ كَانَ فِي حَرَّةٍ فَمَشَى فَقَالَ: «إِنَّ الْمَاءَ قَلِيلٌ. فَلَا يَسْبِقُنِي إِلَيْهِ أَحَدٌ» فَوَجَدَ قَوْمًا قَدْ سَبَقُوهُ. فَلَعَنَهُمْ يَوْمَئِذٍ.

قوله: (وعدر ثلاثة) يعني: من الخمسة عشر من أهل العقبة، لأنهم لم يريدوا شراً، وإنما تبعوا غيرهم بسوء الفهم كما سيأتي.

قوله: (ما سمعنا منادي رسول الله ﷺ) الذي نادى: (أن رسول الله ﷺ أخذ العقبة. فلا يأخذها أحد) كما تقدم من رواية مسند أحمد.

قوله: (ولا علمنا بما أراد القوم) يعني: أننا تبعنا القوم من حيث لا ندري ما غرضهم.

قوله: (وقد كان في حرة فمشى إلخ): هذه قصة أخرى غير قصة العقبة، ذكرها أبو الطفيل ﷺ استطراداً، لأنها تتعلق ببعض المنافقين أيضاً. ولفظ رواية أحمد في مسنده: «قال الوليد: وذكر أبو الطفيل في تلك الغزوة أن رسول الله ﷺ قال للناس وذكر له أن في الماء قلة، فأمر رسول الله ﷺ منادياً، فنادى أن لا يرد الماء أحد قبل رسول الله ﷺ. فورده رسول الله ﷺ فوجد رهطاً قد وردوه قبله، فلعنهم رسول الله ﷺ يومئذ».

ويظهر من روايات أهل السير أن هذه القصة وقعت مرتين، مرة في سفره ﷺ إلى تبوك، وقد مرّت القصة في هذا الكتاب، في باب معجزات النبي ﷺ من كتاب الفضائل (حديث رقم: ٥٩٠١) من حديث معاذ بن جبل ﷺ، حيث قال النبي ﷺ قبل وصوله إلى تبوك بيوم: «إنكم ستأتون غداً - إن شاء الله - عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاءها منكم، فلا يمسن من مائها شيئاً حتى آتي» فسبقه رجلاؤا فسيبهما النبي ﷺ.

والقصة الأخرى وقعت عند رجوعه من تبوك فيما ذكره الواقدي في مغازيه (٣: ١٠٣٩): «وأقبل رسول الله ﷺ قافلاً، حتى إذا كان بين تبوك ووادٍ يقال له وادي الناقة - وكان فيه وشل (أي: ماء قليل) يخرج منه في أسفله قدر ما يُروي الركابين أو الثلاثة - فقال رسول الله ﷺ: من سبقنا إلى ذلك الوشل فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتي. فسبق إليه أربعة من المنافقين: معتب بن قشير، والحارث بن يزيد الطائي، حليف في بني عمرو بن عوف، ووديعة بن ثابت، وزيد بن اللصيت. فقال رسول الله ﷺ: ألم أنهكم؟ ولعنهم ودعا عليهم. ثم نزل فوضع يده في الوشل، ثم مسحه بإصبعه حتى اجتمع في كفه منه ماء قليل، ثم نضحه ثم مسحه بيده، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به، فانخرق الماء».

ولعل المراد في حديث الباب هذه القصة الثانية.

وقوله: (وقد كان في حرة) المراد منه أنه عليه السلام حين أمر الناس بذلك كان في حرة، وهي أرض ذات حجارة سود.

٦٩٦٩ - (١٢) حَدَّثَنَا عَيْنِدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَسِيرِيُّ. حَدَّثَنَا أَبِي. حَدَّثَنَا قُرَّةُ بْنُ خَالِدٍ عَنْ أَبِي الرُّثَيْبِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يَصْعَدُ الثَّنِيَّةَ، ثُبَّةَ الْمَرَارِ، فَإِنَّهُ يَحْطُ عَنْهُ مَا حَطَّ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ».

قَالَ: فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ صَعِدَهَا خَيْلُنَا، خَيْلُ بَنِي الْحَزْرَجِ. ثُمَّ تَتَامُ النَّاسُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَكُلُّكُمْ مَغْفُورٌ لَهُ، إِلَّا صَاحِبَ الْجَمَلِ الْأَحْمَرَ» فَأَتَيْنَاهُ فَقُلْنَا لَهُ: تَعَالِ، يَسْتَغْفِرَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ: وَاللَّهِ، لَأَنْ أَجِدَ ضَالَّتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي صَاحِبُكُمْ.

قَالَ: وَكَانَ رَجُلٌ يَنْشُدُ ضَالَّةً لَهُ.

٦٩٧٠ - (١٣) وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ. حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ. حَدَّثَنَا قُرَّةُ. حَدَّثَنَا أَبُو الرُّثَيْبِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يَصْعَدُ ثُبَّةَ الْمَرَارِ أَوْ الْمَرَارِ، بِمِثْلِ حَدِيثِ مُعَاذٍ. غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: وَإِذَا هُوَ أَغْرَابِيٌّ جَاءَ يَنْشُدُ ضَالَّةً لَهُ.

٦٩٧١ - (١٤) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ. حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ. حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ، (وَهُوَ

١٢ - (٢٧٨٠) - قوله: (عن جابر بن عبد الله) هذا الحديث تفرد بإخراجه المصنف من بين الأئمة الستة.

قوله: (من يصعد الثنية، ثبة المزار، انمرار، يضم الميم: بقله مرة إذا أكنتها الإبل قلصت مشافرها، وثنية المزار ثنية في مهبط الحديبية من أسفل مكة، كما في معجم البلدان للحموي (١٧: ٩٢)، وهي الثنية التي لما سلك فيها رسول الله ﷺ في سفره إلى الحديبية، بركت ناقته، فقال الناس: خلأت القصواء، فقال ﷺ: «ما خلأت، وما هو لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل» ذكره ابن إسحاق، كما في الروض الأنف للسيهلي (٤: ٢٥).

ولعل رسول الله ﷺ كان يريد أن يصعد بعض أصحابه هذه الثنية فيطلع على خيل قريش، فحضر الصحابة على صعودها، وبشر من يصعد بها بأنه سوف تحط ذنوبه.

قوله: (إلا صاحب الجمل الأحمر) قيل: إنه الجد بن قيس المنافق، وهو الذي تخلف عن بيعة الرضوان، فيما ذكره ابن إسحاق، وراجع الروض الأنف للسيهلي (٤: ٢٨)، وجاء في الرواية الآتية: «إِذَا هُوَ أَغْرَابِيٌّ جَاءَ يَنْشُدُ ضَالَّةً لَهُ» والظاهر منه أنه لم يكن في جيش رسول الله ﷺ، وإنما كان تحقهم وهو ينشد ضالته له. فاستنابه رسول الله ﷺ من أصحابه المبشر لهم بالمغفرة.

١٣ - (٢٠٠) - قوله: (أو المزار) شك الراوي في ضم كلمة المزار وفي كسرهما، والراجع: النظم.

ابْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ. قَالَ: كَانَ مِنَّا رَجُلٌ مِنْ بَنِي النَّجَارِ. فَقَدَّرَ الْبَقْرَةَ وَالْإِغْرَمَ. وَكَانَ يَكْتُبُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَأَنْطَلَقَ هَارِباً حَتَّى لَحِقَ بِأَهْلِ الْكِتَابِ. قَالَ: فَرَفَعُوهُ. قَالُوا: هَذَا قَدْ كَانَ يَكْتُبُ لِمُحَمَّدٍ. فَأَعْجَبُوا بِهِ. فَمَا لَبِثَ أَنْ قَصَمَ اللَّهُ عُنُقَهُ فِيهِمْ. فَحَقَرُوا لَهُ قَوَارِزَهُ. فَأَصْبَحَتِ الْأَرْضُ قَدْ تَبَدَّثَتْ عَلَى وَجْهِهَا. ثُمَّ عَادُوا فَحَقَرُوا لَهُ قَوَارِزَهُ. فَأَصْبَحَتِ الْأَرْضُ قَدْ تَبَدَّثَتْ عَلَى وَجْهِهَا. فَتَرَكُوهُ مَبْرُوداً.

٦٩٧٢ - (١٥) حَدَّثَنِي أَبُو كُرَيْبٍ، مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ. حَدَّثَنَا حَفْصُ، (يَعْنِي ابْنَ غِيَاثٍ)، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُوَيْبَانَ، عَنْ جَابِرٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ. فَلَمَّا كَانَ قُرْبَ الْمَدِينَةِ هَاجَتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ تَكَادُ أَنْ تَذْفِنَ الرَّايِبَ. فَرَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بُعِثْتُ هَذِهِ الرِّيحُ لِمَوْتِ مُنَافِقٍ» فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَإِذَا مُنَافِقٌ عَظِيمٌ، مِنَ الْمُنَافِقِينَ، قَدْ مَاتَ.

٦٩٧٣ - (١٦) حَدَّثَنِي عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْعَنْبَرِيُّ. حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ، النَّضْرُ بْنُ

١٤ - (٢٧٨١) - قوله: (عن أنس بن مالك) هذا الحديث أيضاً لم يخرج له أحد من الأئمة الستة غير المصنف رحمه الله، وأخرجه أحمد في مسنده (٣: ٢٢٢) من طريق هاشم عن سليمان بن المغيرة.

قوله: (كان منّا رجل) إلخ: لم أقف على تسميته.

قوله: (رفعهوه) أي: عظموه وأعظموا منزله فيهم.

قوله: (قصم الله عنقه) أي: أهلكه، فمات فيهم، والعياذ بالله العظيم.

قوله: (قوارزه) أي: دفنوه، وهو من الثواراة بمعنى الستر، والحاصل أنهم دفنوه في القبر ثلاث مرّات، فلفظته القبر إلى السطح ولم يقبله، وكان ذلك عذاباً له على ارتداده أو نفاقه، أعاذنا الله تعالى منهما.

١٥ - (٢٧٨٢) - قوله: (عن جابر) هذا الحديث أيضاً مما تفرد بإخراجه مسلم من بين الأئمة الستة، وأخرجه أحمد في مسنده (٣: ٣٤١ و ٣٤٦).

قوله: (قدم من سفر) وفي رواية مسند أحمد من طريق ابن لهيعة: «أنهم غزوا غزوة فيما بين مكة والمدينة».

قوله: (تكاد أن تدفن الراكب) أي: تغيبه عن الناس وتذهب به لشدها.

قوله: (لموت منافق) أي: عقوبة له وعلامة لموته، وراحة البلاد والعباد منه.

مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الْيَمَامِيُّ. حَدَّثَنَا عِكْرَمَةُ. حَدَّثَنَا إِسَاسٌ. حَدَّثَنِي أَبِي. قَالَ: عُدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا مَوْعُوكًا. قَالَ: قَوَّضْتُ يَدِي عَلَيْهِ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ، مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رَجُلًا أَشَدَّ حَرًّا. فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِأَشَدَّ حَرًّا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ هَذَيْنِكَ الرَّجُلَيْنِ الرَّاكِبَيْنِ الْمُقْفَيْنِ» لِرَجُلَيْنِ جِيئَ بِهِمَا مِنْ أَصْحَابِهِ.

٦٩٧٤ - (١٧) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ تَمِيمٍ. حَدَّثَنَا أَبِي. ح. وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ. قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ. ح. وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، (وَاللَّفْظُ لَهُ)، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّهَابِ، (بَعْنِي الثَّقَفِيُّ)، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ. تَعْبُرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً، وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً».

٦٩٧٥ - (١٠١) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ. حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، (بَعْنِي ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَارِي)، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، بِمِثْلِهِ. غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «تَكْرُرُ فِي هَذِهِ مَرَّةً، وَفِي هَذِهِ مَرَّةً».

١٦ - (٢٧٨٣) - قوله: (حدثني أبي) وهو سلمة بن الأكوع، وحديث هذا أيضاً من أفراد مسلم.

قوله: (المقفيين) أي: الموليين أقيينهما منصرفين، والظاهر أنهما كانا من المنافقين.

قوله: (لرجلين جئنا من أصحابه) أي: قال هذا الكلام في رجلين، وسأهما من أصحابه لإظهارهما الإسلام والصحة، لا أنهما ممن نالته فضيلة الصحة.

١٧ - (٢٧٨٤) - قوله: (عن ابن عمر) هذا الحديث أخرجه أيضاً النسائي في الإيمان، باب مثل المنافق (٥٠٣٧).

قوله: (كمثل الشاة العائرة) العائرة: العاردة الحائرة، لا تدري أيهما تتبع، ومعنى (تعير) أي: ترد وتذهب وعارت الدابة: إذا انفلتت وذهبت.

(٥٠٠) - قوله: (تكرر في هذه) بكسر الكاف، أي: نعطف، يقال: كرّ على الشيء، وإليه، أي: عطف عليه، ووقع في بعض النسخ: (تكرر) بالياء بمعنى الجري ورفع الذنب عند الجري وفي بعضها (تكين) بالنون في آخره، وبين الكاف والنون باء موحدة مضمومة وهو بمعنى (تعير).

انتهى شرح كتاب المنافقين قبل العصر من اليوم الخامس من شهر صفر سنة ١٤١٤ هـ بفضل الله تعالى وتوفيقه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

... كتاب: صفة القيامة والجنة والنار

٦٩٧٦ - (١٨) حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْحَاقَ. حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ. حَدَّثَنِي الْمُنْبِيرَةُ، (يَعْنِي الْجَزَائِمِيَّ)، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلَ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ. اقْرَؤُوا: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: ٢١٥].

٦٩٧٧ - (١٩) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ. حَدَّثَنَا قُضَيْلٌ، (يَعْنِي ابْنَ عِيَّاضَ)، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَمِيذَةَ السُّلَمَانِي، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ

كتاب: صفة القيامة والجنة والنار

١٨ - (٢٧٨٥) - قوله: (حدثنا يحيى بن بكير) هو يحيى بن عبد الله بن بكير، نسب إلى جده، وثقة الخليلي وابن قانع، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال النسائي: ضعيف، وقال ابن عدي: كان جاراً لليث بن سعد، وهو أثبت الناس عنه، وعنده عن الليث ما ليس عند أحد. أخرجه له الشيخان وابن ماجه، مات سنة ٢٣١ هـ كذا في التهذيب (١١: ٢٣٨).

قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة الكهف، باب ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾ (٤٧٢٩).

قوله: (الرجل العظيم السمين) وفي رواية لابن مردويه: «الطويل العظيم الأكل الشروب».

قوله: (لا يزن عند الله جناح بعوضة) أي: لا يعدله في القدر والمنزلة، أي: لا قدر له لسوء عمله، والعباد بالله.

قوله: (اقروا) القائل يحتمل أن يكون الصحابي، أو هو مرفوع من بقية الحديث، كذا في فتح الباري.

١٩ - (٢٧٨٦) - قوله: (عن عبد الله بن مسعود) هذا الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة الزمر، باب ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (٤٨١١)، وفي التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لِيَا

قَالَ: جَاءَ خَبْرٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَوْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُنْسِكُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى إصْبَعٍ. وَالْأَرْضِينَ عَلَى إصْبَعٍ. وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إصْبَعٍ. وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إصْبَعٍ. وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إصْبَعٍ. ثُمَّ يَهْزُهُنَّ فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. أَنَا الْمَلِكُ. فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَعَجُّبًا مِمَّا قَالَ الْخَبْرُ. تَصْدِيقًا لَهُ. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ. وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالشَّمُوكُ مَطْوِيَّتَاتٌ بِمِيسِرَةٍ سَبْحَنَتُهُ وَقَعَلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الزمر: ٦٧).

٦٩٧٨ - (٢٠) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ. كِلَاهُمَا عَنْ جَرِيرٍ، عَنْ مَنْصُورٍ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، قَالَ: جَاءَ خَبْرٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ... بِمِثْلِ حَدِيثِ فَضِيلٍ. وَلَمْ يَذْكُرْ: ثُمَّ يَهْزُهُنَّ.

خَلَقْتُ يَدَيَّ ﴿٧٤١٤﴾ (و ٧٤١٥)، وباب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِسِلْكِ الشَّمُوكِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ (٧٤٥١)، وباب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (٧٥١٣)، وأخرجه الترمذي في تفسير سورة الرمز (٣٢٣٩).

قوله: (جاء خبر) بفتح الحاء وبكسرهما، أي: عالم من علماء اليهود.

قوله: (على إصبع) قال النووي: «هذا من أحاديث الصفات، وقد سبق فيها المذهبان: التأويل والإمساك عنه مع الإيمان بها، مع اعتقاده أن الظاهر منها غير مراد. فعلى قول المتأولين يتأولون الأصابع هنا على الاقتدار، أي: خلقها مع عظمها بلا تعب ولا ملل، والناس يذكرون الإصبع في مثل هذا للمبالغة والاحتقار، فيقول أحدهم: بإصبعي أقتل زيداً، أي: لا كلفة عليّ في قتله. وقيل: يحتمل أن المراد أصابع بعض مخلوقاته، وهذا غير ممتنع، والمقصود أن يد الجارحة مشحيلة» وقال ابن فورك: يجوز أن يكون الإصبع خلقاً يخلقه الله تعالى فيحمله الله ما يحمل الإصبع، ويحتمل أن يراد به القدرة والسلطان. كذا في الفتح.

قلت: وقد بسطنا الكلام على مذاهب السلف من أهل السنة في الصفات المتشابهة في كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، وقدمنا أن ترك الخوض في كنه الإصبع أحوط وأسلم وأوفق بمذهب السلف.

قوله: (فضحك رسول الله ﷺ تعجباً) إلخ: فيه رد على الخطابي فيما زعم أن ضحك النبي ﷺ كان إنكاراً لما قال الحبر، حيث قد وقع هنا التصريح بأنه ﷺ ضحك تصديقاً له، وما زعم الخطابي رحمه الله من أن قوله (تصديقاً له) وقع من أحد الرواة على قدر فهمه، بعيد جداً، لأن ظاهر السياق أنه ﷺ صدقه، ولذلك قرأ الآية تصديقاً له. وإنما حمل الخطابي على ذلك مبالغته في نفي التشبيه، وقدمنا أن إصبع الله سبحانه وتعالى ليست جارحة، وإنما هي صفة لا تشابه إصبع المخلوقات.

وَقَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَحِيحًا حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَعْجِبًا لِمَا قَالَ تَضَدِّيقًا لَهُ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ وَتَلَا آيَةَ.

٦٩٧٩ - (٢١) حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ بْنُ غِيَاثٍ. حَدَّثَنَا أَبِي. حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، قَالَ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ يَقُولُ: سَمِعْتُ عَلْقَمَةَ يَقُولُ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، إِنَّ اللَّهَ يُمِيطُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ. وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ. وَالشَّجَرَ وَالشَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ. وَالْخَلَائِقَ عَلَى إِصْبَعٍ. ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. أَنَا الْمَلِكُ. قَالَ: فَرَأَيْتَ النَّبِيَّ ﷺ صَحِيحًا حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.

٦٩٨٠ - (٢٢) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ. قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ. ح وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعَلِيُّ بْنُ حَسْرَمٍ. قَالَا: أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ. ح وَحَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا جَرِيرٌ. كُلُّهُمُ عَنِ الْأَعْمَشِ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِهِمْ جَمِيعًا: وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ. وَالشَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ. وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ: وَالْخَلَائِقَ عَلَى إِصْبَعٍ. وَلَكِنْ فِي حَدِيثِهِ: وَالْجَبَانَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَزَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ: تَضَدِّيقًا لَهُ تَعْجِبًا لِمَا قَالَ.

٦٩٨١ - (٢٣) حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى. أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ. أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ. حَدَّثَنِي ابْنُ الْمُسَيَّبِ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقْبِضُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ. ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. ابْنُ مُلُوكِ الْأَرْضِ؟».

٦٩٨٢ - (٢٤) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ حَمْزَةَ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ. أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

قوله: (حتى بدت نواجذه) النواجد هنا بمعنى الأنبياء، كما في فتح الباري (٨: ٥٥١).

٢٣ - (٢٧٨٧) - قوله: (أن أبا هريرة كان يقول) هذا الحديث أخرجه البخاري في تفسير الزمر، باب ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (٤٨١٢)، وفي الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة (٦٥١٩)، وفي التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿مَلِكُ النَّاسِ﴾ (٧٣٨٢)، وباب قول الله تعالى: ﴿لَا خَلْقَ يَدَيْكَ أَشْكَبَتْ﴾ (٧٤١٣)، وابن ماجه في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية، والكلام فيه مثل الكلام في الحديث السابق.

٢٤ - (٢٧٨٨) - قوله: (أخبرني عبد الله بن عمر) هذا الحديث أخرجه البخاري في

«يَطْوِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى. ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضِينَ بِشِمَالِهِ. ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟».

٦٩٨٣ - (٢٥) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ. حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، (يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ)، حَدَّثَنِي أَبُو حَازِمٍ، عَنْ عُثَيْبِ اللَّهِ بْنِ مِقْسَمٍ؛ أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ كَيْفَ يَحْكِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَأْخُذُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِيهِ بِيَدَيْهِ. فَيَقُولُ: أَنَا اللَّهُ. (وَيَقْبِضُ أَصَابِعَهُ وَيَبْسُطُهَا) أَنَا الْمَلِكُ» حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى الْمُنْتَبِرِ يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلِ شَيْءٍ مِنْهُ. حَتَّى إِثْنِي لَأَقُولُ: أَسَافُطُ هُوَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟.

٦٩٨٤ - (٢٦) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ. حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ. حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ عُثَيْبِ اللَّهِ بْنِ مِقْسَمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمُنْتَبِرِ، وَهُوَ يَقُولُ: «يَأْخُذُ الْجَبَّارُ عَزَّ وَجَلَّ، سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِيهِ بِيَدَيْهِ»، ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ يَعْقُوبَ.

التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَّصْتُ يَدَيَّ﴾ (٧٤١٢)، وأبو داود في السنة، باب الرد على الجهمية (٤٧٣٨)، وابن ماجه في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية (١٨٦)، وفي الزهد، باب ذكر البعث (٤٣٢٩).

قوله: (ويقبض أصابعه ويبسطها) يعني: أن النبي ﷺ كان يقبض أصابعه ويبسطها عند هذا الكلام تفهيماً لقبض هذه المخلوقات وجمعها بعد بسطها، وحكى به المبوط والمقبوض الذي هو السموات والأرض، وليس إشارة إلى القبض والبسط الذي هو صفة القابض والباسط سبحانه وتعالى، لأنه تعالى منزّه عن المثال. ولعل ابن عمر رضي الله عنهما حين حدث هذا الحديث قبض أصابعه وبسطها حكاية لفعل رسول الله ﷺ، ولذلك ذكر ابن مقسم أنه نظر إلى عبد الله بن عمر كيف يحكي رسول الله ﷺ.

قوله: (يتحرك من أسفل شيء منه) أي: من أسفله إلى أعلاه، لأن بحركة الأسفل يتحرك الأعلى، ويحتمل أن تحركه بحركة النبي ﷺ بهذه الإشارة، ويحتمل أن يكون بنفسه هيئة لسمعه، كما حن الجذع. كذا في شرح النووي.

(١) - باب: ابتداء الخلق، وخلق آدم عليه السلام

٦٩٨٥ - (٢٧) حَدَّثَنِي سُرَيْجُ بْنُ يُونُسَ وَهَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ. قَالَا: حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ. قَالَ: قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: أَخْبَرَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ أُمَيَّةَ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَافِعٍ، مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِي فَقَالَ: «اخْلُقَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، الثُّرَيَّةَ يَوْمَ السَّبْتِ. وَاخْلُقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الْأَحَدِ. وَاخْلُقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ. وَاخْلُقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ. وَاخْلُقَ النَّوْرَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ. وَبَثَّ فِيهَا الدُّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ. وَاخْلُقَ آدَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَعْدَ الْمَضَرِّ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ. فِي آخِرِ الْخَلْقِ. فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ. فِيمَا بَيْنَ الْمَضَرِّ إِلَى اللَّيْلِ».

قَالَ إِبْرَاهِيمُ: حَدَّثَنَا الْبُسْطَامِيُّ، (وَهُوَ الْحُسَيْنُ بْنُ عِمْسَى)، وَسَهْلُ بْنُ عَمَّارٍ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ يَسْرٍ حَفْصٍ، وَغَيْرُهُمْ، عَنْ حَجَّاجٍ، بِهَذَا الْحَدِيثِ.

(١) - باب: ابتداء الخلق، وخلق آدم عليه السلام

٢٧ - (٢٧٨٩) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث من أفراد مسلم، وأخرجه أحمد في مسنده (٢: ٣٢٧).

قوله: (وخلق المكروه يوم الثلاثاء) قال الأبي: المراد بالمكروه المؤلم، ولا يلزم من خلقه فيه اختصاص وقوعه فيه. ووقع في كتاب ثابت من رواية النسائي: «وخلق التقن يوم الثلاثاء» قال ثابت: والتقن: ما يقوم به المعاش ويصلح به التدبير، كالحديد وغيره من جواهر الأرض، وكل شيء يقوم به صلاح شيء فهو تقنه، ومنه إقتان الشيء وإحكامه. وقال النووي: لا منافاة بين ما في كتاب مسلم وفي كتاب ثابت، لخلق كل من الأمرين فيه.

قوله: (خلق النور يوم الأربعاء) قال الأبي: «الصحيح في النور أنه جسم. وعلى أنه عرض، فالمراد خلقه في الجسم الذي يقوم به» وقد ورد في كتاب ثابت (النون) بدل (النور)، وبهذا اللفظ رواه بعض الرواة لصحيح مسلم، ومعناه: الحوت، وجمع النوري بينهما بأنه يحتمل أن يكون النور والحوت كلاهما خلقا يوم الأربعاء. وذكر القاضي عياض رواية أخرى (البهحر) بدل النور. والله سبحانه أعلم.

(٢) - باب: في البعث والنشور، وصفة الأرض يوم القيامة

٦٩٨٦ - (٢٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ. حَدَّثَنِي أَبُو حَازِمٍ بْنُ دِينَارٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُخْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ، عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ الثَّقِيِّ، لَيْسَ فِيهَا عِلْمٌ لِأَحَدٍ».

٦٩٨٧ - (٢٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنْ دَاوُدَ، عَنِ

(٢) - باب: في البعث والنشور، وصفة الأرض يوم القيامة

٢٨ - (٢٧٩٠) - قوله: (عن سهل بن سعد) هذا الحديث أخرجه البخاري في الرقاق، باب يقبض الله الأرض (٦٥٢١).

قوله: (أرض بيضاء عفراء) قال الخطابي: العُفر: بياض ليس بالناصع. وقال عياض: العُفر بياض يضرب إلى حمرة قليلاً، ومنه سمي عفر الأرض وهو وجهها.

قوله: (كقُرْصَةِ الثَّقِيِّ) القُرْصَةُ بضم القاف: الرغيف، وهو الخبز الرقيق يُعمل من الدقيق. والثَّقِيُّ: بوزن ولي، الدقيق النقي من الغش والسخال، وتشبيه الأرض بالرغيف من جهة كونه مستوياً، ومن جهة كونه أبيض مشرباً بالحمرة بعد طبخه على النار.

قوله: (ليس فيها علم لأحد) قال عياض: المراد أنها ليس فيها علامة سكنى ولا بناء، ولا أثر ولا شيء من العلامات التي يهتدى بها في الطرقات، كالجبل والصخرة البارزة. وقد وقع في رواية البخاري أن هذا اللفظ مدرج من أحد الرواة، ولفظ البخاري: «قال سهل، أو غيره: ليس فيها معلم لأحد» والمعلم بمعنى العلم. وقال ابن أبي جمرة رحمه الله: «وفيه إشارة إلى أن أرض الموقف أكبر من هذه الأرض الموجودة جداً، والحكمة في المصفة المذكورة أن ذلك اليوم يوم عدل وظهور حق، فاقتضت الحكمة أن يكون المحل الذي يقع فيه ذلك ظاهراً عن عمل المعصية والظلم، وليكون تجليه سبحانه على عباده المؤمنين على أرض تليق بعظمتهم، ولأن الحكم فيه إنما يكون لله وحده. فتناسب أن يكون المحل خالصاً له وحده».

وقد اختلف العلماء في حقيقة أرض الموقف، فذهب بعضهم أنها غير هذه الأرض الموجودة، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدْعَى الْأَرْضُ بِأَرْضِهَا﴾ إبراهيم، آية: ٤٨. وبعض الروايات التي تؤيد هذا المعنى، وحديث الباب يؤيد قولهم. وقال آخرون: أرض الموقف هي هذه الأرض، غير أنها تتغير في صفاتها، وتُمدد الأديم كما وقع في بعض الروايات، وراجع للتفصيل فتح الباري (١١: ٣٧٥ و ٣٧٦).

الشَّعْبِيُّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ. قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ عِزَّ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]. فَأَيُّنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «عَلَى الصُّرَاطِ».

(٣) - باب: نُزُلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ

٦٩٨٨ - (٣٠) حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبٍ بْنُ اللَّيْثِ. حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي. حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً».

٢٩ - (٢٧٩١) - قوله: (عن عائشة) هذا الحديث أخرجه الترمذي في تفسير سورة إبراهيم عليه السلام (٣١٢٠)، وابن ماجه في الزهد، باب ذكر البعث (٤٣٣٣).

قوله: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ عِزَّ الْأَرْضِ﴾ وروى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «تبدل الأرض أرضاً كأنها فضة لم يفسك فيها دم حرام، ولم يعمل عليها خطيئة» أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد والطبراني في تفاسيرهم والبيهقي في الشعب بسند رجاله رجال الصحيح، وأخرجه البيهقي مرفوعاً والموقوف أصح. وللطبري عن أنس مرفوعاً: «يبدلها الله بأرض من فضة لم يعمل عليها الخطايا» ذكره الحافظ في فتح الباري.

قوله: (على الصراط) وأخرج أحمد من حديث أبي أيوب: «أرض كالفضة البيضاء». قيل: فأين الخلق يومئذ؟ قال: هم أضياف الله، لن يعجزهم ما لديه.

والحاصل: أن أحوال الآخرة لا يدرك كنهها بهذه العقول في الدنيا، والسبيل الأسلم الإيمان بما جاء في النصوص الصحيحة، وترك الخوض في تفاصيله، والله سبحانه أعلم بأحوال خلقه.

(٣) - باب: نُزُلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ

٣٠ - (٢٧٩٢) - قوله: (عن أبي سعيد الخدري) هذا الحديث أخرجه البخاري في الرقاق، باب يقبض الله الأرض (٦٥٢٠).

قوله: (تكون الأرض) المراد هنا أرض الدنيا.

قوله: (خبزة واحدة) قال الخطابي: الخبزة: الطلعة (بضم الطاء المهملة) وهو عجين يوضع في الحفرة بعد إيقاد النار فيها. قال: والناس يستمنونها ائمة (بفتح الميم وتشديد اللام)، وإنما الملة: الحفرة نفسها.

يَكْفُوها الْجَبَّارُ بِيَدِهِ. كَمَا يَكْفُو أَحَدَكُمْ خَبِزَتَهُ فِي السَّفَرِ. نَزْلاً لِأَهْلِ الْجَنَّةِ. قَالَ: فَأَتَى رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ. فَقَالَ: بَارَكَ الرَّحْمَنُ عَلَيْكَ، أبا الْقَاسِمِ، أَلَا أَخْبَرُكَ بِنَزْلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟

قوله: (يكفوها الجبار بيده) يَكْفُو، بفتح الفاء معناه: يقلب من يد إلى يد.

قوله: (كما يكفو أحدكم خبزته في السفر) بفتح السين والفاء. قال الخطابي: «يعني: خبز الملة الذي يصنعه المسافر، فإنها لا تُدحى كما تُدحى الرقاقة، وإنما تُقلب على الأيدي حتى تستوي» وقال النووي: «أي: يُعيلها من يد إلى يد حتى تجتمع وتستوي، لأنها ليست منبسطة كالرقاقة ونحوها».

هذا على رواية من روى (السَّفَر) بفتح السين والفاء، ورواه بعضهم (السَّفَر) بضم السين، وهو جمع السُّفرة، وهو الطعام الذي يتخذ للمسافر، ومنه سميت السُّفرة. كذا في فتح الباري (١١: ٣٧٣).

قوله: (نَزْلاً لِأَهْلِ الْجَنَّةِ) النُّزُل، بضم النون والزاي، وقد تسكن: ما يقدم للضيف وللمسكر، يطلق على الرزق وعلى الفضل، ويقال: أصلح للقوم نُزُلهم، أي: ما يصلح أن ينزلوا عليه من الغذاء، وعلى ما يعجل للضيف قبل الطعام، وهو اللائق هنا.

واختلف العلماء في تفسير هذا الحديث، فذهب الأكثرون منهم إلى أنه محمول على الحقيقة، والمراد أن أرض الدنيا كلها تنقلب إلى خبزة واحدة يأكل منها أهل الموقف قبل الحساب، فمعنى كونها نَزْلاً لِأَهْلِ الْجَنَّةِ أنها ضيافة من سيصير إلى الجنة بعد الحساب، فهم يأكلون منها عندما يقفون قبله. وقيل: إنهم يأكلون منها في الموقف، ثم تصير لهم نفس الخبزة نَزْلاً في الجنة.

وحمل بعض العلماء هذا الحديث على المجاز، فقال البيضاوي رحمه الله: «إن هذا الحديث مشكل جداً، لا من جهة إنكار صنع الله وقدرته على ما يشاء، بل لعدم التوقيف على قلب جرم الأرض من الطبع الذي عليه إلى طبع المطعوم والمأكول، مع ما ثبت في الآثار أن هذه الأرض تصير يوم القيامة ناراً، وتنضم إلى جهنم. فلعل الوجه فيه أن معنى قوله: (خبزة واحدة)، أي: كخبزة واحدة من نعمتها كذا وكذا، وهو نظير ما في حديث سهل: كقرصة النقي. فضرب المثل بها لاستدارتها وبياضها، فضرب المثل في هذا الحديث بخبزة تشبه الأرض في معنيين: أحدهما بيان الهيئة التي تكون الأرض عليها يومئذ، والآخر بيان الخبزة التي يهبها الله تعالى نَزْلاً لِأَهْلِ الْجَنَّةِ وبيان عظم مقدارها ابتداعاً واختراعاً نقله الحافظ في الفتح (١١: ٣٧٣)، وبمثل هذا الكلام نقل علي القاري في المرقاة (١٠: ٢٤٨) عن التوريشي.

وتعقب الطيبي في شرحه للمشكاة (١٠: ١٢٩) كلام التوريشي بكلام طويل لم يتضح لي معناه، ويبدو في آخره أنه أيد القول بأن هذا تشبيه، وليس حقيقة. وأيد الحافظ ابن حجر قول

قَالَ: «بَلَى» قَالَ: تَكُونُ الْأَرْضُ حُبْرَةً وَاحِدَةً (كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) قَالَ: فَتَنْظَرُ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ تَوَاجِهُهُ. قَالَ: أَلَا أَخْبِرُكَ بِإِدَامِهِمْ؟ قَالَ: «بَلَى» قَالَ: إِدَامُهُمْ بِالْأَمِّ وَتُونَ. قَالُوا: وَمَا هَذَا؟ قَالَ: تُونَ وَتُونَ. يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةٍ كَيْدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفًا.

٦٩٨٩ - (٣١) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ. حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ. حَدَّثَنَا قُرَّةُ. حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ تَابَعَنِي حَشْرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ، لَمْ يَبْقَ عَلَى ظَهْرِهَا يَهُودِيٌّ إِلَّا أَسْلَمَ».

من حمله على الحقيقة، وقال: «وقدرة الله تعالى صالحة لذلك، بل اعتقاد كونه حقيقة أبلغ، ويستفاد منه أن المؤمنين لا يُعاقبون بالجوع في طول زمان الموقف، بل يقلب الله لهم بقدرته طبع الأرض حتى يأكلوا منها من تحت أقدامهم ما شاء الله بغير علاج ولا كلفة» ولكنه رحمه الله لم يذكر الجواب عما استدل به البيضاوي من الآثار التي تدل على أن هذه الأرض تصير يوم القيامة ناراً، وتنضم إلى جهنم. فالأسلم في مثل هذه المباحث، كما قدّمت، أن نكل حقيقة علمها إلى الله تعالى، ولا نخوض في تفاصيلها، لقصور عقولنا من إدراك أحوال الآخرة، والله سبحانه أعلم.

قوله: (ثم ضحك) تعجباً مما ظهر من تصديق كلامه ﷺ على لسان رجل من اليهود. قوله: (إدامهم بالأم، وتون) أما التون فهو الحوت، وأما (بالأم) فبني معناه أقوال، الصحيح منها ما اختاره المحققون أنها لفظة عبرانية معناها بالعبرانية (ثور) وفسره اليهودي نفسه بذلك، ولو كانت عربية لعرفتھا الصحابة ولم يحتاجوا إلى سؤاله عنها. كذا في شرح النووي، وهو الذي اختاره القاضي عياض والظبي وغيرهما. وتكلف بعض العلماء كالحطّابي، جعل هذه الكلمة عربية، ولكنه لا يخلو من تعسف.

قوله: (يأكل من زائدة كيدهما سبعون ألفاً) قال القاضي عياض: «زيادة الكيد وزائدتها: هي القطعة المنفردة المتعلقة بها، وهي أطيه، ولهذا حُصّ بأكلها السبعون ألفاً، ولعلمهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب، فضّلوا بأطيب النزل. ويحتمل أن يكون عبّر بالسيّمين عن العدد الكثير، ولم يرد الحاصل فيها. وزائدة كيد الحوت ألذّ الأطعمة وأمرؤه، وقد ذكر رسول الله ﷺ أن أول طعام يأكله أهل الجنة زيادة كيد الحوت. قال ذلك جواباً على سؤال عبد الله بن سلام ﷺ. أخرجه البخاري في الأنبياء، باب (إني جاعل في الأرض خليفة).

٣١ - (٢٧٩٣) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في المناقب، باب إتيان اليهود النبي ﷺ حين قدم المدينة (٣٩٤١).

قوله: (لو تابعتني عشرة من اليهود) المراد هنا عشرة مختصة، وإلا فقد آمن به أكثر من

(٤) - باب: سؤال اليهود للنبي ﷺ عن الروح،

وقوله تعالى: ﴿وَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾، الآية

٦٩٩٠ - (٣٢) حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ بْنُ غِيَاثٍ. حَدَّثَنَا أَبِي. حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ. حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرْثٍ، وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى عَصِيْبٍ، إِذْ مَرَّ بِتَقْرِ مِنَ الْيَهُودِ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ.

عشرة. والذي يظهر أنهم كانوا حينئذ رؤساء في اليهود، ومن عداهم كان تبعاً لهم، فلم يسلم منهم إلا القليل، كعبد الله بن سلام، وكان من المشهورين بالرئاسة في اليهود عند قدوم النبي ﷺ من بني النضير: أبو ياسر بن أخطب، وأخوه حُيَيُّ بن أخطب، وكعب بن الأشرف، ورافع بن أبي الحقيق، ومن بني قينقاع: عبد الله بن حنيف، وفنحاص، ورفاعة بن زيد، ومن بني قريظة: الزبير بن باطيا، وكعب بن أسد، وشمويل بن زيد. فهؤلاء لم يثبت إسلام أحد منهم، وكان كل منهم رئيساً في اليهود، ولو أسلم لاتبعه جماعة منهم، فيحتمل أن يكونوا المراد. وقد روى أبو نعيم في الدلائل من وجه آخر الحديث بلفظ: «لو آمن بي الزبير بن باطيا وفخوه من رؤساء يهود، لأسلموا كلهم» كذا في فتح الباري (٧: ٢٧٥).

(٤) - باب: سؤال اليهود للنبي ﷺ عن الروح

٣٢ - (٢٧٩٤) - قوله: (عن عبد الله) يعني: ابن مسعود رضي الله عنه، وحديثه هذا أخرجه البخاري في العلم، باب قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَوْثَقُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٢٥)، وفي تفسير سورة بني إسرائيل، باب ﴿وَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ (٤٧٢١)، وفي الاعتصام، باب ما يكره من كثرة السؤال ومن تكلف ما لا يعنيه (٧٢٩٧)، وفي التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِإِبْرَاهِيمَ الْأَخْرَافِيِّ﴾ (٧٤٥٦)، وباب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ (٧٤٦٢)، وأخرجه الترمذي في تفسير سورة بني إسرائيل (٣١٤٠).

قوله: (في حرت) وفي رواية مسروق الآتية: «في نخل» وفي رواية عبد الواحد عن الأعمش عند البخاري في العلم: «في حَرْثِ المدينة» والمراد منه: موضع خراب غير مسكون، فافاد أن النخل والحرت كانا في موضع خرب بالمدينة المنورة. وفي رواية لابن مردويه من وجه آخر عن الأعمش: «في حرت للأنصار». وهذا يدل على أن قوله تعالى: ﴿وَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ نزل بالمدينة، لكن روى الترمذي عن ابن عباس أن السؤال عن الروح كان من قبل قريش، فلما أن يرجع رواية الشيخين على رواية الترمذي، وإما أن يقال: إن الآية نزلت مرتين، والله سبحانه أعلم.

قوله: (متكى على عصيب) وهي الجريدة التي لا تحوص فيها. وقال ابن فارس: المُبَان من النخل كالتقضب من غيرها. وقال العيني في عمدة القاري (٢: ٢٠٠): «العصيب: جريد

فَقَالُوا: مَا رَأَيْتُمْ إِلَيْهِ؟ لَا يَسْتَقْبِلُكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ. فَقَالُوا: سَلُوهُ. فَقَامَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ فَسَأَلَهُ عَنِ الرُّوحِ. قَالَ: فَأَسْكَتَ النَّبِيُّ ﷺ. فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئاً. فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحِي إِلَيْهِ. قَالَ: فَقُمْتُ مَكَانِي. فَلَمَّا نَزَلَ الْوَحْيُ قَالَ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي

النخل، وهو عود قضبان النخل، كانوا يكشطون خوصها ويتخذونها عصياً، وكانوا يكتبون في طرفه العريض».

قوله: (ما رأيكم إليه؟) رابه: إذا علم منه الريب. والمراد: ما شككم فيه حتى احتجتم إلى سؤاله. وقال الخطابي: الصواب: ما أربكم، بتقديم الهمزة المفتوحة وفتح الباء، والأرب: الحاجة، وهذا واضح المعنى لو ساعدته الرواية، وذكر الحافظ في الفتح أن الطبري رواه بطريق المسعودي عن الأعمش كذلك. ورواية عبد الواحد عند البخاري في العلم: «لا تسأله» وهو أوضح في المعنى المراد.

قوله: (لا يستقبلكم بشيء تكرهونه) وفي رواية عبد الواحد المذكورة: «لا تسأله»، لا يجيء فيه شيء تكرهونه والمقصود أنه يمكن أن يأتيكم في الجواب بما يدل على نبوته، فيكون جوابه حجة عليكم.

قوله: (فسأله عن الروح) قال ابن التين: «اختلف الناس في المراد بالروح المسؤول عنه في هذا الخبر على أقوال: الأول: روح الإنسان، الثاني: روح الحيوان. الثالث: جبريل. الرابع: عيسى عليه السلام» إلى آخر ما قال. والأكثرون على أنهم سأله ﷺ عن حقيقة الروح الذي تقوم به حياة الإنس والجن والحيوان.

قوله: (فأسكت النبي ﷺ) أي: سكت، والإسكات هنا بمعنى السكوت. وإنما سكت انتظاراً للوحي، وهذا يرّد على من قال بتعدد نزول آية الروح، مرة في الجواب عن سؤال قريش، وأخرى في الجواب عن سؤال اليهود، كما قدمنا في وجه التوفيق بين رواية الشيخين ورواية الترمذي، لأنه لو كانت الآية نزلت جواباً على سؤال قريش لما احتاج النبي ﷺ إلى السكوت، ولكن يحتمل أنه حينما سأله اليهود عن ذلك، سكت قليلاً، رجاء أن يأتيه الوحي بمزيد بيان لحقيقة الروح والله أعلم.

قوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: آية: ٨٥] قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله: «والجواب يدل على أنها (أي: الروح) شيء موجود مغاير للطبائع والأخلاق وتركيبها، فهو جوهر بسيط مجرد لا يحدث إلا بمحدث، وهو قوله تعالى: ﴿كُنْ﴾. فكأنه قال: هي موجودة محدثة بأمر الله وتكوينه، ولها تأثير في إفادة الحياة للجسد، ولا يلزم من عدم العلم بكيفيةها المخصوصة نفيه» قال: «ويحتمل أن يكون المراد بالأمر في قوله (من أمر ربي): الفعل، كقوله ﴿وَمَا أَمْرُهُمْ فِي يَدَيْكَ بِرِشْدٍ﴾ [ممد: آية: ٩٧]، أي: فعله، فيكون الجواب: الروح من فعل ربي» ثم

وَمَا أُوتِشَرُ مِنَ الْغَيْبِ إِلَّا قَلِيلًا [الإسراء: ٨٥].

٦٩٩١ - (٣٣) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ. قَالَا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ. ح وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ وَعَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ. قَالَا: أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ. بَلَّاهُمَا عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنْتُ أُمِشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرْبٍ بِالْمَدِينَةِ، يَنْخُو حَدِيثَ حَفْصٍ، غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ وَكِيعٍ: ﴿وَمَا أُوتِشَرُ مِنَ الْغَيْبِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] وَفِي حَدِيثِ عِيسَى بْنِ يُونُسَ: «وَمَا أُوتُوا» مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ خَشْرَمٍ.

٦٩٩٢ - (٣٤) حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ. قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ إِبْرِيَسَ يَقُولُ: سَمِعْتُ الْأَعْمَشَ يَرْوِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُرَّةٍ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ. قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي نَخْلٍ يَتَوَكَّمُ عَلَى عَيْسَبٍ، ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِهِمْ عَنِ الْأَعْمَشِ، وَقَالَ فِي رِوَايَتِهِ: ﴿وَمَا أُوتِشَرُ مِنَ الْغَيْبِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

٦٩٩٣ - (٣٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ، (وَاللَّفْظُ لِعَبْدِ اللَّهِ)، قَالَا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ. حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي الصُّحَيْ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ خَبَّابٍ قَالَ: كَانَ لِي

قال رحمه الله: «وقد سكنت السلف عن البحث في هذه الأشياء والتعمق فيها».

قوله: ﴿وَمَا أُوتِشَرُ مِنَ الْغَيْبِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: آية: ٨٥] فيه إشارة إلى أن علم الإنسان وفهمه قاصر عن إدراك حقيقة الروح، فلا ينبغي الخوض فيها، لأنه اشتغال بما لا طائل تحته. ومع ذلك، فقد تنطع قوم في بيان حقيقة الروح، فتباينت أقوالهم لا نريد التشاغل بها، والله سبحانه أعلم.

٣٣ - (٠٠٠) - قوله: (وفي حديث عيسى بن يونس: ﴿وما أوتوا﴾) ذكر الحافظ أنها قراءة مشهورة عن الأعمش، وقراءة الجمهور: ﴿وما أوتيت﴾.

٣٥ - (٢٧٩٥) - قوله: (عن خباب) يعني: ابن الأرت (بفتحيتين وتاء مشددة) ﷺ، من السابقين الأولين، سبي في الجاهلية فبيع بمكة، فكان مولى أم أنمار الخزاعية، ثم حائف بني زهرة، وروى البارودي أنه أسلم سادس ستة، وهو أول من أظهر إسلامه وعذب عذاباً شديداً لأجل ذلك، ثم شهد المشاهد كلها، وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين جبر بن عتيك، ونزل الكوفة ومات بها سنة ٣٧ هـ ومَرَّ عَلَيَّ بِفَرِّ خَبَابٍ فَقَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ خَبَاباً، أَسْلَمَ رَاغِباً، وَهَاجَرَ طَائِعاً، وَعَاشَ مُجَاهِداً، وَابْتَلَى فِي جِسْمِهِ أَحْوَالاً، وَلَنْ يَضِيعَ اللَّهُ أَجْرَهُ كَذَا فِي الْإِسَابَةِ (١: ٤١٦).

عَلَى الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ دَيْنٌ. فَأَتَيْتُهُ أَنْقَاضَاهُ. فَقَالَ لِي: لَنْ أَقْضِيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ. قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي لَنْ أَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ حَتَّى تَمُوتَ ثُمَّ تُبْعَثَ. قَالَ: وَإِنِّي لَسَمِعُوكَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ؟ فَسَوْتُ أَقْضِيكَ إِذَا رَجَعْتُ إِلَى مَالٍ وَوَلَدٍ.

قَالَ وَكَيْفَ: كَذَا قَالَ الْأَعْمَشُ. قَالَ: فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم: ٧٧].

٦٩٩٤ - (٣٦) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ. حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ. ح وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُسَيْرٍ. حَدَّثَنَا أَبِي. ح وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ. أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ. ح وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ. حَدَّثَنَا

وحديثه هذا أخرجه البخاري في البيوع، باب ذكر القين والحداد (٢٠٩١)، وفي الإجارة، باب هل يؤاجر الرجل نفسه من مشرك في أرض الحرب (٦٢٧٥)، وفي الخصومات، باب التقاضي (٢٤٢٥)، وفي تفسير سورة مريم، باب ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ (٤٧٣٢)، وباب ﴿أَطْلَعَ النَّبِيُّ أَرَأَيْتَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (٤٧٣٣)، وباب ﴿كَأَلَّا سَكَتُكُمَا يَقُولُ وَتَمُودُ لَمْ يَنْ أَلْعَدَابِ مَذَا﴾ (٤٧٣٤)، وباب قوله عز وجل: ﴿وَوَرِثُهُمَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ (٤٧٣٥). وأخرجه الترمذي في تفسير سورة مريم (٣١٦١).

قوله: (علي العاص بن وائل) هو والد عمرو بن العاص رضي الله عنه، وكان له قدر في الجاهلية ولم يوفق للإسلام، وكان من حكام قريش، وكان موته بمكة قبل الهجرة، وروى عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن أبيه أن العاص بن وائل عاش خمساً وثمانين سنة، وأنه ليركب حماراً إلى الطائف، فيمشي عنه أكثر مما يركب. ويقال: إن حماره رماه على شوكة أصابت رجله فانتفخت فمات منها. كذا في فتح الباري (٨: ٤٣٠).

قوله: (دين) وقد وقع في رواية سفيان عن الأعمش عند البخاري في التفسير (رقم ٤٧٣٣): «كنت قنباً بمكة، فعملت للعاص بن وائل السهمي سيفاً، فجئت أنقاضاه» فأفاد أن الدين كان أجرة لخباب لصناعته السيف.

قوله: (لن أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث) مفهوم الغاية ليس مراداً ههنا، فإن مثل هذا الكلام وإن كان تعليقاً في الظاهر، ولكنه في المحاورات نفى مطلق، فكأنه قال: لن أكفر بمحمد ﷺ أبداً. وهذا ظاهر جداً، فلا يرد عليه أنه علق الكفر على البعث، ومن علق الكفر كفر. ثم في تعبيره بالبعث إشارة إلى تعبير العاص بن وائل بأنه لا يؤمن برسول الله ﷺ حتى يموت، والله أعلم.

قوله: (إذا رجعت إلى مال وولد) وفي رواية شعبة عند البخاري في البيوع: «دعني حتى أموت وأبعث فسؤوتي مالاً وولداً، فأقضيتك» قال ذلك استهزاء بعقيدة البعث، وكان من المستهزئين، والعباد بالله.

سُفْيَانُ. كُلُّهُمْ عَنِ الْأَعْمَشِ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، نَحْوَ حَدِيثِ وَكِيعٍ. وَفِي حَدِيثِ جَرِيرٍ: قَالَ: كُنْتُ قَيْنًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فَعَمِلْتُ لِلْعَاصِي بْنِ وَائِلٍ عَمَلًا. فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ.

(٥) - باب: في قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِمُعَذِّبِهِمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣]

٦٩٩٥ - (٣٧) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ. حَدَّثَنَا أَبِي. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ الزُّيَادِيِّ؛ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْبِتْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. فَتَنَزَّلَتْ: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِمُعَذِّبِهِمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِمُعَذِّبِهِمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِمُعَذِّبِهِمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

(٥) - باب: في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِمُعَذِّبِهِمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾

٣٧ - (٢٧٩٩) - قوله: (عن عبد الحميد الزبيدي) هذه نسبة إلى زياد بن أبي سفيان لكونه من ولده، واسمه عبد الحميد بن دينار، ويقال له: عبد الحميد بن كُرَيْدٍ أيضاً، وهو تابعي صغير.

قوله: (سمع أنس بن مالك) هذا الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة الأنفال، باب ﴿وَرَأَوْا قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا﴾ (٤٦٤٨)، وباب ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِمُعَذِّبِهِمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ (٤٦٤٩)، وإسناده مسلم في هذا الحديث أعلى من إسناده البخاري. لأن مسلماً رواه عن عبيد الله بن معاذ بلا واسطة، ورواه البخاري عنه بواسطة أحمد ومحمد ابني النضر.

قوله: (قال أبو جهل) وقد نسب هذا القول إلى غير واحد من الكفار، منهم النضر بن الحارث، كما ثبت في حديث لابن عباس عند الطبراني، ولا تعارض بينهما، فإنه يحتمل أن يكون كل واحد منهم قال ذلك، فخص أبو جهل بالذكر في رواية الشيخين لكونه رئيسهم.

قوله: (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) وأخرج الترمذي (رقم: ٣٠٨٢) عن أبي موسى رضي الله عنه مرفوعاً: «أنزل الله على أمتي أماني» فذكر هذه الآية، ثم قال: «إذا مضيت تركت فيهم الاستغفارة» وهذا يقوي قول من قال إن قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ ضمير الجمع فيه إلى جميع المؤمنين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وبعده. ولكن ذكر الترمذي أن في إسناده إسماعيل بن مهاجر، وهو يضعف في الحديث. وقيل: قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ إشارة إلى ما قبل الهجرة، فكان المانع من نزول العذاب على أهل مكة حينئذ وجود رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم، وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ إشارة إلى ما بعد الهجرة قبل الفتح، وكان المانع من نزول العذاب على أهل مكة إذ ذاك أنه كان يسكنها المؤمنون الذين كانوا يستغفرون الله تعالى. فلما خرجوا من مكة جميعاً أنزل

(٦) - باب: قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾

أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْتَى ﴿٧﴾ (العلق: ٧-٦)

٦٩٩٦ - (٣٨) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الْقَيْسِيُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ، عَنْ أَبِيهِ، حَدَّثَنِي نُعَيْمُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يَعْقُرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِ كُفٍّ؟ قَالَ: فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى، لَئِنْ رَأَيْتُهُ يُفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَّأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأَعْفَرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ. قَالَ: فَاتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، رَعِمَ لِنَظَرٍ عَلَى رَقَبَتِهِ. قَالَ: فَمَا فَجَنَّهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ. قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَحَدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوَلاً وَأَجْنَحَةً.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ دَنَا مِنِّي لَأَخْطَفْتُهُ الْمَلَائِكَةُ غَضَواً غَضَواً».

قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: - لَا تَذَرِي فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَوْ شَيْءٍ بَلَغَهُ -: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾ (٦) أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْتَى ﴿٧﴾ إِنَّ لَكَ رَبَّكَ الرَّحْمَنَ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَكُنْ أَلَدَى بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذَا صَلَّى

الله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعْبُدُوهُمْ وَأَنَّهُمْ صُودِكُ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (الأنعام: ٢٤)، فاذن الله في فتح مكة، وهو العذاب الذي وعدهم الله تعالى. والله سبحانه أعلم.

(٦) - باب: قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾

٣٨ - (٢٧٩٧) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث من أفراد الإمام مسلم، فلم يخرج غيره من الأئمة الستة. وأخرجه أحمد في مسنده (٢: ٣٧٠).

قوله: (هل يعقر محمد وجهه) التفسير: إلصاق شيء بالتراب، وهو مأخوذ من العقر (بفتحين)، وربما تسكن الفاء بمعنى ظاهر التراب، ومراد أبي جهل من التفسير السجود، عبر عنه به استخفافاً للسجود لعنه الله تعالى.

قوله: (فما فجئهم منه) بكسر الجيم وفتحها، يعني: كان قد ذهب يقصد السوء برسول الله ﷺ، ولكنه لم يفاجئهم قومه بعد ذلك إلا في حالة ينكص (بكسر الكاف) فيها على عقبه، أي: يرجع القهقري.

قوله: ﴿أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْتَى﴾ (العلق: آية: ٧) أي: رأى نفسه، واستفتى مفعوله الثاني بتقدير (أن)، لأن (رأى) هنا بمعنى (علم).

قوله: ﴿إِنَّ لَكَ رَبَّكَ الرَّحْمَنَ﴾ (العلق: آية: ٨) أي: المرجع، وهو حاصل مصدر من رجع

يرجع.

﴿١٠﴾ أَرَبَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهَدْيِ ﴿١١﴾ لَوْ أَمَرَ بِالْقَوَى ﴿١٢﴾ أَرَبَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَقَوْلَ (يَعْنِي أَبَا جَهْلٍ) ﴿١٣﴾
 أَلَمْ يَمْلِكْ إِنْ لَمْ يَنْهَ أَنْتَفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْهَ أَنْتَفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَتْ خَائِلَتَهُ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾
 سَدَّعُ الزَّيَّابَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُلْفَعُهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿١٩﴾ ﴿[العلق: ٦-١٩].

رَأَى عُبَيْدُ اللَّهِ فِي حَدِيثِهِ قَالَ: وَأَمَرَهُ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ.

وَرَأَى ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى: فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ، يَعْنِي قَوْمَهُ.

(٧) - باب: الدخان

٦٩٩٧ - (٣٩) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ. أَخْبَرَنَا جَوَيْرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي
 الضُّحَى، عَنْ مَسْرُوقٍ. قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ جُلُوسًا. وَهُوَ مُضْطَجِعٌ بَيْنَنَا. فَأَتَاهُ رَجُلٌ
 فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّ قَاصًّا عِنْدَ أَبْوَابِ كِنْدَةَ يَقْضُ وَيَرْعُمُ، أَنَّ آيَةَ الدُّخَانِ تَجِيءُ
 فَتَأْخُذُ بِأَنْفَاسِ الْكُفَّارِ. وَيَأْخُذُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الرُّكَامِ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ، وَجَلَسَ وَهُوَ

قوله: ﴿لَتَنْفَعَنَّ بِالنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: آية: ١٥] السفع: الجذب بشدة، والنون في آخره خفيفة
 للتأكيد.

قوله: ﴿سَدَّعُ الزَّيَّابَةَ﴾ [العلق: آية: ١٨] الزبانية في أصل اللغة: الشرط وأعوان الولاة،
 قيل: إنه جمع لا واحد له، وقال بعضهم: مفردة زبينة، والمراد هنا: جماعة من الملائكة. أي:
 سندعوه له من جنودنا من لا قبل له بمغالته.

(٧) - باب: الدخان

٣٩ - (٢٧٩٨) - قوله: (عن مسروق) هذا الحديث أخرجه البخاري في الاستسقاء، باب
 دعاء النبي ﷺ: «اجعلها عليهم سنين» (١٠٠٧)، وباب إذا استشفع المشركون بالمسلمين عند
 النقص (١٠٢٠)، وفي تفسير سورة يوسف، باب قال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾ (٤٦٩٣)،
 وفي سورة الفرقان، باب ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ (٤٧٦٧)، وفي سورة الروم، (٤٧٧٤)،
 وسورة ص، باب ﴿وَمَا أَتَانَا مِنْ تَنْكِحِينَ﴾ (٤٨٠٩)، وسورة حم الدخان، باب ﴿فَارْتَبْتَ يَوْمَ تَأْتِي
 السَّمَاءُ بِدُحَانٍ﴾ (٤٨٢٠)، وباب ﴿يَعْنَى النَّاسَ هَذَا عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ (٤٨٢١)، وباب ﴿رَبَّنَا
 اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ (٤٨٢٢)، وباب ﴿إِنَّ هُمْ لِلذَّكْرِى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ (٤٨٢٣)،
 وباب ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّوْا لِحُبُّنَا﴾ (٤٨٢٤)، وباب ﴿يَوْمَ تَطْلُشُ الْأُنْطَقَةُ
 الذَّكْرِى﴾ (٤٨٢٥). وأخرجه الترمذي في تفسير سورة الدخان (٣٢٥١).

قوله: ﴿إِنَّ قَاصًّا عِنْدَ أَبْوَابِ كِنْدَةَ الْقَاصِّ: الواعظ، وأصله في من يقص القصص، فأطلق
 على الواعظ، لأنه يكثر من الاستشهاد بالقصص. و(كندة) باب من أبواب الكوفة.

قوله: (فتأخذ بأنفاس الكفار) وفي رواية البخاري في تفسير سورة الروم: «بينما رجل

عَصَبَانُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللَّهَ. مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ شَيْئًا، فَلْيَقُلْ بِمَا يَعْلَمُ. وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُ أَعْلَمُ. فَإِنَّهُ أَعْلَمُ لِأَحَدِكُمْ أَنْ يَقُولَ، لِمَا لَا يَعْلَمُ: إِنَّهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ (مريم: ١٨٦) إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا رَأَى مِنَ النَّاسِ إِذْبَارًا، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ، سَبِّحْ كَسْبِعَ يُوسُفَ» قَالَ: فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَصَّتْ كُلَّ شَيْءٍ. حَتَّى أَكَلُوا الْجُلُودَ وَالْمَيْتَةَ مِنَ الْجُوعِ. وَنَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ أَخَذَهُمْ فَبَرَزَتْ كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ، فَأَتَاهُ أَبُو سَفْيَانَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ جِئْتَ تَأْمُرُ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَبِصِلَةِ الرَّجَمِ. وَإِنْ قَوْمُكَ قَدْ هَلَكَوا، فَادْعِ اللَّهَ لَهُمْ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يُغشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إِنَّا نَكْرُ عَلَيْكُمْ] (الدخان: ١٠، ١١).

يحدث في كندة، فقال: يحيى دخان يوم القيامة، فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، ويأخذ المؤمن كهيئة الزكام* وحاصل قوله أنه فسر قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾، فذكر أن آية الدخان لم يأت بعد، وإنما ستأتي بقرب من القيامة فتأخذ بأنفاس الكفار، ولا يصيب المؤمنين منها إلا مرض يسير كالزكام.

قوله: (فإنه أعلم لأحدكم أن يقول) إلخ: وفي الرواية الآتية: «أن يقول لما لا علم له به: الله أعلم» وفي رواية البخاري المذكورة «فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: لا أعلم» وهو أوضح. أما قوله هنا (أعلم لأحدكم) فالمراد منه أنه أوفق بمقتضى العلم.

قوله: (وما أنا من المتكلمين) أي: لست ممن يتكلف القول عما لا يعلم.

قوله: (إن رسول الله ﷺ لما رأى من الناس إذباراً) أي: عن الإسلام، وفي الرواية الآتية: «لما كان هذا أن قريشاً لما استعصت على النبي ﷺ» وفي رواية البخاري المذكورة: «وإن قريشاً أبطؤوا عن الإسلام».

قوله: (اللهم سبِّح كسبِعَ يوسف) وفي الرواية الآتية: «دعا عليهم بسنين كسني يوسف» وفي رواية لبخاري: «اللهم أعني عليهم بسبِّح كسبِعَ يوسف» والحاصل أنه ﷺ دعا عليهم بتزول القحط.

قوله: (فأخذتهم سنة حصت كل شيء) السنة: القحط، و (حصت) بفتح الحاء: استأصلت النبات. يقال: سنة حصاء: أي: جذبة قليلة النبات.

قوله: (فبرز كهيئة الدخان) يعني: يُخِيلُ إِلَيْهِ أَنْ هُنَاكَ دُخَانًا يَعْلُو إِلَى السَّمَاءِ، وَذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ، فَإِنَّ مِنْ أَصِيبِ بَانْجُوعِ الشَّدِيدِ فَإِنَّهُ يَشْعُرُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ كَأَنَّهُ دُخَانٌ، وَلَيْسَ دُخَانًا فِي الْحَقِيقَةِ.

قوله: (قال الله عز وجل: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ﴾) إلخ: وحاصل قول ابن مسعود رضي الله عنه

أن المراد من الدخان المذكورة في هذه الآية هو الدخان الذي كان يراه الكفار في شدة الجوع أيام القحط، وأن هذه الآية وجدت في زمن النبي ﷺ، وهذا أحد التفاسير الثلاثة المروية عن السلف في هذه الآية. وبه قال مجاهد، وأبو العالية وإبراهيم النخعي والضحاك وعطية العوفي، وهو اختيار ابن جرير، كما في تفسير ابن كثير ٤: ١٣٨ والتفسير الثاني ذكره القرطبي في تفسيره عن عبد الرحمن الأعرج، وهو أن المراد الغبار الشديد الصاعد إلى السماء من كثرة الفوارس يوم فتح مكة، ولكن قال القرطبي: «هذا القول غريب جداً، بل منكر».

والتفسير الثالث: هو الذي أنكر عليه عبد الله بن مسعود ﷺ في أول الحديث، وهو أن المراد منه دخان يغشى الناس بقرب من القيامة. وهذا التفسير مروى عن علي ﷺ، فأخرج عبد الرزاق وابن أبي حاتم من طريق الحارث عنه، قال: «آية الدخان لم تمض بعد. يأخذ المؤمن كهية الزكام. وينفخ الكافر حتى ينفذ» ويؤيده ما سبأني في كتاب الفتن وأشراف الساعة إن شاء الله تعالى عند المصنف رحمه الله من حديث حذيفة بن أسيد ﷺ، وفيه: «إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، والدخان، والدجاج، ودابة الأرض» إلى آخر الحديث، فقد ذكر فيه الدخان في سياق الآيات التي تظهر بقرب من القيامة. وروى الطبري من حديث ربيع عن حذيفة مرفوعاً في خروج الآيات والدخان: «قال حذيفة: يا رسول الله! وما الدخان؟ فتلا هذه الآية قال: «أما المؤمن فيصيه منه كهية الزكمة، وأما الكافر فيخرج من منخره وأذنه وديره» ذكره الحافظ في الفتح (٨: ٥٧٣)، ثم قال: «وإسناده ضعيف أيضاً، وروى ابن أبي حاتم من حديث أبي سعيد نحوه، وإسناده ضعيف أيضاً، وأخرجه مرفوعاً بإسناد أصلح منه، ولنظيري من حديث أبي مالك الأشعري رفعه: «إن ربكم أنذركم ثلاثاً: الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة، الحديث، ومن حديث ابن عمر نحوه، وإسنادهما ضعيف أيضاً، لكن تضافر هذه الأحاديث يدل على أن لذلك أصلاً، ولو ثبت طريق حديث حذيفة لاحتمل أن يكون هو القاص المراد في حديث ابن مسعود».

قلت: هذه الروايات الكثيرة مؤيدة بحديث حذيفة بن أسيد عند مسلم كما تقدم، ولعل عبد الله بن مسعود ﷺ لم يطلع على هذه الأحاديث، فلذلك أنكر على القاص في تفسيره للدخان.

وقد أطل الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٤: ١٣٩ و ١٤٠) في ترجيح التفسير الثالث على تفسير ابن مسعود ﷺ عنه فإن تفسير ابن مسعود موقوف عليه، وكون الدخان من الآيات المنتظرة قرب القيامة ثابت بحديث مرفوع صحيح، وبعض الأحاديث المرفوعة الضعيفة التي يقوي بعضها بعضاً، ولأنه ظاهر القرآن حيث قال تعالى: ﴿تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾، أي: بين واضح يراه كل أحد. وعلى ما فسرته ابن مسعود ﷺ إنما هو خيال رأوه

قَالَ: أَفَيُكْشَفُ عَذَابُ الْآخِرَةِ؟ ﴿يَوْمَ تَطُشُ الْبَلْطَةُ الْكَثْرَىٰ إِنَّا مُنْقِمُونَ﴾ [الدخان: ١١]

١١٦

في أعينهم من شدة الجوع والجهد، وهكذا قوله تعالى: ﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾، أي: يتغشاهم ويغصمهم، ولو كان أمراً خيالياً يخص أهل مكة المشركين، لما قيل فيه: يغشى الناس.

وجمع بعض العلماء بين التفسيرين، فقال العيني في عمدة القاري (٣: ٤٣٣) «وقال ابن دحية: الذي يقتضيه النظر الصحيح حمل أمر الدخان على قضيتين إحداهما وقعت وكانت، والأخرى ستقع، ويؤيده ما ذكره السفاريني في البحور الزاخرة عن ابن مسعود قال: «هما دخانان، مضى واحد، والذي بقي يعلأ ما بين السماء والأرض، ولا يصيب المؤمن إلا بالزكمة، وأما الكافر، فيشق مسامعه» ذكره الآلوسي في روح المعاني (٢٥: ١١٨) لكن قال في آخره: لا أظن صحة هذه الرواية عنه.

ولو لم تثبت هذه الرواية عن ابن مسعود رضي الله عنه، فلا يبعد أن يكون في ألفاظ القرآن الكريم إشارة إلى كلا الدخانين، فمرة رآه المشركون في مكة زمن القحط، وكان أمراً خيالياً، وأخرى سوف يظهر بقرب من القيامة، والله أعلم.

قوله: (قال: أفيكشف عذاب الآخرة؟) هذا استدلال من ابن مسعود رضي الله عنه على صحة تفسيره وبطلان تفسير القاص، وحاصله أن الله تعالى قال: ﴿وَنَبِّأْكَ كَيْفَ عَذَابُ الْعَذَابِ إِنَّا مُنْقِمُونَ﴾ [١١] أَنَّ لَهُمُ الْذِكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّوْا خُبْرًا ﴿١٣﴾ إِنَّا كَايِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَنْهُمْ عَاهِدُونَ ﴿١٤﴾ يَوْمَ تَطُشُ الْبَلْطَةُ الْكَثْرَىٰ إِنَّا مُنْقِمُونَ﴾ [الدخان، الآيات: ١٠-١٦] ويدل سياق الآية في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَايِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا﴾ أن الله تعالى كشف عنهم عذاب الدخان، فيقول ابن مسعود رضي الله عنه: لو كان الدخان من عذاب الآخرة لم يكشف لأن عذاب الآخرة لا يكشف عن الكفار.

وقد أجاب الحافظ ابن كثير عن هذا الاستدلال بأن: «قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَايِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا﴾...» يحتمل معنيين: أحدهما أنه يقول تعالى: «ولو كشفنا عنكم العذاب ورجعناكم إلى الدار الدنيا لعدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والتكذيب، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَفَفْنَا مَا فِيهِمْ مِن شَرٍّ لَّآخَرُوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [المؤمنون، آية: ٧٥]... والثاني: أن يكون المراد: «إنا مؤخروا العذاب عنكم قليلاً بعد انعقاد أسبابه ووصوله إليكم وأنتم مستمرون فيما أنتم فيه من الطغيان والضلال». ولا يلزم من الكشف عنهم أن يكون باشرهم، كقوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْمٌ يَبْوءُونَ﴾ [نعم، آية: ٩٨]. ولم يكن العذاب باشرهم، بل كان قد انعقد سببه عليهم. ولا يلزم أيضاً أن يكونوا قد أفنعوا عن كفرهم

فَالْبَطْشَةُ يَوْمَ بَدْرٍ. وَقَدْ مَضَتْ آيَةُ الدُّخَانِ، وَالْبَطْشَةُ، وَاللِّزَامُ، وَآيَةُ الرُّومِ.

٦٩٩٨ - (٤٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ وَوَكَيْعٌ. ح وَحَدَّثَنِي أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ. أَخْبَرَنَا وَكَيْعٌ. ح وَحَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا جَرِيرٌ. كُلُّهُمْ عَنْ الْأَعْمَشِ. ح وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَأَبُو كُرَيْبٍ، (وَاللَّفْظُ لِيَحْيَى)، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ صُبَيْحٍ، عَنْ مُسْرُوقٍ. قَالَ: جَاءَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ رَجُلٌ فَقَالَ: تَرَكْتُ فِي الْمَسْجِدِ رَجُلًا يُفَسِّرُ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ. يُفَسِّرُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَوْمَ نَأْتِي السَّمَاءَ بِدُخَانٍ تُبِينُ﴾ [الدخان: ١٠]. قَالَ: يَأْتِي النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ دُخَانٌ قَبِيحٌ خُذُوا بِأَنْفُسِهِمْ. حَتَّى يَأْخُذَهُمْ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكَّامِ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: مَنْ عَلِمَ عِلْمًا فَلْيُثَلِّبْ بِهِ. وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيُثَلِّبْ: اللَّهُ أَعْلَمُ. فَإِنَّ مِنْ فِعْلِ الرَّجُلِ أَنْ يَقُولَ، لِمَا لَا يَعْلَمُ لَهُ بِهِ: اللَّهُ أَعْلَمُ. إِنَّمَا كَانَ هَذَا، أَنْ قُرِئَ لَمَّا اسْتَعْصَمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، دَعَا عَلَيْهِمْ بِسَبْعِينَ كِسْفًا يُوَسِّفُ. فَأَصَابَهُمْ فَخَطَّ

ثم عادوا إليه. قال الله تعالى إخباراً عن شعيب عليهم السلام أنه قال لقومه حين قالوا: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ بِشِمِثٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَاهِنِينَ قَدْ أَفْرَأْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّ عِدَّتَنَا فِي مِثْلِكُمْ بِمَدِّ إِذْ جَعَلْنَا اللَّهُ مِثْلًا﴾ [الأعراف، الأبنان: ٨٨ - ٨٩]. وشعيب عليه السلام لم يكن نفاذاً على ملتهم وطريقتهم، وقال قتادة: إنكم عائدون إلى عذاب الله والله سبحانه أعلم.

قوله: (فالبطشة يوم بدر) كذا فسره ابن مسعود ﷺ أن المراد من (البطشة الكبرى) في الآية يوم بدر، وقد روي ذلك عن ابن عباس من طريق عطية العوفي وأبي بن كعب أيضاً، وهو محتمل، ولكن روى ابن جرير من طريق عكرمة عن ابن عباس أنه قال: «قال ابن مسعود: البطشة الكبرى يوم بدر، وأنا أقول هي يوم القيامة» ذكره الحافظ ابن كثير، ثم قال: «وهذا إسناد صحيح عنه (أي: عن ابن عباس) وبه يقول الحسن البصري وعكرمة في أصح الروايتين عنه، والله أعلم.

قوله: (واللزام، وآية الرُّوم) أما اللزام، فإشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفرقان: ٤٧]، أي: يكون عذابهم لازماً ففسره ابن مسعود ﷺ بما جرى عليهم من العذاب يوم بدر، فقال: إن هذه الآية مضت، أي: وقعت يوم بدر. والمفسرون الآخرون فسروا اللزام أيضاً بعذاب الآخرة. وأما آية الرُّوم، فالمراد منها قوله تعالى: ﴿عَلَيْتِ الرُّومُ ۝ فِي الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِيظٍ مَكِيدُونَ ۝﴾ في بضع سنين. [الرُّوم، الآيات: ٢ - ٤]. ولا شك أن هذه الآية وقعت أيام بدر، حيث انهزم أهل فارس، وغلب عليهم أهل الروم.

٤٠ - (٥٠٠) - قوله: (عن مسلم بن صبيح) بضم الصاد مصغراً، كما في التفرغ، وكنيته أبو الضحى. وقد مرت ترجمته.

وَجَهْدُ. حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ مِنَ الْجَهْدِ وَحَتَّى أَكَلُوا الْعِظَامَ. فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِمُضَرٍّ فَإِنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا. فَقَالَ: «لِمُضَرٍّ؟ إِنَّكَ لَجَرِيءٌ» قَالَ: فَدَعَا اللَّهَ لَهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا كَايِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ [الدخان: ١٥] قَالَ: فَمُطِرُوا. فَلَمَّا أَصَابَتْهُمْ الرَّفَاجِيَّةُ، قَالَ: عَادُوا إِلَيَّ مَا كَانُوا عَلَيْهِ. قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ [الدخان: ١٦] يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ [الدخان: ١٧] ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ الْبُطْشَةُ الْكُبْرَىٰ﴾ [الدخان: ١٨] قَالَ: يَعْنِي يَوْمَ يَذُرُ.

٦٩٩٩ - (٤١) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي الصُّحَيْ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: خُمُسٌ قَدْ مَضَى: الدُّخَانُ، وَاللَّزَامُ، وَالرُّومُ، وَالْبُطْشَةُ، وَالْقَمَرُ.

قوله: (وجهه) بفتح الجيم بمعنى المشقة، ويضم الجيم معناه الجدة.

قوله: (فقال: لمضر؟ إنك لجريء) أي: أأمرني أن استغفر لمضر مع ما هم عليه من الإشرار والمعصية؟ وإن استدعاءك هذا جراءة كبيرة. ثم وقع في نسخ مسلم: (استغفر الله لمضر) وفي رواية البخاري (استسق الله لمضر فإنها قد هلكت) ورجح بعض العلماء رواية البخاري من جهة أن الكفار لا يستغفر لهم، نعم يطلب لهم السقيا، وتعقبه النووي بأنه يمكن أن يكون المراد طلب المغفرة لهم من جهة أن يقبلوا الهداية. ورجح الأبي رواية مسلم، على أن السائل طلب منه عليه السلام الاستغفار لمضر، ولذلك استعظمه رسول الله ﷺ وأنكر عليه، لأن الكفار لا يستغفر لهم، فعدل من دعاء المغفرة إلى دعاء السقيا، فمطروا، وهذا أوجه. وإنما خصص (مضر) بالذكر لأن غالبهم كان بالقرب من مياه الحجاز، وكان الدعاء بالقحط لقريش، وهم سكان مكة، فسرى القحط إلى من حولهم، فحسُن أن يطلب الدعاء لهم. ولعل السائل عدل عن التعبير بقريش لئلا يذكرهم فيذكر مجرمهم، فقال (لمضر) ليندرجوا فيهم كذا في فتح الباري (٨: ٥٧٢).

قوله: (فأنزل الله) ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ [الدخان: ١٧] ظاهر هذا الترتيب أن قوله تعالى ﴿يَا كَايِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا﴾ نزل قبل قوله تعالى ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ [الدخان: ١٥]، على خلاف الترتيب الموجود في القرآن، ويحتمل أن يكون المراد أن قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ الْبُطْشَةُ الْكُبْرَىٰ﴾ [الدخان: ١٦] نزل بعد عودهم إلى العصيان، فجاء ابن مسعود رضي الله عنه بقوله تعالى ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ﴾ إلخ توطئة، ولم أر من الشراح من تنبه لهذا، والله سبحانه أعلم.

٤١ - (٠٠٠) - قوله: (والقمر) أي: آية انشقاق القمر التي أشار الله تعالى إليها في قوله: ﴿اتَّقِرْبِ السَّاعَةَ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

٧٠٠١ - (١٠٠) حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ . حَدَّثَنَا وَكِيعٌ . حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ ، مِثْلَهُ .

٧٠٠١ - (٤٢) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ . قَالَا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ . حَدَّثَنَا شُعْبَةُ . ح وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، (وَاللَّفْظُ لَهُ) ، حَدَّثَنَا عُثْدَرٌ ، عَنْ شُعْبَةَ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ عَزْرَةَ ، عَنِ الْحَسَنِ الْعُرَيْبِيِّ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ الْجَزَّارِ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي ثَيْلَانَ ، عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ ، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ﴾ [الحجرات: ٢١] قَالَ : مَصَائِبُ الدُّنْيَا ، وَالرُّومُ ، وَالْبَطْنَةُ ، أَوْ الدُّخَانُ (شُعْبَةُ الشَّالُ فِي الْبَطْنَةِ أَوْ الدُّخَانِ) .

(٨) - باب: انشقاق القمر

٧٠٠٢ - (٤٣) حَدَّثَنَا عَمْرُو الشَّاقِدِ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ . قَالَا : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، عَنْ أَبِي مُعْمَرٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمِثْقَتَيْنِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «اشْهَدُوا» .

٤٢ - (٢٧٩٩) - قوله : (عن أبي بن كعب) هذا الحديث ثم يخرجُه أحد من الأئمة السنة غير المصنف رحمه الله .

(٨) - باب: انشقاق القمر

٤٣ - (٢٨٠٠) - قوله : (عن عبد الله) يعني : ابن مسعود ﷺ . وهذا الحديث أخرجه البخاري في المناقب ، باب سؤال المشركين أن يُريهم النبي ﷺ آية ، فأراهم انشقاق القمر (٣٦٣٦) ، وباب انشقاق القمر (٣٨٦٩ و ٣٨٧١) ، وفي تفسير سورة ﴿ أَفَرَأَيْتِ أَنْشَأَهُ ﴾ (٤٨٦٤) . وأخرجه الترمذي في تفسير سورة القمر (٣٢٨١ و ٣٢٨٣) .

قوله : (انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ) وقد أخرج أبو نعيم سبب ذلك بسند ضعيف ، ونفذه في دلائل النبوة له (١ : ٣٦٨) (رقم : ٢٠٩) : «قال ابن عباس : اجتمعت المشركون إلى رسول الله ﷺ ، منهم الوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام ، والأسود بن عبد يغوث ، والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ، وزمعة بن الأسود ، والنضر بن الحارث ، ونظراؤهم كثير ، فقالوا للنبي ﷺ : إن كنت صادقاً فشق القمر لنا فرقتين ، نصفاً على أبي قبيس ، ونصفاً على قبيصعان . فقال لهم رسول الله ﷺ : إن فعلت تزنموا؟ قالوا : نعم ، وكانت ليلة بدر ، فسأل رسول الله ﷺ أن يعطيه ما سألوا . فأمسى القمر قد مثل نصفاً على أبي قبيس ، ونصفاً على قبيصعان ، ورسول الله ﷺ ينادي : يا أبا سلمة بن عبد الأسد ، والأرقم بن أبي الأرقم ! اشهنوا» .

٧٠٠٣ - (٤٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، جَمِيعًا عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ، ح وَحَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ بْنُ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، كِلَاهُمَا عَنْ الْأَعْمَشِ، ح وَحَدَّثَنَا مِنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ الثَّمِيمِيُّ، (وَاللَّفْظُ لَهُ)، أَخْبَرَنَا ابْنُ مُسْهِرٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: يَنْتَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمِنًى، إِذَا انْقَلَبَ الْقَمَرُ فَلِقَتَيْنِ. فَكَانَتْ فَلَقَةً وَرَاءَ الْجَبَلِ، وَفَلَقَةً ذُوْنَهُ. فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اشْهَدُوا».

قوله: (شقتين) بكسر الشين وتشديد القاف، أي: نصفين. وفي رواية شعبة الآتية بعد ست روايات: «فرقتين».

٤٤ - (٥٠٠) - قوله: (مع رسول الله ﷺ بمنى) قال الحافظ في فتح الباري (٧: ١٨٣): «وهذا لا يعارض قول أنس (الآتي) أن ذلك كان بمكة، لأنه لم يصرح بأن النبي ﷺ كان ليلة إذ بمكة. وعلى تقدير تصريحه، فمضى من جملة مكة فلا تعارض. وقد وقع عند الطبراني من طريق زر بن حبيش عن ابن مسعود قال: انشق القمر بمكة فرأينه فرقتين. وهو محمول على ما ذكرته، وكذا وقع في غير هذه الرواية. وقد وقع عن ابن مردويه بيان المراد. فأخرج من وجه آخر عن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ ونحن بمكة قبل أن نصير إلى المدينة. فوضح أن مراده بذكر مكة الإشارة إلى أن ذلك وقع قبل الهجرة. ويجوز أن ذلك وقع، وهم ليلة إذ بمنى».

قوله: (فكانت فَلَقَةً وراء الجبل) إلخ: الفلقة، بكسر الفاء بمعنى القطعة. وأخرج البيهقي في دلائل النبوة (٢: ٢٦٥) من طريق مجاهد، عن أبي معمر، عن عبد الله بن مسعود قال: رأيت القمر منشقاً شقتين مرتين بمكة قبل مخرج النبي ﷺ، شقة على أبي قبيس، وشقة على السويداء، والسويداء ناحية خارج مكة عندها جبل. ورأيت على أبي قبيس لا ينافي كون عبد الله بن مسعود ﷺ بمنى، لإمكان أن يكون على مكان مرتفع بمنى بحيث رأى طرف جبل أبي قبيس.

وقال الحافظ: «والذي يقتضيه غالب الروايات أن الانشقاق كان قرب غرويه، (أي: القمر) ويؤيد ذلك إسنادهم الرؤية إلى جهة الجبل. ويحتمل أن يكون الانشقاق وقع أول طلوعه، فإن في بعض الروايات أن ذلك كان ليلة البدر، أو التعبير بأبي قبيس من تغيير بعض الرواة، لأن الغرض ثبوت رؤيته منشقاً إحدى الشقتين على جبل، والأخرى على جبل آخر» وقد وقع في حديث لأنس ﷺ عند البخاري في المناقب (رقم: ٣٨٦٨): «فأراهم القمر شقتين، حتى رأوا حراء بينهما». وهذا لا ينافي ما سبق، فيمكن أن يكون أحد الشقين على أبي قبيس، والآخر على السويداء، ويكون حراء بينهما. ولا يخفى أن موضع القمر في السماء يتفاوت بتفاوت أمكنة الناظرين إليه.

٧٠٠٤ - (٤٥) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَقَّتَيْنِ. فَسَرَّ الْجَبَلُ فَلَقَةً. وَكَانَتْ فُلُقَةً فَوْقَ الْجَبَلِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ».

٧٠٠٥ - (١٠٠) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، مِثْلَ ذَلِكَ.

٧٠٠٦ - (١٠١) وَحَدَّثَنِيهِ بِشَرِّ بْنِ خَالِدٍ. أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، بِإِسْنَادِ ابْنِ مُعَاذٍ، عَنْ شُعْبَةَ، نَحْوَ حَدِيثِهِ. غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ ابْنِ أَبِي عَدِيٍّ: فَقَالَ «اشْهَدُوا، اشْهَدُوا».

٧٠٠٧ - (٤٦) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، حَدَّثَنَا قَنَادَةُ، عَنْ أَنَسٍ؛ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً. فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ، مَرَّتَيْنِ.

قوله: (اشْهَدُوا) أشهد رسول الله ﷺ من حوله على وفوق هذه المعجزة، ليكون حجة على من ينكرها. وأخرج البيهقي في الدلائل (٢: ٢٦٦) من طريق أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود، قال: «انْشَقَّ الْقَمَرُ بِمَكَّةَ حَتَّى صَارَ فَرَقَتَيْنِ، فَقَالَ كَفَّارُ أَهْلِ مَكَّةَ: هَذَا سِحْرٌ يَسْحَرُكُمْ بِهِ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ انْظُرُوا إِلَى السُّفَارِ (أي: المسافرين) فَإِنْ كَانُوا رَأَوْا مَا رَأَيْتُمْ فَقَدْ صَدَقَ، وَإِنْ كَانُوا لَمْ يَرَوْا مَا رَأَيْتُمْ فَهُوَ سِحْرٌ سَحَرَكُمْ بِهِ. قَالَ: فَسُئِلَ السُّفَارُ. قَالَ: وَفَدَمُوا مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، فَقَالُوا: رَأَيْنَا» وقد أخرج البخاري (رقم: ٣٨٦٩) طرفاً من هذا الحديث.

وأخرج الترمذي في تفسير سورة القمر (رقم: ٣٢٨٩) عن جبير بن مطعم قال: «انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى صَارَ فَرَقَتَيْنِ: عَلَى هَذَا الْجَبَلِ وَعَلَى هَذَا الْجَبَلِ، فَقَالُوا: سَحَرَنَا مُحَمَّدٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَنْ كَانَ سَحَرَنَا مَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْحَرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ».

(٢٨٠١) - قوله: (عن ابن عمر) هذا الحديث أخرجه الترمذي في تفسير سورة القمر (٣٢٨٤).

٤٦ - (٢٨٠٢) - قوله: (عن أنس) هذا الحديث أخرجه البخاري في المناقب، باب سؤال المشركين أن يُريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر (٣٦٣٧)، وباب انشقاق القمر (٣٨٦٨)، وفي تفسير سورة اقتربت الساعة، باب انشق القمر (٤٨٦٧ و ٤٨٦٨). وأخرجه الترمذي في تفسير سورة القمر (٣٢٨٢).

قوله: (فأراهم انشقاق القمر مرتين) ظاهره أن قصة انشقاق القمر وقعت مرتين، وذلك

٧٠٠٨ - (٠٠٠) وَحَدَّثَنِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ. حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ. أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، بِمَعْنَى حَدِيثِ شَيْبَانَ.

٧٠٠٩ - (٤٧) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى. حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ وَأَبُو دَاوُدَ. ح وَحَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ. حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ وَأَبُو دَاوُدَ. كُلُّهُمْ عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ. قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ فِرْقَتَيْنِ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي دَاوُدَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

٧٠١٠ - (٤٨) حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ قُرَيْشٍ التَّمِيمِيُّ. حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ بَكْرِ بْنِ مُضَرٍّ. حَدَّثَنِي أَبِي. حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ رَبِيعَةَ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ عُثَيْبِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثَيْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنَّ الْقَمَرَ انْشَقَّ عَلَى زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

مخالف لما أطبق عليه أصحاب السير أن هذه المعجزة وقعت مرة فقط. وأغرب الحافظ أبو الفضل، كما نقل عنه الحافظ ابن حجر فقال: انشق القمر مرتين بالإجماع وقد رد عليه المحققون ومال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى إلى أن رواية (مرتين) مرجوحة، والراجع الروايات التي وردت بلفظ: (شقتين)، أو (فرقتين)، أو (فلقتين). وقد اختلف في هذا اللفظ على قتادة، عن أنس، فرواه شعبة (فرقتين) كما سيأتي، ورواه معمر وشيبان (مرتين) وكذلك رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: (مرتين)، ولكن اختلف عن كل من سعيد ومعمر وشيبان، فروي عنهم بلفظ (مرتين) وبغيره، ولم يختلف على شعبة، وهو أحفظهم. كذا قال الحافظ في الفتح. ثم قال: «لم يقع في شيء من طرق حديث ابن مسعود بلفظ: (مرتين)» وهذا تسامح من الحافظ رحمه الله، فإن البيهقي أخرج حديث ابن مسعود في الدلائل بلفظ: «شقتين مرتين» وقد مر لفظه قريباً.

وتكلم ابن القيم على هذه الرواية فقال: «المرات يُراد بها الأفعال تارة، والأعيان أخرى، والأول أكثر. ومن الثاني: (انشق القمر مرتين) وقد خفي على بعض الناس فادعى أن انشقاق القمر وقع مرتين، وهذا مما يعلم أهل الحديث والسير أنه غلط، فإنه لم يقع إلا مرة واحدة».

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «في الرواية التي فيها (مرتين) نظراً، ولعل قائلها أراد فرقتين» وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله بعد نقله: «وهذا الذي لا يتجه غيره جمعاً بين الروايات» والله أعلم.

٤٨ - (٢٨٠٣) - قوله: (عن ابن عباس) هذا الحديث أخرجه البخاري في المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية (٣٦٣٧)، وباب انشقاق القمر (٣٨٧٠)، وفي تفسير سورة القمر (٤٨٦٦).

قوله: (على زمان رسول الله ﷺ) قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: «انشقاق القمر من

أهميات معجزاته ﷺ، رواه عدة من الصحابة، وظاهر الآية وسياقها وما بعده من تمادي قرش على التكذيب يشهد بصحتها لقوله تعالى: ﴿أَقْرَبَ النَّاسُ وَأَشَقُّ الْقَمَرِ﴾ القمر، آية: ١ الآية. قال الزجاج: وأنكرها بعض المبتدعة وضاهى في ذلك بعض مخالفني الملة ممن أعمى الله سبحانه بصيرته، وليس في ذلك ما ينكره العقل، لأن القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه ما يشاء، كما يقنيه ويكوره في آخر الزمان.

قال: «وأما الملاحدة، فاحتجوا بأنه لو وقع نُقْل متواتراً، واشترك أهل الأرض برؤيته ولم يختص بها طائفة من أهل مكة. وهذا لا حجة فيه لأن انشقاقه كان ليلاً ومعظم الناس نيام والأبواب مغلقة، وهم مغشون بشياهم، وقل من ينظر إلى السماء. ومن المعتاد أن الخسوف وغيره من العجائب والأنوار الطالعة والشهب لا يعلمها إلا قليل. وأيضاً، فإن انشقاقه آية وضعت ليلاً تقوم اقترحوها، فلم يتأهب غيرهم لها، وقد يكون القمر إذ ذاك في مجرى يظهر في أفق دون أفق، كما يرى الكسوف قوم دون قوم، ويكون عند قوم في الجميع وعند قوم في البعض، وكل ذلك بحسب القرب والبعد وارتفاع الدرج وانخفاضه في الطول عن خط الاستواء والعرض» كذا في شرح الأبي.

وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٦: ٧٧): «فإن قيل لم يعرف هذا في جميع أقطار الأرض؟ فالجواب: ومن ينفي ذلك؟ ولكن تناول العهد والكفرة يجحدون بآيات الله، فلعلهم لما أخبروا أن هذا كان آية لهذا النبي العيص تداعت آراؤهم الفاسدة على كتمانها وتناسيها».

قال العبد الضعيف عفا الله عنه: إن الزمان الذي ظهرت فيه معجزة انشقاق القمر لم يكن زمان تأليف الكتب وتدوين الوقائع والتواريخ كما تعرف في زماننا، وكانت معظم البلاد في جهة الغرب من الحجاز متفرقة في الجهل بعيدة عن العلم وآثار الحضارة. والبلاد التي تقع في شرق الجزيرة العربية، كالهند، تتقدم على الجزيرة العربية في الوقت بساعتين أو ثلاث، فلا يبعد أن يكون قد انتصف الليل فيها عندما انشق القمر بمكة، وكان ذلك وقت النوم والراحة. ومع ذلك فقد يوجد ذكر في بعض تواريخ الهند أن بعض الهنود شاهدوا انشقاق القمر. فقد جاء في تاريخ فرشته (وهو من التواريخ المعروفة لبلاد الهند) أن جماعة من العرب المسلمين توجهت في أوائل القرن الثالث الهجري إلى جزيرة سرنديب، فرماهم الهواء إلى مليبار (منطقة في جنوب الهند) فدخلوا مدينة اسمها (كدنكلور) وكان حاكمها اسمه (سامري) وكان متصفاً بالعلم والعقل والخلق الحسن، فاستقبلهم. ولما سألهم عن دينهم أخبروه عن الإسلام وعن رسالة سيدنا محمد ﷺ، وجرى الحديث بينهم حتى ذكروا له أنه قد ظهرت على يديه ﷺ معجزة انشقاق القمر، فتحير الحاكم وطلب دفاتر أجداده التي تسجل فيها أهم الوقائع، وأمر أصحابه أن ينظروا

(٩) - باب : لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل

٧٠١١ - (٤٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ . حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ وَأَبُو أُسَامَةَ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيِّ ، عَنْ أَبِي مُوسَى . قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَا أَحَدٌ أَصْبِرُ عَلَى أَذَى يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . إِنَّهُ يُشْرِكُ بِهِ ، وَيَجْعَلُ لَهُ الْوَلَدَ ، ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ» .

فيها هل يوجد فيها ذكر لانشقاق القمر ، فقلبيوا الدفاتر حتى وجدوا في أحوال ليلة من الليالي ، أن في هذه الليلة انشق القمر قطعتين ، ثم عاد إلى هيئته الأصلية . فلما رآه الحاكم ثم يثبت أن آمن برسالة سيدنا محمد ﷺ ، وكان أول حاكم تشرف بالإسلام في مليبار (راجع تاريخ فرشته اردو ، المقالة الحادية عشر في حكام مليبار ص : ٤٨٨ و ٤٨٩ ، ج : ٢) .

وقد ذكر الشيخ غلام محمد الرانديري في حاشية ترجمته الكجراتية لكتاب (إظهار الحق) - وهو أحسن كتاب في الرد على النصرانية - للشيخ رحمة الله انكيرانوي رحمه الله ، أن انشقاق القمر يوجد له ذكر في كتاب الهندو المعروف باسم (مهابهارت) (راجع الترجمة الإنكليزية لإظهار الحق ٢ : ١٤٥) والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقد ذكر الشيخ رحمة الله الهندي رحمه الله في كتابه (إظهار الحق) (٤ : ١٠٤٠ من طبع الرياض) عن المحافظ المزني وابن تيمية رحمه الله أنه ذكر عن أحد المسافرين أنه رأى في الهند بناء قديماً كان مكتوباً عليه أنه بني ليلة انشق القمر . ولم أجد كلام المرئي وابن تيمية رحمهما الله هذا في كتبهما ، ولكن الشيخ رحمه الله الهندي مثبت في النقل .

وقد ذكر أصل انقصة المحافظ ابن كثير رحمه الله أيضاً في البداية والنهاية (٦ : ٧٧) ، قال : «على أنه قد ذكر غير واحد من المسافرين أنهم شاهدوا هيكلاً بالهند مكتوباً عليه أنه بني في الليلة التي انشق القمر فيها» .

(٩) - باب : لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل

٤٩ - (٢٨٠٤) - قوله : (عن أبي موسى) هذا الحديث أخرجه البخاري في الأدب ، باب الصبر في الأذى (٦٠٩٩) ، وفي التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْتَّيُّنُ﴾ (٧٣٧٨) .

قوله : (لا أحد أصبر على أذى) قال النووي : «قال العلماء : معناه أن الله تعالى واسع الحلم ، حتى على الكافر الذي ينسب إليه الولد والنذ . قال المأزري : حقيقة الصبر منع النفس من الانتقام أو غيره . فالصبر نتيجة الامتناع ، فأطلق اسم الصبر على الامتناع في حق الله تعالى لذلك . قال القاضي : والصبور من أسماء الله تعالى وهو الذي لا يعاجل العصاة بالانتقام ، وهو

٧٠١٢ - (٥٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ وَأَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ قَالَا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ. حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ. حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، بِمِثْلِهِ. إِلَّا قَوْلَهُ: «وَيَجْعَلُ لَهُ الْوَلَدَ» فَإِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْهُ.

٧٠١٣ - (٥٠) وَحَدَّثَنِي عُيَيْنَةُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ. حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ. حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ. قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَدَى يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ نِدَاءً، وَيَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرْزُقُهُمْ وَيَعْفِيهِمْ وَيُعْطِيهِمْ».

(١٠) - باب: طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً

٧٠١٤ - (٥١) حَدَّثَنَا عُيَيْنَةُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ. حَدَّثَنَا أَبِي. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

بمعنى الحليم في أسمائه سبحانه وتعالى، والحليم هو الصفوح مع القدرة على الانتقام».

وقال المحافظ في الفتح (١٣ : ٣٦١): «والمراد بالأذى أذى رسوله وصالحيه عبادته، لاستحالة تعلق أذى المخلوقين به لكونه صفة نقص، وهو منزّه عن كل نقص، ولا يؤخر النعمة قهراً، بل تفضلاً. وتكذيب الرسل في نفي الصحابة والولد عن الله أذى لهم، فأضيف الأذى لله تعالى للمبالغة في الإنكار عليهم والاستعظام لمقاتلتهم، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [الأحزاب، آية: ٥٧]، فإن معناه: يؤذون أولياء الله وأولياء رسوله، فأقيم المضاف مقام المضاف إليه».

قال العبد الضعيف عفا الله عنه: ويحتمل أن يكون المراد أنهم يفعلون مع الله تعالى ما لو فعلوه مع مخلوق لُسَبِّبَ إيذاؤه، ففعل الإيذاء منهم متحقق، ولو كان الله سبحانه وتعالى لا يتأذى منه تأذي المخلوقات، لكونه منزهاً عن الانفعالات، ولكنه لا مانع من أن يكون فعلهم يستحق ما يستحقه الإيذاء في المخلوقات وهو العذاب والانتقام، ولكن الله تعالى يحلّم عنهم، فلا يمسك عنهم الرزق والعافية في الدنيا.

(١٠) - باب: طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً

٥١ - (٢٨٠٥) - قوله: (عن أنس بن مالك) هذا الحديث أخرجه البخاري في الأنبياء، باب خلق آدم وذريته (٣٣٣٤)، وفي الرقاق، باب من نُوقِش الحساب عُذِبَ (٦٥٣٨)، وباب صفة الجنة والنار (٦٥٥٧).

لأَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لَا تُشْرِكَ - (أَخْبِيَهُ قَالَ) وَلَا أَذْخِلَكَ النَّارَ. فَأَبَيْتَ إِلَّا الشُّرْكَ.

٧٠١٥ - (١٠٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ. حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، (يَعْنِي ابْنَ جَعْفَرٍ)، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ. قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، بِمِثْلِهِ. إِلَّا قَوْلَهُ: «وَلَا أَذْخِلَكَ النَّارَ» فَإِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْهُ.

٧٠١٦ - (٥٢) حَدَّثَنَا عُثَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ. (قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا. وَقَالَ الْآخَرُونَ: حَدَّثَنَا) مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ. حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ. حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَقَالُ لِلْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِْلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا، أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقَالُ لَهُ: قَدْ سُبِلَتْ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ».

٧٠١٧ - (٥٣) وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ. حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ. ح وَحَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ زُرَّارَةَ. أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، (يَعْنِي ابْنَ عَطَاءٍ)، كِلَاهُمَا عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «يَقَالُ لَهُ: كَذَبْتَ، قَدْ سُبِلَتْ مَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ».

قوله: (لأهون أهل النار عذاباً) قيل: هو أبو طائب، ذكره الحافظ في كتاب الأنبياء من الفتح.

قوله: (أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم) المراد من الإرادة هنا الطلب، أي: طلبت منك. قال القاضي عياض: «يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الآية، فهذا الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم، فمن وافق به بعد وجوده في الدنيا فهو مؤمن، ومن لم يوف به فهو الكافر. فمراد الحديث: أردت منك حين أخذت الميثاق، فأبيت إذ أخرجتك إلى الدنيا إلا الشرك» كذا في فتح الباري (١١: ٤٠٣).

٥٣ - (١٠٠) - قوله: (كذبت) قال النووي: «الظاهر أن معناه أن يقال له: لو رددناك إلى الدنيا وكانت لك كلُّها أكنْتَ تفتدي بها، فيقول: نعم، فيقال له: كذبت، قد سُبِلَتْ أيسر من ذلك فأبيت. ويكون هذا من معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]. ولا بد من هذا التأويل ليجمع بينه وبين قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الزمر، آية: ٤٧].

(١١) - باب: يحشر الكافر على وجهه

٧٠١٨ - (٥٤) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، (وَاللَّفْظُ لِيَزْهَبَ)، قَالَ: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ. حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ قَتَادَةَ. حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ؛ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «الَّذِي أَمْسَأَهُ عَلَى رِجْلَيْهِ فِي الدُّنْيَا، قَادِرًا عَلَى أَنْ يُنْشِئَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» . قَالَ قَتَادَةُ: بَلَى . وَعِزَّةٌ رَجُلًا .

(١١) - باب: يحشر الكافر على وجهه

٥٤ - (٢٨٠٦) - قوله: (حدثنا أنس بن مالك) هذا الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة الفرقان، باب الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم (٤٧٦٠)، وفي الرقاق، باب المحشر (٦٥٢٣).

قوله: (كيف يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ؟) كأنه استغرب ما ورد في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾، وأراد معرفة كيفية حشر الكافرين على وجوههم.

قوله: (أَن يُنْشِئَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) فيه تأييد لمن فسّر حشر الكافر على وجهه بأنه محمول على حقيقة، وأنه يمشي على وجهه حقيقة. ويؤيده أيضاً حديث أبي هريرة عند البراز: «يحشر الناس على ثلاثة أصناف: صنف على الدواب، وصنف على أقدامهم، وصنف على وجوههم، فقيل: كيف يمشون على وجوههم؟ ذكره الحافظ في فتح (٨: ٤٩٢) ثم قال: «يؤخذ من مجموع الأحاديث أن المقربين يحشرون ركبائاً، ومن دونهم من المسلمين على أقدامهم. وأما الكفار فيحشرون على وجوههم» وقال في موضع آخر (١١: ٣٨٢): «والحكمة في حشر الكافر على وجهه أنه عوقب على عدم السجود لله في الدنيا بأن يسحب على وجهه يوم القيامة إظهاراً لهوانه، بحيث صار وجهه مكان يده ورجله».

والتفسير الآخر للآية أنه محمول على التمثيل، وأنه كقوله تعالى: ﴿أَفَنُتَّبِئُ مِثْلًا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَتَّبِئُ مَوْثًا عَلَىٰ حَبْلٍ مُّشْتَبِهٍ﴾ (الملك، آية: ٢٢). وظاهر الأحاديث المذكورة أن المراد في آية سورة الفرقان حقيقة المشي على الوجه، وإن أحوال القيامة والآخرة لا يدرك كلها بالعقول البشرية والله سبحانه أعلم.

(١٢) - باب: صبيغ أنعم أهل الدنيا في النار،

وصبيغ أشدهم يؤساً في الجنة

٧٠١٩ - (٥٥) حَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ. حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ. أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ النَّارِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَيُصْبِغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً. ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا. وَاللَّهِ يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. فَيُصْبِغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ. فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ. وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ».

(١٣) - باب: جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة،

وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا

٧٠٢٠ - (٥٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، (وَاللَّفْظُ لِرُحْمَاسٍ)، قَالَا: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ. أَخْبَرَنَا هَمَّامُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،

(١٢) - باب: صبيغ أنعم أهل الدنيا في النار

وصبيغ أشدهم يؤساً في الجنة

٥٥ - (٢٨٠٧) - قوله: (عن أنس بن مالك) هذا الحديث أخرجه ابن ماجه في الزهد، باب صفة النار (٤٣٧٦)، وأخرجه أيضاً أحمد في مسنده (٣: ٢٠٣).

قوله: (يؤتى بأنعم أهل الدنيا) يعني: الذي عاش في الدنيا في راحة ونعيم أكثر من كل من سواه وكان ممن يستحق النار، وهو معنى قوله: (من أهل النار).

قوله: (فَيُصْبِغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً) يفتح الصاد، وهو مرة من الصبيغ، والمراد هنا: الغمس، أي: أنه يُغمس في النار غَمْسَةً.

قوله: (لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ) يعني: أنه لشدة ما رآه من عذاب النار ينسى كل نعيم حظي به في الدنيا فيقول: ما رأيت نعيماً قط. ويقع للمؤمن الذي عاش في الدنيا بائساً على العكس من ذلك فيصبيغ في الجنة صبغة، فينسى ما أصابه من الشدائد في الدنيا، فيقول: ما رأيت بُؤْسًا قط. نسأل الله سبحانه أن يرزقنا الجنة ويُعافينا من النار.

(١٣) - باب: جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة، إلخ

٥٦ - (٢٨٠٨) - قوله: (عن أنس بن مالك) هذا الحديث تفرد بإخراجه المصنف من بين الأئمة الستة، وأخرجه أحمد في مسنده (٣: ١٢٣ و ٢٨٣).

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً. يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ. وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتٍ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا. حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ. لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا».

٧٠٢١ - (٥٧) حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ النَّضْرِ التَّيْمِيُّ. حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ. قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي. حَدَّثَنَا قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ؛ أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أَطْعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا. وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّ اللَّهَ يَدْخُرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الْآخِرَةِ وَيُعْقِبُهُ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا، عَلَى طَاعَتِهِ».

٧٠٢٢ - (١٠٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّزَّازِيُّ. أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَطَاءٍ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، بِمَعْنَى حَدِيثَيْهِمَا.

(١٤) - باب: مثل المؤمن كالزراع، ومثل الكافر كشجر الأرز

٧٠٢٣ - (٥٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى، عَنْ مُعْتَمِرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ.....

قوله: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً) قال الطيبي في شرحه للمشكاة (٩: ٢٨٦): لا يظلم: لا ينقص، وهو متعد إلى مفعولين: أحدهما (مؤمنًا) والآخر (حسنة) ومعناه: أن المؤمن إذا اكتسب حسنة، يكافئه الله تعالى بأن يوسع عليه رزقه ويرغد عيشه في الدنيا، وبأن يجزي ويثيب في الآخرة. والكافر إذا اكتسب حسنة في الدنيا، بأن يفك أسيراً أو ينقذ غريقاً، يكافئه الله تعالى في الدنيا ولا يجزيه في الآخرة».

قوله: (يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا) يعني: ينعم الله تعالى إليه في الدنيا بسبب الحسنات التي باشرها. وذكر الطيبي أن استعمال لفظ (الإعطاء) لنعم الدنيا، ولفظ (الجزاء) لنعم الآخرة يشير إلى أن ما يُعْطَى المؤمن من النعم في الدنيا ليس جزاء لحسناته، وإنما هو فضل من الله وإحسان، وإن جزاء ما سيجده في الآخرة، والله أعلم.

قوله: (بحسنات ما عمل به لله) واعلم أن حسنات الكافر، كالصدقة والصلة وخدمة الخلق، لا تقربه إلى الله تعالى لفقدان الإيمان الذي هو شرط لكونها قربة، ولكنها حسنات يكافأ بها في الدنيا.

(١٤) - باب: مثل المؤمن كالزراع، ومثل الكافر كشجر الأرز

٥٨ - (٢٨٠٩) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في المرضي، باب ما جاء في كفارة المرض (٥٦٤٤)، وفي التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَّحْتَ كَلِمَاتَنَا لِيَايُنَا

كَمَثَلِ الرِّزْقِ. لَا تَزَالُ الرِّيحُ تُؤْمِلُهُ. وَلَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ يُصِيبُهُ الْبَلَاءُ. وَمَثَلُ الْمُنَاقِقِ كَمَثَلِ شَجَرَةِ الْأَرْزِ. لَا تَهْتَرُ حَتَّى تُسْتَخْصِدَ.

٧٠٢٤ - (٥٠٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ. حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الرَّهْرِيِّ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ - مَكَانَ قَوْلِهِ تُؤْمِلُهُ - «تُفَيْتُهُ».

٧٠٢٥ - (٥٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَشْرِ. قَالَا: حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْنُ أَبِي زَائِدَةَ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ. حَدَّثَنِي ابْنُ كَعْبٍ بْنُ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، كَعْبٍ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْخَامَةِ مِنَ الرِّزْقِ».

التِّرْمِذِيُّ (٧٤٦٦) وأخرجه الترمذي في الأمثال، باب ما جاء في مثل المؤمن القارىء للقرآن وغير القارىء (٢٨٧٠).

قوله: (كمثل الرزق) شبه رسول الله ﷺ المؤمن بالرزق في أن الرِّيح تُعْمِلُ الرزق وتحركه، كما أن المؤمن يحركه الأمراض والبلايا، ولعل في التشبيه إشارة إلى أن الأمراض والبلايا عاقبتها محمودة للمؤمن لأنها تكفر ذنوبه وترفع من درجاته، كما أن حركة الرزق بالرياح تساعد في نشأتها ونموها.

قوله: (كمثل شجرة الأرز) بفتح الهمزة وسكون الراء، وقيل: بفتح الراء، والأكثر على السكون. قالوا: هو شجر معتدل صلب لا يحركه هبوب الريح، ويقال له الأرز. وقيل: إنه شجر الصنوبر، وقال أبو حنيفة الدينوري: ليس هو من نبات أرض العرب، ولا ينبت في السباح بل يطول طويلاً شديداً ويغلظ. كذا في فتح الباري (١٠: ١٠٧). والتشبيه في عدم تحركه بهبوب الريح، كما أن الكافر لا يعجل جزاء ذنوبه، ولا تكون البلايا كفارة له. وليس المراد أن الكافر لا يصيبه المرض والبلاء أبداً، فإنه خلاف المشاهدة. وإنما المقصود أن الأمراض والبلايا لا تأتيه لتكفر عنه خطاياهم، وإنما تأتي لأسباب عادية فقط.

قوله: (حتى تستحصد) بفتح التاء وكسر الصاد بالبناء للمعروف في رواية الأكثرين، أي: تنقلع. وقيل: هو بضم التاء بالبناء للمجهول، أي: تُخَصَّدُ بأن يقلعه أحد. والمقصود أن الكافر يؤاخذ بكفره وفسقه مرة واحدة في الآخرة، أعادنا الله منه.

(٥٠٠) - قوله: (تُفَيْتُهُ) بضم التاء، بمعنى: تُعْمِلُهُ.

٥٩ - (٢٨١٠) - قوله: (عن أبيه كعب) هذا الحديث أخرجه البخاري في المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض (٥٦٤٣).

قوله: (كمثل الخامة) بالخاء وتخفيف الألف والميم: هي الطاقة والقصة اللينة من الرزق،

تَفِيئُهَا الرِّيحُ. تَصْرَعُهَا مَرَّةً وَتَعْدِلُهَا أُخْرَى. حَتَّى تَهِيَجَ. وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ الْأَرْزَةِ الْمُجْدِيَةِ عَلَى أَصْلِهَا. لَا يَفِيئُهَا شَيْءٌ. حَتَّى يَكُونَ انْجِمَافُهَا مَرَّةً وَاحِدَةً.

٧٠٢٦ - (٦٠) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ. حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ السَّرِيِّ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ. قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ. تَفِيئُهَا الرِّيحُ. تَصْرَعُهَا مَرَّةً وَتَعْدِلُهَا. حَتَّى يَأْتِيَهُ أَجَلُهُ. وَمَثَلُ الْمُتَافِقِ مَثَلُ الْأَرْزَةِ الْمُجْدِيَةِ. الَّتِي لَا يَصِيْبُهَا شَيْءٌ. حَتَّى يَكُونَ انْجِمَافُهَا مَرَّةً وَاحِدَةً».

٧٠٢٧ - (٦١) وَحَدَّثَنِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ وَمَحْمُودُ بْنُ عَيَّلَانَ. قَالَا: حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ السَّرِيِّ. حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، غَيْرَ أَنْ مَحْمُوداً قَالَ فِي رَوَاتِيهِ، عَنْ بِشْرِ: «وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ الْأَرْزَةِ»، وَأَمَّا ابْنُ حَاتِمٍ فَقَالَ: «مَثَلُ الْمُتَافِقِ» كَمَا قَالَ زُهَيْرٌ.

٧٠٢٨ - (٦٢) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَاشِمٍ. قَالَا: حَدَّثَنَا يَحْيَى، (وَهُوَ الْقَطَّانُ)، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ - (قَالَ ابْنُ هَاشِمٍ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ. وَقَالَ ابْنُ بَشَّارٍ: عَنِ ابْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ) عَنِ

وقال الخليل: الخامة الزرع أول ما ينبت على ساق واحد، والألف منها منقلبة عن واو.

قوله: (حتى تهيج) أي: تستوي ويكمل نضجها، يعني: أن الرياح لا تزال تقلبها، فتصرعها أي: تقربها إلى السقوط إذا كانت شديدة، وتقيمها معتدلة إذا كانت هادئة، إلى أن يحين نضجها.

قوله: (المجدية) بضم الميم وسكون الجيم وكسر الذال، أي: الثابتة المنتصبة، يقال: أجذى يجذي، وجذى يجذي.

قوله: (انجمافها) أي: انقلاعها، تقول: جمفت فانجمف، مثل فلعت فانقلع، ونقل عن الداودي أن معناه: انكسارها من وسطها أو أمقلها.

هذا، وقد فسر المهلب هذا الحديث بمعنى أوسع مما ذكرنا، ولفظه: «معنى الحديث أن المؤمن حيث جاءه أمر الله انطاع له، فإن وقع له خير فرح به وشكر، وإن وقع له مكروه صبر ورجا فيه الخير والأجر، فإذا اندفع عنه اعتدل شاكراً. والكافر لا يتفقهه الله باختياره، بل يحصل له التيسير في الدنيا ليتعسر عليه الحال في المعاد، حتى إذا أراد الله إهلاكه قصمه، فيكون موته أشدَّ عذاباً عليه وأكثر ألماً في خروج النفس» ذكره الحافظ في فتح الباري.

النَّبِيِّ ﷺ. يَنْخَوِ حَدِيثُهُمْ، وَقَالُوا جَمِيعاً فِي حَدِيثِهِمَا عَنْ يَحْيَى: «وَمَثَلُ الْكَافِرِ مَثَلُ الْأَرْزَةِ».

(١٥) - باب: مثل المؤمن مثل النخلة

٧٠٢٩ - (٦٣) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ، (وَاللَّفْظُ لِيَحْيَى)، قَالُوا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، (يَعْنُونَ ابْنَ جَعْفَرٍ)، أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ: أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا تَسْقُطُ وَرَقُهَا. وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ. فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟»

(١٥) - باب: مثل المؤمن مثل النخلة

٦٣ - (٢٨١١) - قوله: (سمع عبد الله بن عمر) هذا الحديث أخرجه البخاري في العلم، باب قول المحدث: حدثنا أو أخبرنا أو أنبأنا (٦١)، وباب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم (٦٢)، وباب الفهم في العلم (٧٢)، وباب الحياء في العلم (١٣١)، وفي البيوع، باب بيع الجمار وأكله (٢٣٠٩)، وفي تفسير سورة إبراهيم، باب ﴿كَشَجَرَةٍ طَلَبَتْ أَضْلَهَا ثَابِتٌ وَفُوعَهَا فِي الْكَسَمَةِ﴾ (٤٦٩٨)، وفي الأطعمة، باب أكل الجمار (٥٤٤٤)، وباب بركة النخلة (٥٤٤٨)، وفي الأدب، باب ما لا يستحيا من الحق لثقله في الدين (٦١٢٢)، وباب إكرام الكبير، وبدأ الأكبر بالكلام والسؤال (٦١٤٤)، وأخرجه الترمذي في الأدب، باب ما جاء في مثل المؤمن القاري، للقرآن (٢٨٧١).

قوله: (وإنها مثل المسلم) رواه البعض بكسر الميم وسكون الشاء، وبعضهم بفتح الميم والشاء كليهما، وهما بمعنى. وما ذكر في الحديث من خصوصية النخلة أنها لا تسقط ورقها، تظهر فائدته مما أخرجه الحارث بن أبي أسامة في هذا الحديث من وجه آخر عن ابن عمر ولفظه: «قال: كنا عند رسول الله ﷺ ذات يوم، فقال: إن مثل المؤمن كمثل شجرة لا تسقط لها أئمنه، أتدرون ما هي؟ قالوا: لا. قال: هي النخلة، لا تسقط لها أئمنه، ولا تسقط لمؤمن دعوة» ذكره الحافظ في الفتح (١: ١٤٥).

قوله: (فحدثنوني ما هي؟) قال العيني في عمدة القاري (٢: ١٥): «فيه جواز اللغز مع بيانه. فإن قلت: روى أبو داود من حديث معاوية عن النبي ﷺ أنه نهى عن الأغلوطات. قال الأوزاعي أحد رواة: هي صعاب المسائل، قلت: هو محمول على ما إذا أخرج على سبيل تعييت المسؤول أو تعجيزه أو تخجيله ونحو ذلك».

وقد وقع في رواية نافع عند البخاري في التفسير: (أخبروني) بدل قوله (حدثنوني)، ووقع في رواية الإسماعيلي عن نافع: (أنبئوني) ذكره العيني. فاشتمل الحديث على الأنفاظ الثلاثة المعروفة عند المحدثين للحديث.

فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ. فَاسْتَحْيَيْتُ. ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: فَقَالَ: «هِيَ النَّخْلَةُ».

قوله: (فوقع الناس في شجر البوادي) أي: ذهبت أفكارهم إلى أشجار البوادي، أي: إلى أشجار الصحاري والريف، وصار كل إنسان يفسرها بنوع من أنواع شجر البوادي وذهلوا عن النخلة.

قوله: (ووقع في نفسي أنها النخلة) بين أبو عوانة في صحيحه من طريق مجاهد عن ابن عمر وجه ذلك، قال: «فظننت أنها النخلة من أجل الجمار الذي أتى به» يعني أن النبي ﷺ كان إنما طرح هذا السؤال عند ما أتى بجمار النخل وجعل يأكله، كما سيأتي، ففهم ابن عمر أن المسؤول عنه شجرة النخلة. قال الحافظ: «وفيه إشارة إلى أن المنفزع له ينبغي أن يتفطن لقرائن الأحوال الواقعة عند السؤال، وأن المنفزع ينبغي له أن لا يبالغ في التعمية بحيث لا يجعل للمنفزع باباً يدخل منه، بل كلما قربه كان أوقع في نفس سامعه».

قوله: (فاستحييت) وبين في رواية آتية أنه إنما استحيا لكون الصحابة الكبار حاضرين في المجلس. ووقع في رواية مجاهد عند البخاري في باب الفهم في العلم: «فأردت أن أقول: هي النخلة، فإذا أنا أصغر القوم»، وأنه في الأطعمة: «فإذا أنا عاشر عشرة أن أحدثهم» وفي رواية نافع عند البخاري في التفسير: «ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان» فكرهت أن أتكلم».

وفيه أن الأدب للصغير أن لا يبادر بالجواب إذا كان الكبار ساكتين، بل ينتظر، فإن أجاب أحد الكبار يكتفي به، وإلا فيتكلم.

قوله: (هي النخلة) قال العيني في عمدة القاري (٢: ١٤): «وأما وجه الشبه، فقد اختلفوا فيه، فقال بعضهم: هو كثرة خيرها، ودوام ظلها، وطيب ثمرها، ووجودها على الدوام، فإنه من حين يطلع ثمرها لا يزال يؤكل منه حتى يبس، وبعد أن يبس يتخذ منها منافع كثيرة من خشبها وورقها وأغصانها، فيستعمل جذوعاً، وحباً، وعصياً، ومحاضراً، وحضراً، وحبالاً، وأواني، وغير ذلك مما يتفنع به من أجزائها، ثم آخرها نواها يتفنع به علفاً للابل وغيره، ثم جمال نباتها وحسن ثمرتها، وهي كلها منافع وخير وجمال. وكذلك المؤمن خير كله من كثرة طاعاته، ومكارم أخلاقه، ومواظبته على صلاته وصيامه وذكره والصدقة وسائر الطاعات. هذا هو الصحيح في وجه الشبه. وقال بعضهم: وجه التشبيه أن النخلة إذا قطعت رأسها ماتت بخلاف باقي الشجر. وقال بعضهم: لأنها لا تحمل حتى تلقح. وقال بعضهم: لأنها نموت إذا مُزقت أو فسد ما هو كائقلب لها. وقال بعضهم: لطلعها رائحة المني. وقال بعضهم: لأنها تعيش كالإنسان. وهذه الأقوال كلها ضعيفة من حيث إن التشبيه إنما وقع بالمسلم، وهذه المعاني تشمل المؤمن والكافر».

قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعُمَرَ. قَالَ: لَأَنْ تَكُونَ قُلْتُ: هِيَ النَّخْلَةُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا.

٧٠٣٠ - (٦٤) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ الْغُبَرِيُّ. حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ. حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ أَبِي الْخَلِيلِ الضَّبِّيِّ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا لِأَصْحَابِهِ: «أَخْبِرُونِي عَنْ شَجَرَةٍ، مِثْلُهَا مِثْلُ الْمُؤْمِنِ» فَجَعَلَ الْقَوْمُ يَذْكُرُونَ شَجَرًا مِنْ شَجَرِ الْبَوَادِي.

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: وَأَلْقَيْتُ فِي نَفْسِي أَوْ رُوعِي؛ أَنَّهَا النَّخْلَةُ. فَجَعَلْتُ أُرِيدُ أَنْ أَقُولَهَا. فَإِذَا أَسْنَانُ الْقَوْمِ، فَأَهَابُ أَنْ أَتَكَلَّمَ. فَلَمَّا سَكَتُوا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هِيَ النَّخْلَةُ».

وأخرج البخاري هذا الحديث في تفسير قوله تعالى: ﴿كَتَجَرَوْا طَبَقًا أَسْلَهَا ثَابِتٌ وَفَرَعَهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (إبراهيم، آية: ٢٤)، إشارة إلى أن المراد من الشجرة الطيبة في الآية النخلة. وقد ورد صريحاً فيما رواه البراز من طريق موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر قال: «قرأ رسول الله ﷺ ... فذكر الآية ... فقال: أتدرون ما هي؟ قال ابن عمر: لم يخف عليّ أنها النخلة، فمعني أن أتكلّم مكان سني، فقال رسول الله ﷺ: هي النخلة» ذكره الحافظ في الفتح (١: ١٤٦) ثم قال: «ويجمع بين هذا وبين ما تقدم أنه ﷺ أتى بالجَمَارِ فشرع في أكله تالياً للآية قائلاً: إن من الشجرة شجرة إلى آخره. ووقع عند ابن حبان من رواية عبد العزيز بن مسلم، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: من يخبرني عن شجرة مثلها مثل المؤمن، أصلها ثابت وفروعها في السماء؟ فذكر الحديث، وهو يؤيد رواية البراز. قال القرطبي: فوقع التشبيه بينهما من جهة أن أصل دين المسلم ثابت، وأن ما يصدر عنه من العلوم والخير قوت للأرواح مستطاب، وأنه لا يزال مستوراً بدينه، وأنه يُنتفع بكل ما يصدر عنه حيّاً وميتاً، انتهى. وقال غيره: والمراد يكون فرع المؤمن في السماء رفع عمله وقبوله. وروى البراز أيضاً من طريق سفيان بن حسين، عن أبي بشر، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: مثل المؤمن مثل النخلة، ما أتاك منها ففعلك» هكذا أورده مختصراً وإسناده صحيح، وقد أفصح بالمقصود بأوجز عبارة.

قوله: (أحب إليّ من كذا وكذا) زاد ابن حبان في صحيحه: أحسبه قال: حمر النعم. وإنما أحب عمر ذلك لأنه لو تكلم بذلك ابنه لظهر ذكاؤه ووقع جوابه موقع الثناء من النبي ﷺ والصحاباء، ولدعا له رسول الله ﷺ. وفيه أنه لا مانع من أن يتمنى الوالد لولده ما يجوز الثناء له من الكبار.

٦٤ - (١٠٠) - قوله: (في نفسي أو روعي) بضم الراء وسكون الواو، بمعنى النفس والقلب والخلد.

قوله: (فإذا أسنان القوم) أسنان القوم: كبارهم وشيوخهم، يعني: متعني من التكلم أن الكبار كانوا حاضرين.

٧٠٣١ - (٠٠٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ. قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: صَحِبْتُ ابْنَ عُمَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ. فَمَا سَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا. قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَتَانِي بِجُمَارٍ، فَذَكَرَ بَيْنَهُمَا حَدِيثَهُمَا.

٧٠٣٢ - (٠٠٠) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ. حَدَّثَنَا أَبِي. حَدَّثَنَا سَيْفٌ. قَالَ: سَمِعْتُ مُجَاهِدًا يَقُولُ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِجُمَارٍ، فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِهِمْ.

٧٠٣٣ - (٠٠٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ. حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ: «أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ شَبَّهَ، أَوْ كَالزَّجَلِ الْمُسْلِمِ. لَا يَتَحَاتُّ وَرَقُهَا».

قَالَ إِبْرَاهِيمُ: لَعَلَّ مُسْلِمًا قَالَ: وَتَوْتِي أَكْلَهَا. وَكَذَا وَجَدْتُ عِنْدَ غَيْرِي أَيْضًا. وَلَا تَوْتِي أَكْلَهَا كُلُّ حِينٍ.

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ. وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ لَا يَتَكَلَّمَانِ. فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ أَوْ أَقُولَ شَيْئًا. فَقَالَ عُمَرُ: لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا.

(٠٠٠) - قوله: (لا حديثاً واحداً) فيه استحباب التورع عن كثرة التحديث، لئلا يقع المرء في خطأ.

قوله: (فأني بجمار) بضم الجيم وتشديد الميم، وهو لَبَّ يخرج من قلب النخلة ويؤكل.

(٠٠٠) - قوله: (لا يتحات) أي: لا يساقط.

قوله: (لعلَّ مسلماً قال: وتوتى أكلها) قال النووي: «معنى هذا أنه وقع في رواية إبراهيم بن سفيان صاحب مسلم ورواية غيره أيضاً من مسلم: (لا يتحات ورقها ولا توتى أكلها كل حين) واستشكل إبراهيم بن سفيان هذا لقوله: (ولا توتى أكلها) خلاف باقي الروايات، فقال: لعل مسلماً رواه (وتوتى) بإسقاط (لا) وأكون أنا وغيري غلطنا في إثبات (لا). قال القاضي وغيره من الأئمة: وليس هو بغلط كما توهمه إبراهيم، بل الذي في مسلم صحيح بإثبات (لا)، وكذا رواه البخاري بإثبات (لا). ووجهه أن لفظة (لا) ليست متعلقة بتوتى، بل متعلقة بمحذوف تقديره: لا يتحات ورقها ولا مكرر، أي: لا يصيبها كذا وكذا، لكن لم يذكر الراوي تلك الأشياء المعطوفة، ثم ابتداء فقال: توتى أكلها كل حين».

(١٦) - باب: تحريش الشيطان، وبعثه سراياه

لفتنة الناس، وأن مع كل إنسان قريفاً

٧٠٣٤ - (٦٥) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ . (قَالَ إِسْحَاقُ : أَخْبَرَنَا . وَقَالَ عُثْمَانُ : حَدَّثَنَا) جَرِيرٌ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ ، عَنْ جَابِرٍ . قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيْسَأَنْ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ . وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ» .

٧٠٣٥ - (١٠٠) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ . ح وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ . حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ . كِلَاهُمَا عَنِ الْأَعْمَشِ ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ .

٧٠٣٦ - (٦٦) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ . (قَالَ إِسْحَاقُ : أَخْبَرَنَا . وَقَالَ عُثْمَانُ : حَدَّثَنَا) جَرِيرٌ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ ، عَنْ جَابِرٍ . قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : «إِنَّ عَرْشَ إِبْلِيسَ عَلَى الْبَحْرِ . فَيَبْنِي سَرَايَاهُ فَيَقْبَلُونَ النَّاسَ . فَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ أَكْثَرُهُمْ فِتْنَةً» .

(١٦) - باب تحريش الشيطان، وبعثه سراياه لفتنة الناس إلخ

٦٥ - (٢٨١٢) - قوله : (عن جابر) هذا الحديث أخرجه أيضاً الترمذي في البر والصلة، باب ما جاء في التباعد (١٩٣٧) .

قوله : (أن يعبد المصلون في جزيرة العرب) يعني أن الشيطان أيسأ أن يتحول أهل الجزيرة إلى الشرك وعبادة الأصنام ومن أن تظهر فيها كلمة الكفر ويستولي عليها الكفار، وقد وقع كما أخبر ﷺ، ولا يرد عليه ارتداد مانعي الزكاة وأصحاب مسبلمة، فإنهم لم يعبدوا الأوثان .

٦٦ - (٢٨١٣) - قوله : (ولكن في التحريش بينهم) التحريش : الإثارة، والمراد هنا إثارة الخصومات والشحناء . وفيه تحذير للمسلمين من افتراق كلمتهم وثوران الخصومات بينهم، فإن ذلك من عمل الشيطان .

٦٧ - (١٠٠) - قوله : (عن جابر) هذا الحديث لم يخرج من الأئمة السنة أحد إلا المصنف رحمه الله تعالى .

٦٩ - (٢٨١٤) - قوله : (إن عرش إبليس على البحر) قال النووي : «العرش هو سرير الملك، ومعناه أن مركزه البحر، ومنه يبعث سراياه في نواحي الأرض» وقال الطيبي في شرحه للمشكاة (١ : ٢٠٧) : في تفسير كون عرش إبليس على البحر : «يحتمل بأن يجري على ظاهره، ويكون من جملة تمرده وطغيانه جعل عرشه على الماء، كما في قوله تعالى : ﴿وَصَكَاتَ عَرْشُهُ﴾

٧٠٣٧ - (٦٧) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، (وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ)، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ. حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ. ثُمَّ يَنْعَثُ سَرَاتِيَهُ. فَأَذْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةٌ أَكْظَمُهُمْ فِتْنَةً. يَجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا. فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا. قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ. قَالَ: فَيُذْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نَعَمْ أَنْتَ».

قَالَ الْأَعْمَشُ: أَرَاهُ قَالَ: «فَيَلْتَزِمُهُ».

٧٠٣٨ - (٦٨) حَدَّثَنِي سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ. حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أُعَيْنٍ. حَدَّثَنَا مَعْقِلٌ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ. عَنْ جَابِرٍ؛ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يَنْعَثُ الشَّيْطَانُ سَرَاتِيَهُ فَيَفْتِنُونَ النَّاسَ. فَأَكْظَمُهُمْ عَنْهُ مَنْزِلَةٌ أَكْظَمُهُمْ فِتْنَةً».

٧٠٣٩ - (٦٩) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ. (قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا. وَقَالَ عُثْمَانُ: حَدَّثَنَا) جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَكَّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجَنِّ». قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلِيَّائِي. إِلَّا أَنْ اللَّهَ.....»

عَلَى آلَاءِهِ، وَأَنْ يَجْرِيَ عَلَى الْكُنَايَةِ الْإِيمَانِيَّةِ، عَبَّرَ عَنْ اسْتِيلَانِهِ عَلَى إِغْوَاءِ الْخَلْقِ وَتَسْلُطِهِ عَلَيْهِمْ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ.

قوله: (نَعَمْ أَنْتَ) أي نعم العون أنت.

قوله: (فَيَلْتَزِمُهُ) أي يعانقه تقديراً لضعفه وإعجاباً به. وهذا الحديث دليل على أن حدوث التفرقة بين المرء وزوجه من أعظم مكاييد الشيطان، ومما يفرح به إبليس، لأنه يشتمل على أنواع من الفساد، وربما يجزّ إلى ضروب من المعاصي.

قوله: (عن عبد الله بن مسعود) هذا الحديث مما تفرد بإخراجه المصنف من بين الأئمة الستة، وأخرجه أحمد في مسنده ٣٩٧/١ و٣٨٥ و٤٠١ و٤٦٠.

قوله: (وَكَّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجَنِّ) هو من التوكيل بمعنى التسليط. «قَرِينُهُ مِنَ الْجَنِّ» صاحبه منهم ليأمره بالشر، واسمه الوسواس، وهو ولد يولد لإبليس حين يولد لبني آدم ولد. كذا في مرقاة المفاتيح لعليّ القاري ١/١١٦، ولعلّ المراد من الولادة لإبليس أنه يُخْلَقُ شَيْطَانٌ يَكُونُ مِنْ جِنْدِ إِبْلِيسَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قوله: (وَلِيَّائِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟) أي: (ولك قرين من الجن؟) والقياس أن يقول: (وأنت يا رسول الله؟) ولكنه يتوسع في المحاورات مثل ذلك.

أَعَانِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ. فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ».

٧٠٤٠ - (٥٠٠) حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ. قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، (يَعْنِي ابْنَ مَهْدِيٍّ)، عَنْ سُفْيَانَ. ح. وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ رُزَيْقٍ. كِلَاهُمَا عَنْ مَنْصُورٍ. بِإِسْنَادٍ جَرِيدٍ، مِثْلَ حَدِيثِهِ، غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ سُفْيَانَ «وَقَدْ وَكَّلَ بِهِ قَرِينَهُ مِنَ الْجَنِّ، وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ».

٧٠٤١ - (٧٠) حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ. حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ. أَخْبَرَنِي أَبُو صَخْرٍ، عَنِ ابْنِ قُسَيْطٍ. حَدَّثَهُ: أَنَّ عُرْوَةَ حَدَّثَهُ: أَنَّ عَائِشَةَ، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَتْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا لَيْلًا. قَالَتْ: فَعَرِثْتُ عَلَيْهِ. فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ. فَقَالَ: «مَا لَكَ يَا عَائِشَةُ، أَغَرَبْتَ؟» فَقُلْتُ: وَمَا لِي لَا يَغَارُ بِمِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَقَدْ جَاءَكَ شَيْطَانُكَ؟» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ نَعِيَ شَيْطَانٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: وَمَنْ كُلُّ إِنْسَانٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: وَمَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَلَكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ».

قوله: (أعانني عليه فأسلم) بضم الميم بمعنى أنني أسلم من شره، وبفتح الميم بمعنى أنه استسلم وانقاد لأمره. وفي جامع الترمذي: قال ابن عيينة: (فأسلم) بالضم، أي: أسلم أنا منه، والشيطان لا يسلم، وفي جامع الدارمي: قال أبو محمد: أسلم بالفتح، أي: استسلم وذل وانقاد، والنخطابي ذهب إلى الأول، والنفاضي عياض إلى الثاني، وهما روايتان مشهورتان. قال التوربشتي: الله تعالى قادر على كل شيء، فلا يستبعد من فضله أن يخص نبيه بهذه الكرامة، أي: إسلام قرينه وبما فوقها. كذا في المرقاة.

(٥٠٠) - قوله: (وقرينه من الملائكة) أي: يولد مع كل إنسان صاحبه من الملائكة يأمره بخير، ويسمّاه عليّ القاري (الملمه).

٧٠ - (٢٨١٥) - قوله: (أن عائشة زوج النبي ﷺ حدثته) هذا الحديث أخرجه أيضاً النسائي في عشرة النساء، باب الغيرة (٣٩٦٠).

قوله: (فعرثت عليه) أي: أصابتنه غيرة عليه لزعمي أنه ﷺ خرج إلى بعض أزواجه أو سراريه.

قوله: (جاءك شيطانك) تفتن النبي ﷺ من هيتها أنها غارت، وتوهمت ما لم يقع.

(١٧) - باب: لن يدخل أحد الجنة بعمله، بل برحمة الله تعالى

٧٠٤٢ - (٧١) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ بُكَيْرٍ، عَنْ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «أَنَّهُ قَالَ: «لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ» قَالَ رَجُلٌ: وَلَا

(١٧) - باب لن يدخل أحد الجنة بعمله، بل برحمة الله تعالى

٧١ - (٢٨١٦) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في المرضي، باب تمني المريض الموت (٥٦٧٣)، وفي الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل (٦٤٦٣)، وأخرجه النسائي في الإيمان، باب الدين يسر (٥٠٣٤)، وأخرجه ابن ماجه في الزهد، باب التوفي على العمل (٤٢٥٤).

قوله: (لن ينجي أحدًا منكم عمله) ظاهره يبدو معارضاً لقوله تعالى: ﴿وَلِئَلَّا لَئِنَّ أَلْفًا أَوْفَتْهُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿أَدْعُوا إِلَى جَنَّةٍ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وقد ذكر العلماء في طريق الجمع بينهما وجوهاً:

١ - إن الأعمال وإن كانت سبباً ظاهراً للنجاة، كما ذكر في الآيتين، ولكن التوفيق للأعمال ليس إلا من رحمة الله تعالى، ولولا رحمة الله السابقة ما حصل الإيمان ولا الطاعة التي يحصل بها النجاة، وإلى ذلك أشار حديث الباب، بأن العمل بمجرده لا ينجي الإنسان، بل سببه الأخير هو رحمة الله تعالى.

٢ - إن منافع العبد لسيدته، فعمله مستحق لمولاه، فمهما أنعم عليه من الجزاء فهو من فضله.

٣ - إن نفس دخول الجنة لا يتحصل إلا برحمة الله تعالى، وأما الدرجات المتفاوتة في الجنة، فهي بسبب الأعمال، وهو اختيار ابن بطال.

٤ - إن أعمال الطاعات كانت في زمن يسر، والثواب لا يتقد، فالإنعام الذي لا يتقد في جزاء ما يتقد بالفضل، لا بمقابلة الأعمال.

٥ - قال ابن القيم رحمه الله في (مفتاح دار السعادة): «الباء المقتضية للدخول غير الباء الماضية، فالأولى للسببية الدالة على أن الأعمال سبب الدخول المقتضية له كافتضاء سائر الأسباب لمسياتها، والثانية: باء المعاوضة، نحو اشترت منه بكذا، فأخبر أن دخول الجنة ليس في مقابلة عمل أحد، وأنه لولا رحمة الله لعبده، لما أدخله الجنة لأن العمل بمجرده، ولو تناهى، لا يوجب بمجرده دخول الجنة ولا أن يكون عوضاً لها، لأنه ولو وقع على الوجه الذي يحبه الله لا يقاوم نعمة الله، بل جميع العمل لا يوازي نعمة واحدة، فتبقى سائر نعمه مقتضية لشكرها، وهو لم يوفها حق شكرها، فلو غلبه في هذه الحالة لعذبه وهو غير ظالم، وإذا رحمه في هذه الحالة كانت رحمته خيراً من عمله، كما في حديث أبي بن كعب الذي أخرجه أبو داود

إِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا إِنِّي. إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ، وَلَكِنْ سَدُّوا».

٧٠٤٣ - (١٠٠) وَحَدَّثَنِيهِ يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الصَّدِيقِيُّ. أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ بُكَيْرِ بْنِ الْأَشَّجِ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ. غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ». وَلَمْ يَذْكُرْ «وَلَكِنْ سَدُّوا».

٧٠٤٤ - (٧٢) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ. حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، (يَعْنِي ابْنَ زَيْدٍ)، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ» فَقِيلَ: «وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا. إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي رَبِّي بِرَحْمَةٍ».

وابن ماجه في ذكر القدر، فيه: «لو أن الله عذب أهل سماواته وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمة خيراً لهم، الحديث. وهذا فصل الخطاب مع الجبرية الذين أنكروا أن تكون الأعمال سبباً في دخول الجنة من كل وجه، والقدرية الذين زعموا أن الجنة عوض العمل وأنها ثمنه، وأن دخولها بمحض الأعمال، والحديث يطل دعوى الطائفتين، والله أعلم».

٦ - قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح (١١: ٢٩٦): (ويظهر لي في الجمع بين الآية والحديث جواب آخر، وهو أن يحمل الحديث على أن العمل من حيث هو عمل لا يستفيد به العامل دخول الجنة ما لم يكن مقبولاً، وإذا كان كذلك، فأمر القبول إلى الله تعالى، وإنما يحصل برحمة الله لمن يقبل منه. وعلى هذا، فمعنى قوله: «ادْخُلُوا الْجَنَّةَ يَمَّا كُنْتُمْ تَسْأَلُونَ» أي: تعملونه من العمل المقبول، ولا يضرب بعد هذا أن تكون الباء للمصاحبة أو للإلصاق أو للمقابلة، ولا يلزم من ذلك أن تكون للسببية).

قال العبد الضعيف عفا الله عنه: حاصل معظم هذه الأقوال واحد، وهو أن الأعمال بمجرد أنها لا تصلح أن تكون علّة نامة لدخول الجنة، لأن عمل الإنسان، مهما بلغ المزية من الكمال، فإنه ناقص في جناب الله تعالى، ولأن العمل المتناهي يقصر من أن يكون علّة للنعم الخالدة في الجنة، ولكن الله سبحانه وتعالى جعل الأعمال سبباً لدخول الجنة بمحض فضله وكرمه، فالتنفي في حديث الباب نفى لكون الأعمال سبباً في نفسها بحيث تستحق الجنة من أصلها، والسببية المذكورة في الآيتين سببية حصلت بفضل الله ورحمته، فلا تنافي بينهما، والله أعلم.

قوله: (ولكن سدّوا) دفع لما يتوهم مما سبق من أن الأعمال لا تنجي، فلا فائدة في تعاطيها، وحاصل الدفع أن الإنسان مأمور بهذه الأعمال، فليست عمله مهما أمكن، لأن الله سبحانه يتغمّد بها الإنسان برحمته، وكان أعماله علامة على وجود الرحمة التي تدخل العامل الجنة، ومعنى قوله: (سدّوا) أي: اعملوا واقصدوا بعملكم السداد والصواب.

٧٠٤٥ - (٧٣) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى . حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ ، عَنْ ابْنِ عَوْنٍ ، عَنْ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «لَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَنْجِيهِ عَمَلُهُ» قَالُوا : وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : «وَلَا أَنَا . إِلَّا أَنْ يَتَّقُمَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ» .

وَقَالَ ابْنُ عَوْنٍ بِيَدِهِ هَكَذَا . وَأَشَارَ عَلَى رَأْسِهِ : «وَلَا أَنَا . إِلَّا أَنْ يَتَّقُمَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ» .

٧٠٤٦ - (٧٤) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ . حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ سُهَيْلٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ . قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَيْسَ أَحَدٌ يَنْجِيهِ عَمَلُهُ» قَالُوا : وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : «وَلَا أَنَا . إِلَّا أَنْ يَتَذَكَّنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ» .

٧٠٤٧ - (٧٥) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ . حَدَّثَنَا أَبُو عَبَّادٍ ، يَحْيَى بْنُ عَبَّادٍ . حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ . حَدَّثَنَا ابْنُ شِهَابٍ ، عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ ، مَوْلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ . قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَنْ يَدْخُلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ» قَالُوا : وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : «وَلَا أَنَا . إِلَّا أَنْ يَتَّقُمَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِفَضْلِ وَرَحْمَةٍ» .

٧٠٤٨ - (٧٦) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ . حَدَّثَنَا أَبِي . حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ . قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «قَارِبُوا وَسَنَدُوا . وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ» قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَلَا أَنْتَ؟ قَالَ : «وَلَا أَنَا . إِلَّا أَنْ يَتَّقُمَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ» .

٧٠٤٩ - (١٠٠) وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ . حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ ، عَنْ أَبِي سُوَيْدٍ ، عَنْ جَابِرٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، مِثْلَهُ .

٧٠٥٠ - (١٠٠) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ . حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ الْأَعْمَشِ . بِالْإِسْنَادَيْنِ جَمِيعاً . كَرَوَايَةِ ابْنِ نُمَيْرٍ .

٧٠٥١ - (١٠٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ . قَالَا : حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، بِمِثْلِهِ . وَزَادَ : «وَأَبْشَرُوا» .

٧٠٥٢ - (٧٧) حَدَّثَنِي سَلَمَةُ بْنُ شَيْبٍ . حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَغْوَيْنَ . حَدَّثَنَا مَعْقِلٌ ، عَنْ

أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ. قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، وَلَا يُجْبِرُهُ مِنَ النَّارِ. وَلَا أَنَا. إِلَّا بِرَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ».

٧٠٥٣ - (٧٨) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ. أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ. أَخْبَرَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ. ح وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، (وَاللَّفْظُ لَهُ)، حَدَّثَنَا يَهُزُّ. حَدَّثَنَا وَهْبٌ. حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ. قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ يُحَدِّثُ، عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ؛ أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَدُّوا وَقَارِبُوا. وَأَبْشِرُوا. فَإِنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَحَدًا عَمَلُهُ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا. إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِتَرَحُّمَةٍ. وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ».

٧٠٥٤ - (١٠٠) وَحَدَّثَنَا حَسَنُ الْحُلَوَانِيُّ. حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ. حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْمُطَّلِبِ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ. وَلَمْ يَذْكُرْ: «وَأَبْشِرُوا».

٧٨ - (٢٨١٨) - قوله: (عن عائشة) هذا الحديث أخرجه البخاري في الإيمان، باب أحب الدين إلى الله أدومها (٤٣)، وفي التهجد، باب ما يكره عن التشديد في العبادة (١١٥١)، وفي الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل (٦٤٦٤)، وأخرجه أبو داود في قيام الليل، باب الاختلاف على عائشة في إحياء الليل (١٦٤٢).

قوله: (قاربوا) أي: اقربوا من السداد. قال الحافظ: (أي: لا تفرطوا فتجهدوا أنفسكم في العبادة، لئلا يفضي بكم ذلك إلى الملل فتتركوا العمل فتفرطوا. وقد أخرج البزار من طريق محمد بن سوقة عن ابن المنكدر عن جابر، ولكن صوب إرساله، وله شاهد في الزهد لأبن المبارك من حديث عبد الله بن عمرو موقوف: «إن هذا الدين متين، فأوغلوا فيه برفق ولا تبعضوا إلى أنفسكم عبادة الله، فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى» والمنبت، بتون ثم موحدة ثم مثناة ثقيلة، أي: الذي عطب مركوبه من شدة السير، مأخوذ من البث، وهو القطع، أي: صار منقطعاً لم يصل إلى مقصوده، وفقد مركوبه الذي كان يوصله لو رفق به. وقوله: (أوغلوا) من الوغول، وهو الدخول في الشيء».

وزاد البخاري من طريق سعيد المقبري: (واغدوا ورؤحوا، وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبغوا).

قوله: (أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل) فيه إشارة إلى القصد والتوسط في الأعمال، لأن مع القصد يدوم العمل، فبكثر الثواب، ومع القلق يقع الملل فينقطع الثواب.

(١٨) - باب: إكثار الأعمال، والاجتهاد في العبادة

٧٠٥٥ - (٧٩) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ. حَدَّثَنَا أَبُو عَرَانَةَ، عَنْ زِيَادِ بْنِ عِلَاقَةَ، عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى حَتَّى انْتَفَخَتْ قَدَمَاهُ. فَقِيلَ لَهُ: أَتَكْلِفُ هَذَا؟ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقْدَمُ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخُرُ. فَقَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا».

(١٨) - باب: إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة

٧٩ - (٢٨١٩) - قوله: (عن المغيرة بن شعبة) هذا الحديث أخرجه البخاري في التهجد، باب قيام النبي ﷺ الليل (١١٣٠)، وفي تفسير سورة الفتح، باب قوله: ﴿يَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (٤٨٣٦)، وفي الرقاق، باب الصبر عن محارم الله (٦٤٧١)، وأخرجه الترمذي في الصلاة، باب ما جاء في الاجتهاد في الصلاة (٤١٢)، والنسائي في قيام الليل، باب الاختلاف على عائشة في إحياء الليل (١٦٤٤)، وابن ماجه في الإقامة، باب ما جاء في طول القيام في الصلاة (١٤١٧).

قوله: (حتى انتفخت قدماه) وفي الرواية الآتية: (حتى ورمت قدماه) وفي رواية مسعر عند البخاري: (حتى ترم قدماه، أو ساقاه) وفي حديث عائشة الآتي: (حتى تغطر رجلاه) أي: تشفت، ولا اختلاف بين هذه الروايات، فإنه إذا حصل الورم والانتفاخ حصل التشقق.

قوله: (فقيل له: أتكلف هذا؟) أي: أتتكلف؟ ولم يسم القائل هنا، ويظهر من حديث عائشة الآتي أنها هي القائلة، ولغظها: (أتصنع هذا، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر).

قوله: «أفلا أكون عبداً شكوراً» الفاء فهنا للسببية، وهي عن محذوف تقديره: أأترك تهجدي فلا أكون عبداً شكوراً؟ والمعنى أن المغفرة سبب لكون التهجد شكراً، فكيف أتركه؟.

وقال ابن بطال: (في هذا الحديث أخذ الإنسان على نفسه بالشدة في العبادة وإن أضر ذلك ببدنه، لأنه ﷺ إذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له، فكيف بمن لم يعلم بذلك، فضلاً عما لم يأمن أنه استحق النار) قال الحافظ في الفتح (٣: ١٥): (ومحل ذلك ما إذا لم يفيض إلى الملل، لأن حال النبي ﷺ كانت أكمل الأحوال، فكان لا يعمل من عبادة ربه وإن أضر ذلك ببدنه، بل صح أنه قال: (وجعلت قرة عيني في الصلاة) كما أخرجه النسائي من حديث أنس. فأما غيره ﷺ، فإذا خشي الملل لا ينبغي له أن يكره نفسه، وعليه يحمل قوله ﷺ: خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يعمل حتى تملوا. وفيه مشروعية الصلاة للشكر، وفيه أن الشكر يكون بالعمل كما يكون باللسان، كما قال الله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ (سبا، آية: ١٣).

(وقال القرطبي: ظن من سأل عن سبب تحمله المشقة في العبادة أنه إنما يعبد الله خوفاً من الذنوب وطلباً للمغفرة والرحمة، فمن تحقق أنه غفر له لا يحتاج إلى ذلك، فأفادهم أن هناك

٧٠٥٦ - (٨٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ نُمَيْرٍ. قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ زُبَادِ بْنِ عِلَاقَةَ. سَمِعَ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ يَقُولُ: قَامَ الشَّيْءُ ﷺ حَتَّى وَرِمَتْ قَدَمَاهُ. قَالُوا: قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ. قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا».

٧٠٥٧ - (٨١) حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ وَهَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ. قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي أَبُو صَخْرٍ عَنْ ابْنِ قُسَيْطٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ. قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى، قَامَ حَتَّى تَقْصُرَ رِجْلَاهُ. قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَضَعُ هَذَا، وَقَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا».

(١٩) - باب: الاقتصاد في الموعظة

٧٠٥٨ - (٨٢) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا وَكِيعٌ وَأَبُو مُعَاوِيَةَ. ح وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، (وَاللَّفْظُ لَهُ)، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ بَابِ عَبْدِ اللَّهِ نَنْتَظِرُهُ. فَمَرَّ بِنَا يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ النَّخَعِيُّ. فَقُلْنَا: أَعْلِمُهُ بِمَكَانِنَا. فَدَخَلَ

طريقاً آخر للعبادة، وهو الشكر على المغفرة وإيصال النعمة لمن لا يستحق عليه فيها شيئاً، فيتعين كثرة الشكر على ذلك».

٨١ - (٢٨٢٠) - قوله: (عن ابن قُسيط) يضم القاف مصغراً، واسمه يزيد بن عبد الله بن قُسيط، ويقال له يزيد بن قُسيط أيضاً، مر ترجمته في كتاب الأضحية.

قوله: (عن عائشة) هذا الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة الفتح، باب قوله تعالى: ﴿لَيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (٤٨٣٧).

(١٩) - باب: الاقتصاد في الموعظة

٨٢ - (٢٨٢١) - قوله: (عند باب عبد الله) يعني ابن مسعود رضي الله عنه، وحديثه هذا أخرجه البخاري في العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم (٦٨)، وباب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة (٧٠)، وفي اندعوات، باب الموعظة ساعة بعد ساعة (٦٤١١)، وأخرجه الترمذي في الأدب، باب ما جاء في الفصاحة والبيان (٢٨٥٥).

قوله: (فمر بنا يزيد بن معاوية النخعي) هو كوفي ثقة عابد، ذكر العجلي أنه من طبقة الربيع بن خثيم. وذكر البخاري في تاريخه أنه قتل غازياً بفارس كأنه في خلافة عثمان. وليس له في الصحيحين ذكر إلا في هذا الموضع. كذا في فتح الباري: (١١: ٢٢٨).

قوله: (فقلنا: أعلمه بمكاننا) أي: أخبره بأننا ننتظره عند الباب. وفي رواية للبخاري في

عَلَيْهِ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ عَلَيْنَا عَبْدُ اللَّهِ. فَقَالَ: إِنِّي أَخْبَرُ بِمَكَانِكُمْ. فَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ إِلَّا كَرَاهِيَةً أَنْ أُمْلِكُكُمْ. إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَتَحَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ. مَخَافَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا.

٧٠٥٩ - (١٠٠) حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشَجُّ. حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ. ح وَحَدَّثَنَا مُنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ التَّمِيمِيُّ. حَدَّثَنَا ابْنُ مُسْهِرٍ. ح وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ. قَالَا: أَخْبَرَنَا عَيْسَى بْنُ يُونُسَ. ح وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ. حَدَّثَنَا سُفْيَانُ. كُلُّهُم عَنْ الْأَعْمَشِ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، نَحْوَهُ.

وَرَدَّ مُنْجَابُ فِي رِوَايَتِهِ عَنْ ابْنِ مُسْهِرٍ: قَالَ الْأَعْمَشُ: وَحَدَّثَنِي عُمَرُو بْنُ مُرَّةَ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، مِثْلَهُ.

٧٠٦٠ - (٨٣) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ. أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ. ح وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، (وَاللَّفْظُ لَهُ)، حَدَّثَنَا قُضَيْلُ بْنُ عِيَّاضٍ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ شَقِيقٍ، أَبِي وَائِلٍ،

الدعوات عن شقيق: (جاء يزيد بن معاوية، قلت: ألا تجلس؟ قال: لا، ولكن أدخل فأخرج إليكم صاحبكم، وإلا جئت أنا فجلست، فخرج عبد الله وهو أخذ بيده).

قوله: (إني أخبرُ بمكانكم) بضم الهمزة في (أخبر) وفتح الباء على البناء للمجهول. وسيأتي في رواية منصور أنه قال هذا الكلام جواباً لقول بعضهم: (إننا نحب حديثك ونشتهي، ولوددنا أنك حدثتنا كل يوم).

قوله: (كان يتحولنا) التحول: العهد، وخال المال، وخال على الشيء خولاً: إذا تعهد، ويقال: خال المال يخوله خولاً: إذا ساسه وأحسن القيام إليه، والخالل: المتعاهد للشيء المصلح له. وخول الله الشيء: أي: ملكه إياه. وهذه هي الرواية الصحيحة في هذا الحديث بالخاء المعجمة واللام. وذكر أبو عمرو الشيباني أن النصب (يتحولهم) بالخاء المعجمة، أي: يطلب أحوالهم التي ينشطون فيها للموعظة، فيعظهم. وكان الأصمعي يرويه: (يتخونهم) بالخاء المعجمة والنون، وهو بمعنى التعهد أيضاً، ولكن رواية أكثر المحدثين بالخاء واللام. كذا في عمدة القاري (٢: ٤٥).

قوله: (مخافة السامة علينا) السامة: الملالة وزناً ومعنى. قال الحافظ في الفتح (١: ١٦٣): (ويستفاد من الحديث استحباب ترك المداومة في الجهد في العمل الصالح خشية الملالة، وإن كانت المواظبة مطلوبة لكنها على قسمين: إما كل يوم مع عدم التكلف، وإما يوماً بعد يوم، فيكون يوم الترك لأجل الراحة ليُقبل على الثاني بنشاط، وإما يوماً في الجمعة، ويختلف باختلاف الأحوال والأشخاص).

قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُذَكِّرُنَا كُلَّ يَوْمٍ خَمِيسٍ. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّا نُحِبُّ حَدِيثَكَ وَنَسْتَهِيهِ. وَلَوْ دِدْنَا أَنَّكَ حَدَّثْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ. فَقَالَ: مَا يَمْنَعُنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ إِلَّا كَرَاهِيَةً أَنْ أُمْلِكُكُمْ. إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَتَحَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ. كَرَاهِيَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا.

قد تم كتاب صفة القيامة بفضل الله تعالى يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شهر صفر سنة ١٤١٤هـ. وأسأل الله سبحانه أن يوفقني لإكمال شرح باقي الأبواب على ما يحبه ويرضاه، وهو على كل شيء قدير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥١ - كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها

٧٠٦١ - (١) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ مَعْنَبٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ وَحُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَخُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ».

٥١ - كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها

١ - (٢٨٢٢) - قوله: (عن أنس بن مالك) هذا الحديث أخرجه الترمذي في صفة الجنة، باب خُفَّتِ الجنة بالمكاره وخُفَّتِ النار بالشهوات (٢٥٥٩).

قوله: (خُفَّتِ الجنة بالمكاره) بضم الحاء وتشديد الفاء من (حَفَّ الشيء): إذا أحاط به. والخفاف: ما يحيط بالشيء حتى لا يتوصل إليه إلا بتخطيه، فالجنة لا يتوصل إليها إلا بقطع مفاوز المكاره. وقد ورد في حديث أبي هريرة عند البخاري (حجبت) وهو أوضح. قال العلماء: هذا من بديع الكلام وفصيحه وجوامعه التي أوتيتها ﷺ من التمثيل الحسن. والمراد من المكاره هنا، وهو جمع مكروه، الأعمال الصالحة التي تتطلب الجهد والمشقة والصبر عن الشهوات والملذات.

وقد ورد تفصيل كون الجنة محفوفة بالمكاره في حديث لأبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم مرفوعاً: (لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبرائيل إلى الجنة، فقال: انظر إليها. قال: فرجع إليه فقال: وعزيت لا يسمع بها أحد إلا دخلها. فأمر بها فحُفَّتْ بالمكاره، فقال: ارجع إليها فرجع فقال: وعزيت! لقد خُفَّتْ أن لا يدخلها أحد. قال: اذهب إلى النار فانظر إليها، فرجع فقال: وعزيت لا يسمع بها أحد فيدخلها. فأمر بها فحُفَّتْ بالشهوات فقال: ارجع إليها، فرجع فقال: وعزيت! لقد خُشِتْ أن لا ينجو منها أحد).

قوله: (وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ) أي: الشهوات الممنوعة، كالخمر، والزنا، والنظر إلى الأجنبية والغيبة ونحو ذلك.

٧٠٦٢ (١٠٠) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ. حَدَّثَنَا شَبَابَةُ. حَدَّثَنِي وَرْقَاءُ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، بِمِثْلِهِ.

٧٠٦٣ - (٢) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو الْأَشْعَثِيُّ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ. (قَالَ زُهَيْرُ: حَدَّثَنَا. وَقَالَ سَعِيدُ: أَخْبَرَنَا) سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. قَالَ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَخَذْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ».

مِثْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ: «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [السجدة: ٤٧].

٧٠٦٤ - (٣) حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ. حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ. حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَخَذْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. دُخْرًا. بَلَّةً مَا أَطْلَعَكُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ».

٢ - (٢٨٢٤) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في الرقاق، باب حجبت النار بالشهوات (٦٤٨٧).

٣ - (١٠٠) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٣٢٤٤)، وفي تفسير سورة السجدة، باب «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ» (٤٧٧٩ و ٤٧٨٠)، وفي التوحيد، باب قول الله تعالى: «يُؤَيِّدُوكَ أَنْ يَسْأَلُوا كَلِمَ اللَّهِ» (٧٤٩٨)، وأخرجه الترمذي في تفسير سورة السجدة (٣١٩٧)، وأخرجه ابن ماجه في الزهد، باب صفة الجنة (٤٣٨٣).

قوله: (ولا خطر على قلب بشر) وزاد ابن مسعود في حديثه عند ابن أبي حاتم: (ولا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل) وهو يدفع قول من قال: إنما قيل: (البشر) لأنه يخطر بقلوب الملائكة. كذا في فتح الباري: (٨: ٥١٦).

قوله: (دُخْرًا) أي: حال كونه دُخْرًا مَذْخَرًا لَهُمْ.

قوله: (بَلَّةً مَا أَطْلَعَكُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ) (بَلَّةً) اسم فعل بمعنى (دَغ) ومعناه: دَع عَنْكَ مَا أَخْبَرَكَمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ، لِكُونِهِ قَلِيلًا فِي جَنْبِ مَا لَمْ يُخْبِرْكُمْ بِهِ. وقيل: إن (بَلَّةً) بمعنى: (غير) يعني: أن ما ذكر من نعيم الجنة هو سوى ما أخبركم الله تعالى به. وقيل: هو بمعنى (كيف) ولم يتضح لي معناه هنا، وقد وقع في رواية البخاري: «دُخْرًا مِنْ بَلَّةٍ مَا أَطْلَعْتُمْ عَلَيْهِ» وقد أطلال الحافظ في شرحه في فتح الباري (٨: ٥١٦) فراجع.

٧٠٦٥ - (٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ. قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ. وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، (وَاللَّفْظُ لَهُ)، حَدَّثَنَا أَبِي. حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَهْدَيْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. دُخْرًا. بَلَّةَ مَا أَطْلَمَكُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

٧٠٦٦ - (٥) حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ وَهَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ. قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ. حَدَّثَنِي أَبُو صَخْرٍ؛ أَنَّ أَبَا حَازِمٍ حَدَّثَهُ قَالَ: سَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ يَقُولُ: شَهِدْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسًا وَصَفَ فِيهِ الْجَنَّةَ. حَتَّى انْتَهَى. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي آخِرِ حَدِيثِهِ: «فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» ثُمَّ اقْتَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (١١) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة: ١٦، ١٧].

(١) - باب: إن في الجنة شجرة،

يسير الراكب في ظلها مائة عام، لا يقطعها

٧٠٦٧ - (٦) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ. حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ التَّمِيمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ أَنَّهُ قَالَ:

٥ - (٢٨٢٥) - قوله: (سمعت سهل بن سعد الساعدي) هذا الحديث ثم يخرج به أحد غير المصنف من الأئمة الستة، وأخرجه أحمد في مسنده (٥: ٣٣٤) والطبراني في معجمه الكبير (٦: ١٩٠) من طريق أبي بكر بن أبي شيبة، عن زيد بن الحباب عن سعيد بن عبد الرحمن الجسعي عن أبي حازم وفي (٦: ٢٤٧) من طريق أحمد بن حنبل عن هارون بن معروف بمثل إسناد مسلم.

قوله: (حتى انتهى) يعني: انتهى من وصفه للجنة تفصيلاً، ثم أجمل فقال: «فيها ما لا عين رأت إلخ».

(١) - باب: إن في الجنة شجرة يسير الراكب

في ظلها مائة عام إلخ

٦ - (٢٨٢٦) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة (٣٢٥٢)، وأخرجه أيضاً عن أنس، وفي تفسير سورة الواقعة، باب (وظلّ

«إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ».

٧٠٦٨ - (٧) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ، (يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجَزَامِيَّ)، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، بِمِثْلِهِ. وَزَادَ: «لَا يَقْطَعُهَا».

٧٠٦٩ - (٨) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ، أَخْبَرَنَا الْمُحْزُومِيُّ، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا».

مَتَدَوِّدُ (٤٨٨١)، وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ شَجَرِ الْجَنَّةِ (٢٥٢٣)، وَابْنُ مَاجَةٍ فِي الزَّهْدِ، بَابُ صِفَةِ الْجَنَّةِ (٤٣٩١).

قوله: (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً) قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ يَقَالُ: إِنَّهَا طَوْبَى. وَيُؤَيِّدُهُ مَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (٣: ٧١) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «طَوْبَى لِمَنْ رَأَى» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَمَا طَوْبَى؟ قَالَ: «الشَّجَرَةُ فِي الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ مِائَةِ عَامٍ لِيَأْبَ أَهْلُ الْجَنَّةِ تَخْرُجَ مِنْ أَكْمَامِهَا» وَفِي إِسْنَادِهِ ابْنُ لَهْيَعَةَ. وَفَدَّ ذَكَرَ الْحَافِظُ فِي الْمُنْتَحَبِ (٦: ٣٢٦) قَوْلَ ابْنِ الْجَوْزِيِّ الْمَذْكُورَ، ثُمَّ قَالَ: «وَشَاهِدَ ذَلِكَ فِي حَدِيثِ عَتِيبَةَ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ عِنْدَ أَحْمَدَ وَالطَّبْرَانِيِّ وَابْنِ حِبَّانَ. فَهَذَا هُوَ الْمُعْتَمَدُ، خِلَافًا لِمَنْ قَالَ: إِنَّمَا نَكَّرَتْ (أَي: الشَّجَرَةَ) لِنَتْنِيهِ عَلَى اخْتِلَافِ جَنَسِهَا بِحَسَبِ شَهَوَاتِ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

قَالَ الْعَبْدُ الضَّعِيفُ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ: حَدِيثُ عَتِيبَةَ بْنِ عَبْدِ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (٥: ١٨٣) وَ (١٨٤)، وَذَكَرَ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ (١٠: ٤١٣ وَ ٤١٤) عَنِ الطَّبْرَانِيِّ، وَنَاسٍ فِيهِ أَنَّ شَجَرَةَ طَوْبَى يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ، نَعَمْ، ذَكَرَ فِيهِ: «لَوْ ارْتَحَلْتَ جُلْدَةً مِنْ بَيْلِ أُحُدٍ مَا أَحَاطْتَ بِأَصْلِهَا حَتَّى تَنْكَسِرَ تَرْقُونُهَا هَرَمَاءَ وَفِيهِ أَنَّهُ ﷺ سَمِلَ عَنْ عَظْمٍ عَنُقُودَهَا فَقَالَ: «مَسِيرَةُ شَهْرٍ لِلْغَرَابِ الْأَبْقَعِ وَلَا يُمْرُ» فَلَا أَوْلَى الْإِسْتِشْهَادِ بِمَا ذَكَرْتَهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قوله: (فِي ظِلِّهَا) فَإِنَّ الْقَاضِي عِيَاضَ: «ظِلُّهَا: كَنْفُهَا، وَهُوَ مَا تَسْتَرُهُ أَغْصَانُهَا. وَقَدْ يَكُونُ ظِلُّهَا نَعِيمُهَا وَرَاحَتُهَا، مِنْ قَوْلِهِمْ: «عَيْشٌ ظِلِيلٌ» وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: «الْحَاشِيَ إِلَى تَأْوِيلِ الظِّلِّ بِمَا ذَكَرَ هَرُوبًا عَنِ الظِّلِّ فِي الْعَرَفِ، لِأَنَّهُ مَا يَبْقَى حَرَّ الشَّمْسِ، وَلَا شَمْسٌ فِي الْجَنَّةِ، وَلَا بَرْدٌ وَلَا حَرٌّ، وَإِنَّمَا هُوَ نُورٌ يَتَلَاوَأُ» كَذَا فِي شَرْحِ الْأَبِيِّ.

٨ - (٢٨٢٧) - قوله: (عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ) هَذَا الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الرِّقَاقِ، بَابُ صِفَةِ الْجَنَّةِ وَالتَّارِ (٦٥٥٢).

2828 - قَالَ أَبُو حَازِمٍ: فَحَدَّثْتُ بِهِ التُّعْمَانَ بْنَ أَبِي عِيَّاشٍ الرَّزْقِيَّ. فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّكَّابُ الْجَوَادُ الْمُضْمَرُ السَّرِيعُ، بِأَثَرِ عَامٍ، مَا يَقْطَعُهَا».

(٢) - باب: إحلال الرضوان على أهل الجنة، فلا يسخط عليهم أبداً

٧٠٧٠ - (٩) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَهْمٍ. حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ. أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ. ح وَحَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ، (وَاللَّفْظُ لَهُ)، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ. حَدَّثَنِي مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ. فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى

قوله: (حدثني أبو سعيد الخدري) هذا الحديث أخرجه البخاري في الرقاق، باب صفة الجنة والنار (٦٥٥٣)، وأخرجه الترمذي في صفة الجنة، باب ما جاء في صفة شجر الجنة (٢٥٢٤).

قوله: (الجواد المضمَر) منصوب على كونه مفعولاً لقوله (الراكب). والجواد: القوس الجيد، والمضمَر من الخيل الذي خُفَّ لحمه بالتضمير، وقد مرَّ تفسيره في كتاب الإمارة (ص: ٣٨٨، ج: ٣) وأنه يُقْتَل من علفه، يُبْقَى على الجري.

قوله: (ما يقطعها) يعني: لا يقطع الراكب مسافة الشجرة، وقد زاد البخاري في حديث أبي هريرة في التفسير: «وَأَقْرَبُوا إِنْ شِئْتُمْ: وَظِلٌّ مُنْدُودٌ وَكَانَ أَيْ هَرِيرَةً ﷺ فَسَرَّ الظِّلَّ الْمَمْدُودَ الْمَذْكُورَ فِي سُورَةِ الْوَاقِعَةِ بِظِلِّ هَذِهِ الشَّجَرَةِ. وَيُؤَيِّدُهُ مَا أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «الظِّلُّ الْمَمْدُودُ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ عَلَى سَاقٍ قَدَرِ مَا يَسِيرُ الرَّاكِبُ الْمُجِدُّ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ مِنْ كُلِّ نَوَاحِيهَا، فَيُخْرِجُ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَحَدَّثُونَ فِي ظِلِّهَا، فَيَسْتَهَيُّ بَعْضُهُمُ الْآلِهَةَ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ رِيحاً، فَيَحْرُكُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ بِكُلِّ لَهْوٍ كَانَ فِي الدُّنْيَا ذَكَرَهُ الْحَافِظُ فِي بَدْءِ الْخَلْقِ مِنَ الْفَتْحِ (٦: ٣٢٧).

(٢) - باب: إحلال الرضوان على أهل الجنة إلخ

٩ - (٢٨٢٩) - قوله: (عن أبي سعيد الخدري) هذا الحديث أخرجه البخاري في الرقاق، باب صفة الجنة والنار (٦٥٤٩)، وفي التوحيد: باب كلام الرب مع أهل الجنة (٧٥١٨)، وأخرجه الترمذي في صفة الجنة، باب بلا ترجمة (٢٥٥٥).

قوله: (فيقول: هل رضيتم؟) وفي حديث جابر عند البراز وصححه ابن حبان: «هل تستهون شيئاً؟».

يَا رَبِّ، وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ. فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيَكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي. فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا.

(٣) - باب: ترائي أهل الجنة. أهل الغرف،

كما يرى الكوكب في السماء

٧٠٧١ - (١٠) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ. حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، (يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَارِيَّ)، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ الْغُرَفَةَ فِي الْجَنَّةِ كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ فِي السَّمَاءِ».

قوله: (وقد أعطيتنا) وفي حديث جابر: «وהל شيء أفضل مما أعطيتنا».

قوله: (أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي) أي: أنزل. وفي حديث جابر: «ورضواني أكبر» وفيه تلميح بقوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (النوبة: ٧٢)، لأن رضاه سبب كل فوز وسعادة، وكل من علم أن سيده راض عنه كان أقر لعينه وأطيب لقلبه من كل نعيم، لما في ذلك من التعظيم والتكريم.

وقال الشيخ محمد بن أبي جمرة رحمه الله: «في هذا الحديث جواز إضافة المنزل لساكنه، وإن لم يكن في الأصل له، فإن الجنة ملك الله عز وجل، وقد أضافها لساكنها بقوله: «يا أهل الجنة...» والحكمة في ذكر دوام رضاه بعد الاستقرار أنه لو أخبر به قبل الاستقرار لكان خبراً من باب علم اليقين، فأخبر به بعد الاستقرار ليكون من باب عين اليقين، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقَلِّمُوا النَّفْسَ الَّتِي خَفِيَ لَهَا مِنْ فُرْقَةِ آدَمَ﴾ [السجدة: ١٧] كذا في فتح الباري (١٣: ٤٨٨).

(٣) - باب: ترائي أهل الجنة أهل الغرف

كما يرى الكوكب في السماء

١٠ - (٢٨٣٠) - قوله: (عن سهل بن سعد) هذا الحديث أخرجه البخاري في الرقاق، باب صفة الجنة والنار (٦٥٥٥).

قوله: (ليترآون الغرفة في الجنة) الغرفة منزلة من أعلى منازل الجنة، وقد أخرج الترمذي وابن حبان عن أبي مائل الأشعري مرفوعاً: «إن في الجنة عُرفاً يرى ظاهرها من باطنها» وروى البيهقي نحوه عن جابر، وزاد: «من أصناف الجواهر كله» كما في فتح الباري (١١: ٤٦٥). والمراد من رؤية الغرفة هنا أن أهل الجنة تتفاوت منازلهم بحسب درجاتهم في الفضل، حتى إن أهل الدرجات العليا يراهم من هو أسفل منهم كالنجوم.

2831 - قَالَ: فَحَدَّثْتُ بِذَلِكَ النُّعْمَانَ بْنَ أَبِي عِيَّاشٍ. فَقَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ يَقُولُ: «كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ فِي الْأَفْقِ الشَّرْقِيِّ أَوْ الْغَرْبِيِّ».

٧٠٧٢ - (٠٠٠) وَحَدَّثَنَاهُ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ. أَخْبَرَنَا الْمُحَرَّرُومِيُّ. حَدَّثَنَا وَهْبٌ، عَنْ أَبِي حَارِثٍ، بِالْإِسْنَادَيْنِ جَمِيعاً، نَحْوَ حَدِيثِ يَعْقُوبَ.

٧٠٧٣ - (١١) حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ. حَدَّثَنَا مَعْنٌ. حَدَّثَنَا مَالِكٌ. ح وَحَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ، (وَاللَّفْظُ لَهُ)، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ. أَخْبَرَنِي مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغَرْبِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنَ الْأَفْقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ. لِيَتَفَاضَلَ مَا بَيْنَهُمْ» قَالُوا:

(٢٨٣١) - قوله: (الكوكب الدُرِّي) بضم الدال وتشديد الراء والياء، هو النجم الشديد الإضاءة، وهو منسوب إلى الدُرِّ لياضه وضيائه.

قوله: (في الأفق الشرقي أو الغربي) قال الطيبي: «شبه رؤية الرائي في الجنة صاحب الغرفة برؤية الرائي الكوكب المضيء النائم في جانب المشرق والمغرب في الاستضاءة مع البعد».

(٠٠٠) - قوله: (بالإسنادين جميعاً) يعني: من طريق سهل بن سعد، ومن طريق طريق النعمان بن أبي عياش عن أبي سعيد الخدري.

(٢٨٣١) - قوله: (عن أبي سعيد الخدري) هذا الحديث أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة (٣٢٥٦)، وفي الرقاق، باب صفة الجنة والنار (٦٥٥٦).

قوله: (الغابر من الأفق) الغابر هنا بمعنى الذهاب الماشي، و (من) الأولى لا ابتداء الغاية أو هي للظرفية، و (من) الثانية مبينة لها. وقد وقع في رواية البخاري: «الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب» وفي بعض النسخ: «إلى المشرق» كما ذكره القرطبي. وراجع فتح الباري (٣٢٧: ٦).

قوله: (من المشرق أو المغرب) استشكله ابن التين وقال: «إنما تغور الكواكب في المغرب خاصة، فكيف وقع ذكر المشرق» وإنما يقع هذا الإشكال على رواية من روى الحديث بلفظ (الغائر) بدلاً من (الغابر) والرواية المشهورة: (الغابر) بالياء، والمقصود من ذكر المشرق والمغرب أن الكوكب حين الطلوع والغروب يبعد عن العين ويظهر صغيراً لبعده، فشبه الغرفة بالكوكب الطالع في المشرق أو المتدلي للغروب في المغرب، والله أعلم.

يَا رَسُولَ اللَّهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَتَلَعَّهَا غَيْرُهُمْ. قَالَ: «بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ».

(٤) - باب: فيمن يؤد رؤية النبي ﷺ، بأهله وماله

٧٠٧٤ - (١٢) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، (يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ)، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَشَدَّ أُمْتِي لِي حُبًّا، نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي، يَوَدُّ أَخَذَهُمْ لَوْ رَأَوْنِي، بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ».

(٥) - باب: في سوق الجنة، وما ينالون فيها من النعيم والجمال

٧٠٧٥ - (١٣) حَدَّثَنَا أَبُو عُمَانَ، سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ الْبَصْرِيُّ. حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتِ الْبَغْدَادِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا.....»

قوله: (رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين) قال الحافظ: «أي: حق تصديقهم، وإلا لكان كل من آمن وصدق رسوله وصل إلى تلك الدرجة وليس كذلك، ويحتمل أن يكون التذكير في قوله (رجال) يشير إلى ناس مخصوصين موصوفين بنصفه المذكورة... وقد وقع في رواية الترمذي من وجه آخر عن أبي سعيد: «وأن أبا بكر وعمر لحنهم وأنعماء» وروى الترمذي أيضاً عن عني مرفوعاً: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَعَرَفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بَطُونِهَا، وَبَطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا. فَقَالَ أَعْرَابِي: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: هِيَ لِمَنْ أَلَانَ الْكَلَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامَ».

(٤) - باب: فيمن يؤد رؤية النبي ﷺ إلخ

١٢ - (٢٨٣٢) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث من أفراد الإمام مسلم لم يخرج غيره من الأئمة الستة.

قوله: (بأهله وماله) يعني: أنه يستعد لأن يبذل ماله وأهله لأجل رؤية النبي ﷺ.

(٥) - باب: في سوق الجنة وما ينالون فيها من النعيم والجمال

١٣ - (٢٨٣٣) - قوله: (عن أنس بن مالك) هذا الحديث أيضاً من أفراد مسلم.

قوله: (إن في الجنة لسوقاً) قال القرطبي: «يحتمل هذا السوق أنه موضع يجتمعون فيه للتزاور، لأن أهل الجنة لا يفقدون شيئاً حتى يحتاجوا إلى شرائه من السوق، ويحتمل أنها سوق تشتمل على المشتريات، كما أن الأسواق في الدنيا كذلك، حتى إذا جاء أهل الجنة ورأوا ما فيها من المشتريات أخذ كل ما يشتهي بغير عوض».

يَأْتُونَهَا كُلُّ جُمُعَةٍ فَتَهْبُ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَيُبَايِعُهُمْ. فَيَزَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا. فَيَزِجُّوْنَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدْ اَزْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا. فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللَّهِ، لَقَدْ اَزْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا. فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ، وَاللَّهِ، لَقَدْ اَزْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا.

قوله: (يأتونها كل جمعة) فال النووي: «أي: في مقدار كل جمعة، أي: أسبوع، وليس هناك حقيقة الأسبوع، لفقد الشمس والليل والنهار» لكن قال العلامة علي القاري في المرقاة (١٠: ٣٢٢): «قلت: وإنما يعرف وقت الليل والنهار بإرخاء أستار الأنوار ورفعها على ما ورد في بعض الأخبار، فبهذا يعرف يوم الجمعة وأيام الأعياد وما يترتب عليهما من الزيارة والرؤية، وسائر الإمداد والإسعاد. ففي الجامع أن أهل الجنة ليحتاجون إلى العلماء في الجنة، وذلك أنهم يزورون الله تعالى في كل جمعة فيقول لهم: تمتوا علي ما شئتم، فيلتفتون إلى العلماء فيقولون: ماذا نتمنى؟ فيقولون: تمتوا عليه كذا وكذا، فهم يحتاجون إليهم في الجنة كما يحتاجون إليهم في الدنيا. رواه ابن عساكر عن جابر. هذا، وتسمية يوم الجمعة بيوم المزيد في الجنة يدل على تمييزه عن سائر الأيام، والله تعالى أعلم.

قوله: (فتهب ربح الشمال) بفتح الشين: وهي الريح التي تأتي من جهة الشمال، وفيه لغات: الشمال، والشمال بالهمز بين الميم الساكنة واللام، والشعل بفتح الحين، والشمول بوزن القبول والذبور، وإنما خصت ربح الشمال بالذكر لأنها كانت معروفة عند العرب في أنها تأتي بالمطر.

قوله: (فتحثو في وجوههم) أي: تنثر والمفعول محذوف، أي: المسك وأنواع الطيب، والمراد بالوجوه الأبدان أو الذوات، وإنما خصت الوجوه لشرفها.

قوله: (فيزدادون حسناً وجمالاً) قيل: يكون زيادة حسنهم بقدر حسناتهم.

قوله: (وقد ازدادوا حسناً وجمالاً) يعني: أنهم يجدون أن أهلهم الذين تركوهم في بيوتهم قد ازداد جمالهم، وهو إما لكونهم أصابتهم نفس الريح في البيوت أيضاً، وإما بسبب انعكاس جمال القادمين من السوق، أو لأجل تأثير حالهم وترقي مآلهم. كذا في مرقاة المفاتيح لعلي القاري رحمه الله.

(٦) - باب: أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، وصفاتهم وأزواجهم

٧٠٧٦ - (١٤) حَدَّثَنِي عُمَرُو النَّاقِدُ وَيَعْقُوبُ بْنُ إِسْرَاهِيمَ الدُّورَقِيُّ، جَمِيعًا عَنْ ابْنِ عُثَيْبٍ، (وَاللَّفْظُ لِيَعْقُوبَ)، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُثَيْبٍ، أَخْبَرَنَا أَيُّوبُ، عَنْ مُحَمَّدٍ قَالَ: إِمَّا تَفَاخَرُوا وَإِمَّا تَذَكَّرُوا: الرِّجَالُ فِي الْجَنَّةِ أَكْثَرُ أَمْ النِّسَاءُ؟ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَوْ لَمْ يَقُلْ أَبُو الْقَاسِمِ عليه السلام: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى أَضْوَاءِ كَوْكَبٍ ذَرِي فِي السَّمَاءِ».....

(٦) - باب: أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر إلخ

١٤ - (٢٨٣٤) - قوله: (عن محمد قال: إما تفاخروا) إلخ: محمد ههنا هو ابن سيرين، والمراد من قوله (إما تفاخروا وإما تذاكروا) أن جماعة من الناس اختلفوا فيما بينهم في أن الرجال في الجنة أكثر أم النساء، وكان هذا الاختلاف إما مذاكرة فيما بينهم، وإما مفاخرة للرجال على النساء أو على العكس. ويوضحه رواية سفيان الآتية.

قوله: (فقال أبو هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة (٣٢٤٦)، وفي الأنبياء، باب خلق آدم وذريته (٣٣٢٧)، وأخرجه الترمذي في صفة الجنة، باب ما جاء في صفة الجنة (٢٥٣٧)، وابن ماجه في الزهد، باب صفة الجنة (٤٣٨٨ و ٤٣٨٩).

قوله: (أولم يقل أبو القاسم عليه السلام) استدلل أبو هريرة عليه السلام بهذا الحديث على أن النساء في الجنة أكثر، لأن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر أنه ستكون في الجنة زوجتان لكل رجل من الزمرة الأولى والتي تليها، ثم ذكر أنه لا يكون في الجنة رجل أعزب، فلا أقل من أن تكون له زوجة واحدة، فالنتيجة أن عدد النساء في الجنة أكثر، لأن لكل رجل زوجة على الأقل، ول بعضهم زوجتان. وهذا كله من الأدبيات، وأما الحور، فقد ورد في الحديث أن للواحد منهن العدد الكثير. أفاده النقاضي عياض كما نقل عنه الأبي.

قوله: (إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر) إلخ: الزمرة: الجماعة، وقد ورد بيان عددهم وطريق دخولهم في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه عند البخاري في الرقاق (رقم: ٦٥٥٤) ولفظه: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ليدخلن الجنة من أمتي سبعون - أو سبعمائة ألف، لا يدري أبو حازم أيهما قال - متمسكون أخذ بعضهم بعضاً، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخروهم، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر».

قوله: (والتي تليها كأضواء كوكب ذري) يعني: أن الزمرة التي تلي الأولى تكون في ضوئها وجمالها كأكثر كوكب ضياء، وقال الطيبي رحمه الله في شرح المشكاة (١٠: ٢٣٨): «أفرد المضاف إليه (كوكب ذري) ليفيد الاستغراق في النوع من الكوكب. يعني إذا تفصيت

لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ اثْنَتَانِ. يُرَى مَخْرُجُهُمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ.

كوكباً كوكباً رأيتهم كأشده إضاءة» و (الدرّي) معناه المضيء المنير، كما تقدم في الباب السابق.

قوله: (لكل امرئ منهم زوجتان) استشكله بعض العلماء بأنه قد ورد في عدة أحاديث أنه سيكون لأهل الجنة عدد كثير من الأزواج المطفرة، فقد روى أحمد عن أبي هريرة مرفوعاً في صفة أدنى أهل الجنة منزلة: «وإن له من الحور العين اثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه في الدنيا» وفي سننه شهر بن حوشب، وفيه مقال. وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً: «إن أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم، وثلثان وسبعون زوجة» وقال: غريب. وكذلك أخرج عن المقدم بن معديكرب: «الشهيد ست خصال» وفيه: يتزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين» وقد أخرج ابن ماجه والدارمي عن أبي أمامة مرفوعاً: «ما أحد يدخل الجنة إلا زوجة الله ثنتين وسبعين من الحور العين» وسنده ضعيف جداً، كما ذكره الحافظ في الفتح (٦: ٣٢٥).

فأجاب الطيبي عن هذا الإشكال قائلاً: «الظاهر أن الثنية (أي: في حديث الباب) للتكرار لا للتجديد، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثُ الْكَافِرِينَ﴾ [الملك: ٤٤]، لأنه قد جاء أن للواحد من أهل الجنة العدد الكثير من الحور العين» راجع شرحه للمشكاة (١٠: ٢٣٩) ولكن هذا الجواب بعيد جداً كما ترى، ولا سيما حين أكد النبي ﷺ صيغة الثنية في حديث الباب بقوله: (اثنتان).

وذكر ابن القيم رحمه الله تعالى - كما حكى عنه الحافظ - على العكس من ذلك أنه ليس في الأحاديث الصحيحة زيادة على زوجتين سوى ما في حديث أبي موسى: «إن في الجنة للمؤمن لخيمة من لؤلؤة له فيها أهلون يطوف عليهم» ويحتمل أن يكون (أهلون) في هذا الحديث شاملاً لغير الزوجتين أيضاً.

ولكن أكثر العلماء على أن الروايات التي تدل على كثرة أزواج أهل الجنة متعددة يقوي بعضها بعضاً، فالمراد من الزوجتين في حديث الباب زوجتان من نساء الدنيا. وإلى ما القاضي عياض والحافظ ابن حجر وغيره. وهذا واضح فيمن كانت له زوجتان في الدنيا. أما من لم تكن له زوجة في الدنيا، أو كانت له واحدة فقط، فلعله يزوج بنساء الدنيا التي لم يكن لهن أزواج فيها، والله سبحانه أعلم.

قوله: (يُرى مَخْرُجُهُمَا مِنْ وَرَاءِ الْعِظَمِ) المَخْرُجُ: اللَّبُّ داخل العظم، والمراد بهذا وصف الزوجة بالصفاء البالغ وأن ما في داخل عظمها لا يستتر بالعظم واللحم والجلد، وقد أعقبه في رواية همام بن منبه في الباب الآتي بقوله (من الحسن) دفعاً لما قد يتوهم في تصور تلك الرؤية مما ينفر عنه الطبع. وزاد الطبراني في الأوسط عن ابن مسعود: «كما يرى الشراب الأحمر في الزجاج البياض» راجع مجمع الزوائد للهيثمي (١٠: ٤١١).

وَمَا فِي الْجَنَّةِ أَغْرَبُ؟».

٧٠٧٧ - (١٠٠) حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ. حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ ابْنِ سِيرِينَ. قَالَ: اخْتَصَمَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ: أَيُّهُمْ فِي الْجَنَّةِ أَكْثَرُ؟ فَسَأَلُوا أَبَا هُرَيْرَةَ فَقَالَ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ عليه السلام: بِمِثْلِ حَدِيثِ ابْنِ عَلِيٍّ.

٧٠٧٨ - (١٥) وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ. حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ، (يُغْنِي ابْنُ زِيَادٍ)، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ الْقُعْقَاعِ. حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ» ح وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، (وَاللَّفْظُ لِقُتَيْبَةَ)، قَالَا: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ. وَالَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ ذَرِيٍّ فِي السَّمَاءِ، إِضَاءَةً. لَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَحِطُونَ وَلَا يَنْفَلُونَ. أَمْسَاطُهُمُ الذَّهَبُ.

قوله: (وما في الجنة أغرب) أي: من لا زوجة له، والمعشور في اللغة: (عزب) بدون الهمزة في أوله، وبه رواه أكثر الرواة، كما ذكر القاضي عياض، ووقع (أعزب) في رواية العذري، وقال القاضي: (وليس بشيء).

قوله: (لا يبولون ولا يتغوطون) وقد أخرج النسائي من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: «جاء رجل من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقال: أتزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ قال: إي والذي نفسي بيده إن الرجل منهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة، فقال الرجل: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة، وليس في الجنة أذى فقال له ﷺ: حاجة أحدهم رشح يفيض من جلده كرشح المسك» أخرجه في تفسير سورة الزخرف من سننه الكبرى (٦: ٤٥٤، رقم: ١١٤٧٨/١)، وأخرجه الطبراني في الأوسط والكبير، ولفظه: «بيننا نحن عند النبي ﷺ إذ أقبل رجل من اليهود، يقال له ثعلبة بن الحارث، فقال: السلام عليك يا محمد، فقال: وعليكم. فقال اليهود: تزعم أن في الجنة طعاماً وشراياً وأزواجاً؟ فقال النبي ﷺ: نعم! تؤمن بشجرة المسك؟ قال: نعم، قال: وتجدها في كتابكم؟ قال: نعم، قال: وإن البول والجنابة عرق يسيل من تحت ذوائبهم إلى أقدامهم، مسك» راجع له مجمع الزوائد للمهشمي (١٠: ٤١٦).

وقال ابن الجوزي رحمه الله: «لما كانت أغذية أهل الجنة في غاية اللطافة والاعتدال، لم يكن فيها أذى ولا فُضلة تستقدر، بل يتولد عن تلك الأغذية أطيب ريح وأحسنه كذا في فتح الباري (٦: ٣٢٤).

قوله: (ولا يتفلون) بكسر الفاء أي: لا يبصفون، والتفل: البصاق، والتفل رميك الشيء من فلك.

وَرَشَحَهُمُ الْمِسْكُ. وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ. وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعِينُ. أَخْلَقَهُمْ عَلَى خُلُقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ. عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ. سِتُونَ ذِرَاعاً، فِي السَّمَاءِ.

٧٠٧٩ - (١٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ. قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَّلُ رُمَرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي، عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ. ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ نَجَمٍ، فِي السَّمَاءِ، إِضَاءَةً. ثُمَّ هُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنَازِلُ. لَا يَتَقَوُّونَ وَلَا يُؤَلُّونَ وَلَا يَمْتَحِنُونَ وَلَا يَبْرُقُونَ. أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ. وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ. وَرَشَحَهُمُ الْمِسْكُ. أَخْلَقَهُمْ عَلَى خُلُقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى طُولِ أَبِيهِمْ آدَمَ، سِتُونَ ذِرَاعاً.

قَالَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ: عَلَى خُلُقِ رَجُلٍ. وَقَالَ أَبُو كُرَيْبٍ: «عَلَى خُلُقِ رَجُلٍ». وَقَالَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ: «عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ».

قوله: (وَرَشَحَهُمُ الْمِسْكُ) والرُّشْحُ، بفتح الراء وسكون الشين: العرق.

قوله: (وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ) المجامر جمع المجمر، بكسر الميم الأولى، وهو الذي توضع فيه النار للبخور. والألوة، بفتح الهمزة وضم اللام: العود الهندي. والمعنى أن مجامرهم يبخّر فيه العود الهندي، ووقع في رواية: (وقود مجامرهم الألوة) وهو أوضح.

وقال علي القاري في المرقاة (١٠: ٣٢٤): «وهذا كله من اللذات المتوالية والشهوات المتعالية، وإلا فلا تلبد لشعورهم ولا وسخ ولا عفونة لأبدانهم وثيابهم، بل ريحهم أطيب من المسك، فلا حاجة لهم إلى التمشط والتبخير إلا لزيادة الزينة والتلذذ بأنواع النعمة الحسية».

قوله: (عَلَى خُلُقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ) بيّن المصنف رحمه الله بعد الرواية الآتية أن ابن أبي شيبَةَ رواه بضم الخاء واللام (عَلَى خُلُقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ)، وأن كُرَيْباً رواه بفتح الخاء وسكون اللام: (عَلَى خُلُقِ رَجُلٍ) والمعنى على الأول أنهم يشابه بعضهم بعضاً في الأخلاق الفاضلة، ويؤيده ما سيأتي في رواية همام أنه لا اختلاف بينهم ولا تباغض، وأن قلوبهم قلب واحد. والمعنى على الثاني: أنهم متشابهون فيما بينهم في الخلقة، ويؤيده ما جاء في نفس هذه الرواية أنهم على طول أبيهم آدم عليه السلام وعلى صورته. والحاصل أنهم متشابهون في الخُلُقِ والخُلُقِ جميعاً.

قوله: (سِتُونَ ذِرَاعاً فِي السَّمَاءِ) أي: طُولاً، فكُنِيَ به عنه، والله سبحانه وتعالى أعلم بخلقهِ وأحوال آخرتهم.

(٧) - باب: في صفات الجنة وأهلها، وتسبيحهم فيها بكرة وعشيا

٧٠٨٠ - (١٧) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَّلُ رُمْزَةٍ تُلِجُ الْجَنَّةَ، صُورُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا يَنْصُقُونَ فِيهَا وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَنْغُطُونَ فِيهَا، آبَتْهُمْ وَأَمْسَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمْ مِنَ الْأَلْوَةِ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ رَوْحَتَانِ، يَرَى مُخِ سَاقِبَتَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ، مِنَ الْحُسْنِ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يَسْبَحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا».

٧٠٨١ - (١٨) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ - وَاللَّفْظُ لِعُثْمَانَ - قَالَ عُثْمَانُ: حَدَّثَنَا، وَقَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَنْقَلِبُونَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَنْغُطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ»، قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: «جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشِجِ الْمِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ، كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفْسَ».

(٧) - باب: في صفات الجنة وأهلها، وتسبيحهم فيها بكرة وعشيا

١٧ - (٠٠٠) - قوله: (هذا ما حدثنا أبو هريرة) هو نفس الحديث السابق، رواه المصنف هنا برواية همام بن منبه، وقد مر تخريجه.

قوله: (يسبحون الله بكرة وعشيا) أي: فدرهما، وهذا التسبيح ليس عن تكليف وإلزام بل هو تسبيح شكر وتلذذ، وسيأتي تفصيله في حديث جابر عليه السلام.

١٨ - (٢٨٣٥) - قوله: (عن جابر) هذا الحديث أخرجه أيضاً أبو داود في السنة، باب في الشفاعة (٤٧٤١).

قوله: (إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون) قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: «مذهب أئمة المسلمين أن نعيم أهل الجنة حتي، كنعيم أهل الدنيا، إلا ما بينهم من التفاوت الذي لا شركة فيه إلا في الاسم، وأنه دائم لا ينقطع، خلافاً للفلاسفة وغلاة الباطنية وكذا النصارى في قولهم: إن نعيم الآخرة إنما هو لذات عقلية، وانتقال من هذا العالم إلى الملا الأعلى، وهذا المعنى هو المعبر عنه عندهم بالجنة، وخلافاً لبعض المعتزلة في أن نعيم الجنة غير دائم، وإنما هو لأجل، وقالوا مثله في عذاب جهنم، إلا أنه عندهم بفنون. وهذا كله خلاف ملة الإسلام وسخافة عقل، وخلاف ما في كتاب الله تعالى وأحاديث نبيه ﷺ، وقد ذكر مسلم في ذلك من الأحاديث ما فيه كفاية» كذا في شرح الأبي.

٧٠٨٢ - (١٠٠) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ. قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، إِلَى قَوْلِهِ: «كَرَّ شَحِ الْمُسْكِ».

٧٠٨٣ - (١٩) وَحَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلَوَانِيُّ وَحَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ. كِلَاهُمَا عَنْ أَبِي عَاصِمٍ. قَالَ حَسَنٌ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ. أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ؛ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَأْكُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ. وَلَا يَتَقَوُّطُونَ وَلَا يَمْتَسِخَطُونَ وَلَا يَبُولُونَ. وَلَكِنْ طَعَامُهُمْ ذَاكَ جُشَاءٌ كَرَّ شَحِ الْمُسْكِ. يُلْهَمُونَ الشَّبِيحَ وَالْحَمْدَ، كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفْسَ».

قوله: (قال: جُشَاء) بضم الجيم، وهو تنفس المعدة من الامتلاء، وهو صوت مع ريح يخرج من الفم، والمعنى ههنا أن فضل الطعام يصير جُشَاء، أي: نظيره، وإلا فجُشَاء الجنة لا يكون مكروهاً بخلاف جُشَاء الدنيا.

قوله: (ورشح) أي: عرق، يعني يصير الطعام رشحاً. قال علي القاري في المرقاة (١٠): (٣٢٥): «وهو إما باعتبار اختلاف الأشخاص أو الأوقات، أو بعض الطعام يكون جُشَاء، وبعضه يكون رشحاً. والأظهر أن الأكل يتقلب جُشَاء، والشرب يعود رشحاً. والطعام قد يطلق عليهما نظراً إلى معنى الطعم».

قوله: (يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ والتَّحْمِيدَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفْسَ) أي: يلهمهم الله التَّسْبِيحَ كما يلهمهم النفس. ووجه التشبيه أن تنفس الإنسان لا كلفة عليه فيه، ولا بد له منه، فجعل تنفسهم تسبيحاً، وسببه أن قلوبهم تنورت بمعرفة الرب سبحانه وامتلات بحبه، ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره. كذا في فتح الباري (٦: ٣٢٦).

وقال الراغب: «في هذا الحديث إشارة عجيبة، لأنه إذا أمكن أن يأكل دُود أظعمة مستحيلة فيخلف جُشَاء طيباً يبقى أطول مدة فلا يلحقه فساد، فكيف يُنكر أن يتناول أهل الجنة طعاماً معدى عن المفونات والاستحالات فيخلف منه مسك؟ والذي يستبعده بعض الناس من ذلك هو أنهم يريدون أن يتصوروا أبداناً متناولة لأظعمة لا استحالة فيها ولا تغير لها ولا يكون فيها فضولات، وتصور ذلك محال. وذلك أن التصور هو إدراك الوهم خيال ما أدركه الحس جزؤه ولا كله كيف يمكن تصوره؟ ولو كان للإنسان سبيل إلى تصور ذلك لما قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] ولما قال عليه الصلاة والسلام مخبراً عن الله تعالى: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر». وجملة الأمر يجب أن يكون معلوماً أن النقصانات منتفية عن الجنة لأنها من الأعدام، وليس في الجنة أعدام، إذ هي في غاية الكمال والتمام» كذا في الكاشف عن حقائق السنن للطبري (١٠: ٢٤١).

قَالَ: وَفِي حَدِيثِ حُجَّاجٍ: «طَعَامُهُمْ ذَلِكَ».

٧٠٨٥ - (٢٠) وَحَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى الْأَمَوِيُّ، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، بِمِثْلِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «وَيُلْهَمُونَ الشَّبِيعَ وَالتَّكْبِيرَ، كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفْسَ».

(٨) - باب: في دوام نعيم أهل الجنة، وقوله تعالى:

﴿وَيُودَدُوا أَنْ يَلَاحُظُوا الْجَنَّةَ أَوْ يَرْتَمُوها بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]

٧٠٨٥ - (٢١) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْلُغُ أَتَمَّ شَيْءٍ، لَا يَبْلُغُ ثَبَاتَهُ وَلَا يَفْقَهُ شَبَابَهُ».

٧٠٨٦ - (٢٢) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، (وَاللَّفْظُ لِإِسْحَاقَ)، قَالَا: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: قَالَ الثَّوْرِيُّ: فَحَدَّثَنِي أَبُو إِسْحَاقَ: أَنَّ الْأَعْرَضَ حَدَّثَهُ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «يَنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا

١٩ - (٢٨٣٦) - قوله: (كما يلهمون) روي بالياء وائتاء كليهما، وعلى الأول هي صيغة غائب، بمعنى أنهم كانوا يلهمون النفس في الدنيا وعلى الثاني هي صيغة المخاطب.

(٨) - باب في دوام نعيم أهل الجنة إلخ

٢١ - (٢٨٣٦) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث مما تفرد بإخراجه المصنف فيما بين الستة، وأخرجه أحمد في مسنده (٢: ٣٦٩، ٤٠٧ و ٤١٦).

قوله: (لا يَبْلُغُ أَتَمَّ شَيْءٍ) بمكون الياء الموحدة، أي: لا يصيبه بؤس، والبأس والبؤس والبأساء بمعنى شدة الحال، قال الطيبي: «معناه: أن الجنة دار الثبات والقرار، وأن التغيير لا يتطرق إليها، فلا يشوب نعيمها بؤس، ولا يعتريه فساد ولا تغير، فإنها ليست دار الأضداد، ومحل الكون والفساد».

٢٢ - (٢٨٣٧) - قوله: (عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة) هذا الحديث أخرجه أيضاً الترمذي في تفسير سورة الزمر (٣٣٤٦).

قوله: (ينادي مناد) قال الطيبي: «هذا النداء والبشارة أُنذَرُ وأشهى، لما فيه من السرور، وفي عكسه أنشد المتنبي:

أشد الغم عندني في سرور
تيسقن عنه صاحبه انتفالاً

تَسْقُمُوا أَبَدًا. وَإِنْ لَكُمْ أَنْ تَخِيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا. وَإِنْ لَكُمْ أَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا. وَإِنْ لَكُمْ أَنْ تَنَعَمُوا فَلَا تَبَاسُوا أَبَدًا. فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْ دَرَأَ أَنْ يُلْكَمُ الْجَنَّةُ أُرْسَتْهُمَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

(٩) - باب: في صفة خيام الجنة،

وما للمؤمنين فيها من الأهلين

٧٠٨٧ - (٢٣) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي قُدَامَةَ، (وَهُوَ الْحَارِثُ بْنُ عُبَيْدٍ)، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ. طُولُهَا سِتُونَ مِيلًا. لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ. يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ. فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا».

٧٠٨٨ - (٢٤) وَحَدَّثَنِي أَبُو عَسَانَ الْمُسَمَعِيُّ. حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الصَّمَدِ. حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «فِي الْجَنَّةِ خَيْمَةٌ مِنْ لَوْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ. عَرْضُهَا سِتُونَ مِيلًا. فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ. مَا يَرَوْنَ الْآخَرِينَ. يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ».

٧٠٨٩ - (٢٥) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَخْبَرَنَا هَمَّامٌ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي مُوسَى بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْخَيْمَةُ ثَرَّةٌ. طُولُهَا فِي السَّمَاءِ سِتُونَ مِيلًا، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ لِلْمُؤْمِنِينَ. لَا يَرَاهُمُ الْآخَرُونَ».

(٩) - باب: في صفة خيام الجنة وما للمؤمنين فيها من الأهلين

٢٣ - (٢٨٣٨) - قوله: (عن أبيه) يعني عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، واسمه عبد الله بن قيس. وهذا الحديث أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة (٣٢٤٣)، وفي تفسير سورة الرحمن، باب ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْبُيُوتِ﴾ (٤٨٧٩). وأخرجه الترمذي في صفة الجنة، باب ما جاء في صفة غرف الجنة (٢٥٢٨).

قوله: (لؤلؤة واحدة مجوّفة) أي: واسعة الجوف، وقد ذكر النووي أنه وقع في بعض الروايات (مجوّبة) بالباء، ومعناه: المثقوبة.

٢٤ - (٠٠٠) - قوله: (عرضها ستون ميلاً) وقد سبق أن طولها ستون ميلاً أيضاً، فتحصل أن طولها وعرضها سواء.

(١٠) - باب: ما في الدنيا من أنهار الجنة

٧٠٩٠ - (٢٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ وَعَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ، ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، عَنْ حُثَيْبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ حَفْصِ بْنِ غَاصِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سِيحَانٌ وَجِيحَانٌ،»

(١٠) - باب: ما في الدنيا من أنهار الجنة

٢٦ - (٢٨٣٩) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث مما تفرد المصنف بإخراجه من بين الأئمة الستة، وأخرجه أيضاً أحمد في مسنده (٢: ٢٨٩).

قوله: (سيحان وجيحان) حملهما القاضي عياض رحمه الله على النهرين المشهورين باسم سيحون وجيحون في بلاد خراسان (وتقعان الآن في أوزبكستان) ولكن خطأ النووي رحمه الله، فقال: سيجان غير سيحون، وجيجان غير جيحون. وسيجان وجيجان على ما أقره النووي رحمه الله نهران ببلاد الأرمن بقرب الشام.

وهذا الذي قائه النووي رحمه الله تعالى أقره أيضاً الحموي في معجم البلدان (١٠: ٢٩٣)، فقال في تعريف سيجان: «نهر كبير بالشعر من نواحي المصبصة، وهو نهر أذنة بين أنطاكية والروم، يمر بأذنة ثم ينفصل عنها نحو ستة أميال فيصب في بحر الروم، وإياه أراد المثني في مدح سيف الدولة:

أخسر غزوات ما تُغيب سيوفه رفايهم، إلا وسيجان جامد
يريد أنه لا يترك الغزو إلا في شدة البرد إذا جمد سيجان. وهو غير سيحون الذي بما وراء النهر ببلاد الهياطلة، في هذه البلاد سيجان وجيجان، وهناك سيحون وجيحون، وذلك كنه ذكر في الأخباره.

وكذلك ذكر الحموي (جيجان) منفصلاً عن (جيحون)، فقال في تعريف (جيجان) في معجمه (٥: ١٩٦): «نهر بالمصبصة بالشعر الشامي، ومخرجه من بلاد الروم، ويمر حتى يصب بمدينة تعرف: بكَفْرِيَّيَا بِزَاءِ الْمُضْيِضَةِ، وعليه عند المصبصة قطرة من حجارة رومية عجبية قديمة عريضة، فيدخل منها إلى المصبصة، وينفذ منها فيمتد أربعة أميال، ثم يصب في بحر الشام، قال أبو الطيب:

سريت إلى جيجان، من أرض آمد ثلاثاً، لقد أدناك ركض، وأبعدا
وقد ذكر القزويني في آثار البلاد (ص: ٥٦٤، من طبع بيروت) في تعريف المضبصة: «مدينة بأرض الروم على ساحل جيجان» وكذلك ذكر الحميري في (الروض المعطار)

وَالْفَرَاتُ وَالنَّيْلُ، كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ.

(ص: ٣٣٣) في تعريف سيحان: «نهر يحيط بأرض كوش وهو نهر أذنة من الشجر الشامي، ويصب في البحر الرومي، ومخرجه من نحو ثلاثة أيام من مدينة ملطية، ويجري في بلاد الروم، وليس للمسلمين عليه إلا مدينة أذنة بين طرسوس والمصيصة» وقد ذكر الحميري أنه قد يسمى (سيحون) أيضاً.

فهؤلاء العلماء كلهم متفقون أن (سيحان وجيحان) نهران بشجر الشام، وليس (جيحون وسيحون) المعروفين ببلاد ما وراء النهر.

قوله: (والفرات والنَّيْل) أما الفرات فنهر معروف بالعراق، وأما النَّيْل فهو أكبر أنهار العالم في مصر والسودان.

قوله: (كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ) اختلف العلماء في تفسير كون هذه الأنهار من الجنة، وجملة ما تحصل لي في ذلك أقوال آتية:

- ١ - المراد من كونها من أنهار الجنة أن الإيمان عمّ بلادها، أو الأجسام المتغذية بمائها صائرة إلى الجنة. وهذا القول حكاه النووي عن القاضي عياض رحمهما الله تعالى.
- ٢ - إن كونها من أنهار الجنة إنما خرج مخرج التشبيه، فكأنها من أنهار الجنة لعذوبة مائها وكثرة منافعتها.

٣ - المراد بها الأنهار الأربعة التي هي أصول أنهار الجنة، وسماها بأسماء الأربعة التي هي أعظم أنهار الدنيا وأشهرها وأعذبها وأفيدها عند العرب، على سبيل التشبيه والتمثيل، ليعلم أنها في الجنة بمثابةها، وأن ما في الدنيا من أنواع المنافع والنعمات، فتمودجات لما يكون في الآخرة.

والقول الثاني والثالث ذكرهما القليبي في الكاشف عن حقائق السنن (١٠: ٢٤٦)، وحاصل القول الثالث أن المراد من جيحان وسيحان والفرات والنَّيْل في هذا الحديث أربعة أنهار من أنهار الجنة، ولكنها سميت بأسماء أربعة أنهار من أنهار الدنيا، وليس المراد أن هذه الأنهار المعروفة في الدنيا أصلها في الجنة.

٤ - الحديث على ظاهره، ومراده أن هذه الأنهار الأربعة أصلها من الجنة. وهو القول الذي رجحه النووي والقاضي عياض والحافظ ابن حجر والشيخ علي القاري رحمهم الله تعالى. ويؤيده ما ورد في حديث الإسراء عند الشيخين أن النبي ﷺ رأى عند سدرة المنتهى أربعة أنهار، ولفظه عند البخاري في مناقب الأنصار (رقم: ٣٨٨٧): «وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران. فقلت: ما هذان يا جبريل؟ قال: أما الباطنان، فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنَّيْل والفرات». وقد مر هذا الحديث في كتاب الإيمان عند المصنف رحمه الله. وقال الحافظ في الفتح (٧: ٢١٤) تحت هذا الحديث: «وأما الحديث الذي أخرجه مسلم بلفظ:

(سيحان وجيحان والنيل والفرات من أنهار الجنة) فلا بغير هذا، لأن المراد به أن في الأرض أربعة أنهار أصلها من الجنة. وحينئذ لم يثبت لسيحون وجيحون (أراد به الحافظ سيجان وجيحان، ولم يشبه لكونهما غير سيحون وجيحون) أنهما ينبعان من أصل سدرة المنتهى، فيمنار النيل والفرات عليهما بذلك. وأما الباطنان المذكوران في حديث الباب فهما غير سيحون وجيحون».

ثم قال الحافظ: «وانحاصل أن أصلها في الجنة، وهما يخرجان أولاً من أصلها، ثم يسيران إلى أن يستقرا في الأرض ثم ينبعان. واستدل به على فضيلة ماء النيل والفرات لكون منبعهما من الجنة، وكذا سيجان وجيحان. قال القرطبي: لعل ترك ذكرهما في حديث الإسراء لكونهما ليسا أصلاً برأسهما، وإنما يحتمل أن يتفرعا عن النيل والفرات».

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه أن الله تعالى أنزل هذه الأنهار من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل استودعها الجبال وأجراها في الأرض، وجعل فيها منافع للناس، وذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ بِهِ أَجْزَارُهَا فِي الْأَرْضِ﴾. فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله جبريل يرفع من الأرض القرآن والعلم والحجر الأسود ومقام إبراهيم وتابوت موسى وهذه الأنهار. فذلك قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَى دَاوُدَ مِائِدَهُ لَقَدْ يَرَوُّهُ وَالْخَطِيبُ بِسَنْدٍ ضَعِيفٍ، كَمَا فِي الدَّرِّ الثَّمْثُورِ (٥: ٨) وذكر فيه خمسة أنهار: هذه الأربعة ودجلة. وذكره أيضاً البغوي في معالم التنزيل (٣: ٣٠٥) وعزاه إلى الحسن بن سفيان، فإنه رواه بسنده إلى مقاتل بن حيان، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه.

أما كيفية كون هذه الأنهار خرجت من الجنة، على قول من يقول بذلك، فلا سبيل إلى معرفة كنهها، ولكن توجد لنهر النيل خصائص لا توجد في غيره من أنهار الدنيا. فمنها أنه أطول نهر على وجه الأرض، لأن طوله أربعة آلاف ومائة واثنان وثلاثون ميلاً، كما في الموسوعة البريطانية (طبع ١٩٨٨م) (٨: ٧١٣). ومنها أن معظم أنهار الدنيا تجري من الشمال إلى الجنوب، وإن هذا النهر يجري من الجنوب إلى الشمال، نبعه عليه المقريزي في الخطط (١: ١١٢). ومنها أن منبع هذا النهر لم يزل مجهولاً طوال القرون، وقد كتب المقريزي على هذا الموضوع اثنتي عشرة صفحة. وقد ذكر في الموسوعة البريطانية (طبع سنة ١٩٥٠م) أن المحققين لم يزالوا في حيرة في اكتشاف منبعه، والذي وصل إليه المتأخرون أنه يخرج من بحيرة وكنورية في بوغاندا، وإن الماء في هذه البحيرة يصل من وادي كاجيرا، ولكن لم يكتمل حتى الآن مسح هذا الوادي، حتى قال باحث الموسوعة البريطانية (١٦: ٤٥٥ من طبع ١٩٥٠): «ليس في مسائل البحث الجغرافي مسألة، سوى مسألة منبع النيل، قد أثرت على التصورات البشرية هذا التأثير البالغ إلى مثل هذه المدة الطويلة»، فإن كان الباحثون قد عجزوا عن الوصول إلى المنبع

(١١) - باب: يدخل الجنة أقوام، أفنتهم مثل أفئدة الطير

٧٠٩١ - (٢٧) حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ. حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ، هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ اللَّيْثِيُّ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ، (يَعْنِي ابْنَ سَعْدٍ)، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَقْوَامٌ أَفْنَدْتُهُمْ مِثْلُ أَفْنَدَةِ الطَّيْرِ».

٧٠٩٢ - (٢٨) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ. حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ. أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ. قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا بِهِ أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ.....»

الظاهر لهذا النهر، فما بالك برابطته الخفية مع الجنة التي أشار إليها رسول الله ﷺ؟ والله سبحانه وتعالى أعلم.

(١١) - باب: يدخل الجنة أقوام أفنتهم مثل أفئدة الطير

٢٧ - (٢٨٤٠) - قوله: (حدثنا أبي، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة) هكذا وقع هذا السند في نسخ صحيح مسلم، ووقع في بعضها بزيادة الزهري بين سعد بن إبراهيم وأبي سلمة، والضواب ما ههنا بدون ذكر الزهري، ثم ذكر الدارقطني في العلل أن هذا الحديث مرسل عن أبي سلمة، ولم يروه موصولاً عن أبي هريرة إلا أبو النضر، لكن ذكر النووي رحمه الله أن الحديث مروي مرسلًا وموصولًا، ومتى روي الحديث متصلًا ومرسلًا كان محكوماً بوصله على المذهب الصحيح، لأن مع الواصل زيادة علم حفظها، ولم يحفظها من أرسله.

قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث لم يخرج عن المصنف أحد من الأئمة الستة، وأخرجه أحمد في مسنده (٢: ٣٣١).

قوله: (أفنتهم مثل أفئدة الطير) قال النووي رحمه الله: «قيل: مثلها في رقبتها وضعفها، كالحديث الآخر: أهل اليمن أرق قلوباً وأضعف أفئدة، وقيل: في الخوف والهيبة، والطير أكثر الحيوان خوفاً وفزعاً، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر، آية: ٢٨]، وكان المراد قوم غلب عليهم الخوف، كما جاء عن جماعات من السلف في شدة خوفهم، وقيل: المراد متوكلون، والله أعلم» وقال الطيبي: «تقرر في علم البيان أن وجه الشبه إذا أضمر عمّ تناوله، فيكون أبلغ مما لو صرح به، فينبغي أن يحمل الحديث على المذكورات كلها، ومن ثم خص الفؤاد بالذكر دون القلب».

٢٨ - (٢٨٤١) - قوله: (حدثنا به أبو هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في الأنبياء، باب خلق آدم وذريته (٣٣٢٦)، وفي الاستئذان، باب بدء السلام (١٢٢٧).

قوله: (خلق الله عز وجل آدم على صورته) قد مر تفسيره في كتاب البر والصلة، باب النهي عن ضرب الوجه، وقد بسطنا فيه الكلام هناك بما فيه كفاية إن شاء الله تعالى.

طُولُهُ سِتُونَ ذِرَاعاً. فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَيَّ أَوْلَئِكَ النَّفَرِ. وَهُمْ نَفَرٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ. فَاسْتَمِعَ مَا يُجِيبُونَكَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ. قَالَ: فَلَقَّبَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ. فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ. قَالَ قَرَادُوءُ: وَرَحْمَةُ اللَّهِ. قَالَ: فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ. وَطُولُهُ سِتُونَ ذِرَاعاً. فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدَهُ حَتَّى الْآنَ.

قوله: (طوله ستون ذراعاً) قال العيني في عمدة القاري (٧: ٣١١): «قال ابن التين: المراد ذراعنا، لأن ذراع كل أحد مثل ربعه، ولو كانت بذراعه لكانت يده قصيرة في جنب طول جسمه كالإصبع والظفر... وروى أحمد من حديث سعيد بن المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً: «كان طول آدم ستين ذراعاً في سبعة أذرع عرضاً». وروى ابن أبي حاتم بإسناد حسن عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن الله خلق آدم رجلاً طويلاً كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحق».

وقال شيخ مشايخنا العلامة أنور شاه الكشميري رحمه الله تعالى في فيض الباري (٤: ١٧) في شرح قوله عليه السلام (ستون ذراعاً في السماء): «أي: في الطول، ويحتمل أن يكون مراد الحديث أنه كان قدر طولهم هذا في الجنة، فإذا نزلوا عادوا إلى القصر، فإن الأحكام تتفاوت بتفاوت البلدان والأوطان، كما أن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون، فهو يوم في العالم العلوي، وألف سنة في العالم السفلي. هكذا يمكن أن تكون قاماتهم تلك في الجنة، فإذا دخلوها عادوا إلى أصل قامتهم».

قوله: (فقالوا: السلام عليك ورحمة الله) قال العلامة علي القاري في المرقاة (٩: ٤٧): «يدل على جواز تقديم السلام في الجواب، بل على ندبه، لأن المقام مقام التعليم، لكن الجمهور على أن الجواب بقوله: (وعليكم السلام) أفضل، سواء زاد أم لا، ولعل الملائكة أيضاً أرادوا إنشاء السلام على آدم، كما يقع كثيراً فيما بين الناس، لكن يشترط في صحة الجواب أن يقع بعد السلام، لا أن يقع معاً، كما يدل عليه فاء التعقيب. وهذه مسألة أكثر الناس غافلون، فلو التقى رجلان وسلم كل منهما على صاحبه دفعة واحدة، يجب على كل منهما الجواب».

وذكر الرازي رحمه الله أن الحكمة في تقديم (وعليكم) في الجواب ما ذكره سيويه من أن العرب يقدمون في الذكر ما هو الأهم عندهم، فلما قال المجيب (وعليكم السلام) دل على شدة اهتمام المجيب بمخاطبه. حكاه شيخنا الكاندهلوي رحمه الله في حاشيته على لامع الدراري (٨: ٧).

قوله: (فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن) قال الحافظ في فتح الباري (٦: ٣١٧): «أي: أن كل قرن يكون نشأته في الطول أقصر من القرن الذي قبله، فانتهى تناقص الطول إلى

(١٢) - باب: في شدة حرّ نار جهنم،

وبعد قعرها، وما تأخذ من المعذبين

٧٠٩٣ - (٢٩) حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ بْنُ غِيَاثٍ. حَدَّثَنَا أَبِي، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ خَالِدٍ الْكَاهِلِيِّ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ

هذه الأمة واستقر على ذلك. وقال ابن التين: ... أي: كما يزيد الشخص شيئاً فشيئاً، ولا يتبين ذلك فيما بين الساعتين ولا اليومين، حتى إذا كثرت الأيام تبين، فكذلك هذا الحكم في النقص».

ثم قال الحافظ رحمه الله: «ويشكل على هذا ما يوجد الآن من آثار الأمم السالفة، كديار حمود، فإن مساكنهم تدل على أن قاماتهم لم تكن مفرطة الطول على حسب ما يقتضيه الترتيب السابق. ولا شك أن عهدهم قديم، وأن الزمان الذي بينهم وبين آدم دون الزمان الذي بينهم وبين أول هذه الأمة. ولم يظهر لي إلى الآن ما يُزيل هذا الإشكال».

وقد حاول بعض العلماء في إزالة هذا الإشكال بذكر بعض الآثار التي وردت في أبناء قوم عاد، والتي تدل على أن قاماتهم كانت مفرطة في الطول. ولكن هذا لا يُغني، لأن الله سبحانه وتعالى صرح بأن خلقهم كانت ممتازة عن سائر الناس، فقال الله تعالى: ﴿إِذْ ذَاكَ الْأَمْكَارُ﴾ (٧) ﴿أَلَيْسَ لَمْ يَخْلَقْ يَتْلُمَا فِي الْبَلَدِ﴾ (٨) [الفجر، الأبنان: ٧، ٨] وكذلك ذكر الله تعالى مخاطباً لقوم عاد: ﴿وَرَادَّكُمْ فِي الْخَلْقِ بِصَلْطَةٍ﴾ [الأعراف، آية: ٦٩] وهذا يدل على أن زيادتهم في الخلق كانت صفة تميزهم عن سواهم من الناس. فلا تدل الآيات والآثار المتعلقة بعاد على أن جميع الناس في عهدهم كانت قاماتهم مفرطة في الطول. فيعود الإشكال.

وربما يخطر بالبال، جواباً عن هذا الإشكال، أن قوله عليه السلام: «لم يزل ينقص بعده حتى الآن» ليس معناه أن قامات الناس لم تزل تنقص في كل قرن، بل المراد أن جسم الإنسان لم يزل ناقصاً بعده. ويؤخذ هذا مما قدمناه عن شيخ مشايخنا الكشميري رحمه الله أن ستين ذراعاً إنما كانت مقدار قامة آدم عليه السلام في الجنة، فلما نزل عنها عاد إلى القصر، ولم يزل أبناؤه يولدون بقرب من هذه القامة إلى يومنا الآن، وإنما يرجعون إلى أصل قامتهم حينما يعودون إلى الجنة. فقوله عليه السلام: «لم يزل ينقص»: معناه: أنه لم يزل يولد ناقصاً، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(١٢) - باب: في شدة حرّ نار جهنم،

وبعد قعرها، وما تأخذ من المعذبين

٢٩ - (٢٨٤٢) - قوله: (عن عبد الله) يعني: ابن مسعود رضي الله عنه، وهذا الحديث أخرجه أيضاً الترمذي في صفة جهنم، باب ما جاء في صفة النار (٢٥٧٣).

لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ. مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُؤْنَهَا.

٧٠٩٤ - (٣٠) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ. حَدَّثَنَا الْمُفِيرَةُ، (يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجَزَامِيِّ)، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «فَارُكُم هَذِهِ، النَّبِيُّ يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ، جُزْءَ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ». قَالُوا: وَاللَّهِ، إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةٌ، يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَإِنَّهَا فَضَّلْتُ عَلَيْهَا بِتِسْعَةِ وَثْنِينَ جُزْءاً. كُلُّهَا بِمِثْلِ حَرِّهَا».

٧٠٩٥ - (١٠٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ. حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ. حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ. عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي الزِّنَادِ. غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «كُلُّهُنَّ بِمِثْلِ حَرِّهَا».

٧٠٩٦ - (٣١) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي ثَوْبٍ. حَدَّثَنَا خَلْفُ بْنُ خَلِيفَةَ. حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ

وهذا الحديث مما استدركه الدارقطني على مسلم وقال: رفعه وهم، رواه الثوري ومروان وغيرهما عن العلاء بن خالد موقوفاً، لكن قال النووي رحمه الله: «قلت: وحفص ثقة حافظ إمام، فزيادته الرفع مقبولة كما سبق».

قوله: (لها سبعون ألف زمام) بكسر الزاي، وهو ما يشد به، والله أعلم بكيفيتها، أعادنا الله تعالى منها.

٣٠ - (٢٨٤٣) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة (٣٢٦٥)، وأخرجه الترمذي في صفة جهنم، باب ما جاء أن ناركم هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنم (٢٥٨٩).

قوله: (جزء من سبعين جزء) وفي رواية لأحمد: «من مائة جزء». والجمع بأن المراد المبالغة في الكثرة، لا العدد الخاص، أو الحكم للزائد. وزاد الترمذي من حديث أبي سعيد: لكل جزء منها حرها. كذا في فتح الباري (٦: ٣٣٤).

قوله: (إن كانت لكافية) (إن) مخففة من المثقلة، أي: إن هذه النار لكافية في إحراق الكفار وعقوبة الفجار، فهلا اكتفي بها؟ ولأي شيء زيدت في حرها؟

قوله: (فإنها فضلت عليها) قال الطيبي في شرح المشكاة (١٠: ٢٧٧): «معناه المنع من الكفاية، أي: لا بد من التفضيل لتمييز عذاب الله من عذاب الخلق، ولذلك أوتر النار على سائر أصناف العذاب زيادة في تشكيل عقوبة أعداء الله تعالى وغضباً شديداً على مرده خلق الله».

٣١ - (٢٨٤٤) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث من أفراد مسلم، وأخرجه أحمد في

كَيْسَانَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. إِذْ سَمِعَ وَجِبَةً فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَلَدُونَ مَا هَذَا؟» قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مِنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا. فَهُوَ يَقْوِي فِي النَّارِ الْآنَ، حَتَّى اتَّهَى إِلَى قَعْرِهَا».

٧٠٩٧ - (٠٠٠) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ. قَالَا: حَدَّثَنَا مَرْوَانُ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ كَيْسَانَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ. وَقَالَ: «هَذَا وَقَعَ فِي أَسْفَلِهَا، فَسَمِعْتُمْ وَجِبَتَهَا».

٧٠٩٨ - (٣٢) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ. حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ. قَالَ: قَالَ قَتَادَةُ: سَمِعْتُ أَبَا نَضْرَةَ يُحَدِّثُ، عَنْ سَمُرَةَ؛ أَنَّهُ سَمِعَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبِيهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى حُجْرَتِهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى عُنُقِهِ».

٧٠٩٩ - (٣٣) حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ زُرَّارَةَ. أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، (يَعْنِي ابْنَ عَطَاءٍ)، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا نَضْرَةَ يُحَدِّثُ، عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبِيهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى حُجْرَتِهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى تَرْقُوتِهِ».

٧١٠٠ - (٠٠٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ. قَالَا: حَدَّثَنَا رَوْحٌ. حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ. وَجَعَلَ - مَكَانَ «حُجْرَتِهِ» - «حَقْوَتِهِ».

قوله: (سمع وجبة) بفتح الواو وسكون الجيم بمعنى السقطة، والمراد هنا صوت سقوط شيء. قال القرطبي: خرفت لهم العادة في أن سمعوا ما مُنِعَ غيرهم.

قوله: (يحدث عن سمرة) يعني: ابن جندب ﷺ، وحديثه هذا أيضاً من أفراد مسلم، وأخرجه أحمد في مسنده (٥: ١٨).

قوله: (تأخذه إلى حجراته) بضم الحاء وسكون الجيم، وهي مفرد الإزار، ويسمى (الحقو) أيضاً، وقد ذكر بعد رواية واحدة.

٣٣ - (٠٠٠) - قوله: (إلى ترقوته) بفتح التاء الأولى وضم القاف وفتح الواو، هي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق، وهما ترقوتان.

(١٣) - باب: النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء

٧١٠١ - (٣٤) حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ. حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ أَبِي الزُّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اِخْتَجَبَتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ. فَقَالَتْ هَذِهِ: يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ. وَقَالَتْ هَذِهِ: يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ. فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، لِهَذِهِ: أَنْتِ عَذَابِي أَعَذَّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ - (وَرُبَّمَا قَالَ: أَصِيبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ) - وَقَالَ لِهَذِهِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ. وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا».

٧١٠٢ - (٣٥) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ. حَدَّثَنَا شَيْبَانَةُ. حَدَّثَنِي وَرْقَاءُ، عَنْ أَبِي الزُّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تَحَاجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ. فَقَالَتِ النَّارُ: أُوْثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُنْجَبِرِينَ. وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَعَجَزُهُمْ. فَقَالَ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي، أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي. وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي، أَعَذَّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي. وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُم مِلْؤُهَا. فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْلِكُ. فَيَضَعُ قَدَمَهُ عَلَيْهَا.....

(١٣) - باب: النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء

٣٤ - (٢٨٤٦) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة ق، باب: ﴿وَيَقُولُ هَلْ مِنْ مُّزِيدٍ﴾ (٤٨٥٠)، وفي التوحيد، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿إِنْ رَجَعْتَ إِلَى قَبْرِ رَبِّكَ مِنْكَ الْمُخْسِبِينَ﴾ (٧٤٤٩)، وأخرجه الترمذي في صفة الجنة، باب ما جاء في احتجاج الجنة والنار (٢٥٦١).

قوله: (اِخْتَجَبَتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ) قال النووي رحمه الله: «هذا الحديث على ظاهره، وإن الله تعالى جعل في النار والجنة تمييزاً تدركان به، فتحاجتا، ولا يلزم من هذا أن يكون ذلك التمييز فيهما دائماً» وقال القرطبي: «وقيل: إن تحاجتهما بلسان الحال» والحاصل أن محاجة النار والجنة تحتل أن تحمل على الحقيقة وأن تحمل على المجاز.

٣٥ - (٠٠٠) - قوله: (إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ) بفتح السين والقاف، أي: المحترفون بينهم، الساقطون من أعينهم، وهذا بالنسبة إلى ما عند الأكثر من الناس. أما بالنسبة إلى ما عند الله فهم عظماء رفقاء الدرجات، وكذلك هم ضعفاء في أعين أنفسهم تواضعاً لله تعالى وخضوعاً له، وهذا الوصف الأخير يصدق على جميع أهل الجنة، أما ضعفهم واحتقارهم في أعين الناس، فيصدق على أكثرهم، فإن هناك رجالاً من أهل الجنة عظمت رتبهم في الدنيا أيضاً، والله سبحانه أعلم.

قوله: (فَيَضَعُ قَدَمَهُ عَلَيْهَا) هذا من أحاديث الصفات، وقد مر الكلام عليها غير مرة، وأن

تَقُولُ: قَطُ قَطُ. فَهَذَا لِكَ تَمْتَلِي. وَيَزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ.

٧١٠٣ - (٠٠٠) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَزَنِ الْهَلَالِيُّ. حَدَّثَنَا أَبُو سُفْيَانَ، (يَعْنِي مُحَمَّدَ ابْنَ حُمَيْدٍ)، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ ابْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اِخْتَجَبَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ»، وَاقْتَصَصَ الْحَدِيثَ بِمَعْنَى حَدِيثِ أَبِي الزُّنَادِ.

٧١٠٤ - (٣٦) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ. حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ. حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ. قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَحَاجَبَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ». فَقَالَتِ النَّارُ: أُوتِرْتُ بِالْمُنْتَكَبِرِينَ وَالْمُنْتَجِيرِينَ. وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَغِرَّتُهُمْ؟ قَالَ اللَّهُ

المذهب الراجح فيها أن نؤمن بها كما جاءت، ولا نخوض في بيان كيفيتها، مع الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى منزّه عن الجوارح المعروفة للحوادث. وإن قدمه تعالى غير قدم المخلوقات ولا يشبهها. وأما من سلك مسلك التأويل في مثل هذه الأحاديث، فقد تأوّل في هذا الحديث بتأويلات مختلفة، وقال القرطبي رحمه الله: «وأشبه ما فيها تأويلان. أحدهما أنه كناية عن إذلال النار لما جاء أنها تتغيظ وتهيج حقاً على الكفرة والعصاة... وفي بعض الحديث: أنها تكاد تلتقم أهل المحشر، فيكسر الله سبحانه حديثها ويذلّها إذلالاً متكبّر وطيّاً بالقدم والرجل، فعبر عن إذلالها بذلك. الثاني: أن القدم والرجل عبارة عن يتأخر دخوله النار، لأن أهلها ينلقون فيها فوجاً بعد فوج، والخزنة ترتقب أولئك المتأخرين، إذ قد علموهم بأسمائهم وأوصافهم فكل ينتظر صاحبه، وإذا استوفى كل رجل من الخزنة ما ينتظر، ونم يبق منهم أحد قالت الخزنة: قط قط، أي: حسينا، وحينئذ تنزوي جهنم على من فيها وتنطبق... فعبر عن ذلك الجمع المتماثل المتأخر الدخول بالقدم» كذا في شرح الأبي.

ولا شك أن المذهب الأول، وهو السكوت عن بيان المراد، أولى وأرجح، والله أعلم.

قوله: (تقول: قط قط) يسكون الطاء وتخفيفها، ويجوز بكسرها أيضاً بغير إشباع، ووقع في بعض نسخ البخاري: (قطي قطي) بالإشباع، ومعناه: (حسي، حسي) وثبت بهذا التفسير عند عبد الرزاق من حديث أبي هريرة. ووقع في حديث أبي سعيد عند أحمد: (تقول: قدني قدني) وهي لغة أيضاً.

قوله: (ويزوي بعضها إلى بعض) أي: يضم بعضها إلى بعض، ولا تحتل مزيداً.

٣٦ - (٠٠٠) - قوله: (وغرّتهم) كذا وقع في رواية محمد بن رافع (غرّتهم) بكسر الغين وتشديد الراء المفتوحة بعدها تاء مثناة من فوق، وذكر النووي رحمه الله أنه الأشهر في بلاده، ومعنى (الغرة): البله الغافلون الذين ليس بهم فتك وحذق في أمور الدنيا. وقال القاضي: معناه سواد الناس وعامتهم من أهل الإيمان، وهم أكثر المؤمنين، وهم أكثر أهل الجنة، وأما

لِلْجَنَّةِ: إِنَّمَا أَنْتَ رَحِمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مَنْ عِبَادِي. وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتَ عَذَابِي أَعَذَّبْتُ بِكَ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا. فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْنَلِيْ حَتَّى يَضَعَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رِجْلَهُ. نَقُولُ: قَطُّ قَطُّ قَطُّ، فَهَذَا لَكَ تَمْنَلِيْ. وَيَزُوْى بِنَفْسِهَا إِلَى بَعْضٍ. وَلَا

العارفون والعلماء والصالحون المتعبدون، فهم قليلون، وهم أصحاب الدرجات.

ووقع في بعض النسخ ههنا: (عجزتهم) وهو جمع عاجز. وفي بعض النسخ (عزتهم) بفتح العين وتخفيف الراء المفتوحة، وفي آخره ثاء مثلثة، وذكر القاضي عياض أنه رواية الأكثر، وهو جمع غرثان، بمعنى الجائع، والغرث: الجوع، والمراد منه هنا: أهل الحاجة والفاقة.

قوله: (رجله) قال الحافظ في الفتح (٨: ٥٩٦): «وزعم ابن الجوزي أن الرواية التي جاءت بلفظ (الرجل) تحريف من بعض الرواة نظنه أن المراد بالقدم الجارحة، فرواها بالمعنى فأخطأ، ثم قال: ويحتمل أن يكون المراد بالرجل، إن كانت محفوظة: الجماعة، كما تقول: رجل من جراد، فالتقدير: يضع فيها جماعة، وأضافهم إليه إضافة اختصاص. وبأن ابن قُوزك، فجزم بأن الرواية بلفظ: (الرجل) غير ثابتة عند أهل النقل، وهو مردود لثبوتها في الصحيحين، وقد أولها غيره بنحو ما تقدم في القدم».

الصحيحة^(١)، وورد تفسيره في حديث أنس الآتي قريباً، ولفظه: «ولا يزال في الجنة فضل، حتى ينشئ الله لها خلقاً، فيسكنهم فضل الجنة وحاصله أن الجنة لا تمتلئ بالناس الذين استحقوا دخولها بإيمانهم وعملهم، فيخلق الله تعالى خلقاً، ليسكنوا ما بقي من الجنة وهؤلاء الذين يخلقون للجنة إنما يدخلونها بغير تكليف، ولا إشكال في ذلك، فإن الله تعالى يفعل ما يشاء، ولا يسأل عما يفعل».

ووقع في رواية الأعرج عن أبي هريرة عند البخاري في التوحيد: «فأما الجنة، فإن الله لا يظلم من خلقه أحداً، وإنه ينشئ للنار من يشاء، فيلقون فيها» وهو يدل على أن النار يخلق لها خلق لتمتلئ، وهذه الرواية شاذة، وقد قال جماعة من الأئمة: إن هذا الموضع مقلوب، وصوابه (ينشئ للجنة)، وقد جزم ابن القيم بأن هذا غلط من الراوي، وسبق لفظه من (الجنة) إلى (النار)، وكذا أنكر البلقيني رحمه الله هذه الرواية، وقد تأول فيه آخرون، فقال القاضي عياض رحمه الله تعالى: إن هذا الخلق الذي يُنشأ للنار هو المراد بوضع القدم في جهنم كما تقدم، ولكن هذا التأويل بعيد جداً، لأنه وقع ذكر وضع القدم في نفس هذه الرواية بعد هذا، ومنهم من تأول فيه بأن المراد بالإنشاء ابتداء إدخال الكفار النار، ومنهم من قال: إنهم يخلقون فيلقون في النار دون أن يكونوا معذبين، كما أن خزنة جهنم لا يعذبون. وهذه التأويلات كلها بعيدة، ولا مانع من أن يُحمل هذا اللفظ على وهم الراوي، وقد تقدم مراراً أن وهم الراوي في

يُظْلِمُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا. وَأَمَّا الْجِنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا.

٧١٠٥ - (١٠٠) وَحَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اخْتِجِبِ الْجِنَّةُ وَالنَّارُ»، فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ. إِلَى قَوْلِهِ: «وَلِكُلِّكُمَا عَلَيَّ مَلُؤُهُا» وَلَمْ يَذْكُرْ مَا بَعْدَهُ مِنَ الزِّيَادَةِ.

١٧٠٦ - (٣٧) حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَدَمَهُ، فَتَقُولُ: قَطِ قَطِ، وَبِعِزَّتِكَ. وَيُزَوِّى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ».

٧١٠٧ - (١٠٠) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ، حَدَّثَنَا أَبَانُ بْنُ يَزِيدَ الْعَقَّارِ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، بِمَعْنَى حَدِيثِ شَيْبَانَ. ٧١٠٨ - (٣٨) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّزَّازِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَطَاءٍ، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: «يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ» (٣٠) فَأَخْبَرَنَا عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ. حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ. فَيُزَوِّى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ: قَطِ قَطِ. وَبِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ. وَلَا يَزَالُ فِي الْجِنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا، فَيَسْكُنُهُمْ فَضْلُ الْجِنَّةِ».

٧١٠٩ - (٣٩) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ، (بِعْنِي ابْنُ سَلَمَةَ)، أَخْبَرَنَا ثَابِتٌ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا يَقُولُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «يَبْقَى مِنَ الْجِنَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَبْقَى. ثُمَّ يُنْشِئُ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا خَلْقًا مِمَّا يَشَاءُ».

٧١١٠ - (٤٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ، (وَتَقَارَبَا فِي اللَّفْظِ)،

بعض ألفاظ الحديث لا يمنع صحته من حيث المجموع، والله سبحانه أعلم.

(٢٨٤٧) - قوله: (عن أبي سعيد الخدري) هذا الحديث من أفراد مسلم، وأخرجه أحمد

في مسنده (٣: ٧٩).

٣٧ - (٢٨٤٨) - قوله: (حدثنا أنس بن مالك) هذا الحديث أخرجه البخاري في تفسير

سورة ق، باب «وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ» (٤٨٤٨)، وفي الإيمان والنذور، باب «الحلف بعزة الله وصفاته وكنياته» (٦٦٦١)، وفي التوحيد، باب قول الله تعالى: «مَلِكُ الْكَوَالِيسِ» (٧٣٨٤)، وأخرجه الترمذي في تفسير سورة ق (٣٢٧٢).

قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبِشٌ أَمْلَحُ» - (زَادَ أَبُو كُرَيْبٍ): «فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، (وَاتَّفَقَا فِي بَاقِي الْحَدِيثِ) فَيَقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرِيُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ. هَذَا الْمَوْتُ. قَالَ: وَيَقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ، هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ: فَيَشْرِيُونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ. هَذَا الْمَوْتُ. قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيَذْبَحُ. قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ. وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْقَسْرِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» (مريم: ١٢٩) وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا.

٤٠ - (٢٨٣٩) - قوله: (عن أبي سعيد) هذا الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة مريم، باب: «وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْقَسْرِ» (٤٧٣٠)، وأخرجه الترمذي في صفة الجنة، باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار (٢٥٥٨).

قوله: (كأنه كبش أملح) وكأنه صورة مثالية للموت، وكان من الممكن أن يُعَلِّمَ الله تعالى الموت بغير أن تُذبح صورته المثالية، ولكن الحكمة في ذبحها أن يُشاهد الناس ذلك، فيزدادوا بذلك وثوقاً واطمئناناً بأن الموت لا يأتيهم بعد ذلك. وقال القرطبي: «الحكمة في الإتيان بالموت هكذا الإشارة إلى أنهم حصل لهم القداء به، كما فدي ولد إبراهيم بالكبش. وفي الأملح إشارة إلى صفتي أهل الجنة والنار، لأن الأملح ما فيه بياض وسواد» كذا في كتاب الرقاق من فتح الباري (١١: ٤٢٠).

قوله: (فيشربون) أي: يرفعون رؤوسهم لينظروا إلى الكبش أو إلى المنادي.

قوله: (نعم هذا الموت) ولعلهم يعرفونه بعلامة يجعلها الله تعالى في الكبش تدل على أنه صورة للموت.

قوله: (فيذبح) قال المازري: «الموت عند أهل السنة عرض يضاد الحياة. وقال بعض المعتزلة: ليس بعرض بل معناه عدم الحياة، وهذا خطأ لقوله تعالى: «خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ» (الملك، آية: ٣)، فأثبت الموت مخلوقاً. وعلى المذهبين ليس الموت بجسم في صورة كبش أو غيره، فيأول الحديث على أن الله يخلق هذا الجسم ثم يذبح مثلاً، كذا في شرح النووي.

قوله: «وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْقَسْرِ» (مريم، آية: ١٣٩) فيه إشارة إلى أن المراد من يوم القسرة في الآية يوم يذبح فيه الموت.

٤١ - (٠٠٠) - قوله: (وأشار بيده إلى الدنيا) أشار به إلى أن قوله تعالى: «وَمَنْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» متعلق بعملهم في الدنيا، وزاد الترمذي في آخر هذا الحديث: «فلو أن أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنة، ولو أن أحداً مات حزناً لمات أهل النار».

٧١١١ - (٤١) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، ثُمَّ ذَكَرَ بِمَعْنَى حَدِيثِ أَبِي مُعَاوِيَةَ. غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَمْ يَقُلْ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وَلَمْ يَذْكُرْ أَيْضًا: وَأَشَارَ يَدِيهِ إِلَى الدُّنْيَا.

٧١١٢ - (٤٢) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلَوَائِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ. (قَالَ عَبْدُ: أَخْبَرَنِي. وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا) يَعْقُوبُ - وَهُوَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ - حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ. حَدَّثَنَا نَافِعٌ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَدْخُلُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ. وَيَدْخُلُ أَهْلُ النَّارِ النَّارَ. ثُمَّ يَقُومُ مَوْزَنٌ بَيْنَهُمْ فَيَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، لَا مَوْتَ، كُلُّ خَالِدٍ فِيمَا هُوَ فِيهِ».

٧١١٣ - (٤٣) حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ وَحَرَمَلَةُ بْنُ يَحْيَى. قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ زُهَيْرٍ. حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ زَيْدٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَصَارَ أَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، أُتِيَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجَمَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ. ثُمَّ يَذْبَحُ. ثُمَّ يَنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، لَا مَوْتَ. فَيَزْدَادُ أَهْلَ الْجَنَّةِ قَرَحًا إِلَى قَرَحِهِمْ. وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُرْنًا إِلَى حُرْنِهِمْ».

٧١١٤ - (٤٤) حَدَّثَنِي سُرَيْجُ بْنُ يُونُسَ. حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ هَارُونَ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُصْرَسُ الْكَافِرُ، أَوْ نَابُ الْكَافِرِ، مِثْلَ أَحَدٍ. وَغِلْظُ جُلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ».

٧١١٥ - (٤٥) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ وَأَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ الْوُكَيْعِيُّ. قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ فَضِيلٍ،

٤٢ - (٢٨٥٠) - قوله: (أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ قَالَ) المراد منه عبد الله بن عمر رضي الله عنه، وهذا الحديث أخرجه البخاري في الرقاق، باب صفة الجنة والنار (٦٥٤٨).

قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه الترمذي في صفة جهنم، باب ما جاء في عظم أهل النار (٢٥٧٧ إلى ٢٥٧٩).

٤٤ - (٢٨٥١) - قوله: (وَعِلْظُ جُلْدِهِ) بكسر الغين وفتح اللام، أي: عظمه. قال القاضي رحمه الله: «يزاد في مقدار أعضاء الكافر زيادة في تعذيبه بسبب زيادة المماساة للنار» وقال النووي: «كل هذا مقدور لله تعالى يجب الإيمان به لإخبار الصادق به».

عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. يَرْفَعُهُ قَالَ: «مَا بَيْنَ مَنْكَبِي الْكَافِرِ فِي النَّارِ، مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ. لِلزَّاكِبِ الْمُسْرِعِ».

وَلَمْ يَذْكُرِ الْوَكِيلِيُّ «فِي النَّارِ».

٧١١٦ - (٤٦) حَدَّثَنَا عُمَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ. حَدَّثَنَا أَبِي. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ. حَدَّثَنِي مَعْتَدُ بْنُ خَالِدٍ؛ أَنَّهُ سَمِعَ حَارِثَةَ بْنَ وَهَبٍ؛ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قَالُوا: بَلَى. قَالَ ﷺ: «كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ. لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةٍ». ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟» قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «كُلُّ غُلٍّ جَوَاطِ مُسْتَكْبِرٍ».

٤٥ - (٢٨٥٢) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في الرقاق، باب صفة الجنة والنار (٦٥٥١).

قوله: (مسيرة ثلاثة أيام) وقد يشكل عليه ما أخرجه الترمذي والنسائي عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده مرفوعاً: «أَنَّ الْمُتَكَبِّرِينَ يَحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ» وجمع بعض العلماء بينه وبين حديث الباب بأن كونهم كالذَّرِّ في أول الأمر عند الحشر، وهو كالعلامة على حقارتهم، وحديث الباب محمول على ما بعد الاستقرار في النار. وقيل: إن المراد في حديث عمرو بن شعيب: المتكبرون من المؤمنين، وفي حديث أبي هريرة: الكافرون. وقيل: يتفاوت عذاب أهل النار، فمنهم من يكون مثل الذر، ومنهم من يعظم جسمه على ما ذكر في حديث الباب، والله أعلم.

٤٦ - (٢٨٥٣) - قوله: (سمع حارثة بن وهب) هذا الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة ن والقلم، باب «عُنْتُ بِكَ ذَلِكَ زَيْدٌ» (٤٩١٨)، وفي الأدب، باب الكبير (٦٠٧١)، وفي الإيمان والنذور، باب قول الله تعالى: «وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ» (٦٦٥٧). وأخرجه الترمذي في صفة جهنم، باب بدون ترجمة (٢٦٠٥)، وأخرجه ابن ماجه في الزهد، باب من لا يؤبه له (٤١٦٨).

قوله: (كل ضعيف متضعف) بكسر العين وفتحها، وهو أضعف، وفي رواية للإسماعيلي: (مستضعف) والمراد من الضعيف من نفسه ضعيفة لتواضعه وضعف حاله في الدنيا، والمستضعف: المحتقر لخموله في الدنيا.

قوله: (لو أقسم على الله لأبره) يعني: أنه لو حلف على وقوع شيء أوقعه الله إكراماً له، وصيانة له عن الحث في يمينه، وذلك لعلوا منزلته عند الله تعالى، ولو كان الناس يزعمونه ضعيفاً.

قوله: (كل غُلٍّ) بضم العين والناء، وهو الثقل الشديد من كل شيء، وقال الفراء: الشديد الخصومة، وقيل: الجافي عن الموعظة، وقال عبد الرزاق: العتل: الفاحش الآثم، وقال

٧١١٧ - (١٠٠) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى. حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ. بِهَذَا الْإِسْنَادِ، بِمِثْلِهِ. غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ».

٧١١٨ - (٤٧) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ. حَدَّثَنَا وَكِيعٌ. حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مَعْبُدِ بْنِ خَالِدٍ. قَالَ: سَمِعْتُ حَارِثَةَ بْنَ وَهَبٍ الْخُزَاعِيَّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ. لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِابْتِرَاءِ. أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ جَوَاطِ زَنِيمٍ مُتَكَبِّرٍ».

٧١١٩ - (٤٨) حَدَّثَنِي سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ. حَدَّثَنِي حَفْصُ بْنُ مَيْسَرَةَ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «رُبَّ أَشْعَثَ مَذْفُوعٍ بِالْأَيُّوبِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِابْتِرَاءِ».

٧١٢٠ - (٤٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ. قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ غَزْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ. قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَ النَّاقَةَ وَذَكَرَ الَّذِي عَقَرَهَا. فَقَالَ: «إِذَا اثْبَعْتَ أَشْعَاَهَا:»

الخطابي: العتل: الغليظ العنيف، وقال الداودي: السمين العظيم العنق والبطن، وقال الهروي: الجموع المنوع، وقيل: القصير البطن. وجاء فيه حديث عند أحمد من طريق عبد الرحمن بن غنم، وهو مختلف في صحته، قال: سئل رسول الله ﷺ عن العتل الزنيم، قال: «هو الشديد الخلق المصحح، الأكل الشروب، الواجد للطعام والشراب، الظلوم للناس، الرحيب الجوف» كذا في فتح الباري (٨: ٦٦٣).

قوله: (جَوَاطِ) هو الكثير اللحم المختال في مشيته، حكاه الخطابي. وقال ابن فارس: قيل: هو الأكل، وقيل: الفاجر.

٤٧ - (١٠٠) - قوله: (زَنِيمٍ) هو الدعي في النسب الملتصق بالقوم، وليس منهم.

٤٨ - (٢٨٥٤) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث قد مر في كتاب البر والصلة، باب فضل الضعفاء والخاملين، وقد مر هناك شرحه.

٤٩ - (٢٨٥٥) - قوله: (عن عبد الله بن زمعة) هو عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب، صحابي مشهور، وأمه قريبة أخت لام سلمة أم المؤمنين، وكان تحت زينب بنت أم سلمة، وليس هو أخاً لسودة بنت زمعة أم المؤمنين، كما توهم بعضهم، سكن المدينة وقتل يوم الدار سنة خمس وثلاثين، وقيل: قتل يوم الحرة، والله أعلم، راجع الإصابة (٢: ٣٠٣ و ٣٠٤). وهذا الحديث أخرجه البخاري في الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَمُوتُوا أَنفُسَهُمْ صَلِّوا﴾ (٣٣٧٧)، وفي تفسير سورة والشمس وضحاها (٤٩٤٢)، وفي النكاح، باب ما يكره

أَنْبَعَثَ بِهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ عَارِمٌ مَنِيعٌ فِي رَهْطِهِ، مِثْلُ أَبِي زَمْعَةَ، ثُمَّ ذَكَرَ النِّسَاءَ فَوَعَّظَ فِيهِنَّ ثُمَّ قَالَ: «إِلَّامٌ يَجْلِدُ أَحَدَكُمْ امْرَأَتَهُ».

وفي رواية أبي بكر «جلد الأمة» وفي رواية أبي كريب: «جلد العبد ولعله يضاجعها من آخر يومه»، ثُمَّ وَعَّظَهُمْ فِي ضَحِكِهِمْ مِنَ الضَّرْطَةِ فَقَالَ: «إِلَّامٌ يَضْحَكُ أَحَدَكُمْ مِمَّا يَفْعَلُ».

٧١٢١ - (٥٠) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ. حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَيْتُ عَمْرُو بْنَ لُحَيٍّ

من ضرب النساء (٥٢٠٤)، وفي الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿لَا يَخْرُ قَوْمٌ بَيْنَ قَوْمٍ﴾ (٦٠٤٢). وأخرجه الترمذي في تفسير سورة الشمس وضحاها (٣٣٤٣).

قوله: (أنبعث بها رجل) وهو من قولهم: بعثته من منامه فانبعث، وبعث الناقة: أثارها، فانبعث. وفي رواية سفيان عند البخاري في الأنبياء: «انتدب لها رجل» تقول: ندبته إلى كذا، فانتدب له، أي: أمرته فامتثل. ويروي أن هذا الرجل اسمه قدار بن سالف، قيل: كان أحمر أزرق أصهب. وسبب عقرهم الناقة أنهم كانوا اقترحوها على صالح عليه السلام، فأجابهم إلى ذلك بعد أن تعنتوا في وصفها، فأخرج الله له ناقة من صخرة بالصفة المطلوبة، فأمن بعض وكفر بعض، واتفقوا على أن يشركوا الناقة ترعى حيث شاءت، وترد الماء يوماً بعد يوم، وكانت إذا وردت تشرب ماء البئر كله، فضاقت بهم الأمر، فانتدب تسعة رهط، منهم قدار المذكور، فباشر عقرها، فلما بلغ ذلك صالحاً عليه السلام أعلمهم بأن العذاب سيقع بهم بعد ثلاثة أيام، فوقع كذلك. كذا في فتح الباري (٦: ٣٧٩).

قوله: (عارم) العارم: الشرير المفسد الخبيث، وقيل: القوي الشرس، وقد عرّم وعرِمَ عرامة فهو عَرِمٌ.

قوله: (مثل أبي زمعة) يعني: أن ذلك الرجل كان منيعاً في رهطه، كما أن أبا زمعة منيع في رهطه. وأبو زمعة عم الزبير بن العوام، وهو جد عبد الله بن زمعة راوي الحديث، وأبو زمعة هذا اسمه الأسود وكان أحد الكفار المستهزئين ومات على كفره بمكة، وقتل ابنه زمعة يوم بدر كافراً أيضاً. كذا في فتح الباري (٨: ٧٠٦).

٥٠ - (٢٨٥٦) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في الأنبياء، باب قصة خزاعة (٣٥٢٠)، وفي تفسير سورة المائدة، باب ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَيِّنَةٍ وَلَا مِثْلِهِ وَلَا حَلِيلٍ﴾ (٤٦٢٣).

قوله: (رأيت عمرو بن لُحَيٍّ) هو أول من غير دين إبراهيم عليه السلام، فنصب الأوثان،

ابن قَمْعَةَ بْنِ خَنْدَفٍ، أَبَا بَنِي كَعْبٍ هَؤُلَاءِ، يَجْرُ قُضْبُهُ فِي النَّارِ.

٧١٢٢ - (٥١) حَدَّثَنِي عُمَرُو النَّاقِدُ وَحَسَنُ الْخُلَوَانِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ. (قَالَ عَبْدُ:

أَخْبَرَنِي. وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ - وَهُوَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ - حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ. قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يَقُولُ: إِنَّ الْبَحِيرَةَ الَّتِي يُنْمَعُ دَرَّهَا لِلطَّوَاغِيتِ، فَلَا يَحْلُبُهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ. وَأَمَّا السَّائِيَةُ الَّتِي كَانُوا.....

وسَيَّب السَّوَابِ، وبحر البحيرة، ووصل الوصلة، وحمى الحامي، كما رواه ابن إسحاق في سيرته الكبرى مرفوعاً. وذكر ابن إسحاق أن سبب عبادة عمرو بن لحي الأصنام أنه خرج إلى الشام، وبها يومئذ العماليق وهم يعبدون الأصنام، فاستوهمهم واحداً منها، وجاء به إلى مكة فنصبه إلى الكعبة وهو هبل. وكان عمرو بن لحي أباً لخزاعة، وكان أول من تولى أمر البيت بعد جُرمهم.

قوله: (ابن قَمْعَةَ بْنِ خَنْدَفٍ) قَمْعَةَ بفتححات ثلاثة، وقيل: بكسر القاف وتشديد الميم. وخَنْدَفٌ بكسر الخاء وسكون النون وفتح الدال، اسم امرأة إلياس بن مضر، واسمها ليلى، وإنما لقبت بخندف لمشيئتها، والخندفة: الهرولة. واشتهر بنوها بالنسبة إليها دون أبيهم، لأن إلياس لما مات حزنت عليه زوجته خندف حزناً شديداً، بحيث هجرت أهلها ودرها وساحت في الأرض حتى ماتت، فكان من رأى أولادها الصغار يقول من هؤلاء؟ فيقال: بنو خندف، إشارة إلى أنها ضيعتهم. كذا في فتح الباري (٦: ٥٤٨ و ٥٤٩).

قوله: (أبا بني كعب) يعني: أن عمرو بن لحي أب لبني كعب، وهذا صحيح لأن كعباً أحد بطون خزاعة. ووقع في بعض الروايات (أخا بني كعب) والصواب الأول.

قوله: (يَجْرُ قُضْبُهُ) بضم القاف وسكون الصاد، وهو واحد الأقصاب، وهي الأمعاء.

٥١ - (٥٠٠) - قوله: (إِنَّ الْبَحِيرَةَ الَّتِي يُنْمَعُ دَرَّهَا لِلطَّوَاغِيتِ) يعني: الأصنام، والبحيرة فميلة بمعنى مفعولة، وهي التي بُجِرت أذنُها، أي: شُقَّت. قال أبو عبيدة: جعلها قوم من الشاة خاصة إذا ولدت خمسة أبطن بحروا أذنُها، أي: شقوها وتُركت فلا يمسها أحد. وقال آخرون: بل البحيرة الناقة كذلك، وخلوا عنها فلم تُركب ولم يضربها فحل.

قوله: (فَلَا يَحْلُبُهَا أَحَدٌ) وكلام أبي عبيدة يدل على أن السنفي إنما هو الشرب الخاص. قال أبو عبيدة: كانوا يحرمون وبراها ولحمها وظهرها ولبنها على النساء ويحلون ذلك للرجال، وما ولدت فهو بمنزلتها، وإن ماتت اشترك الرجال والنساء في أكل لحمها. وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: البحيرة من الإبل، كانت الناقة إذا نتجت خمس بطون، فإن كان الخامس ذكراً كان للرجال دون النساء، وإن كانت أنثى بتكت أذنُها ثم أرسلت، فلم يجزوا لها وبرا، ولم يشربوا لها لبناً ولم يركبوا لها ظهراً، وإن تكن ميتة فهو فيه شركاء الرجال والنساء.

يُسَيِّبُونَهَا لِأَلِهَتِهِمْ، فَلَا يُحْمَلُ عَلَيْهَا شَيْءٌ.

وَقَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَيْتُ عَمْرُو بْنَ عَامِرِ الْخَزَاعِيَّ يَجْرُ قُضْبَةً فِي النَّارِ. وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ سَيَّبَ السُّيُوبَ».

٧١٢٣ - (٥٢) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صِنْفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا. قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ. وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَّاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ. زُفُوفُهُنَّ كَأُنْثَمَةِ النَّبْخِ الْمَائِلَةِ. لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا. وَإِنْ رِيحَهَا لَتُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا».

٧١٢٤ - (٥٣) حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ. حَدَّثَنَا زَيْدٌ، (يَعْنِي ابْنَ حُبَابٍ)، حَدَّثَنَا أَفْلَحُ بْنُ سَعِيدٍ. حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَافِعٍ، مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ. قَالَ. سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ، إِنْ طَالَتْ بِكَ مُدَّةٌ، أَنْ تَرَى قَوْمًا فِي أَيْدِيهِمْ مِثْلُ أَذْنَابِ الْبَقَرِ. يَفْدُونَ فِي غَضَبِ اللَّهِ، وَيَزُوحُونَ فِي سَخَطِ اللَّهِ».

ونقل أهل اللغة في تفسير البحيرة هيأت أخرى تزيد بما ذكرت على العشر. كذا في فتح الباري (٨: ٢٨٤).

قوله: (يُسَيِّبُونَهَا لِأَلِهَتِهِمْ) قال المازري: قيل: هي ما كان أحدهم يفعل، كان إذا مرض أحدهم ينذر إن شفي أن يسب ناقة، فلا تمنع من كلاً ولا ماء، وقد يسيبون غير الناقة. وقيل: كانت الناقة إذا تابعت اثنتي عشرة أنثى ليس بينها ذكر سيبت، فلم تُركب، ولا يجز وبرها، وما ولدت بعد ذلك من أنثى شقت أذننها وخلبت مع أمها، وهي البحيرة بنت المسائبة. كذا في شرح الأبي.

قوله: (رأيت عمرو بن عامر الخزاعي) المراد منه عمرو بن لحي المذكور، ولكن نسب ههنا إلى عامر، إما لكون عامر عم أبيه أخا قمعة، واسم عامر مدركة بن إلياس، كما ذكره الأبي عن القاضي عياض، وإما لأن لحيًا والد عمرو كان قد بناه حارثة بن عمرو بن عامر، فكان عامر جدًا لحارثة، فُنسب إليه لحي وابنه. وراجع للتفصيل فتح الباري (٦: ٥٤٨ و ٥٤٩).

٥٢ - (٢١٢٨) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث مرّ في كتاب اللباس والزينة، باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات (حديث: ٥٥٣٨) وقد مر هناك تخريجه وشرحه باستيفاء، والحمد لله تعالى.

٥٣ - (٢٨٥٧) - قوله: (مثل أذنان البقر) أي: سياط مثل أذنان البقر، وفيه إشارة إلى الشرطة الظالمين، وأعوان الأمراء الجبارين.

٧١٢٥ - (٥٤) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ نَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالُوا: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ الْعَقَدِيُّ. حَدَّثَنَا أَفْلَحُ بْنُ سَعِيدٍ. حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَافِعٍ. مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنْ طَالَ بِكَ مَدَّةٌ، أَوْ شَكَّ أَنْ تَرَى قَوْمًا يَغْدُونَ فِي سَخَطِ اللَّهِ، وَيَرْوَحُونَ فِي لَعْنَتِهِ. فِي أَيْدِيهِمْ مِثْلُ أَذْنَابِ الْبَقَرِ.

(١٤) - باب: فناء النخيا، وبيان الحشر يوم القيامة

٧١٢٦ - (٥٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ. ح وَحَدَّثَنَا ابْنُ ثُمَيْرٍ. حَدَّثَنَا أَبِي وَمُحَمَّدُ بْنُ يَشْرٍ. ح وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى. أَخْبَرَنَا مُوسَى بْنُ أُعَيْنٍ. ح وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ. حَدَّثَنَا أَبُو أَسَامَةَ. كُتِبَ عَنْ إسماعيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ. ح وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، (وَاللَّفْظُ لَهُ)، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ. حَدَّثَنَا إسماعيلُ. حَدَّثَنَا قَيْسٌ. قَالَ: سَمِعْتُ مُسْتَوْرِدًا، أَخَا بَنِي فِهْرٍ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَاللَّهِ، مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إَصْبَعَهُ هَذِهِ - وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَابَةِ - فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَنْ تَرْجَعُ؟».

وَفِي حَدِيثِهِمْ جَمِيعًا، غَيْرَ يَحْيَى: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ ذَلِكَ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي أَسَامَةَ: عَنِ الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَادٍ، أَخِي بَنِي فِهْرٍ.

(١٤) - باب: فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة

٥٥ - (٢٨٥٨) - قوله: (سمعت مستورداً) هو المستورد بن شداد الفهري، له ولأبيه صحبة رضي الله عنه، كان من أهل مكة وهو من الصحابة الذين شهدوا فتح مصر، وكان قد اختط بها، ولأهل مصر عنه أحاديث، توفي بالإسكندرية سنة خمس وأربعين من الهجرة، كما في الإصابة (٣: ٣٨٧).

وحديثه هذا أخرجه أيضاً الترمذي في الزهد، باب بلا ترجمة، (٢٣٢٣)، وابن ماجه في الزهد، باب مثل الدنيا (٤١٦٠).

قوله: (ما الدنيا في الآخرة) أي: بالنسبة إلى الآخرة وبمقابلتها، وحاصل معنى الحديث أن الدنيا بالنسبة إلى الآخرة في قصر مدتها وفناء لذاتها، ودوام الآخرة ونعيمها كأنما الذي يعلق بالإصبع بالنسبة إلى باقي البحر، وأنيم: البحر، وهذا التمثيل أيضاً للتقريب إلى الأفهام، وإلا فالآخرة أعظم وأجل من البحر، لأن البحر مهما كان واسعاً، فإنه مشاء، ونعيم الآخرة غير مشاء.

وَفِي حَدِيثِهِ أَيْضاً: قَالَ: وَأَشَارَ إِسْمَاعِيلُ بِالْإِنْبَاهِ.

٧١٢٧ - (٥٦) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ. حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ حَاتِمِ بْنِ أَبِي صَنْبِيرَةَ. حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي مُثَيْكَةَ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَائِشَةَ. قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرُلَاءَ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعاً، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ قَالَ ﷺ: «بِئْسَ عَائِشَةُ، الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ».

٧١٢٨ - (٥٧) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ نُمَيْرٍ. قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ الْأَحْمَرُ، عَنْ حَاتِمِ بْنِ أَبِي صَنْبِيرَةَ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِي حَدِيثِهِ «غُرُلَاءَ».

٧١٢٩ - (٥٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ. (قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا. وَقَالَ الْآخَرُونَ: حَدَّثَنَا) سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَخْطُبُ وَهُوَ يَقُولُ: «إِنَّكُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ مُشَاةَ حُفَاةَ عُرَاةٍ».....

٥٦ - (٢٨٥٩) - قوله: (عن عائشة) هذا الحديث أخرجه البخاري في الرقاق، باب الحشر (٦٥٢٧)، والنسائي في الجنائز، باب البعث (٢٠٨٣)، وأخرجه ابن ماجه في الزهد، باب ذكر البعث (٤٣٣٠).

قوله: (حُفَاةَ عُرَاةٍ) الحفاة جمع الحافي، وهو من ليس في رجله نعل أو حذاء. والعُرَاة جمع العاري، وهو من ليس على جسمه لباس. وهذا الحديث صريح في أن الناس يحشرون عُرَاةً ليس عليهم لباس. وربما يشكل عليه ما أخرجه أبو داود وصححه ابن حبان أنه لما حضر أبا سعيد الوفاة دعا بشاب جُدَّدَ فلبسها وقال: «سمعت النبي ﷺ يقول: إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها» وجمع بعضهم بينهما بأن بعضهم يحشر عارياً وبعضهم كاسياً، أو بأنهم يخرجون من القبور بالثياب التي ماتوا فيها، ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر، فيحشرون عُرَاةً، وحمل بعضهم حديث أبي سعيد على الشهداء فيحتمل أن يكون أبو سعيد سمعه في الشهيد فحمله على العموم. ويحتمل أيضاً أن يُحشر الناس عُرَاةً كما ذكر في حديث الباب، لكن هذا المعري لا يبقی، فسيجيء في حديث ابن عباس أن أول من يكسى إبراهيم عليه السلام، فيحتمل أن يكون أهل الجنة يكسون في أول أمرهم اللباس الذي ماتوا فيه، ثم يكسون حُلل الجنة بعد دخولهم الجنة.

وقد تناول بعض العلماء في حديث أبي سعيد أنه محمول على المجاز، والمقصود من (ثيابه التي يموت فيها) أعماله التي مات عليها، فكأنهم ذهبوا إلى أن أبا سعيد حمله على الحقيقة، وكان المقصود منه الأعمال، وهذه التأويلات كلها خلاف الظاهر، ولعل أولاهما

عُزْلًا»، وَلَمْ يَذْكُرْ زُهَيْرَ فِي حَدِيثِهِ: يَخْطُبُ.

٧١٣٠ - (٥٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا وَكِيعٌ. ح وَحَدَّثَنَا عُثَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ. حَدَّثَنَا أَبِي. كِلَاهُمَا عَنْ شُعْبَةَ. ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، (وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى)، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ الْأَمْغِيرَةِ بْنِ الثُّعْمَانِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُطْبِيًّا بِمَوْعِظَةٍ. فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تُخْشَرُونَ إِلَى اللَّهِ خِفَافَةَ عَزَاةٍ عُزْلًا. ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ حَلْكِ تُمْيِدُمْ وَعَدَّا عَلَيْكَ إِنَّا كُنَّا فَعَلِيلِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٤) أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِبْرَاهِيمَ، (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، أَلَا وَإِنَّهُ سَيَجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتُ الشَّمَالِ.

بالقبول حملة على الشهداء فقط، لأن ما جاء في حديث الباب مزيد بقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ حَلْكِ تُمْيِدُمْ﴾. وراجع فتح الباري (١١: ٣٨٤).

قوله: (عُزْلًا) بضم الغين وسكون الراء، جمع الأغرل، وهو الأكلف، وهو الذي لم يخشن، وبقيت عُزْلَتُهُ، وهي الجلدَةُ التي يقطعها الخائن من الذكر. قال ابن عبد البر: يحشر الآدمي عارياً، ولكل من الأعضاء ما كان له يوم ولد، فمن قطع منه شيء يرد حتى الأكلف. وقال أبو الوفاء بن عقيل: حشفة الأكلف موقاة بالقلفة، فتكون أرق، فلما أزالوا تلك القطعة في الدنيا أعادها الله تعالى ليذيبها من حلالة فضله. كذا في فتح الباري (١١: ٣٨٤).

٥٨ - (٠٠٠) - قوله: (عن ابن عباس) هذا الحديث أخرجه البخاري في الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَعَدَّ اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (٣٣٤٩)، وباب قول الله: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ (٣٤٤٧)، وفي تفسير سورة المائدة، باب ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ (٤٦٢٥)، وباب ﴿إِنْ تَقُوتُهُمْ فَلَا تَهُمُ بِيَاذِكُمْ﴾ (٤٦٢٦)، وفي تفسير سورة الأنبياء، باب ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ حَلْكِ تُمْيِدُمْ وَعَدَّا عَلَيْكَ﴾ (٤٧٤٠)، وفي الرقاق، باب الحشر (٦٥٢٤ إلى ٦٥٢٦)، وأخرجه الترمذي في تفسير سورة الأنبياء (٣١٦٧)، والنسائي في الجنائز، باب ذكر أول من يكسى (٢٠٨٧).

قوله: (إن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم) ذكر بعض العلماء، كالقرطبي في شرح مسلم، أن المراد من الخلائق ما عدا نبينا ﷺ، فلم يدخل هو في عموم خطاب نفسه، ولكن تعقبه تلميذه القرطبي في التذكرة بحديث علي عليه السلام قال: «أول من يكسى يوم القيامة خليل الله عليه السلام قبطيتين، ثم يكسى محمد ﷺ حلة حبرة عن يمين العرش» أخرجه ابن المبارك في الزهد، وأخرجه أبو يعلى مطولاً مرفوعاً. وأخرج البيهقي من طريق ابن عباس نحو حديث الباب وزاد: «وأول من يكسى من الجنة إبراهيم، يكسى حلة من الجنة، ويؤتى بكرسي فيطرح عن يمين العرش، ثم يؤتى بي فأكسى حلة من الجنة لا يقوم لها البشر، ثم يؤتى بكرسي فيطرح على ساق العرش، وهو عن يمين العرش».

فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أَصْحَابِي. فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَذَرِي مَا أَخَذْتُوا بِغَدَاكَ. فَأَقُولُ، كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنتَ أَتْرَقِبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَلَا تَعَذُّبَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [البقرة: ١١٧ - ١١٨]. قَالَ: فَيُقَالُ لِي: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مِنْذُ فَارَقْتَهُمْ.

وَفِي حَدِيثٍ وَكَيْعٍ وَمُعَاذٍ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَذَرِي مَا أَخَذْتُوا بِغَدَاكَ.

٧١٣١- (٥٩) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ. حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ. ح. وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ. حَدَّثَنَا يَحْيَى. قَالَ أَجْمَعًا: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ حَرْبٍ. حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَارُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. قَالَ: «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ: رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ. وَاثْنَانِ عَلَى بَعْضٍ.

وهذه الأحاديث تدل على أن إبراهيم عليه السلام يكسى قبل نبينا ﷺ، وهو فضل جزئي يحصل له ولا يستلزم أن يكون أفضل من النبي الكريم ﷺ على الإطلاق. والحكمة في كون إبراهيم أول من يكسى أنه جُرد حين أُلقي في النار، وقيل: لأنه أول من استن النستر بالسراويل، وقيل: إنه لم يكن في الأرض أخوف لله منه، فمُجِلَّتْ له الكسوة أماناً له ليظمن قلبه. وذكر الحافظ في الفتح بعد نقل هذه الأقوال أنه يحتمل أن يكون نبينا ﷺ خرج من قبره في ثيابه التي مات فيها، والحُلَّة التي يُكساها حينئذ من حُلل الجنة خدعة الكرامة بقرينة إجلاله على الكرسي عند ساق العرش، فتكون أولية إبراهيم في الكسوة بالنسبة لبقية الخلق. والله سبحانه وتعالى أعلم.

قوله: (فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي) قد بسطنا الكلام على مضمون هذا الحديث في كتاب الفضائل، باب إثبات حوض النبي ﷺ، (حديث: ٥٩٢٢) وذكرنا هناك أن الراجح أن مصداق هؤلاء الرجال هم الذين ارتدوا في عهد أبي بكر ﷺ، وإنما أطلق عليهم لفظ (الأصحاب) نظراً إلى ما كانوا عليه في حياته ﷺ.

قوله: (كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ) يعني: سيدنا عيسى عليه السلام.

٥٩ - (٢٨٦١) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في الرقاق، باب الحشر (٦٥٢٢)، والنسائي في الجنائز، باب البعث (٢٠٨٥).

قوله: (يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ) أي: على ثلاث فرق، يعني: يكونون عند الحشر على ثلاثة أقسام: قسم راغبون راهبون، وقسم يركبون على البعير على الصفة المذكورة في الحديث، وقسم ثالث نحشروهم النار.

واختلف العلماء في معنى هذا الحديث، فذكر بعضهم أن المراد من الحشر في هذا الحديث هو الحشر من القبور الذي سيقع في الآخرة، والفرق الثلاثة المذكورة في الحديث نظير

وَتِلْكَ عَلَى بَعِيرٍ. وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ. وَعَشْرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ. وَتَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارَ. تَبِيتَ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتَضِيعُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُنْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا.

قوله تعالى في سورة الواقعة: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ [الواقعة: ٧] فالمراد من قوله: (راغبين راهبين) عامة المؤمنين، وهم من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فيترددون بين الخوف والرجاء، يخافون عقوبة سيناتهم ويرجون رحمة الله بإيمانهم، وهؤلاء أصحاب الميمنة. وقوله: (واثنان على بعير وثلاثة على بعير)، إلى قوله: (وعشرة على بعير) يراد به السابقون، وهم أفاضل المؤمنين يحشرون ركباناً، وركوبهم يحتمل الحمل دفعة واحدة تنبيهاً على أن البعير المذكور يكون من بدائع فطرة الله تعالى، حتى يقوى على ما لا يقوى عليه غيره من البعران، ويحتمل أن يراد به التعاقب، وإنما سكنت عن الواحد إشارة إلى أنه يكون لمن فوقهم في المرتبة كالأنبياء، ليقع الامتياز بين النبي ومن دونه من السابقين في المراكب كما وقع في المراتب.

وأما قوله ﷺ: (وتحشر بقتيتهم النار) إلخ: فإنما أراد به أصحاب المشأمة، والمراد من كون النار (تبئت معهم حيث باتوا) و (تقيل معهم حيث قالوا) أنها تلزمهم كل حين ولا تفارقهم. فهذا تفسير الحديث على قول من قال: إن المراد من الحشر في الحديث الحشر من القبور في الآخرة.

وذهب جمع كبير من العلماء إلى أن المراد من الحشر في الحديث ليس الحشر المعروف الذي سوف يقع في الآخرة، وإنما المراد منه حشر يقع في الدنيا بقرب من القيامة، وهو من أشرط الساعة التي ستأتي عند مسلم في الفتن وأشرط الساعة من حديث حذيفة بن أسيد مرفوعاً: «إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات، فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم عليهما السلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم» ووقع في حديث ابن عمر عند أحمد وأبي يعلى مرفوعاً: «تخرج نار قبل يوم القيامة من حضر موت، فتسوق الناس» الحديث، وفيه: «فما تأمرنا؟ قال: عليكم بالشام»، ووقع في حديث عبد الله بن عمرو عند الحاكم مرفوعاً: «تبعث نار على أهل المشرق، فتحشرهم إلى المغرب، تبئت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا».

فالحشر المذكور في حديث الباب على هذا القول، هو هذا الحشر الذي يقع في الدنيا، وحاصل معناه أنه ستخرج نار من قعر عدن، فيخرج الناس من بيوتهم فراراً منها وهجرة إلى مواضع أخرى، فيكونون ثلاث فرق: فرقة تغتنم الفرصة، وتكون على فسحة من الظهر ويسرة في الزاد، ويكون أصحابها راغبين فيما يستقبلهم راهبين عما يستدبرونه، وفرقة تواتت حتى قل الظهر وضاق من أن يسعهم لركوبهم، فركب اثنان على بعير، وثلاثة على بعير إلى قوله (وعشرة على

(١٥) - باب: في صفة يوم القيامة،

أعاننا الله على أهوالها

٧١٣٢ - (٦٠) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ. قَالُوا: حَدَّثَنَا يَحْيَى، (يَعْنُونَ ابْنَ سَعِيدٍ)، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ. أَخْبَرَنِي نَافِعٌ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ الشَّيْخِ عليه السلام، «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﷻ» (المطففين: ٦) قَالَ: «يَقُومُ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَابِ أَذْنَيْهِ»، وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ الْمُثَنَّى قَالَ: «يَقُومُ النَّاسُ» لَمْ يَذْكُرْ يَوْمَ.

يعبر) والظاهر في الزائد على الثلاثة أنهم يعتقون بغيراً واحداً. وفرقة ثالثة تعجز عن تحصيل ما يركبونه، فإنهم يمشون، أو يسحبون فراراً من النار، ولكنها تلحقهم في كل مكان، وهو المراد بقوله: (تبست معهم حيث باتوا). إلى آخره.

ثم اختلف العلماء في المراد من النار التي تخرج من قعر عدن فتحشر الناس، فحملها بعضهم على النار الحقيقية، وحملها بعضهم على المجاز، فقالوا: هو كناية عن الفتنة الشديدة، فنية الحشر إليها سببية، كأنها تنشأ في كل جهة، وتكون في جهة الشام أخف منها في غيرها، فكل من عرف ازديادها في الجهة التي هو فيها أحب التحول منها إلى المكان الذي ليست فيه شديدة، فتتوفر الدواعي على الرحيل إلى الشام.

وقد أطال الحافظ في الفتح (١١: ٣٧٨) في تفسير هذا الحديث وتحقيق معناه، ورجح أن المراد من الحشر هنا، هو الحشر الذي يقع في الدنيا بسبب النار. وما ذكرته ملخص ملتقط من كلامه المبسوط والله سبحانه وتعالى أعلم بمراد نبيه ﷺ.

(١٥) - باب: في صفة يوم القيامة أعاننا الله على أهوالها

٦٠ - (٢٨٦٢) - قوله: (عن ابن عمر) هذا الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة ويل للمطففين، باب «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﷻ» (٤٩٣٨)، وفي الرقاق، باب قول الله تعالى: «أَلَا يَنْظُرُ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ شَبَّهُوا ﷻ» (٤) يَوْمَ عَظِيمٍ (٦٥٣١)، وأخرجه الترمذي في تفسير سورة ويل للمطففين (٣٣٣٦)، وابن ماجه في الزهد، باب ذكر البعث (٤٣٣٢).

قوله: (يقوم أحدهم في رشحه) أي: في عرفه، والرشح، بفتح الراء وسكون الشين، العرق، وفي رواية موسى بن عقبة وصالح الآنية: «حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه» وهذا في موقف الحشر. وأخرج ابن المبارك في الزهد، وابن أبي شيبة في مصنفه - واللفظ له - بسند جيد عن سلمان قال: «تعطى الشمس يوم القيامة حرّ عشر سنين، ثم تدنى من جماجم الناس حتى تكون قاب قوسين، فبعرقون، حتى يرشح العرق في الأرض قامة، ثم ترتفع حتى يغرغر الرجل، وزاد ابن المبارك في روايته: «ولا يضر حرّها يومئذ مؤمناً ولا مؤمنة».

٧١٣٣ - (١٠٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْمُسَيْبِيُّ. حَدَّثَنَا أَنَسٌ، (يَعْنِي ابْنَ عِيَّاضٍ). ح وَحَدَّثَنِي سُؤَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ. حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ مَيْسَرَةَ. بَلَاهُمَا عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ. ح وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ الْأَحْمَرُ وَعَبِيسُ بْنُ يُونُسَ، عَنْ ابْنِ عَوْنٍ. ح وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ يَحْيَى. حَدَّثَنَا مَعْنٌ. حَدَّثَنَا مَالِكٌ. ح وَحَدَّثَنِي أَبُو نَضْرٍ التَّمَارُ. حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ أَيُّوبَ. ح وَحَدَّثَنَا الْحُلَوَائِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ. حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ. كُلُّ هَؤُلَاءِ عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، بِمَعْنَى حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ.

غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ وَصَالِحٍ: «حَتَّى يَغِيبَ أَخَذَهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَابِ أَذْنَيْهِ».

٧١٣٤ - (٦١) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ. حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، (يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ)، عَنْ ثَوْرٍ، عَنْ أَبِي الْعَلَيْثِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَرَقَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَيَذْهَبُ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ بَاعًا. وَإِنَّهُ لَيَبْلُغُ إِلَى أَفْوَاهِ النَّاسِ أَوْ إِلَى آذَانِهِمْ» يَشْكُ ثَوْرٌ أَتَيْهَمَا قَالَ.

٧١٣٥ - (٦٢) حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ مُوسَى، أَبُو صَالِحٍ. حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَمْرَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَابِرٍ. حَدَّثَنِي سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ. حَدَّثَنِي الْمُقَدَّادُ بْنُ الْأَسودَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تَذْنَى الشَّمْسُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ».

٦١ - (٢٨٦٣) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في الرقاق، باب قول الله تعالى: ﴿أَلَا يَطْرُقُ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ ﴿١٠٠﴾ يَوْمَ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ (٦٥٣٢).

قوله: (ليذهب في الأرض سبعين باعاً) وفي رواية البخاري: «يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً، ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم» وجاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن الذي يلجمه العرق الكافر، أخرجه البيهقي في الميعث بسند حسن عنه، قال: «يشند كرب ذلك اليوم حتى يلجم الكافر العرق. قيل له: فأين المؤمنون؟ قال: على الكراسي من ذهب ويظلل عليهم الغمام» وبسند قوي عن أبي موسى، قال: «الشمس فوق رؤوس الناس يوم القيامة، وأعمالهم نظلمهم».

٦٢ - (٢٨٦٤) - قوله: (حدثني المقداد بن الأسود) هذا الحديث أخرجه الترمذي في صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص (٢٤٢١).

قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: قَوَّالُهُ مَا أَذْرِي مَا يَغْنِي بِالْمِيلِ؟ أَمَسَافَةُ الْأَرْضِ، أَمْ الْمِيلُ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ.

قَالَ: «فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ. فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتِيهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَتِي. وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ الْجَمَامَ».

قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ.

قوله: (ما أذري ما يعني بالميل؟) لأن لفظ (الميل) مشترك بين المسافة المعروفة وبين ميل المكحلة الذي يكتحل به.

قوله: (فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق) وتفصيله فيما أخرجه الحاكم من حديث عقبة بن عامر رفعه: «تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس، فمنهم من يبلغ عرقه عقبه، ومنهم من يبلغ نصف ساقه، ومنهم من يبلغ ركبته، ومنهم من يبلغ فخذه، ومنهم من يبلغ خاصرته، ومنهم من يبلغ منكبه، ومنهم من يبلغ فاه، وأشار بيده فالجمها فاه، ومنهم من يغطيه عرقه، وضرب بيده على رأسه».

وهذا ظاهر في أن العرق يحصل لكل شخص من نفسه. وقال عياض: يحتمل أن يريد عرق الإنسان نفسه بقدر خوفه مما يشاهده من الأهوال، ويحتمل أن يريد عرقه وعرق غيره، فيشدد على بعض ويخفف على بعض. وهذا كله يتزاحم الناس وانضمام بعضهم إلى بعض حتى صار العرق يجري سائحاً في وجه الأرض، كالماء في الوادي بعد أن شربت منه الأرض وغاص فيها سبعين ذراعاً.

واستشكل هذا الحديث بأن الجماعة إذا وقفوا في الماء الذي على أرض معتدلة، كانت تغطيه الماء لهم على السواء، لكنهم إذا اختلفوا في الطول والقصر تفاوتوا، ولكن الظاهر أن تفاوت الناس في القامة ليس بمثابة أن يبلغ العرق أرجل بعض ورؤوس الآخرين، والجواب أن ذلك من الخوارق الواقعة يوم القيامة، ولا تقاس أحوال الآخرة بمقياس الدنيا.

ثم اختلفت أقوال العلماء: هل يعم هذا العرق المؤمن والكافر، أو يخص الكافر فقط، وقد مر من الأحاديث ما يؤيد الثاني، وأن المؤمن يكون محفوظاً من حر الشمس، لكن قال القرطبي: «المراد من يكون كامل الإيمان، لما يدل عليه حديث المقداد وغيره أنهم يتفاوتون في ذلك بحسب أعمالهم». وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: «ظاهر الحديث تعميم الناس بذلك، ولكن دلت الأحاديث الأخرى على أنه مخصوص بالبعث، وهم الأكثر، ويستثنى الأنبياء والشهداء ومن شاء الله. فأشدهم في العرق الكفار، ثم أصحاب الكبائر، ثم من بعدهم، والمسلمون منهم قليل بالنسبة إلى الكفار». كذا في فتح الباري (١١: ٣٩٤).

(١٦) - باب: للصفات التي يعرف بها
في الدنيا أهل الجنة وأهل النار

٧١٣٦ - (٦٣) حَدَّثَنِي أَبُو عَسَاةَ الْمُسَمَعِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ بْنُ عُثْمَانَ (وَاللَّفْظُ لِأَبِي عَسَاةَ وَابْنِ الْمُثَنَّى)، قَالَا: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ. حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ، عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ، ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمَكُمْ مَا جَهَلْتُمْ بِمَا عَلَّمَنِي، يَوْمِي هَذَا. كُلُّ مَالٍ تَحْتَلِفُ عَبْدًا، حَلَالٌ. وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلُّهُمْ. وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ. وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَخْلَلْتُ لَهُمْ. وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُبْشِرُوا

(١٦) - باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة والنار

٦٣ - (٢٨٦٥) - قوله: (عن عياض بن حمار المجاشعي) وكان صديقاً لرسول الله ﷺ قديماً، وهو صحابي سكن البصرة وروى أحاديث، وأبوه باسم الحيوان المعروف، وقد صحفه بعض المتتبعين من الفقهاء لظنه أن أحداً لا يسمى بذلك، كذا في الإصابة (٣: ٤٨).
وحديثه هذا أخرجه ابن ماجه مختصراً في الزهد، باب في البراءة عن الكبر والتواضع (٤٢٣٢)، وأحمد في مسنده (٤: ١٦٢)، والطبراني في معجمه الكبير (١٧: ٣٥٩ و ٣٦٢ و ٣٦٣).

قوله: (أعلمكم ما جهلتم بما علمني) يحتمل أن يكون (من) بيان (ما)، أو تبعية على أنه منقطع عما قبله، خبر مقدم لما بعده مستأنفاً، أي: من جملة ما علمني.
قوله: (كل مال نحلته عبداً، حلال) معنى (نحلته): أعطيته، وفي الكلام حذف، أي: قال الله تعالى: كل مال أعطيته عبداً من عبادي، فهو له حلال. والمراد إنكار ما حرّموا على أنفسهم من السائبة والوصيلة والبحيرة والحامي وغير ذلك، وأنها لم تصر حراماً بتحريمهم. كذا في شرح النووي.

قوله: (وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم) أي: مستعدين لقبول الحق، والحنف عن الضلال مبشرين عن الشرك والمعاصي، وهو في معنى قوله: «كل مولود يولد على الفطرة» كذا في شرح الطيبي (١٠: ٣٨).

قوله: (فاجتالتهم عن دينهم) أي: صرفتهم وساقطتهم، واجتاله، بالجيم: إذا ساقه وذهب به. وقيل: الافتعال هنا للحمل على الفعل، كاختطبت زيداً عمراً، أي: حملته على الخطية، فالمعنى: (حملتهم الشياطين على جولانهم وميلانهم عن دينهم) كذا في المرفعة لعلي القاري (١٠: ١٠٠). ووقع في مسند أحمد فأضلّتهم وهو أوضح. وذكر النووي أنه قد رواه بعضهم

بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا. وَإِنَّ اللَّهَ تَنْظُرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَّتَهُمْ، عَزَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ. وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْنَيْكَ وَأَبْنَيْكَ بِكَ. وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ. تَقْرُوهُ نَائِمًا وَيَقْظَانِ. وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي

فاختلثهم بالخاء المعجمة، أي: حبستم عن دينهم وصدتكم عنه.

قوله: (ما لم أنزل به سلطاناً) أي: حجة وبرهاناً، سميت به لتسلطه على القلوب بالقهر والغلبة، والمعنى: (ما ليس على إشراكه دليل عقلي ولا نقلي) و (ما) ههنا مفعول لقوله: (يشرکوا).

قوله: (وإن الله نظر إلى أهل الأرض) أي: قبل بعثة النبي الكريم ﷺ.

قوله: (فمقتهم عربهم وعجمهم) المقت: أشد البغض، والمعنى أن الله تعالى أبغضهم لسوء صنيعهم وخبت عقيدتهم واتفاقهم، قبل بعثة النبي ﷺ، على الشرك، سواء كان بعبادة الأصنام، كما وقع لمعظم أهل العرب، أو بعبادة عيسى عليه السلام، كما وقع للنصارى، أو بعبادة عزيز عليه السلام، كما وقع لليهود.

قوله: (إلا بقايا من أهل الكتاب) الظاهر أن المراد به أتباع عيسى عليه السلام الذين بقوا على دينه وشريعته بدون أن يرتكبوا فيه تحريفاً، إلى أن بعث النبي الكريم ﷺ.

قوله: (لأبْنَيْكَ وَأَبْنَيْكَ بِكَ) أما ابتلاء النبي ﷺ، فهو امتحانه كيف يصبر على إيذاء الكفرة والمشركين، وأما الابتلاء به، فهو امتحان من بعث إليهم هل يصدقونه أو يكذبونه.

قوله: (كتاباً لا يغسله الماء) والمراد منه أن القرآن الكريم لا يبقى محفوظاً في الصحف والوزير فحسب، وإنما يبقى محفوظاً في صدور المؤمنين، فمن أراد محوه من الصحف والوزير والعياذ بالله - لم تنعدم نسخه، لبثائه في صدور الحفاظ، وهذا من معجزات النبي ﷺ. وقيل: معناه أنه يبقى كتاباً مستمراً متداولاً بين الناس، لا ينسخ ولا ينسى بالكلية. وعبر عن إبطال حكمه وترك قراءته والإعراض عنه بغسل أوراقه بالماء على سبيل الاستعارة، أو كتاباً واضحاً آياته بيناً معجزاته، لا يبطله جور جائر ولا يدحضه شبهة مناظر. فمثل الإبطال معنى بالإبطال صورة. وقيل: كني به عن غزارة معناه وكثرة جدواه، من قولهم: (مال فلان لا يغنيه الماء والنار). كذا في شرح الطيبي.

قوله: (تقروه نائماً ويقظان) قال الطيبي: «أي: يصير لك ملكة بحيث يحضر في ذهنك وتلثت إليه نفسك في أغلب الأحوال، فلا تغفل عنه نائماً ويقظان. وقد يقال للقادر على الشيء الماهر به: هو يفعل نائماً» وقال الشيخ علي القاري: «أقول: لا احتياج إلى التأويل بالنسبة إلى قلبه الجليل، لأنه - ﷺ - تام عيناه ولا ينام قلبه. وقد شوهد كثير من الناس صغيراً وكبيراً أنهم يقرؤون وهم نائمون».

أَنْ أَحْرَقَ قُرَيْشًا. فَقُلْتُ: رَبِّ، إِذَا يَتْلَوْنَ رَأْسِي فَيَدْعُوهُ خُبْرَةً. قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرِجُوكَ. وَاعْزُهُمْ نُفْرَكَ. وَأَنْفِقْ فَسَنْتَفِقَ عَلَيْكَ. وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثَ خَمْسَةَ مِثْلَهُ. وَقَابِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مِنْ عَصَاكَ. قَالَ: وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُؤَقَّتٌ. وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى، وَمُسْلِمٌ. وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ. قَالَ: وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبَرَ لَهُ،

قوله: (أَنْ أَحْرَقَ قُرَيْشًا) أي: أمرني أهلهم، أي: الكفار منهم. وفي رواية الطبراني في المعجم الكبير (١٧: ٣٥٩): «وإن الله أمرني أَنْ أَعْزُو قُرَيْشًا» ومن طريق معمر عنده أيضاً: «إن الله أوحى إليَّ أَنْ أَعْزُو قُرَيْشًا».

قوله: (إِذَا يَتْلَوْنَ رَأْسِي) بفتح اللام، أي: يشدحوا ويكسروا، وقوله (فَيَدْعُوهُ خُبْرَةً) أي: فيتركوه بالشدح مثل خبزة.

قوله: (اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرِجُوكَ) أي: أخرجهم كما أخرجوك، وفيه إشارة إلى ما وقع من الإعلان يوم البراءة أن كفار جزيرة العرب لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيِّف.

قوله: (وَاعْزُهُمْ نُفْرَكَ) بضم النون وسكون الغين وكسر الزاي، من أعزيت: إذا جهزته للغزو، وهيات له أسبابه.

قوله: (وَأَنْفِقْ فَسَنْتَفِقَ عَلَيْكَ) أي: أنفق في سبيل الله والجهاد، نخلف عليك بدله في الدنيا والآخرة. قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الْكَافِرِينَ﴾.

قوله: (وَابْعَثْ جَيْشًا - نَبْعَثْ خَمْسَةَ مِثْلِهِ) يعني: نبعث لنصرك خمسة أمثال جيشك من الملائكة، كما فعل بيدر.

قوله: (ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ) أي: من له سلطة فيقيم بها العدل. قال الأبي: «ويدخل فيه الرجل في أهله لحديث: «كل راع مسؤول عن رعيته»، وحديث (لَا يُؤْمَنُ الرَّجُلُ فِي سُلْطَانِهِ».

قوله: (لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٌ) بالجزء، لكونه معطوفاً على (ذِي قُرْبَى) يعني: أنه رحيم لكل ذي قرى ولكل مسلم.

قوله: (عَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ) العفيف من كانت العفة سجية له، والمتعفف من يتكلف العفة، والمراد من يتعفف عن كسب الحرام وإن كان ذا عيال. وفي رواية للطبراني: «ورجل غني عفيف متصدق».

قوله: (الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبَرَ لَهُ) الزُّبْر، بفتح الزاي وسكون الباء، ما يُزِير الإنسان أي: يمنعه، ويطلق عموماً على العقل، لأنه يكف الإنسان عما لا ينبغي، فالمعنى: الضعيف الذي لا عقل عنده يمنعه من المحرمات. وقيل: المراد من لا مال له، ورده القرطبي وقال: ليس بشيء.

الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَتَّبِعُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا. وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ ظَمْعٌ، وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ. وَرَجُلٌ لَا يُضِيحُ وَلَا يُخْصِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ. وَذَكَرَ الْبُخْلُ

وقال الطيبي في شرح المشكاة (٩ : ١٧٤) : «المعنى : لا تماسك له عند مجيء الشهوات فلا يرتدع عن فاحشة ولا يتورع عن حرام».

قوله : (الذين هم فيكم تبعاً) كذا وقع منصوباً في نسخ صحيح مسلم، وفي رواية الطبراني : «هم فيكم تبع» بالرفع. وهو أوفق بالقياس، وأما كونه منصوباً فيمكن تأويله على أنه حال من فعل محذوف، كأنه قال : «هم يعيشون فيكم تبعاً» وفي رواية أحمد : «الذين هم فيكم تبعاً، أو تبعاء، شك يحيى» وعلى التقدير الأخير هو جمع تابع، والله أعلم.

قوله : (لا يتبعون أهلاً ولا مالاً) روي (لا يتبعون) بتشديد التاء وتخفيفها جميعاً، فعلى الأول هو مضارع من الاتباع، وعلى الثاني من تَبَعَ يَتَّبِعُ. ووقع في بعض النسخ (لا يتبعون) أي : لا يطلبون. وهذه الجملة تفسير (الضعيف الذي لا زَبْرَ له)، ومعناه : أنهم لا يسمعون في تحصيل منفعة دينية أو دنيوية، بل يهتملون أنفسهم إهمال الأنعام، فلا يطلبون أهلاً ولا مالاً بطريقة معروفة، بل هم تبع لقادتهم يسرون معهم حيث ساروا. وإنما استحقوا النار لأنهم لم يستعملوا ما وهبهم الله تعالى من العقل والفكر لتمييز الكفر من الإيمان، فوقعوا في الكفر تبعاً لقادتهم. وقال الشيخ علي القاري في المرقاة (٩ : ٢٢٠) : «(لا يتبعون أهلاً) أي : لا يطلبون زوجة ولا سرية، فأعرضوا عن الحلال وارتكبوا الحرام (ولا مالاً) أي : لا يطلبون مالاً حلالاً من طريق الكد والكسب الطيب. فقيل : هم الخدم الذين يكتفون بالشبهات والمحرمات التي سهل عليهم مأخذها عما أبيح لهم، وليس لهم داعية إلى ما وراء ذلك من أهل ومال. وقيل : هم الذين يدورون حول الأمراء ويخدمونهم ولا يبالون من أي وجه يأكلون ويلبسون، أمن الحلال أم من الحرام، ليس لهم ميل إلى أهل ولا إلى مال، بل قصرُوا أنفسهم على المأكَل والمشرب».

قوله : (والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دَقَّ إلا خانه) هذا هو القسم الثاني من أهل النار، و (الطمع) ههنا مصدر بمعنى المفعول، أي : لا يخفى عليه شيء مما يمكن أن يُطْمَع فيه، وإن دَقَّ بحيث لا يكاد أن يدرك، إلا وهو يسعى في التفحص عنه والتطلع إليه حتى يجده فيخونه. وهذا هو الإغراق في الوصف بالطمع والخيانة. وذكر أهل اللغة أن كلمة (خفي) من الأضداد، فتأتي بمعنى (ظهر) كما تأتي بمعنى (استتر)، وجاءت هنا بمعنى (لا يظهر)، أي : لا يظهر له طمع، وإن دَقَّ، إلا سعى في تحصيله وإن كان بطريق الخيانة، والله أعلم.

قوله : (وهو يخادعك عن أهلك ومالك) أي : بسببهما، فمن بمعنى الباء، كما في قوله تعالى : ﴿وَمَا يَخْلُقُ عَنِّي آلُفٌ﴾، كذا في مرقاة المفاتيح.

قوله : (وذكر البخل أو الكذب) قال التوريشتي : «أي : التخييل والكذاب، أقام المصدر

أَوْ الْكَذِبِ «وَالشَّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ»، وَلَمْ يَذْكُرْ أَبُو عَسَّانَ فِي حَدِيثِهِ: «وَأَتَّفَقُوا فَسَنَنْتُقِ عَلَيْكَ».

٧١٣٧ - (١٠٠) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى الْعَنَزِيُّ. حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِي حَدِيثِهِ «كُلُّ مَالٍ نَحْلَتُهُ عَبْدًا، حَلَالٌ».

٧١٣٨ - (١٠٠) حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ بَشِيرٍ الْعَبْدِيُّ. حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ هِشَامٍ، صَاحِبِ الدُّسُورِيِّ. حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ عِيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ ذَاتَ يَوْمٍ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ، وَقَالَ فِي آخِرِهِ: قَالَ يَحْيَى: قَالَ شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ. قَالَ: سَمِعْتُ مُطَرِّفًا فِي هَذَا الْحَدِيثِ.

٧١٣٩ - (٦٤) وَحَدَّثَنِي أَبُو عَمَّارٍ، حُسَيْنُ بْنُ حُرَيْثٍ. حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى، عَنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ مَطَرٍ. حَدَّثَنِي قَتَادَةُ، عَنْ مُطَرِّفٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ، عَنْ عِيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ، أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ خَطِيبًا. فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي». وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِ حَدِيثِ هِشَامٍ، عَنْ قَتَادَةَ، وَزَادَ فِيهِ: «وَإِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا خَلْقِي لَا يَفْخَرُ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْنِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ». وَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: «وَهُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَنْتُمُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا».

فَقُلْتُ: فَيَكُونُ ذَلِكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَاللَّهِ، لَقَدْ أَدْرَكْتُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

مقام اسم الفاعل، وقال الطيبي: «ولعل الراوي نسي ألفاظاً ذكرها ﷺ في شأن البخل أو الكذاب، فعبّر بهذه الصيغة» ووقع في أكثر النسخ (البخل أو الكذب) بالتوريد، وفي بعض النسخ (البخل والكذب) بالواو، وحينئذ تنتهي الأقسام الخمسة على الكذب، ويكون الشَّنْظِيرُ تفسيراً للقسام الثالث، وهو (رجل لا يصيح ولا يسمي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك).

قوله: (والشَّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ) الشَّنْظِيرُ: السّيء الخلق، والفحاش: نعت للشَّنْظِيرِ، وليس بتفسير له، أي: يكون مع سوء خلقه فحاشاً. كذا قال الطيبي. وقال النووي: إنه تفسير للشَّنْظِيرِ.

٦٤ - (١٠٠) - قوله: (فقلت: فيكون ذلك يا أبا عبد الله) قائله قَتَادَةُ، وأبو عبد الله هو مطرف بن عبد الله بن الشَّخِيرِ. وكان قَتَادَةُ استغرب أن يقع عن بعض الناس مثل ذلك.

قوله: (لقد أدركتهم في الجاهلية) ظاهره مشكل لكون مطرف بن عبد الله لم يدرك زمن الجاهلية، وإنه يعد من التابعين، ويقال: إنه ولد في حياة النبي ﷺ. فلعل مراده أنه أدرك بعض آثار الجاهلية في بعض الأمكنة. كذا قال النووي والأبي. وليتظر هل يحتمل أن يكون القائل مطرف بن عبد الله ويكون أبو عبد الله كنية عياض بن حمار ﷺ، فلو صح ذلك، لاستقام الكلام، ولكنه لم أجد في ترجمته عياض بن حمار كنية، والله أعلم.

وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَرْغَى عَلَى الْحَيِّ، مَا بِهِ إِلَّا وَلِيدَتُهُمْ يَطُورُهَا.

(١٧) - باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر، والتعود منه

٧١٤٠ - (٦٥) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى. قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ. إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ. يُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

٧١٤١ - (٦٦) حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ. أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ. أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ. قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ. إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَالْجَنَّةِ. وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَالنَّارُ».

قوله: (وإن الرجل ليرعى على الحي) إنخ: الظاهر أن معناه أن رجلاً في الجاهلية ربما كان يرعى غنم الحي بأجمعه، ولا يأخذ على ذلك أجراً معيناً، إلا أنه كان يطاء وليدة لهم. وهذا تفسير لقوله عليه السلام: «وهم فيكم تبع لا يبتغون أهلاً ولا مالاً» فإن مثل ذلك الراعي كان خادماً لأهل حبه تابعاً لهم، لا يبتغي زوجة حلالاً، ولا مالاً حلالاً، وإنما يفعل ذلك لأجل جارية يطورها.

(١٧) - باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار إنخ

٦٥ - (٢٨٦٦) - قوله: (عن ابن عمر) هذا الحديث أخرجه البخاري في الجنائز، باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي (١٣٧٩)، وفي بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٣٢٤٠)، وفي الرقاق، باب سكرات الموت (٦٥١٥)، وأخرجه الترمذي في الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر (١٠٧٢)، والنسائي في الجنائز، باب وضع الجريدة على القبر (٢٠٧١)، وابن ماجه في الزهد، باب ذكر القبر والبلوى (٤٣٢٤).

قوله: (عرض عليه مقعده بالغداة والعشي) قال القرطبي: «يجوز أن يكون هذا العرض على الروح فقط، ويجوز أن يكون عليه مع جزء من البدن... والمراد بالغداة والعشي وقتيهما، وإلا فالموتى لا صباح عندهم ولا مساء... وهذا في حق المؤمن والكافر واضح. فأما المؤمن المخلط فمحتمل في حقه أيضاً، لأنه يدخل الجنة في الجملة. ثم هو مخصوص بغير الشهداء، لأنهم أحياء، وأرواحهم تسرح في الجنة. ويحتمل أن يقال: إن فائدة العرض في حقهم نبشير أرواحهم باستقرارها في الجنة مقترنة بأجسادها، فإن فيه قدراً زائداً على ما هي فيه الآن» كذا في فتح الباري (٣: ٢٤٣).

قَالَ: «ثُمَّ يُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ الَّذِي تُبْعَثُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

٧١٤٢ - (٦٧) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي أُيُوبَ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ جَمِيعاً عَنْ ابْنِ عُثَيْمٍ. قَالَ ابْنُ أُيُوبَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُثَيْمٍ. قَالَ: وَأَخْبَرَنَا سَعِيدُ الْجُرَيْرِيُّ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ. قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: وَلَمْ أَشْهَدْهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ. وَلَكِنْ حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي حَائِطٍ لِبَنِي النُّجَارِ، عَلَى بَعْلَةٍ لَهُ، وَتَحْتَهُ مَعَهُ، إِذْ حَدَّثَ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ. وَإِذَا أَقْبَرُ سِتَّةٌ أَوْ خَمْسَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ (قَالَ: عَذَا كَانَ يَقُولُ الْجُرَيْرِيُّ) فَقَالَ: «مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبَرِ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا. قَالَ: «فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟» قَالَ: مَاتُوا فِي الْإِشْرَاكِ. فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْعَثُ فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَتُوا، لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ» ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «تَعُوذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ. فَقَالَ: «تَعُوذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. قَالَ: «تَعُوذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ. قَالَ: «تَعُوذُوا بِاللَّهِ مِنَ فِتْنَةِ الدُّجَالِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ فِتْنَةِ الدُّجَالِ.

٧١٤٣ - (٦٨) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ. قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَتُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ».

٧١٤٤ - (٦٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا وَكِيعٌ. ح وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ

قوله: (حتى يبعثك الله) أي: لا تصل إليه إلى يوم البعث.

٦٦ - (٢٨٦٧) - قوله: (عن زيد بن ثابت) هذا الحديث لم يخرجوه أحد غير المصنف من الأئمة الستة، وأخرجه أحمد في مسنده (٥: ١٩٠) والطبراني في المعجم الكبير (٥: ١٢٢).

قوله: (إذ حدث به) أي: مالت عن الطريق ونفرت، والظاهر أنها فعلت ذلك لسماعها صوت العذاب.

قوله: (ماتوا في الإشراك) أي: ماتوا مشركين.

قوله: (فلولا أن لا تدافتوا) يعني: أنكم لو سمعتم صوت العذاب الذي يعذب به الموتى في القبر، لأمسكنكم عن دفن الموتى في القبور، فلولا هذه الخشية لدعوت الله أن يسمعكم صوت العذاب.

٦٨ - (٢٨٦٨) - قوله: (عن أنس) هذا الحديث أخرجه النسائي في الجنائز، باب عذاب القبر (٢٠٥٨)، وأخرجه أحمد في مسنده (٣: ١٠٣ و ١٧٦).

ابْنُ مُعَاذٍ. حَدَّثَنَا أَبِي. ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ. قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ. كُلُّهُمَا عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جَحْفَةَ. ح وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ. جَمِيعاً عَنْ يَحْيَى الْقَطَّانِ، (وَاللَّفْظُ لِرُزْهَيْرٍ)، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ. حَدَّثَنِي عَوْنُ بْنُ أَبِي جَحْفَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْبَرَاءِ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ مَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ. فَسَمِعَ صَوْتًا. فَقَالَ: «يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا».

٧١٤٥ - (٧٠) حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ. حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ. حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ قَتَادَةَ. حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وَضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَقَوَّلَى عَنْهُ أَصْحَابُهُ،

قوله: (عن أبي أيوب) هذا الحديث أخرجه البخاري في الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر (١٣٧٥)، والنسائي في الجنائز، باب عذاب القبر (٢٠٥٩).

قوله: (يهود تعذب في قبورها) وقد وقعت هذه القصة عند الطبراني بشيء من التفصيل، ولفظه: «خرجت مع النبي ﷺ حين غربت الشمس ومعى كوز من ماء، فانطلق نحاجه حتى جاء، فوضأته، فقال: ألم تسمع ما أسمع؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: أسمع أصوات اليهود يعذبون في قبورهم» وقال الكرماني: صوت الميت من العذاب يسمعه غير الثقلين، فكيف سمع ذلك؟ ثم أجاب بقوله: هو في الضجة المخصوصة، وهذا غيرها، أو سماع رسول الله ﷺ على سبيل المعجزة. كذا في عمدة القاري (٤: ٢٢٩).

٧٠ - (٢٨٧٠) - قوله: (حدثنا أنس بن مالك) هذا الحديث أخرجه البخاري في الجنائز، باب الميت يسمع خفق النعال (١٣٣٨)، وباب ما جاء في عذاب القبر (١٣٧٤)، وأخرجه أبو داود في الجنائز، باب المشي في النعل بين القبور (٣٢٣١)، وفي السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر (٤٧٥١ و ٤٧٥٢)، وأخرجه النسائي في الجنائز، باب المسألة في القبر (٢٠٥٠)، وباب مسألة الكافر (٢٠٥١).

قوله: (إن العبد إذا وضع في قبره) وزاد أبو داود في السنة (٤: ٢٣٨) قبله من طريق سعيد عن قتادة، عن أنس: «إن نبي الله ﷺ دخل لخلأ لبني النجار، فسمع صوتاً ففرع، فقال: من أصحاب هذه القبور؟ قالوا: يا رسول الله! ناس ماتوا في الجاهلية، فقال: تحوّدوا بالله من عذاب النار ومن فتنة الدجال. قالوا: وممّ ذاك يا رسول الله؟ قال: إن المؤمن إذا وضع في قبره» فذكر الحديث فأفاد هذا الطريق سبب هذا الحديث.

ثم ذكر الأبّي في شرحه أن لفظ (القبر) هنا خرج مخرج الغائب، وإلا فالغريق ومن في الغلاة ومن ترك في بيت حتى صار له كالقبر، يسألون أيضاً.

إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نَعَالِهِمْ قَالَ :

مسألة سماع الموتى:

قوله: (إنه ليسمع قرع نعالهم) هذا الحديث حجة لمن أثبت السماع للموتى، وهو مذهب عبد الله بن عمر رضي الله عنه، وذكر ابن عبد البر رحمه الله أنه اختار ابن جرير الطبري وابن قتيبة وأكثر العلماء. وروى عن عائشة رضي الله عنها أنها ذهبت إلى نفي سماع الموتى، وتأولت في حديث فلييب بدر، ووافقها طائفة من العلماء على ذلك، ورجحه القاضي أبو يعلى من أكابر الحنابلة. وذكر ابن الهمام رحمه الله تعالى أن أكثر مشايخ الحنفية على أن الميت لا يسمع، استدلالاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُتِمِّعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ (فاطر، آية: ٢٢) ولذلك قالوا: لو حلف لا يكلم فلاناً، فكلمه ميتاً لا يحث.

وقد دلّ حديث الباب صريحاً على أن الميت يسمع قرع نعال أصحابه، وكذلك صح عن النبي ﷺ على ما سيأتي قريباً أنه خاطب الكفار من قتلى بدر، وقال للصحابه: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم» أخرجه الشيخان. وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير سورة الروم (٣): (٤٣٨): «والصحيح عند العلماء رواية عبد الله بن عمر لما لها من الشواهد على صحتها من وجوه كثيرة، من أشهر ذلك ما رواه ابن عبد البر مصححاً له عن ابن عباس مرفوعاً: «ما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه، إلا رّدّ الله عليه روحه حتى يردّ عليه السلام» وثبت عنه ﷺ لأمره إذا سلموا على أهل القبور أن يسلموا عليهم سلام من يخاطبونه، فيقول المسلم: السلام عليكم دار قوم مؤمنين. وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل. ولولا هذا الخطاب لكانوا بمنزلة خطاب المعدوم والجماد، والسلف مجمعون على هذا. وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف بزيارة الحيّ له، ويستبشر».

ومع هذا فالراجح في هذه المسألة ما ذهب إليه المتوسطون المحققون من العلماء، وهو أن الأصل في الميت عدم السماع، ولكن لا يستحيل أن يسمعهم الله تعالى كلاماً في بعض الأحيان على سبيل خرق العادة، وقد ثبت وقوع ذلك في حديث الباب، وفي حديث قتلى بدر، وفي حديث ابن عباس الذي رواه ابن عبد البر وصححه، فينبغي أن نؤمن بالسماع في هذه المواقع، ونتوقف في المواقع الأخرى التي لم يرد فيها نص. قال والمدي العلامة المفتي محمد شفيع رحمه الله في أحكام القرآن له (٣: ١٦٨): «فالقول بإطلاق سماع الموتى في كل فرد وفي كل حين، قول بما ليس لك به علم، والقول بنفيه رأساً مزاحمة للنصوص المذكورة آنفاً، ولذلك قلنا بشيوته في الجملة، أعني في حين دون حين، لشخص دون شخص، في كلام دون كلام، وبذلك تتوافق النصوص والآثار الواردة في هذا الباب».

وقد أطال رحمه الله تعالى في تحقيق المسألة، وسرد النصوص والآثار المتعلقة بها،

«بَأْتِيهِ مَلَكًا فَيُقْعِدَانِي فَيَقُولَانِ لَهُ:

وتكلم عليها باعتدال واتزان يطمئن إليهما القلب وينشرح لهما الصدر، فليراجع من شاء التفصيل.

مسألة ليس النعل عند القبور:

ثم قال العيني رحمه الله في عمدة القاري (٤: ١٦٣): «وفيه جواز لبس النعل لزاثر القبور الماشي بين ظهرانيها. وذهب أهل الظاهر إلى كراهة ذلك. وبه قال يزيد بن زريع وأحمد بن حنبل. وقال ابن حزم في المحلى: ولا يحل لأحد أن يمشي بين القبور بنعلين سبئيتين، وهما اللذان لا شعر عليهما، فإن كان فيهما شعر جاز ذلك... واحتج هؤلاء بحديث بشير بن الخصاصية أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يمشي بين القبور في نعلين، فقال: ويحك يا صاحب السبئيتين! ألقى سبئيتك. رواه الطحاوي، وأخرجه أبو داود وابن ماجه بأتم منه. وأخرجه الحاكم وصححه... وقال الجمهور من العلماء بجواز ذلك. وهو قول الحسن وابن سيرين والنخعي والثوري وأبي حنيفة ومالك والشافعي وجماهير الفقهاء من التابعين ومن بعدهم. وأجيب عن حديث ابن الخصاصية بأنه إنما اعترض عليه بالخلع احتراماً للمقابر. وقيل: لا اختياره في مشيه، وقال الطحاوي: إن أمره ﷺ بالخلع لا لكون المشي بين القبور بالنعال مكروهاً، ولكن لما رأى ﷺ قدراً فيهما يقدر القبور أمر بالخلع. وقال الخطابي يشبه أن يكون إنما كره ذلك لأنه فعل أهل النعمة والسعة فأحب أن يكون دخول المقبرة على التواضع».

قوله: (بَأْتِيهِ مَلَكًا) ووقع في حديث أبي هريرة عند الثرمذي، وحسنه: «أسودان أزرقان، يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير» وفي رواية لابن حبان: «يقال لهما منكر ونكير» وزاد الطبراني في الأوسط من طريق أخرى عن أبي هريرة: «أعينهما مثل قدور النحاس، وأنيابهما مثل صياصي البقر، وأصوانهما مثل الرعد».

وذكر بعض الفقهاء أن اسم اللذين يسألان المذنب منكر ونكير، وأن اسم اللذين يسألان المطيع مبشر وبشير. كذا في فتح الباري (٣: ٢٣٧).

مسألة عذاب القبر:

قوله: (فَيُقْعِدَانِي) به استدلال الجمهور على أن سؤال الميت وعذابه في القبر يكون على روحه مع الجسد، لا على الروح فقط، وإن أحاديث هذا الباب تدل على ثبوت عذاب القبر، وفيه مذاهب:

الأول: مذهب الخوارج، وهو إنكار عذاب القبر مطلقاً، وبه قال بعض المعتزلة مثل ضرار بن عمرو وبشر المريسي ومن وافقهما. وهو قول مردود بالنصوص المتواترة معنى، وقد فصلها العلامة العيني رحمه الله تعالى في عمدة القاري (٤: ١٦١ و ١٦٢) والتفتازاني في شرح

المقاصد (٥ : ١١١ - ١١٦)، والشريف الجرجاني في شرح المواقف (٨ : ٣١٧) وردّ كل منهم على ما استبدل به المنكرون لعذاب القبر.

الثاني: أن عذاب القبر إنما يقع على الكفار، دون المؤمنين، وهو مذهب بعض المعتزلة، كالجاني حكاه عنهم الحافظ في فتح الباري (٣ : ٢٣٣). وحديث عذاب القبر لمن كان لا يستتر من بوله ولمن كان يمشي بالنميمة يردّ عليهم، وكذلك بعض الأحاديث الأخرى.

الثالث: إن السؤال يقع على الروح فقط من غير عود إلى الجسد، وهو مذهب ابن حزم وابن هبيرة، كما نقل عنهما الحافظ في الفتح (٣ : ٢٣٥). وحديث الباب حجة عليهم، لأنه لا معنى لإقعاد الروح، وإنما يقع الإقعاد على الجسد.

الرابع: أن السؤال في القبر يقع على البدن فقط، وأن الله يخلق فيه إدراكاً بحيث يسمع ويعلم، ويلذ ويألم. وهو قول ابن جرير وجماعة من الكرامية، كما نقل عنهم الحافظ.

الخامس: أن الميت لا يشعر بالتعذيب ولا بغيره إلا بين النفختين. وحاله كحال النائم والمغشي عليه، لا يحس بالضرب ولا بغيره إلا بعد الإفاقة. وهذا مذهب أبي الهذيل ومن تبعه، حكاه الحافظ أيضاً، وردّ عليه بحديث الباب.

السادس: مذهب جمهور أهل السنة، وهو أنه تُعاد الروح إلى الجسد أو إلى بعضه عند السؤال أو العذاب، كما ثبت في الحديث. ولو كان على الروح فقط، لم يكن للميت بذلك اختصاص، ولا يمنع من ذلك كون الميت قد تنفرد أجزأؤه، لأن الله قادر على أن يعيد الحياة إلى جزء من الجسد ويقع عليه السؤال، كما هو قادر على أن يجمع أجزأؤه.

وقال الحافظ: «والحامل للقائلين بأن السؤال يقع على الروح فقط أن الميت قد يشاهد في قبره حال المسألة لا أثر فيه من إقعاد ولا غيره، ولا ضيق في قبره ولا سعة، وكذلك غير المقبور كالمصلوب. وجوابهم أن ذلك غير ممنوع في القدرة. بل له نظير في العادة، وهو النائم، فإنه يجد لذة وألماً لا يدركه جليسه، بل ائيقظان قد يدرك ألماً أو لذة لما يسمعه أو يفكر فيه ولا يدرك ذلك جليسه. وإنما أتى الغلط من قياس الغائب على الشاهد، وأحوال ما بعد الموت على ما قبله. والظاهر أن الله تعالى صرف أبصار العباد وأسماعهم عن مشاهدة ذلك، وستره عنهم إبقاء عليهم لئلا يتدافوا، وليست للجوارح الدنيوية قدرة على إدراك أمور الملكوت إلا من شاء الله».

قال: «وقد ثبتت الأحاديث بما ذهب إليه الجمهور، كقوله: «إنه ليسمع خفق نعالهم»، وقوله: «وتختلف أضلاعه نضمة القبر»، وقوله: «يسمع صوته إذا ضربه بالمطراق»، وقوله: «يضرب بين أذنيه»، وقوله: «فيقعدانه»، وكل ذلك من صفات الأجساد».

مَا كُنْتُ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ قَالَ: «فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» قَالَ: «فَيَقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعِدِكَ مِنَ النَّارِ. قَدْ أَبْذَلَكَ اللَّهُ بِهٍ مَقْعِداً مِنَ الْجَنَّةِ» قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «فَيَبْرَاهِمَا جَمِيعاً».

قَالَ قَتَادَةُ: وَذَكَرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعاً. وَيُمْلَأُ عَلَيْهِ خَضِيراً إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ.

وقال الحافظ أيضاً في رسائته (الجواب الكافي عن السؤال الخافي) (ص: ٤١ من الرسائل المنيرية ج: ٧٤): «وأما السادس، وهو هل العذاب على الروح أو الجسد؟ فالجواب: أنه عليهما، لكن حقيقته على الروح، ويتألم الجسد مع ذلك ويتنعم مع ذلك، لكن لا يظهر أثر ذلك لمن يشاهده من أهل الدنيا، حتى لو نبش على الميت لوجد كهفته يوم وضع».

قوله: (ما كنت تقول في هذا الرجل؟) زاد أبو داود في أوله: «ما كنت تعبد؟ فإن هداه الله قال: كنت أعبد الله، فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟» ولأحمد من حديث عائشة: «ما هذا الرجل الذي كان فيكم؟» والمراد منه رسول الله ﷺ، كما وقع تفسيره عند البخاري: «ما كنت تقول في هذا الرجل. لمحمد ﷺ» وقال العيني في العمدة: (٤: ١٥٩): «فإن قلت: هذه عبارة خشنة ليس فيها تعظيم ولا توقير، قلت: قصد بها الامتحان للمسؤول، لئلا يتلغن تعظيمه عن عبارة القائل».

ثم اشتهر فيما بين الناس أن الميت يرى صورة النبي ﷺ عند هذا السؤال، ولكني لم أجد ذلك مصححاً في شيء من الروايات. ثم رأيت في رسالة للحافظ ابن حجر رحمه الله اسمها (الجواب الكافي عن السؤال الخافي) (وهي رسالة أجاب فيها على عدة أسئلة من أحوال الموتى والقبور) أنه قال: «وأما الثامن، وهو هل يكشف له (أي: للميت) حتى يرى النبي ﷺ؟» فالجواب: أن هذا لم يرد في خبر صحيح، وإنما ادعاه من لا يحتاج به بغير مستند، إلا من جهة قوله (في هذا الرجل) وإن الإشارة بلفظ (هذا) تكون للحاضر. وهذا لا معنى له، لأنه حاضر في الذهن» راجع له مجموعة الرسائل المنيرية، طبع إدارة الطباعة المنيرية ١٣٤٦ هـ (ج: ٤، ص: ٤١).

قوله: (ويُملأ عليه خضراً) بفتح الخاء وكسر الضاد، وهو بمعنى الأخضر، تقول العرب: أخضر خضراً يعنون به التأكيد، والمراد هنا: النعم الغضة الطرية، يعني: يملأ عليه نعماً غضة وافرة. وضبطه بعضهم بضم الخاء وفتح الضاد، وهو جمع خضرة، ولكن الأول أشهر.

ثم قال القاضي عياض رحمه الله: «يحتمل أن يكون هذا الفسح له على ظاهره، وأنه يرفع عن بصره ما يجاوره من الحجب الكثيفة، بحيث لا تناله ظلمة القبر ولا ضيقه إذا ردت إليه روحه... ويحتمل أن يكون على ضرب النمل والاستعارة للرحمة والنعيم، كما يقال: سقى الله قبره، والاحتمال الأول أصح» كذا في شرح النووي.

٧١٤٦ - (٧١) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مِنْهَالٍ الصُّرَبِيُّ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ النَّبِيَّ إِذَا وَضِعَ فِي قَبْرِهِ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفَقَ نِغَالِهِمْ إِذَا انْصَرَفُوا».

٧١٤٧ - (٧٢) حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ زُرَّارَةَ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، (يَعْنِي ابْنَ عَظَاءٍ)، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وَضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، فَذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ شَيْبَانَ، عَنْ قَتَادَةَ».

٧١٤٨ - (٧٣) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ بْنُ عُثْمَانَ الْعَبْدِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُنْتَبِهُ اللَّهُ الْذِيكَ مَأْتُوا بِالْقَوْلِ الثَّانِي» [إبراهيم: ٢٧] قَالَ: «نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ. فَيَقَالُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ وَنَبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:

٧٣ - (٢٨٧١) - قوله: (عن البراء بن عازب) هذا الحديث أخرجه البخاري في الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر (١٣٦٩)، وفي تفسير سورة إبراهيم، باب ﴿يُنْتَبِهُ اللَّهُ الْذِيكَ مَأْتُوا بِالْقَوْلِ الثَّانِي﴾ (٤٦٩٩)، وأخرجه الترمذي في تفسير سورة إبراهيم (٣١٢٠)، وأبو داود في السنن، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر (٤٧٥٠)، وابن ماجه في الزهد، باب ذكر القبر والبلوى (٤٣٢٣).

قوله: (فيقال له: من ربك؟) قال العيني في عمدة القاري (٤: ٢٢٨): «فإن قلت: المسألة عامة على جميع الأمم، أم على أمة محمد ﷺ؟ فذهب الحكيم الترمذي إلى أنها تختص بهذه الأمة، وقال: كانت الأمم قبل هذه الأمة تأتيهم الرسل، فإن أطاعوا فذاك، وإن أبوا فاعزلوهم وعوجلوا بالعذاب. فلما أرسل الله محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة للعالمين أمسك عنهم العذاب، وقبل الإسلام ممن أظهره، سواء أسر الكفر أو لا. فلما ماتوا قبض الله لهم فنان القبر، ليستخرج سرهم بالسؤال، وليميز الله الخبيث من الطيب، ويثبت الذين آمنوا، ويضل الظالمين، انتهى».

ثم قال العيني رحمه الله: «ويؤيده حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه مرفوعاً: إن هذه الأمة تبشلى في قبورها، الحديث أخرجه مسلم، ويؤيده أيضاً قول الملكين: ما تقول في هذا الرجل محمد؟ وحديث عائشة أيضاً عند أحمد بلفظ (وأما فتنة القبر، فهي يفتنون، وعني يسألون. وذهب ابن القيم إلى عموم المسألة، وقال: ليس في الأحاديث ما ينفي المسألة عمن تقدم من الأمم. وإنما أخبر النبي ﷺ أمته بكيفية امتحانهم في القبور، لا أنه نفى ذلك عن غيرهم. قال: والذي يظهر أن كل نبي مع أمته كذلك، فيعذب كفارهم في قبورهم بعد سؤالهم وإقامة الحجة عليهم، كما يعذبون في الآخرة بعد السؤال وإقامة الحجة».

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

٧١٤٩ - (٧٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَأَبُو بَكْرِ بْنُ نَافِعٍ. قَالُوا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، (يَعْنُونَ ابْنَ مَهْدِيٍّ)، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، قَالَ: نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ.

٧١٥٠ - (٧٥) حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ. حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ. حَدَّثَنَا بُذَيْلٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيبٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. قَالَ: «إِذَا خُرِجَتْ رُوحُ الْمُؤْمِنِ تَلْقَاهَا مَلَكَانِ يَضِمُّانَهَا».

قَالَ حَمَّادٌ: فَذَكَرَ مِنْ طِيبِ رِيحِهَا، وَذَكَرَ الْمِسْكَ.

قَالَ: «وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: رُوحٌ طَيِّبَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى جَسَدِكَ كُنْتَ تَعْمُرُهُ. فَيَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ. ثُمَّ يَقُولُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ».

قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: آية: ٢٧] قال المصنف رحمه الله: والقول الثابت هو كلمة التوحيد، لأنها راسخة في قلب المؤمن. وقال عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن طاووس، عن أبيه: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي الْآخِرَةِ﴾، قال: المسألة في القبر.

قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث مما تفرد المصنف بإخراجه من بين الأئمة الستة.

٧٥ - (٢٨٧٢) - قوله: (فذكر من طيب ريحها، وذكر المسك) قال الطيبي في شرح المشكاة (٣: ٤٣٣): «يحتمل أن يكون فاعل (فذكر) رسول الله ﷺ أو الصحابي. يريد أنه وصف طيب ريحها، وذكر المسك، لكن لم يعلم أن ذلك كان على طريقة التشبيه أو الاستعارة، أو غير ذلك».

قوله: (وعلى جسد كنت تعمريه) بضم الميم، يعني الجسد الذي كنت مقيمة فيه، فصار معموراً بك. وهو استعارة، شبه تدبيرها البدن بالعمل الصالح بعمارة من يتولى مدينة ويعمرها بالعدل والإحسان.

قوله: (انطلقوا به إلى آخر الأجل) قال علي القاري في المرقاة (٤: ٢١): «والمراد بالأجل هنا مدة البرزخ» وقال الطيبي: «يعلم من هذا أن لكل أحد أجلين، أولاً وآخرًا. ويشهد له قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّوْا أَجَلًا وَلَبِئْسَ عُتْدَةٌ﴾ [الأنعام: آية: ١٢]، أي: أجل الموت، وأجل القيامة» والحاصل أن الملائكة يؤمرون بإمساكها إلى القيامة حتى تدخل الجنة».

قَالَ: «وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ - قَالَ خَمَادٌ - وَذَكَرَ مِنْ نَفْسِهَا، وَذَكَرَ لَمَنَّا - وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: رُوحٌ خَبِيْثَةٌ جَاءَتْ مِنْ قَبْلِ الْأَرْضِ. قَالَ فَيَقَالُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَيْطَةً، كَانَتْ عَلَيْهِ، عَلَى أَنْفِهِ، هَكَذَا.

٧١٥١ - (٧٦) حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ عُمَرَ بْنِ سَلِيْطٍ الْهَذَلِيُّ. حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنْ ثَابِتٍ. قَالَ: قَالَ أَنَسٌ: كُنْتُ مَعَ عُمَرَ. ح. وَحَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، (وَاللَّفْظُ لَهُ)، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ عُمَرَ بْنِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَنَرَأَيْنَا الْهَلَالَ. وَكُنْتُ رَجُلًا حَدِيدَ الْبَصَرِ. فَرَأَيْتُهُ. وَلَيْسَ أَحَدٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَأَى غَيْرِي. قَالَ فَجَعَلْتُ أَقُولُ لِعُمَرَ: أَمَا تَرَاهُ؟ فَجَعَلَ لَا يَرَاهُ. قَالَ: يَقُولُ عُمَرُ: سَأَرَاهُ وَأَنَا مُسْتَلْقٍ عَلَى فِرَاشِي. ثُمَّ أَنشَأَ يُحَدِّثُنَا عَنْ أَهْلِ بَدْرِ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُرِينَا مَصَارِعَ أَهْلِ بَدْرِ بِالْأَمْسِ. يَقُولُ: «هَذَا مَصْرَعُ فَلَانٍ غَدًا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ» قَالَ فَقَالَ عُمَرُ: قَوْلَ الَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، مَا أَخْطَؤُوا الْحُدُودَ الَّتِي حَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: فَجَعَلُوا فِي بَشَرٍ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ. فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِمْ فَقَالَ: «يَا فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ، يَا فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ، هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي اللَّهُ حَقًّا».

قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تُكَلِّمُ أَجْسَادًا لَا أَرْوَاحَ فِيهَا؟ قَالَ: «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعُ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ. غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيَّ شَيْئًا».

قوله: (رَيْطَةً) الرَيْطَةُ، بفتح الراء: ثوب رقيق، وقيل: هي الملاعة، وكان سبب ردها على الأنف ما ذكر من شئ ريح روح الكافر.

٧١٥٢ - (٢٨٧٣) - قوله: (إِسْحَاقُ بْنُ عُمَرَ بْنِ سَلِيْطٍ) بفتح السين وكسر اللام. هو أبو يعقوب البصري، قال أبو حاتم: صدوق، وقال الأجرى عن أبي داود: ليس به بأس. وذكره ابن حبان في الثقات. مات سنة ٢٢٩ و ٢٣٠ هـ كما في التهذيب (١: ٢٤٤).

قوله: (قَالَ أَنَسٌ) هذا الحديث أخرجه النسائي في الجرائز، باب أرواح المؤمنين (٢٠٧٤).

قوله: (يُرِينَا مَصَارِعَ أَهْلِ بَدْرِ بِالْأَمْسِ) يعني: أن رسول الله ﷺ أراهم قبل غزوة بدر بيوم المواضع التي قُتل فيها رؤوس المشركين في اليوم الآتي.

قوله: (مَا أَخْطَؤُوا الْحُدُودَ الَّتِي حَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) يعني: أنهم قُتلوا في عين تلك المواضع التي أراهم رسول الله ﷺ إياها قبل يوم، وهذا من معجزات النبي الكريم ﷺ.

٧١٥٢ - (٧٧) حَدَّثَنَا هَذَابُ بْنُ خَالِدٍ. حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَرَكَ قَتْلَى بَدْرٍ ثَلَاثًا. ثُمَّ أَنَاهُمْ فَقَامَ عَلَيْهِمْ فَتَنَادَاهُمْ فَقَالَ: يَا أَبَا جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ، يَا أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ، يَا عُتْبَةَ بْنُ رَبِيعَةَ، يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا، فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَسْمَعُوا وَأَنْتَ يُجِيبُوا وَقَدْ جِئْتُمَا؟ قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ. وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَسُجِبُوا. فَأَلْقُوا فِي قَلْبِ بَدْرٍ.

٧٧ - (٢٨٧٤) - قوله: (عن أنس بن مالك) هذا الحديث أخرجه المصنف فقط فيما بين الأئمة الستة. وأخرجه أحمد في مسنده (٣: ٢٨٧).

قوله: (ترك قتلى بدر ثلاثاً) وفي حديث أبي طلحة عند البخاري في المغازي (رقم: ٣٩٧٦): «أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش، ففقدوا في طوي من أطواء بدر حيث مُخِبَتْ. وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال. فلما كان ببدر اليوم الثالث، أمر بإراحته فشُدَّ عليها رحلها، ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا: ما نرى يتطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفة الركني، فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم».

قوله: (يا أُمَيَّةُ بن خلف) استشكل بأن أُمَيَّة بن خلف لم يكن في القلب، لأنه كان ضحماً قانتفخ، فألقوا عليه من الحجارة والتراب ما غيَّه، أخرج ذلك ابن إسحاق من حديث عائشة. لكن يجمع بينهما بأنه كان قريباً من القلب، فتودي فيمن نودي، لكونه كان من جملة رؤسائهم. كذا في فتح الباري (٧: ٣٠٢).

قوله: (كيف يسمعون) قال النووي: «هكذا هو في عامة النسخ المعتمدة: (كيف يسمعون) وأنى يجيبوا) من غير نون، وهي لغة صحيحة وإن كانت قليلة الاستعمال».

قوله: (وقد جيئوا) بفتح الجيم وتشديد الياء، أي: أُنْتُوا، وصاروا جيئاً. يقال: جيئ الميت وجاف، وأجاف، وأروح، وأنش بمعنى. كذا في شرح النووي والأي.

قوله: (ما أنتم بأسمع لما أقول منهم) به استدلال من قال بسماع الموتى، وتأولته عائشة رضي الله عنها بقولها: «ما قال: إنهم ليسمعون ما أقول، إنما قال: إنهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق» أخرجه البخاري في المغازي (رقم: ٣٩٧٩) وقال قتادة: «أحياهم الله تعالى، حتى أسمعهم قوله، توبيخاً وتصغيراً ونقيمة وحسرة وندماً» أخرجه البخاري أيضاً (رقم: ٣٩٧٦) باب قتل أبي جهل من المغازي. وقد سبق الكلام على مسألة سماع الموتى في هذا الباب قريباً.

قوله: (ثم أمر بهم فسُجِبُوا، فألقوا في قلب بدر) القلب: البشر، أو العاذية القديمة منها، ويؤنث، جمعه أقلية وقُلْب وقُلْب، كما في القاموس. وظاهر هذا الحديث أنهم ألقوا في القلب

٧١٥٣ - (٧٨) حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ حَمَّادٍ الْمَغْنَبِيُّ . حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ قَتَادَةَ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، عَنْ أَبِي طَلْحَةَ . ح وَحَدَّثَنِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ . حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ . حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ ، عَنْ قَتَادَةَ . قَالَ : ذَكَرَ لَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، عَنْ أَبِي طَلْحَةَ قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ ، وَظَهَرَ عَلَيْهِمْ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ بِبِضْعَةِ وَعِشْرِينَ رَجُلًا . (وَفِي حَدِيثِ رَوْحٍ ، بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا) مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ . فَأَتَقُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ . وَسَاقَ الْحَدِيثَ ، بِمَعْنَى حَدِيثِ ثَابِتٍ ، عَنْ أَنَسٍ .

(١٨) - باب: إثبات الحساب

٧١٥٤ - (٧٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ . جَمِيعًا عَنْ إِسْمَاعِيلَ . قَالَ أَبُو بَكْرٍ : حَدَّثَنَا ابْنُ عَلِيٍّ ، عَنْ أَيُّوبَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ .

بعد مخاطبة رسول الله ﷺ إياهم، ويعارضه ما مر من حديث أبي طلحة، حيث ذكر قذفهم في طوي قبل المخاطبة، وكذلك أخرج البخاري عن ابن عمر: «وقف النبي ﷺ على قلب بدر، فقال: هل وجدتم إلحاً وظاهره أنهم كانوا في القلب حين خاطبهم النبي ﷺ، ولم أر أحداً من الشراح تعرض لهذا التعارض، ويمكن أن يجمع بينهما بأن بعضهم كان مقدوماً في القلب قبل المخاطبة، وبعضهم كان خارجها، فألقي فيها بعد المخاطبة، كما قدما عن الحافظ في أمية بن خلف، والله أعلم.

٧٨ - (٢٨٧٥) - قوله: (عن أبي طلحة) هذا الحديث أخرجه البخاري في الجهاد، باب من غلب العدو فأقام على عرستهم ثلاثاً (٣٠٦٥)، وفي المغازي، باب قتل أبي جهل (٣٩٧٦). قوله: (بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش) فالمذكور في حديث أنس السابق أربعة منهم، وسمى الحافظ الباقيين في الفتح (٧: ٣٠٢) على سبيل الاحتمال، فذكر فيهم عبيدة، والعاص بن عبد أبي أحيحة، وسعيد بن العاص بن أمية، وحظلة بن أبي سفيان، والنوید بن عتبة، والحارث بن عامر، وطعيمة بن عدي، ونوفل بن خويلد، وزمعة بن الأسود، وأخوه عقيل، والعاصي بن هشام أخو أبي جهل، وأبو قيس بن الوليد أخو خالد، وتبیه ومنیه ابنا الحجاج السهمي، وعلي بن أمية بن خلف، وعمرو بن عثمان عم طلحة أحد العشرة، ومسعود بن أبي أمية أخو أم سلمة، وقيس بن الفاكه بن المغيرة، والأسود بن عبد الأسود أخو أبي سلمة، وأبو العاص بن قيس السهمي، وأميمة بن رفاعة. فهؤلاء العشرون تنضم إلى الأربعة فتكمل العدة. قوله: (في طوي) يعني: بئراً مطوية.

(١٨) - باب: إثبات الحساب

٧٩ - (٢٨٧٦) - قوله: (عن عائشة) هذا الحديث أخرجه البخاري في العلم، باب من

قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ حُوسِبَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَذَّبَ» فَقُلْتُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (الانشقاق: ٨)؟ فَقَالَ: «لَيْسَ ذَلِكَ الْحِسَابُ، إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرْضُ. مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَّبَ».

٧١٥٥ - (١٠٠) حَدَّثَنِي أَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ وَأَبُو كَامِلٍ. قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ. حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، نَحْوَهُ.

٧١٥٦ - (٨٠) وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ بَشِيرٍ بْنُ الْحَكَمِ الْعَبْدِيُّ. حَدَّثَنَا يَحْيَى، (بِعْنِي ابْنُ سَعِيدِ الْقَطَّانِ)، حَدَّثَنَا أَبُو يُونُسَ الْقُشَيْرِيُّ. حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنِ الْقَاسِمِ،

سَمِعَ شَيْئًا فَرَجَعُ حَتَّى يَعْرِفَهُ (١٠٣)، وَفِي تَفْسِيرِ سُورَةِ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ، بَابُ ﴿سَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (٤٩٣٩)، وَفِي الرِّقَاقِ، بَابُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عَذَّبَ (٦٥٣٦ وَ ٦٥٣٧)، وَأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي الْجَنَائِزِ، بَابُ عِبَادَةِ النِّسَاءِ (٣٠٩٣)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي صِفَةِ الْقِيَامَةِ، بَابُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عَذَّبَ (٢٤٢٦)، وَفِي تَفْسِيرِ سُورَةِ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (٣٣٣٧).

قَوْلُهُ: (فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا) وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ عَائِشَةَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي بَعْضِ صَلَاتِهِ: اَللّٰهُمَّ حَاسِبِنِي حِسَابًا يَسِيرًا، فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْحِسَابُ الْبَسِيرُ؟ قَالَ: أَنْ يَنْظُرَ فِي كِتَابِهِ فَيَتَجَاوَزَ لَهُ عَنْهُ، إِنْ مِنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ بِأَعَانَةِ يَوْمِئِذٍ هُنَا» ذَكَرَهُ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (١١: ٤٠١).

قَوْلُهُ: (إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرْضُ) قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: «مَعْنَى: قَوْلُهُ إِنْ الْحِسَابُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْآيَةِ إِنَّمَا هُوَ أَنْ تَعْرِضَ أَعْمَالُ الْمُؤْمِنِ عَلَيْهِ حَتَّى يَعْرِفَ مِنْهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي سِتْرِهَا عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَفِي عَقْوِهِ عَنْهَا فِي الْآخِرَةِ، كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ فِي النُّجُوى، وَحَدِيثِ النُّجُوى الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ الْقُرْطُبِيُّ مَا مَرَّ فِي كِتَابِ التَّوْبَةِ، آخِرُ بَابِ قَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاتِلِ، وَلَفْظُهُ: «قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عُمَرَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي النُّجُوى؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: يُدْنِي الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عِزَّ وَجَلَّ، حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، فَيَقْرُرَهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: أَيْ: رَبِّ! أَعْرِفُ. قَالَ: فَإِنِّي سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ».

قَوْلُهُ: (مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُذَّبَ) قَالَ النَّوَوِيُّ: «مَعْنَى (نُوقِشَ): اسْتَقْصِي عَلَيْهِ. قَالَ الْقَاضِي: وَفَوَئِذٍ (عَذَّبَ) لَهُ مَعْنِيَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ نَفْسَ الْمُنَاقِشَةِ وَعَرْضَ الذُّنُوبِ وَالتَّوْقِيفَ عَلَيْهَا هُوَ التَّعْذِيبُ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّوْبِيخِ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ مَقْصُودُ إِيَّيْهِ الْعَذَابُ بِالنَّارِ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ فِي الرِّوَايَةِ الْآخَرَى: (هَلْكَ) مَكَانَ (عَذَّبَ). هَذَا كَلَامُ الْقَاضِي. وَهَذَا الثَّانِي هُوَ الصَّحِيحُ. وَمَعْنَاهُ أَنَّ التَّنْقِصَ غَالِبَ فِي الْعِبَادِ، فَمَنْ اسْتَقْصَى عَلَيْهِ وَلَمْ يَسَامَحْ هُنَاكَ وَدَخَلَ النَّارَ، وَلَكِنْ اللَّهُ يَغْفِرُ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ الشُّرْكِ لِمَنْ يَشَاءُ».

٨٠ - (٥٠٠) - قَوْلُهُ: (حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنِ الْقَاسِمِ) هَذَا مِمَّا اسْتَدْرَكَهُ ابْنُ دَرَقَطْنِي عَلَى

عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسِبُ إِلَّا هَلَكَ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ: حِسَابًا يَسِيرًا؟ قَالَ: «أَذَاكَ الْمَرَضُ. وَلَكِنْ مَنْ تُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ».

٧١٥٧ - (١٠٠) وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ بَشْرٍ. حَدَّثَنِي يَحْيَى (وَهُوَ الْقَطَّانُ) عَنْ عُثْمَانَ بْنِ الْأَسْوَدِ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ» ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي بُوَيْسٍ.

(١٩) - بَاب: الْأَمْرُ بِحَسَنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى، عِنْدَ الْمَوْتِ

٧١٥٨ - (٨١) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى. أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ. قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، قَبْلَ وَقَائِهِ بِثَلَاثٍ، يَقُولُ: «لَا يَمُوتُنَّ إِلَّا أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ».

٧١٥٩ - (١٠٠) وَحَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا جَرِيرٌ. ح وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ،

مسلم، لأن هذه الرواية دلت على أن ابن أبي مليكة لم يسمع هذا الحديث عن عائشة بلا واسطة، وإنما سمعها بواسطة القاسم، لكن أخرجه المصنف فيما مضى من طريق أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة، ولم يذكر القاسم. وتعقبه النووي وغيره بأنه محمول على أنه سمع هذا الحديث مرة عن عائشة بلا واسطة، وأخرى بواسطة القاسم، فرواه بكلا الوجهين. قلت: ويؤيده أن البخاري أخرجه في الرقاق من طريق عثمان بن الأسود قال: سمعت ابن أبي مليكة قال: سمعت عائشة رضي الله عنها الخ فصرح فيه بأن ابن أبي مليكة سمعه من عائشة، وسقط احتمال إسقاط رجل من السند.

(١٩) - بَاب: الْأَمْرُ بِحَسَنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى، عِنْدَ الْمَوْتِ

٨١ - (٢٨٧٧) - قوله: (عن جابر) هذا الحديث أخرجه أيضاً أبو داود في الجنائز، باب ما يستحب من حسن الظن بالله عند الموت (٣١١٣).

قوله: (وهو بحسن بالله الظن) قال النووي: قال العلماء: معنى حسن الظن بالله تعالى أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه. قالوا: وفي حالة الصحة يكون خافئاً راجياً، ويكونان سواء، وقيل: يكون الخوف أرجح، فإذا دنت أمارات الموت غلب الرجاء أو محضه، لأن مقصود الخوف الانكشاف عن المعاصي والقبائح، والحرص على الإكثار من الطاعات والأعمال، وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذا الحال، فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله تعالى والإذعان له، ويؤيده الحديث المذكور بعده: «يبحث كل عبد على ما مات عليه» ولهذا عقبه مسلم للحديث الأول.

حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ. ح وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ. أَخْبَرَنَا عَيْسَى بْنُ يُونُسَ وَأَبُو مُعَاوِيَةَ. كُلُّهُمَا عَنِ الْأَعْمَشِ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، مِثْلَهُ.

٧١٦٠ - (٨٢) وَحَدَّثَنِي أَبُو ذَاوُدَ، سُلَيْمَانُ بْنُ مَعْبُدٍ. حَدَّثَنَا أَبُو الثَّعْمَانِ، عَارِمٌ. حَدَّثَنَا مَهْدِيُّ بْنُ مَيْمُونٍ. حَدَّثَنَا وَاصِلٌ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، يَقُولُ: «لَا يَمُوتُنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُخَيِّسُ الْقُرْآنَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

٧١٦١ - (٨٣) وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ. وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. قَالَا: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ. قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ».

٧١٦٢ - (١٠٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ نَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، مِثْلَهُ. وَقَالَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. وَلَمْ يَقُلْ: سَمِعْتُ.

٧١٦٣ - (٨٤) وَحَدَّثَنِي حَزْمَلَةُ بْنُ بَحْيَى الثَّجِيبِيُّ. أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ. أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ. أَخْبَرَنِي حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ؛ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ عَذَابًا، أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ، ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ».

٨٣ - (٢٨٧٨) - قوله: (عن أبي سفيان عن جابر) هذا الحديث أخرجه المصنف فقط فيما بين الأئمة الستة، وأخرجه أحمد في مسنده (٣: ٣٣١ و ٣٦٦).

قوله: (يبعث كل عبد على ما مات عليه) أي: يُبعث على الحالة التي مات عليها. قال القاضي عياض رحمه الله: (ولله درّ مسلم في ذكر هذا الحديث عقب الذي قبله، ويدل على سعة معرفته، لأنه أورده كالتفسير له، ثم جاء بعده بالآخر لقوله: «بعثوا على أعمالهم»، ليرى أن ذلك الحديث الذي قبله وإن كان مفسراً لما قبله، فليس مقصوداً عليه، وإنما هو عام فيه وفي غيره، بدليل هذا الآخر. ثم وصل به ابتداء أحاديث الفتن، وقدم فيها حديث الجيش الذي يخسف بهم، ثم قال: «يبعثهم الله على نياتهم»، كذا في شرح الأبي.

٨٤ - (٢٨٧٩) - قوله: (أن عبد الله بن عمر قال) هذا الحديث تفرد بإخراجه المصنف أيضاً من بين الأئمة الستة، وأخرجه أحمد في مسنده (٢: ٤٠).

قوله: (أصاب العذاب من كان فيهم) المراد منه العذاب الدنيوي، فإنه يعم المطيع والعاصي، وهو مفاد قوله تعالى: «وَأَتَقُوا فِتْنَةَ لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً» فالعذاب

يصيب المطيع أيضاً، إما لكونه لم يأمر بالمعروف وبنه عن المنكر على ما ينبغي، وإما لتعجيل ثوابه في الآخرة. وقوله عليه السلام: «ثم بعثوا على أعمالهم معناه: أن العذاب الدنيوي وإن عمّ المطيع والعاصي، ولكن المجازاة في الآخرة إنما تكون حسب الأعمال، فيستحق العاصي العقوبة والمطيع الثواب. والله سبحانه وتعالى أعلم.

قد تم شرح كتاب صفة الجنة والنار قبيل العصر من اليوم السابع من شهر ربيع الآخر سنة ١٤١٤ من الهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام. وأسأل الله سبحانه أن يوفقني لإكمال باقي الشرح على ما يحبه ويرضاه، إنه تعالى على كل شيء قدير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٢ - كتاب: الفتن وأشراط الساعة

(١) - باب: اقتراب الفتن، وفتح ردم ياجوج وماجوج

٧١٦٤ - (١) حَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ. حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ. عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ زَيْنَبِ بِنْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ، عَنْ زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ

كتاب الفتن وأشراط الساعة

الفتن جمع فتنة، وأصل الفتن (يفتح الفاء وسكون التاء) إدخال الذهب في النار لتظهر جودته من رداءته، ويستعمل في إدخال الإنسان النار، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْمِلُ أَسْفَارَكُمْ عَلَى الْغَنَابَةِ نَقْلًا﴾ [الذاريات، آية: ١٣]، ويطلق على العذاب كقوله تعالى: ﴿أَلَا فِي الْعَذَابِ مَقَرٌ﴾ [التوبة، آية: ٤٩]، وعلى الاختبار، نحو قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ نَارِهِمْ﴾ [طه، آية: ٤٠]. وجعلت الفتنة كالبلاء في أنهما يستعملان فيما يُدفع إليه الإنسان من شدة ورعاء، وهما في الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالاً، وفيهما استعمل هذا اللفظ في قوله تعالى: ﴿وَيُلَوِّكُم بِالْأَثَرِ وَالْغَيْرِ فَتَنَةً﴾. وقال الراغب في المفردات (ص: ٣٧٩) بعد نقل هذه المعاني: «والفتنة من الأفعال التي تكون من الله تعالى ومن العبد، كالبليّة والمصيبة والقتل والعذاب، وغير ذلك من الأفعال الكريمة، ومتى كان من الله يكون على وجه الحكمة، ومتى كان من الإنسان بغير أمر الله يكون بضد ذلك. ولهذا يذم الله الإنسان بأنواع الفتنة في كل مكان، نحو قوله: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْثَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة، آية: ١٩١].

والمقصود من (كتاب الفتن) المدرج في كثير من كتب الحديث ذكر أحاديث رسول الله ﷺ التي أخبر فيها عن الفتن الكائنة في المستقبل إلى يوم القيامة، وحذر المسلمين عنها، وبين لهم وجه العمل فيه، وطريق التخلص منها.

وأما (الأشراط) فهو جمع شرط (يفتح الراء) بمعنى: العلامة كما في القاموس، والشرط (يسكون الراء) ما يتوقف عليه الشيء، والمراد من (أشراط الساعة) علاماتها التي تدل على قرب مجيئها.

(١) - باب: اقتراب الفتن، وفتح ردم ياجوج وماجوج

١ - (٢٨٨٠) - قوله: (عن زينب بنت جحش) هذا الحديث أخرجه البخاري في الأنبياء،

اسْتَقْبَطَ مِنْ نَوْمِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَبَلَّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ اقْتَرَبَ. فَتُفْتَحُ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذِهِ».

باب قصة يأجوج ومأجوج (٣٣٤٦)، وباب علامة النبوة في الإسلام (٣٥٩٨)، وفي الفتن، باب قول النبي ﷺ: «ويل للعرب من شرِّ قد اقترَبَ» (٧٠٥٩)، وباب يأجوج ومأجوج (٧١٣٥)، وأخرجه الترمذي في الفتن، باب ما جاء في خروج يأجوج (٢١٨٧)، وابن منجه في الفتن، باب ما يكون من الفتن (٤٠٠١).

قوله: (ويل للعرب من شرِّ قد اقترَبَ) هذا الكلام ظاهر في أن النبي الكريم ﷺ أخبر به عن شرِّ وفنة اقترَبَ إصابتها للعرب، ولم يبين ﷺ أكثر من ذلك، ولا عَيْنَ تلك الفنة، وقد اختلف الشراح في تعيينها، فمنهم من ذهب إلى أنه إشارة إلى قتل عثمان رضي الله عنه، حيث تابعت بعد ذلك الفتن، ومنهم من قال: إنه إشارة إلى ما وقع من الخراب بأيدي التتر، والله سبحانه أعلم.

ثم إن النبي ﷺ خصَّ العرب بذلك لأنهم كانوا حينئذٍ معظم من أسلم.

قوله: (فتُفْتَحُ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ) الرَّدْم: سدُّ الثُّلَمَةِ بالحجر، الرَّدْم: الرَّدْم، كما في مفردات الراغب. والمراد منه هنا: السدُّ الذي بناه ذو القرنين سداً لطريق يأجوج ومأجوج إلى ما دون الجبلين. ويأجوج ومأجوج قبيلتان من ولد يافث بن نوح عليه السلام، والصحيح أنهم أمة من بني آدم، وما روي خلاف هذا، فإنه لا أصل له في الروايات الصحيحة، وإنما هو منقول عن بعض أهل الكتاب.

ويحتمل أن يكون قوله عليه السلام: «فتُفْتَحُ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ» محمولاً على الحقيقة، على أن سدَّ ذي القرنين كان سائماً إلى ذلك اليوم، فحدثت فيه ثلثة يومئذٍ. ويحتمل أن يكون محمولاً على المجاز، فيكون كناية عن ظهور أمارات الفتن، ويحتمل أيضاً أن يكون ﷺ رأى في المنام ذلك السدَّ بعينه، ورأى أنه قد انكسر بمقدار حلقة، وكان تعبير ذلك الرؤيا أن العرب ستصيبهم فنة.

ويشكل على الاحتمال الأول ما رواه الترمذي في تفسير سورة الكهف (رقم: ٣١٥٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ في السدِّ، قال: «يحفرونه كل يوم، حتى إذا كادوا يخرقونه قال الذي عليهم: ارجعوا فستخرقونه غداً، فيعيده الله كما شئذ ما كان، حتى إذا بلغ مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستخرقونه غداً إن شاء الله، واستثنى. قال: فيرجعون فيجدونه كهية حين تركوه فيخرقونه، فيخرجون على الناس الحديث. وهذا يدل على أن يأجوج ومأجوج يحفرونه كل يوم، ولا يزالون يفعلون ذلك إلى حين خروجهم بقرب من القيامة.

ويمكن الجواب عنه بأن هذه الرواية، وإن حسنها الترمذي، ولكنه قال: «حسن غريب»، إنما نعرفه من هذا الوجه مثل هذا وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٣: ١٠٥): «إسناده جيد قوي»، ولكن مثته في رفعه نكارة، لأن ظاهر الآية يقتضي أنهم لم يتمكنوا من ارتقائه ولا من نفيه لإحكام بنائه، وصلابته، وشدة. ولكن هذا قد روي عن كعب الأحبار أنهم قبل خروجهم يأتونه فيلحسونه، حتى لا يبقى منه إلا القليل، فيقولون: غداً نفتحه، فيأتون من الغد وقد عاد كما كان، فيلحسونه ويقولون: غداً نفتحه، ويُلهمون أن يقولوا: إن شاء الله، فيصبحون وهو كما فارقه، فيفتحونه وهذا متجه، ولعل أبا هريرة تلقاه من كعب، فإنه كان كثيراً ما كان يجالسه ويحدثه، فحدث به أبو هريرة، فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع، فرفعه».

وقال الحافظ ابن كثير أيضاً في البداية والنهاية (٢: ١١٢): «فإن لم يكن رفع هذا الحديث محفوظاً، وإنما هو مأخوذ عن كعب الأحبار، كما قاله بعضهم، فقد استرحنا من المؤنة، وإن كان محفوظاً، فيكون محمولاً على أن صنيعهم هذا يكون في آخر الزمان عند اقتراب خروجهم، كما هو المروي عن كعب الأحبار، أو يكون المراد بقوله: ﴿وَمَا اسْتَطَعُوا لَمْ تَنْبَأْ﴾ [الكهف، آية: ٩٧، أي: نافذ منه، فلا ينفي أن يلحسوه ولا ينفذوه والله أعلم. وعلى هذا، فيمكن الجمع بين هذا وبين ما في الصحيحين عن أبي هريرة: فُتِحَ اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وعقد تسعين، أي: فتح فتحة نافذة فيه، والله أعلم».

قال العبد الضعيف عفا الله عنه: هذا كله على تقدير أن يفسر قول ذي القرنين: ﴿فَإِنَّا جَاءَ وَعَدَ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ [الكهف، آية: ٩٨] بأن السد الذي بناه لا يندك إلى قرب يوم القيامة، ويحمل قوله: ﴿وَعَدَ رَبِّي﴾ على يوم القيامة. لكن ذهب جماعة من العلماء إلى أن ذلك ليس مراد الآية وإنما المراد من قوله: ﴿وَعَدَ رَبِّي﴾ هو وقته الموعود، لا يوم القيامة.

وقد أطلال شيخ مشايخنا العلامة محمد أنور شاه الكشميري رحمه الله تعالى في تحقيق ذي القرنين ويأجوج ومأجوج وفي تحقيق السد الذي بناه ذو القرنين، وانتهى إلى أن يأجوج ومأجوج مجموعة من القبائل الوحشية لم تزل تخرج على عالم الحضارة في مراحل مختلفة من التاريخ، وما فعله ذو القرنين من بناء السد عليهم كان لمنع طائفة منهم، ولم يكن من المفروض أن يبقى ذلك السد إلى يوم القيامة، وإنما المراد أنه يمنع جماعة منهم من الخروج إلى وقت معين، ثم يخرجون بعد ذلك مرةً وأخرى، إلى أن يكون خروجهم الأخير بقرب الساعة في زمن عيسى عليه السلام. فيقول الشيخ رحمه الله تعالى في كتابه (عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام) (ص: ٣٠١) ما نصه:

«فلهم (أي: يأجوج ومأجوج) خرجات مرة بعد مرة، وليس القرآن العزيز نصاً في أن السد يمنعهم من كل جهة، ولا أن عدم خروجهم في الأزمن الآتية لعدم الاندكاك فقط، فإن ذلك إذ

ذاك، أي: عند بنائه ودهراً بعده. وأما بعد ذلك، فلهم خرجات، ففيه: ﴿حَقَّقَ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ [الأنبياء: ٩٦] الآية. فلم يقل: إذا فُتِحَ الرِّدْمُ، والمراد تلك النوبة من المخرجات. وينبغي أن يُعلم أن قول ذي القرنين: ﴿هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دُخَانًا وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨] قول من جانبه، لا قرينة على جعله منه من أشرط الساعة، ولعله لا علم له بذلك، وإنما أراد وعد اندكاه، فإذا قولُه تعالى بعد ذلك: ﴿وَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجٌ فِي بَعْثٍ﴾ للاستمرار التجديدي. نعم قوله: ﴿حَقَّقَ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦] هو من أشرط الساعة، لكن ليس فيه للردم ذكر، فاعلم الفرق.

ثم قال رحمه الله بعد صفحتين: «واعلم أن ما ذكرته ليس تأويلاً في القرآن، بل زيادة شيء من التاريخ والتجربة بدون إخراج لفظه من موضوعه، فلا يتسع الخرق، فإن التاريخ لما ذكر أن بعض الشعوب الخارجة من السد من نسل يأجوج ومأجوج أيضاً، قلنا: إن ثبت، فالقرآن لم يذكر السد على كلهم، ولا من كل جهة، فليكن الخارجون المذكورون من يأجوج ومأجوج، ولكن ليسوا بمرادين في القرآن. وإن ثبت أنه اندك، أو خرجوا من جانب آخر، فليكن موج بعضهم في بعض متجداً مستمراً حتى ينزل عيسى عليه السلام فيخرجون أيضاً من بلادهم من السد المنتدك، ويفسدون في الأرض حتى يهلكهم الله تعالى بدعائه عليه السلام».

وكذلك قال الشيخ رحمه الله تعالى في فيض الباري (٤: ٢٣): «ثم إن سد ذي القرنين قد اندك اليوم، وليس في القرآن وعد ببقائه إلى يوم خروج يأجوج ومأجوج (أي: في الأخير) ولا خبر بكونه مانعاً من خروجهم، ولكنه من تبادر الأوهام فقط، فإنه قال: ﴿وَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجٌ فِي بَعْثٍ﴾ [الكهف: ٩٩] و ﴿حَقَّقَ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ [الأنبياء: ٩٦] إلخ فلهم خروج مرة بعد مرة، وقد خرجوا قبل ذلك أيضاً، وأفسدوا في الأرض بما يستعاض منه، نعم يكون لهم الخروج الموعود في آخر الزمان وذلك أشدها، وليس في القرآن أن هذا الخروج يكون عقيب الاندكاك متصلاً، بل فيه وعد باندكاه فقط، فقد اندك كما وعد. أما أن خروجهم موعود بعد اندكاه بدون فصل، فلا حرف فيه. ألا ترى أن النبي ﷺ عدَّ من أشرط الساعة قبضه من وجه الأرض، وفتح بيت المقدس، وفتح القسطنطينية فهل تراها متصلة؟ أو بينها فاصلة متفاصلة؟ فكذلك في النص. نعم فيه أن خروجهم لا يكون إلا بعد الاندكاك أما إنه لا يندك إلا عند الخروج، فليس فيه ذلك».

وقد استفاض مولانا الشيخ حفظ الرحمن تلميذ الشيخ الكشميري رحمهما الله تعالى في كتابه القيم (قصص القرآن) (٣: ١٩٠ إلى ٢٤٤) (باللغة الأردنية) في تحقيق الموضوع وتشبيد ما ذكره الشيخ بأدلة من التاريخ وبحث علمي نفيس لا يكاد يوجد مثله في كتاب آخر، وفيه حلّ لكثير من الإشكالات التي تثار حول قصة يأجوج ومأجوج. وحاصل ما ذكره في تفسير حديث

وَعَقَدَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ عَشْرَةَ.

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَهْلِكُ وَفِينَا النَّصَالِحُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ.

٧١٦٥ - (١٠٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَسَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو الْأَشْعَثِيُّ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ. قَالُوا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَزَادُوا فِي

الباب أنه إن كان المراد من فتح الرِّدَم المذكور فيه استعارة لابتداء الفتن. فقد كُفينا المؤونة. وإن كان المراد منه حدوث الثلثة في السدِّ حقيقة، فلا مانع منه أيضاً، لأنَّ السدَّ لم يكن بقاءه مفروضاً إلى يوم القيامة كما ذكرناه من قبل، فيجوز أن يكون ذلك السدُّ قد بدأ اندكاه حينئذ، وكان ذلك علامة لظهور الفتن، أو لخروج طوائف قوية من يأجوج ومأجوج، وإفسادهم في الأرض، ويحتمل أن يكون مصداقه ظهور النثر في القرن السادس، ولكن لم يكن هذا الخروج خروجهم الأخير الذي ذكره الله تعالى في سورة الأنبياء بقوله جلَّ وعلا: ﴿حَتَّى إِذَا فُشِّتِ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦] وإنما سيقع ذلك بقرب من القيامة في زمن عيسى عليه السلام كما نطقت به الأحاديث الصحيحة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

قوله: (وعقد سفيان بيده عشرة) سيأتي تفسيره في رواية بونس، ولفظه: «وخلق بإصبعه الإبهام، والتي تليها» وكان أهل العرب يعدُّون الأشياء على أصابعهم بهيات مختلفة، كانت لكل عدد هيئة مخصوصة، فكانت هيئة عدد العشرة أن يخلق الإنسان بالإبهام والسبابة، فالمراد بعقد العشرة هذه الهيئة كما فسرها بونس في روايته. ولكن وقع في حديث أبي هريرة الآتي: «وعقد وهيب بيده تسعين» وإشارة التسعين أضيق من إشارة العشرة، فإما أن يكون رسول الله ﷺ عقد أولاً تسعين، ثم عقد العشرة، أو يكون مراد الرواة التقريب بالتمثيل، لا حقيقة التحديد كذا في شرح النووي، وسيأتي تحقيقه إن شاء الله.

قوله: (أتهلك وينا النصالحون؟) بفتح النون وكسر اللام على البناء للمعروف. وكان زينب رضي الله عنها فهمت من فتح القدر المذكور من الرِّدَم أن الأمر إن تصادى على ذلك اتسع الخرق بحيث يخرجون، فكان عندها علم أن في خروجهم على الناس إهلاكاً عاماً نهم فسألت ذلك.

قوله: (نعم، إذا كثر الخبث) بفتح الخاء والباء. وفسروه بالزنا وبأولاد الزنا وبانفسوق والفجور. وهو أولى لأنه قابله بالصلاح. قال ابن العربي: «فيه البيان بأن الخير يهلك بهلاك الشرير إذا لم يغير عليه خبثه، وكذلك إذا غيّر عليه، لكن حيث لا يُجدي ذلك ويصّر الشرير على عمله السيئ». ويضمو ذلك ويكثر حتى يعم الفساد، فيهلك حينئذ القليل والكثير، ثم يحشر كل أحد على نيته كذا في فتح الباري (١٣: ١٠٩).

قلت: وهو معنى قوله عز وجل: ﴿وَأَسْفُوْا نَسْنَةً لَا تُمْسِكُونَ بِالْأَيْدِي ظُلُمَاتُ مِنْكُمْ حَاسَّةٌ﴾ [الأنفال،

الإِسْنَادُ عَنْ سُفْيَانَ، فَقَالُوا: عَنْ زَيْنَبِ بِنْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، عَنْ حَبِيبَةَ، عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ، عَنْ زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ.

٧١٦٦ - (٢) حَدَّثَنِي حَزْمَةُ بْنُ يَحْيَى. أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ. أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ. أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ؛ أَنَّ زَيْنَبَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ أَخْبَرَتْهُ؛ أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ أَخْبَرَتْهَا؛ أَنَّ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا قَرَعًا، مُحَمَّرًا وَجْهَهُ، يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». وَنَلَ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ. فَفُتِحَ النَّبُؤُومُ مِنْ رَدَمٍ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ بِمِثْلِ هَذِهِ، وَحُلِقَ بِإِضْبَاعِهِ الْإِبْهَامُ، وَالتَّبِي تَلِيهَا.

قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ اللَّحَبُ».

٧١٦٧ - (١٠٠) وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبٍ بْنُ اللَّيْثِ. حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ. ح وَحَدَّثَنَا عُمَرُو النَّاقِدُ. حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ

(١٠٠) - قوله: (عن حبيبة، عن أم حبيبة) هكذا رواه جمع من الحفاظ بزيادة حبيبة بين زينب بنت أم سلمة وبين أم حبيبة، وحبيبة هذه هي بنت عبيد الله بن جحش زوج أم حبيبة السابق الذي كان قد تنصر في الحبشة. فهي ربيعة النبي ﷺ، فاجتمعت في هذا الإسناد لطائف: الأول أن فيه أربعة من النساء الصحابيات تروي إحداهن عن الأخرى، والثاني: أن زينب بنت أم سلمة وحبيبة بنت عبيد الله كلاهما ربيبتان للنبي ﷺ، وأم حبيبة وزينب بنت جحش كلاهما زوجتان له ﷺ، والثالث: أن حبيبة تروي هذا الحديث عن أمها عن عمتها، لأن زينب بنت جحش أخت لأبيها عبيد الله بن جحش. وقد جمع الحفاظ عبد الغني بن سعيد الأزدي جزءاً في الأحاديث المسلسلة بأربعة من الصحابة، وجملة ما فيه أربعة أحاديث، ويلفها الحفاظ عبد القادر الرهاوي والحافظ يوسف بن خليل إلى تسعة أحاديث، وأصحها حديث الباب. كذا في فتح الباري.

ثم إن بعض العلماء زعم أن هذه الرواية التي وقعت بزيادة (حبيبة) في الإسناد تؤذن بانقطاع الطريق السابق الذي ليس فيه ذكر (حبيبة). ولكن الصحيح أن زينب بنت أبي سلمة سمعت هذا الحديث مرة عن أم حبيبة بلا واسطة، وأخرى بواسطة حبيبة، والدليل على ذلك ما سيأتي عند المصنف في طريق يونس، عن الزهري قال: «أخبرني عروة بن الزبير أن زينب بنت أبي سلمة أخبرته أن أم حبيبة بنت أبي سفیان أخبرتها» وكذلك ما أخرجه البخاري في باب علامات النبوة (رقم: ٣٥٩٨) من طريق شعيب عن الزهري قال: «حدثني عروة بن الزبير أن زينب بنت أبي سلمة حدثته أن أم حبيبة بنت أبي سفیان حدثتها إلخ» وفيه تصريح بأن أم حبيبة حدثت زينب بنت أبي سلمة بلا واسطة، فكلتا الطريقين صحيح.

سَعْدٍ. حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ. كِلَاهُمَا عَنِ ابْنِ شَهَابٍ. بِمِثْلِ حَدِيثِ يُونُسَ، عَنِ الرَّهْمِيِّ بِإِسْنَادِهِ.

٧١٦٨ - (٣) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ. حَدَّثَنَا وَهَبٌ. حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «فَتَحَ النَّيُّومُ مِنْ رَذَمٍ بِأَجُوجَ وَمَاجُوجَ بِمِثْلِ هَذِهِ» وَعَقَدَ وَهَبٌ بِيَدِهِ تِسْعِينَ.

(٢) - باب: الخسف بالجيش الذي يؤم البيت

٧١٦٩ - (٤) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ. وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ - وَاللَّفْظُ لِقُتَيْبَةَ - (قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا. وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا) جَرِيرٌ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ رُفَيْعٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَيْبِطِيِّ. قَالَ: دَخَلَ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَفْوَانَ، وَأَنَا مَعَهُمَا، عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ. فَسَأَلَاهَا عَنِ الْجَيْشِ الَّذِي يُخَسَفُ بِهِ. وَكَانَ

٣ - (٢٨٨١) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج ٣٣٤٧، وفي الفتن، باب يأجوج ومأجوج (٧١٣٦).

قوله: (وعقد وهب بيده تسعين) وفي رواية للبخاري في الفتن في حديث زينب رضي الله عنها: «وعقد سفيان تسعين أو مائة» فاختلقت الروايات في كونه عقد عشرة، أو مائة، لأن صفاتها عند أهل المعرفة بعقد الحساب مختلفة، وإن اتفقت في أنها تشبه الحلقة. فعقد العشرة أن يجعل طرف السبابة اليمنى في باطن طَيِّ عقدة الإبهام العليا، وعقد التسعين أن يجعل طرف السبابة اليمنى في أصلها ويضمها ضمّاً محكماً بحيث تنطوي عقدتها حتى تصير مثل الحية المطوقة. ونقل ابن التين عن الداودي أن صورته أن يجعل السبابة في وسط الإبهام، ورده ابن التين بما تقدم فإنه المعروف. وعقد المائة مثل عقد التسعين، ولكن بالخصر اليسرى. فعلى هذا، فالتسعون والمائة متقاربان، ولذلك وقع فيهما الشك. وأما العشرة، فمغايرة لهما.

وجمع القاضي عياض والنووي بين الروايتين بأن حديث أبي هريرة متقدم، فزاد الفتح بعده القدر المذكور في حديث زينب، لكن تعقبه الحافظ في الفتح (١٣ : ١٠٨) بأنه لو كان الوصف المذكور من أصل الرواية لاتبه، ولكن الاختلاف فيه من الرواة عن سفيان بن عيينة ورواية من روى عنه «تسعين أو مائة» أتقن وأكثر من رواية من روى عشرة. وإذا اتحد مخرج الحديث، ولا سيما في أواخر الإسناد، بعد الحمل على التعدد جداً. فالصحيح ما ذكره النووي في الأخير أنه محمول على التقريب من الرواة دون التحقيق، والله سبحانه أعلم.

(٢) - باب: الخسف بالجيش الذي يؤم البيت

٤ - (٢٨٨٢) - قوله: (على أم سلمة) هذا الحديث أخرجه الترمذي في الفتن، باب بدون

وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: هِيَ بَيْدَاءُ الْمَدِينَةِ.

٧١٧٠ - (٥) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ. حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ. حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ رُقَيْعٍ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَفِي حَدِيثِهِ قَالَ: فَلَقِيتُ أَبَا جَعْفَرٍ، فَقُلْتُ: إِنَّهَا إِنَّمَا قَالَتْ: بَيْدَاءُ مِنَ الْأَرْضِ. فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: كَلًّا. وَاللَّهُ، إِنَّهَا لِبَيْدَاءُ الْمَدِينَةِ.

٧١٧١ - (٦) حَدَّثَنَا عُمَرُو بْنُ النَّاقِدِ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ (وَاللَّفْظُ لِعُمَرُو). قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ. عَنْ أُمِّئَةَ بْنِ صَفْوَانَ. سَمِعَ جَدَّهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ صَفْوَانَ يَقُولُ: أَخْبَرَنِي حَفْصَةُ؛ أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَيُؤْمِنَنَّ هَذَا النَّبِيُّ جَيْشٌ يَفْرُونَهُ. حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءِ مِنَ الْأَرْضِ، يُخَسَفُ بِأَوْسَطِهِمْ وَيُنَادِي أَوْلَهُمْ آخِرُهُمْ. ثُمَّ يُخَسَفُ بِهِمْ. فَلَا يَبْقَى إِلَّا الشَّرِيدُ الَّذِي يُغَيِّرُ عَنْهُمْ».

فَقَالَ رَجُلٌ: أَتَشْهَدُ عَلَيْكَ أَنَّكَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَى حَفْصَةَ. وَأَشْهَدُ عَلَى حَفْصَةَ أَنَّهَا لَمْ تَكْذِبْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ.

٧١٧٢ - (٧) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ بْنُ مَيْمُونٍ. حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ صَالِحٍ. حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ. حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ أَبِي أَنَسَةَ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ الْعَامِرِيِّ، عَنْ يُونُسَ بْنِ مَاهَكٍ. أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَفْوَانَ، عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «سَيُؤَدُّ بِهَذَا النَّبِيِّ - يَغْنِي الْكُفْبَةَ - قَوْمٌ لَيْسَتْ لَهُمْ مَنَعَةٌ وَلَا عُدَّةٌ وَلَا عُدَّةٌ. يُنْعَثُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ».

أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ عَذَابًا، أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ، ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْفَتَنِ (رَقْم: ٢١٠٨).

وقال الحافظ في الفتح (٤: ٣٤١): «وفي هذا الحديث أن الأعمال تعتبر بنية العامل، والتحذير من مصاحبة أهل الظلم ومجالستهم وتكثير سوادهم إلا لمن اضطر إلى ذلك. ويردد النظر في مصاحبة التاجر لأهل الفتنة: هل هي إعانة لهم على ظلمهم، أو هي من ضرورة البشرية، ثم يعتبر عمل كل أحد بنيته، وعلى الثاني يدل ظاهر الحديث أي: حديث عائشة وسياقيته».

٦ - (٢٨٨٣) - قوله: (أخبرني حفصة) هذا الحديث أخرجه النسائي في الحج، باب حرمة الحرم (٢٨٨٠)، وابن ماجه في الفتن، باب جيش البيداء (٤١١٣).

قوله: (فلا يبقى إلا الشريد) أي: الذي يشرّد من موضع الخسف، أي: يفرّ، فيخبر الناس بخبرهم.

٧ - (٥٠٠) - قوله: (ليست لهم منعة) بفتح النون وبكسرهما، وهي العشرة التي تمنع عنهم الأعداء.

حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءٍ مِنَ الْأَرْضِ خُفِيفَ بِهِمْ.

قَالَ يُوسُفُ: وَأَهْلُ الشَّامِ يَوْمِنِذٍ يَسِيرُونَ إِلَى مَكَّةَ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَفْوَانَ: أَمَّا وَاللَّهِ، مَا هُوَ بِهَذَا الْجَيْشِ.

قَالَ زَيْدٌ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ الْعَامِرِيُّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَابِطٍ، عَنْ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ. يَبْغِلُ حَدِيثُ يُوسُفَ بْنِ مَاهِكٍ. غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ فِيهِ الْجَيْشَ الَّذِي ذَكَرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَفْوَانَ.

٧١٧٣ - (٨) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ. حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ الْفَضْلِ الْحُدَاقِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ؛ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: عِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَنَامِهِ. فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صَنَعْتَ شَيْئاً فِي مَنَامِكَ لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُهُ. فَقَالَ: «الْمَجْعَبُ إِنْ نَاساً مِنْ أُمَّتِي يُؤْمُونَ بِالْبَيْتِ بِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ. قَدْ لَجَأَ بِالْبَيْتِ. حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ خُفِيفَ بِهِمْ» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الطَّرِيقَ قَدْ يَجْمَعُ النَّاسَ. قَالَ: «نَعَمْ. فِيهِمُ الْمُسْتَبْصِرُ وَالْمَجْبُورُ وَإِنَّ السَّبِيلَ.....

قوله: (فقال عبد الله بن صفوان) بن أمية بن خلف، أدرك زمان النبي ﷺ، وكان من أشراف قريش، وكان ممن يقوي أمر عبد الله بن الزبير ﷺ، ولما حوَّصر بابن الزبير ﷺ، أذن له ابن الزبير بأن يخرج من حربه ليصون نفسه، وقال: «قد أذنت لك وأفلتت بيعتي» فأبى عبد الله بن صفوان أن يتركه في هذه الحالة، حتى قُتل معه وهو متعلق بأستار الكعبة، حكاه الزبير بن بكار، كما في تهذيب التهذيب (٥: ٢٦٦).

ومن حسن إنصافه ﷺ أنه - مع كونه من أنصار عبد الله بن الزبير - أنكر أن يكون الجيش الذي غزا ابن الزبير مصداقاً لهذا الحديث.

٨ - (٢٨٨٤) - قوله: (أن عائشة قالت) هذا الحديث أخرجه أيضاً البخاري في البيوع، باب ما ذكر في الأسواق (٢١١٨).

قوله: (عِثَ رسول الله ﷺ في منامه) هو بكسر الباء. قيل: معناه: اضطرب بجسمه لهول ما رأى، وقيل: حرك أطرافه كما يأخذ شيئاً أو يدفعه.

قوله: (إن الطريق قد يجمع الناس) يعني: أنه قد يلحق بالجيش رجال من الطريق ليسوا منهم، ولا يريدون ما يريد أصحاب الجيش، فكيف يخسف بهم؟ وفي رواية نافع بن جبير عند البخاري: «قلت: يا رسول الله! كيف يخسف بأولئهم وآخرهم، وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟».

قوله: (فيهم المستبصر والمجبور) إلخ: «أما المستبصر، فهو الذي يمشي معهم على

يَهْلِكُونَ مَهْلَكًا وَاحِدًا. وَيَصْدُرُونَ مَصَادِرَ شَيْءٍ. يَتَعْتَهُمُ اللَّهُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ».

(٣) - باب: نزول الفتن كمواقع القطر

٧١٧٤ - (٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَمَرُو النَّاقِدُ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ - وَاللَّفْظُ لَابْنِ أَبِي شَيْبَةَ - (قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا. وَقَالَ الْآخَرُونَ: حَدَّثَنَا) سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ أَسَامَةَ! أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَشْرَفَ عَلَى أَطْلَمَ مِنْ أَطْلَامِ الْمَدِينَةِ. ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟ إِنِّي لَأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ جَلَالَ بَيْوتِكُمْ، كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ».

٧١٧٥ - (١٠٠) وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ. أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ. أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، نَحْوَهُ.

٧١٧٦ - (١٠) حَدَّثَنِي عَمَرُو النَّاقِدُ وَالْحَسَنُ الْخُلَوَانِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ (قَالَ عَبْدُ: أَخْبَرَنِي. وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا) يَعْقُوبُ - وَهُوَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ - حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ

بصيرة، العامد لما يقصدون. وأما المجبور فهو المكروه الذي لم يخرج معهم عن اختيار، وإنما أكرهوه على ذلك. وأما ابن السبيل، فهو الذي يسلك الطريق معهم وليس منهم.

قوله: (يهلكون مهلكاً واحداً. ويصدرون مصادر شئ) أي: يقع الهلاك على جميعهم في الدنيا، ولكنهم يُعتنون يوم القيامة بمراتب مختلفة، فكلٌّ يجازي حسب نيته.

(٣) - باب: نزول الفتن كمواقع القطر

٩ - (٢٨٨٥) - (عن أسامة) هذا الحديث أخرجه البخاري في فضائل المدينة، باب أطام المدينة (١٨٧٨)، وفي المضائق، باب الغرفة والعلبة المشرفة وغير المشرفة في السطوح وغيرها (٢٤٦٧)، وفي المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣٥٩٧)، وفي الفن، باب قول النبي ﷺ: ويل للعرب من شر قد اقترب (٧٠٦٠).

قوله: (أشرف على أطلم) بضم الهمزة والطاء، وهو القصر أو الحصن، وجمعه أطام، ومعنى (أشرف) أي: علا وارتفع.

قوله: (كمواقع القطر) بفتح القاف وسكون الطاء، بمعنى المطر، وهو في الأصل جمع قطرة. وتشبيه الفتن بالمطر في كونها عامة منتشرة، وقوله: «مواقع الفتن خلال بيوتكم» يشعر بأنه ﷺ أخبر عن الفتن التي نشأت بالمدينة، ولعلَّ فيه إشارة إلى قتل عثمان رضي الله عنه وما تبعه من المشاجرات بين المسلمين في حروب الجمل وصفين ووقعة الحرة وغيرها.

صَالِحٌ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ. حَدَّثَنِي ابْنُ الْمُسَيَّبِ وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ؛ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَتَكُونُ فِتْنٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي. مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفُهُ. وَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلْجَأً فَلْيَعِزَّ بِهِ».

٧١٧٧ - (١١) حَدَّثَنَا عُمَرُو بْنُ النَّاقِدِ وَالْحَسَنُ الْحُلَوَائِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ (قَالَ عَبْدُ:

١٠ - (٢٨٨٦) - قوله: (أن أبا هريرة قال) هذا الحديث أخرجه البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣٦٠١)، وفي الفتن، باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم (٧٠٨١ و ٧٠٨٢).

قوله: (القاعد فيها خير من القائم) وفي رواية آتية: «القائم فيها خير من اليقظان، واليقظان فيها خير من القائم» قال الداودي: «الظاهر أن المراد من يكون مباشراً لها في الأحوال كلها، يعني: أن بعضهم في ذلك أشد من بعض، فأعلاهم في ذلك الساعي فيها بحيث يكون سبباً لإثارتها، ثم من يكون قائماً بأسبابها، وهو الماشي، ثم من يكون مباشراً لها، وهو القائم، ثم من يكون مع النظارة ولا يقاتل، وهو القاعد، ثم من يكون محتبباً لها ولا مباشر ولا ينظر، وهو المضطجع اليقظان، ثم من لا يقع منه شيء من ذلك ولكنه راض، وهو النائم، والمراد بالأفضلية في هذه الخبرية من يكون أقل شراً ممن فوقه على التفصيل المذكور» كذا في فتح الباري (١٣: ٣٠ و ٣١).

قال العبد الضعيف عفا الله عنه: هذا التقسيم الذي ذكره الداودي رحمه الله محتمل، ولكن الظاهر أن مقصود الحديث حث الناس عن اعتزال الفتن، فكل من كان أكثر اعتزالاً، كان أبعد من الشر، وإن درجات النائم واليقظان والقاعد تشير إلى درجات مختلفة من الاعتزال، لا إلى درجات مختلفة من الوقوع في الفتنة. ومقصود الحديث أن الإنسان ينبغي له أيام الفتنة أن يلزم بيته ما أمكن، لأنه، وإن لم يخرج نقصد الفتنة، فإنها ربما تدركه، فيقع فيها.

قوله: (من تشرف لها تستشرفه) أما (تشرف) فقد روي بفتح التاء والسين من باب التثقل، وروي أيضاً، (يُشْرِف) بضم الياء وسكون الشين وكسر الراء من باب الإكرام، وهو من الإشراف للشيء، وهو الانتصاب والتطلع إليه، والتعرض له. وأما (تستشرفه) فهو بمعنى أنها تعلو عليه وتغلبه. يقال: استشرفت الشيء: علوته وأشرفت عليه. وقيل: إنه من الإشراف بمعنى الإشفاء على الهلاك. ومنه: (أشفى المريض على الموت، وأشرف) فكان الشين والياء للتعدي، والمعنى: أنها تجعله يشرف على الهلاك. وحاصل معنى الحديث أن من تطلع إلى هذه الفتنة لمجرد النظر إليها، فإنها ربما تحفظه وتغلبه وتهلكه، فلا ينبغي لرجل أن يخرج إليها ولو لمجرد النظر.

أَخْبَرَنِي. وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ. حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِح، عَنِ ابْنِ شَيْبَةَ، حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُطِيعِ بْنِ الْأَسْوَدِ، عَنْ نَوْفَلِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، مِثْلَ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ هَذَا، إِلَّا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ بَرِّدًا: «مِنَ الصَّلَاةِ صَلَاةً، مِنْ فَائِئَةٍ فَكَأَنَّمَا وَبَّرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ».

٧١٧٨ - (١٢) حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ. أَخْبَرَنَا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ. حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَكُونُ فِتْنَةٌ النَّاسُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْيَقْظَانِ. وَالْيَقْظَانُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ. وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي. فَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَادًا فَلْيَسْتَعِذْ».

٧١٧٩ - (١٣) حَدَّثَنِي أَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ، فَضِيلُ بْنُ حُسَيْنٍ. حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ. حَدَّثَنَا عُثْمَانُ الشَّحَامُ قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَفَرَقْدُ السَّبَّخِيُّ إِلَى مُسْلِمِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، وَهُوَ فِي أَرْضِهِ. فَذَخَلْنَا عَلَيْهِ فَقُلْنَا: هَلْ سَمِعْتَ أَبَاكَ يُحَدِّثُ فِي الْفِتَنِ حَدِيثًا؟ قَالَ: نَعَمْ. سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَةَ يُحَدِّثُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنٌ. أَلَا تُمْ تَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا. وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا. أَلَا، فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ. وَمَنْ كَانَ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ. وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ» قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلَا غَنَمٌ وَلَا أَرْضٌ؟ قَالَ: «يَعْمِدْ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقَّ عَلَى حَدِّهِ بِخَجَرٍ».....

١١ - (٠٠٠) - قوله: (فكأنما وُبر أهلُه وماله) بضم الأهل والمال بمعنى أنه أصيب بمكروه، وينصيهما بمعنى أنه يُقَصَّر.

١٣ - (٢٨٨٧) - قوله: (حدثنا عثمان الشحام) هو أنصاري أبو سلمة البصري، يقال: اسم أبيه عبد الله، وقيل: ميمون، وقيل: مسلم. روى عن عدة من التابعين، وثقة ابن معين وأبو زرعة وأبو داود، وقال يحيى انقطاع: يعرف وبكره، ولم يكن عندي بذلك، وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال مرة: نيس به بأس، وراجع التهذيب (٧: ١٦٠ و ١٦١).

قوله: (وفرقد السبخي) هو فرقد بن يعقوب السبخي، منسوب إلى سبخة البصرة، وهي أرض ذات نرٍّ وملح، كما في القاموس، والنرّ: ما يتحلب من الماء في الأرض. وهو من صالح أهل البصرة، قليل الحديث، ضعفه أكثر نقاد الحديث. وراجع له التهذيب (٨: ٢٦٢).

قوله: (سمعت أبا بكره) هذا الحديث أخرجه أيضاً أبو داود في الفتن والملاحم، باب النبي عن النبي في الفتنة (٤٢٥٦).

قوله: (يعمد إلى سيفه، فبدق على حده بحجر) قال النووي رحمه الله: «قيل: المراد كسر

ثُمَّ لِيُنْجِ إِنْ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ. اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ أَكْرَهْتُ حَتَّى يُنْطَلِقَ بِي إِلَى أَحَدِ الضَّغَيْنِ، أَوْ إِحْدَى الْفَيْثَيْنِ، فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ، أَوْ يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِي؟ قَالَ: «يَوَدُّ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ. وَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ».

٧١٨٠ - (١٠٠) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ. قَالَا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ. ح وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى. حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ. كِلَاهُمَا عَنْ عُثْمَانَ الشَّحَامِ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ. حَدِيثُ ابْنِ أَبِي عَدِيٍّ نَحْوُ حَدِيثِ حَمَّادٍ إِلَى آخِرِهِ. وَانْتَهَى حَدِيثُ وَكِيعٍ عِنْدَ قَوْلِهِ: «إِنْ اسْتَطَاعَ النَّجَاءُ» وَلَمْ يَذْكُرْ مَا بَعْدَهُ.

السيف حقيقة على ظاهر الحديث، ليسد على نفسه باب هذا القتال. وقيل: هو مجاز، والمراد ترك القتال، والأول أصح.

قوله: (ثم لينج إن استطاع النجاء) هو من نجا ينجو نجاء ونجاة، بمعنى خلاص.

وإن هذه الأحاديث تؤكد للإنسان الاعتزال عن الفتنة، والصحيح الذي عليه الجمهور أن المراد بالفتنة ههنا الحالة التي أشكل على الإنسان تعيين الحق في أحد الجانبين، واشبه الأمر. أما إذا اتضح الحق، فالواجب نصره المحق بإزاء المبطل.

وقال الحافظ في فتح الباري (١٣: ٣١): «المراد بالفتنة ما ينشأ عن الاختلاف في طلب الملك حيث لا يعلم المحق من المبطل. قال الطبري: اختلف السلف، فحمل ذلك بعضهم على العموم، وهم من قعد عن الدخول في القتال بين المسلمين مطلقاً، كسعد وابن عمر ومحمد بن مسلمة وأبي بكر (رضي الله عنه) في آخرين، وتمسكوا بالطواهر المذكورة وغيرها. ثم اختلف هؤلاء، فقالت طائفة يلزوم البيوت، وقالت طائفة بالتحول عن بلد الفتن أصلاً، ثم اختلفوا، فمنهم من قال: إذا هجم عليه شيء من ذلك يكف يده ولو قتل. ومنهم من قال: بل يدافع عن نفسه، وعن ماله وأهله، وهو معذور إن قُتل أو قُتل. وقال الآخرون: إذا بغت طائفة على الإمام فامتنعت من الواجب عليها ونصبت الحروب وجب قتالها. وكذلك لو تحاربت طائفتان وجب على كل قادر الأخذ على يد المخطيء ونصر المصيب، وهذا قول الجمهور. وفصل آخرون فقالوا: كل قتال وقع بين طائفتين من المسلمين حيث لا إمام للجماعة، فالقتال حينئذ ممنوع، وتنزل الأحاديث التي في هذا الباب وغيره على ذلك، وهو قول الأوزاعي. قال الطبري: والصواب أن يقال إن الفتنة أصلها الابتلاء وإتكار المنكر واجب على كل من قدر عليه، فمن أعان المحق أصاب، ومن أعان المخطيء أخطأ، وإن أشكل الأمر فهي الحالة التي ورد النهي عن القتال فيها. وذعب آخرون إلى أن الأحاديث وردت في حق ناس مخصوصين، وأن النهي مخصوص بمن خوطب بذلك. وقيل: إن أحاديث النهي مخصوصة بآخر الزمان حيث يحصل التحقق أن المقاتلة إنما هي في طلب الملك».

(٤) - باب: إذا تواجه المسلمان بسيقيهما

٧١٨١ - (١٤) حَدَّثَنِي أَبُو كَامِلٍ، فَضِيلُ بْنُ حُسَيْنٍ الْجَحْدَرِيُّ. حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ وَيُوسُفَ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنِ الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ. قَالَ: خَرَجْتُ وَأَنَا أُرِيدُ هَذَا الرَّجُلَ. فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرَةَ فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَخْنَفُ؟ قَالَ قُلْتُ: أُرِيدُ نَضَرَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. يَغْنِي عَلَيْنَا. قَالَ فَقَالَ لِي: يَا أَخْنَفُ، ارْجِعْ. فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيَقِيهِمَا، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ» قَالَ

(٤) - باب: إذا تواجه المسلمان بسيقيهما

١٤ - (٢٨٨٨) - قوله: (عن الأخنف بن قيس) هو أبو بحر التميمي البصري، واسمه الضحاك، وقيل: صخر، والأخنف لقب، كان من المخضرمين، قد رأى النبي ﷺ، لكن قبل إسلامه، وكان رئيس بني تميم في الإسلام، ومناقبه كثيرة، ويضرب به المثل في الحلم، ويروى بسند لين أن النبي ﷺ دعا له، وكان ثقة مأموناً قليل الحديث، مات سنة ٦٧ هـ وقيل: سنة ٧٢ هـ.

قوله: (وأنا أريد هذا الرجل) وفي رواية للبخاري في الإيمان: «ذهبت لأنصر هذا الرجل» وقد فسره في الحديث بنفسه بأنه أراد بذلك علي بن أبي طالب ﷺ، وكان الأخنف أراد أن يخرج يقومه إلى علي ﷺ ليقاتل معه يوم الجمل، فنهاه أبو بكره فرجع.

قوله: (فلقيني أبو بكره) وحديث أبي بكره هذا: «أخرجه البخاري في الإيمان، باب ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ إلخ، وفي الدييات، باب قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾ (٦٨٧٥)، وفي الفتن، باب إذا التقى المسلمان بسيقيهما (٧٠٨٣). وأخرجه أبو داود في الفتن، باب في النهي عن القتال في الفتن (٤٢٦٨)، والنسائي في تحريم الدم، باب تحريم القتل (٤١٢٠ إلى ٤١٢٣)، وابن ماجه في الفتن، باب إذا التقى المسلمان بسيقيهما (٤٠١٣).

قوله: (إذا تواجه المسلمان بسيقيهما) إلخ: قال النووي: «معنى (تواجهها): ضرب كل واحد وجه صاحبه، أي: ذاته وحملته» وقال الفاضل عياض: وعند العذري: (توجهه) بإسقاط الألف. فإن لم يكن تغيير، فله وجه، أي: استقبل كل واحد منهما وجه صاحبه، أو فصدّه.

قوله: (فالقائل والمقتول في النار) يعني: أن كل واحد منهما يستحق عذاب جهنم لارتكابهما معصية المقاتلة دون مبرر شرعي، وليس المراد خلودهما في النار، وإنما المراد دخولهما فيها بسبب معصيتهما.

وقال النووي رحمه الله تعالى: «وأما كون القاتل والمقتول من أهل النار، فمحمول على من لا تأويل له. ويكون قتالهما عصبية ونحوها. ثم كونه في النار معناه: مستحق لها، وقد يجازى بذلك وقد يعفو الله تعالى عنه، وهذا مذهب أهل الحق، وقد سبق تأويله مرات. وعلى

هذا يتأول كل ما جاء من نظائره.

ثم قال رحمه الله: «واعلم أن الدماء التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم، ليست بداخلة في هذا الوعيد. ومذهب أهل السنة والحق إحسان الظن بهم، والإمساك عما شجر بينهم، وتأويل قتالهم وأنهم مجتهدون متأولون، لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا، بل اعتقد كل فريق أنه المحق ومخالفة باغ فوجب عليه قتاله ليرجع إلى أمر الله، وكان بعضهم مصيباً وبعضهم مخطئاً معذوراً في الخطأ، لأنه لاجتهاد، والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه. وكان علي رضي الله عنه هو المحق المصيب في تلك الحروب، هذا مذهب أهل السنة. وكانت القضايا مشتبهة، حتى إن جماعة من الصحابة تحيروا فيها، فاعتزلوا الطائفتين ولم يقاتلوا، ولم يتيقنوا الصواب، ثم تأخروا عن مساعدته منهم».

وقال الحافظ في الفتح (١: ٨٦): «وحمل أبو بكر الحديث على عمومه في كل مسلمين التقيا بسيفيهما حسماً للمادة، وإلا فالحق أنه محمول على ما إذا كان القتال بينهما بغير تأويل سائغ كما قدمناه، ويخص ذلك من عموم الحديث المتقدم بدليله الخاص في قتال أهل البغي. وقد رجع الأحنف عن رأي أبي بكر في ذلك، وشهد مع علي باقي حروبه».

وقال في موضع آخر من الفتح (١٣: ٣٤): «ولا يرد على ذلك منع أبي بكر الأحنف من القتال مع علي، لأن ذلك وقع عن اجتهاد من أبي بكر، أذاه إلى الامتناع والمنع احتياطاً لنفسه وللمن نصحه».

وقال بعد ذلك: «ورد في اعتزال الأحنف القتال في وقعة النجمل سبب آخر، فأخرج الطبري بسند صحيح عن حصين بن عبد الرحمن، عن عمرو بن جاوران، قال: قلت له: أرايت اعتزال الأحنف ما كان؟ قال: سمعت الأحنف قال: حججنا، فإذا الناس مجتمعون في وسط المسجد - يعني: النبوي - وفيهم علي، والزبير، وطلحة، وسعد، إذ جاء عثمان، فذكر قصة مناشدته لهم في ذكر مناقبه. قال الأحنف: فلقيت طلحة والزبير فقلت: إني لا أرى هذا الرجل - يعني: عثمان - إلا مقتولاً، فمن تأمراني به؟ قال: علي، فقدمنا مكة فلقيت عائشة، وقد بلغنا قتل عثمان، فقلت لها: من تأمريني به؟ قالت: علي. قال: فرجعنا إلى المدينة فبايعت علياً ورجعت إلى البصرة، فبينما نحن كذلك إذ أتاني آت، فقال: هذه عائشة وطلحة والزبير نزلوا بجانب الخريبة يستنصرون بك. فأتيت عائشة فذكرتها بما قالت لي، ثم أتيت طلحة والزبير فذكرتهما، فذكر القصة، وفيها: قال: فقلت: والله لا أقاتلكم ومعكم أم المؤمنين وحواري رسول الله ﷺ، ولا أقاتل رجلاً أمرتموني ببيعته، فاعتزل القتال مع الفريقين».

قال الحافظ: «ويمكن الجمع بأنه هم بالترك، ثم بدا له في القتال مع علي، ثم ثبته عن ذلك أبو بكر، أو هم بالقتال مع علي فثبته أبو بكر، وصادف مراسلة عائشة له، فرجع عنده الترك. وأخرج الطبري أيضاً من طريق قتادة قال: نزل علي بالزاوية، فأرسل إليه الأحنف: إن

فَقُلْتُ، أَوْ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الْقَاتِلُ. فَيَمَّا بَالَ الْمَقْتُولُ؟ قَالَ: «إِنَّهُ قَدْ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ».

٧١٨٢ - (١٥) وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الصَّمِيّ. حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ أَيُّوبَ وَبُؤْسَ وَالْمُعَلَّى بْنِ زَيْدٍ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنِ الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا التَّقَى الْمُسْلِمَانِ بَسِيفَتَيْهِمَا، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ».

٧١٨٣ - (١٠٠) وَحَدَّثَنِي حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ. حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ مِنْ كِتَابِهِ. أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ أَيُّوبَ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، نَحْوَ حَدِيثِ أَبِي كَامِلٍ، عَنْ حَمَّادٍ. إِلَى آخِرِهِ.

٧١٨٤ - (١٦) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا عُثْمَرُ، عَنْ شُعْبَةَ. ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ. قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ رَبِيعِ بْنِ جَرَّاشٍ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا الْمُسْلِمَانِ، حَمَلَ أَحَدُهُمَا عَلَى أَخِيهِ السَّلَاحَ، فَهُمَا عَلَى جُرْفٍ جَهَنَّمَ. فَإِذَا قَتَلَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ، دَخَلَا جَمِيعًا».

شئت أنتيك، وإن شئت كفت عنك أربعة آلاف سيف فأرسل إليه: كُفَّ من قدرت على كفه». قوله: (هذا القاتل) يعني: أن كونه معذباً ظاهراً، لكونه باشر قتل أخيه، فما بال المقتول؟ يعني: لماذا يعذب مع كونه مظلوماً؟.

قوله: (إنه أراد قتل صاحبه) قال القاضي عياض رحمه الله: «فيه حجة للقاضي أبو بكر (يعني: ابن الطيب) أن العزم على الذنب معصية يؤاخذ بها بخلاف الهم. ومن يخالفه يقول: هذا أكثر من العزم، وهو المواجهة والقتال» وذكر النووي رحمه الله أن ما ذكره القاضي أبو بكر هو الصحيح الذي عليه الجمهور، إلا أن العزم على المعصية سيئة مستقلة بنفسها غير سيئة المباشرة، فإن عمل بعزمه كتب له سيئتان، وإن كَفَّ عن ذلك خوفاً من الله تعالى، أبدلت سيئة العزم حسنة. وقد مرّت هذه المسألة في هذا الشرح في كتاب الإيمان، باب بيان تجاوز الله تعالى عن حديث النفس والخواطر إلخ.

ومن استدل بحديث الباب على كون العزم معصية، فإن دليله متجه، لأن رسول الله ﷺ رتب العذاب على إرادته، لا على مباشرته القتال، فدلّ على كون إرادته معصية، والله سبحانه أعلم.

١٦ - (١٠٠) - قوله: (على جُرْفٍ جَهَنَّمَ) الجرف بضم الجيم والراء، أريد به طرف جهنم، ووقع في بعض النسخ: «على حرف جهنم» بفتح الحاء المهملة وسكون الراء، وهو أيضاً بمعنى الطرف، وفي بعضها: «في حرّ جهنم» كما في شرح الأبي.

٧١٨٥ - (١٧) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ . حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ . حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ . قَالَ : هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا : وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتُلَ فِتْنَانِ عَظِيمَتَانِ . وَتَكُونَ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ . وَدَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ» .

٧١٨٦ - (١٨) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ . حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ ، (يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ) ، عَنْ سُهَيْلٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْهَرْجُ» ، قَالُوا : وَمَا الْهَرْجُ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : «الْقَتْلُ . الْقَتْلُ» .

١٧ - (١٥٧) - قوله : (حدثنا أبو هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في استنباط المرتدين ، باب قول النبي ﷺ : لا تقوم الساعة حتى تقتل فتنان إلخ (٦٩٣٥) ، وفي الفتن باب بعد باب خروج النار (٧١٢١) .

قوله : (حتى تقتل فتنان عظيمتان) ذكر جمع من شراح الحديث أن المراد من هاتين الفتن جيشا علي ومعاوية رضي الله عنهما ، فإنهما تقانلا بصفين . حتى قتل منهم آلاف .

قوله : (ودعواهما واحدة) قال العيني في عمدة القاري (١١ : ٣٦٨) : «أي : يدعيان الإسلام ويتأول كل منهما أنه محق» فإن كان المراد بالفتنتين فتنا علي ومعاوية رضي الله عنهما ، فإن كون دعواهما واحدة يدل على أن كلا منهما من جماعة المسلمين وأن كلا منهما متأول فيما اختاره من الطريق . وأخرج ابن أبي شيبة من طريق زياد بن الحارث قال : «كنت إلى جنب عمار (أي : بصفين) فقال الرجل : كفر أهل الشام (أي : أصحاب معاوية) فقال عمار : لا تقولوا ذلك . نينا واحد ، ولكنهم قوم حادوا عن الحق ، فحق علينا أن نقاتلهم حتى يرجعوا» ذكره الحافظ في الفتح (١٣ : ٨٦) .

وقد أخرج ابن عساكر في ترجمة معاوية من طريق ابن مندة ، ثم من طريق أبي القاسم ابن أخي أبي زرعة الرازي قال : «جاء رجل إلى عُمَي (أي : إلى أبي زرعة) فقال له : إني أبغض معاوية ، قال له : لم؟ قال : لأنه قاتل علياً بغير حق . فقال له أبو زرعة : رب معاوية رب رحيم ، وخضم معاوية خصم كريم ، فما دخولك بينهما؟» ذكره الحافظ أيضاً .

١٨ - (١٠٠) - قوله : (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه أيضاً ابن ماجه في الفتن ، باب أشرط الساعة (٤٠٩٦) .

قوله : (حتى يكثر الهرج) بفتح الهاء وسكون الراء ، قد فسره رسول الله ﷺ في نفس الحديث بالقتل ، وقد ذكر أبو موسى أنه بمعنى القتل بلسان الحبشة . وأما في أصل اللغة ، فهو بمعنى الاختلاط . قال ابن منظور في اللسان (٣ : ٢١٢) : «الهرج : الاختلاط . هَرَجَ النَّاسُ يَهْرَجُونَ ، بالكسر ، هَرْجاً من الاختلاط ، أي : اختلطوا . وأصل الهرج : الكثرة في المشي

(٥) - باب: هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض

٧١٨٧ - (١٩) حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ وَفُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ. كِلَاهُمَا عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، (وَاللَّفْظُ لِفُتَيْبَةَ)، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قَلَابَةَ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ، عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ. فَرَأَيْتُ مُشَارِقَهَا وَمُعَارِبَهَا.

والإتساع. والهُرْجُ الفتنه في آخر الزمان، والهُرْجُ: شدة القتل وكثرته» وكذا قد يكون الهرج بمعنى الجماع، يقال: هرج جاريته: أي: جامعها، كما في القاموس، ومنه الحديث المعروف: ينهارجون تهارج الحمر. أي: يتسافدون.

وفي الحديث إخبار بأنه يكثر القتل بقرب من الساعة، وهو من معجزات النبي ﷺ، وقد شوهد ذلك في عصرنا حتى صار دم الإنسان أهون على المعتدين من دم اليعوض والذباب، والعياذ بالله العظيم.

باب: هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض

١٩ - (٢٨٨٩) - قوله: (عن ثوبان) هذا الحديث أخرجه أيضاً الترمذي في الفتن، باب ما جاء في سؤال النبي ﷺ ثلاثاً في أمته (٢١٧٦)، وأبو داود في الفتن، باب ذكر الفتن ودلائلها (٤٢٥٢)، وابن ماجه في الفتن، باب ما يكون من الفتن (٤٠٠).

قوله: (إن الله زوى لي الأرض) (زوى) بمعنى (ضم) و (جمع)، أي: جمعها لأجلي. قال الثوريثيني: «زويت الشيء: جمعته وقبضته، يريد به تقريب البعيد منها، حتى اطلع عليه اطلاعه على القريب منها». وحاصله أنه طوى له الأرض وجعلها مجموعة كهيئة كفت في مرآة نظره. ولذا قال: (فرأيت مشارقها ومعاربها) أي: جميعها كذا في مرقاة المفاتيح (١١: ٥٠).

وقال الطيبي رحمه الله في الكاشف (١٠: ٣٤٤) نقلاً عن الخطابي: «توهم بعض الناس أن (من) في (منها) للتبعيض، وليس ذلك كما توهمه، بل هي للتفصيل للمجملة المتقدمة، والتفصيل لا يناقض التجميع. ومعناه أن الأرض زويت لي جملة مرة واحدة، فرأيت مشارقها ومعاربها، ثم هي تفتح لأمتي جزءاً، فجزءاً، حتى يصل ملك أمتي إلى كل أجزائها».

وقال العلامة علي القاري رحمه الله في المرفأة: «ولعل وجه من قال بالتبعيض هو أن ملك هذه الأمة ما بلغ جميع الأرض، فالمراد بالأرض أرض الإسلام، وأن ضمير (منها) راجع إليها على سبيل الاستخدام، والله أعلم بالمرام».

فإن العبد الضعيف عفا الله عنه: لا يلزم من كون هذه الأمة لم يبلغ ملكها إلى جميع الأرض حتى الآن أن لا يقع ذلك في المستقبل. فقد يؤخذ من الروايات الصحيحة أن الإسلام يصير سائداً على جميع بقاع الأرض في آخر الزمان. وعلى هذا، فلا حاجة إلى القول بالتبعيض، ويتجه ما قاله الخطابي، والله أعلم.

وَأَنْ أَمْتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا رُويَ لِي مِنْهَا. وَأَعْطَيْتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَخْمَرَ وَالْأَبْيَضَ. وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأَمْتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بَسَنَةٌ عَامَّةٌ، وَأَنْ لَا يَسْلُطَ عَلَيْهِمْ عَدُوٌّ مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ. وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءَ فَإِنَّهُ لَا يَرُدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأَمْتِكَ أَنْ لَا أَهْلِكَهُمْ بَسَنَةٌ عَامَّةٌ. وَأَنْ لَا أَسْلُطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ. يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ. وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ: مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

قوله: (وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض) المراد من الأحمر الذهب، ومن الأبيض الفضة. وذكر العلماء أن المراد من الكنزين خزائن كسرى وقيصر. وذكر الخطابي أن الغالب على نقود كسرى الدنانير، والغالب على نقود ممالك قيصر الدراهم.

قوله: (لا يهلكها بسنة عامة) السنة: القحط والجذب، والمراد أن لا يصيب المسلمين قحط عام يشمل جميع بلاد المسلمين في وقت واحد. وهكذا وقع، فلم يُصب المسلمين قحط عام حتى الآن، بل إذا وقع بأرض، اقتصر بها ولم يعم بلاد المسلمين قاطبة.

قوله: (من سوى أنفسهم) صفة لقوله (عدو)، أي: كائناً من سوى أنفسهم. وإنما قيده بهذا القيد لما سيأتي في حديث سعد رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام كان قد دعا الله تعالى أن لا يجعل بأس أمته فيما بينهم، فمُنِعَ من ذلك.

قوله: (فيسبّح بيضتهم) أي: جماعته. وأصلهم من بيضة الطير لتحضينها ما فيها واجتماعها عليه. والبيضة أيضاً هي العز، وهي أيضاً: الملك. هكذا فسر القاضي عياض، كما نقل عنه الأبي. وقال الطيبي رحمه الله: إنه مأخوذ من بيضة الدار، وهي وسطها ومعظمها، وإن بيضة الدار مجتمع لأهلها، فالمراد من استباحة البيضة أن يسيطر العدو على مجتمعهم وموضع سلطاتهم ومستقر دولتهم، فيستأصلهم ويهلكهم جميعاً. والاستباحة: أن يجعلها مباحة لنفسه.

ثم إن النفي منصّب على السبب والمسبب معاً، فيفهم منه أنه قد يسلط عليهم عدو، لكن لا يستأصل شأفتهم. أفاده علي القاري في المرقاة.

قوله: (ولو اجتمع عليهم من بأقطارها) يعني: ولو اجتمع أعداء المسلمين من أنحاء الأرض قاطبة، لم يتمكنوا من استئصال شأفة المسلمين. والأقطار جمع قطر، بضم القاف، وهو الناحية.

قوله: (حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً) هذا يحتمل معنيين: الأول أن يكون الضمير في (بعضهم) راجعاً إلى المسلمين. فالمراد أن أعداء المسلمين لا يستطيعون أن يستبيحوا بيضتهم، ولكن قد يكون المسلمون أنفسهم يتقاتلون فيما بينهم، فيهلك بعضهم بعضاً، ويأسر بعضهم بعضاً. وبهذا التفسير جزم الطيبي. والاحتمال الثاني: أن يكون الضمير في قوله

٧١٨٨ - (٠٠٠) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ. (قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا. وَقَالَ الْآخَرُونَ: حَدَّثَنَا) مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ. حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ الرَّحْبِيِّ، عَنْ ثَوْبَانَ؛ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى زَوَى لِي الْأَرْضَ. حَتَّى رَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا. وَأَعْطَانِي الْكَثْرَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ». ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ.

٧١٨٩ - (٢٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ. ح وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، (وَاللَّفْظُ لَهُ)، حَدَّثَنَا أَبِي. حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ حَكِيمٍ. أَخْبَرَنِي عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْعَالِيَةِ. حَتَّى إِذَا مَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ، دَخَلَ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ. وَصَلَّيْنَا مَعَهُ. وَدَعَا رَبَّهُ طَوِيلًا، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْنَا. فَقَالَ ﷺ: «سَأَلْتُ رَبِّي فَلَاكًا. فَأَعْطَانِي ثَنِينَ وَمَعْنِي وَاجِدَةً. سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يَهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا. وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَهْلِكَ أُمَّتِي بِالْفَرْقِ فَأَعْطَانِيهَا. وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ فَمَنْعَنِهَا».

٧١٩٠ - (٢١) وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ. حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ. حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ

(بعضهم) راجعاً إلى أعداء المسلمين، فيكون المراد أنهم كلما اجتمعوا لاستئصال المسلمين، لم يتمكنوا من ذلك، حتى تصير عاقبتهم إلى المفاتلة فيما بينهم، والله أعلم.

٢٠ - (٢٨٩٠) - قوله: (أخبرني عامر بن سعد عن أبيه) يعني: سعد بن أبي وقاص ﷺ، وهذا الحديث تفرد بإخراجه المصنف من بين الأئمة الستة. وأخرجه أيضاً أحمد في مسنده (١): ١٧٥ و (١٨١).

قوله: (مر بمسجد بني معاوية) وهو المعروف بمسجد الإجابة، كما ذكره السهودي، وكان ابن النجار أدركه خراباً، وكان رُم في عهد السهودي، فذكر أنه في شمالي البقيع على يسار السالك إلى العريض.

قوله: (فركع فيه ركعتين) ونقل ابن شبة عن أبي غسان، عن محمد بن طلحة قال: «بلغني أن النبي ﷺ صلى في مسجد بني معاوية على يمين المحراب نحواً من ذراعين» نقله السهودي في وفاء الوفاء (٣: ٨٢٩).

قوله: (أن لا يجعل بأسهم بينهم) البأس: الحرب الشديد، يعني: أن لا يتقاتل المسلمون فيما بينهم.

قوله: (فمنعنيها) يعني: لم يستجب هذا الدعاء، إذ كان مخالفاً لتقديره المبرم ومشيتته التي لا يسأل عنها.

حَكِيم الْأَنْصَارِيِّ. أَخْبَرَنِي غَامِرُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ؛ أَنَّهُ أَقْبَلَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ. فَمَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ. بِمَثَلِ حَدِيثِ ابْنِ نُمَيْرٍ.

(٦) - باب: إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة

٧١٩١ - (٢٢) حَدَّثَنِي حَزْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى الشَّجْبِيُّ. أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ؛ أَنَّ أَبَا إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيَّ كَانَ يَقُولُ: قَالَ حَذِيفَةُ بْنُ الْيَمَانِ: وَاللَّهِ، إِنِّي لَأَعْلَمُ النَّاسَ بِكُلِّ فِتْنَةٍ هِيَ كَائِنَةٌ، فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ السَّاعَةِ. وَمَا بِي إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَسْرًا إِلَيَّ فِي ذَلِكَ شَيْئًا، لَمْ يُحَدِّثْهُ غَيْرِي. وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ، وَهُوَ يُحَدِّثُ مَجْلِسًا أَنَا فِيهِ عَنِ الْفِتَنِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ يُعَدُّ الْفِتَنَ: «مِنْهُنَّ ثَلَاثٌ لَا يَكْذِبُ يَذَرُنَّ شَيْئًا.....

(٦) - باب: إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة

٢٢ - (٢٨٩١) - قوله: (قال حذيفة بن اليمان) هذا الحديث أيضاً لم يخرج له أحد من الأئمة الستة إلا المصنف رحمه الله، وأخرجه أحمد في مسنده (٥: ٤٠٧) والبيهقي في دلائل النبوة (٦: ٤٠٦).

قوله: (وما بي إلا أن يكون رسول الله ﷺ أسراً إلي في ذلك شيئاً) هكذا وقعت الرواية في جميع نسخ صحيح مسلم بإثبات (إلا). وقد ذكر بعض العلماء أن (إلا) في هذا الكلام زائدة والأصح إسقاطها، لأن مقصود حذيفة ﷺ أن النبي ﷺ لم يسر إليه في أمر الفتن شيئاً، ولا خصه بإخباره دون باقي الصحابة، ولكنه أخبر بالفتن جمعاً من الصحابة وفيهم حذيفة ﷺ ولكن توفي الآخرون، فلم يبق من يعرفها إلا هو. وظاهر أن هذا المعنى لا يتأتى بإثبات (إلا). ويؤيد هذا القول رواية أحمد في مسنده (٥: ٤٠٧)، ولفظها: (وما بي أن يكون النبي ﷺ أسراً إلي في ذلك شيئاً لم يحدث به غيري) وكذلك أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٦: ٤٠٦) يعني: ليس الأمر أن النبي ﷺ أسراً إلي شيئاً. وهذا كلام واضح ينسجم بما بعده حيث قال: «فذهب أولئك الرهط كلهم غيري» وفي الرواية الآتية: «حفظه من حفظه ونسبه من نسبه».

أما إذا أخذنا الكلام بإثبات (إلا) فلا ينسجم الكلام، فإن مقتضى هذا الاستثناء إثبات أن النبي ﷺ أسراً إلى حذيفة أشياء. وذلك متعارض بكلامه التالي.

ولكن فسر القاضي عياض رحمه الله هذا الحديث بطريق آخر، فذكر أن حذيفة ﷺ لم يقصد نفي أن يكون رسول الله ﷺ أسراً إليه بعض الأشياء، بل أراد إثبات ذلك. وإنما مراده هنا أنني لا يمنعني أن أذكر لكم الفتن التي أخبر بها رسول الله ﷺ، إلا بعض الأمور التي أسر بها إلي، فلا يجوز لي أن أعلنها، نعم! هناك أمور ذكرها رسول الله ﷺ بمحض من الآخرين،

وَمِنْهُمْ فِتْنٌ كَرِيحِ الصَّيْفِ. مِنْهَا صِغَارٌ وَمِنْهَا كِبَارٌ.
قَالَ حُدَيْفَةُ: فَذَعَبَ أُولَئِكَ الرِّهْطُ كُلُّهُمْ غَيْرِي.

٧١٩٢ - (٢٣) وَحَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ. (قَالَ عُثْمَانُ: حَدَّثَنَا. وَقَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا) جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ حُدَيْفَةَ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَامًا. مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، إِلَّا حَدَّثَ بِهِ. حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلَاءِ. وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيَهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ. ثُمَّ إِذَا رَأَاهُ عَرَفَهُ.

٧١٩٣ - (٢٠٠) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، إِلَى قَوْلِهِ: وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ. وَلَمْ يَذْكُرْ مَا بَعْدَهُ.

٧١٩٤ - (٢٤) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ. حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ. ح وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ نَافِعٍ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدٍ، عَنْ حُدَيْفَةَ؛ أَنَّهُ قَالَ: أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ. فَمَا مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا قَدْ سَأَلْتُهُ. إِلَّا أَنِّي لَمْ أَسْأَلْهُ: مَا يُخْرِجُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ؟
٧١٩٥ - (٢٠٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى. حَدَّثَنِي وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ. أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، نَحْوَهُ.

٧١٩٦ - (٢٥) وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدُّورَقِيُّ وَحُجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ. جَمِيعًا

ولكنهم أدركتهم الوفاة، فلم يبق منهم أحد غيري، فأبينها لكم، وليست من الأمور التي أسر بها النبي ﷺ، ولكن ربما يزعم بعض الناس أنها من جملة تلك الأسرار، لأنه لا يعلمها الآن غيري. فقلوه (ما بي) في أول كلامه بمعنى (ما بي من عذر يمنعني من ذكر الفتن) وحينئذ يستقيم ذكر (لا) في هذا الكلام كما لا يخفى.

قوله: (ومنه فتن كريح الصيف) لعل التشبيه في كونها مؤذية، لأن رياح الصيف حارة في الغالب، وإنها تسفي الرمال وتحرق النبات.

٢٣ - (٢٠٠) - قوله: (وإنه ليكون منه الشيء قد نسيت) إلخ: يعني: أنني ربما أنسى بعض الأمور التي أخبر بها رسول الله ﷺ أنها ستكون، ثم أذكرها حينما أراها تقع عياناً.

٢٤ - (٢٠٠) - قوله: (ما يخرج أهل المدينة من المدينة؟) يعني: أنه سيأتي وقت يضطر فيه أهل المدينة إلى الخروج منها، ولكنني لم أسأل النبي ﷺ عن السبب الذي يبعثهم على الخروج.

عَنْ أَبِي عَاصِمٍ. قَالَ حَجَّاجٌ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ. أَخْبَرَنَا عَزْرَةُ بْنُ ثَابِتٍ. أَخْبَرَنَا عَلْبَاءُ بْنُ
أَحْمَرَ. حَدَّثَنِي أَبُو زَيْدٍ، (يعني عمرو بن أخطب)، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْفَجْرَ.
وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى خَضَرَتِ الظُّهُرُ. فَتَزَلَّ فَصَلَّى. ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ. فَخَطَبَنَا حَتَّى
خَضَرَتِ الْعَصْرُ. ثُمَّ تَزَلَّ فَصَلَّى. ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ. فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ. فَأَخْبَرَنَا
بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ. فَأَعْلَمْنَا أَحْقَقًا.

(٧) - باب: في الفتنة التي تموج كموج البحر

٧١٩٧ - (٢٦) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، أَبُو كُرَيْبٍ.
جَمِيعًا عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ. قَالَ ابْنُ الْعَلَاءِ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ. حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ شَقِيقٍ،
عَنْ حَذِيفَةَ. قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ. فَقَالَ: أَيْكُمْ يَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْفِتْنَةِ كَمَا

٢٥ - (٢٨٩٢) - قوله: (حدثني أبو زيد، يعني عمرو بن أخطب) هو عمرو بن أخطب بن
رفاعة الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه، مشهور بكنته، غزا مع النبي ﷺ ثلاث عشرة، ومسح رأسه،
وقال: اللهم جملة فما شاب بعدها ونزل البصرة، وهو ممن جاوز المائة، وراجع الإصابة (٢):
(٥١٥)، والنهذيب (٨: ٤). وما أشار إليه الحافظ من كون النبي ﷺ مسح رأسه، أخرجه أحمد
في مسنده (٥: ٣٤٠) من طريق أبي نهيك قال: حدثني أبو زيد عمرو بن أخطب الأنصاري قال:
«استسقى رسول الله ﷺ ماء فأتيته بقدح فيه ماء، فكانت فيه شعرة فأخذتها، فقال: اللهم جملة،
قال: فرائته وهو ابن أربع وتسعين ليس في لحيته شعرة بيضاء».

وحديثه هذا مما تفرد بإخراجه المصنف من بين الأئمة الستة، ولكن أخرجه أحمد في
مسنده (٥: ٣٤١) والطبراني في معجمه الكبير (١٧: ٢٨).

قوله: (فخطبنا حتى غربت الشمس) ظاهره أن خطبته ﷺ استمرت طول النهار، فيحتمل
أن يكون حقيقة، ويحتمل أن يكون على سبيل التغليب، فتكون بين الخطبات وقفة، والله أعلم.
قوله: (فأعلمنا أحفظنا) يعني: من كان أعلم منا حفظ تلك الأشياء أكثر من غيره. أو
المراد أن من حفظها أكثر اعتبر اليوم أعلم.

(٧) - باب: الفتنة التي تموج كموج البحر

٢٦ - (١٤٤) - قوله: (عن حذيفة) مر هذا الحديث عند المصنف في كتاب الإيمان، باب
بيان أن الإسلام بدأ غرباً وسعود غرباً، ومز شرحه هناك مستوفى. وأخرجه أيضاً البخاري في
مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفارة (٥٢٥)، وفي الزكاة، باب الصدقة تكفر الخطيئة (١٤٣٥)،
وفي الصوم، باب الصوم كفارة (١٨٩٥)، وفي المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام
(٣٥٨٦)، وفي الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر (٧٠٩٦)، وأخرجه الترمذي في الفتن،

قَالَ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: أَنَا. قَالَ: إِنَّكَ لَجَرِيءٌ. وَكَيْفَ قَالَ؟ قَالَ قُلْتُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ. يَكْفُرُهَا الصِّيَامُ وَالصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ». فَقَالَ عُمَرُ: لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ. إِنَّمَا أُرِيدُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ. قَالَ فَقُلْتُ: مَا لَكَ وَلَهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابٌ مُغْلَقٌ. قَالَ: أَفَيُكْسَرُ الْبَابُ أَمْ يُفْتَحُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا. بَلْ يُكْسَرُ. قَالَ: ذَلِكَ أُخْرَى أَنْ لَا يُغْلَقَ أَبَدًا.

باب بدون ترجمة (٢٢٥٨)، وابن ماجه في الفتن، باب ما يكون من الفتن (٤٠٠٣).

قوله: (إنك لجريء) مدحه عمر رضي الله عنه على جرأته في ادعاء أنه يحفظ من رسول الله ﷺ حديث الفتن كما سمعه منه، لأن ذلك يدل على شدة اهتمامه بالحديث وحفظه. وذكر القسطلاني أن عمر رضي الله عنه قال ذلك على وجه الإنكار، كأنه أنكر على هذا الادعاء، فإن ذاك المرء تتعرض للذهول عن بعض الأشياء، فالاحتياط أن يقول: إني أذكر جوهر الكلام ولا أدعي أنني أذكر كله بلفظه.

قوله: (فتنة الرجل في أهله وماله) إلخ: يعني: أن المرء يفتن بهذه الأشياء، إما بانهماكه فيها بحيث يؤدي إلى الإخلال بالقاعات، وإما بتقصيره في أداء حقوقها.

قوله: (يكفرها الصيام والصلاة) أي: ما صدر منه من الصفات حال افتتاحه بهذه الأشياء تكفره الصلوات والصيام وسائر العبادات، لأن الحسنات يذهبن السيئات. والحديث وإن كان ظاهره عاماً في الصفات والكبائر جميعاً، ولكنه مخصوص بالصفات بدليل الآيات والأحاديث الأخرى التي تدل على أن الحسنات إنما تكفر الصفات، دون الكبائر. وهو مذهب جمهور أهل السنة، خلافاً للمرجئة الذين يقولون إن الحسنات تكفر الصفات والكبائر جميعاً.

قوله: (التي تموج كموج البحر) يعني: الفتنة التي تضطرب اضطراب البحر عند هيجانه. وكنتي بذلك عن شدة المخاصمة وكثرة المنازعة وما ينشأ عن ذلك من المشاتمة والمقاتلة.

قوله: (مالك ولها؟) يعني: لا علاقة لك بها، فإنها لا تخرج في حياتك.

قوله: (باباً مغلقاً) يعني: أن بينها وبين حياتك باباً مغلقاً، فلا تقع وأنت حي. وكان حذيفة يعلم أن عمر رضي الله عنه هو الباب، ولكن لم يصرح بذلك تأديباً معه، ولكن عمر رضي الله عنه فهم ذلك.

قوله: (أفيكسر الباب أم يفتح؟) وكأنه كنى بالكسر عن القتل وبالفتح عن موته الطبيعي.

قوله: (ذلك أخرى أن لا يغلق أبداً) قال ابن بطال: «إنما قال ذلك لأن العادة أن الغلق إنما يقع في الصحيح. أما إذا انكسر فلا يتصور غلقه حتى يجبر».

قَالَ: فَقُلْنَا لِحُدَيْفَةَ: هَلْ كَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ مِنَ الْبَابِ؟ قَالَ: نَعَمْ. كَمَا يَعْلَمُ أَنَّ دُونَ عُمَرَ الْبَيْتَةَ. إِنِّي حَدَّثْتُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَعْلَاطِ.

قَالَ: فَهَبْنَا أَنْ نَسْأَلَ حُدَيْفَةَ: مِنَ الْبَابِ؟ فَقُلْنَا لِمَسْرُوقٍ: سَلُهُ. فَسَأَلَهُ. فَقَالَ: عُمَرُ.

٧١٩٨ - (٢٧) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجِيُّ. قَالَا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ. ح. وَحَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا جَرِيرٌ. ح. وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ. أَخْبَرَنَا عَيْسَى بْنُ يُونُسَ. ح. وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ. حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَيْسَى. كُلُّهُمْ عَنِ الْأَعْمَشِ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، نَحْوَ حَدِيثِ أَبِي مُعَاوِيَةَ، وَفِي حَدِيثِ عَيْسَى، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيبٍ قَالَ: سَمِعْتُ حُدَيْفَةَ يَقُولُ.

٧١٩٩ - (٢٨) وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ. حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ جَامِعِ بْنِ أَبِي رَاشِدٍ، وَالْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ حُدَيْفَةَ قَالَ: قَالَ عُمَرُ: مَنْ يُحَدِّثُنَا عَنِ الْفِتْنَةِ؟ وَاقْتَصَلَ الْحَدِيثَ بِنَحْوِ حَدِيثِهِمْ.

٧٢٠٠ - (٢٨) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ. قَالَا: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ. حَدَّثَنَا ابْنُ عَوْنٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ. قَالَ: قَالَ جَنْدَبٌ: جِئْتُ يَوْمَ الْجَرَعَةِ. فَإِذَا رَجُلٌ

وقال الحافظ في الفتح (٦: ٦٠٦): «وقد وافق حذيفة على معنى روايته هذه أبو ذر. فروى الطبراني بإسناد رجاله ثقات أنه لقي عمر فأخذ بيده فغمزها، فقال له أبو ذر: أرسل يدي يا قتل الفتنة، الحديث. وفيه أن أبا ذر قال: (لا يصيبكم فتنة ما دام فيكم) وأشار إلى عمر. وروى البزار من حديث قدامة بن مظعون، عن أخيه عثمان أنه قال لعمر: يا غلق الفتنة! فسأله عن ذلك فقال: مررت ونحن جلوس عند النبي ﷺ فقال: هذا غلق الفتنة، لا يزال بينكم وبين الفتنة باب شديد الغلق ما عاش».

٢٨ - (٢٨٩٣) - قوله: (عن محمد) يعني: ابن سيرين.

قوله: (قال جندب) بضم الجيم والdal، وقيل بفتح الدال، يعني: ابن عبد الله بن سفيان البجلي رحمه الله، له صحبة، وقد مرّت ترجمته في كتاب الفضائل، باب صفة حوضه ﷺ. وحديثه هذا من أفراد مسلم، وأخرجه أيضاً أحمد في مسنده (٥: ٣٩٩).

قوله: (جئت يوم الجرة) بفتح الجيم والراء، وقيل: بإسكان الراء. موضع بقرب الكوفة على طريق الحيرة، ويوم الجرة يوم خرج فيه أهل الكوفة يتلقون والياً ولواء عليهم عثمان رضي الله عنه فردوه، وسألوا عثمان أن يولي عليهم أبا موسى الأشعري رضي الله عنه فولاه.

جَالِسٌ. فَقُلْتُ: لِيُهِرَاقَنَّ الْيَوْمَ هَهُنَا دِمَاءٌ. فَقَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ: كَلًّا. وَاللَّهِ، قُلْتُ: بَلَى وَاللَّهِ، قَالَ: كَلًّا. وَاللَّهِ، قُلْتُ: بَلَى. وَاللَّهِ، قَالَ: كَلًّا. وَاللَّهِ، إِنَّهُ لَحَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنِيهِ. قُلْتُ: بِئْسَ الْجَالِسُ لِي أَنْتَ مُنْذُ الْيَوْمِ. تَسْمَعُنِي أَخَالَفُكَ وَقَدْ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَا تَنْهَانِي؟ ثُمَّ قُلْتُ: مَا هَذَا الْغَضَبُ؟ فَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ وَأَسْأَلُهُ. فَإِذَا الرَّجُلُ حُذِيقَةٌ.

(٨) - باب: لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من الذهب

٧٢٠١ - (٢٩) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ. حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، (يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَارِيَّ)، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ

قوله: (ليُهِرَاقَنَّ اليوم ههنا دماء) إنما قال ذلك لأنه رأى أهل الكوفة يزاحمون رجلاً ولاء عثمان ؓ، فخاف أن يكون بينهم في ذلك قتال.

قوله: (بلى والله) لعله حلف على إمكان القتال، لا على وقوعه.

قوله: (إنه لحديث رسول الله ﷺ) إلخ: يعني: أن ما أجزم به من عدم وقوع القتال في هذا اليوم مستند إلى حديث حديثه رسول الله ﷺ، ولعله كان يعلم من خلال هذا الحديث أن مقاتلة المسلمين فيما بينهم لا تقع إلا بقتل عثمان ؓ، والله أعلم.

قوله: (بئس الجليس لي أنت) يعني: أنه كان عندك في هذا الموضوع حديث، وسمعتني أحلف على ما يخالفه، فلم تخبرني بذلك الحديث في المرة الأولى، حتى حلقت مرتين، وكان المفروض من الجليس الطيب أن يخبر به في أول مرة.

قوله: (تسمعتني أخالفك) وقع في أكثر النسخ بالخاء المعجمة من المخالفة. وذكر القاضي عياض أن رواية شيوخه بالخاء المهملة من التحلف. يعني: سمعتني وأنا أحلف أمامك. وكلتا الروايتين معناهما صحيح.

قوله: (ثم قلت: ما هذا الغضب؟) يعني: قلت في نفسي إنه لا معنى للغضب من هذا الرجل. ولفظ أحمد في مسنده (٥: ٣٩٩): «ثم قلت، ما لي وللغضب؟ قال: فتركت الغضب وأقبلت أسأله إلخ».

(٨) - باب: لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب

٢٩ - (٢٨٩٤) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في الفتن، باب خروج النار (٧١١٩)، وأبو داود في الملاحم، باب حسر الفرات عن كنز (٤٣١٣ و ٤٣١٤)، والترمذي في صفة الجنة، باب بدون ترجمة (٢٥٦٩ و ٢٥٧٠)، وابن ماجه في الفتن، باب أشرط الساعة (٤٠٩٥).

حَتَّى يَخْبِرَ الْفَرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ. يَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ. فَيَقْتُلُ، مِنْ كُلِّ مِائَةٍ، تِسْعَةً وَتِسْعُونَ، وَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ: لَعَلِّي أَكُونُ أَنَا الَّذِي أَنْجُو.

٧٢٠٢ - (١٠٠) وَحَدَّثَنِي أُمِّيَّةُ بِنْتُ سِطْطَامَ. حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ. حَدَّثَنَا رَوْحٌ، عَنْ سُهَيْلٍ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، نَحْوَهُ. وَزَادَ: قَالِ أَبِي: إِنْ رَأَيْتَهُ فَلَا تَقْرَبْتَهُ.

قوله: (حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب) بكسر السين، والفرات نهر مشهور بالعراق، والمراد من حصره أنه ينكشف لذهاب مائه، فيظهر في محله جبل من ذهب. وفي رواية حفص بن عاصم الآتية: «عن كنز من ذهب» فيحتمل أن يكون ما يظهر جبلاً حقيقة فيه كنز من ذهب، ويحتمل أن يكون كنزاً سمي في هذه الرواية جبلاً لكثرة ما فيه من ذهب. وأخرج ابن ماجه في خروج المهدي (رقم: ٤١٣٥) عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقتل عند كنزكم ثلاثة، كلهم ابن خليفة، ثم لا تصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الزايات السود من قبل المشرق، فيقتلونكم قتلاً لم يُقتله قوم». ثم ذكر شيئاً لم أحفظه، فقال: فإذا رأيتموه فابعوه ولو حبواً على الثلج، فإنه خليفة الله المهدي» وقد ذكر البوصيري في زوائد ابن ماجه أن إسناده صحيح رجاله ثقات.

فهذا إن كان المراد بالكنز فيه الكنز الذي في حديث الباب، دل على أنه إنما يقع عند ظهور المهدي وذلك قبل نزول عيسى عليه السلام، وقبل خروج النار جزماً. أفاده الحافظ في الفتح (١٣: ٨١).

قوله: (فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون) وفي رواية أبي سلمة عند ابن ماجه (رقم: ٤٩٥): «فيقتل الناس عليه، فيقتل من كل عشرة تسعة» وهي رواية شاذة، والمحفوظ ما رواه المصنف رحمه الله، وسيأتي شاهده من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه. ولو صححت رواية ابن ماجه حملت على التقريب وإلغاء الكسر في نسبة المقتولين إلى العشرة، لأن تسعة وتسعين في مائة حينما تذكر بالنسبة إلى العشرة تكون تسعة وكسرة، والعرب من عادتهم إلغاء الكسر. وهذا الترجيح أولى عندي مما ذكره الحافظ من أنه يمكن الجمع باختلاف تقسيم الناس إلى قسمين.

قوله: (لعلِّي أكون أنا الذي أنجو) يعني: أنه يقتحم القتال مع ما يرى من شدته، لأنه يرجو أن يكون هو الناجي، فيفوز بالكنز دون غيره.

(١٠٠) - قوله: (إن رأيت فلا تقربته) وفي رواية حفص الآتية: «فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً» والسبب في منع الأخذ من هذا الكنز ما ينشأ عن أخذه من الفتنة والقتال كما تقدم في الرواية السابقة. وأغرب ابن التين وأبعد النجعة حيث قال: «إنما نهى عن الأخذ منه لأنه للمسلمين، فلا يؤخذ إلا بحقه»، قال: «ومن أخذه وكثر المال ندم لأخذه ما لا يتفقه». وإذا ظهر جبل من ذهب كسَدَ الذهب ولم يردّه وظاهر أنه لا حاجة إلى هذا التكلف بعد ما ثبت في

٧٢٠٢ - (٣٠) حَدَّثَنَا أَبُو مَسْعُودٍ، سَهْلُ بْنُ عُثْمَانَ، حَدَّثَنَا عُقْبَةُ بْنُ خَالِدٍ السَّكُونِيُّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ حَفْصِ بْنِ غَاصِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ كَثَرٍ مِنْ ذَهَبٍ. فَمَنْ حَضَرَهُ فَلَا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا».

٧٢٠٤ - (٣١) حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ عُثْمَانَ، حَدَّثَنَا عُقْبَةُ بْنُ خَالِدٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ فَمَنْ حَضَرَهُ فَلَا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا».

٧٢٠٥ - (٣٢) حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ، فَضِيلُ بْنُ حُسَيْنٍ وَأَبُو مَعْنٍ الرَّقَاشِيُّ (وَاللَّفْظُ لِأَبِي مَعْنٍ). قَالَ: حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ. حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدُ بْنُ جَعْفَرٍ. أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نُوفَلٍ. قَالَ: كُنْتُ وَاقِفًا مَعَ أَبِي بِنِ كَعْبٍ. فَقَالَ: لَا يَزَالُ النَّاسُ مُخْتَلِفَةً أَعْنَاقُهُمْ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا. قُلْتُ: أَجَلٌ. قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ. فَإِذَا سَمِعَ بِهِ النَّاسُ سَارُوا إِلَيْهِ. فَيَقُولُ مَنْ عِنْدَهُ: لَيْسَ تَرَكْنَا النَّاسَ يَأْخُذُونَ مِنْهُ لِيُذْهَبَ بِهِ كُلُّهُ. قَالَ فَيَقْتُلُونَ عَلَيْهِ. فَيَقْتُلُ، مِنْ كُلِّ مِائَةٍ، تِسْعَةً وَتِسْعُونَ».

الحديث نفسه أن هذا الكثر يبعث القتال والفتنة فيما بين المسلمين.

٣٠ - (١٠٠) - قوله: (عقبة بن خالد السكوني) بفتح السين وضم الكاف، نسبة إلى السَّكُونِ، وهو بطن من كندة، وينسبون إلى السَّكُونِ بن أشرس، كما في الأنساب للسمعاني (٧: ١٦٥)، وجمهرة أنساب العرب لابن الأثير (٤٠٣)، وعقبة بن خالد هذا من أهل الكوفة، وثقة أحمد بن حنبل وأبو حاتم. مات سنة ١٨٨ هـ كما في التهذيب (٧: ٢٤٠).

٣٢ - (٢٨٩٥) - قوله: (كنت واقفاً مع أبي بن كعب) هذا الحديث أخرجه المصنف فقط من بين الأئمة الستة، وأخرجه أحمد في مسنده (٥: ١٣٩).

قوله: (لا يزال الناس مختلفة أعناقهم) ذكر القاضي عياض أن المراد من الأعناق هنا الرؤساء، وقيل: الجماعات من قولهم: (جاءني عني من الناس) أي: جماعة. ويحتمل أن يكون المراد الأعناق حقيقة، وكفى باختلافها عن تطلع أعناق الرجال وتشوقها لحطام الدنيا. ولفظ رواية الصلت بن عبد الله عند أحمد: «ألا ترى الناس مختلفة أعناقهم في طلب الدنيا» وهو في التفسير الأخير أظهر.

قوله: (ليُذْهَبَ بِهِ كُلُّهُ) بضم الياء على البناء المجهول، و (كُنْه) مجرور على كونه تأكيداً للضمير المجرور قبله. يعني: أن الكثر كله يذهب به الآخرون.

قَالَ أَبُو كَامِلٍ فِي حَدِيثِهِ: قَالَ: وَقَفْتُ أَنَا وَأَبِيُّ بَنُ كَعْبٍ فِي ظِلِّ أُجْمٍ حَسَّانَ.
 ٧٢٠٦ - (٣٣) حَدَّثَنَا عُيَيْدُ بْنُ يَعْمَرَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، (وَاللَّفْظُ لِعُيَيْدٍ)، قَالَ:
 حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ بْنُ سُلَيْمَانَ، مَوْلَى خَالِدِ بْنِ خَالِدٍ. حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، عَنْ سَهْلِ بْنِ أَبِي
 صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَتَّعَ الْعِرَاقُ دِرْهَمَهَا
 وَفَقِيرَهَا».....

قوله: (في ظلِّ أجم حسان) بضم الهمزة والجيم بمعنى الحصن، وجمعه أجام. يعني: أن
 أبي بن كعب رضي الله عنه حدث بهذا الحديث حينما كنا واقفين في ظلِّ حصن حسان.

٣٣ - (٢٨٩٦) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه أبو داود في الخراج، باب
 في إيقاف أرض السواد وأرض العترة (٣٠٣٥)، وأخرجه أحمد في مسنده (٢: ٢٦٢).

قوله: (منعت العراق درهمها وقفيزها) الماضي ههنا بمعنى المستقبل لتحقيق وقوعه، يعني:
 سوف تمنع العراق درهمها وقفيزها. وقد اختلف العلماء في تفسير هذا الحديث على أقوال
 ثلاثة:

الأول: أنه إخبار بأن أهل العراق والشام ومصر سوف يقبلون الإسلام، فتسقط عنهم
 الجزية، والمراد من منع الدرهم والقفيز وغير ذلك إيقاف ما كانوا يؤدونه إلى المسلمين من
 الجزية قبل إسلامهم. وهذا التفسير فيه نظر، لأن أهل هذه البلاد لم يكونوا يؤدون الجزية إلى
 المسلمين قبل أن يفتحها المسلمون. وأما بعد ما افتتحت هذه البلاد، صار المسلمون هم ولاية
 هذه البلاد، فلا معنى لأداء هذه البلاد الجزية. نعم كان الكفار من ساكني هذه البلاد يؤدون
 الجزية إلى ولاية المسلمين، ولم يلبث أن جميعهم أسلموا حتى سقطت عنهم الجزية رأساً.

والثاني: أنه إخبار بأن الكفار الذين عليهم الجزية تقوى شوكتهم في آخر الزمان فيمتنعون
 مما كانوا يؤدونه من الجزية والخراج وغير ذلك. قال الخطابي في معالم السنن (٤: ٢٤٨):
 «ومعنى الحديث أن ذلك كائن، وأن هذه البلاد تفتح للمسلمين ويوضع عليها الخراج شيئاً مقدراً
 بالمكاييل والأوزان، وأنه سينع في آخر الزمان».

والثالث: أنه إخبار بأن الكفار يتسيطرون في آخر الزمان على معظم البلاد، فيمنعون
 مسلمي هذه البلاد من الحصول على ما يحتاجون إليه من الأموال. ويؤيده ما سيأتي في باب «لا
 تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل» إلخ من حديث جابر رضي الله عنه، قال: «يوشك أهل العراق
 أن لا يُجبي إليهم قفيز ولا درهم. قلنا: من أين ذلك؟ قال: من قبل العجم، يمنعون ذلك. ثم
 قال: يوشك أهل الشام أن لا يجبي إليهم دينار ولا مدي. قلنا: من أين ذلك؟ قال: من قبل
 الروم» والظاهر على هذا التفسير أن يكون حديث الباب بلفظ (مُنِعَتْ) بضم الميم وكسر النون
 على البناء المجهول، ولم أر ذلك مصرحاً في شيء من الروايات، والله أعلم.

وَمَنَعَتِ الشَّامُ مُذِيهَا وَدِيْنَارَهَا. وَمَنَعَتْ مِصْرُ إِدْبَهَا وَدِيْنَارَهَا. وَعَدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ. وَعَدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ. شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ لَحْمُ أَبِي هُرَيْرَةَ وَدَمُهُ.

(٩) - باب: في فتح قسطنطينية،

وخروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم

٧٢٠٧ - (٣٤) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ. حَدَّثَنَا مُعَلَّى بْنُ مَثُورٍ. حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ. حَدَّثَنَا سُهَيْلٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ، أَوْ بِدَابِقٍ».....

قوله: (منعت الشام مذيها) ذكر النووي أنه بضم الميم وسكون الدال على وزن (قفل) وقد ورد هكذا في سنن أبي داود وسنن البيهقي (٩: ١٣٧) وهو مكياك معروف لأهل الشام. قال العلماء: إنه يسع خمسة عشر مئوكاً، والمئوك صاع ونصف. وقد وقع في مسند أحمد (مذهبا) بضم الميم وتشديد الدال، وقد أقره أحمد محمد شاكر في نسخته (١٣: ٢٩١) (رقم: ٧٥٥٥) وهو مكياك أصغر من المئدي بكثير، لأنه إنما يسع رطلين فقط. ولا يبعد أن تكون نسخة المسند وقع فيها تصحيف، والله أعلم. وأما القفيز، فمكياك معروف لأهل العراق، وهو ثمانية مكاكيك. وأما الإردب، فبكسر الهمزة وسكون الراء وفتح الدال وتشديد الباء، مكياك لأهل مصر يسع أربعة وعشرين صاعاً.

قوله: (وعدتكم من حيث بدأتكم) هو في معنى الحديث المعروف: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ» وقد سبق شرحه في كتاب الإيمان، وحاصل معناه أن الإسلام بدأ في قلّة من العدد والعُدَد، وسيعود إلى تلك الحالة في آخر الزمان.

(٩) - باب: في فتح قسطنطينية، وخروج الدجال إلخ

٣٤ - (٢٨٩٧) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث مما تفرد بإخراجه المصنف من بين الأئمة الستة.

قوله: (حتى ينزل الروم بالأعماق) بفتح الهمزة، وهو اسم موضع. ذكر الطبري في شرحه للمشكاة (١٠: ٧٨) عن الثوري أن موضع من أطراف المدينة، وذكر النووي أنه موضع بقرب حلب، ويؤيده ما ذكره الحموي في معجم البلدان (١: ٢٢٢) أنها كورة قرب دابق بين حلب وأنطاكية.

قوله: (أو بدابق) بكسر الباء، وقيل بفتحها، وهو اسم موضع أيضاً، وفسره الثوري عن أنها دار نخلة، موضع سوق بالمدينة، ولا تساعد كتب أخرى. وذكر الحموي في معجم البلدان (٣: ٤١٦) أنها قرية قرب حلب من أعمال عزاز، بينها وبين حلب أربعة فراسخ، عندها

فَبَخْرُجْ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ. مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ بِؤَيْدٍ. فَإِذَا تَصَافَوْا قَالَتْ الرُّومُ خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْفَلِينَ سُبُوتًا وَمِنَّا نَقَاتِلُهُمْ. فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا. وَاللَّهِ، لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ

مَرْجٍ معشَّب نَزَه، كان ينزله بنو مروان إذا غزا الصائفة إلى ثغر مضيفة. وبه قبر سليمان بن عبد الملك بن مروان، وكان سليمان قد عسكر بدابق، وعزم أن لا يرجع حتى يفتح القسطنطينية أو تؤدى الجزية. ثم ذكر الحموي عن الجوهرى أن دابقاً: اسم بلد، والأغلب عليه التكدير والصرف، لأنه في الأصل اسم نهر، وقد يؤنث، وقد ذكره الشعراء، فذكر أحياناً.

قوله: (فيخرج إليهم جيش من المدينة) قال الأبي: «يحتمل أنها مدينته ﷺ، لأنها صارت كالعلم عليها. وسياق الحديث يدل أنها بالشام» وقال عليّ القاري رحمه الله في المرقاة (١٠): (١٤٦): «قال ابن الملك: قيل: المراد بها حلب، والأعماق ودابق موضعان بقربه. وقيل: المراد بها دمشق. وقال في الأزهار: وأما ما قيل من أن المراد بها مدينة النبي ﷺ فضعيف، لأن المراد بالجيش الخارج إلى الروم جيش المهديّ يدلّ على آخر الحديث، ولأن المدينة المنورة تكون خراباً في ذلك الوقت.

قال العبد الضعيف عفا الله عنه: «لعله يشير إلى ما رواه أبو داود (رقم: ٤٢٩٤) عن معاذ بن جبل ﷺ مرفوعاً: «عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح قسطنطينية، وفتح قسطنطينية خروج الدجال» لكن ليس في ذلك الحديث أنه ليس بين خراب يثرب وخروج الملحمة فصل، وقد تذكر الأشياء في أشراف الساعة وبينها فصل كبير، كما سيأتي عند الحاكم في المستدرک (٤: ٤٨٢): «فيخرج إليهم جلب من المدينة» بدل «جيش من المدينة» و (الجلب) ما جلب من بعيد، وهذا اللفظ أوفق بأن يكون الجيش جاء من بُعد، والله سبحانه أعلم.

قوله: (خلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْفَلِينَ سُبُوتًا) رواه بعضهم بفتح السين والياء على البناء للمعروف. ومرادهم أننا لا نريد أن نقاتل إلا الرجال الذين غزوا بلادنا وسبوا ذرارينا. وإنما يريدون بذلك مخالطة المسلمين ومخادعة بعضهم عن بعض، ويبغون به تفريق كلمتهم، فإنهم يظهرون الصداقة لمن لم يسب منهم أحداً.

ورواه الآخرون (سُبُوا) بضم السين والياء، على البناء للمجهول. ومعناه: أننا إنما نريد أن نقاتل الذين كانوا متاء، فسباهم المسلمون حتى أسلموا بعد إقامتهم بدار الإسلام، وجعلوا يقاتلوننا من هناك.

وصوّب القاضي رواية من رواه ببناء المعروف، لكن قال النووي رحمه الله: «قلت: كلاهما صواب، لأنهم سُبُوا أولاً، ثم سَبُوا الكفار. وهذا موجود في زماننا. بل معظم عساكر الإسلام في بلاد الشام ومصر سُبُوا، ثم هم اليوم بحمد الله يسبون الكفار، وقد سبوا في زماننا مراراً كثيرة، يسبون في المرة الواحدة من الكفار الوفاً».

وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا. فَيَقَاتِلُونَهُمْ. فَيَهْزِمُهُمُ ثَلَاثٌ لَا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا. وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ، أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ. وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ. لَا يُقْتَلُونَ أَبَدًا. فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةً. فَيَبْنِيانَهَا هُمُ

ثم قال التوربشني: «والأظهر أن هذا القول منهم يكون بعد الملحمة الكبرى التي تدور رحاها بين الفتن بعد المصالحة والمناجزة لقنال عدو يتوجه إلى المسلمين، وبعد غزوة الروم بهم».

قال العبد الضعيف عفا الله عنه: الملحمة الكبرى ما وقع إليه الإشارة في حديث معاذ الذي ذكرناه عن أبي داود. وأخرج الترمذي في الفتن (رقم: ٢٢٣٨) عنه مرفوعاً: «الملحمة العظمى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر» وأخرجه ابن ماجه في الملاحم (رقم: ٤١٤٤) وتفصيل هذه الملحمة ما أخرجه أبو داود في باب ما يذكر من ملاحم الروم (رقم: ٤٢٩٢) عن ذي مخبر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستصالحون الروم صلحاً آمناً، فتغزون أنتم وهم عدواً من ورائكم، فتصرون وتغنون وتسلمون، ثم ترجعون حتى تنزلوا بمرج ذي تلول، فيرفع رجل من أهل النصرانية الصليب، فيقول: غلب الصليب، فيغضب رجل من المسلمين فيدقه، فعند ذلك تغدر الروم وتجمع للملحمة» وزاد الوليد بن مسلم في روايته: «ويثور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتلون، فيكرم الله تلك العصابة بالشهادة» وأخرجه أحمد أيضاً في مسنده (٤: ٩١). وأخرجه الحاكم في المستدرک (٤: ٤٢١) بطريق منقطع فيه ضعف، وزاد فيه: «فيجتمعون للملحمة، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً»، وفسر البرزنجي في (الإشاعة لأشراط الساعة) (ص: ٩٩) الغاية بالراية.

قوله: (فَيَهْزِمُهُمُ ثَلَاثٌ لَا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا) يعني: أن ثلثاً من جماعة المسلمين ينهزمون أمام أهل الروم الكفار فلا يُلْهَمُونَ التوبة عن فرارهم من الزحف، ويموتون وفي صفيحة أعمالهم هذا الذنب. وقال علي القاري في المرقاة (١٠: ١٤٧): «كناية عن موتهم على الكفر وتعذيبهم على التأبید».

قوله: (لَا يُقْتَلُونَ أَبَدًا) بضم الياء على البناء للمجهول، يعني: أنهم لا يقعون في فتنه الكفر أبداً، وتحسن عاقبتهم.

قوله: (فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةً) بضم القاف وسكون السين وضم الطاء الأولى وكسر الثانية بينهما ياء، مدينة معروفة تسمى اليوم استانبول. وقد يستشكل هذا بأن قسطنطينية افتتحها السلطان المعروف محمد الفاتح من سلاطين آل عثمان في جمادى الأولى سنة ٨٥٧ هـ وهي بيد المسلمين منذ ذلك الوقت إلى اليوم، ولم يخرج الدجال بعد فتحها، مع أن ظاهر هذا الحديث أن الدجال يخرج فوراً ما يرجع المسلمون من فتح القسطنطينية إلى الشام. ويمكن الجواب عنه بطريقتين:

الأول: أن في هذا الحديث ما يدل على أن القسطنطينية سوف تصير إلى الكفار أو إلى

يَقْتَسِمُونَ الْفَنَائِمَ، قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ

عملانهم مرة أخرى، وذلك قبل خروج الدجال. فافتتحها المسلمون مرة أخرى. وإلى هذا السعنى أشار شيخ مشايخنا السهاري نفوري رحمه الله في بذل المجهود (١٧ : ٢٠٩) حيث قال: «والمراد بفتح القسطنطينية فتح المهدي إياها».

القاني: أن القسطنطينية كانت عاصمة لكفار الروم في زمن رسول الله ﷺ وفي زمن الصحابة رضي الله عنهم، فيحتمل أن يكون المراد من القسطنطينية في حديث الباب عاصمة كبيرة من عواصم بلاد الكفار، لا القسطنطينية بعينها التي سميت اليوم بإستانبول. ولذلك جاء ذكرها في بعض الروايات بلفظ المدينة فقط. ولم تذكر القسطنطينية، كما في رواية لأبي داود في باب تواتر الملاحم (رقم: ٤٢٩٦). والذي ينبغي أن يفهم ههنا أن الأحاديث الواردة في أشرطة الساعة إنما تبين أهم الوقائع التي أصبحت كإعلامات لقرب القيامة، وقد تذكر علامة من هذه العلامات إلى الأخرى بحيث يتوهم أنهما متصلتان زماناً، ولكن ربما يكون بينهما فصل كبير، ولا سيما نظراً إلى تصرفات الرواة عند روايتهم لها بالمعنى.

وإن ذلك مما أشار إليه الطيبي في شرح قوله عليه السلام: «عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح قسطنطينية خروج الدجال». قال الطيبي رحمه الله في شرحه للمشكاة (١٠ : ٨٢): «إنه ﷺ جعل الفتح علامة لخروج الدجال، لا أنها مستعقبه له من غير تراخ» وقال علي القاري في المرقاة (١٠ : ١٥٢): «قال الأشرف: لما كان بيت المقدس باستيلاء الكفار عليه وكثرة عمارتهم فيها أمانة مستعقبه بخراب يثرب، وهو أمانة مستعقبه بخروج الملحمة، وهو أمانة مستعقبه بفتح قسطنطينية، وهو أمانة مستعقبه بخروج الدجال، جعل النبي ﷺ كل واحد عين ما بعده وعبر به عنه، وخلصته أن كل واحد من هذه الأمور أمانة لوقوع ما بعده وإن وقع هناك مهلة».

ولذلك فلا ينبغي أن نجزم في حديث الباب بأن فتح القسطنطينية يقع بعد الملحمة الكبرى متصلاً، أو بأن خروج الدجال يقع بعد فتح القسطنطينية متصلاً، بل يمكن أن يكون بينهما فصل سنوات، أو قرون. أما ما أخرجه أبو داود (رقم: ٤٢٩٥) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعاً: «الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر» ففي إسناده أبو بكر بن أبي مريم الغساني، ولا يحتاج بحديثه، كما في تلخيص المنذري. وقد ذكر أبو داود رحمه الله أن الأصح منه حديث عبد الله بن بسر رفعه: «بين الملحمة وفتح المدينة ست سنين»، ويخرج المسيح الدجال في السابعة» ولكن ثبت المنذري في التلخيص (٦ : ١٦٥) على أن في إسناده بقة بن الوليد، وفيه مقال، قلت: وهو مدس قد عنعه. فلا ينبغي أن يجزم بمدة من هذه المدد.

قوله: (إن المسيح قد خلفكم) إلخ: المراد من المسيح هنا الدجال. سمي بذلك لكونه ممسوح العين اليسرى.

خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ. فَبَحْرُجُونَ. وَذَلِكَ بَاطِلٌ. فَإِذَا جَاءُوا الشَّامَ خَرَجَ. فَيَسْنَمَا هُمْ يُعَذِّدُونَ لِلْقِتَالِ، يُسَوِّرُونَ الصُّفُوفَ، إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ. فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ (ﷺ)، فَأَمَّهُمْ. فَإِذَا رَأَوْا عَدُوَّ اللَّهِ، ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ. فَلَوْ تَرَكَهُ لَأَنْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ. وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ. فَيَرْبِهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبِيهِ.

قوله: (وذلك باطل) يعني: أن خبر خروج الدجال باطل.

قوله: (إِذَا جَاءُوا الشَّامَ خَرَجَ) يحتمل أن يكون مجيئهم إلى الشام وخروج الدجال متصلاً بفتح القسطنطينية، ويحتمل أن يكون ذلك بعد الفتح بكثير، كما حققناه آنفاً، فلا يجوز بأحد الاحتمالين، وإن كان الظاهر هو الأول.

قوله: (يُعَذِّدُونَ لِلْقِتَالِ) أي: يتأهبون لقتال الدجال.

قوله: (فَلَوْ تَرَكَهُ لَأَنْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ) إلخ: يعني: أنه كان من الممكن أن يهلك الدجال من غير أن يقتله عيسى عليه السلام لكونه ينداب أمامه كما ينداب الملح في الماء، ولكن أراد الله أن يقتله بيد عيسى عليه السلام.

قوله: (فَيَرْبِهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبِيهِ) يعني: أن عيسى عليه السلام يُرِي دَمَ الدجال في حربته.

وقال ابن الملك في مبادئ الأزهار (١: ٢٣٠): «فإن قلت: قد صحَّ أن النبي ﷺ قال في صفة عيسى عليه السلام: (لا يحل لكافر يجد ریح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه) فكيف يبقى الدجال حياً حين يراه عيسى عليه السلام، حتى يقتله، قلت: يجوز أن يكون الدجال مستثنى عن الحكم المذكور لحكمة، وهي إراءة دمه في الحرية ليزداد كونه ساحراً في قلوب المؤمنين. أو نقول: يحتمل أن هذه الكرامة تكون ثابتة لعيسى عليه السلام أول نزوله، ثم تكون زائلة حين يرى الدجال، ودوام الكرامة ليس بلازم. وكان شيعي والذي تغمده الله بغفرانه يقول وجهاً آخر. وهو أن نفس عيسى عليه السلام الذي يموت به الكافر يحتمل أن يكون هو النفس المقصود به إهلاك كافر، لا النفس المعتاد، فعدم موت الدجال يكون لعدم النفس القصدي».

قال العبد الضعيف عفا الله عنه: كل ما ذكره ابن الملك محتمل، وكذلك يحتمل أن يكون هلاك الكفار بأنفس عيسى عليه السلام استعارة لسرعة إبادته لهم، فلا يقع الإشكال أصلاً. أما في حق الدجال، فإن الحديث نفسه يبين السبب في كونه لم يهلك بذوبانه أمام المسيح عليه السلام، وذلك أن الله تعالى أراد أن يُقْتَلَ الدجال بيد عيسى عليه السلام، ليرى الناس دمه على حربته.

(١٠) - باب: تقوم الساعة والروم أكثر الناس

٧٢٠٨ - (٣٥) حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبٍ بْنُ اللَّيْثِ. حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ. أَخْبَرَنِي اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ. حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ الْمُسْتَوْدُ الْقُرَشِيُّ، عِنْدَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ». فَقَالَ لَهُ عَمْرُو: أَبْصِرْ مَا تَقُولُ. قَالَ: أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: لَيْتَ قُلْتُ ذَلِكَ، إِنْ فِيهِمْ لَخِصَالٌ أَرْبَعًا: إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ. وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ. وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ. وَخَيْرُهُمْ لِمُسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ.....

(١٠) - باب: تقوم الساعة والروم أكثر الناس

٣٥ - (٢٨٩٨) - قوله: (حدثني موسى بن علي عن أبيه) المشهور فيه أنه موسى بن علي، يضم العين مصغراً، وذكر الترمذي وابن سعد أن أهل العراق يسمونه بضم العين مصغراً، وأهل مصر يفتح العين بدون تصغير. وهو من ثقات أهل مصر، وثقه أحمد والعجلي والنسائي. ولد بإفريقيا سنة ٩٠هـ ومات بالإسكندرية سنة ١٦٣هـ، وروي عن ابن معين أنه قال فيه: ليس بالقوي. وقال ابن عبد البر: ما انفرد به فليس بالقوي. كذا في التهذيب (١٠: ٣٦٢).

وأبوه علي بن رباح ثقة أيضاً، وأغزاه عبد العزيز إفريقيًا، فلم يزل بها حتى مات. وإنما وقع الاختلاف في ضبط اسمه بسبب ذكره المقري، وهو أن بني أمية إذا سمعوا يمولود اسمه عليّ قتلوه، فبلغ ذلك رباحاً، فقال: هو عليّ (بضم الميم) ذكره الحافظ في التهذيب (٧: ٣١٩). وقد روى الترمذي عن موسى بن علي أنه كان يتخرج من تصغير اسم أبيه.

قوله: (قال المستورد القرشي) هو المستورد بن شداد الفهري رحمه الله، وقد مر ترجمته في باب الحوض من كتاب الفضائل، وفي باب فناء الدنيا من كتاب صفة الجنة والنار. وحديثه هذا من أفراد مسلم، وأخرجه أحمد في مسنده (٤: ٢٣٠).

قوله: (والروم أكثر الناس) لعل المراد من الروم النصارى، لأن أهل الروم كانوا يومئذ نصارى، وقد تحقق ذلك باتساع دينهم في الآفاق، ويكثرون بقرب من القيامة.

قوله: (أبصر ما تقول) كأنه نبه المستورد رحمه الله ليثبت في نقل الحديث.

قوله: (إن فيهم لخصالاً أربعاً) قال الأبي: «هو مدح لتلك الأوصاف، لا أنها مدح لهم من حيث انصافهم بها، ويحتمل أنه إنما ذكرها من حيث إنها سبب كثرتهم».

قلت: ويستنبط منه أنه لا بأس بمدح الأوصاف الحسنة وإن وجدت في الكفار، وبحسن ذكرها على سبيل الاعتبار، ولحضر المسلمين على الأخذ بها، فإنهم أحق بها وأهلها. والنحو ضالة.

قوله: (وأوشكهم كَرَّةً بعد فَرَّةٍ) أي: أسرعهم وهو اسم تفضيل من وَشَكَ، بوزن كَرُم،

وْخَامِيسَةَ حَسَنَةً جَمِيلَةً: وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ.

٧٢٠٩ - (٣٦) حَدَّثَنِي حَزْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى الثَّجِيبِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنِي أَبُو سُرَيْجٍ، أَنَّ عَبْدَ الْكَرِيمِ بْنَ الْحَارِثِ حَدَّثَهُ؛ أَنَّ الْمُسْتَوْدَ الْقُرَشِيَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ». قَالَ: قَبْلَ ذَلِكَ عَمَرُو بْنُ الْعَاصِ فَقَالَ: مَا هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الَّتِي تُذَكِّرُ عَنْكَ أَنَّكَ تَقُولُهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ لَهُ الْمُسْتَوْدُ: قُلْتُ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: فَقَالَ عَمَرُو: لَيْنَ قُلْتَ ذَلِكَ، إِنَّهُمْ لَأَخْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ. وَأَجْبَزُ النَّاسِ عِنْدَ مُصِيبَةٍ. وَخَيْرُ النَّاسِ لِمَسَاكِينِهِمْ وَضَعْفَائِهِمْ.

بمعنى: أسرع، والكرّة بعد الفترة: رجوع الجيش وصولته بعد انهزامه وفراره، يعني: أنهم يُسرعون في الهجوم بعد فرارهم.

قوله: (وْخَامِيسَةَ حَسَنَةً جَمِيلَةً) كأنه تذكر صفة خامسة بعد ما عدّ الأربعة، فذكرها وإنّما وصف هذه الخصلة بكونها حسنة جميلة، مع أن ما سبق كان حسناً أيضاً، لأنها في نظره أحسن الجميع، والمراد أنها حسنة أيضاً.

قوله: (وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ) لعل المراد أنهم يمتنعون الملوك من الظلم، أو أنهم يحمون الناس من ظلم الملوك. وأخرجه أحمد في مسنده، فلم يذكر (وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة) وجعل الخامسة رابعة.

وقال القرطبي رحمه الله: «هذه الخلال الأربع الحميدة لعلها كانت في الروم التي أدرك. وأما اليوم فهم أنحس الخليفة وعلى الضد من تلك الأوصاف».

٣٦ - (٥٠٠) - قوله: (أَنَّ عَبْدَ الْكَرِيمِ بْنَ الْحَارِثِ حَدَّثَهُ) إلخ: ذكر النووي أن هذا الحديث مما استدركه الدارقطني على مسلم لأن عبد الكريم لم يدرك المستورد ﷺ، فالحديث مرسل. ولكن تعقبه النووي بأن هذا الطريق لم يذكره المصنف إلا متابعة، وإن طريق موسى بن علي الذي ذكره قبل هذا متصل، والحديث المرسل إذا روي من طريق آخر متصل فهو صحيح عند من لا يقبل المراسيل أيضاً.

قوله: (وَأَجْبَزُ النَّاسِ عِنْدَ مُصِيبَةٍ) أي: أنهم يجبرون ما أصابهم من نقص عند مصيبة ويتلافون ذلك. ورواه بعضهم (أصبر الناس)، وبعضهم (أخبر الناس) بمعنى: أنهم أخبر بعلاج المصيبة.

(١١) - باب: إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال

٧٢١٠ - (٣٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ. كِلَاهُمَا عَنْ ابْنِ عُلَيَّةَ، (وَاللَّفْظُ لَابْنِ حُجْرٍ)، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْعَدَوِيِّ، عَنْ يُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بِالْكُوفَةِ. فَجَاءَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ هَجِيرَى إِلَّا: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ، جَاءَتِ السَّاعَةُ. قَالَ: فَقَعَدَ وَكَانَ مُتَكِنًا. فَقَالَ: إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ، حَتَّى لَا يُقَسَمَ مِيرَاثٌ، وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ. ثُمَّ قَالَ يَبْدُو هَكَذَا - (وَنَحَاهَا نَحْوَ الشَّامِ) - فَقَالَ: عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ وَيَجْمَعُ نُهُمُ أَهْلُ الْإِسْلَامِ. قُلْتُ: الرُّومُ تَغْنِي؟ قَالَ: نَعَمْ. وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمُ الْقِتَالِ رَدَّةً شَدِيدَةً. فَيُشْطَرَطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ

(١١) - باب: إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال

٣٧ - (٢٨٩٩) - قوله: (عن يُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ) بضم الياء الأولى مصغراً، ويقال له: أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ أيضاً. ويقال: إنه أدرك زمن النبي ﷺ، وله رؤية، وذكره العجلي من ثقات أصحاب عبد الله بن مسعود ﷺ. مات سنة ٨٥هـ، وحديثه هذا لم يخرج له أحد من الأئمة الستة إلا المصنف رحمه الله، وأخرجه أحمد في مسنده (١: ٣٨٤ و ٤٣٥). وأبو داود الطيالسي، كما في منحة المعبود (٢: ٢١٣).

قوله: (ليس له هَجِيرَى) يكسر الهاء وتشديد الجيم المكسورة، وفي آخرها ألف مقصورة، وهو في اللغة: العادة والدأب والديدن. وقد يطلق هذا اللفظ على من يعتاد تكرير لفظ في أثناء كلامه، سواء كان ذلك اللفظ في محله أو في غيره محله، ويقال له بالأردية: «تكيه كلام». والمراد أن هذا الرجل كلما رأى شيئاً استغربه جاء إلى عبد الله بن مسعود وقال له: يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة! فلما رأى الريح الحمراء تهيج، زعم أن القيامة جاءت، فأتى عبد الله بن مسعود وأخبره بزعمه.

قوله: (حتى لا يُقَسَمَ مِيرَاثٌ وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ) يعني: أن القيامة إنما تأتي بعد ما يقع قتال شديد يكثر فيه القتلى بحيث لا يكون لمورث من يرث ماله، ولا يفرح المنتصرون بما غنموا من الأموال، لأن حزنهم على قتلهم أشد من ذلك.

قوله: (يجمعون لأهل الإسلام) يعني: يجمعون عسكرياً لقتال أهل الإسلام.

قوله: (ردّة شديدة) بفتح الراء، أي: عطفة قوية، أو صولة شديدة، كما في النهاية.

قوله: (فيشترط المسلمون شرطة) إلخ: بضم الشين، طائفة من الجيش تتقدم للقتال، والمراد من اشتراطها للموت أنهم يعزمون على أن هذه الطائفة لا ترجع إلا غالبية، فإذا أن انتصر على عدوها، أو تموت.

لَا تَرْجِعْ إِلَّا غَالِبَةً. فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ. فَيَقِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ. كُلُّ غَيْرِ غَالِبٍ. وَتَقْنَى الشَّرْطَةُ. ثُمَّ يَشْطَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ. لَا تَرْجِعْ إِلَّا غَالِبَةً. فَيَقْتَتِلُونَ. حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ. فَيَقِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ. كُلُّ غَيْرِ غَالِبٍ. وَتَقْنَى الشَّرْطَةُ. ثُمَّ يَشْطَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ. لَا تَرْجِعْ إِلَّا غَالِبَةً. فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يُمْسُوا. فَيَقِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ. كُلُّ غَيْرِ غَالِبٍ. وَتَقْنَى الشَّرْطَةُ. فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ، نَهَدَ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ. فَيَجْعَلُ اللَّهُ الدَّبْرَةَ عَلَيْهِمْ. فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً. إِمَّا قَالَ: لَا يَرَى مِثْلَهَا، وَإِمَّا قَالَ: لَمْ يَرِ مِثْلَهَا. حَتَّى إِنَّ الظَّائِرَ لَيَمُرَّ بِجَنَابَتِهِمْ، فَمَا يُخْلَقُهُمْ حَتَّى يَخْرُ مَيْتًا. فَيَتَعَادَى بَنُو الْأَبِ، كَانُوا مِائَةً. فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيٍّ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدَ. فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ؟ أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ؟ فَيَبْنِيانِ هُمُ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِتَأْسٍ، هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ.

قوله: (فَيَقِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ) يعني: يرجع كل من الفريقين إلى معسكرهم.

قوله: (كُلُّ غَيْرِ غَالِبٍ) استشكل هذا القول بإزاء ما سيأتي من قوله (وتقنى الشرطة)، لأن الشرطة إذا فُتيت صارت مغلوبة، والأخرى غالبة. والجواب عنه بأن عدم الغلبة إنما هو بالنسبة إلى العسكرين جميعاً. وإن هلاك الشرطة لا يستلزم كون العسكر كله مغلوباً.

قوله: (نَهَدَ إِلَيْهِمْ) أي: نهض وتقدم. والنهوض في الأصل: الارتفاع، ومنه نهوض الثديين.

قوله: (فَيَجْعَلُ اللَّهُ الدَّبْرَةَ عَلَيْهِمْ)، الدبرة: بفتح الدال وسكون الباء، هي الدولة تدور على الأعداء، وهي الهزيمة. ورواه بعضهم (الدائرة) ومعناه قريب من الأول.

قوله: (حَتَّى إِنَّ الظَّائِرَ لَيَمُرَّ بِجَنَابَتِهِمْ) إلخ: الجنبات، بفتح الجيم والتون: النواحي. وقوله (يُخْلَقُهُمْ) من باب التفعيل، معناه: يجعلهم خلفه، أي: يجاوزهم. والمراد أنه يكثر القتلى، وتكون نعوشهم مبنوثة إلى مسافة بعيدة جداً، بحيث لو أراد طائر أن يطير في سائر نواحيهم، فإنه لا يستطيع ذلك في طيرانه الواحد. ولو فعل ذلك خَرَّ مَيْتًا. وذلك لكون الحرب تجاوزت إلى مسافة بعيدة متراعية الأطراف، أو لعدم تحمله للثقل.

قوله: (فَيَتَعَادَى بَنُو الْأَبِ) يعني: أن جماعة من الذين حضروا القتال وكانوا أبناء لأب واحد أو جد واحد يريدون أن يعدوا أنفسهم، فلا يجدون من بقي منهم إلا واحداً في مائة، ويجدون باقية مقتولين.

قوله: (فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيٍّ مِنْهُمْ) قال علي القاري في المرقاة (١٠: ١٥٠): «الضمير المنصوب لمائة، بتأويل المعدود أو العدد، أي: فلا يجدون عددهم... وقيل: إن بني الأب بمعنى القوم، والقوم مفرد اللفظ جمع المعنى».

قوله: (سَمِعُوا بِتَأْسٍ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ) التأس هنا بمعنى الفتنة والمصيبة، يعني: أنهم

فَجَاءَهُمُ الصَّرِيحُ؛ إِنَّ الدَّجَالَ قَدْ خَلَقَهُمْ فِي ذُرَارِيهِمْ. فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ. وَيُقْبِلُونَ قَبِيضَتَيْنِ عَشْرَةَ فَوَارِسَ طَلِيْعَةً. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَأُحَرِّفُ أَسْمَاءَهُمْ، وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ، وَأَلْوَانَ خِيُولِهِمْ. هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ. أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ».

قَالَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي رَوَاتِهِ: عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ،

٧٢١١ - (١٠٠) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُثَيْبٍ النَّخَعِيُّ، حَدَّثَنَا حَسَّاءُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ يُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ مَسْعُودٍ فَهَبْتُ رِيحَ حَمْرَاءَ. وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِنَحْوِهِ. وَحَدَّثْتُ ابْنَ عُثَيْبٍ أَنَّهُ وَأَشْبَعُ.

٧٢١٢ - (١٠٠) وَحَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ قَرُوحٍ، حَدَّثَنَا سُتَيْمَانُ (يَعْنِي ابْنَ الْمُغِيرَةِ). حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ (يَعْنِي ابْنَ هِلَالٍ) عَنْ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ، قَالَ: كُنْتُ فِي بَيْتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ. وَالتَّبَيُّتُ مَلَأَنَ. قَالَ: فَهَاجَتْ رِيحُ حَمْرَاءَ بِالْكَوْفَةِ. فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ ابْنِ عُثَيْبٍ.

(١٢) - بَاب: مَا يَكُونُ مِنْ فَتَوَحَاتِ الْمُسْلِمِينَ قَبْلَ الدَّجَالِ

٧٢١٣ - (٣٨) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، عَنْ نَافِعِ بْنِ عُثْبَةَ. قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ. قَالَ: قَاتُوا

يَسْمَعُونَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ أَنَّهُ نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ مَصِيبَةٌ أَكْثَرُ مِمَّا فَرَّغُوا مِنْهَا، وَهِيَ مَصِيبَةُ خُرُوجِ الدَّجَالِ.

قوله: (فَجَاءَهُمُ الصَّرِيحُ) فعيل من الصَّرَاح، وهو الصوت، أي: صوت المستصرخ وهو المستغيث.

قوله: (فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ) أي: فيتركون ويلقون ما في أيديهم من مال الغنيمة فرعاً على الأهل والعيال.

قوله: (عَشْرَةَ فَوَارِسَ طَلِيْعَةً) الفوارس جمع فارس، أي: راكب، والطليلة: من يُبعث ليطلع على حال العدو كالجاسوس، فعليه بمعنى فاعلة، يستوي فيه الواحد والجمع.

(١٢) - بَاب: مَا يَكُونُ مِنْ فَتَوَحَاتِ الْمُسْلِمِينَ قَبْلَ الدَّجَالِ

٣٨ - (٢٩٠٠) - قوله: (عن نافع بن عتبة) وهو ابن خال جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أسلم يوم

النَّبِيِّ ﷺ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ. عَلَيْهِمْ يَتَابُ الصُّوفِ. فَوَافَقُوهُ عِنْدَ أَكْمَةِ. فَإِنَّهُمْ لَقِيَاءُ
وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدٌ. قَالَ فَقَالَتْ لِي نَفْسِي: انْتَهَمَ فَقَمَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ. لَا يَغْتَالُونَهُ. قَالَ:
ثُمَّ قُلْتُ: لَعَلَّهُ نَجَّى مَعَهُمْ. فَأَتَيْتُهُمْ فَقَمْتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ. قَالَ فَحَفِظْتُ مِنْهُ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ.
أَعَدُّهُمْ فِي يَدِي. قَالَ: «تَغْرُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ، فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ. ثُمَّ فَارِسَ، فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ. ثُمَّ
تَغْرُونَ الرُّومَ، فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ. ثُمَّ تَغْرُونَ الدَّجَالَ، فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ».

قَالَ: فَقَالَ نَافِعٌ: يَا جَابِرُ، لَا تَرَى الدَّجَالَ يَخْرُجُ حَتَّى تُفْتَحَ الرُّومُ.

الفتح، وهو أخو هاشم المر، ومات أبوهما، وهو عتبة بن أبي وقاص كافرًا قبل الفتح، كما في
التهذيب (١٠: ٤٠٨).

وحديثه هذا أخرجه أيضاً ابن ماجه في الفتن، باب الملاحم (٤١٤٣)، وأحمد في مسنده
(٣٣٧: ٤).

قوله: (فوافقوه عند أكمة) يعني: وصلوا إلى رسول الله ﷺ بقرب من الأكمة، والأكمة
الثل الصغير.

قوله: (انتهم فقم بينهم وبينه لا يغتالونه) هذا خطاب منه لنفسه، يعني: قلت في نفسي إنه
ينبغي لي أن أذهب إليهم، فأقوم بينهم وبين رسول الله ﷺ، لأنهم أجنب، ولا يبعد منهم أن
يكونوا أرادوا سوءاً، فيغتالوا النبي ﷺ، أي: يقتلوه غيلة وخداعاً.

قوله: (لعله نجي معهم) أي: ينجيهم، والنجي من ينجيه أحد، أو من ينجي غيره.
والمراد أنه خطر بيالي أنه يمكن أن يكون رسول الله ﷺ ينجيهم وينحذث معهم.

قوله: (فقمتم بينهم وبينه) كأنه احتاط فقام بينهم وبين رسول الله ﷺ ليستطيع أن يدافع عنه
على احتمال اغتيالهم، وتبين له أنه إذا كان رسول الله ﷺ يسر إليهم شيئاً لا يحب أن يظهره على
غيرهم فإنه يمنعه عن القيام هناك، فلما لم يمنعه ظهر أن الأمر ليس سراً.

قوله: (تغزون جزيرة العرب) الخطاب للمسلمين من حيث كونهم أمة، وليس للحاضرين
فقط. والحاصل أن جزيرة العرب كلها ستفتح للمسلمين، ووقع الأمر كما أخبر النبي ﷺ.
وكذلك الأمران المذكوران بعده، حيث افتتح فارس والشام زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وبقية
بلاد الروم بعده. أما الأمر الرابع، فمستظر بعد.

(١٣) - باب: في الآيات التي تكون قبل الساعة

٧٢١٤ - (٣٩) حَدَّثَنَا أَبُو عَيْثُمَةَ، زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَإِبْنُ أَبِي عُمَرَ الْمَكِّيُّ - وَاللَّفْظُ لِرُحَيْبٍ - (قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا. وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا) سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ قُرَاتِ بْنِ الْقَرَّازِ، عَنْ أَبِي الطَّفِيلِ، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ قَالَ: أَظْلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ. فَقَالَ: «مَا تَذَكَّرُونَ؟» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ. قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ». فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالذُّجَالَ، وَالذَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ. وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خُسْفٍ بِالْمَشْرِقِ، وَخُسْفٍ بِالْمَغْرِبِ، وَخُسْفٍ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ. وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ.

(١٣) - باب: في الآيات التي تكون قبل الساعة

٣٩ - (٢٩٠١) - قوله: (عن حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ) بفتح الهمزة وكسر السين، كنيته أبو سَريجة، بوزن عجيبة، صحابي شهد الحديبية، وذكر فيمن بايع تحت الشجرة. ثم نزل الكوفة، توفي سنة ٤٢ هـ فصلّى عليه زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في الإصابة (١: ٣٠٦). وحديثه هذا أخرجه أيضاً أبو داود في الملاحم، باب أمارات الساعة (٤٣١١)، والترمذي في الفتن، باب ما جاء في الخسف (٢١٨٣)، وابن ماجه في الفتن، باب أشراط الساعة (٤٠٩٠).

قوله: (فذكر الدخان) وهو الدخان المذكور في قوله تعالى: ﴿فَارْقُبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ دُخَانًا مُبِينًا﴾ على القول الأصح. وقد مرّ تحقيق ذلك مبسوطاً في كتاب صفة القيامة، باب الدخان؛ والحمد لله، وأن هذا الدخان يضرّ الكفار وأما المسلمون فيصيبهم منه كهيئة الزكام. قوله: (والذّابة) أي: دابة الأرض المذكورة في قوله تعالى: ﴿أَفَرِحْنَا لَكُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ (النمل: ٨٢).

قوله: (وطلوع الشمس من مغربها) إن الأشياء العشرة معدودة هنا بدون نظر إلى الترتيب، ولذلك ذكر طلوع الشمس من مغربها قبل نزول عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج. ودلت الأحاديث الأخرى على أن طلوع الشمس من مغربها إنما سيكون قبيل نفخة الصور، وحينئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل. وراجع مرقاة المفاتيح (١٠: ١٨٥).

قوله: (وثلاثة خسوف) قال ابن الملك: «قد وجد الخسف في مواضع، لكن يحتمل أن يكون المراد بالخسوف الثلاثة قدراً زائداً على ما وجد، كأن يكون أعظم مكاناً وقدراً» كذا في المرقاة.

قوله: (وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم) هذه النار غير النار التي

٧٢١٥ - (٤٠) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ . حَدَّثَنَا أَبِي . حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ قُرَاتِ الْقُرَّازِ ، عَنْ أَبِي الطَّفِيلِ ، عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ ، حَدَّثَنَا بَنُ أَبِي سَيْدٍ . قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي غُرْفَةٍ وَتَحَنُّ أَسْفَلَ مِنْهُ . فَأُطْلِعَ إِلَيْنَا فَقَالَ : «مَا تَذْكُرُونَ؟» قُلْنَا : السَّاعَةُ . قَالَ : «إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ : خُسْفٌ بِالشَّرْقِ ، وَخُسْفٌ بِالشَّرْقِ ، وَخُسْفٌ بِالشَّرْقِ ، وَخُسْفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَالذُّخَانُ ، وَالذُّجَالُ ، وَذَابَةُ الْأَرْضِ ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدْنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ» .

قَالَ شُعْبَةُ : وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ رُفَيْعٍ ، عَنْ أَبِي الطَّفِيلِ ، عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ ، مِثْلَ ذَلِكَ . لَا يَذْكُرُ النَّبِيُّ ﷺ . وَقَالَ أَحَدُهُمَا ، فِي الْعَاشِرَةِ : نُزُولُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ﷺ . وَقَالَ الْآخَرُ : وَرِيحٌ تُلْقِي النَّاسَ فِي الْبَحْرِ .

سَيَاتِي ذَكَرَهَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، فَإِنَّهَا تَخْرُجُ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ وَتَضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى . وَسَيَاتِي الْكَلَامِ عَلَيْهَا هُنَاكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . أَمَا النَّارُ الْمَذْكُورَةُ هُنَا ، فَتَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ ، وَوَقَعَ فِي الرَّوَايَةِ الْآتِيَةِ أَنَّهَا تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدْنٍ ، وَوَقَعَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ عِنْدَ أَحْمَدَ وَأَبِي يَعْلَى مَرْفُوعاً : «تَخْرُجُ نَارٌ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ حَضَرِ مَوْتٍ ، فَتَسُوقُ النَّاسَ» .

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ : «تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مُحْشَرِهِمْ» فَالْمُرَادُ مِنْهُ أَنَّ النَّاسَ يَخْرُجُونَ مِنْ بَيْوتِهِمْ فَرَاراً مِنْهَا وَهَجْرَةً إِلَى مَوَاضِعَ أُخْرَى ، وَالْمُرَادُ مِنَ الْمُحْشَرِ أَرْضٌ يَجْتَمِعُ فِيهَا مُعْظَمُهُمْ بَعْدَ الْقَرَارِ مِنْهَا . وَحَمَلُ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ هَذَا الْحَدِيثَ عَلَى الْمَجَازِ ، فَقَالُوا : هُوَ كُنَايَةٌ عَنِ الْفِتْنَةِ الشَّدِيدَةِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ مُبَسَّطاً فِي كِتَابِ صِفَةِ الْجَنَّةِ ، بَابِ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَبَيَانِ الْحَشْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، تَحْتَ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ : «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ . . .» وَفِيهِ : «وَتُحْشَرُ بِقِيَّتِهِمُ النَّارُ ، تَبَيَّتْ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا ، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا» .

٤٠ - (٥٠٠) - قَوْلُهُ : (مِنْ قَعْرِ عَدْنٍ) إِنْخ : كَذَا وَقَعَ فِي بَعْضِ النُّسخِ بِنَاءُ التَّائِيثِ ، وَهُوَ بِضَمِّ الْقَافِ وَسُكُونِ الْعَيْنِ ، وَهِيَ الْوَهْدَةُ ، وَقَعَ فِي أَكْثَرِ النُّسخِ (قَعْرٌ) بِفَتْحِ الْقَافِ ، وَبِدُونِ تَاءِ التَّائِيثِ ، وَيَبْدُو أَنَّهُ هُوَ الصَّحِيحُ ، وَمِثْلُهُ وَقَعَ فِي سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ ، وَأَبِي دَاوُدَ ، وَابْنِ مَاجَةَ أَيْضاً . وَقَعَرُ كُلِّ شَيْءٍ : أَقْصَاهُ ، أَيْ : مِنْ أَقْصَى عَدْنٍ .

قَوْلُهُ : (تَرْحَلُ النَّاسُ) ضَبَطَهُ أَكْثَرُ الشُّرَاحِ بِفَتْحِ التَّاءِ وَسُكُونِ الرَّاءِ ، مِنْ بَابِ فَتَحٍ . يَعْنِي : تَأْخُذُهُمُ بِالرَّحِيلِ وَتَزْعَجُهُمْ عَنْ مَكَانِهِمْ وَتَجْعَلُهُمْ يَرْحَلُونَ . وَضَبَطَهُ الْبَعْضُ (تُرْحَلُ) بِضَمِّ التَّاءِ وَتَشْدِيدِ الْحَاءِ ، مِنْ بَابِ التَّضْعِيلِ ، وَهُوَ أَوْضَحُ .

قَوْلُهُ : (وَرِيحٌ تُلْقِي النَّاسَ فِي الْبَحْرِ) يَعْنِي : تَهْبٌ رِيحٌ شَدِيدَةٌ فَتُلْقِي النَّاسَ فِي الْبَحْرِ . فَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ عَلَامَةً مُسْتَقَلَّةً ، وَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ مُصْحُوبَةً بِالنَّارِ الَّتِي سَبَقَ ذِكْرَهَا . وَإِلَى الثَّانِي مَالِ الشَّيْخِ عَلِيِّ الْقَارِي فِي الْمَرْقَاةِ .

٧٢١٦ - (٤١) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ. حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، (يَعْنِي ابْنَ جَعْفَرٍ)، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قُرَّاتٍ. قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الطُّفَيْلِ يُحَدِّثُ، عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ. قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي غُرْفَةٍ. وَنَحْنُ تَحْتَهَا نَتَحَدَّثُ. وَسَاقَ الْحَدِيثَ. بِإِسْنِهِ.

قَالَ شُعْبَةُ: وَأَخْبِيئُهُ قَالَ: تَنَزَّلُ مَعَهُمْ إِذَا نَزَلُوا. وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا.

قَالَ شُعْبَةُ: وَحَدَّثَنِي رَجُلٌ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ. وَلَمْ يَرْفَعَهُ. قَالَ: أَحَدُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ: نُزُولُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ. وَقَالَ الْآخَرُ: رِيحٌ تَلْقِيهِمْ فِي الْبَحْرِ.

٧٢١٧ - (٤٠٠) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى. حَدَّثَنَا أَبُو التَّعَمَّانِ، الْحَكَمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَجَلِيُّ. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قُرَّاتٍ. قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الطُّفَيْلِ يُحَدِّثُ، عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ قَالَ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ. فَأَشْرَفَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. يَنْحُو حَدِيثَ مُعَاذٍ وَابْنَ جَعْفَرٍ.

وَقَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى: حَدَّثَنَا أَبُو التَّعَمَّانِ، الْحَكَمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ رُقَيْعٍ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ. يَنْحُوهُ. قَالَ: وَالْعَاشِرَةُ نُزُولُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ.

قَالَ شُعْبَةُ: وَلَمْ يَرْفَعَهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ.

(١٤) - باب: لا تقوم الساعة

حتى تخرج نار من أرض الحجاز

٧٢١٨ - (٤٢) حَدَّثَنِي حَرَمَلَةُ بْنُ يَحْيَى. أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ. أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ. أَخْبَرَنِي ابْنُ الْمُسَيَّبِ؛ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ. ح. وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبٍ بْنُ اللَّيْثِ. حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ جَدِّي. حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ؛ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ: أَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ

٤١ - (٠٠٠) - قوله: (تنزل معهم إذا نزلوا) إلخ: يعني: أنها تلزمهم كل حين ولا

تفارقهم.

(١٤) - باب: لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز

٤٢ - (٢٩٠٢) - قوله: (أن أبا هريرة أخبره) هذا الحديث أخرجه البخاري في الفتن، باب

خروج النار (٧١١٨).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ، تُضِيءُ أَغْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى».

قوله: (حتى تخرج نار من أرض الحجاز) قدّمنا أن هذه النار غير النار التي سبق ذكرها في الباب الماضي.

قوله: (تضيء أغناق الإبل ببصرى) وهي مدينة معروفة بين المدينة المنورة ودمشق، وهي على ثلاث مراحل من المدينة. والمقصود بالخبر أن هذه النار يبلغ ضوءها إلى بصرى حتى تنتور بها أغناق الإبل القائمة هناك. والظاهر أن هذه العلامة قد وقعت، فإنه ذكر غير واحد من المحدثين والمؤرخين أنه خرجت نار من المدينة المنورة بهذه الصفات في ليلة الأربعاء الثالث من جمادى الآخرة سنة ٦٥٤هـ.

وقد ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية (١٣ : ١٩١) أنه أخبره قاضي القضاة صدر الدين علي بن أبي القاسم الشيمي الحنفي الحاكم بدمشق أن رجلاً من الأعراب أخبر والده ببصرى في تلك الليالي أنهم رأوا أغناق الإبل في ضوء هذه النار التي ظهرت في أرض الحجاز. وكان والده مدرساً للحنفية ببصرى.

وقال الإمام القرطبي رحمه الله في كتابه (التذكرة بأمور الآخرة): «وقوله ﷺ: (حتى تخرج نار من أرض الحجاز) فقد خرجت نار عظيمة، وكان بدؤها زلزلة عظيمة. وذلك ليلة الأربعاء بعد الفجر الثالث من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وسنماقة إلى ضحى النهار يوم الجمعة، فسكنت. وظهرت النار بقريظة عند قاع التنعيم بطرف الحرة، تُرى في صورة البلد العظيم عليها سور محيط بها، عليه شرايف كشراريف الحصون وأبراج ومآذن، ويرى رجال يقودونها، لا تمر على جبل إلا دكته وأذابته. ويخرج من مجموع ذلك نهر أحمر ونهر أزرق، له دويّ كدويّ الرعد يأخذ الصخور والجبال بين يديه، وينتهي إلى محط الركب العراقي. فاجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم، وأنهت النار إلى قرب المدينة. وكان مما يلي المدينة نسيم بارد بيركنه ﷺ. وكانوا يشاهدون من هذه النار غلياناً كغليان القدور».

قال القرطبي رحمه الله: «وذكر لي بعض أصحابي أنه رأى تلك النار صاعدة في الهواء على مسيرة خمسة أيام من المدينة المشرفة، وذلك من أعلام النبوة» كذا في مختصر التذكرة للشعراني (ص: ١٣٦).

وإن القطب القسطلاني رحمه الله، وهو من علماء القرن السابع غير شهاب الدين القسطلاني شارح البخاري، أدرك هذه النار، لكنه كان بمكة، فلم يشاهدها بنفسه، ولكنه ألف في بيان أحوالها رسالة مستقلة قال فيها: «وأخبرني جمع ممن توجه للزيارة على طريق المشيان أنهم شاهدوا ضوءها على ثلاثة مراحل للمجد، وآخرون أنهم شاهدوها من جبال ساية» نقله السهمودي في وفاء الوفاء (١ : ١٤٨).

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية (١٣ : ١٨٧) : «وقد بسط القول في ذلك الشيخ الإمام العلامة الحافظ شهاب الدين أبو شامة المقدسي في كتابه الذيل وشرحه، واستحضره من كتب كثيرة وردت متواترة إلى دمشق من الحجاز بصفة أمر هذه النار التي شوهدت معابنه، وكيفية خروجها وأمرها، وهذا محرر في كتاب دلائل النبوة من السيرة النبوية... وملخص ما أورده أبو شامة أنه قال: وجاء إلى دمشق كتب من المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، بخروج نار عندهم في خامس جمادى الآخرة من هذه السنة. وكتب الكتب في خامس رجب، والنار بحالها، ووصلت الكتب إلينا في عاشر شعبان».

ثم أطل الحافظ ابن كثير رحمه الله في نقل بعض من هذه الكتب التي ذكرها ابن شامة، وجملتها ما يتحصل من كلام من شاهدها أنها ابتدأت بزلزلة عظيمة، ثم ظهرت نار عظيمة، وسكنت بعد ثلاثة أيام، ثم ظهرت مرة أخرى وهكذا استمرت إلى مدة طويلة تظهر وتختفي. وقد سالت أودية بالنار إلى وادي شطا مسيل الماء، وقد كتب أحد ممن شاهدها: «والله لقد طلعتنا جماعة بنصرها، فإذا الجبال تسيل نيراناً، وقد سدت الحرة طريق الحاج العراقي» كما في البداية والنهاية (١٣ : ١٨٧). فصدق ما ورد في حديث أنبأ من زيادة أخرجه ابن عدي من طريق عمر بن سعيد التوخي، عن ابن شهاب، عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعاً: «لا تقوم الساعة حتى يسيل واد من أودية الحجاز بالنار، يضيء له أعناق الإبل ببصري» راجع له كامل ابن عدي (٥ : ١٧١٨). وعمر بن سعيد هذا ذكره ابن حبان في الثقات، وكتبه ابن عدي والدارقطني، كما في وفاة الوفاء للمسمودي (١ : ١٤١).

وكتب آخر ممن شاهدها: «وما أقدر أصف لك عظمتها ولا ما فيها من الأحوال، وأبصرها أهل يثرب، وندبوا قاضيهم ابن أسعد، وجاء عدواً إليها... والشمس والقمر من يوم ما طلعت ما يطعنان إلا كاسفين» قال أبو شامة: «ويان عندنا بدمشق أثر الكسوف من ضعف نورها على الحيطان، وكنا حيارى من ذلك إيش هو؟ إلى أن جاءنا هذا الخبر عن هذه النار».

وذكر النووي رحمه الله أيضاً أن هذه النار خرجت في زمنه، وأخبره من حضرها من أهل المدينة. وراجع لتفصيل أحوالها (البداية والنهاية) و (وفاء الوفاء للمسمودي).

وقال القسطلاني في إرشاد الساري (١٠ : ٢٠٤) : «وأما الثالث، وهو إضاءة أعناق الإبل ببصري، فقد جاء من أخبر به. فإذا ثبت هذا، فقد صحت الأمارات وتمت العلامات. وإن لم يثبت، فيحمل إضاءة أعناق الإبل ببصري على وجه المبالغة... وعلى هذا يكون المقصد بذلك التعظيم لشأنها، والتفخيم لمكانها، والتحذير من فوائدها وغليانها. وقد وجد ذلك على وفق ما أخبر. وقد جاء من أخبر أنه أبصرها من تيهاء بصرى على مثل ما هي من المدينة في البعد، فتعين أنها المراد وارتفع الشك والعناد. وأما النار التي تحشر الناس فتار أخرى».

(١٥) - باب: في سكنى المدينة وعمارتها قبل الساعة

٧٢١٩ - (٤٣) حَدَّثَنِي عَمْرُو النَّاقِدُ. حَدَّثَنَا الْأَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ. حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَبْلُغُ الْمَسَاكِينُ إِمَابًا، أَوْ يَهَابًا».

قَالَ زُهَيْرٌ: قُلْتُ لِسُهَيْلٍ: فَكُم ذَلِكَ مِنَ الْمَدِينَةِ؟ قَالَ: كَذَا وَكَذَا مَيْلًا.

٧٢٢٠ - (٤٤) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ. حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، (يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ)، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَتْ السَّنَةُ بِأَنَّ لَا تُمَطَّرُوا. وَلَكِنَّ السَّنَةَ أَنْ تُمَطَّرُوا وَتُمْطَرُوا، وَلَا تُنْبِتِ الْأَرْضُ شَيْئًا».

(١٥) - باب: في سكنى المدينة وعمارتها قبل الساعة

٤٣ - (٢٩٠٣) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث مما تفرد بإخراجه المصنف من بين الأئمة الستة.

قوله: (تبلغ المساكن إِمَابًا أَوْ يَهَابًا) بكسر الهمزة والياء، وقيل: بفتح الياء، ووقع في بعض الروايات (نهاب) بالنون. ذكر الحموي في معجم البلدان (١: ٢٨٣) أنه موضع قرب المدينة، وذكر القاضي عياض أنه على أميال من المدينة. والمراد أن أبنية المدينة المنورة تبلغ إلى هذا الموضع لتوسعها وكثرة ساكنيها. وقال الأبي: «ويلوغ المساكن إليها معجزة وقعت» وقال القرطبي: «وقعت في زمان بني أمية ثم تقاصرت حتى أقفرت الآن».

ولم أطلع في شيء من الكتب على تحديد هذا المكان بالضبط، أو على تحديد جهته.

٤٤ - (٢٩٠٤) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أيضاً تفرد به المصنف من بين الأئمة الستة. وأخرجه أحمد في مسنده (٢: ٣٤٢ و ٣٥٨ و ٣٦٣).

قوله: (ليست السنة بأن لا تمطروا) وفي رواية حماد بن سلمة عند أحمد: «إن السنة ليس بأن لا يكون فيها مطر» والسنة: الجذب والقحط. وليس المراد نفي كونه سنة من حيث اللغة، ولكن المراد أن عدم إنبات الأرض بسبب عدم المطر قحط عادي لا عجب فيه. وإنما العجب من قحط ينشأ من عدم إنبات الأرض، بالرغم من كون السماء تمطر وتمطر. وفيه إشارة إلى أن مثل ذلك سيقع بقرب من القيامة.

(١٦) - باب: الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان

٧٢٢١ - (٤٥) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا لَيْثٌ ح وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رُمْحٍ أَخْبَرَنَا النَّيْتُ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ مُسْتَقْبِلُ الْمَشْرِقِ يَقُولُ: «أَلَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَهُنَا. أَلَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَهُنَا. مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ».

(١٦) - باب: الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان

٤٥ - (٢٩٠٥) - قوله: (عن ابن عمر) هذا الحديث أخرجه البخاري في فرض الخمس، باب ما جاء في بيوت أزواج النبي ﷺ (٣١٠٤)، وفي بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده (٣٢٧٩)، وفي المناقب، باب بعد باب نسبة اليمن إلى إسماعيل (٣٥١١)، وفي الطلاق، باب الإشارة في الطلاق والأمور (٥٢٩٦)، وفي الفتن، باب قول النبي ﷺ: الفتنة من قبل المشرق (٧٠٩٢ و ٧٠٩٣). وأخرجه الترمذي في الفتن، باب بدون ترجمة (٢٢٦٨) وأحمد في مسنده (٢: ٩٢ و ٩٣ و ١١٠).

قوله: (إِنَّ الْفِتْنَةَ هَهُنَا، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ)، وأشار إلى جهة المشرق. قال الداودي: «للسمس قرن حقيقة. ويحتمل أن يريد بالقرن، قوة الشيطان وما يستعين به على الإضلال، وهذا أوجه. وقيل: إن الشيطان يقرن رأسه بالشمس عند طلوعها ليقع سجود عبّادتها له. قيل: ويحتمل أن يكون للشمس شيطان تطلع الشمس بين قرنيه» كذا في فتح الباري (١٣: ٤٦)، وذكر السيوطي أن المراد من قرن الشيطان حزبه وأعدائه، يعني: من هذا يخرج أعوان الشيطان، كذا في المرقاة (١١: ٤٥٦).

وتكلم العلماء في ما هو المراد من جهة الشرق. فقال أكثرهم: إن المراد بها نجد. وقال بعضهم: إن المراد منها العراق. قال الخطابي: «نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها، وهي مشرق أهل المدينة».

ولكن الراجح أن المراد بها نجد. وذلك لما أخرجه البخاري في الفتن عن ابن عمر رضي الله عنهما (رقم: ٧٠٩٤) قال: «أذكر النبي ﷺ: اللهم بارك لنا في شأمننا، اللهم بارك لنا في يمننا. قالوا: يا رسول الله! وفي نجدنا، قال: اللهم بارك لنا في شأمننا، اللهم بارك لنا في يمننا. قالوا: يا رسول الله! وفي نجدنا. فأظنه قال في الثالثة: هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان».

وكان هذا الحديث مفسر لحديث الباب. وبه تبين أن أرض نجد من أراضي الفتن التي أشار إليها رسول الله ﷺ. ولكن تدخل في حديث الباب أرض العراق أيضاً، لأنها كانت في جهة المشرق من المدينة، وإن كانت مائلة إلى الشمال، ويؤيده ما سيأتي عن سالم بن عبد الله بن عمر أنه أدخل أرض العراق في مصداق حديث الباب.

٧٢٢٢ - (٤٦) وَحَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، ح وَحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ، كُنْهَمُ عَنْ يَحْيَى الْقَطَّانِ، قَالَ الْقَوَارِيرِيُّ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، حَدَّثَنِي نَافِعٌ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ عِنْدَ بَابِ حَفْصَةَ، فَقَالَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ «الْفِتْنَةُ هَهُنَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ» قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا.

وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ فِي رِوَايَتِهِ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ بَابِ عَائِشَةَ.

٧٢٢٣ - (٤٧) وَحَدَّثَنِي حَزْمَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ، وَهُوَ مُسْتَقْبِلُ الْمَشْرِقِ «هَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَهُنَا. هَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَهُنَا. هَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَهُنَا. مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ».

٧٢٢٤ - (٤٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ عَمَارٍ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْتِ عَائِشَةَ فَقَالَ: «رَأْسُ الْكُفْرِ مِنْ هَهُنَا، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ» يَعْنِي الْمَشْرِقَ.

٧٢٢٥ - (٤٩) وَحَدَّثَنَا ابْنُ تُمَيْزٍ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، (يَعْنِي ابْنَ سُلَيْمَانَ)، أَخْبَرَنَا حَنْظَلَةُ قَالَ: سَمِعْتُ سَالِمًا يَقُولُ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يُشِيرُ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ وَيَقُولُ «هَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَهُنَا. هَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَهُنَا» قَالُوا «حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ».

٧٢٢٦ - (٥٠) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَبَانَ وَوَاصِلُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى وَأَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ الْوُكَيْعِيُّ (وَاللَّفْظُ لِابْنِ أَبَانَ)، قَالُوا: حَدَّثَنَا ابْنُ فَضِيلٍ عَنْ أَبِيهِ. قَالَ: سَمِعْتُ سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، مَا أَسْأَلُكُمْ عَنِ الصَّغِيرَةِ، وَأَرْكَبُكُمْ لِلْكَبِيرَةِ، سَمِعْتُ أَبِي، عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

وقال الحافظ في الفتح: «كان أهل المشرق يومئذ أهل كفر، فأخبر ﷺ أن الفتنة تكون من تلك الناحية، فكان كما أخبر. وأول الفتن كان من قبل المشرق، فكان ذلك سبباً للفرقة بين المسلمين، وذلك مما يحبه الشيطان ويفرح به. وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة».

٥٠ - (٥٠٠) - قوله: (ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة؟) هما صيغتان للتعجب. والمراد أنكم تكثران السؤال عن الأشياء الصغيرة مما يدل على ورعكم حتى عن الصغائر، وتكثران ارتكاب الكبائر، وهي إثارة الفتن، والتفريق بين المسلمين، والخروج على الأئمة. وكان ذلك معروفاً من أهل العراق.

«إِنَّ الْفِتْنَةَ تَجِيءُ مِنْ هَهُنَا» وَأُزْمَأَ بِيَدِهِ تَحَوُّ الْمَشْرِقِ «مِنْ خَيْثُ يَطْلُعُ قُرْنَا الشَّيْطَانِ» وَأَنْتُمْ يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ. وَإِنَّمَا قَتَلَ مُوسَى الَّذِي قَتَلَ، مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، خَطَأً فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَجَيْتَكَ مِنَ الْغَيْرِ وَقَتَلْتَ قَوْلًا﴾ [ص: ١٤٠].
قَالَ أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ فِي رِوَايَتِهِ عَنْ سَالِمٍ: لَمْ يَقُلْ: سَمِعْتُ.

(١٧) - باب: لا تقوم الساعة حتى تعبد نؤس ذا الخلصة

٧٢٢٧ - (٥١) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ زَائِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ (قَالَ عَبْدُ): أَخْبَرَنَا. وَقَالَ ابْنُ زَائِعٍ: حَدَّثَنَا) عَبْدُ الرَّزَّاقِ. أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلْبَابُ نِسَاءِ دَوْسٍ، حَوْلَ ذِي الْخَلَصَةِ».

قوله: (إن الفتنة تجيء من ههنا) هذا يدل على أن سالم بن عمر رحمه الله حمل جهة المشرق في حديث الباب على العراق.

قوله: (وإنما قتل موسى الذي قتل) إلخ: مراده أن موسى عليه السلام إنما قتل القبطي خطأ، ولم يتعمد قتله، ولكنه أصابه الغم من أجل ذلك، كما ذكره القرآن الكريم وأنتم تقتلون المسلمين عن قصد وعمد، ومع ذلك لا تغتمون على هذه المقاتلة، ولا تمتنعون منها.

قوله: (فقال الله عز وجل له: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَجَيْتَكَ مِنَ الْغَيْرِ﴾) إنما ذكر هذه الآية الكريمة استدلالاً على أن موسى عليه السلام كان أصابه الغم من أجل قتله القبطي، فنجاه الله تعالى من الغم.

(١٧) - باب: لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة

٥١ - (٢٩٠٦) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في الفتن، باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان (٧١١٦)، وأخرجه أحمد في مسنده (٢: ٢٧١).

قوله: (حتى تضطرب) أي: تتحرك وتزيج. وأصله بمعنى ضرب بعض الشيء بعضاً.

قوله: (أَلْبَابُ) بفتح الهمزة واللام، جمع ألبة، بفتح الهمزة وسكون اللام، وهي بمعنى العجيزة. وذكر الطبري في شرحه تلمشكاة (١٠: ١٤٥) أنها في الأصل اللحمة التي تكون في أصل العضو، أي: المقعد.

قوله: (نساء دؤس) وهي قبيلة من اليمن، كما في المراقبة (١٠: ٢٣٨).

قوله: (حول ذي الخلصة) وقد فسره الرواي بأنه صنم كانت تعبد دوس. وذكر بعض العلماء أنه نفس الصنم الذي بعث إليه رسول الله ﷺ جرير بن عبد الله ﷺ ليهدمه، فهدمه.

وخبره كما مر في كتاب الفضائل، باب فضائل جرير بن عبد الله. ولكن ذكرنا هناك هناك تحقيق الحافظ ابن حجر أنه غير الصنم المذكور في الباب، لأن ذلك الصنم الذي هدمه جرير إنما كان باليمن في أرض خثعم، وقد صرح في حديث الباب بأنه صنم لدوس. ودوس قبيلة أبي هريرة، وبينهم وبين خثعم تباين في النسب والبلد. وإنما المراد في حديث الباب صنم كان عمرو بن لحي نصبه في أسفل مكة، كانوا يلبسونه القلائد، ويجعلون عليه بيض النعام ويذبحون عنده، وراجع أخبار مكة للأزرقي (٨: ٧١) (أما ذو الخلصة) الذي هدمه جرير، فكان على ما ذكره الحافظ في الفتح (٨: ٧١) بيتاً بنوه مضاهاة للكمة وسموها كعبة يمانية.

هذا ما حققه الحافظ، ولكنه مبني على أن (ذو الخلصة) المذكور في حديث الباب صنم منصوب ببلاد دوس، وليس في الحديث ما يصرح بذلك. بل يحتمل أن يكون باليمن، وترحل إليه نساء دوس من بلادهم. وعلى هذا الاحتمال يمكن أن يكون المراد في حديث الباب نفس ذي الخلصة الذي هدمه جرير.

وأما المراد من اضطراب نساء دوس حول ذي الخلصة، فهو أن نساء دوس يركبن الدواب من البلدان إلى الصنم المذكور. كذا فسره ابن التين. وقال الحافظ في الفتح (١٣: ٧٦): «ويحتمل أن يكون المراد أنهم يتزاحمون بحيث تضرب عجيزة بعضهن الأخرى عند الطواف حول الصنم المذكور. وفي معنى هذا الحديث ما أخرجه الحاكم عن عبد الله بن عمر قال: لا تقوم الساعة حتى تدافع مناكب نساء بني عامر على ذي الخلصة».

ثم المقصود من حديث الباب، على ما ذكره العلماء بيان أن الناس يرجعون إلى عبادة الأوثان قبل أن تقوم الساعة. قال الطيبي: «والمعنى: أنهم يرددون إلى جاهليتهم في عبادة الأوثان، فتسمى نساء دوس طائفتان حول ذي الخلصة»، والظاهر منه ومن حديث عائشة الآتي أن جميع الناس يرددون إلى الشرك، ويعتد الكفر جميع الأقطار بحيث لا يبقى على وجه الأرض مسلم. ولكن يرد عليه إشكالان:

الأول: أنه يبدو معارضاً لحديث جابر رضي الله عنه: «إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب» وقد مرّ عند المصنف في كتاب صفة القيامة، باب تحريش الشيطان. فإنّ ظاهره أن جزيرة العرب لا ترجع إلى الكفر والشرك بعد ما هذاها الله تعالى للإسلام.

والثاني: أنه يبدو معارضاً كذلك للحديث المعروف: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون» أخرجه البخاري في الاعتصام عن المغيرة بن شعبه (رقم: ٧٣١١) ولحديث معاوية رضي الله عنه: «ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيماً حتى تقوم الساعة، أو حتى يأتيهم أمر الله» ولحديث ثوبان رضي الله عنه: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك» وقد مرّ عند المصنف في كتاب الإمارة.

وَكَانَتْ صَنَمًا تَعْبُدُهَا دُوسُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، بِتَبَالَةٍ.

٧٢٢٨ - (٥٢) حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ وَأَبُو مَعْنٍ، زَيْدُ بْنُ يَزِيدَ الرَّقَاشِيُّ، (وَاللَّفْظُ لِأَبِي مَعْنٍ)، قَالَا: حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ. حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ الْأَسْوَدِ بْنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

ومن أجل هذا الإشكال الثاني فسر ابن بطلال حديث الباب وما أشبهه بأنه لا يقصد أن الذين ينقطع كله في جميع أقطار الأرض حتى لا يبقى منه شيء، لأنه ثبت أن الإسلام بقي إلى قيام الساعة، إلا أنه يضعف ويعود غريباً كما بدأ. ولكن ما ذهب إليه ابن بطلال لا يعني عن الإشكال الأول، لأن مقتضى حديث جابر أن جزيرة العرب على الأقل لا تُعيد فيه الأوثان.

والجواب الصحيح عن الإشكاليين أن المراد من (أمر الله) في حديث «لا تزال طائفة من أمتي» وقوع الآيات العظام التي يعقبها قيام الساعة ولا يتخلف عنها إلا شيئاً يسيراً. ومنها أن الله تعالى يبعث ريحاً طيبة، فتقبض روح كل مؤمن، كما سيأتي في حديث عائشة رضي الله عنها. فالإسلام لا يزال باقياً إلى ذلك الحين. ولا تعود جزيرة العرب إلى عبادة الأوثان إلى أن يأتي ذلك الوقت. ثم يرجع العالم كله إلى الكفر وتتابع الآيات بعد ذلك، وتقوم الساعة على شرار الخلق. وهذا مصرح فيما أخرجه المصنف عن عبد الله بن عمرو في كتاب الإمارة، ولفظه: «فقال عبد الله: لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق، هم شر من أهل الجاهلية...» فبينما هم على ذلك أقبل عقبة بن عامر، فقال له مسلمة: يا عقبة! اسمع ما يقول عبد الله. فقال عقبة: هو أعلم، وأنا أنا فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم، لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك». فقال عبد الله: أجل، ثم يبعث الله ريحاً كريح المسك، منها من التحرير، فلا تترك نفساً في قلبه مثقال حبة من الإيمان إلا قبضته ثم يبقى شرار الناس، عليهم تقوم الساعة فعلى هذا، فالمراد من قوله: (حتى تأتيهم الساعة) ساعتهم، وهي قبض روحهم بهبوب الريح، وبه تنطبق الروايات، والحمد لله تعالى.

قوله: (تُعْبُدُهَا دُوسُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِتَبَالَةٍ) بفتح التاء، وهي موضع باليمن. وذكر النووي رحمه الله أنها غير تبالة التي ضرب بها المثل القاتل: أهون على الحجاج من تبالة، فإنها موضع بقرب من الطائف. ومعنى هذا المثل أن تبالة كانت أول عمل وليه الحجاج بن يوسف الثقفي، فسار إليها، فلمّا قُرب منها قال للدليل: أين تبالة؟ فقال: ما يسترها عنك إلا هذه الأكمة. فقال: لا أراني أميراً على موضع تستره عني هذه الأكمة، أهون بها ولاية! وكرّر راجعاً ولم يدخلها، فاتخذها الناس مثلاً، وقالوا: أهون على الحجاج من تبالة. وراجع معجم البلدان للنعماني (٢: ٩).

٥٢ - (٢٩٠٧) - قوله: (عن عائشة) هذا الحديث مما تفرد المصنف بإخراجه من بين الأئمة الستة.

«لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُغْبِثَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ كُنْتُ لَا أَطْلُ جِبْنَ أَنْزَلَ اللَّهُ: «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» (التوبة: ٣٣) أَنْ ذَلِكَ تَامًا. قَالَ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ. ثُمَّ يَنْفُثُ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً. فَتَوَفَّى كُلُّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ. فَيَبْقَى مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ. فَيُرْجَعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ».

٧٢٢٩ - (٠٠٠) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى. حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ (وَهُوَ الْحَنَفِيُّ). حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدُ بْنُ جَعْفَرٍ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، نَحْوَهُ.

(١٨) - باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل،

فيتمنى أن يكون مكان للميت، من البلاء

٧٢٣٠ - (٥٣) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، فِيمَا قُرِئَ عَلَيْهِ، عَنْ أَبِي الزُّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ».

٧٢٣١ - (٥٤) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبَانَ بْنِ صَالِحٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الرُّقَاعِيُّ، (وَاللَّفْظُ لِابْنِ أَبَانَ)، قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ فَضِيلٍ، عَنْ أَبِي إِسْمَاعِيلَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الْقَبْرِ فَيَتَمَرَّغُ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ».

قوله: (لا يذهب الليل والنهار) أي: لا تقوم الساعة.

قوله: (أن ذلك تاماً) تقديره: أن يكون ذلك تاماً. تعني: أتى فهت من هذه الآية الكريمة أن المسلمين لا يغلبون، والكفر لا يعود بعد ما يظهر الله الإسلام على جميع الأديان.

(١٨) - باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل الخ

٥٣ - (١٥٧) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يغلب أهل القبور (٧١١٥)، وابن ماجه في الفتن، باب شدة الزمان (٤٠٨٦).

قوله: (فيقول: يا ليتني مكانه) يعني: يشمى الموت إتما لفساد يرى الناس يصيب في دينهم، أو لضرّ دينوي نزل به، والأول لا بأس به، والثاني مذموم، وتدل رواية أبي حازم الآتية أن الثاني هو المراد هنا.

٥٤ - (٠٠٠) - قوله: (فيتمرغ عليه) أي: يتقلب. يقال: تمرغ الرجل: إذا تقلّب وتلوى من وجع يجده، كما في القاموس.

وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ إِلَّا الْبَلَاءُ.

٧٢٣٢ - (٥٥) وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ الْمَكِّيُّ. حَدَّثَنَا مَرْوَانُ، عَنْ يَزِيدَ، (وَهُوَ ابْنُ كَيْسَانَ)، عَنْ أَبِي حَارِثٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَذَرِي الْقَاتِلُ فِي شَيْءٍ قَتْلَ. وَلَا يَذَرِي الْمَقْتُولُ عَلَى شَيْءٍ قِتْلَ».

٧٢٣٣ - (٥٦) وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَبَانَ وَوَاصِلُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى. قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فَضِيلٍ، عَنْ أَبِي إِسْمَاعِيلَ الْأَسْلَمِيِّ، عَنْ أَبِي حَارِثٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ يَوْمٌ، لَا يَذَرِي الْقَاتِلُ فِيْمَ قَتْلَ. وَلَا الْمَقْتُولُ فِيْمَ قِتْلَ» فَيَقِيلُ: كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «الْفَرْجُ. الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ».

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبَانَ قَالَ: هُوَ يَزِيدُ بْنُ كَيْسَانَ، عَنْ أَبِي إِسْمَاعِيلَ. لَمْ يَذْكُرِ الْأَسْلَمِيَّ.

٧٢٣٤ - (٥٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ، (وَاللَّفْظُ لِأَبِي بَكْرٍ)،

قوله: (وليس به الدين إلا البلاء) يعني: أنه لا يتمنى الموت لحفظ دينه (بكسر الدال) وإنما يتمناه لبلاء أصابه في دنياه. وهذا في معرض الذم، والمراد أن الناس يتمنون الموت لضرر دينوي أصابهم، مع أنه منهي عنه في الشرع.

٥٥ - (٢٩٠٨) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث مما انفرد بإخراجه المصنف من بين الأئمة الستة.

قوله: (لا يذري القاتل في شيء قتل) يعني: يكثر القتل والقتال، حتى يكون قتل المراء أهون على القاتل من أن يفعل ذلك لغرض يعتد به وقد رأينا مثل ذلك في زماننا كثيراً، والعياذ بالله تعالى.

٥٦ - (٠٠٠) - قوله: (في رواية ابن أبان قال: هو يزيد بن كيسان عن أبي إسماعيل) وقد وقع ههنا تقديم وتأخير في كلام المصنف. والأفضل أن يزيد بن كيسان يكنى أبا إسماعيل، فيزيد بن كيسان وأبو إسماعيل رجل واحد، وليس مقصود المصنف أن يزيد بن كيسان يروي عن أبي إسماعيل، لأنهما رجل واحد. والعبارة الصحيحة أن يقول: «في رواية ابن أبان: عن أبي إسماعيل، وهو يزيد بن كيسان، ولم يذكر ابن أبان الأسلمي» وإنما مراده أن هذا الحديث رواه ابن أبان وواصل، كلاهما عن أبي إسماعيل، وهو يزيد بن كيسان، غير أن واصل بن عبد الأعلى

قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ زِيَادِ بْنِ سَعْدٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدٍ، سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «يُخْرَبُ الْكَعْبَةُ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبْشَةِ».

ذكر نسبه فقال: الأسلمي، ولم يذكر ذلك ابن أبان، والمراد من أبي إسماعيل يزيد بن كيسان.

٥٧ - (٢٩٠٩) - قوله: (سمع أبا هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في الحج، باب قول الله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِنًى لِّلنَّاسِ﴾ (١٥٩١)، وباب هدم الكعبة (١٥٩٦)، وأخرجه النسائي في الحج، باب بناء الكعبة (٢٩٠٤).

قوله: (ذو السُّوَيْقَتَيْنِ) تصغير للساق، أي: له ساقان دقيقتان.

قوله: (من الحبشة) أي: رجل من الحبشة. ووقع هذا الحديث عند أحمد في مسنده (٢): (٣١٢) بأنهم من هذا السياق من طريق سعيد بن سمعان ولفظه: «يباع لرجل ما بين الركن والمقام، ولئن يستحل البيت إلا أهله. فإذا استحلوه، فلا تسأل عن هلكة العرب. ثم نجىء الحبشة فيخربونه خراباً لا يعمر بعده أبداً. هم الذين يستخرجون كنزه» وأخرجه أيضاً أبو داود الطيالسي في مسنده (رقم: ٢٣٧٣) والحاكم في مستدركه (٤: ٤٥٣) وأعقبه الحاكم بحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «تركوا الحبشة ما تركوكم، فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السُّوَيْقَتَيْنِ من الحبشة». وأخرجه البخاري (رقم: ١٥٩٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «كأنني به أسود أفحج يقلعها حجراً حجراً» وأخرج أحمد في مسنده (٢: ٢٢٠) عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً: «يخرب الكعبة ذو السُّوَيْقَتَيْنِ من الحبشة ويسلبها حليتها، ويجردها من كسوتها، ولكأنني أنظر إليه أصيلع أفيدع، يضرب عليها بمسحاته ومعوته».

وقال الحافظ في الفتح (٣: ٤٦١): «قيل: هذا الحديث يخالف قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَكَمًا وَإِنَا﴾ [التكوير، آية: ١٧]، ولأن الله حبس عن مكة الفيل ولم يمكن أصحابه من تخريب الكعبة، ولم تكن إذ ذاك قبلة، فكيف تسلط عليها الحبشة بعد أن صارت قبلة للمسلمين؟ وأجيب بأن ذلك محمول على أنه يقع في آخر الزمان قرب قيام الساعة حيث لا يبقى في الأرض أحد يقول: الله الله، كما ثبت في صحيح مسلم: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله». ولهذا وقع في رواية سعيد بن سمعان: (ولا يعمر بعده أبداً). وقد وقع قبل ذلك فيه من القتال، وغزو أهل الشام له في زمن يزيد بن معاوية، ثم من بعده وقائع كثيرة من أعظمها وقعة القرامطة بعد الثلاثمائة، فقتلوا من المسلمين في المطاف من لا يحصى كثرة، وقلعوا الحجر الأسود وحولوه إلى بلادهم ثم أعادوه بعد مدة طويلة. ثم غزي مراراً بعد ذلك. وكل ذلك لا يعارض قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَكَمًا وَإِنَا﴾ [التكوير، آية: ١٧]، لأن ذلك إنما وقع بأيدي المسلمين، فهو مطابق لقوله ﷺ: «ولئن يستحل هذا البيت إلا أهله»، فوقع ما أخبر به النبي ﷺ، وهو من علامات نبوته، وليس في الآية ما يدل على استمرار الأمن المذكور فيها».

٧٢٣٥ - (٥٨) وَحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى. أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ. أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُخْرَبُ الْكُفَّةُ دَوَّ السُّونَقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ».

٧٢٣٦ - (٥٩) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ. حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ (يَعْنِي الدَّرَاوَزِيَّ) عَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي الْغُبَيْثِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «دَوَّ السُّونَقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ يُخْرَبُ بَيْتَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

٧٢٣٧ - (٦٠) وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ. أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، (يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ)، عَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي الْغُبَيْثِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ».

٧٢٣٨ - (٦١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ الْعَدِيُّ. حَدَّثَنَا عَبْدُ الْكَبِيرِ بْنُ عَبْدِ الْمَجِيدِ، أَبُو بَكْرِ الْحَنْفِيُّ. حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْوَلِيدِ يُحَدِّثُ، عَنْ

٦٠ - (٢٩١٠) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في المناقب، باب ذكر قحطان (٣٥١٧)، وفي الفتن، باب تغير الزمان حتى تُعبد الأوثان (٧١١٧). وأخرجه أحمد في مسنده (٢: ٤١٧).

قوله: (حتى يخرج رجل من قحطان) بفتح القاف وسكون الحاء، وهو أبو اليمن، كما في المرقاة (١٠: ١٤٣). وقيل: قبيلة منهم. وذكر القرطبي أنه الرجل الذي ذكر في الحديث الآتي أن اسمه جهجاه. والمراد من سوقه الناس بعصاه أنه يتصرف فيهم تصرف الراعي في غنمه. وقال الحافظ في الفتح (٦: ٥٤٦): «وهذا الحديث يدخل في علامات النبوة من جملة ما أخبر به ﷺ قبل وقوعه ولم يقع بعد. وقد روى نعيم بن حماد في الفتن من طريق أرطاة بن المنذر - أحد التابعين من أهل الشام - أن القحطاني يخرج بعد المهدي ويسير على سيرة المهدي. وأخرج أيضاً من طريق عبد الرحمن بن قيس بن جابر الضدفي، عن أبيه، عن جده مرفوعاً: (يكون بعد المهدي القحطاني، والذي بعثني بالحق ما هو دونه) وهذا الثاني مع كونه مرفوعاً ضعيف الإسناد، والأول مع كونه موقوفاً: أصلح إسناداً منه. فإن ثبت ذلك فهو في زمن عيسى بن مريم، لما تقدم أن عيسى عليه السلام إذا نزل يجد المهدي إمام المسلمين. وفي رواية أرطاة بن المنذر أن القحطاني يعيش في الملك عشرين سنة. واستشكل ذلك كيف يكون في زمن عيسى يسوق الناس بعصاه، والأمر إنما هو لعيسى؟ ويجاب بجواز أن يقيمه عيسى نائباً عنه في أمور مهمة عامة».

٦١ - (٢٩١١) - قوله: (يحدث عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه الترمذي في الفتن، باب يدون ترجمة، وأحمد في مسنده (٢: ٣٢٩).

أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَذْهَبُ الْإِيمَانُ وَالْأَيْمَانُ، حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ يُقَالَ لَهُ الْجَهْدُ».

قَالَ مُسْلِمٌ: هُمْ أَرْبَعَةُ إِخْوَةٍ: شَرِيكٌ، وَعَبِيدُ اللَّهِ، وَعُمَيْرٌ، وَعَبْدُ الْكَبِيرِ. بَنُو عَبْدِ الْمَجِيدِ.

٧٢٣٩ - (٦٢) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ، (وَاللَّفْظُ لِابْنِ أَبِي عُمَرَ)، قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُ الْمَطْرُقَةُ. وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نَعَالُهُمُ الشَّعْرُ».

قوله: (يقال له الجهد) قال الطيبي في شرح المشكاة (١٠: ٧٥): «هو بفتح الجيم وإسكان الهاء. وفي بعض النسخ: (الجهج) بهاءين، وفي بعضها: (الجهجا) بحذف الهاء التي بعد الألف، والأول هو المشهور».

قوله: (هم أربعة إخوة) إنما ذكره المصنف استطراداً، لأن أحد رواة هذا الحديث عبد الكبير بن عبد المجيد، فذكر أن له ثلاثة إخوة آخرين.

٦٢ - (٢٩١٢) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في الجهاد، باب قتال الترك (٢٩٢٨)، وباب قتال الذين ينتحلون الشعر (٢٩٢٩)، وفي المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣٥٨٧، و ٣٥٩٠ و ٣٥٩١)، وأخرجه الترمذي في الفتن، باب ما جاء في قتال الترك (٢٢١٥)، وأخرجه أبو داود في الملاحم، باب في قتال الترك (٤٣٠٣)، وإسناني في الجهاد، باب غزوة الترك والحبشة (٣١٧٧)، وابن ماجه في الفتن، باب الترك (٤١٤٨) و (٤١٤٩).

قوله: (قوماً كأن وجوههم المجان المطرقة) المجان، بفتح الميم، جمع المجن بكسر الميم، وهو الثرس. والمطرقة التي ألبيست فوق طاقة من الجلود وهي الأغشية. تقول: طارقت بين التعلين، أي: جعلت إحداهما على الأخرى. وقال الهروي: هي التي أطرفت بالعصب، أي: ألبيست به. كذا في الفتح (٦: ١٠٤)، وقال البيضاوي: شبه وجوههم بالترسة، لبطونها وتدويرها، وبالمطرقة لغلظها وكثرة لحمها، ذكره الحافظ في الفتح (٦: ٦٠٨) ويؤيده حديث عمرو بن تغلب عند البخاري (٢٩٢٧) ولفظه: (قوماً عراض الوجوه كأن وجوههم المجان المطرقة).

وذهب أكثر العلماء إلى أن المراد من هذا القوم هم الترك، وسيأتي ذلك مصرحاً في الحديث. كان بلادهم إذ ذاك ما بين مشارق خراسان إلى مغارب الصين وشمال الهند إلى أقصى المعمور. وقد وقع قتال المسلمين معهم مراراً، حتى أسلم معظمهم.

قوله: (حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر) قال القاضي عياض: معناه أنهم يصنعون من الشعر

٧٢٤٠ - (٦٣) وَحَدَّثَنِي حَرَمَلَةُ بْنُ يَحْيَى. أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ. أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ. أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَبِّحِ؛ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقَاتِلَكُمْ أُمَّةٌ يَنْتَعِلُونَ الشَّعْرَ. وَجُوهُهُمْ مِثْلُ الْمَجَانِّ الْمَطْرُقَةِ».

٧٢٤١ - (٦٤) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ. عَنْ أَبِي الزُّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَبْلُغُ بِهِ الشَّيْءُ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقَاتِلُوا قَوْمًا نَعَالُهُمُ الشَّعْرُ. وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقَاتِلُوا قَوْمًا صِغَارُ الْأَعْيُنِ، ذُلْفُ الْأَنْفِ».

٧٢٤٢ - (٦٥) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ. حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، (يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ)، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الثَّرَكَّ، قَوْمًا وَجُوهُهُمْ كَالْمَجَانِّ الْمَطْرُقَةِ، يَلْبَسُونَ الشَّعْرَ، وَيَنْعَشُونَ فِي الشَّعْرِ».

حبالاً ويصنعون منها نعالاً وثياباً يلبسونها. ويحتمل أن تكون شعورهم كثيفة طويلة، فإذا سُدَّتْ فهي كاللباس، ولوصولها إلى الأرض والأرجل كالنعال.

ثم الظاهر من هذا الحديث أن القوم الذين وجوههم كالمجان المطرقة غير الذين نعالهم الشعر، لأنه ﷺ ذكر الطائفتين بكلام مستقل. وتؤيده رواية صالح، عن الأعرج عند البخاري (رقم: ٢٩٢) ولفظها: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقَاتِلُوا الثَّرَكَّ، صِغَارُ الْأَعْيُنِ حَمْرُ الْوُجُوهِ، ذُلْفُ الْأَنْفِ، كَأَنَّ وَجُوهَهُمُ الْمَجَانِّ الْمَطْرُقَةُ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقَاتِلُوا قَوْمًا نَعَالُهُمُ الشَّعْرُ» ولذلك ذكر بعض العلماء أن المراد من الأولين الثرك، ومن الآخرين أصحاب بابك انحرومي، وكان من طائفة من الزنادقة استباحوا المحرمات، وقامت لهم شوكة كبيرة في أيام المأمون، وغلبوا على كثير من بلاد المعجم كطبرستان والري، إلى أن قتل بابك المذكور في أيام المعتصم، وكان خروجه سنة ٢٠١هـ، وقتله سنة ٢٢٢هـ. وذكر الإسماعيلي من طريق محمد بن عباد قال: بلغني أن أصحاب بابك كانت نعالهم الشعر. وراجع فتح الباري (٦: ٢٠٤).

ولكن يظهر من الروايات الآتية عند مسلم أن الذين ينتعلون الشعر هم الذين وجوههم كالمجان المطرقة، لا سيما رواية سهيل الآتية ولفظها: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الثَّرَكَّ، قَوْمًا وَجُوهَهُمُ كَالْمَجَانِّ الْمَطْرُقَةِ، يَلْبَسُونَ الشَّعْرَ وَيَنْعَشُونَ فِي الشَّعْرِ» ويمكن التوفيق بين الروايات أن لبس الشعر مشترك بين الثرك وبين غيرهم، فربما ذكر ذلك علامة للثرك، وربما ذكر علامة لقوم آخرين، والله أعلم.

٦٤ - (٠٠٠) - قوله: (ذُلْفُ الْأَنْفِ) الذُّلْفُ جمع الأذلف، وأذلف الأنف، صغير الأنف، والعرب تقول: أملح النساء الذلف. وقيل: الذُّلْفُ: الاستواء في طرف الأنف. وقيل: قصر الأنف وانبطاحه.

٧٢٤٣ - (٦٦) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ. حَدَّثَنَا وَكِيعٌ وَأَبُو أُسَامَةَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَقَاتِلُونِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ قَوْمًا بَغَالَهُمُ الشَّعْرُ. كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمَطْرُوقَةُ. حُمْرُ الْوُجُوهِ، صَعَارُ الْأَعْيُنِ».

٧٢٤٤ - (٦٧) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، (وَأَنْلَفُ زُهَيْرٍ)، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْجُرَيْرِيِّ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ؛ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ: يُوشِكُ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَنْ لَا يُجَبِيَ إِلَيْهِمْ قَفِيزٌ وَلَا دِرْهَمٌ. قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَلِكَ؟ قَالَ: مِنْ قِبَلِ الْعَجَمِ. يَمْتَنِعُونَ ذَلِكَ. ثُمَّ قَالَ: يُوشِكُ أَهْلُ الشَّامِ أَنْ لَا يُجَبِيَ إِلَيْهِمْ دِينَارٌ وَلَا مُدٌّ. قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَلِكَ؟ قَالَ: مِنْ قِبَلِ الرُّومِ. ثُمَّ أَسْكَتْ هُنَيْئَةً، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْثِي الْمَالَ حِثًّا. لَا يَعُدُّهُ عَدَدًا».

قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي نَضْرَةَ وَأَبِي الْعَلَاءِ: أَتَرَيَانِ أَنَّهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ؟ فَقَالَا: لَا.

٧٢٤٥ - (٦٨) وَحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى. حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ. حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، (يَعْنِي الْجُرَيْرِيَّ)، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، نَحْوَهُ.

٦٧ - (٢٩١٣) - قوله: (كنا عند جابر بن عبد الله) هذا الحديث مما تفرد المصنف بإخراجه فيما بين الأئمة الستة، وأخرجه أحمد في مسنده (٣: ٣١٧).

قوله: (أن لا يجبي إليهم قفيز ولا درهم) قد تقدم شرحه في باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب.

وحاصل المراد أن معظم البلاد سوف يسيطر عليها الكفار، فيمتنعون أشياء الحاجة من وصولها إلى المسلمين في العراق والشام.

قوله: (أسكت هنية) أي: مدة قليلة، وأسكت وكلاهما بمعنى صمت.

قوله: (خليفة يحثي المال حثًّا) الحثي والحثو بمعنى الحفن باليدين، يقال: حثا يحثي حثًّا، وحثا يحثو حثوًّا، وقد يؤخذ مصدر أحدهما مع فعل آخر، كما سيأتي في الرواية اللاحقة: «يحثو المال حثًّا». والمراد من حثي المال أنه يكثر عنده المال، فيعطي الناس بكثرة لا يحصرها عد.

وقد ذكر القرطبي رحمه الله أن بعض العلماء جعل عمر بن عبد العزيز مصداق هذا الخبر ولكنه غير صحيح وقد صرح أبو نضرة وأبو العلاء في آخر هذا الحديث بأنه ليس عمر بن عبد العزيز. وذهب جمع من العلماء إلى أن المراد منه خليفة الله المهدي الذي سيخرج في آخر الزمان، والله سبحانه أعلم.

٧٢٤٦ - (٦٨) حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضِيُّ . حَدَّثَنَا بِشْرٌ ، (يَعْنِي ابْنَ الْمُفَضَّلِ) ، وَحَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ . حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ، (يَعْنِي ابْنَ عَلِيَّةَ) ، كِلَاهُمَا عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَزِيدَ ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مِنْ خُلَفَائِكُمْ خَلِيفَةُ يَخْتَرُ الْمَالَ خِيًّا . لَا يَعُدُّهُ عَدَدًا» .

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ حُجْرٍ : «يَخْتِي الْمَالَ» .

٧٢٤٧ - (٦٩) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ . حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ . حَدَّثَنَا أَبِي . حَدَّثَنَا دَاوُدُ ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَلِيفَةُ يَقْسِمُ الْمَالَ وَلَا يَعُدُّهُ» .

٧٢٤٨ - (١٠٠) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ . حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ . بِمِثْلِهِ .

٧٢٤٩ - (٧٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ ، (وَاللَّفْظُ لَابْنِ الْمُثَنَّى) ، قَالَا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ . حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ أَبِي مَسْلَمَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا نَضْرَةَ يُحَدِّثُ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : أَخْبَرَنِي مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِعِمَّارٍ ، جِئَ جَعْلَ يَخْفِرُ الْخَنْدَقَ ، وَجَعَلَ يَمْسَحُ رَأْسَهُ وَيَقُولُ : «بُؤْسُ ابْنِ سُمَيَّةَ . تَقْتُلُكَ فِتْنَةٌ بَاغِيَةٌ» .

٦٨ - (٢٩١٤) - قوله : (عن أبي سعيد) هذا الحديث أيضاً من تفردات المصنف . وأخرجه أحمد في مسنده (٣ : ٩٦ و ٩٨) .

٧٠ - (٢٩١٥) - قوله : (عن أبي سعيد الخدري قال : أخبرني من هو خير مني) هذا الحديث أيضاً لم يخرج به أحد غير المصنف من الأئمة السنة ، وأخرجه أحمد في مسنده (٣ : ٢٢) . وأخرجه البخاري من وجه آخر في الصلاة ، باب التعاون في بناء المسجد .

قوله : (بؤس ابن سُمَيَّة) بنصب (بؤس) على أنه منادى مضاف ، وحرف النداء محذوف ، وتقديره : يا بؤس ابن سُمَيَّة . وسُمَيَّة اسم لام عمار بن ياسر ﷺ . والبؤس والياساء بمعنى المكروه والشدة ، والمعنى : يا بؤس ابن سُمَيَّة ما أشده وأعظمه .

قوله : (تقتلك فتنه باغية) هذا الحديث فيه معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ حيث أخبر أن عماراً ﷺ سيموت مقتولاً ، ووقع كذلك ، وأنه تقتله فتنه تبغي على إمام حق . ومن المسلم تاريخياً أنه ﷺ قُتل بصقن وهو من حزب علي ﷺ . وهو من أوضح الدلائل على أن علياً ﷺ كان هو المحق المصيب في حروبه مع معاوية ﷺ ، وإن كان معاوية وأصحابه ﷺ معذورين في اجتهادهم .

٧٢٥٠ - (٧١) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُعَاذٍ بْنُ عَبَّادٍ الْعَبْرِيُّ وَهَرَبِيُّ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى قَالَا: حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ. ح وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ وَمَحْمُودُ بْنُ غِيلَانَ وَمُحَمَّدُ بْنُ قُدَّامَةَ. قَالُوا: أَخْبَرَنَا النَّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ. كِلَاهُمَا عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، نَحْوَهُ، غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ النَّضْرِ: أَخْبَرَنِي مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، أَبُو قَتَادَةَ، وَفِي حَدِيثِ خَالِدِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: أَرَاهُ يَغْنِي أَبَا قَتَادَةَ. وَفِي حَدِيثِ خَالِدٍ: وَيَقُولُ: «وَيْسَ»، أَوْ يَقُولُ: «يَا وَيَسَ ابْنَ سَمِيَةَ».

٧٢٥١ - (٧٢) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ جَبَلَةَ. حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ. ح وَحَدَّثَنَا عُقْبَةُ بْنُ مُكْرَمٍ الْعُمِيُّ وَأَبُو بَكْرٍ بْنُ نَافِعٍ، (قَالَ عُقْبَةُ: حَدَّثَنَا. وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْبَرَنَا) عُقْدَرُ. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: سَمِعْتُ خَالِدًا يُحَدِّثُ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ، عَنْ أُمِّو، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِعِمَّارٍ: «تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاطِنَةُ».

٧٢٥٢ - (٧٣) وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ. أَخْبَرَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ. حَدَّثَنَا خَالِدُ الْحَدَّاءُ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ وَالْحَسَنِ، عَنْ أُمِّهِمَا، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. بِمِثْلِهِ.

٧٢٥٣ - (٧٤) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ ابْنِ

وقد يستشكل موقف معاوية وأصحابه ﷺ بعد ما قُتل عمار بأيديهم، فإنه ظهر بهذا النص الصريح أن قتلته بغاة، فكيف ثبتوا بعد ذلك على موقفهم؟ وهل يُقبل اجتهاد بمعارضة نص صريح؟ والجواب أنه يمكن أنه قد بلغهم أن عماراً ﷺ إنما قُتل على يد بعض الناس الذين بغوا على عثمان ﷺ، وكان بعضهم في عسكر سيدنا علي ﷺ، ولذلك قال معاوية ﷺ: «إنما قتل عماراً من جاء به» ذكره الطبري في تاريخه (٤: ٢٩) وابن كثير في البداية والنهاية (٧: ٢٧٠).

وهكذا اشتبه عليه الأمر، ولم يخالف هنا النص الصريح، بل زعم أنه مؤيد له، لا لمخالفه. وكان هذا القتال أمراً تكوينياً، فظهرت أسباب ثبت كل من الفريقين من أجلها على موقفه. ولا يحسن بنا أن نتشغل في تفصيل هذا القتال بأكثر من هذا. «يَلَاكُ أُمَّةٌ قَدْ خَلَّتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنتَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَمْتَلُونَ» ﷻ.

٧١ - (٧٥) - قوله: (يا ويس ابن سمية) (ويس) لغة في (ويج) وهي كلمة ترحم يقال لمن وقع فيهلكة لا يستحقها، فيترحم بها عليه ويرثى له. و (ويل) إنما يقال لمن وقع فيهلكة يستحقها.

٧٢ - (٢٩١٦) - قوله: (هن أم سلمة) هذا الحديث أيضاً لم يخرج غير المصنف أحد الأئمة الستة، وأخرجه أحمد في مسنده (٦: ٣٠٠ و ٣١١).

عَزَّ وَجَلَّ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ أُمِّهِ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَقْتُلُ صَمَارًا نَفَقَةُ الْبَاغِيَةِ».

٧٢٥٤ - (٧٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي الثَّيَّاحِ. قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُهْلِكُ أُمِّي هَذَا الْحَيَّ مِنْ قُرَيْشٍ» قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «لَوْ أَنَّ الثَّامِسَ اعْتَرَلُوهُمْ».

٧٢٥٥ - (١٠٠) وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدُّورَقِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ عُثْمَانَ التَّوْقِلِيُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ فِي هَذَا الْإِسْنَادِ. فِي مَعْنَاهُ.

٧٢٥٦ - (٧٥) حَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ، (وَاللَّفْظُ لَابْنِ أَبِي عُمَرَ)، قَالَا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ

٧٤ - (٢٩١٧) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣٦٠٤ و ٣٦٠٥)، وفي الفتن، باب قول النبي ﷺ: «هلاك أمتي على يدي أغيلة سفهاء» (٧٠٥٨). وأخرجه أحمد في مسنده (٢: ٣٠١).

قوله: (يُهْلِكُ أُمِّي هَذَا الْحَيَّ مِنْ قُرَيْشٍ) وفي رواية للبخاري: «هلاك أمتي على يدي غيلة من قريش» فظهر أن المراد بعض رجال من قريش وهم الأحداث منهم، لا كلهم. قال الحافظ في الفتح: (١٣: ١٠): «والمراد أنهم يهلكون الناس بسبب طلبهم الملك والقتال لأجله، فتفسد أحوال الناس ويكثر الخبط بتوالي الفتن. وقد وقع الأمر كما أخبر ﷺ. وأما قوله: «لو أن الناس اعتزلوهم» محذوف الجواب، وتقديره: لكان أولى بهم. والمراد باعتزالهم أن لا يداخلوهم ولا يقاتلوا معهم ويفرّوا بدنه من الفتن. ويحتمل أن يكون (لو) لثمني، فلا يحتاج إلى جواب. ويؤخذ من هذا الحديث استحباب هجران البلدة التي يقع فيها إظهار المعصية، فإنها سبب وقع الفتن التي ينشأ عنها عموم الهلاك. قال ابن وهب عن مالك: نهجر الأرض التي يصنع فيها المنكر جهاراً، وقد صنع ذلك جماعة من السلف».

وأخرج ابن أبي شيبة أن أبا هريرة كان يمشي في السوق ويقول: «اللهم لا تدركني سنة ستين ولا إمارة الصبيان» وفي هذا إشارة إلى أن أول الأغيلة كان في سنة ستين. ولذلك ذهب جمع من العلماء إلى أن أول الأغيلة المذكورين في الحديث يزيد بن معاوية، فإنه استخلف فيها، وقد روى البخاري أن أبا هريرة ﷺ قال بعد رواية حديث الباب: «لو شئت أن أقول: بني فلان، وبني فلان لفعلت» وهذا يدل على أنه كان يعرف أسماءهم، ولكنه لم يحدث بها. وذلك لما أخرجه البخاري في العلم (رقم: ١٢٠) عنه أنه قال: «لحفظت من رسول الله ﷺ وعاءين. فأما أحدهما فبنته، وأما الآخر، فلو بنته قُطِعَ هذا البلعوم».

٧٥ - (٢٩١٨) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في الجهاد، باب

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَدْ مَاتَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ. وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ»^١ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

٧٢٥٧ - (١٠٠) وَحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى. أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ. أَخْبَرَنِي يُونُسُ. ح وَحَدَّثَنِي ابْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ. أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ. كِلَاهُمَا عَنِ الزُّهْرِيِّ، بِإِسْنَادٍ سَقِيانٍ وَمَعْنَى حَدِيثِهِ.

٧٢٥٨ - (٧٦) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ. حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُتَبِّهِ، قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلَكَ كِسْرَى ثُمَّ لَا يَكُونُ كِسْرَى بَعْدَهُ. وَقَيْصَرٌ لِيَهْلِكَ ثُمَّ لَا يَكُونُ قَيْصَرٌ بَعْدَهُ، وَلَتَنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

الحرب خدعة (٣٠٢٧) وفي فرض الخمس، باب قول النبي ﷺ: أَلْحَتْ لَكُمْ الْغَنَائِمَ (٣١٢٠)، وفي المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣٦١٨)، وفي الأيمان والنذور باب كيف كانت يمين النبي ﷺ (٦٦٣٠) وأخرجه الترمذي في الفتن، باب ما جاء إذا ذهب كسرى فلا كسرى بعده (٢٢١٦).

قوله: (قد مات كسرى، فلا كسرى بعده) كسرى، بكسر الكاف، لقب لملوك فارس. وقد وقع في رواية البخاري: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده» وكذلك وقع في حديث جابر بن سمرة الأنبي.

قال النووي: «قال الشافعي وسائر العلماء: معناه لا يكون كسرى بالعراق ولا قيصر بالشام، كما كان في زمنه ﷺ، فعَلَمْنَا ﷺ بانقطاع ملكهما في هذين الإقليمين، فكان كما قال ﷺ. فأما كسرى فانقطع ملكه وزال بالكلية من جميع الأرض، وتمزق ملكه كل ممزق، واضمححل بدعوة رسول الله ﷺ. وأما قيصر، فانهزم من الشام ودخل أفصى بلاده، فافتتح المسلمون بلادهما، واستقرت للمسلمين ولله الحمد».

وحكى الحافظ في الفتح (٦: ٦٢٦) عن الشافعي أنه قال: «وسبب الحديث أن فريشاً كانوا يأتون الشام والعراق تجاراً، فلما أسلموا خافوا انقطاع سفرهم إليهما لدخولهم في الإسلام. فقال النبي ﷺ ذلك لهم تطيباً لقلوبهم وتبشيراً لهم بأن ملكهما سيزول عن الإقليمين المذكورين».

وقال الخطيب في الكاشف ١٠: ٧٦: «هلاك كسرى وقيصر كانا متوقعين، فأخبر عن هلاك كسرى بالماضي دلالة على أنه كالواقع بناء على إخبار الصادق» فكانه أشار إلى أن ملك كسرى سبق انقضاء من ملك قيصر، ووقع كما أخبر ﷺ.

٧٢٥٩ - (٧٧) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا هَلَكَ كَسْرَى فَلَا كَسْرَى بَعْدَهُ»، فَذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ سَوَاءً.

٧٢٦٠ - (٧٨) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَأَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَتَفْتَحَنَّ عَصَابَةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، كَثَرَأَلٍ كَسْرَى الَّذِي فِي الْأَبْيَضِ».

قَالَ قُتَيْبَةُ: مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَلَمْ يَشْكُ.

٧٢٦١ - (١٠٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، بِمَعْنَى حَدِيثِ أَبِي عَوَانَةَ.

٧٢٦٢ - (١٠٠) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، (يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ)، عَنْ ثَوْرٍ، (وَهُوَ ابْنُ زَيْدِ الدَّبَلِيِّ)، عَنْ أَبِي الْغَيْثِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةِ جَانِبٍ مِنْهَا فِي الْبَرِّ وَجَانِبٍ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ؟» قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَفْرُوهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ، فَإِذَا جَاؤُوهَا نَزَلُوا.....»

٧٧ - (٢٩١٩) - قوله: (عن جابر بن سمرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في فرض الخمس، باب قول النبي ﷺ: «أَحَلَّتْ لَكُمْ الْغَنَائِمُ» (٣١٢١)، وفي المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣٦١٩)، وفي الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ (٦٦٢٩).

قوله: (بمثل حديث أبي هريرة) ولفظه عند البخاري في فرض الخمس، وقد رواه من طريق إسحاق عن جرير: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَفْتَحَنَّ كَنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

٧٨ - (٥٠٠) - قوله: (كثُرَأَلٍ كَسْرَى الَّذِي فِي الْأَبْيَضِ) أي: في قصره الأبيض.

(٢٩٢٠) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث مما تفرد بإخراجه المصنف فيما بين الأئمة السنة.

قوله: (سمعتهم بمدينة جانب منها في البرّ وجانب منها في البحر) قال الحاكم بعد إخراج هذا الحديث في المستدرک (٤: ٤٧٦): «يَقَالُ: إِنْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ هِيَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ وَقَدْ مَاتَ فِي بَابِ فَتْحِ قُسْطَنْطِينِيَّةٍ أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْ هَذَا الْفَتْحِ مَا وَقَعَ بِيَدِ السُّلْطَانِ مُحَمَّدٍ فَاتِحٍ فِي سَنَةِ ٨٥٧ هـ، وَإِنَّمَا يَقَعُ هَذَا الْفَتْحُ الْمَذْكُورُ فِي حَدِيثِ الْبَابِ قَبْلَ خُرُوجِ الدَّجَالِ بِقَلِيلٍ، وَرَاجِعٌ مَا كَتَبْنَاهُ هُنَاكَ».

قوله: (سبعون ألفاً من بني إسحاق) كذا وقع في جميع النسخ، ولكن مال القاضي عياض

فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ وَلَمْ يَزْمُوا بِسَهْمٍ. قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ. فَيَسْقُطُ أَحَدٌ جَانِبُهَا».

قَالَ تَوْرُ: لَا أَغْلُمُهُ إِلَّا قَالَ: «الَّذِي فِي الْبَحْرِ. ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ. فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الْآخَرُ. ثُمَّ يَقُولُوا الثَّالِثُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ. فَيَفْرُجُ لَهُمْ. فَيَدْخُلُوهَا فَيَفْتَنُوهَا. فَيَبْتَنِمَا هُم يَفْتَنِسُمُونَ الْمَعَانِمَ، إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ فَقَالَ: إِنَّ الدَّجَالَ قَدْ خَرَجَ. فَيَتَرَكُونَ كُلُّ شَيْءٍ، وَيَرْجِعُونَ».

٧٢٦٣ - (١٠٠) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَرْزُوقٍ. حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ عُمَرَ الزُّهْرَانِيُّ. حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ. حَدَّثَنَا تَوْرُ بْنُ زَيْدٍ الدَّبَلِيُّ، فِي هَذَا الْإِسْنَادِ، بِمِثْلِهِ.

والنوي وغيرهما إلى أنه وهم، والصحيح المحفوظ (من بني إسماعيل لأن المراد منهم العرب، كما تدل عليه الروايات الأخرى. ولكن ذكر القرطبي احتمالاً أن ما وقع في الروايات صحيح، وإنما يُنسب العرب في هذه الرواية إلى إسحاق عليه السلام، لأنه عمهم، وقد ينسب الرجل إلى عمه. وراجع شرح الأبي.

قال العبد الضعيف عفا الله عنه: لم أجد في الروايات الأخرى صريحاً أنهم يكونون من العرب خالصة. ولم لا يجوز أن يكون ذلك الجيش مشتملاً على عدد كبير من بني إسحاق قد اعتنقوا الإسلام؟ وعلى هذا، فلا حاجة إلى القول بالوهم أو إلى التأويل الذي ذكره القرطبي، والله سبحانه وتعالى أعلم.

قوله: (فلم يقاتلوا بسلاح) إلخ: ظاهره أن مدينة قسطنطينية لا تفتح حينئذ بالأسلحة والقتال، وإنما تفتح بالتهليل والتكبير فقط. وقد يتعارض هذا مع ما مر في باب فتح قسطنطينية من حديث أبي هريرة، حيث ذكر فيه: «يفقاتلون فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويُقتل ثلثهم، أفضل الشهداء عند الله، ويفتح الثلث لا يفتنون أبداً، فيفتحون قسطنطينية» وحاول الأبي رحمه الله أن يجمع بين الحديثين، وحاصل ما ذكره أن القتال المذكور في هذا الحديث الأخير إنما يقع قبل فتح القسطنطينية، وقد ذكر فيه أن الثلث من هؤلاء المقاتلين الذين يقدر لهم النصر في القتال يفتحون القسطنطينية بعد هذا النصر، ولم يُذكر هناك طريقة افتتاحهم للقسطنطينية، والمذكور هنا أنهم سيفتتحونها بالتهليل والتكبير، فلا تعارض بين الحديثين. هذا ما ذكره الأبي رحمه الله تعالى، فتأمل. وقال أبو الحسن السندي في حاشيته (ص: ٨٧): «كانهم يقاتلون الكفرة أولاً، حتى إذا غلبوهم يقصدون البلدة فيدخلون فيها بلا قتال ثان عند دخولهم البلدة، والله تعالى أعلم».

قوله: (إذ جاءهم الصرير فقال: إن الدجال قد خرج) قد مر في باب فتح القسطنطينية أن هذا الخبر يكون باطلاً، ثم يخرج الدجال حين يرجعون إلى الشام.

٧٢٦٤ - (٧٩) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشْرٍ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَتَقَاتِلَنَّ الْيَهُودَ. لَتَقْتُلُنَّهُمْ حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ، هَذَا يَهُودِيٌّ، فَتَعَالَ فَاثْلُهُ».

٧٢٦٥ - (١٠٠) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: «هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي».

٧٢٦٦ - (٨٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ حَمْزَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ سَالِمًا يَقُولُ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تَقْتُلُونَ أَنْتُمْ وَيَهُودُ، حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ، هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي، تَعَالَ فَاثْلُهُ».

٧٢٦٧ - (٨١) حَدَّثَنَا حَزْمَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، حَدَّثَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ أَخْبَرَهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تَقَاتِلُكُمُ الْيَهُودُ، فَتَسْلُطُونَ عَلَيْهِمْ، حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ، هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاثْلُهُ».

٧٢٦٨ - (٨٢) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ،

٧٩ - (٢٩٢١) - قوله: (عن ابن عمر) هذا الحديث أخرجه البخاري في الجهاد، باب قتال اليهود (٢٩٢٥)، وفي المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣٥٩٣)، وأخرجه الترمذي في الفتن، باب ما جاء في علامة الدجال (٢٢٣٦).

قوله: (حتى يقول الحجر: يا مسلم! هذا يهودي) يعني: حينما يريد اليهودي أن يختفي وراء حجر، فإنه ينطق ويخبر المسلمين بمكانه. وذلك يقع بعد ما يقتل عيسى عليه السلام الدجال. وقد وقع ذلك مفصلاً في حديث طويل لأبي أمامة أخرجه ابن ماجه (رقم: ٤١٢٨) وفيه: فقال عيسى عليه السلام: افتحوا الباب فيفتح، ووراء الدجال، معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى وساج. فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وينطلق هارباً. ويقول عيسى عليه السلام: إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها، فيدركه عند باب اللذ الشرقي فيقتله، فيهرم الله اليهود، فلا يبقى شيء مما خلق الله عز وجل يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء، لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة إلا العرقدة، فإنها من شجرهم، لا تنطق، إلا قال: يا عبد الله المسلم! هذا يهودي، فتعال فاثله.

وقال الأبي رحمه الله تعالى: «لا مانع من حملة على الحقيقة بإدراك يخلقه الله تعالى للحجر، ويحتمل المجاز، وإنه كناية عن كمال استحصال قتلهم».

عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ. فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ. حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ. فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ، يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي. فَتَعَالَ قَاتِلْهُ. إِلَّا الْغُرْقَدَ. فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ».

٧٢٦٩ - (٨٣) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. (قَالَ يَحْيَى: أَخْبَرَنَا. وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: حَدَّثَنَا) أَبُو الْأَخْوَصِ. ح. وَحَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ. حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ. يَلَاكُهُمَا عَنْ سِمَاكٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ. سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ كَذَابِينَ».

وَرَأَى فِي حَدِيثِ أَبِي الْأَخْوَصِ: قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: أَتَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ.

٧٢٧٠ - (١٠١) وَحَدَّثَنِي ابْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ. قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سِمَاكٍ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، مِثْلَهُ.

قَالَ سِمَاكٌ: وَسَمِعْتُ أَخِي يَقُولُ: قَالَ جَابِرٌ: فَأَحْذَرُوهُمْ.

٨٢ - (٢٩٢٢) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في الجهاد، باب قتال اليهود (٢٩٢٦)، وأحمد في مسنده (٢: ٣١٧).

قوله: (إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود) قال القرطبي: «الغرقد شجر معروف له شوك معروف ببلاد بيت المقدس، وهناك يكون قتل الدجاج واليهود، وحكى النووي عن أبي حنيفة الدُّبُورِي أَنَّ الْمَوْسَجَةَ إِذَا عَظُمَتْ فِيهِ غُرْقَدَةٌ. وَقَالَ الطَّبْرِيُّ فِي الْكَاشَفِ (١٠: ٧٥): «هُوَ ضَرْبٌ مِنْ شَجَرِ الْعِضَاءِ وَشَجَرِ الشُّوكِ، وَالْغُرْقَدَةُ وَاحِدَةٌ. وَمِنْ قَبْلِ لِمَقْبَرَةِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ: بِقَعِ الْغُرْقَدِ، لِأَنَّهُ كَانَ فِيهِ غُرْقَدٌ وَقُطِعَ».

وأما نسبة هذه الشجرة إلى اليهود، فلم أعرف وجهها في شيء من الروايات، وذكر الشيخ علي القاري في المرقاة (١٠: ١٤٣) أنها إضافة بأدنى ملاسة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

٨٣ - (٢٩٢٣) - قوله: (عن جابر بن سمرة) هذا الحديث أخرجه المصنف فقط عن بين الأئمة الستة، وأخرجه أحمد في مسنده (٥: ٨٦ و ٨٧ و ٨٨ و ٩٤ و ١٠١).

قوله: (إن بين يدي الساعة كذابين) قال الطَّبْرِيُّ فِي الْكَاشَفِ (١٠: ٩١): «المراد منه كثرة الجهل وقلة العلم. والإنبيان بالموضوعات من الأحاديث، وما يفترونه على رسول الله ﷺ. ويمكن أن يراد به أدعياء النبوة، لما كان في زمانه وبعد زمانه، وأن يراد بهم جماعة يدعون إلى أهواء فاسدة، ويسندون اعتقادهم الباطل إليه ﷺ، كأهل البدع كلهم».

٧٢٧١ - (٨٤) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ. (قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا وَقَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا) عَبْدُ الرَّحْمَنِ - وَهُوَ ابْنُ مَهْدِيٍّ - عَنْ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ. كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ».

٧٢٧٢ - (١٠٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ. حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ. أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، بِمِثْلِهِ. غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «يُبْعَثُ».

٨٤ - (١٥٧) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٢٦٠٩)، والترمذي في الفتن، باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذَّابون (٢٢١٨)، وأبو داود في الملاحم، باب ما جاء في خبر ابن صائد (٤٣٣٣)، وأخرجه أحمد في مسنده (٢: ٢٣٧).

قوله: (دجالون كذَّابون قريب من ثلاثين) الدجل: التغطية والتمويه، والدجال مبالغة منه، فهو من يكثر الدجل، ويطلق على الكاذب أيضاً. فالدجالون بهذا المعنى كثير، غير أن الدجال الذي يقتله المسيح عليه السلام أكبرهم. والمراد من الدجالين هنا: الذين يدعون لأنفسهم النبوة كذباً وزوراً. وقد خرج منهم خلق كثير لا يُحصون، ولكن غالبهم ينشأ لهم ذلك عن جنون أو سوداء، فلم يُعتد بهم في حديث الباب، وإنما المراد في الحديث من قامت له شوكة وبدت له شبهة. وكانوا قريباً من هذا العدد المذكور في الحديث.

وقد ظهر مصداق ذلك في آخر زمن النبي ﷺ، فخرج مسيلمة باليمامة، والأسود العنسي باليمن. ثم خرج في خلافة أبي بكر ﷺ طليحة بن خويلد في بني أسد بن خزيمه، وسجاح التميمية. وقتل الأسود قبل وفاة النبي ﷺ، ومسيلمة في خلافة أبي بكر ﷺ. وتاب طليحة ومات على الإسلام على الصحيح في خلافة عمر. ونقل أن سجاح أيضاً تابت. ثم خرج المختار بن أبي عبيد الثقفي، وقتل سنة بضع وستين. وخرج الحارث الكذاب في خلافة عبد الملك بن مروان فقتل، وخرج في خلافة بني العباس جماعة.

ثم ظهر في هذه العصور الأخيرة مرزا غلام أحمد القادياني في الهند، ولا يزال أتباعه مبشورين في العالم اليوم، وكل هؤلاء من الدجاجة الذين أخبر النبي الكريم ﷺ بخروجهم، فصدق ما أخبر به ﷺ. والحديث حجة واضحة على كل من ادعى النبوة بعده ﷺ وعلى أنه دجال كذاب أعادنا الله تعالى من شره.

(١٩) - باب: ذكر ابن صياد

٧٢٧٣ - (٨٥) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ - وَاللَّفْظُ لِعُثْمَانَ - . قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا . وَقَالَ عُثْمَانُ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَإِلِي، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَمَرَرْنَا بِصَيَّانٍ فِيهِمْ ابْنُ صَيَّادٍ . فَقَرَأَ الصَّيَّانُ وَجَلَسَ ابْنُ صَيَّادٍ .

(١٩) - باب: ذكر ابن صياد

٨٥ - (٢٩٢٤) - قوله: (عن عبد الله) يعني: ابن مسعود رضي الله عنه . وهذا الحديث مما تفرد المصنف بإخراجه فيما بين الأئمة الستة، وأخرجه أحمد في مسنده (١: ٤٥٧) .

قوله: (بصبيان فهم ابن صياد) وكان ابن صياد غلاماً وُثِدَ في اليهود، اسمه صاف، ويقال له ابن صائد أيضاً، وذكر القرطبي عن الوافدي أنه كان ينسب إلى بني التجرار، ولعله كان من اليهود الذين كانوا حلفاء لبني التجرار، فلذلك نسب إليهم . واشبه أمره على المسلمين، فوق لهم شك أنه هو المسيح الدجال . وسبب ذلك ما أخرجه أحمد في مسنده (٣: ٣٦٨) من حديث جابر، قال: ولدت امرأة من اليهود غلاماً ممسوحة عينه، والأخرى طالعة نائنة، فأشفق النبي ﷺ أن يكون هو الدجال .

وأخرج الترمذي في جامعه (رقم: ٢٢٤٨) عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: يمكنك أبو الدجال وأمه ثلاثين عاماً لا يولد لهما ولد، ثم يولد لهما غلام أعور أضر شيء وأقله منفعة تام عينه ولا ينم قلبه ثم نعت لنا رسول الله ﷺ أبويه، فقال: أبوه طوال ضرب اللحم كأن أنفه منقار، وأمه فُرْصَانِيَّة (وفسره في رواية أحمد بعظيمة الثديين، راجع الفتح الرياني ٢٤: ٦١) فقال أبو بكرة: قسمنا بملود في اليهود بالمدينة، فذهبت أنا والزبير بن العوام حتى دخلنا على أبويه، فإذا نعت رسول الله ﷺ فيهما . فقلنا: هل لكما وُد؟ فقالا: مكثنا ثلاثين عاماً لا يولد لنا وُد، ثم وُلِدَ لنا غلام أضر شيء وأقله منفعة، تام عيناه ولا ينم قلبه . قال: فخرجنا من عندهما، فإذا هو متجدل في الشمس في قطيفة له، ونه همهمة، فنكشَفَ عن رأسه، فقال: ما قلتما؟ قلنا: وهل سمعت ما قلنا؟ قال: نعم، تام عيناي ولا ينم قلبي» قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة .

وأخرج أحمد في مسنده (٥: ١٤٨) عن أبي ذر رضي الله عنه قال: وكان رسول الله ﷺ بعثني إلى أمه، قال: سلها كم حملت به؟ قال: فأنبتها، فسألته، فقالت: حملت به اثني عشر شهراً . قال: ثم أرسلني إليها فقال: سلها عن صيخته حين وقع . قال: فوجعت إليها فسألته، فقالت: صاح صيحة الصبي ابن شهر، تعني أن صيخته كانت فوق ما يصيح بها الملود عادة، وإنما كان صوته كصوت صبي ابن شهر . وهذا الحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨: ٢) وقال:

فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَرَهُ ذَلِكَ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «تَرَبَّيْتُ بِذَاكَ. أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟» فَقَالَ: لَا. بَلْ تَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ. فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: دُرَيْي. يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَتَّى أَقْتُلَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ يَكُنِ الَّذِي تَرَى، فَلَنْ تَسْتَطِيعَ قَتْلَهُ».

رواه أحمد والبراز. . . والطبراني في الأوسط، ورجال أحمد رجال الصحيح غير الحارث بن حصيرة، وهو ثقة.

وحاصل هذه الروايات: أن ابن صياد وُلد بأوصاف غير عادية، وقد وُجد فيه وفي أبويه بعض العلامات التي بينها رسول الله ﷺ للمسيح الدجال، ولذلك أراد أن يستكشف أمره. وقد يستكمل ذلك بأن النبي ﷺ كان يعلم أن الدجال المعهود إنما يخرج في آخر الزمان، ويقتله المسيح عليه السلام، فكيف ظنَّ لرجل مولود في زمنه أنه هو الدجال؟ والجواب: أنه وقع عنده التردد في أمره على احتمال أن يكون الدجال المعهود وُلد في زمنه، ويكون خروجه المعهود في آخر الزمان، ولم يخبره الرُحي حينئذ عن المدة المضروبة لخروجه المعهود، والله سبحانه وتعالى أعلم.

قوله: (فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَرَهُ ذَلِكَ) لعلَّ مراده أن النبي ﷺ كره بقاءه جالساً وعدم قراره مع الصبية الآخرين، وكان لا يحب أن يواجهه.

قوله: (إِنْ يَكُنِ الَّذِي تَرَى، فَلَنْ تَسْتَطِيعَ قَتْلَهُ) يعني: إن كان ابن صياد هو الدجال على ما تظنه فإنك لن تستطيع قتله، لأن قتل الدجال مقتدر بيد المسيح الموعود عليه السلام. وجواب النبي ﷺ ههنا مختصر. وقد ورد في حديث ابن عمر عند أبي داود في الملاحم (رقم: ٤٣٢٩): «إِنْ يَكُنْ، فَلَنْ تُسَلِّطَ عَلَيْهِ - يعني: الدجال - وإلا يكن، فلا خير في قتله» وكذلك وقع عند أحمد في مسنده. ووقع في حديث جابر عند أحمد: «إِنْ يَكُنْ هُوَ، فَلَسْتُ صَاحِبَهُ، إِنَّمَا صَاحِبُهُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِلَّا يَكُنْ هُوَ، فَلَيْسَ نَكُ أَنْ تَقْتُلَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْعَهْدِ» راجع الفتح الرباني (٢٤: ٦٥) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨: ٤) وقال: رجاله رجال الصحيح.

وقال الخطابي في معالم السنن (٦: ١٨١): «وقد اختلف الناس في ابن صياد اختلافاً شديداً، وأشكل أمره حتى قيل فيه كل قول. وقد يسأل عن هذا فيقال: كيف يُقر رسول الله ﷺ رجلاً يدعي النبوة كاذباً، ويتركه بالمدينة يساكنه في داره ويجاوره فيها؟ وما معنى ذلك؟... والذي عندي: أن هذه القصة إنما جرت معه أيام مهادنة رسول الله ﷺ اليهود وحلفائهم. وذلك أنه بعد مقدّمه المدينة كتب بينه وبين اليهود كتاباً صالحهم فيه على أن لا يهاجروا، وأن يتركوا على أمرهم، وكان ابن صياد منهم، أو دخيلاً في جملتهم».

وقال علي القاري رحمه الله في المرقاة (١٠: ٢٢١): «وإنما لم يقتله ﷺ مع أنه ادعى بحضرته النبوة لأنه صبي، وقد نهى عن قتل الصبيان، أو أن اليهود كانوا يومئذ مستسكين بالذمة

٧٢٧٤ - (٨٦) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ثُمَيْرٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَأَبُو كُرَيْبٍ .. وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ - (قَالَ ابْنُ ثُمَيْرٍ: حَدَّثَنَا. وَقَالَ الْآخَرَانِ: أَخْبَرَنَا) أَبُو مُعَاوِيَةَ. حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنَّا نُمِشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ. فَمَرَّ بِابْنِ صَيَّادٍ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَدْ خَبَأَتْ لَكَ خَبِيئَةً» فَقَالَ: دُخٌّ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اِخْسَأْ. فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ» فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَغْنِي فَأَضْرِبْ عَنْقَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَغْنُهُ. فَإِنْ يَكُنِ الَّذِي تَخَافُ، لَنْ تَسْتَطِيعَ قَتْلَهُ».

مصالحين أن يتركوا على أمرهم، وهو منهم أو من حلفائهم، فلم يكن ذمة ابن صياد تنتقض بقوله الذي قال. كذا قاله بعض علمائنا من الشراح. وقال ابن الملك: وهذا يدل على أن عهد الوالد يجزىء عن ولده الصغير. وقيل: إنه ما ادعى النبوة صريحاً، لأن قوله (أنتشهد) استفهام لا تصريح فيه.

قال العبد الضعيف عفا الله عنه: جواب الخطابي أولى وأرجح، لكونه مؤيداً بحديث جابر عند أحمد، وفيه: «ولا يكن هو، فليس لك أن تقتل رجلاً من أهل العهد».

٨٦ - (٥٠٠) - قوله: (قد خبأت لك خبيئاً) أي: أضمرت لك في نفسي شيئاً لتخبرني به، والخبأ: الإخفاء والخبىء فعيل بمعنى المفعول، يعني: المخبوء، وهو الشيء المخفي، ووقع في بعض النسخ (خبأ) بدون ياء، وهو مصدر بمعنى المفعول.

قوله: (فقال: دُخٌّ) بضم فتشديد، وكان رسول الله ﷺ خبأ له قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ (الدخان: ١٠) كما هو مصرح في حديث ابن عمر عند أبي داود وأحمد، ولفظه: «وخبأ له يوم تأتي السماء بدخان مبين» كما في الفتح الرباني ٢٤: ٦٣، ولكن ابن صياد لم يهتد منه إلا لهذا اللفظ الناقص على عادة الكهان إذا ألقى الشيطان إليهم بقدر ما يخطف قبل أن يدركه الشهاب.

واستبعد الخطابي ما تقدم، وصوب أنه خبأ له الدخ، وهو نبت يكون بين البساتين. وسبب استبعاده له أن الدخان لا يُخبأ في اليد ولا الكف. ثم قال: إلا أن يكون خبأ له اسم الدخان في ضميره. وعلى هذا فيقال: كيف اطلع ابن صياد أو شيطانه على ما في الضمير؟ ويمكن أن يجاب باحتمال أن يكون النبي ﷺ تحدث مع نفسه أو أصحابه بذلك قبل أن يختبره، فاسترق الشيطان ذلك أو بعضه. كذا في فتح الباري: (٦: ١٧٤)، وهذا هو المتعين نظراً إلى ما قدمنا من حديث ابن عمر عند أحمد، حيث صرح فيه بأن النبي ﷺ كان خبأ له آية سورة الدخان.

قوله: (اِخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ) اِخْسَأْ بفتح السين وسكون الهمزة، كلمة زجر واستهانة، أي: امكث صاغراً، أو ابعُد حقيراً واسكت مزجوراً. يقال: خسأ الكلب، كمنع، إذا طرده خسأ وخسوه، وخسأ الكلب وخسبىء: بعُد، والبصر: كل. كذا في القاموس. وأما قوله (فلن تعدو) فلن تعدو

٧٢٧٥ - (٨٧) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى . حَدَّثَنَا سَالِمُ بْنُ نُوحٍ ، عَنْ الْجَزْزِيرِيِّ ، عَنْ أَبِي نُضْرَةَ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ . قَالَ : لَقِيَهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟» فَقَالَ هُوَ : أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَمَنْتُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ . مَا تَرَى؟» قَالَ : أَرَى عَرْشًا عَلَى الْمَاءِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «تَرَى عَرْشَ إِبْلِيسَ عَلَى الْبَحْرِ . وَمَا تَرَى؟» قَالَ : أَرَى صَادِقِينَ وَكَاذِبِينَ أَوْ كَاذِبِينَ وَصَادِقًا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَيْسَ عَلَيْهِ دَعْوَةٌ» .

فَدَرْك) أَي : إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجَاوِزَ مَا قَدَّرَ اللَّهُ لَكَ ، أَوْ الْقَدَرُ الَّذِي يَدْرِكُهُ الْكَهَّانُ مِنَ الْاهْتِدَاءِ إِلَى بَعْضِ الشَّيْءِ دُونَ كُلِّهِ .

وَكَانَ الْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا الْامْتِحَانِ أَنْ يَتَبَيَّنَ لِلنَّاسِ أَمْرُهُ ، وَأَنَّهُ مِنْ جَمَلَةِ الْكَهَنَةِ الَّذِينَ إِنَّمَا يَتَلَقُّونَ مِنَ الشَّيَاطِينِ أَخْبَارًا نَاقِصَةً ، وَلَيْسَ مَا يَخِيرُ بِهِ مِنْ قِبَلِ الْوَحْيِ .

٨٧ - (٢٩٢٥) - قَوْلُهُ : (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ) هَذَا الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ أَيْضًا التِّرْمِذِيُّ فِي الْفِتَنِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي ذِكْرِ ابْنِ صَائِدٍ (٢٢٤٧) ، وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (٣ : ٩٧) .

قَوْلُهُ : (لَقِيَهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) أَي : لَقِيَ ابْنَ صَيَادٍ ، وَلَعَلَّهُ أَتَى بِالضَّمِيرِ الْمَنْصُوبِ لِكُونِهِ مَذْكُورًا فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ الْمَاقِبِ .

قَوْلُهُ : (أَمَنْتُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ) وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ الْآتِي قَرِيبًا : «أَمَنْتُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْمَعْنَى أَنِّي أَمَنْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَلَسْتُ مِنْهُمْ . وَقَدْ تَكَلَّمَ الشَّرَاحُ عَنِ السَّبَبِ فِي عَدَمِ التَّصْرِيحِ بِالْإِنْكَارِ عَلَيْهِ فِي دَعْوَى رَسَالَتِهِ . وَالَّذِي يَظْهَرُ لِهَذَا الْعَبْدِ الضَّعِيفِ عَقْلًا اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ ابْنَ صَيَادٍ نَفْسَهُ لَمْ يَصْرَحْ بِدَعْوَى الرِّسَالَةِ ، وَإِنَّمَا سَأَلَهُ عَنْ طَرِيقِ الْإِسْتِفْهَامِ : (أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟) وَلَيْسَ فِيهِ صِرَاحَةٌ بِأَنَّهُ يَدْعِي كُونَهُ رَسُولًا ، وَيَحْتَمِلُ أَيْضًا أَنَّهُ أَعَادَ نَفْسَ السُّؤَالِ الَّذِي طَرَحَهُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَهْكِيمًا ، وَلَمْ يَقْصِدْ دَعْوَى الرِّسَالَةِ ، فَاحْتَاطَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قَوْلُهُ : (مَا تَرَى؟) يَعْنِي : مَا هُوَ الشَّيْءُ الَّذِي تَرَاهُ زَائِدًا عَمَّا بَرَاهُ الْعَامَّةُ ، وَالَّذِي تَزْعُمُ أَنَّهُ يَخْبُرُكَ عَنِ الْمَغْيِبَاتِ؟

قَوْلُهُ : (أَرَى صَادِقِينَ وَكَاذِبًا ، أَوْ كَاذِبِينَ وَصَادِقًا) أَي : يَأْتِينِي شَخْصَانِ يَخْبِرَانِنِي بِمَا هُوَ صَدَقَ ، وَشَخْصٌ يَخْبِرُنِي بِمَا كَذَبَ ، أَوْ شَخْصَانِ يَخْبِرَانِنِي بِالْكَذِبِ ، وَشَخْصٌ وَاحِدٌ يَخْبِرُنِي بِالصَّدَقِ . وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا التَّرَدُّدَ مِنْ ابْنِ صَيَادٍ نَفْسَهُ ، وَعَلَيْهِ مَشَى عَلِيُّ الْقَارِي فِي الْمَرْقَاةِ : (١٠ : ٢٢٥) ، فَقَالَ : «وَالشَّكُّ مِنْ ابْنِ الصَّبَادِ فِي عَدَدِ الصَّادِقِ وَالْكَاذِبِ يَدُلُّ عَلَى افْتِرَائِهِ ، إِذِ الْمُوَيَّدُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ» وَقَدْ وَقَعَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ الْآتِي قَرِيبًا : يَأْتِينِي صَادِقٌ وَكَاذِبٌ فَذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ يَأْتِيهِ مِنْ يَخْبِرُهُ بِالصَّدَقِ ، وَقَدْ يَأْتِيهِ مِنْ يَخْبُرُ كَاذِبًا ، وَلَمْ يَذْكُرْ عَدَدًا .

قَوْلُهُ : (لَيْسَ عَلَيْهِ) بِضَمِّ اللَّامِ وَتَخْفِيفِ الْبَاءِ ، أَي : خُلِيطَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ ، أَي : يَأْتِيهِ بِهِ شَيْطَانُ

٧٢٧٦ - (٨٨) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى قَالَا: حَدَّثَنَا مُغْتَنِيٌّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي. قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو نَضْرَةَ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: لَقِيَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ ابْنُ صَائِدٍ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ. وَابْنُ صَائِدٍ مَعَ الْعُلَمَاءِ، فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ الْجُرَيْرِيِّ.

٧٢٧٧ - (٨٩) حَدَّثَنِي عُثَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْقَوَارِيرِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى. قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى. حَدَّثَنَا دَاوُدُ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: صَحِبْتُ ابْنَ صَائِدٍ إِلَى مَكَّةَ. فَقَالَ لِي: أَمَا قَدْ لَقِيتَ مِنَ النَّاسِ. يَزْعُمُونَ أَنِّي الدَّجَالُ. أَلَسْتُ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهُ لَا يُولَدُ لَهُ» قَالَ: قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: فَقَدْ وُلِدَ لِي. أَوْ لَيْسَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ وَلَا مَكَّةَ» قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: فَقَدْ وُلِدْتُ بِالْمَدِينَةِ. وَهَذَا أَنَا أُرِيدُ مَكَّةَ. قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي فِي آخِرِ قَوْلِهِ: أَمَّا وَاللَّهِ، إِنِّي لَا أَعْلَمُ مَوْلِدَهُ وَمَكَانَهُ وَأَيْنَ هُوَ. قَالَ: فَلَبَسَنِي.

يخلط عليه الصدوق مع الكذب. وذكر الأبى عن بعض المشايخ أن مراده أن النبي ﷺ توقف وشك في أن ابن صياد بحالة التكليف، وأن معنى (ليس): خلط تخليط المختل لتناقضه التناقض الذي لا يفهم معناه، والله أعلم.

٨٨ - (٢٩٢٦) - قوله: (عن جابر بن عبد الله) هذا الحديث لم يخرج أحد غير المصنف من الأئمة الستة.

٨٩ - (٢٩٢٧) - قوله: (عن أبي سعيد الخدري) هذا الحديث أخرجه الثرمذي في الفتن، باب ما جاء في ذكر ابن صائد (٢٢٤٦)، وأحمد في مسنده (٣: ٩٧).

قوله: (أما قد لقيت من الناس) أي: لقيت مصائب من الناس ومن كلامهم في.

قوله: (فقد وُلدت بالمدينة) استدل ابن صياد على نفي كونه الدجال المعهود بأن النبي ﷺ قد أخبر أنه لا يولد للدجال وإنه قد ولد له، وكذلك أخبر النبي ﷺ أن الدجال لا يدخل مكة والمدينة، وإن ابن صياد قد ولد بالمدينة، والآن ذاهب إلى مكة. وقد رد بعض العلماء على استدلاله هذا بأن النبي ﷺ إنما أخبر أحوال الدجال عند خروجه المعهود، وأنه لا يكون له ولد في ذلك الزمان، ولا يستطيع أن يدخل مكة والمدينة حينئذ، فلا يتنافى أن يكون له ولد في ابتداء حياته، ولا أن يدخل الحرمين قبل خروجه المعهود، ولكن يرد التأويل الأول ما سيأتي في رواية الحريري: «هو عقيم لا يولد له» ولكن لينظر فيه لأنه من رواية ابن صياد نفسه.

قوله: (قال: قلبسني) أي: جعلني ألبس في أمره وأشد في. وذلك لأن استدلاله المذكور كان قوياً في الظاهر مما يقتضي أنه ليس الدجال المعهود، ولكنه قال في آخر كلامه إنه يعلم مولد الدجال ومكانه، وهذا مما أوقعني في الشك مرة أخرى.

٧٢٧٨ - (٩٠) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى. قَالَا: حَدَّثَنَا مَعْنِي بْنُ سَمْعَانَ أَبِي يُحْدِثُ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ صَائِدٍ، وَأَخَذَنِي مِنْهُ ذِمَامَةٌ: هَذَا عَذَرْتُ النَّاسَ. مَا لِي وَلَكُمْ يَا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ؟ أَلَمْ يَقُلْ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ يَهُودِيٌّ» وَقَدْ أَسْلَمْتُ قَالَ: «وَلَا يُؤَلِّدُ لَهُ» وَقَدْ وَلَدَ لِي. وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَيْهِ مَكَّةَ» وَقَدْ حَاجَجْتُ.

قَالَ: فَمَا زَالَ حَتَّى كَادَ أَنْ يَأْخُذَ فِي قَوْلِهِ. قَالَ: فَقَالَ لَهُ: أَمَّا، وَاللَّهِ إِنِّي لَا عَلَمُ الْآنَ حَيْثُ هُوَ وَأَعْرِفُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ. قَالَ: وَقِيلَ لَهُ: أَيْسَرُكَ أَنَّكَ ذَاكَ الرَّجُلُ؟ قَالَ: فَقَالَ: لَوْ عُرِضَ عَلَيَّ مَا كَرِهْتُ.

٩٠ - (١٠٠) - قوله: (وأخذتني منه ذمامة) بفتح الذال، فتره النووي بالحياء والإشفاق من الدِّمِّ واللَّوم، وهو مذكور بهذا المعنى في لسان العرب (٥: ٦٠). والحاصل أنني خشيت أن يلحقني عار أو لوم من مصاحبي لابن صياد وهذه الجملة معترضة وقائلها أبو سعيد الخدري رحمه الله.

قوله: (هذا، عذرت الناس) تقديره: عذرت الناس في هذا، أي: أظن عامة الناس معذورين فيما يقولون في من أتى دجال، لأن عامة الناس لا علم عندهم بحقيقة الدجال، ولكنكم يا أصحاب محمد ﷺ تعرفون العلامات التي ذكرها النبي ﷺ للدجال، وأنها لا توجد في، فكيف تشكون في هذا الأمر؟

قوله: (وقد أسلمت) قال القاضي عياض رحمه الله: «إن هذه الأشياء اتفقت له بعد أن كبر، وبعد موته ﷺ، وأنه حج البيت وحفظ الحديث عن رسول الله ﷺ، وذكره الطبري وغيره في عداد الصحابة، لكن ظهرت منه في هذه الأحاديث أمور بعضها كفر، كقوله (لو عُرض علي ما كرهت) فإن من رضي لنفسه دعوى الألوهية وحالة الدجال فهو كافر، وبعضها يشعر أنه الدجال، كقوله (إني أعرفه وأعرف مولده وأين هو؟) (زاد الترمذي وأين هو الساعة من الأرض) فإن هذه كالنص أنه هو. وما لبس به من أنه أسلم، فقد يكفر فيما يستقبل، أو يكون إسلامه تقية وهو منافق» كذا في شرح الأبي.

قوله: (حتى كاد أن يأخذ في قوله) هو بتشديد (في) و (قوله) مرفوع على كونه فاعلاً لقوله (يأخذ)، أي: يؤثر في وأصدقه في دعواه.

قوله: (لو عُرض علي ما كرهت) يعني: لو عُرض علي أن أكون الدجال المعهود، لا أكره ذلك. وإن قوله هذا مما جعل القاضي عياضاً رحمه الله يستيقن أنه لم يكن مسلماً، فإن من يرضى لنفسه أن يكون دجالاً، لا يستحق أن يسمى مسلماً.

٧٢٧٩ - (٩١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا سَالِمُ بْنُ نُوحٍ، أَخْبَرَنِي الْجُرَيْرِيُّ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: خَرَجْنَا حُجَّاجًا أَوْ عُمَارًا وَمَعَنَا ابْنُ صَائِدٍ. قَالَ: فَتَرَلْنَا مَنْزِلًا، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَبَقِيَْتُ أَنَا وَهُوَ. فَاسْتَوْحَشْتُ مِنْهُ وَخَشَعْتُ شِدِيدَةً مِمَّا يَقَالُ عَلَيْهِ. قَالَ: وَجَاءَ بِمَتَاعِهِ فَوَضَعَهُ مَعَ مَتَاعِي. فَقُلْتُ: إِنَّ الْحَرَّ شَدِيدٌ فَلَوْ وَضَعْتَهُ تَحْتَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ. قَالَ: فَفَعَلْتُ. قَالَ: فَرُفِعَتْ لَنَا عَنَمٌ. فَأَنْطَلَقَ فَجَاءَ بِعُسٍّ. فَقَالَ: اشْرَبْ. أَبَا سَعِيدٍ. فَقُلْتُ: إِنَّ الْحَرَّ شَدِيدٌ وَاللَّبَنُ حَارٌّ. مَا بِي إِلَّا أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَشْرَبَ عَنْ يَدِهِ. أَوْ قَالَ: آخِذٌ عَنْ يَدِهِ. فَقَالَ: أَبَا سَعِيدٍ، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آخِذَ حَبَلًا فَأَعْلَقَهُ بِشَجَرَةٍ ثُمَّ أَخْتَبِقَ بِمَا يَقُولُ لِي النَّاسُ، يَا أَبَا سَعِيدٍ، مَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ، مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَسْتُ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هُوَ كَافِرٌ» وَأَنَا مُسْلِمٌ؟ أَوْ لَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هُوَ عَقِيمٌ لَا يُولِدُ لَهُ» وَقَدْ تَزَكَّيْتُ وَلَدِي بِالْمَدِينَةِ؟ أَوْ لَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ وَلَا مَكَّةَ» وَقَدْ أَقْبَلْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَنَا أُرِيدُ مَكَّةَ؟

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: حَتَّى كَذَبْتُ أَنْ أَعْدِرَهُ. ثُمَّ قَالَ: أَمَّا، وَاللَّهِ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ وَأَعْرِفُ مَوْلِدَهُ وَأَيْنَ هُوَ الْآنَ.

قَالَ: قُلْتُ لَهُ: تَبَا لَكَ، سَائِرَ الْيَوْمِ.

٧٢٨٠ - (٩٢) حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ، حَدَّثَنَا بَشْرٌ، (يَعْنِي ابْنَ مُقْصَصٍ)، عَنْ أَبِي مَسْلَمَةَ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِابْنِ صَائِدٍ: «مَا نَزَبَةُ الْجَحَّةِ؟» قَالَ: ذَرْمَكَةُ بَيْضَاءُ، مِسْكٌ، يَا أَبَا الْقَاسِمِ، قَالَ: «صَدَقْتَ».

٩١ - (٠٠٠) - قوله: (مما يقال عليه) يعني: أخذتني وحشة منه بسبب ما يقول الناس فيه من أنه الدجال.

قوله: (فلو وضعته تحت تلك الشجرة) إنما أحب أن لا يختلط متاعه بمتاعه، ولكنه اعتذر بأن الحر شديد وإن اجتماع الأمتعة في مكان واحد ربما يمنع الهواء، فيزيد في الحر.

قوله: (فجاء بعُسٍّ) بعُسٍّ العين، وهو القدح الكبير. وجاء به وفيه لبن ليسقي أبا سعيد ﷺ.

قوله: (لقد هممت أن آخذ) إنخ: كأنه نمس من استنكاف أبي سعيد ﷺ أنه إنما لا يريد أن يشرب لبناً من يده لوعمه أنه الدجال، فذكر أنه في ضيق شديد مما يقول فيه الناس، فربما بهم بأن يقتل نفسه بالاختناق.

٧٢٨١ - (٩٣) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ . حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ ، عَنْ الْجُرَيْرِيِّ ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ؛ أَنَّ ابْنَ صَيَّادٍ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ تَرْبَةِ الْجَنَّةِ ؟ فَقَالَ : «فَرَمَكُمُ بَيْضَاءُ ، مِنْكُمْ خَالِصٌ» .

٧٢٨٢ - (٩٤) حَدَّثَنَا عُبيدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْمُعْتَبِرِيُّ . حَدَّثَنَا أَبِي . حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُثَنِّكِرِ ، قَالَ : رَأَيْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَخْلِفُ بِاللَّهِ ؛ أَنَّ ابْنَ صَيَّادٍ الدَّجَالُ . فَقُلْتُ : أَتَخْلِفُ بِاللَّهِ ؟ قَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ عُمَرَ يَخْلِفُ عَلَى ذَلِكَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ . فَلَمْ يُنْكِرْهُ النَّبِيُّ ﷺ .

٩٣ - (١٠٠) - قوله : (عن أبي سعيد) هذا الحديث مما تفرد به المصنف فيما بين الأئمة الستة ، وأخرجه أحمد في مسنده (٤٣ : ٣) .

قوله : (درمكة بيضاء) الدَّرَمَكُ ، بوزن جعفر ، دقيق الحواري ، والقراب الناعم ، كما في القاموس ، وهذه الرواية صريحة في أن رسول الله ﷺ هو الذي سأله عن تربة الجنة ، ولكن الرواية الآتية عكست الأمر ، فذكرت أن ابن صياد سأله ﷺ عن ذلك فأجابه بهذا ، وذكر القاضي عياض عن بعض أهل النظر أن الرواية الثانية أظهر ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

٩٤ - (٢٩٢٩) - قوله : (عن محمد بن المنكدر) هذا الحديث أخرجه البخاري في الاعتصام ، باب من رأى ترك النكير من النبي ﷺ حجة ، لا من غير الرسول (٧٣٥٥) ، وأبو داود في الملاحم ، باب في خبر ابن صائد (٤٣٣١) .

قوله : (إني سمعت عمر يحلف ذلك عند النبي ﷺ) استدل به بعض العلماء أن ابن صياد هو الدجال ، لأن النبي ﷺ لم ينكر على عمر ؓ في حلفه . وكذلك ورد عن جمع من الصحابة الجزم بكونه دجالاً ، وقد أخرج أبو داود (رقم : ٤٣٣٠) بسند صحيح عن موسى بن عقبة ، عن نافع ، قال : كان ابن عمر يقول : «والله ! ما أشك أن المسيح الدجال ابن صياد» وقد أخرج أحمد في مسنده (١٤٨ : ٥) من حديث أبي ذرٍّ : «لأن أحلف عشر مرار أن ابن صياد هو الدجال ، أحب إلي من أن أحلف واحدة أنه ليس هو» وأخرج أبو داود (رقم : ٤٣٢٨) عن الوليد بن عبد الله بن جميع ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن في قصة الحناسة : «فقال لي ابن أبي سلمة : إن في هذا الحديث شيئاً ما حفظته . قال : شهد جابر أنه هو ابن صياد . قلت : فإنه مات ، قال : وإن مات ، قلت : فإنه أسلم ، قال : وإن أسلم ، قلت : فإنه دخل المدينة ، قال : وإن دخل المدينة» .

وإن مراد هؤلاء الصحابة - والله أعلم - أن ابن صياد هذا هو الذي سوف يخرج في آخر الزمان مرة أخرى فيكون المسيح الدجال . قال الحافظ في الفتح (١٣ : ٣٢٩) : «وفي كلام جابر إشارة إلى أن أمره ملبس ، وأنه يجوز أن يكون ما ظهر من أمره إذ ذاك لا ينافي ما توقع منه بعد خروجه في آخر الزمان» .

٧٢٨٣ - (٩٥) حَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَرْمَلَةَ بْنِ عِمْرَانَ التَّحِيَّيْنِ:

أَخْبَرَنِي ابْنُ وَهَبٍ. أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَخْبَرَهُ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ أَخْبَرَهُ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ انْصَلَقَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي رَهْطٍ قَبْلَ ابْنِ صَيَّادٍ حَتَّى وَجَدَهُ يَلْعَبُ مَعَ الصَّبْيَانِ عِنْدَ أَطْمِ بَنِي مَغَالَةَ. وَقَدْ قَارَبَ ابْنُ صَيَّادٍ، يَوْمَئِذٍ

وذهب العلماء الآخرون إلى أنه ليس المسيح الدجال، فذكر الخطابي في معالم السنن (٦: ١٨١) أنه روى عن ابن صياد أنه تاب من ذلك القول ومات بالمدينة، وأنهم لما أرادوا الصلاة عليه كشفوا وجهه حتى يراه الناس، وقيل لهم: اشهدوا. وقد روى أبو داود (رقم: ٤٣٣٢) عن جابر خلاف هذا، قال جابر: «فقدنا ابن صياد يوم الحرة».

قال البيهقي رحمه الله: ليس في حديث جابر أكثر من سكوت النبي ﷺ على حلف عمر، فيحتمل أن يكون النبي ﷺ كان متوقفاً في أمره، ثم جاءه الثبوت من الله تعالى بأنه غيره، على ما تقتضيه قصة تميم الداري. وبه تمسك من جزم بأن الدجال غير ابن صياد وطريقه أصح، وتكون الصفة التي في ابن صياد وافقت ما في الدجال، حكاه الحافظ في الفتح (١٣: ٣٢٦).

وقال العبد الضعيف عفا الله عنه: ليس في حديث الباب صراحة بأن عمر رضي الله تعالى عنه حلف بكون ابن صياد المسيح الدجال الذي يخرج في آخر الزمان، وإنما ذكر فيه أنه حلف بكونه دجالاً، فيحتمل أن يكون أراد به أنه أحد الدجاجلة الذين أخبر رسول الله ﷺ بخروجهم قبل قيام الساعة. وحينئذ، فلا دلالة لحلفه على كونه الدجال المعهود. ولعل جابراً رضي الله عنه حلفه أنه أراد كونه الدجال المعهود الذي يخرج في آخر الزمان، فحلف بناء على فهمه، ولذلك فليس في النصوص ما يجزم به المرء على كونه الدجال المعهود، والله سبحانه وتعالى أعلم.

٩٥ - (٢٩٣٠) - قوله: (أن عبد الله بن عمر أخبره) هذا الحديث أخرجه البخاري في الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه (١٣٥٤)، وفي الشهادات، باب شهادة المختبيء (٢٦٣٨)، وفي الجهاد، باب كيف يُعرض الإسلام على الصبي (٣٠٥٥)، وفي الأدب، باب قول الرجل للرجل: اخساً (٦١٧٣)، وفي القدر، باب يحول بين المرء وقلبه (٦٦١٨)، وأخرجه أبو داود في الملاحم، باب في خبر ابن صائد (٤٣٢٩)، والترمذي في الفتن، باب ما جاء في ذكر ابن صائد (٢٢٤٩)، وباب ما جاء في علامة الدجال (٢٢٣٥)، وأحمد في مسنده (٢٥: ١٤٨).

قوله: (عند أطم بني مغالة) الأطم، بضم الهمزة والطاء، بناء بالحجارة كالحصن، وقيل: هو الحصن وجمعه أطام. ويتو مغالة، بفتح الميم وتخفيف الغين، بطن من الأنصار. وذكر الزبير بن أبي بكر أن كل ما كان عن يمينك إذا وقفت آخر البلاط مستقبل مسجد النبي ﷺ، فهو لبني مغالة، ومسجده ﷺ في بني مغالة، وما كان على يسارك فلبني جذيلة. كذا في عمدة القاري

الْحُلُمُ. فَلَمْ يَشْعُرْ حَتَّى ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِابْنِ صَيَّادٍ: «أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟» فَنَظَرَ إِلَيْهِ ابْنُ صَيَّادٍ فَقَالَ: «أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الْأُمِّيِّينَ». فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟» فَرَفَضَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «أَمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ». ثُمَّ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَاذَا تَرَى؟» قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: «يَأْتِينِي صَادِقٌ وَكَاذِبٌ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اخْلُطْ عَلَيْكَ الْأَمْرَ». ثُمَّ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئَةً» فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: «هُوَ الدُّخُّ». فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اخْشَأْ. فَلَنْ تَعْدُو قَدْرَكَ» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: «دَرَنِي، يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَضْرِبَ عُنُقَهُ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ يَكُنْهَ فَلَنْ تُسَلِّطَ عَلَيْهِ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْهَ فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ».

وَقَالَ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: انْطَلَقَ بَعْدَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبِيُّ بَنٍ كَعْبِ الْأَنْصَارِيِّ إِلَى النَّخْلِ الَّتِي فِيهَا ابْنُ صَيَّادٍ. حَتَّى إِذَا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّخْلَ، طَفِقَ يَتَّقِي بِجُدُوعِ النَّخْلِ. وَهُوَ يَخْتَلُ أَنْ يَسْمَعَ مِنْ ابْنِ صَيَّادٍ شَيْئاً، قَبْلَ أَنْ يَرَاهُ ابْنُ صَيَّادٍ. فَرَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى فِرَاشٍ فِي قَطِيفَةٍ لَهُ

(٤: ١٨٩). والبلاط موضع مبلط كان في شرقي المسجد وغربيه وشماله. كما في وفاء الوفاء للمسيهودي (١: ٧٣٧)، ولعل المقصود في قول الزبير البلاط الغربي، لأنه كان يسمى البلاط الأعظم، وعليه فتكون أطم بني مغالة على يمين منه في جهة قباء، والله أعلم.

قوله: (فرفضه رسول الله ﷺ) كذا وقع في أكثر النسخ بالصاد المعجمة، أي: ترك رسول الله ﷺ سؤاله الإسلام لئلاسه منه. وذكر القاضي عياض عن مشايخه أنه (رفضه) بالصاد المهملة وفسره بعضهم بالضرب بالرجل مثل الرفض بالسين، ولكن لا يوجد الرفض بهذا المعنى في أصول اللغة. ورواه الخطابي في غريبه: (فرضه) بصاد مهملة مشددة بدون فاء، وهو من الرض بمعنى ضم بعض الشيء إلى بعض، ومنه (بنيان مرصوص)، ومعناه حينئذ: ضغطه. هذا ملخص ما في شرح النووي وعمدة القاري، والله أعلم.

(٢٩٣١) - قوله: (وقال سالم بن عبد الله) هذه قصة ثانية وقعت لرسول الله ﷺ مع ابن صيَّاد، وهي موصولة بالإسناد المذكور في القصة الأولى. وقد أفردها أحمد عن عبد الرزاق. كذا في فتح الباري (٦: ١٧٤).

قوله: (وهو يختل) إلخ: بكسر التاء، والختل: طلب الشيء بحيلة، والمراد أن النبي ﷺ يخدع ابن صيَّاد ويستغفله ليسمع شيئاً من كلامه، ويعلم هو والصحابة حاله في أنه كاهن أم ساحر ونحوهما. وفيه كشف أحوال من تخاف مفسدته، وفيه كشف الإمام الأمور المهمة بنفسه. كذا في شرح النووي.

فِيهَا زَمْزَمَةٌ، فَرَأَتْ أُمُّ ابْنِ صَيَّادٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَتَّقِي بِجُدُوعِ النَّخْلِ. فَقَالَتْ لِابْنِ صَيَّادٍ: يَا صَافٍ، (وَهُوَ اسْمُ ابْنِ صَيَّادٍ)، هَذَا مُحَمَّدٌ. فَتَارَ ابْنُ صَيَّادٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ تَرَكْتَهُ بَيْنَ».

قَالَ سَالِمٌ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّاسِ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَالَ فَقَالَ: «إِنِّي لَأُنْذِرُكُمْ هُ. مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمُهُ. لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوْحٌ قَوْمَهُ. وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ. تَعْلَمُوا أَنَّهُ أَعْوَرٌ. وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرٍ».

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ: أَنَّهُ أَخْبَرَهُ بَعْضُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ، يَوْمَ حَذَرِ النَّاسِ الدَّجَالَ: «إِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ. يَفْرُوهُ مَنْ كَرِهَ عَمَلَهُ أَوْ يَفْرُوهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ». وَقَالَ: «تَعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَرًّا وَجَلًّا حَتَّى يَمُوتَ».

قوله: (له فيها زمزمة) وهو صوت خفي لا يكاد يفهم، أو لا يفهم. وقال شارح: هي صوت لا يفهم منه شيء وهو في الأصل صوت الرعد. كذا في المرفأة (١٠: ٢٢٣). وقال البغوي في شرح السنة (١٥: ٧٢): «يقال: زمزم يزمزم زمزمة: إذا صوت. وقيل في شأن زمزم: سميت به لصوت كان من جبريل عندها يشبه الزمزمة». وذكر النووي رحمه الله أن هذا اللفظ وقع في أكثر نسخ مسلم (زمزمة) بزائين معجمتين، ووقع في بعضها براءين مهملتين، ووقع في البخاري بالوجهين، والزمزمة براءين معناه الحركة. قلت: ووقع للبخاري في الجهاد (زمزمة) وهو من الرمز وهو الإشارة، وذكر البغوي أنه رواء بعضهم (زمرة) بتقديم الزاي، وهو بمعنى التغني.

قوله: (يا صاف) بالضم، وفي نسخة بالكسر، على أن أصله (صافي) فحذفت الياء واكتفي بالكسرة. ويؤيد الأول ظاهر قوله (وهو اسم ابن صياد).

قوله: (فتار ابن صياد) أي: نهض من مضجعه وقام. ووقع في رواية للبخاري في الشهادات: «افتتاحي ابن صياد» أي: أمسك عما كان يقوله.

قوله: (لو تركته بين) يعني: لو تركته أمه على حاله ولم تخبره عن مجيئنا، ليبين ابن صياد أمره بكلامه الذي كان يقوله، ولظهرت حقيقته.

(١٦٩) - قوله: (تعلّموا أنه أعور) سيأتي تفسير علامات الدجال في الباب اللاحق إن شاء الله تعالى.

قوله: (لن يرى أحد منكم ربه) إلخ: المقصود أن الدجال يكون ممن يراه الناس عياناً، وإن الله تعالى لا يمكن رؤيته في الدنيا، وهذا من الدلائل القاطعة على أنه ليس إلهاً.

٧٢٨٤ - (٩٦) حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَلَوَانِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ. قَالَا: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، (وَهُوَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ؛ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ قَالَ: انْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِهِ. فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ. حَتَّى وَجَدَ ابْنُ صَيَّادٍ غُلَامًا قَدْ نَاهَزَ الْحُلُمَ. يَلْعَبُ مَعَ الْعِلْمَانِ عِنْدَ أَطَمِ بَنِي مُعَاوِيَةَ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِ حَدِيثِ يُونُسَ. إِلَى مُنْتَهَى حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ ثَابِتٍ، وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ يَعْقُوبَ، قَالَ: قَالَ أَبِي، (يَعْنِي فِي قَوْلِهِ: لَوْ تَرَكْتَهُ بَيْنَ)، قَالَ: لَوْ تَرَكْتَهُ أُمَّهُ، بَيْنَ أُمَرَأَةٍ.

٧٢٨٥ - (٩٧) وَحَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَسَلَمَةُ بْنُ شَيْبٍ. جَمِيعًا عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ. أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِابْنِ صَيَّادٍ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ. فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ. وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْعِلْمَانِ عِنْدَ أَطَمِ بَنِي مُعَاوِيَةَ. وَهُوَ غُلَامٌ، بِمَعْنَى حَدِيثِ يُونُسَ وَصَالِحٍ. غَيْرَ أَنَّ عَبْدَ بْنَ حُمَيْدٍ لَمْ يَذْكُرْ حَدِيثَ ابْنِ عُمَرَ، فِي انْطِلَاقِ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ أَبِي بْنِ كَعْبٍ، إِلَى النَّخْلِ.

٧٢٨٦ - (٩٨) حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ. حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ. حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: لَقِيَ ابْنُ عُمَرَ ابْنَ صَائِدٍ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ. فَقَالَ لَهُ قَوْلًا أَغْضَبَهُ. فَانْتَفَخَ حَتَّى مَلَأَ السَّكَّةَ. فَدَخَلَ ابْنُ عُمَرَ عَلَى حَفْصَةَ وَقَدْ بَلَّغَهَا. فَقَالَتْ لَهُ:

٩٦ - (٢٩٣٠) - قوله: (قد ناهز الحلم) أي: قارب البلوغ.

قوله: (عند أطم بني معاوية) هذا بظاهره معارض لما تقدم أن النبي ﷺ لقي ابن صياد عند أطم بني معاوية. وبني معاوية هم بنو جديلة، وكانوا في جهة مخالفة لبني معاوية، كما قدمنا عن عمدة القارى. وذكر النووي عن العلماء أن المشهور في حديث الباب: «أطم بني معاوية» دون «بني معاوية».

٩٧ - (٠٠٠) - قوله: (في نفر من أصحابه) ووقع في حديث جابر: «ثم جاء النبي ﷺ ومعه أبو بكر ونفر من المهاجرين والأنصار وأنا معهم» ولأحمد من حديث أبي الطفيل أنه حضر ذلك أيضاً. كذا في فتح الباري (٦: ١٧٤).

قوله: (عن نافع، قال لقي ابن عمر) إنخ: هذا الحديث أخرجه المصنف فقط من الأئمة الستة، وأخرجه أحمد (٦: ٢٨٣).

قوله: (فقال له قولاً أغضبه) وفي رواية حماد بن سلمة عن أيوب عند أحمد: «فسبه ابن عمر ووقع فيه» وسيأتي تفصيله في الرواية الآتية.

قوله: (فانتفخ حتى ملأ السكة) بكسر السين وتشديد الكاف، وهي الطريق. قال أبو عبيد:

رَحِمَكَ اللَّهُ، مَا أَرَدْتَ مِنْ ابْنِ صَائِدٍ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا يُخْرَجُ مِنْ غَضَبِي يَغْضِبُهَا؟».

٧٢٨٧ - (٩٩) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ، (يَعْنِي ابْنَ حَسَنِ بْنِ يَسَارٍ)، حَدَّثَنَا ابْنُ عَوْنٍ، عَنْ نَافِعٍ. قَالَ: كَانَ نَافِعٌ يَقُولُ: ابْنُ صَيَّادٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عُمَرَ: لَقِيتُهُ مَرَّتَيْنِ. قَالَ: فَلَقِيتُهُ فَقُلْتُ لِبَعْضِهِمْ: هَلْ تَحَدَّثُونَ أَنَّهُ هُوَ؟ قَالَ: لَا، وَاللَّهِ. قَالَ: قُلْتُ: كَذَّبْتَنِي، وَاللَّهِ، لَقَدْ أَخْبَرَنِي بَعْضُكُمْ أَنَّهُ لَنْ يَمُوتَ حَتَّى يَكُونَ أَكْثَرُكُمْ مَالاً وَوَلَدًا، فَكَذَلِكَ هُوَ زَعَمُوا الْيَوْمَ. قَالَ: فَتَحَدَّثْنَا ثُمَّ فَارَقْتُهُ. قَالَ: فَلَقِيتُهُ لَقِيَةً أُخْرَى وَقَدْ نَفَرْتُ عَنْهُ. قَالَ:

أصل السكة الطريق المصطفة من النخل. قال: وسميت الأزقة سكة لاصطفاف الدور فيها. كذا في شرح النووي. وقال القرطبي: «هذا الانتفاخ هو حقيقة، وقد يكون خارقاً للعادة من علامات أنه الدجال» قلت: ويحتمل أيضاً أن يكون ذلك من آثار سحره أو تخيله، والله سبحانه أعلم.

قوله: (وقد بلغها) أي: بلغها خبر ما حدث بين ابن عمر وابن صياد.

قوله: (ما أردت من ابن صائد) وفي رواية حماد عند أحمد: «ما يولعك به؟» والمعنى: لماذا تتعرض له بدون حاجة، فإنه إن كان دجلاً، فربما يضرك كلامه وغضبه.

٩٩ - (١٠٠) - قوله: (ابن صياد، قال: قال ابن عمر: لقيتُهُ مرتين) (ابن صياد) مبتدأ خبره (لقيتُهُ مرتين)، و (قال: قال ابن عمر) جملة معترضة بينهما. وهذا الحديث أخرجه أحمد في مسنده (٦: ٢٨٤) من طريق روح بن عباد عن ابن عون.

قوله: (قال: فلقيته فقلت لبعضهم) أي: لبعض أصحاب ابن صياد. وفي رواية روح عند أحمد: «فأما مرة، فلقيته ومعه بعض أصحابه، فقلت لبعضهم إلخ».

قوله: (هل تَحَدَّثُونَ أَنَّهُ هُوَ؟) لعل مراده: هل تتحدثون فيما بينكم أن ابن صياد رسول؟

قوله: (لقد أخبرني بعضهم أنه لن يموت حتى يكون أكثركم مالاً وولداً) لعل مراده: أن مثل هذا القول الجازم لا يُقال إلا بالوحي، فقولكم هذا يدل على أنكم تزعمون فيه أنه يوحى إليه. هذا ما ظهر لي من معناه، ولم أر أحداً من الشراح تعرض لتفسير هذا الكلام، والله سبحانه أعلم.

قوله: (فلقيته لقيَةً أُخْرَى) بفتح اللام، ورواه القاضي عياض بضمها. وهي مرة من اللقاء.

قوله: (وقد نفرت حينه) أي: توزمت وتناوت. قال القاري في المرفأة (١٠: ٢٢٧): «كان المجلد ينفر من اللحم للداء الحادث بينهما» وذكر القاضي عياض في ضبطه وجوهاً أخرى، والظاهر أنها تصحيف.

فَقُلْتُ: مَتَى فَعَلْتَ عَيْتُكَ مَا أَرَى؟ قَالَ: لَا أَذْرِي. قَالَ: قُلْتُ: لَا تَذْرِي وَهِيَ فِي رَأْسِكَ؟ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ خَلَقَهَا فِي عَصَاكَ هَذِهِ. قَالَ: فَتَخَرَّ كَأَشَدُّ نَخِيرِ حِمَارٍ سَمِعْتُ. قَالَ: فَرَزَعَمُ بَعْضُ أَصْحَابِي أَنِّي ضَرَبْتُهُ بِعَصَا كَانَتْ مَعِيَ حَتَّى تَكْسُرَتْ، وَأَمَّا أَنَا، فَوَاللَّهِ مَا شَعَرْتُ.

قَالَ: وَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ فَحَدَّثَهَا فَقَالَتْ: مَا تُرِيدُ إِلَيْهِ؟ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ قَالَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يَنْعَثُهُ عَلَى النَّاسِ غَضَبٌ يَغْضِبُهُ».

(٢٠) - باب: ذكر الدجال وصفته وما معه

٧٢٨٨ - (١٠٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَشْرِ. قَالَا: حَدَّثَنَا عُيَيْنُ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ. ح وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، (وَاللَّفْظُ لَهُ)، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَشْرِ. حَدَّثَنَا عُيَيْنُ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ الدَّجَالَ بَيْنَ ظَهْرَانِي النَّاسِ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ. أَلَا وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرُ

قوله: (لا تدري وهي في رأسك) هو بحذف الهمزة في أوله استفهام للإنكار.
قوله: (إن شاء الله خلقها في عصاك هذه) أي: خلق هذه العلة، أو هذه العين المعيبة في عصاك بحيث لا تدري بها وهي أقرب شيء إليك. كذا في المرقاة.
قوله: (فتخمر كأشد نخير حمار) التخير: صوت الأنف، يعني: مذل النفس في الخيشوم. والفعل من باب فتح.

قوله: (فزعم بعض أصحابي) أي: بعض أصحابي اللذين كان معي في ذلك الوقت.

(٢٠) - باب: ذكر الدجال وصفته وما معه

١٠٠ - (١٦٩) - قوله: (عن ابن عمر) هذا الحديث تقدم في الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم، والمسيح الدجال، ومَرَّ شرحه هناك. وأخرجه البخاري في الجهاد، باب كيف يعرض الإسلام على النصبي؟ (٣٠٥٧)، وفي الأنبياء، باب قول الله عز وجل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ (٣٣٣٧)، وباب قول الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ (٣٤٣٩)، وفي المغازي، باب حجة الوداع (٤٤٠٢)، وفي الأدب، باب قول الرجل للرجل: اخأ (٦١٧٥)، وفي الفتن، باب ذكر الدجال (٧١٢٣ و ٧١٢٧)، وفي التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَلِصْنَعِ عَلَيَّ عَيْتٍ﴾ (٧٤٠٧). وأخرجه أبو داود في النسبة، باب في الدجال (٤٧٥٧)، والترمذي في الفتن، باب ما جاء في علامة الدجال، وأحمد في مسنده (٢: ٣٧).

قوله: (بين ظهراي الناس) بفتح الظاء المعجمة وسكون الهاء، أي: جالسا في وسط الناس. والمراد أنه جلس بينهم مستظهما، لا مستخفيا. وزيدت فيه الألف والنون تأكيدا.

العين اليمنى. كَانَ عَيْنَهُ عَيْنَ طَافِئَةٍ.

٧٢٨٩ - (١٠٠) حَدَّثَنِي أَبُو الرَّبِيعِ وَأَبُو كَامِلٍ. قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَّادُ، (وَهُوَ ابْنُ زَيْدٍ)، عَنْ أَيُّوبَ. ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَادٍ. حَدَّثَنَا حَاتِمٌ، (يَعْنِي ابْنَ إِسْمَاعِيلَ)، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، كِلَاهُمَا عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، بِمِثْلِهِ.

٧٢٩٠ - (١٠١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ. قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

قوله: (كَانَ عَيْنَهُ عَيْنَ طَافِئَةٍ) ضبطه بعض الشراح بياء غير مهموزة، بمعنى: بارزة، وبعضهم بالهمز، أي: ذهب ضوءها. قال القاضي عياض رحمه الله: روينا عن الأكثر بغير همز، وهو الذي صححه الجمهور، وجزم به الأخفش. ومعناه أنها نائمة تنوء حبة العنب من بين أخواتها. قال: «وضبطه بعض الشيوخ بالهمزة، وأنكره بعضهم، ولا وجه لإنكاره، فقد جاء في آخر أنه ممسوح العين مطموسة، وليست جُحْراء ولا نائمة، وهذه صفة حبة العنب إذا سال ماؤها، وهو يصحح رواية الهمزة».

والحديث الذي أشار إليه القاضي عياض أخرجه أبو داود (رقم: ٤٣٢٠) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعاً، ولفظه في صفة الدجال: «أعور مطموس العين، ليس بناتئة ولا جحراء» و (جحراء) بتقديم الجيم على الحاء، معناها: عميقة. وتقديم الحاء على الجيم معناها: متصلبة كالحجر، والمراد أنها ليست جاحظة متورمة، ولا عميقة أو متصلبة. وكذلك ورد في حديث أنس الآتي من طريق شعيب بن الحبحاب أن الدجال ممسوح العين، وهو يؤيد رواية من روى (طافئة) بالهمز، لأنها هي الممسوحة التي ذهب ضوءها.

ثم إنه وقع في هذا الحديث أن العوراء هي عين الدجال اليمنى. ووقع في حديث حذيفة الآتي قريباً أنه أعور العين اليسرى، فذهب بعض العلماء إلى ترجيح حديث ابن عمر على حديث حذيفة، ولكن جمع القاضي عياض بينهما بأن كل واحدة من عيني الدجال معيبة عوراء، فإحدهما معيبة بذهاب ضوءها حتى ذهب إدراكها، والأخرى بنتوتها.

واستقصى الحافظ ابن حجر رحمه الله الروايات الواردة في صفة عين الدجال، ثم قال في فتح الباري (١٣: ٩٨): «والذي ينحصل من مجموع الأخبار أن الصواب في (طافئة) أنه بغير همز، فإنها قُتِدَتْ في رواية الباب بأنها اليمنى، وصرح في حديث عبد الله بن مغفل وسمرة وأبي بكر أن يحينه اليسرى ممسوحة؛ والطافئة هي البارزة وهي غير الممسوحة، والعجب ممن يجوز رواية الهمز في (طافئة) وعدمه مع تضاد المعنى في حديث واحد. فلو كان ذلك في حديثين لسهل الأمر».

١٠١ - (٢٩٣٣) - قوله: (سمعت أنس بن مالك) هذا الحديث أخرجه البخاري في الفتن،

فَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَتَلَزَمَتْهُ الْأَغْوَرُ الْكَذَّابُ، أَلَا إِنَّهُ أَغْوَرٌ، وَإِنْ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَغْوَرَ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَ ف ر.

٧٢٩١ - (١٠٢) حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ، (وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى)، قَالَا: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ. حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ. حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الدُّجَالُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَ ف ر، أَيْ كَافِرٌ».

٧٢٩٢ - (١٠٣) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ. حَدَّثَنَا عَفَّانٌ. حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، عَنْ شُعَيْبِ بْنِ الْحَجَابِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الدُّجَالُ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ. مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ»، ثُمَّ تَهَجَّاهَا كَ ف ر. «يَقْرُؤُهُ كُلُّ مُسْلِمٍ».

باب ذكر الدجال (٧١٣١)، وفي التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَعَّ عَلَى عَيْنَيْهِ﴾ (٧٤٠٨)، وأخرجه أبو داود في الملاحم، باب خروج الدجال (٤٣١٦ و ٤٣١٧ و ٤٣١٨)، والترمذي في الفتن، باب ما جاء في قتل عيسى بن مريم الدجال (٢٢٤٥).

قوله: (مكتوب بين عينه كَ ف ر) كذا وقع في رواية المصنف بالتهجئة. ووقع في رواية سليمان بن حرب عند البخاري: «وان بين عينيه مكتوب كافر» بدون التهجئة. وسيأتي في رواية معاذ بن هشام، وشعيب الجمع بين الأمرين. وقال النووي رحمه الله: «الصحيح الذي عليه المحققون أن هذه الكتابة على ظاهرها، وأنها كتابة حقيقة جعلها الله آية وعلامة من جملة العلامات القاطعة بكفره وكذبه وإبطاله، ويظهرها الله تعالى لكل مسلم كاتب وغير كاتب، ويخفيها عن من أراد شقاوته وقتته، ولا امتناع في ذلك. وذكر القاضي فيه خلافاً، منهم من قال: هي كتابة حقيقة كما ذكرنا، ومنهم من قال: هي مجاز وإشارة إلى سمات الحدوث عليه. واحتج بقوله: يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب. وهذا مذهب ضعيف والله سبحانه أعلم».

١٠٣ - (٠٠٠) - قوله: (يقرؤه كل مسلم) وسيأتي في حديث حذيف: «يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب»، وفي رواية عمر بن ثابت عند الترمذي عن بعض الصحابة «يقرؤه كل من كره عمله»، وفي حديث أبي بكره عند أحمد: «يقرؤه الأمي والكتاب»، ونحوه في حديث معاذ عند البزار. وفي حديث أبي أمامة عند ابن ماجه: «يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب» ذكر الحافظ هذه الروايات في الفتح (١٣: ١٠٠) ثم قال: «وقوله: (يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب) إخبار بالحقيقة، وذلك أن الإدراك في البصر يخلقه الله للعبد كيف شاء ومتى شاء. فهذا يراه المؤمن بغير بصره وإن كان لا يعرف الكتابة، ولا يراه الكافر، ولو كان يعرف الكتابة، كما يرى المؤمن الأدلة بعين بصيرته، ولا يراها الكافر، فيخلق الله للمؤمن الإدراك دون تعلم، لأن ذلك الزمان تنحرق فيه العادات في ذلك. ويحتمل قوله: (يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب) أن يراه المؤمن عموماً، ويحتمل أن يختص ببعضهم ممن قوي إيمانه».

٧٢٩٣ - (١٠٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ثُمَيْرٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ. (قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا. وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا) أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الدُّجَالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْبِسْرَى. جُفَالُ الشَّعْرِ، مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ، فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ».

٧٢٩٤ - (١٠٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ، عَنْ رَبِيعِ بْنِ جَرَّاشٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدُّجَالِ مِنْهُ. مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ. أَحَدُهُمَا: رَأْيُ الْعَيْنِ، مَاءٌ أَبْيَضٌ. وَالْآخَرُ، رَأْيُ الْعَيْنِ، نَارٌ تَأْجِجُ. فَإِذَا أَدْرَكْنِ أَحَدَ فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِي يَزَاهُ نَاراً وَلْيَغْمُضْ. ثُمَّ لِيَطْأُ طِيءَ رَأْسِهِ فَيَشْرَبْ مِنْهُ. فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ. وَإِنَّ الدُّجَالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ. عَلَيْهَا ظَفْرَةٌ غَلِيظَةٌ، مَكْتُوبٌ

١٠٤ - (٢٩٣٤) - قوله: (عن حذيفة) هذا الحديث أخرجه البخاري في الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٣٤٥٠)، وفي الفتن، باب ذكر الدجال (٧١٣٠)، وأبو داود في الملاحم، باب خروج الدجال (٤٣١٥)، وابن ماجه في الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم (٤١٢٢)، وأحمد في مسنده (٥: ٣٨٣ و ٣٩٧).

قوله: (جُفَالُ الشَّعْرِ) هو بضم الجيم وتخفيف الفاء، أي: كثير الشعر. كذا في شرح الأبي.

قوله: (مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ) وفي الرواية الآتية: «معه نهريان يجريان إلخ» وفي رواية عبد الملك بن عمير الآتية بعدهما: «إن معه ماء وناراً» والله تعالى أعلم بحقيقتهما.

قوله: (فَنَارُهُ جَنَّةٌ، وَجَنَّتُهُ نَارٌ) وزاد في حديث أبي أمامة عن ابن ماجه: «فمن ابتلي بناره فليستغث بالله وليقرأ فواتح الكهف، فتكون عليه برداً وسلاماً».

١٠٥ - (٥٠٠) - قوله: (رَأْيُ الْعَيْنِ) هو منصوب على الظرفية، أي: في رأي العين، ويصح أن يكون مصدرأ، أي: يراه رأي العين.

قوله: (نَارٌ تَأْجِجُ) أي: تتأجج فحذفت التاء الأولى تخفيفاً. ويقال: تَأْجِجَتِ النَّارُ: إِذَا تَلْهِتْ، وَأَجْجَتَهَا فَتَأْجِجَتْ، وَالْأَجِجُ: تَلْهِبُ النَّارِ.

قوله: (فَإِذَا أَدْرَكْنِ) كذا وقع في أكثر النسخ، وهو خلاف القياس الصرفي، لأن نون التأكيد المشددة لا تنحق الفعل الماضي، ولعل صوابه: فَإِذَا يَدْرِكُنِ. أقاده القاضي عياض.

قوله: (النَّهْرَ الَّذِي يَزَاهُ) بفتح الياء، ويجوز ضمها أيضاً، بمعنى يقفه.

قوله: (وَلْيَغْمُضْ) أي: وليغمض عينيه، لئلا ينحرقه خوف من التهاب النار.

قوله: (عَلَيْهَا ظَفْرَةٌ) بفتح الظاء والفاء، وهي لحمة تنبت عند المآقي، كذا فسر

بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرًا، يَقْرَأُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ».

٧٢٩٥ - (١٠٦) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ. ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى (وَاللَّفْظُ لَهُ)، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ رَبِيعِ بْنِ جِرَاشٍ، عَنْ خُذَيْفَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ، فِي الدُّجَالِ: «إِنْ مَعَهُ مَاءٌ وَنَارًا. فَتَارَهُ مَاءٌ بَارِدٌ، وَمَاؤُهُ نَارٌ. فَلَا تَهْلِكُوا».

قَالَ أَبُو مُسْعُودٍ: وَأَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

٧٢٩٦ - (١٠٧) حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ. حَدَّثَنَا شُعَيْبُ بْنُ صَفْوَانَ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ رَبِيعِ بْنِ جِرَاشٍ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عُمَرُو، أَبِي مُسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: انْطَلَقْتُ مَعَهُ إِلَى خُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ. فَقَالَ لَهُ عُقْبَةُ: حَدِّثْنِي مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الدُّجَالِ. قَالَ: «إِنَّ الدُّجَالَ يُخْرُجُ. وَإِنْ مَعَهُ مَاءٌ وَنَارًا. فَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ مَاءً، فَتَارَ تُحْرِقُ. وَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ نَارًا فَمَاءٌ بَارِدٌ عَذْبٌ. فَمَنْ أَذْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَقِفْ فِي الَّذِي يَرَاهُ نَارًا. فَإِنَّهُ مَاءٌ عَذْبٌ طَيِّبٌ».

فَقَالَ عُقْبَةُ: وَأَنَا قَدْ سَمِعْتُهُ. تَصَدِّيقًا لِحُذَيْفَةَ.

٧٢٩٧ - (١٠٨) حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ - وَاللَّفْظُ لَابْنِ حُجْرٍ - (قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا. وَقَالَ ابْنُ حُجْرٍ: حَدَّثَنَا) جَرِيرٌ، عَنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ نَعِيمِ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ رَبِيعِ بْنِ جِرَاشٍ، قَالَ: اجْتَمَعَ خُذَيْفَةُ وَأَبُو مُسْعُودٍ. فَقَالَ خُذَيْفَةُ: «لَأَنَا بِمَا مَعَ الدُّجَالِ أَغْلَمُ مِنْهُ. إِنْ مَعَهُ نَهْرًا مِنْ مَاءٍ وَنَهْرًا مِنْ نَارٍ. فَأَمَّا الَّذِي تَرَوْنَ أَنَّهُ نَارٌ، مَاءٌ. وَأَمَّا الَّذِي تَرَوْنَ أَنَّهُ مَاءٌ، نَارٌ؛ فَمَنْ أَذْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَأَرَادَ الْمَاءَ فَلْيَشْرَبْ مِنَ الَّذِي يَرَاهُ أَنَّهُ نَارٌ. فَإِنَّهُ سَيَجِدُهُ مَاءً».

قَالَ أَبُو مُسْعُودٍ: هَكَذَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ.

٧٢٩٨ - (١٠٩) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ. حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ. حَدَّثَنَا شَيْبَانُ،

الأصمعي، وقال صاحب العين: هي جلدة تغشي البصر.

قوله: (كاتب وغير كاتب) يعني: من يستطيع الكتابة ومن لا يستطيعها، وقد تقدم أن ذلك على سبيل خرق العادة بحيث يخلق الله تعالى إدراكاً في بصر المؤمن من يدرك به ذلك.

(٢٩٣٥) - قوله: (وأنا سمعته من رسول الله ﷺ) فصار الحديث من مسند أبي مسعود أيضاً، وسيأتي أن رباعي بن خراش انطلق معه إلى حذيفة رضي الله عنه، فحدث حذيفة بهذا الحديث، فصدقه أبو مسعود.

عَنْ يَحْيَى، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أَخْبَرُكُمْ عَنِ الدَّجَالِ حَدِيثًا مَا حَدَّثَهُ نَبِيٌّ قَوْمَهُ؟ إِنَّهُ أَهْوَرُ. وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ مِثْلُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ. فَأَلْبِي يَقُولُ إِنَّهَا الْجَنَّةُ، هِيَ النَّارُ. وَإِنِّي أَنْذَرْتُكُمْ بِهِ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ».

٧٢٩٩ - (١١٠) حَدَّثَنَا أَبُو حَيْثَمَةَ، زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ. حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ. حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ. حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ جَابِرٍ الطَّائِيُّ، قَاضِي جَنْصُ. حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ الْحَضْرَمِيُّ؛ أَنَّهُ سَمِعَ النَّوَاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكَلَابِيَّ. ح. وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مِهْرَانَ الرَّازِي، (وَاللَّفْظُ لَهُ)، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ. حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ جَابِرٍ الطَّائِيُّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ. فَحَقَّقَ فِيهِ وَرَفَعَ. حَتَّى ظَنَّنَاهُ فِي طَائِفَةِ النَّحْلِ. فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا. فَقَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَكَرْتَ الدَّجَالَ غَدَاةٍ. فَحَقَّقْتَ فِيهِ وَرَفَعْتَ.

١٠٩ - (٢٩٣٦) - قوله: (سمعت أبا هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في الأنبياء، باب قول الله عز وجل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِذْ قَرَّبَهُ﴾ (٢٢٣٨).

١١٠ - (٢٩٣٧) - قوله: (سمع النّوّاس بن سمعان الكلّابي) هذا الحديث أخرجه أبو داود في الملاحم، باب خروج الدجال (٤٣٢١)، والترمذي في الفتن، باب ما جاء في فتنة الدجال (٢٢٤٠)، وابن ماجه في الفتن، باب طلوع الشمس من مغربها (٤١٢٦)، وأحمد في مسنده (٤: ١٨١) والبيهقي في شرح السنة (١٥: ٥٤).

والنّوّاس هذا بفتح النون وتشديد الواو، كما في المغني، معدود في الشاميين، ويقال: إن أباه سمعان بن خالد وفد على النبي ﷺ، فدعا له رسول الله ﷺ وأعطاه نعليه، فقبلهما رسول الله ﷺ، وزوجه أخته، فلما دخلت على النبي ﷺ تعوذت منه فتركها، وهي الكلّابية. وقد اختلفوا في المتعوذة كثيراً. كذا في الاستيعاب (٣: ٥٣٩) وأسد الغابة (٥: ٤٥) وقد ذكرنا أقوال أصحاب السير في المتعوذة في قصة امرأة الجون. وقد مرّ ذكر النّوّاس في البر والصلة، باب تفسير البر والإثم.

قوله: (فحقّق فيهِ ورَفَعَ) هو بتشديد الفاء فيهما حسب ما ضبطه النووي، وذكر القرطبي أنه بتخفيف الفاء فيهما، والمعنى في كلتا الحالتين واحد. واختلفوا في المراد منه على قولين: الأول: أن النبي ﷺ أكثر الكلام في شأنه، فتارة رفع صوته ليسمعه كل أحد، وأخرى خفض صوته ليستريح من تعب الجهر.

حَتَّى ظَنَّنَاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ. فَقَالَ: «غَيْرِ الدَّجَالِ أَخَوْفُنِي عَلَيْكُمْ. إِنْ يَخْرُجْ، وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَاجِبُهُ دُونَكُمْ. وَإِنْ يَخْرُجْ، وَلَسْتُ فِيكُمْ،.....»

والثاني: أن المراد من التخفيض تصغير شأنه وتحقيره، كما ذكر أنه أعور، وأنه أهون على الله من ذلك، وأنه لا يقدر على قتل أحد إلا ذلك الرجل، ثم يعجز عنه، وأنه يضمحل أمره ويُقتل بيد عيسى عليه السلام. والمراد من الترفيع تعظيم فتنته حيث تصدر منه أمور خارقة للعادة، وأنه ليس بين يدي الساعة أحد أعظم فتنة من الدجال.

قوله: (حتى ظنناه في طائفة النخل) يعني: أن رسول الله ﷺ وصفه بصفات حتى ظننا أنه مختلف في طائفة النخل.

قوله: (عرف ذلك فينا) يعني: عرف أنا زعمنا وجوده في طائفة النخل.

قوله: (غير الدجال أخوفني عليكم) كذا وقع في أكثر النسخ بإثبات النون بعد الفاء، ووقع في بعضها بحذف النون، وفي بعضها: «أخوف لي» وهذا الثالث أقرب إلى القياس النحوي. وتقدير العبارة من حيث المعنى: «إني أخاف عليكم من غير الدجال أكثر مما أخاف عليكم منه» واختلف العلماء في توجيه عبارة المتن من حيث اللفظ والمعنى. والإشكال من حيث اللفظ أن نون الوقاية لا تلحق الأسماء، وإنما تلحق الأفعال المتعدية، وقد لحقت ههنا اسم التفضيل. والجواب على ما ذكره النووي عن ابن مالك رحمه الله، أنه كان الأصل إثبات النون، ولكنه أصل متروك، فنبه عليه في قليل من كلامهم، وأنشد فيه أبياتاً منها ما أنشد القراء:

فَمَا أَدْرِي، فَظَنَنْتَنِي كُلَّ ظَنٍّ أُمْسَلُ نَفْسِي إِلَى قَوْمِي شِرَاحِي
وَلَأَفْعَلُ التَّفْضِيلُ أَيْضاً شَبَهَ بِالْفِعْلِ، وَخُصُوصاً بِفِعْلِ التَّعَجُّبِ، فَجَازَ أَنْ تَلْحَقَهُ النَّونُ
المذكورة في الحديث، كما لحقت في الأبيات المذكورة.

وأما توجيه هذه الفقرة من حيث المعنى، فقد ذكر النووي فيه وجوهاً. أحدها: أن تقديره: «غير الدجال أخوف مخوفاتي عليكم» فحذف المضاف أيضاً إلى الياء. ومنه: «أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلون». والثاني: أن يكون (أخوف) من (أخاف) بمعنى: (خوف) ومعناه: غير الدجال أشد موجبات خوفي عليكم. والثالث: أن يكون من باب وصف المعاني بما يوصف به الأعيان على سبيل المبالغة، كقولهم في الشعر الفصيح: شعر شاعر، وخوف فلان أخوف من خوفك. وتقديره: «خوف غير الدجال أخوف خوفي عليكم» ثم حذف المضاف الأول ثم الثاني، والله سبحانه أعلم.

قوله: (فأنا حاجبهم دونكم) هو فعيل بمعنى الفاعل، أي: محابته ومغالبته بإظهار الحجة عليه. والمراد أنه إن خرج في حياتي فأنا أكفيكم شره، وأغلب عليه بنور حجة النبوة والمعجزات الباهرة.

قَامَرُوْهُ حَجِيْجَ نَفْسِهِ. وَاللّٰهُ خَلِيْفَتِيْ عَلٰى كُلِّ مُسْلِمٍ. إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ. عَيْنُهُ طَائِفَةٌ. كَأَنِّيْ أَشْبَهُهُ بِعَبْدِ الْعَزْزِيِّ بْنِ قُطَيْنٍ. فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَائِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ.

واستشكل التوربشتي هذا الكلام بأنه قد ثبت بالأحاديث المتواترة أنه إنما يخرج في آخر الزمان بعد خروج المهدي وأن الذي يقتله هو المسيح عليه السلام، فكيف ذكر رسول الله ﷺ احتمال خروجه في حياته ﷺ؟ ثم أجاب عن ذلك بأنه إنما سلك هذا المسلك من اتورية، لإبقاء الخوف على المكلفين من فتنه واللجوء إلى الله تعالى من شره. وأجاب عنه المظهر بأنه إنما أشار بذلك إلى عدم علمه بوقت خروجه، كذا في شرح الطيبي (١٠: ١١٠ و ١١١).

والأوجه من ذلك عندي أن يقال: إنه ﷺ ذكر هذا الاحتمال على سبيل الفرض، ووجهه أن الصحابة فزعوا من خروجه حتى زعموا أنه في طائفة النخل، فذكر أنه لا وجه لفزعهم وإن كان خارجاً في تلك الأيام على سبيل الفرض، لأنه ﷺ يكفهم فتنه حينئذ. وليس المراد أن هذا الاحتمال قائم في نفس الأمر، لأن النبي ﷺ يبين في نفس هذا الحديث أن المسيح عليه السلام هو الذي يقتله بياب لَدَ. والله سبحانه أعلم.

قوله: (قامرو حجيجه نفسه) إنما وقع (امرؤ) منكرأ في أول الكلام لإفادة العموم، أي: كل امرئ. و (حجيجه نفسه) مضاف ومضاف إليه. يعني: كل امرئ يحتاجه ليدفع شره عن نفسه.

قوله: (والله خليفتي على كل مسلم) يعني: أن الله تعالى ولي كل مسلم وحافظه، فيعينه عليه ويدفع شره بلا واسطة أحد.

قوله: (إنه شاب قطط) بفتح القاف وانطاء، أي: شديد جمود الشعر مباعد للجمود المحبوبة، كذا في شرح النووي.

قوله: (كأنني لمشبهه بعبد العزى بن قطن) قال الطيبي: «قبل: إنه كان يهودياً، ولعل الظاهر أنه مشرك، لأن العزى اسم صنم، يؤيده ما جاء في بعض الحواشي، هو رجل من خزاعة، هلك في الجاهلية».

وقال الطيبي أيضاً: «ولم يقل كأنه عبد العزى، قيل: إنه لم يكن جازماً بتشبيهه به» وقال الشيخ علي انقاري في المرقاة (١٠: ١٦٢): «قلت: لا شك في تشبيهه به، إلا أنه لما كان معرفة المشبه في عالم الكشف أو المنام، عبر عنه: «بكأنني» كما هو المعتبر في حكاية الرؤيا، والله تعالى أعلم. ويمكن أن يقال: لما لم يوجد في الكون أفصح صورة منه فلا يتم التشبيه من جميع الوجوه، بل ولا من وجه واحد، عدل عن صيغة الجزم، وعبر عنه بما عبر عنه، ثم في صيغة الحال إشعار باستحضار صورة المأل».

قوله: (فليقرأ عليه فوائح الكهف) وزاد أبو داود من طريق صفوان بن صالح: «فإنها جواركم من فتنته» وهو بكسر الجيم بمعنى الأمان. وقد أخرج الترمذي في التفسير من جامعه

(رقم: ٢٨٨٦) عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف عُصِمَ من فتنة الدجال»، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقد مرَّ عند المصنف في كتاب صلاة المسافرين (باب فضل سورة الكهف) عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عُصِمَ من الدجال».

وقال الشيخ علي القاري في المرقاة (١٠: ١٦٣): «قيل: وجه الجمع بين الثلاث وبين قوله ﷺ: «من حفظ عشر آيات» أن حديث العشر متأخر، ومن عمل بالعشر فقد عمل بالثلاث. وقيل: حديث الثلاث متأخر، ومن عصم بثلاث فلا حاجة إلى العشر. وهذا أقرب إلى أحكام النسخ. أقول: بمجرد الاحتمال لا يحكم بالنسخ، مع أن النسخ إنما يكون في الإنشاء لا في الإخبار. فالأظهر أن أقل ما يحفظ به من سرِّه قراءة الثلاث، وحفظها أولى، وهو لا ينافي الزيادة كما لا يخفى. وقيل حديث العشر في الحفظ، وحديث الثلاث في القراءة. فمن حفظ العشر وقرأ الثلاث كفي وعصم من فتنة الدجال. وقيل: من حفظ العشر عُصِمَ من أن لقيه، ومن قرأ الثلاث عصم من فتنته إن لم يلقه. وقيل: المراد من الحفظ القراءة عن ظهر القلب، ومن العصمة الحفظ من آفات الدجال، والله تعالى أعلم بالأحوال».

قال العبد الضعيف عفا الله عنه: إن ما ذكره الشيخ علي القاري رحمه الله من وجوه الجمع بين الروایتين إنما كان يُحتاج إليها إذا كان هناك حديثان متعارضان، والواقع أنه ليس هناك إلا حديث واحد مخرجه واحد، فكل واحد من الروایتين رواهما قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان بن طلحة، عن أبي الدرداء. ولكن اختلف فيه على قتادة، فروى شعبة عنه عند الترمذي: «من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف» وروى معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة عند مسلم: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف» فليس مرجع هذا الاختلاف إلا الاختلاف في رواية الحديث عن قتادة، وليس ذلك اختلافاً أو تعارضاً في الحديث المرفوع حتى يُصار إلى إحدى وجوه الجمع التي ذكرها الشيخ علي القاري، ولا يمكن رفع هذا الاختلاف إلا بترجيح إحدى الروایتين على الأخرى، والذي يبدو لهذا العبد الضعيف - عفا الله عنه - أن رواية الترمذي أرجح وهنا على رواية مسلم، فإنها مروية بطريق شعبة، وهو أمير المؤمنين في الحديث. أما مسلم، فقد أخرجه من طريق معاذ بن هشام، عن أبيه، ومعاذ بن هشام، عن أبيه، ليس بمشابة شعبة. وقد تكلم فيه جماعة من المحدثين. قال الآجري: «قلت لأبي داود: معاذ بن هشام عندك حجة؟ قال: أكره أن أقول شيئاً. كان يحيى لا يرضاه» وقال ابن عدي: «ولمعاذ، عن أبيه، عن قتادة حديث كثير، وله عن غير أبيه أحاديث صالحة. وهو ربما يقلط في الشيء بعد الشيء، وأرجو أنه صدوق»، وقال ابن أبي خيثمة عن ابن معين: «ليس بذلك القوي»، وعن نجيب قال: «هشام صدوق وليس بحجة» وراجع التهذيب (١٠: ١٩٦ و ١٩٧) والكمال لابن عدي (٦: ٢٤٢٦).

إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ. فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللَّهِ، فَاتَّبِعُوا قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا لَبِثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «أَزْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمَ كَسَنَةِ، وَيَوْمَ كَشْهَرِ، وَيَوْمَ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فُذِّبَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةِ، أَتَكْفِينَا فِيهِ

فالظاهر أن فضيلة العصمة من فتنة الدجال تحصل بقراءة ثلاث آيات إن شاء الله تعالى، أما قراءة العشر وحفظها ففيها احتياط أكثر، والله سبحانه وتعالى أعلم.

قوله: (إنه خارج خلّة) إلخ: بفتح الحاء المعجمة وتشديد اللام، وهو في الأصل الطريق في الرمل، ثم أطلق على الطريق مطلقاً، وهو منصوب بنزع الخافض، أي: في خلّة بين الشام والعراق. وذكر النووي أنه روي في أكثر نسخ بلاده بالحاء المعجمة. ورواه القاضي عياض رحمه الله (خلّة) بفتح الحاء المهملة واللام، وفي آخره تاء مفتوحة غير منونة، وفسره بأنه بمعنى: (مقابلة) و (سمت) ولعلّ (بين) على هذا التقدير مكسور على كونه مضافاً إليه (الخلّة). ورواه بعضهم (خلّه) بضم الحاء وبهاء الضمير، أي: نزوله وحلوله بين الشام والعراق. والوجه الأول أصح وأرجح.

قوله: (فعاث يميناً وعاث شمالاً) هو فعل ماضٍ من العيث، وهو الفساد، أو أشد الفساد، والإسراع فيه. وصيغة الماضي ههنا استعملت للمستقبل لتصوير الواقع ولتحقق وقوعه. وذكر بعضهم أنه بكسر التاء متونة على كونه اسم فاعل، أي: أنه عاث يميناً وشمالاً.

قوله: (يا عباد الله! فاتبعوا) قال القرطبي: «أمر لمن لقيه أن يثبت، فإن لبثه الأرض قليل. وأما من لم يلقه فليفرّ عنه، لحديث أبي داود: من سمع به فليتنا عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فينبه لما يبعث به من الشبهات.

قوله: (يوم كسنة، ويم كشهر، ويوم كجمعة) اختلف العلماء في تفسيره على ثلاثة أقوال: ١- إنه محمول على ظاهره، وإن هذه الأيام الثلاثة تطول حقيقة، بحيث تصير حركة الشمس (أو الأرض) بطيئة، ولا تكمل دورة الليل والنهار في اليوم الأول إلا في وقت يستغرق سنة في الأيام العادية، وتكمل في اليوم الثاني بمقدار شهر، وفي اليوم الثالث بمقدار أسبوع. وإن ذلك سوف يقع على سبيل خرق العادة. وهذا الذي رجحه النووي والقرطبي والقاضي عياض وكثير من الشراح. قالوا: وليس ذلك ببعيد، لأن الله تعالى قادر على أن يجعل حركة الشمس (أو الأرض) بطيئة. وإن زمن الدجال تكثر فيه الخوارق، فمنها هذا.

٢- ذكر ابن الملك عن بعض العلماء أن المراد منه أن اليوم الأول، لكثرة هموم المؤمنين وشدة بلاء اللعين، يُرى للناس طويلاً كسنة، وفي اليوم الثاني يهون كيده ويضعف أمره، فيرى كشهر، والثالث يُرى كجمعة، لأن الحق في كل وقت يزيد قدرًا، والباطل ينقص حتى ينمحق أثرًا، أو لأن الناس كلما اعتادوا بالفننة والمحنة يهون عليهم إلى أن تضمحل شدتها، حكاه علي النقاري في المرقاة (١٠: ١٩٤ و ١٩٥).

ولكن هذا القول رده العلماء لأنه لو كان هذا التأويل صحيحاً لما كان هناك حاجة إلى السؤال عن أوقات الصلاة ولما أجاب عنه رسول الله ﷺ بقوله: «لا، اقدروا له قدره» كما سيأتي، فإنه يكاد يكون صريحاً في أن المسلمين لا تكفيهم في ذلك اليوم صلاة يوم واحد.

وقد حكى القرطبي عن أبي الحسن بن المنادي أنه طعن في صحة هذه الكلمة من الحديث، أعني قولهم: «أتكفيها فيه صلاة يوم وليلة؟ قال: لا، اقدروا له قدره» وقال: هذه من الدسائس التي كابرنا عليها من خالف علينا، وقال: «ولو كان ذلك صحيحاً لاشتهر على السنة الرواة، كحديث الدجال، فإنه رواه خلق كثير من الصحابة، وكان أعظم وأقصى من طلوع الشمس من مغربها».

ولكن رد عليه القرطبي بقوله: «وهذا الذي ذكر هذا الرجل لا يقدح في الثقة بما انفرد به العدل فإنه يسمع ما لم يسمع غيره...» وقد ذكر الحديث مسلم والترمذي وأبو داود، وحكموا بصحته، وتطرق إدخال المخالفين الدسائس على أهل العلم والتحرز بعيد لا يلتفت إليه» وراجع شرح الأبي (٢: ٢٧٠).

٣- والقول الثالث: ما ذكره التوربشتي رحمه الله، ونحكي كلامه هنا بلفظه، كما نقل عنه الطيبي في شرح المشكاة (١٠: ١١٢) قال: «قد تبين لنا بإخبار الصادق المصدوق ﷺ أن الدجال يبعث معه من الشبهات، ويفيض على يديه من التمويهات ما يسلب عن ذوي العقول عقولهم، ويخطف من ذوي الأبصار أبصارهم. فمن ذلك تسخير الشياطين له، ومجيئه بجنة ونار، وإحياء الميت على حسب ما يدعيه، وتقويته على من يريد إضلاله تارة بالمطر والعشب، وتارة بالأزمة والجذب. ثم لاخفاء بأنه أسحر الناس. فلم يستقم لنا تأويل هذا القول إلا بأن نقول: إنه يأخذ بأسماع الناس وأبصارهم، حتى يخيل إليهم أن الزمان قد استمر على حالة واحدة، إسفار بلا ظلام، وصباح بلا مساء. ويحسبون أن الليل لا يمد عليهم رواقه، وأن الشمس لا تطوي عليهم ضياءها، فيقعون في حيرة والنباس من امتداد الزمان، ويدخل عليهم الدواخل باختفاء الآيات الظاهرة في اختلاف الليل والنهار. فأمرهم أن يجتهدوا عند مصادفة تلك الأحوال، ويقدروا لوقت كل صلاة قدرها، إلى أن يكشف الله عنهم تلك الغمة. هذا الذي اهتدينا إليه من التأويل، والله الموفق لإصابة الحق».

وحاصل ما ذكره التوربشتي رحمه الله أن زمان ذلك اليوم لا يمتد في نفس الأمر، ولا تبطؤ حركة الشمس (أو الأرض) بالنسبة إلى الأيام العادية، وإنما تسير الشمس أو الأرض على حركتها العادية، ولكن الدجال يسحر الناس بحيث إنهم لا يشعرون بمرور الوقت، وحركة الشمس إلا ببطء غير عادي، فيُخِيلُ إليهم أن النهار قد امتد عليهم فوق امتداده العادي، وكذا الليل، حتى إنهم يحسبون أن دورة الليل والنهار إنما كُمِلت في وقت يستغرق سنة في الأيام المعتدلة، وليس ذلك إلا من باب السحر والتخيل.

صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: (لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ:

وهذا الذي ذكره التوربشتي رحمه الشيخ علي القاري رحمه الله في مرقاة المفاتيح (١٠):
(١٩٥) وذكر أنه هو التحقيق، والله سبحانه وتعالى أعلم.

قوله: (لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ) قَالَ النووي رحمه الله: فومعنى: فاقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ، أنه إذا مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر كل يوم، فصَلُّوا الظُّهْر، ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر، فصَلُّوا العصر، وإذا مضى بعد هذا قدر ما يكون بينها وبين المغرب، فصَلُّوا المغرب، وكذا العشاء والصُّبْح، ثم الظهر، ثم العصر، ثم المغرب وهكذا حتى ينتضي ذلك اليوم، وقد وقع فيه صلوات سنة، فرائض كلها مؤداة في وقتها. وأما الثاني الذي كشه، والثالث الذي كجمعة، فقياس اليوم الأول أن يقدر لهما كالיום الأول على ما ذكرناه، والله أعلم.

حكم الصلوات في بلاد غير معتدلة الليل والنهار

وبهذا الحديث يُعرف حكم الصلوات في البلاد التي لا يعتدل فيه الليل والنهار. فهناك مناطق لا يوجد فيها وقت العشاء مثلاً، ومناطق أخرى يطول فيها النهار أو الليل إلى أكثر من أربع وعشرين ساعة. وقد تكلم الفقهاء قديماً وحديثاً في حكم أداء الصلوات في مثل هذه المناطق. ونريد أن نأتي ههنا بخلاصة القول في هذه المسألة بشيء من التفصيل، لأن اليوم قد وصل المسلمون إلى كثير من هذه المناطق، فهناك حاجة عملية تدعو إلى معرفة الحكم الشرعي للصلوات والصوم فيها، ونسأل الله التوفيق للسداد والضواب كما يحبه ويرضاه تبارك وتعالى، وهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

فاعلم أن المناطق غير المعتدلة تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: المناطق التي تكمل فيها دورة الليل والنهار في أربع وعشرين ساعة، ولكن لا توجد فيها أوقات بعض الصلوات بعلاماتها المعروفة، مثل غيبوبة الشفق في صلاة العشاء.

القسم الثاني: المناطق التي تكمل فيها دورة الليل والنهار في أربع وعشرين ساعة، وتوجد فيها جميع أوقات الصلاة بعلاماتها المعروفة، غير أن بعض هذه الأوقات قصيرة جداً، والفصل بينها وبين الوقت اللاحق قليل جداً.

القسم الثالث: المناطق التي لا تكمل فيها دورة الليل والنهار في أربع وعشرين ساعة، بل يدوم الليل في بعض الفصول والنهار في بعضها إلى زمن طويل.

فلنتكلم عن كل من هذه الأقسام الثلاثة على حدة:

القسم الأول: المناطق التي يفقد فيها علامات بعض الأوقات؛

أما القسم الأول، فإن البلاد التي تقع فيه تكمل فيها دورة الليل والنهار في أربع وعشرين

ساعة، ولكن لا توجد فيها في بعض الفصول علامة وقت العشاء. وهي المناطق التي تقع على عرض ٤٨,٥ في الشمال أو على عرض أكثر منها. فمثلاً لا يغيب الشفق في مدينة باريس (وهي على عرض ٤٩) ما بين ١١ / يونيو إلى أول شهر يوليو كل سنة، وإن أقصر ليل في هذه المنطقة إنما تستغرق سبع ساعات وسبعاً وأربعين دقيقة. وذلك لتاريخ ٢١ يونيو. وإن الشفق في هذه المدة لا يزال موجوداً على الأفق طول الليل حتى تطلع الشمس. وكلما ازداد عرض البلد في الشمال صارت مدة فقدان علامة العشاء أكثر، فمثلاً لا يغيب الشفق في مدينة لندن، (وهي على عرض واحد وخمسين في الشمال) فيما بين ٢٥ مايو إلى ١٧ يوليو (يعني: مدة شهر وثلاثة وعشرين يوماً) وفي مدينة أيدنبورغ وگلاسگو (الواقعتين على عرض ٥٦ في الشمال) فيما بين ٥ مايو و ٧ أغسطس (مدة ثلاثة أشهر وثلاثة أيام) وهكذا تزداد مدة فقدان علامة العشاء في فصل الصيف بزيادة عرض البلد في الشمال، حتى إن على عرض خمسة وستين، الذي تقع فيها بلاد ناروج وسويد وفنلندا، لا يغيب الشفق فيما بين ٧ أبريل و ٣ سبتمبر، وإن أقصر ليل في هذه المناطق إنما يدوم مدة ساعة واحدة وسبع وخمسين دقيقة فقط، وذلك للواحد والعشرين من شهر مايو.

وبما أن وقت العشاء إنما يدخل بعلامته المعروفة، وهي غيبوبة الشفق، والشفق لا يغيب في هذه المناطق في التواريخ المذكورة، فإنها لا يوجد فيها وقت العشاء المعروف. فما هو حكم صلاة العشاء في هذه المناطق؟

وإن تحدث الفقهاء عن هذه المسألة، فإنه قد عرض عليهم مسألة الصلوات في مدينة بلغار، وكانت مدينة تقع على عرض خمس وخمسين في الشمال، كما ذكره المرجاني في كتابه (ناظورة الحق) (ق ٨٤) أو على عرض خمسين، كما ذكره الفلقشندي في صبح الأعشى (٤: ٤٦٢) وذكر الفلقشندي أن طولها ثمانون درجة^(١).

(١) قال الحموي في معجم البلدان ٢: ٤٨٦: «وكان ملك بلغار وأهلها قد أسلموا في أيام المفتدر بالله، وأرسلوا إلى بغداد رسولاً يعرفون المفتدر ذلك ويسألونه إنفاذ من يعلمهم الصلوات والشرائع، لكن لم آقف على السبب في إسلامهم» قلت: قد ذكر أبو حامد الأندلسي سبب إسلامهم فقال: «إن رجلاً صالحاً دخل بلغار، وكان منكها وزوجه مريضين مأيوسين من الحياة، فقال لهما: إن عانتكما تدخلان في ديني؟ قالا: نعم، فماتتاهما فدخلنا في دين الإسلام، وأسلم أهل تلك البلاد معهما، فسمع بذلك ملك الخزر، ففرأهم بجند عظيمة، فقال ذلك الرجل الصالح: لا تخافوا واحملوا عليهم وقولوا: الله أكبر الله أكبر. ففعلوا ذلك وهزموا ملك الخزر، ثم بعد ذلك صالحهم ملك الخزر وقال: إني رأيت في عسكركم رجالاً كباراً على خيل شهب يقتلون أصحابي، فقال الرجل الصالح: أولئك جند الله، وكان اسم ذلك الرجل بلار، فمريبوه فقتلوا: بلغار. هكذا ذكر القاضي البغاري في تاريخ بلغار، وكان من أصحاب إمام =

واختلف الفقهاء في حكم صلاة العشاء في بُلغار ونحوها من المناطق التي لا يغيب فيها الشفق. فذهبت جماعة من العلماء إلى أن أهل هذه المناطق تسقط عنهم فرضية صلاة العشاء، وذلك لأن سبب الفرضية، وهو الوقت، مفقود في حقهم. وهذا القول منسوب إلى شمس الأئمة الحلواني البقالي من الحنفية ورجحه الشرنبلالي كما في رد المحتار (١: ٣٦٢) والحلي في شرح العنية (١: ٢٣٠).

وذهبت جماعة منهم إلى أنه لا تسقط عنهم صلاة العشاء، بل يجب عليهم أن يصلّوا العشاء بتقدير الوقت. وطرق التقدير مختلفة ستأتي إن شاء الله. وهذا ما اختاره البرهان الكبير، والمحقق ابن الهمام، وتلميذاه ابن أمير الحاج والقاسم بن قطلوبغا من الحنفية. وهو الذي جزم به الشافعية كما في مغني المحتاج (١: ١٢٣) واختاره القرافي من المالكية، كما في حاشية الصاوي على الدردير (١: ٢٦٥).

استدل أهل القول الأول بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: آية ١٠٣] فإنه يدل على أن فرضية الصلوات مرتبة بالآوقات، فإن لم يوجد الوقت لم تجب الصلاة. وذكر ابن عابدين رحمه الله أن الحلواني كان يفتي بوجوب القضاء، ثم وافق البقالي لما أرسل إليه الحلواني من يسأله عن أسقط صلاة من الخمس أيكفر؟ فأجاب السائل بقوله: من قُطعت يده أو رجلاه كم فرض وضوئه؟ فقال له: ثلاث لفوات المحل. قال: فكذلك الصلاة، فبلغ الحلواني ذلك فاستحسنه ورجع إلى قول البقالي بعدم الوجوب.

وأما أهل القول الثاني، الذين ذهبوا إلى وجوب العشاء بالتقدير، فاستدلوا بحديث الباب، حديث الدجال، حيث أمرهم رسول الله ﷺ بأداء الصلوات في هذه الأيام غير العادية بتقدير الأوقات. وإن هذا الاستدلال ظاهر على قول من يحمل طول أيام الدجال على الطول الحقيقي ببطء حركة الشمس أو الأرض. أما على قول من حملته على السحر والتخييل، كما قدمنا عن الترويشي رحمه الله، فيمكن أن يقال إن الإنسان مكلف بما يشاهده، فمن شاهد أن النهار قائم، فإنه يعامله معاملة النهار، وإن كان سببه السحر والتخييل. فلما أمره النبي ﷺ بتقدير الأوقات للصناعات، تبين أن ذلك حكم لكل من طال نهاره على خلاف العادة، فإنه يصلّي العشاء مع أنه

= الحرمين* حكاه القزويني في آثار البلاد وأخبار العباد ص ٦١٢ و ٦١٣. وقال الفلقشندي في صبح الأعشى ٤: ٤٦٦: «وأهلها مسلمون حنفية، وليس بها شيء من الفواكه ولا أشجار الفواكه بشدة بردها... قال السلطان عماد الدين صاحب حماة: وقد حكى لي بعض أهلها أن في أول الصيف لا يغيب الشفق عنها ويكون ليلاً في غاية القصر... لأن من عرض ثمانية وأربعين ونصف يتبدى عدم غيبوبة الشفق في أول فصل الصيف».

لم يدخل له وقت العشاء في الظاهر. فتقاس على ذلك المناطق التي لا يغيب فيها الشفق طول الليل، ولا يدخل فيها وقت العشاء في الظاهر. فيصلون العشاء بالتقدير.

وإن العلامة هارون بن بهاء الدين المروجاني رحمه الله^(١) قد أنف في تحقيق هذه المسألة رسالة مستقلة باسم (ناظورة الحق)، في فرضية العشاء وإن لم يغيب الشفق) ولم أرها مطبوعة حتى الآن، ولكن قد حصلت منها على نسخة مصورة من مكتبة الشيخ محب الله الراشدي المعروفة بمكتبة بير جهندو في سعيد آباد، السند. وإن مؤلفه قد رجح هذا القول الثاني، وأتى له بأدلة مقنعة، ورد على أدلة أهل القول الأول بكلام متين جداً، فقال رحمه الله تعالى:

«وتلخيص البيان أن كون الأوقات أسباباً لوجوب الصلوات، ووجودها مشروطاً بتحقيق العلامات مما لا مساع له قط، فلا نسلم فقد الأوقات بانتفائها، ولا سقوط الصلوات بفقدانها. ولو قدر التسليم في ذلك، فما عرف منها علامة يقطع من نص الشارع هو الغدوة، والظهيرة، والعشية والمساء، والزلفة. وأما نحو صيرورة الظل وغيبوبة الشفق، فلو ثبت شرطاً، فإنما يثبت بدليل ظني، ويمدخل من الرأي، لأن الإجماع الذي في حدود الأوقات وفواصل الغايات ما يبين في مسألتنا إلا بأخبار الآحاد، وبآثار ظنية المفاد.

ولئن قُدر أنه ثبت ببرهان قطعي من النص والإجماع كون الواجب مسبباً عنها، وانتفاء هذه العلامات موجباً لفقدانها، حق القول بالواجب، ولزوم نفي السقوط مع عدم المقدمات والشروط، لأن دلائل الوجوب، وإن كان بعضها مقيداً، لكن بعضها مطلق في الإثبات. فلما فُرض انتفاء موجب العقيد، سقط اعتباره، وبقي المطلق سالماً في موجهه، فيجب العمل به، إذ حاصل معنى الخطاب على ذلك التقدير: كُتب عليكم العشاء في كل يوم يغيب فيه الشفق تارة، وكتب عليكم في كل أخرى، أعني مطلقاً. فقد ورد النص بالإطلاق والتنقيذ في السبب، والحكم متحد. فهذا القسم مما لا يحمل المطلق على العقيد عندنا البتة. على أنه ربما يسقط بحكم الشرع اعتبار الأركان، فضلاً عن الشرائط والأسباب، كالإقرار في الإيمان، وطواف الزيارة في الحج، والقيام والقراءة والركوع والسجود للعذر. وقد تقرر في مقره أن الأسباب والشرائط إنما تُعتبر بحسب الإمكان، ولا يسقط الممكن بسقوط ما ليس بممكن. هذا، والله المستعان» راجع (ق: ٧١) من مخطوطة (ناظورة الحق).

(١) هو فقيه حنفي من أهل قازان، له حاشية على التوضيح شرح الشفيع في أصول الفقه لصدر الشريعة باسم خزانة العواشي لإراحة العواشي، وله مؤلفات أخرى ذكرها عمر رضا كحانه في معجم المؤلفين ١٣: ١٢٨. ولد سنة ١٢٣٣هـ وتوفي في سنة ١٣٠٦هـ كما ذكره الزركلي في الأعلام ٩: ٣٩٩، وكتاب ناظورة الحق ذكره كل واحد منهما، وذكره موجود في معجم المطبوعات العربية ١٧٢٨.

أما ما حكاه ابن عابدين من رجوع الحلواني إلى قول البقالي استدلالاً بمن قُطعت يده أو رجلاه، فقد أجاب عنه المرجاني رحمه الله بقوله:

«وقد انتحل هذه الحكاية من الزاهدي رجال من المتأخرين، وتبجحوا به وشؤشوا عقيدة الحق على أهله... مع زعمهم أن البقالي الذي تردّد بينه هذه الحكاية وبين الحلواني: زين المشايخ أبو الفضل محمد بن أبي القاسم الخوارزمي، تلميذ جابر الله الزمخشري صاحب الكشف، وهو متأخر الزمان، توفي سنة ست وثمانين وخمسمائة... فكيف يمكن معاصرته للحلواني ومباحثته إياه في هذه المسألة؟ فإن وفاة الحلواني كان سنة ثمان أو تسع وأربعين وأربعمائة... فبممكن أن يكون المفي بالسقوط رجلاً آخر من البقاليين، لا يُعرف بحاله. وأياً ما كان، فالبقالي من أهل الاعتزال في العقيدة، ويلوح من كلام الزاهدي تعصبه لإخوانه من أرباب تلك النحلة».

«... ثم إنه قاس على قطع اليدين والرجلين بدون علة مطردة، ولا جامع هو للقياس من شرائط الصحة، فإن الأمور به بالنقص في مسألة الوضوء غسل العضو المخصوص، فعلى تقدير سقوطه، لا يمكن غسله ضرورة، ولا يحصل الامتثال بغسل عضو آخر. والمأمور به بالنقص في مسألتنا إقامة الصلاة في السماء وزلقة من الليل، وهو على تقدير عدم تحقق الوقت أصلاً، لا محالة أمر ممكن، وإن ثبت سببية الوقت وشرطيته للصلاة بقطعي^(١) فإن الطاعة على قدر الطاقة، فضلاً عما ينتهي (به) العلامة المعرفة لتحقيق المدة المقدرة من الوقت».

«ولذلك اعترض عليه العلامة المحقق كمال الدين ابن الهمام رحمه الله بقوله: «ولا يرتاب متأمل في ثبوت الفرق بين عدم محل الفرض، وبين عدم سببه الجعلي الذي جعل علامة للوجوب الخفي الثابت في نفس الأمر، وجواز تعدد المعرفات للشيء». فانتفاء الوقت انتفاء المعروف. وانتفاء الدليل على الشيء لا يستلزم انتفاء لجواز دليل آخر، وقد وجد، وهو ما تراطأت من أخبار الإسراء من فرض الصلاة خمساً بعد ما أمروا أولاً بخمسين، ثم استقر الأمر على الخمس شرعاً عاتماً لأهل الآفاق، لا تفصيل فيه بين قطر وقطر... وكذا قال عليه الصلاة والسلام: خمس صلوات كتبهن الله على العباد».

(١) قال العبد الضعيف عفا الله عنه: بل الدليل ينقلب عليهم، لأن غسل اليدين والرجلين كان شرطاً لصحة الصلاة، ولكن لما انعدم العضوان، انعدم الشرط، ولكن لم يسقط أداء الصلاة بفوات هذا الشرط بل سقط اعتبار كونه شرطاً، لعدم إمكان وجوده، فكذا غيبوبة الشفق كان سبباً لوجوب العشاء، فلما انعدم هذا السبب بالكلية، ثم نقل بسقوط الصلاة، وإنما سقط اعتبار كونه سبباً، فوجبت الصلاة في المسألتين، وسقط اعتبار الشرطية والسببية، فافهم والله أعلم.

ثم قال المرجاني رحمه الله في (ق: ٧٩): «ثم لا يسلم كون الوقت سبباً، لأن السبب هو التالي نعم الله تعالى على عباده لكن لما كانت الأوقات محلاً لحدوثها أضيف إليها الصلوات، وأقيمت مقام الأسباب لها في إدارة الحكم معها تيسيراً للعباد، فإنه لا يعرف أي قدر من النعم يجب في شكره الفجر أو غيره من الصلوات، فإنه أمر خفي غير منضبط، فأقيم مرور الوقت مقام وجودها في ترتب وجوب الصلاة على حصولها. ولئن كان سبباً، فلا نسلم أن الوقت الذي هو سبب غير موجود، لأن مدة الليلة واليوم في قطر يغيب فيه الشمس تكون أربعاً وعشرين ساعة، سواء تساوى الليل والنهار، أو تفاوتوا في الطول والاقصصار. لا يقال: المعتبر من الوقت سبباً للوجوب ليس هو مطلقه، بل لكل صلاة وقت خاص. فللعشاء وقت خاص ممتاز من وقت المغرب وغيره. فلو جعل وقت العشاء داخلاً قبل غيبة الشفق، لم يكن له وقت خاص لا امتداد وقت المغرب إلى غيبة الشفق، لأننا نقول: امتداد وقت المغرب من غروب الشمس إلى حين غروب فيه الشفق، سواء غاب أم لم يغيب. فإذا مضى بعد غروب الشمس مدة يغيب فيها الشفق في الأيام الاعتدالية والأقطار الاستوائية، يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العشاء، ويكون لكل واحد منهما وقت ممتاز عن الآخر».

قال العبد الضعيف عفا الله عنه: إن القول بفرضية العشاء في مثل هذه المناطق راجح على القول الأول من حيث الدليل. وإن النصوص القطعية المتواترة ناطقة بفرضية خمس صلوات في اليوم واللييلة، ولا يمكن نسخها أو تخصيصها على أساس كون علامة الوقت سبباً لفرضية الصلاة، وما ذكره المحقق ابن الهمام والمرجاني رحمهما الله تعالى في هذا المبحث قوي جداً، فينبغي أن يكون التحويل عليه. وهو الذي رجحه ابن عابدين، فقال في رد المحتار (١: ٣٦٥): «ويتأيد القول بالوجوب بأنه قال به إمام مجتهد، وهو الإمام الشافعي، كما نقله في الحلية عن المتولي عنه» وكذلك رجحه الطحطاوي في شرح الدرر (١: ١٧٧) فقال: دليل التقدير مشرق».

طريق تقدير الأوقات في مثل هذه المناطق

وإذا تقرّر أن تعيين وقت العشاء في هذه المناطق إنما يقع على أساس تقدير الأوقات، فإن هناك طرقاً مختلفة للتقدير، ذكرها الفقهاء:

١ - الطريق الأول أن يقع تقدير وقت العشاء على أساس أقرب الأيام المعتدلة في نفس تلك المنطقة. فمثلاً: تبتدىء الأيام غير المعتدلة على عرض ٥٤ (وتقع على هذا العرض بعض مدن انكلترا) من ١١ / مايو، وتستمر إلى ٣١ / يوليو، فإن الشفق لا يغيب في هذه المدة، ويبقى ظاهراً طول الليل، ولكنه يغيب قبل ١١ / مايو، وإن وقت غياب الشفق في ١٠ / مايو، (وهو آخر الأيام المعتدلة) هو زهاء الساعة الحادية عشر وسبع وأربعين دقيقة. والصبح الصادق يومئذ إنما يطلع في الساعة الحادية عشر وست وخمسين دقيقة فإن هذين الوقتين العشاء والصبح

الصادق، يعتبران على هذا القول أساساً للصلايتين في المدة غير المعتدلة أيضاً، يعني يعتبر هذا الوقت وقتاً للصلايتين فيما بين ١١ / مايو و ٣١ (يوليو التي لا يغيب فيها الشفق طول الليل. وحاصل هذا القول أن وقت العشاء في هذه المنطقة لا يستمر إلا لمدة تسع دقائق، ويستمر هذا الوضع من ١٠ / مايو إلى ٣١ / يوليو.

٢ - الطريق الثاني للتقدير: أن تقدّر أوقات العشاء والفجر في مثل هذه المناطق على أساس أقرب البلاد المعتدلة. وهذا القول هو الذي جزم به الشافعية ومن وافقهم من السانكية. فمثلاً: أول البلاد غير المعتدلة في فصل الصيف ما تقع على عرض ٤٨،٥ في الشمال، ولا يغيب الشفق على هذا العرض فيما بين ١١ / يونيو وأول شهر يوليو تقريباً. فإن أهل هذه المناطق يقدّرون أوقاتهم على أساس البلاد التي تقع على عرض ٤٧ أو ٤٨، فإنها أقرب البلاد المعتدلة إليهم التي يغيب فيها الشفق في سائر السنة، فيقدّر لهم وقت العشاء على أساس توقيت هذه البلاد المعتدلة القريبة.

٣ - الطريق الثالث للتقدير: أن الشفق ما دام مائلاً إلى جهة الغروب، فإنه وقت مشترك بين المغرب والعشاء، (ويمكن أن يعتبر نصفه الأول وقتاً للمغرب، ونصفه الثاني للعشاء) وأما إذا انتقل الشفق إلى جهة طلوع الشمس، فهو ابتداء وقت الصبح. وهذا القول ذكره المرجاني في جملة الأقوال التي سردها في طرق التقدير. راجع (ناظورة الحق) (ق: ٨٦).

وإن هذه الطرق الثلاثة للتقدير كلها محتملة، فيجوز الأخذ بما تيسر منها لأهل كل بلد غير معتدل، والله سبحانه وتعالى أعلم.

القسم الثاني: البلاد التي توجد فيها أوقات جميع الصلوات، ولكن بعضها قصيرة جداً

أما القسم الثاني؛ فالمراد منه المناطق التي تكمل فيها دورة الليل والنهار في مدة أربع وعشرين ساعة، وتوجد فيها جميع أوقات الصلوات، غير أن بعض هذه الأوقات قصيرة جداً، والفصل بينها وبين الوقت اللاحق قليل جداً. وذلك مثل المناطق التي تقع على عرض ٥٤ في الشمال، فإن مدة غياب الشفق في هذه البلاد العاشر من شهر مايو لا تستمر إلا لمدة تسع دقائق.

وحكم الصلاة في هذه المناطق أن كل صلاة إنما تؤدي في وقتها المعهود الذي يُعرف بعلماتها المعروفة، مهما قصر ذلك الوقت، فلا تؤدي صلاة العشاء في المنطقة المذكورة إلا في خلال تسع دقائق يغيب فيها الشفق، فإن كان ذلك الوقت لا يتسع للسنن يكتفى فيه بالفرائض أو الواجبات كالوتر، ويستحب أن يصلي النوافل بمقدار السنن المتروكة في وقت آخر.

ولم أر أحداً من الفقهاء القدامى والمعاصرين من جوّز التقدير في مثل هذه المناطق.

فينبغي أن لا يُعدل عن الأصل مهما أمكن العمل به . ولكن يبدو أن اختصار الوقت في مثل هذه المناطق يبرّر توسعة دائرة الأعذار إذا لم يتمكن المرء من أداء الصلاة في هذا الوقت القليل ، فيصليها قضاء متى قدر على ذلك .

أما إذا قصر الوقت جداً بحيث لا يمكن أن يصلي فيه المرء ركعات مفروضة ، ففيه احتمالان : الأول : أن يشرع الصلاة في ذلك الوقت ، ولو وقع إتمامها بعد خروج الوقت . والثاني : أن تلتحق هذه المناطق بالمناطق التي لا يوجد فيها وقت ، فيعمل بالتقدير . والله سبحانه أعلم .

القسم الثالث : البلاد التي لا تكمل فيها دورة الليل والنهار في أربع وعشرين ساعة

أما القسم الثالث : فيشمل البلاد التي لا تكمل فيها دورة الليل والنهار في مدة أربع وعشرين ساعة . كما في عرض تسعين عند القطبين . فإن الليل يستمرّ فيه مدة ستة أشهر ، وكذلك النهار ، فتكمل فيه دورة الليل والنهار في مدة سنة كاملة . وإن في عرض ٨٦ في الشمال يدوم الليل من ٣٠ / أكتوبر إلى ٩ / فبراير كل سنة ، وإن ضوء النهار يمتدّ من ١٠ فبراير إلى ٢٩ أكتوبر ، وفي عرض ٧٦ في الشمال يدوم الليل ما بين ٣ / أكتوبر و ٨ مارس ، وضوء النهار يمتدّ من ٩ مارس إلى ٢ أكتوبر .

وإن قياس قول من يقول بسقوط العشاء في القسم الأول أن لا تجب في هذه المناطق إلا خمس صلوات في سنة كاملة . ولكن قدّمنا أن القول بالتقدير أصحّ وأرجح ، وهو مؤيد بحديث الباب وإليه ذهب الشافعية . فالصحيح أنه تجب في هذه المناطق خمس صلوات في كل أربع وعشرين ساعة ، وتقدر أوقاتها على حساب أقرب البلاد المعتدلة إليها ، مع قطع النظر عن وجود علامات الأوقات التي تُعتبر سبباً لوجوب الصلوات في البلاد المعتدلة . ويستمرّ هذا الوضع إلى أن تكمل دورة النهار في مدة أربع وعشرين ساعة ، فينطبق حينئذ أحكام القسم الأول أو الثاني .

حكم الصوم في بلاد غير معتدلة

أما الصوم ، فقد ذكر الطحطاوي في شرح الدر المختار (١ : ١٧٧) عن الأئمة الشافعية أنهم يقولون بتقدير الأوقات في الصوم أيضاً .

وذكر شيخ مشايخنا العلامة أشرف علي التهانوي رحمه الله تعالى في بواهر النواذر (١ : ٢٣٩) أن المناطق التي لا يوجد فيها الليل ، يصوم أهلها في رمضان بتقدير الأوقات بالنسبة إلى أقرب البلاد المعتدلة ، ولكن يقع إفطارهم في وقت نهارهم ، فالأحوط أن يقضوا تلك الصيام في أزمّة أو أمكنة معتدلة ، ولكن ذلك احتياطاً ، ولو لم يقضوا تكفيهم الصيام التي صاموها بتقدير الأوقات .

«كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرْتَهُ الرِّيحُ. فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَذْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَتَسْتَجِيبُونَ لَهُ. فَيَأْمُرُ السَّمَاءُ فَتُمْطَرُ، وَالْأَرْضُ فَتَنْبُثُ، فَتَرْوَحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ، أَطْوَلُ مَا كَانَتْ دُرّاً، وَأَسْبَغُهُ ضُرُوعاً، وَأَمَدُهُ خَوَاصِرٌ. ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ. فَيَذْعُوهُمْ فَيُرْدُونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ. فَيُنْصَرِفُ عَنْهُمْ».

أما المناطق التي يوجد فيها الليل خلال أربع وعشرين ساعة، ولو لوقت قليل جداً، فإن ثم يجدوا كان طُول النَّهَارِ بقدر تحمّلهم للصوم، صاموا وأفطروا ليّلهم ونهارهم، وإن كان طُول النَّهَارِ فوق تحمّلهم للصوم (مثل أن لا يجدوا من اللَّيْلِ وقتاً كافياً للأكل والشرب، أو لا يكفيهم الأكل مرّة واحدة فقط في مدة أربع وعشرين ساعة) جاز لهم تقدير الأوقات أيضاً. وراجع أيضاً رد المحتار (١: ٣٦٥ و ٣٦٦).

قوله: (كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرْتَهُ الرِّيحُ) قال الأبي: «والمراد بالغيث: الغيم، إطلاقاً للمسبب على المسبّب، أي: يسرع في الأرض إسراع الغيم إذا استدبرته الرّيح» وهو كناية من سرعة سيره في الأرض وقطع المسافات البعيدة في أقصر وقت.

قوله: (فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطَرُ، وَالْأَرْضُ فَتَنْبُثُ) وظاهر أن السَّمَاءَ لا تمطر والأَرْضُ لا تنبت إلا بإذن الله تعالى، ولكن يظهر الله تعالى ذلك على يديه استدراجاً، وكذلك الأمور التي يجيء ذكرها من كون المؤمنين به في خصب ورفاهية، وكون المنكرين له في القحط والفقر، ومن إخراج النكوز وإحياء الأموات.

قال الخطّابي رحمه الله تعالى في أعلام الحديث (٤: ٢٣٣١): «وقد يُسأل عن هذا فيقال: كيف يجوز أن يُجري الله تعالى آياته على أيدي أعدائه؟ وإحياء الموتى آية عظيمة من آيات أنبيائه، فكيف مكّن منه الدجّال؟ وهو كذاب مفتر على الله بدعي الربوبية لنفسه؟».

فالجواب: أن هذا جائز على سبيل الامتحان لعباده إذا كان منه ما يدلّ على أنه مبطل، غير مُحقّق في دعواه، وهو أن الدجّال أعور عين اليمنى، مكتوب على جبهته كافر، يقرؤه كل مسلم، فدعواه داحضة مع وسم الكفر ونقص الأمور الشّاهدين بأنه لو كان ربّاً لقدر على رفع العور عن عينه ومحو التّهمة عن وجهه. وآيات الأنبياء التي أعطوها الأنبياء بريئة عما يعار منها، (وعن) نقائضها، فلا يشبهان بحمد الله».

قوله: (فَتَرْوَحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلُ مَا كَانَتْ دُرّاً) الرواح: رجوع الماشية في آخر النهار بعد الرعي. والسارحة: الماشية تغدو بالغداة إلى المرعى، والذرى: جمع الذروة، وهي أعلى كل شيء، وذروة الماشية سنامها. والمراد أن من يؤمن بالدجّال يكون في خصب، فترجع ماشيته بالسّماء سمينة طويلة الأسنام.

قوله: (أَمَدُهُ خَوَاصِرٌ) وهي جمع الخاصرة، وامتداد الخاصرة كناية عن كثرة امتلائها بسبب الشّبع.

فَيُضِضُحُونَ مُصْجِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ. وَيَمْرُؤُ بِالْخَبْرَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكَ. فَتَنْبِئُهُ كُنُوزَهَا كَيْفَ سَابِغِ النَّحْلِ. ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُثَلِّثًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزَلَتَيْنِ رَمِيَّةَ الْغُرْضِ. ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ بِضَحْكَ. فَيَبْنِمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ. فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِي دِمَشْقَ.....

قوله: (فَيُضِضُحُونَ مُصْجِلِينَ) أي: أصابهم المحل، وهو القحط من قلة المطر ويبس الأرض.

قوله: (وَيَمْرُؤُ بِالْخَبْرَةِ) بفتح الخاء وكسر الراء، وهي بمعنى المكان الخرب ليس به عمارة ولا زرع.

قوله: (كَيْفَ سَابِغِ النَّحْلِ) اليعاسيب جمع يعسوب. واليعسوب: أمير النحل الذي إذا طار نبعته جماعته، والمعنى أن كنوز الأرض تتبع الدجال كما تتبع النحل أميرها، فشبّه الدجال باليعسوب، والكنوز بالنحل. وقيل: المراد باليعاسيب هنا: جماعة النحل، وقيل: ذكورها خاصة. فشبهت الكنوز بجماعة النحل في كثرتها.

قوله: (فَيَقْطَعُهُ جَزَلَتَيْنِ) بفتح الجيم، بمعنى القطعتين، ورواه بعضهم بكسر الجيم، ورجح القرطبي والنووي الفتح.

قوله: (رَمِيَّةَ الْغُرْضِ) الغرض: الهدف الذي يرمى إليه، والرمية: مرة من الرمي. والمراد أنه يفرّق جسمه في قطعتين بينهما مسافة بقدر رمية الغرض. وهذا المعنى هو الذي رجحه أكثر الشراح، وذكر القاضي عياض أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، وذكر تفسيراً لم يتضح لي وجهه.

قوله: (فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ بِضَحْكَ) أي: يصير حيّاً بعد ما كان ميتاً، وتقدم أنه على سبيل الاستدراج.

قوله: (عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِي دِمَشْقَ) قال النووي: «أما المنارة، فيفتح الميم. وهذه المنارة موجودة اليوم شرقي دمشق» وظاهره أنه عنده السلام ينزل بدمشق، وهو الذي جزم به البرزنجي في الإشاعة (ص: ١٤٥) وقال السيوطي رحمه الله في مصباح الزجاجية (ص: ٢٩٧): «قال الحافظ ابن كثير: هذا هو الأشهر في موضع نزوله، وقد جددت منارة في زماننا في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة من حجارة بيض. ولعل هذا يكون من دلائل النبوة الظاهرة، حيث فرض الله بناء هذه المنارة لينزل عيسى بن مريم عليه السلام عليها... ثم قال الحافظ ابن كثير: وقد ورد في بعض الأحاديث أن عيسى عليه السلام ينزل ببيت المقدس، وفي رواية: بالأردن، وفي رواية: بمعسكر المسلمين، فالله أعلم. قلت (قائله السيوطي): حديث نزوله ببيت المقدس عند المصنف (يعني: ابن ماجه) وهو عندي أرجح، ولا ينافي سائر الروايات، لأن بيت المقدس هو شرقي دمشق، وهو معسكر المسلمين إذ ذاك، والأردن اسم الكورة كما في الصحاح، وبيت

بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ. وَاضِعاً كَفِّهِ عَلَى أَجْنَحَةِ مَلَكَئِينَ.

المقدس داخل فيه، فاتفقت الروايات. فإن لم يكن في بيت المقدس الآن منارة بيضاء، فلا بد أن تحدث قبل نزوله".

وما رَجَّحه السيوطي رحمه الله من نزول عيسى عليه السلام ببيت المقدس، اختياره أيضاً شيخ مشايخنا الكنكوهي رحمه الله تعالى في الكوكب الدرّي (٣: ١٦٤)، ونكته تأوّل في حديث الباب بغير ما تأوّل به السيوطي، فقال: المراد في هذا الحديث أن نزوله في بيت المقدس إنما يكون في الجانب الشرقي. ولما كان هذا يحتمل مواضع كثيرة لما في الجانب الشرقي من الاتساع، عيّن أحد المحتملات بإبدال دمشق من الشرقي أو بيبانه عنه، فكان المعنى أن نزوله يكون في الجانب الشرقي من بيت المقدس، وحاصله أن قوله (دمشق) في الحديث بدل من قول (شرقي) أو هو عطف بيان له، والمراد من (الشرقي) الجهة الشرقية من بيت المقدس، لا من دمشق. ولكن حينما كانت الجهة الشرقية في بيت المقدس متسعة عيّن منها ناحية مخصوصة، وهي التي تقع مواجهة لدمشق.

وإن تأوّل الشيخ الكنكوهي رحمه الله إنما يقتضي أن يكون بيت المقدس في جهة الغرب من دمشق، وتأويل السيوطي يقتضي عكس ذلك. والظاهر أن تأويل الشيخ الكنكوهي هو الأرجح، لأن بيت المقدس بُس في جهة الشرق من دمشق، وإنما هو في جهة الجنوب الغربي منها، وإن دمشق تقع في الشمال الشرقي منه، كما هو ظاهر من مراجعة خريطة هذه المناطق.

وهذا ما يقوّي تأويل الشيخ الكنكوهي رحمه الله، إلا أن هذا التأويل لا ينطبق على نلفظ حديث الباب إلا بتكلف، لأنه لا ذكر فيه لبيت المقدس حتى يفسر لفظ (الشرقي) فيه بالجهة الشرقية من بيت المقدس.

وإنما احتاج هؤلاء إلى التأويل في حديث الباب من أجل الحديث الذي زعموا أنه ذكر فيه نزول عيسى عليه السلام ببيت المقدس. ولم أجد ذلك صريحاً في حديث من أحاديث ابن ماجه. ولعلهم قصدوا بذلك حديث أبي أمامة رضي الله عنه (رقم: ٤١٢٨) لكنه ليس صريحاً في ذلك، وللفظه: «فقلت أم شريك بنت أبي العسكر: يا رسول الله! فأين الحرب يومئذ؟ قال: هم يومئذ قليل وجنّهم ببيت المقدس، وإمامهم رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى بن مريم» الحديث. فالمذكور في هذا الحديث أن أكثر العرب يومئذ يكونون ببيت المقدس، ويكون إمامهم رجلاً صالحاً، ثم قد ذكر نزول عيسى بن مريم عليهما السلام بجملة مسانفة لا ذكر فيها لموضع نزوله، فيحتمل أن يكون بيت المقدس، ويحتمل أن يكون غيره، فهذا الحديث لا يتألف في حديث الباب حيث ذكر فيه أنه عليه السلام سوف ينزل في شرقي دمشق، فلا حاجة إلى التأويل فيه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

قوله: (بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ) بوزن مفعولتين بالذال المهملة، وروي بالذال المعجمة أيضاً، أي:

إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطَرٌ. وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ. فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ. وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرَفُهُ. فَيَبْطُلُهُ حَتَّى يَذَرَكُهُ بِبَابٍ لُدٍّ. فَيَقْتُلُهُ. ثُمَّ يَأْتِي

ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران، كما في شرح النووي. وهذا كناية عن جمال ملبسه عليه السلام.

قوله: (إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطَرٌ) إلخ: أي: إذا خفَضَ رأسه قطر من الماء، وإذا رفعه تحدَّرَ منه تحدُّراً، أي: نَزَلَ ببطء، وصفة ذلك الماء كالجُمَانِ، وهو حَبَّات من الفضة، تُشَبِّه اللؤلؤ في صفاتها وحسنها. وهذا كناية عن حسن سيدنا عيسى وجمال خلقته الشريفة عليه الصلاة والسلام إلى جمال ثيابه الذي تقدَّم ذكره. هذا ما ذكره العلماء في توجيه معنى هذه الجملة.

وقال فضيلة شيخنا الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، حفظه الله تعالى في تعليقه على (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) (ص: ١١٦): «ولعلَّ الأولى بتفسير هذه الجملة أن ذلك إشارة إلى حياته عليه السلام، وأنه ينزل على الحال التي رُفِعَ عليها إلى السماء، فقد روى الحافظ ابن كثير في تفسيره (١: ٥٧٤) عن أبي حاتم بسنده إلى ابن عباس قال: لما أراد الله أن يرفع عيسى عليه السلام إلى السماء خرج على أصحابه ورأسه يقطر ماء... فيكون نزوله عليه السلام كالحال التي رفعه الله عليها».

قوله: (فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ) أي: لا يمكن ولا يقع لكافر يجد ريح نفس عيسى عليه السلام إلا مات. وقال القرطبي رحمه الله: «ومعناه: أن الكفار لا يقربونه، وإنما يهلكون عند رؤيته، ووصول نفسه إليهم حفظ من الله سبحانه له، وإظهار لكرامته».

وقال العلامة علي القاري في المرقاة (١٠: ١٩٨): «ويجوز كون الدجال مستثنى من هذا الحكم لحكمة إراءة دمه في الحرية، ليزداد كونه ساحراً في قلوب المؤمنين. ويجوز كون هذه الكرامة لعيسى أولاً حين نزوله، ثم تكون زائلة حين يرى الدجال، إذ دوام الكرامة ليس بلام. وقيل: النفس الذي يموت الكافر هو النفس المقصود به إهلاك الكافر، لا النفس المعتاد، فعدم موت الدجال لعدم النفس المراد. وقيل: المفهوم منه أن من وجد من نفس عيسى من الكفار يموت، ولا يفهم منه أن يكون ذلك أول وصول نفسه. فيجوز أن يحصل ذلك بهم بعد أن يريهم عيسى عليه الصلاة والسلام دم الدجال في حرته للحكمة المذكورة».

ثم قال العلامة علي القاري: «من الغريب أن نفس عيسى عليه السلام تعلق به الإحياء لبعض، والإماتة لبعض» ومقصوده أن عيسى عليه السلام قد أوتي عند بعثته معجزة إحياء الموتى بنفسه، وفي آخر حياته يصير نفسه سبباً لموت الكفار».

قوله: (حيث ينتهي طرفه) بسكون الراء، يعني: بصره.

قوله: (حتى يذركه بباب لُدٍّ) بضم اللام وتشديد الدال، بلدة معروفة في فلسطين، قرية من بيت المقدس، ولحكومة إسرائيل فيها مطار اليوم.

عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْمَ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ. فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُخَذُّهُمْ بِذُرَّاجَتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ. فَحَرَّزَ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَتَعَتُّ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ. وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ. فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبْرِئَةَ. فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا. وَبِمُرِّ آخِرُهُمْ يَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ، مَرَّةً، مَاءً.

قوله: (قد عصمهم الله منه) أي: حفظهم من شر الدجال.

قوله: (فيمسح عن وجوههم) أي: يزيل عنها ما أصابها من غبار سفر الغزو مبالغة في إكرامهم، أو المعنى: يكشف ما نزل بهم من آثار الكآبة والحزن على وجوههم بما يسرهم من خبره بقتل الدجال.

قال القاضي عياض رحمه الله: «هو على ظاهره للتبرك، والإشارة إلى إذهاب ما نزل بهم من الخوف».

قوله: (أخرجت عباداً لي) أي: أظهرت جماعة منقادة لقضائي وقدري، والمراد منهم يأجوج ومأجوج. والمعهود في الكتاب والسنة عموماً أنه إذا قصد بالعباد الكفار والظلمة أضيفوا إلى الله سبحانه بواسطة اللام، كما في قوله تعالى في سورة بني إسرائيل: ﴿وَبَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الإسراء: ٥]، وأما إذا أريد به المسلمون والصلحاء، أضيفوا إلى الله تعالى بلا واسطة.

قوله: (لا يدان لأحد بقتالهم) أي: لا طاقة لأحد، واليدان كناية عن القوة، لأنهما مظهر القوة.

قوله: (فحَرَّزَ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ) أي: أحفظهم وضمهم. والمراد من العباد هنا المسلمون، فأضيفوا إلى الله تعالى بدون واسطة اللام. والطور جبل معروف.

قوله: (من كلِّ حدب ينسلون) الحدب: بفتحتين: المكان المرتفع من الأرض. و (يَنْسِلُونَ) بمعنى (يُسرعون).

قوله: (فيمرُّ أوائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبْرِئَةَ) البحيرة تصغير للبحر، وبحيرة الطبرية، بفتح الطاء والياء، بحيرة من أعمال الأردن في طرف الغور وفي طرف جبل، وجبل الطور مُطَّلٌ عليها، وتُطَّلُ على هذه البحيرة مدينة طبرية، وهي التي ينسب إليها الإمام الطبراني صاحب المعاجم الثلاثة. أما النسبة إلى طَبْرِئَةَ فَطَبْرِئَةُ، وراجع معجم البلدان لياقوت الحموي (٥: ١٧ و ١٨).

قوله: (لقد كان بهذه مرة ماء) يعني: أن أوائِلُهُمْ يشربون ماء البحيرة كله، حتى لا يبقى للماء فيها إلا آثار، فيمرُّ عليها أو آخرهم، فيدركون بهذه الآثار أنها كان فيها ماء.

وَيُخَصِّرُ نَبِيَّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابَهُ. حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِئَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ. فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ. فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّعْفَ فِي رِقَابِهِمْ. فَيَصْبَحُونَ فَرَسِي كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ. ثُمَّ يَهَيِّطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ. فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبِيرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهْمُهُمْ وَتَنَنُهُمْ. فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ. فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ.

قوله: (وَيُخَصِّرُ نَبِيَّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابَهُ) أي: يبقون محصورين على جبل الثور.

قوله: (حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار) يعني: أنه تبلغ بهم الفاقة إلى حد نفاد أغذيتهم وهم محاصرون يياجوج وماجوج، حتى لا يوجد رأس الثور إلا بمائة دينار، وهذا مع كمال رخص البقر في تلك الديار، ومع أن رأس الثور لا يرغب فيه الناس رغبتهم في لحم الأعضاء الأخرى من البقر.

قوله: (فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه) أي: يدعون الله تعالى، والرغبة ههنا بمعنى الدعاء، وزاد في بعض الروايات: «إلى الله».

قوله: (فيرسل الله عليهم النعف) بفتح النون والتغين المعجمة، دود يكون في أنوف الإبل والغنم، وواحدته: نعفة. وهذا استجابة لدعاء عيسى عليه السلام وأصحابه.

قوله: (فيصبحون فرسي) كهنكي، وزنٌ ومعنى: وهو جمع فرس، كقنيل وقنلى، وهو مشتق من قَرَسَ الثَّوْبُ الشَّاءَ: إذا كسرها وقتلها، ومنه فرسة الأسد.

قوله: (كموت نفس واحدة) يعني: يهلكون جميعاً دفعة واحدة. قال الثوريشتي رحمه الله: «يريد أن القهر الإلهي الغالب على كل شيء يفرسهم دفعة واحدة فيصبحون قتلَى. وقد نبه بالكلمتين أعني: (النعف) و (فرسي) على أنه سبحانه يهلكهم في أدنى ساعة بأهون شيء، وهو النعف، فيفرسهم فرس السبع فرسته، بعد أن طارت نقرة البغي في رؤوسهم، فرعموا أنهم قاتلو من في السماء كذا في المرفأة».

قوله: (ملأه زهمهم) بفتح الزاي والهاء، وهو التشن، والدسومة، يقال: زهمت يدي، بكسر الهاء، أي: دسمت. ثم استعيرت الكلمة للتشن، لأن الدسومة تشن بعد قليل. وذكر الثوريشتي أن الزهم بفتح الحين معناه الدسومة، وأنزهم بضم الزاي وسكون الهاء: الريح المنتنة. وذكر في القاموس أن الرُّهْمَةَ: ريح لحم سمين متتن.

قوله: (طيراً كأعناق البخت) بضم الباء وسكون الخاء، نوع من الإبل طوان الأعناق.

قوله: (فتطرحهم حيث شاء الله) يعني: أن هذه الطير تحمل جثث يأجوج وماجوج وتطرحها في مكان بعيد. وذلك تطهير الأرض المعسورة من جثثهم المنتنة.

ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنْ مِنْهُ بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٌ. فَيَغْشَى الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلْفَةِ. ثُمَّ يَقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْتِ بِي مَعْرَتِكَ، وَرُدِّي بَرَكَتَكَ. فَيَوْمِذُ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرِّمَانَةِ. وَيَسْتَظِلُّونَ بِقُحْفِهَا. وَيُبَارِكُ فِي الرُّسْلِ، حَتَّى أَنْ اللَّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفُقَامَ مِنَ النَّاسِ. وَاللَّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ. وَاللَّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخْذَ مِنَ النَّاسِ.

قوله: (ثم يرسل الله مطراً) وزاد الترمذي قبله: «ويستوقد المسلمون من قسيتهم ونشابهم وجعابهم سبع سنين، ثم يرسل الله مطراً» والنشاب: السهام، والجعاب: طرف النشاب.

قوله: (لا يكن منه بيت مدر ولا وبر) بضم الكاف وتشديد النون، وهو من كنت الشيء: أي: سترته وصننته عن الشمس، وهي من أكننت الشيء بهذا المعنى، والمفعول محذوف. والجملة صفة (مطراً) يعني: أن هذا المطر لا يستر منه شيئاً بيت مدر ولا وبر. والمراد أن هذا المطر يصيب كل شيء سواء كان ذلك الشيء تحت سقف البيت، لأن الماء يتقاطر من السقف أيضاً.

قوله: (بيت مدر ولا وبر) برفع (بيت) على كونه فاعلاً لقوله (يكن)، والمدر بفتح الميم والدال: تراب وحجر، والوبر، يفتح الواو وسكون الباء، صوف الغنم وشعرها. والمراد من بيت مدر بيوت المدر، لأنها تبنى بالمدر غالباً، ومن بيوت الوبر: بيوت الريف لأنها كانت تبنى من صوف الغنم عموماً. فالمراد: بيت مدينة ولا قرية.

قوله: (كالزلفة) بفتح الزاي واللام، أي: كالمرأة في صفاتها ونقائنها، وقيل: معناه: المصنع الذي يجتمع فيه الماء، وقيل: الإجانة الخضراء، وقيل: الصحفة، وقيل: الروضة، ويروى (كالزلفة) بالقاف مكان الفاء، ومعناها واحد.

قوله: (تأكل العصابة من الرمان) العصابة: الجماعة، والمراد أن الرمان الواحدة تشبع جماعة من الناس لكبرها، وذلك من بركة الأرض.

قوله: (ويستظلون بقحفها) بكسر القاف وسكون الحاء، أي: بقشرها، والقحف في الأصل عظم مستدير فوق دماغ آدمي، واستعير هنا لما يلي رأس الرمان من القشر. يعني: أن الرمان تكون كبيرة بحيث يُستظل بقشرها.

قوله: (ويبارك في الرسل) بكسر الراء وسكون السين، أي: اللبن.

قوله: (حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفقام) اللقحة، بكسر اللام وفتحها، والكر أشهر: الناقة الحلوبة، والفقام، بكسر الفاء بوزن (رجال): الجماعة، ولا واحد له من لفظه. والمراد أن لبن الناقة الواحدة يكفي لجماعة من الناس، والمراد من الفقام هنا جماعة أكثر من القيلة.

قوله: (لتكفي الفخذ من الناس) الفخذ هنا بسكون الخاء، وهي جماعة من الأقارب، وهم

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحاً طَيِّبَةً. فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ أَبْطَانِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ. وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ. يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمْرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقَوْمُ السَّاعَةُ.

٧٣٠٠ - (١١١) حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ. حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ وَالْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ.. قَالَ ابْنُ حُجْرٍ: دَخَلَ حَدِيثُ أَحَدِهِمَا فِي حَدِيثِ الْآخَرِ - عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، نَحْوَ مَا ذَكَّرْنَا، وَرَأَى بَعْدَ قَوْلِهِ «لَقَدْ كَانَ بِهِذِهِ، مَرَّةً، مائة» ثُمَّ يَسِيرُونَ حَتَّى يَنْتَهَوْا إِلَى جَبَلِ الْحُمْرِ. وَهُوَ جَبَلُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ. فَيَقُولُونَ: لَقَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي الْأَرْضِ. هَلُمُّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، فَيُرْمُونَ بِشُتَابِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ، فَيَزِدُّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ شُتَابَهُمْ مَخْضُوبَةً دَمًا.

دون البطن، والبطن دون القبيلة. والفخذ، بكسر الخاء: العضو المعروف. أفاده القاضي عياض.

قوله: (فبينما هم كذلك) إن (ما) في (بينما) عوض عن المضاف إليه المقدر، وهو (الوقت) أو (الأوقات)، والتقدير: بين أوقات هم فيها كذلك يتعمون في طيب العيش، إذ بعث الله الخ، و (إذ) للمفاجأة. ووقع في رواية الترمذي (بيناهم) بغير الميم، والألف فيه عوض عن المضاف إليه.

قوله: (يتهارجون فيها تهارج الحمر) بضمين، جمع الحمار، والتهارج: الاختلاط، والمراد هنا: المجامعة. قال النووي: «أي: يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير، ولا يكثرثون لذلك. والهرج، بإسكان الراء: الجماع. يقال: هرج زوجته، أي: جامعها، يهرجها، يفتح الراء وضمها وكسرها».

وفسره بعضهم بأن المراد من التهارج هنا: التخاصم، فإن الأصل في الهرج: القتل وسرعة عدو الفرس، وهرج في حديثه: أي: خلط. وراجع المرقاة (١٠: ٢٠٢).

١١١ - (٥٠٠) - قوله: (حتى ينتهوا إلى جبل الخمر) بفتح الخاء والميم، وهو الشجر المتنف الذي يسر من فيه، وقد فسره في الحديث بأنه جبل بيت المقدس لكثرة شجره.

قوله: (لقد قتلنا من في الأرض) أي: من كان ظاهراً فيها، وقد مر أن عيسى عليه السلام وأصحابه يكونون محصورين مستورين.

قوله: (فلنقتل من في السماء) يعنون الله تعالى، والعياذ بالله، أو أصحاب السماء الأعلى.

قوله: (فيرمون بشتائبهم) بضم النون وتشديد الشين، ومفردة: شتابة، وهي الشهم.

قوله: (مخضوبة دماً) استدراجاً لهم، مع احتمال إصابة سهامهم لبعض الطيور، فيكون فيه إشارة إلى إحاطة فسادهم بالسفليات والعلويات. كذا في المرقاة.

وَفِي رِوَايَةٍ لِبْنِ حُجْرٍ: «فَإِنِّي قَدْ أُنْزِلْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدِّي لِأَحَدٍ بِقَتَالِهِمْ».

(٢١) - باب: في صفة الدجال، وتحريم

المدينة عليه، وقتله المؤمن وإحيائه

٧٣٠١ - (١١٢) حَدَّثَنِي عَمْرُو التَّائِدُ وَالْحَسَنُ الْحُلَوَانِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ. وَتَفَاطَهُمْ مُتَقَارِبَةً. وَالسِّيَاقُ يُعَيِّدُ. (قَالَ: حَدَّثَنِي. وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا) يَعْقُوبُ - وَهُوَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعِيدٍ - حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ. أَخْبَرَنِي عُثَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثَيْبٍ: أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا حَدِيثًا طَوِيلًا عَنِ الدَّجَالِ. فَكَانَ فِيمَا حَدَّثَنَا قَالَ: «يَأْتِي، وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ، فَيَنْتَهِي إِلَى بَعْضِ السَّبَاحِ الَّتِي تَلِي الْمَدِينَةَ. فَيُخْرِجُ إِلَيْهِ يَوْمُئِذٍ رَجُلٌ هُوَ خَيْرُ النَّاسِ، أَوْ مِنْ خَيْرِ

قوله: (لَا يَدِّي لِأَحَدٍ بِقَتَالِهِمْ) وإنما نصب (البدلين) من حيث كونها اسماً لكلمة نفي الجنس مع حذف التو وهو لغة.

(٢١) - باب: في صفة الدجال وتحريم المدينة عليه إلخ

١١٢ - (٢٩٣٨) - قوله: (أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ قَالَ) هذا الحديث أخرجه البخاري في فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة (١٨٨٢)، وفي الفتن، باب لا يدخل الدجال المدينة ٧١٣٢، وأخرجه أحمد في مسنده (٣: ٣٦) والبخاري في شرح السنة (١٥: ٥٩).

قوله: (حديثاً طويلاً عن الدجال) وقد ورد عن أبي سعيد عدة أحاديث في صفة الدجال، يمكن أن تكون مأخوذة من هذا الحديث الطويل الذي لم يذكره هنا بطوله. فمنها ما مر في قصة ابن صياد أن الدجال يهودي وأنه لا يولد له. وورد عنه عند أبي يعلى والبيزار: «ومعه مثل الجنة والنار، وبين يديه رجلان يندران أهل القرى، كلما خرجا من قرية دخل أوائله» وهو عند أحمد بن منيع مطول. وسنده ضعيف. وفي رواية أبي الدرداء عن أبي سعيد رفعه في صفة عين الدجال أيضاً. وفيه: «معه من كل لسان، ومعه صورة الجنة خضراء يجري فيها الماء، وصورة النار سوداء تدخن» كذا في فتح الباري (١٣: ١٠٢).

قوله: (نقاب المدينة) بكسر النون، أي: طرقها، وهو جمع نقب، وهو الطريق بين جبلين.

قوله: (إلى بعض السباح) بكسر السين، جمع سَبَاحَة ثلاث فتحات، وهي الأرض الرمنة التي لا تثبت لمواقعها، وهذه الصفة لأرض خارج المدينة من غير جهة الحرة، يعني: أنه لا يمكن من دخول المدينة، فينزل إلى هذه الأرض.

قوله: (فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس) وفي رواية عطية عند أبي يعلى والبيزار:

الناس. فيقول له: أشهد أنك الدجال الذي خدثنا رسول الله ﷺ حديثه. فيقول الدجال: أرايتم إن قتلته هذا ثم أخبرتني، أتشكون في الأمر؟ فيقولون: لا. قال: فيقتله ثم يخفيه. فيقول حين يخفيه: واللّه، ما كنت فيك قط أشد بصيرة مني الآن. قال: فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه.

قال أبو إسحاق: يقال إن هذا الرجل هو الخضر عليه السلام.

والمؤمنون متفرقون في الأرض، فيجمعهم الله، فيقول رجل منهم: والله لأنطلق فلا أنظر هذا الذي أئذرنه رسول الله ﷺ، فيمنعه أصحابه خشية أن يقتل به، فيأتي حتى إذا أتى أدنى مسلحة من مسالحه (أي: في معسكر الدجال) أخذوه فسألوه: ما شأنه؟ فيقول: أريد الدجال الكذاب، فيكتبون إليه بذلك فيقول: أرسلوا به إليّ، فلما رآه عرفه وعطية ضعيف وقد وثق.

قوله: (فيقول الدجال) إلخ: وزاد عطية في روايته المذكورة قبل ذلك: «فيقول له الدجال: لتطيعني فيما أمرك به، أو لأشقتك شفتين، فينادي: يا أيها الناس هذا المسيح الكذاب، فيقول الدجال إلخ».

قوله: (فيقولون: لا) أي: لا نشك. ولعلهم قالوا ذلك خوفاً منه لا تصديقاً له، ويحتمل أنهم قصدوا: لا نشك في كذبك ودجلتك، وخادعوه بهذه الثورة. ويحتمل أن يكون القائلون هذا الكلام من أتباعه من اليهود ممن قذر الله شقاوتهم.

قوله: (فلا يسلط عليه) وسيأتي تفصيل ذلك في رواية أبي الوذاك الآتية. وهذا أدل دليل على أن ما فعله من قبل من إحياء الميت كان على سبيل الاستدراج. فمن كان قد اغترّ بفعلته الأولى ينكشف له دجله في آخر الأمر.

قوله: (قال أبو إسحاق) المراد منه إبراهيم بن سفيان راوي هذا الكتاب عن الإمام مسلم كما صرح به النووي، وذكر القرطبي أن المراد به أبو إسحاق السبعي، ولكن رده الحافظ في الفتح (١٣: ١٠٤)، لأنه لا يوجد له ذكر في إسناد هذا الحديث. فالظاهر أنه وهم منه رحمه الله.

قوله: (هو الخضر عليه السلام) ولعل مستنده ما قاله معمر في جامعته بعد ذكر هذا الحديث: «بلغني أن الذي يقتل الدجال: الخضر» وكذا أخرجه ابن حبان من طريق عبد الرزاق عن معمر قال: «كانوا يرون أنه الخضر» وقال ابن العربي: «سمعت من يقول: إن الذي يقتله الدجال هو الخضر، وهذه دعوى لا برهان لها» لكن قال الحافظ في الفتح: «قلت: وقد تمسك من قاله بما أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي عبيدة بن الجراح رفعه في ذكر الدجال: (لعله أن يدركه بعض من رأي أو سمع كلامي) الحديث» ووجه الاستدلال بهذا الحديث أنه لم يبق أحد اليوم ممن رأى رسول الله ﷺ أو سمع كلامه إلا الخضر عليه السلام على قول من يقول

٧٣٠٢ - (١٠٠) وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، فِي هَذَا الْإِسْنَادِ، بِمِثْلِهِ.

٧٣٠٣ - (١١٣) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَهْرَآدَ، مِنْ أَهْلِ مَرَوْ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ قَيْسِ بْنِ رَهَبٍ، عَنْ أَبِي الْوَدَّاعِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَ رَجُلٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَقْتُلُهُ، فَيَقُولُونَ لَهُ: أَيْنَ تَعْمَدُ؟ فَيَقُولُ: أَعْمَدُ إِلَى هَذَا الَّذِي خَرَجَ. قَالَ: فَيَقُولُونَ لَهُ: أَوْ مَا تَأْمَنُ بِرَبَّنَا؟ فَيَقُولُ: مَا بِرَبَّنَا خَفَاءَ. فَيَقُولُونَ: أَفَتَقْتُلُوهُ. فَيَقُولُ: بَغْضَهُمْ لِبَغْضِ: أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُم رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ. قَالَ: فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدَّجَالِ. فَإِذَا رَأَى الْمُؤْمِنِينَ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، هَذَا الدَّجَالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: فَيَأْمُرُ الدَّجَالُ بِهِ فَيُسَبِّحُ. فَيَقُولُ: خُذُوهُ وَشَجُّوهُ. فَيُوسَعُ ظَهْرُهُ وَيَبْطِئُ صَرْبًا. قَالَ: فَيَقُولُ: أَوْ مَا

بِحَيَاتِهِ، وَقَدْ بَسَطْنَا الْكَلَامَ عَلَى ذَلِكَ فِي بَابِ فَضَائِلِ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنَّ الْأَسْلَمَ فِي ذَلِكَ السَّكُوتِ. وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي عُبَيْدَةَ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ الْحَافِظُ فَبِمَكْنِ الْإِجَابَةِ عَنْهُ بَعْدَ ثَبُوتِهِ بِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ جِزْمٌ وَبِقَيْنٍ، بِخِلَافِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ الَّذِي يَقْتُلُهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

١١٣ - (١٠٠) - قَوْلُهُ: (فَيَقْتُلُهُ الدَّجَالُ) بِفَتْحِ الْمِيمِ وَكَسْرِ اللَّامِ، وَلَا وَجْهَ لِمَا قَالَ السَّنُوسِيُّ مِنْ كَوْنِهِ بِفَتْحِ اللَّامِ، وَهُوَ جَمْعُ مَسْلُحَةٍ. وَهُمْ الْقَوْمُ ذَوُو السَّلَاحِ يَحْفَظُونَ الثُّغُورَ. وَقَالَ الْقَاضِي رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَعَلَّ الْمُرَادَ بِهِ هَهُنَا مَقْدَمَةُ جَيْشِهِ، وَأَصْلُهَا مَوْضِعُ السَّلَاحِ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَ لِلشُّغْرِ فَإِنَّهُ يَعْدُ فِيهِ الْأَسْلِحَةَ، ثُمَّ لِلجُنْدِ الْمُتَرَصِّدِينَ، ثُمَّ لِمَقْدَمَةِ الْجَيْشِ، فَإِنَّهُمْ مِنَ الْجَيْشِ كَأَصْحَابِ الثُّغُورِ. كَذَا فِي الْمَرْقَاةِ (١٠: ٢٠٣).

قَوْلُهُ: (أَوْ مَا تَأْمَنُ بِرَبَّنَا؟) يَعْنُونَ بِهِ الدَّجَالُ، فَإِنَّهُمْ يَزْعُمُونَهُ إِلَهًا. قَوْلُهُ: (مَا بِرَبَّنَا خَفَاءَ) يَعْنِي: أَنَّ صِفَاتِهِ ظَاهِرَةٌ لَا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ حَتَّى نَحْتَاجَ إِلَى إِلَهٍ غَيْرِهِ.

قَوْلُهُ: (أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُم رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ) يَرِيدُونَ بِرَبِّهِمُ الدَّجَالُ، وَمُرَادُهُمْ أَنَّ الدَّجَالُ قَدْ نَهَاكَم عَنْ قَتْلِ أَحَدٍ دُونَ أَمْرِهِ وَإِجَازَتِهِ.

قَوْلُهُ: (فَيُسَبِّحُ) بِضَمِّ الْبَاءِ وَسُكُونِ الشَّيْنِ وَفَتْحِ الْبَاءِ الْمَوْحَدَةِ، أَي: يُمَدِّدُ، وَالشُّبْحُ، مِنْ بَابِ فَتْحٍ: مَذْكُورُ الشَّيْءِ بَيْنَ أَوْتَادٍ، أَوْ الرَّجُلُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ، وَالْمَضْرُوبُ يُسَبِّحُ إِذَا مَدَّ لِلْجَنْدِ، وَشُبِّحَ: مَدَّهُ كَالْمَضْرُوبِ. كَذَا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ (٧: ١٥) وَمِثْلُهُ فِي تَاجِ الْعُرُوسِ (٢: ١٦٩).

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بِفَتْحِ الشَّيْنِ وَتَشْدِيدِ الْبَاءِ، وَهُوَ مِنَ التَّشْبِيحِ، وَمَعْنَاهُ: التَّعْرِيضُ. وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ: «فَيُسَبِّحُ» فَيَقُولُ: خُذُوهُ وَاشْجُوهُ.

تُؤْمِنُ بِي؟ قَالَ: فَيَقُولُ: أَنْتَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ. قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُؤَسَّرُ بِالْمِشَارِ مِنْ مَقَرِّهِ حَتَّى يُفَرَّقَ بَيْنَ رَجُلَيْهِ. قَالَ: ثُمَّ يَحْشِي الدُّجَالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ. ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: قُمْ. فَيَسْتَوِي قَائِمًا. قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُؤْمِنُ بِي؟ فَيَقُولُ: مَا أَرَدَدْتُ فَيْكَ إِلَّا بَصِيرَةً. قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ. قَالَ: فَيَأْخُذُهُ الدُّجَالُ لِيَذْبَحَهُ. فَيَجْعَلُ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرْقُوتِهِ نُحَاسًا، فَلَا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلًا. قَالَ: فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرَجُلَيْهِ فَيَقْدِفُ بِهِ. فَيَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّمَا قَذَفَهُ إِلَى النَّارِ. وَإِنَّمَا أَلْقَى فِي الْجَنَّةِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا أَكْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

(٢٢) - باب: في الدجال وهو أهون على الله عز وجل

٧٣٠٤ - (١١٤) حَدَّثَنَا شِهَابُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ. حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حُمَيْدٍ الرُّوَاسِيُّ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: مَا سَأَلَ أَحَدَ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ الدُّجَالِ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْتُ. قَالَ: «وَمَا يَنْصِبُكَ مِنْهُ؟ إِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مَعَهُ الطَّعَامَ وَالْأَنْهَارَ. قَالَ: «هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ».

٧٣٠٥ - (١١٥) حَدَّثَنَا سُرَيْجُ بْنُ يُونُسَ. حَدَّثَنَا هُشَيْنٌ عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسِ، عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: مَا سَأَلَ أَحَدَ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ الدُّجَالِ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْتُهُ. قَالَ: «وَمَا

قوله: (فيؤسر بالمشار) بالهمز، يقال: أسرت الخشبة: إذا فرقتها. ويروى: (ويؤسر بالمشار) بالنون، وكلاهما بمعنى، والثاني أشهر لغة.

قوله: (إلى ترقوته) بفتح التاء وضم القاف، وهي المعظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق.

قوله: (نحاساً) فسرهُ علي القاري في المرقاة بأن الله تعالى يجعل ما بين رقبته إلى ترقوته صلباً كالنحاس لا يعمل فيه السيف، وهذا على أن ياء (يُجعل) مضمومة على البناء للمجهول، و (ما بين رقبته إلى ترقوته) نائب فاعل له، و (نحاساً) مفعول ثان. وقد رواه بعضهم بفتح الياء على البناء للمعروف، ففاعلُه مقدر، وهو الله، و (ما بين رقبته إلخ) ظرف له، و (نحاساً) مفعول.

(٢٢) - باب: في الدجال وهو أهون على الله عز وجل

١١٤ - (٢٩٣٩) - قوله: (إبراهيم بن حميد الرُّوَاسِي) بضم الراء وتخفيف الواو أو التهمزة،

نسبة إلى بني رُوَاس.

قوله: (عن المغيرة بن شعبة) هذا الحديث أخرجه البخاري في الفتن، باب ذكر الدجال

سؤالك؟ قال: قلت: إنهم يقولون: معه جبل من خبز ولحم، ونهر من ماء. قال: «هو أهون على الله من ذلك».

٧٣٠٦ - (١٠٠) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وابن نمير. قالاً: حدثنا وكيع. ح. وحدثنا إسحاق بن إبراهيم. أخبرنا جرير. ح. وحدثنا ابن أبي عمير. حدثنا سفيان. ح. وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة. حدثنا يزيد بن هارون. ح. وحدثني محمد بن رافع. حدثنا أبو أسامة. كلهم عن إسماعيل، بهذا الإسناد، نحو حديث إبراهيم بن حميد، وزاد في حديث يزيد: فقال لي: «أي بني».

(٢٣) - باب: في خروج الدجال ومكته في الأرض، ونزول عيسى

وقتله إياه وذهب أهل الخير والإيمان، وبقاء شرار الناس

وعبادتهم الأوثان، والتفخ في الصور، وبعث من في القبور

٧٣٠٧ - (١١٦) حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري. حدثنا أبي. حدثنا شعبه، عن الثعمان بن سالم، قال: سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي يقول: سمعت عبيد الله بن عمرو، وجاءه رجل، فقال: ما هذا الحديث الذي تحدث به؟ تقول: إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا. فقال: سبحان الله، أو لا إله إلا الله، أو كلمة نحوها. لقد هممت أن لا أحدث أحداً شيئاً أبداً. إنما قلت: إنكم سترون بعد قليل أمراً عظيماً.

(٧١٢٢)، وابن ماجه في الفتن، باب طلوع الشمس من مغربها (٤١٢٤)، وأحمد في مسنده (٤): (٢٤٨) والبيهقي في شرح السنة (١٥: ٥٣).

قوله: (ما ينصبك) بضم الياء. أي: ما يُنصبك من أمره، والنصب: التعب.

قوله: (هو أهون على الله من ذلك) أي: من أن يضل به المؤمنون المخلصون، وإنما يزدادون به إيماناً.

(٢٣) - باب: في خروج الدجال ومكته في الأرض،

ونزول عيسى وقتله إياه الخ

١١٦ - (٢٩٤٠) - قوله: (عن عبيد الله بن عمرو) هذا الحديث أخرجه أبو داود في الملاحم، باب أمارات الساعة (٤٣١٠)، وابن ماجه في الفتن، باب طلوع الشمس من مغربها (٤١٢٠)، وأحمد في مسنده (٢: ١٦٦) والحاكم في المستدرک (٤: ٥٤٣ و ٥٥٠)، والبيهقي في شرح السنة (١٥: ٩٣).

قوله: (لقد هممت أن لا أحدث أحداً شيئاً أبداً) وإنما قال ذلك لما رأى أن الرجل أخطأ

يُحَرِّقُ النَّبِيَّ، وَيَكُونُ، وَيَكُونُ. ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُخْرِجُ الدَّجَالَ فِي أُمِّي فَيَمُكُّهُ أَرْبَعِينَ - (لَا أَدْرِي: أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا) - فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ. فَيَطْلُبُهُ فَيَهْلِكُهُ. ثُمَّ يَمُكُّهُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ. لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عِدَاوَةٌ. ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ. فَلَا يَنْقُصُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَخْذٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ. حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ، حَتَّى تَقْبُضَهُ». قَالَ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: «فَيَنْقُصُ شِرَارُ النَّاسِ

في فهمه لكلامه. ولفظ الحاكم في المستدرک: «قالوا: إنك قلت: لا تقوم الساعة إلى كذا وكذا. قال: إنما قلت: لا يكون كذا وكذا حتى يكون أمراً عظيماً، فقد كان ذلك، فقد حرق البيت، وكان كذا إلخ».

قوله: (يُحَرِّقُ النَّبِيَّ) لَمَّا أُلْقِيَ الْمَرَادُ مِنْهُ بَيْتُ اللَّهِ، وَقَدْ وَقَعَ تَحْرِيقُهُ وَرَمِيَهُ بِالْمُنْجَنِقِ عَلَى يَدِ جَيْشِ بَزِيدٍ وَالحِجَاجِ. وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو إِذْ ذَاكَ حَيًّا، وَرَوَى أَنَّهُ تَوَفَّى أَيَّامَ تِلْكَ الْفِتْنَةِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ.

قوله: (وَيَكُونُ وَيَكُونُ) يَعْنِي: كُنْتَ ذَكَرْتَ أَشْيَاءَ أُخْرَى مِنَ الْفِتَنِ الَّتِي مَتَّعَ قَبْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ.

قوله: (فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ) قَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «نَزَلَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَتْلَهُ الدَّجَالُ حَقًّا وَصَحِيحًا عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ، لِلْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ فِي ذَلِكَ. وَلَيْسَ فِي الْعَقْلِ وَلَا فِي الشَّرْعِ مَا يَطْلُبُهُ، فَوَجِبَ إِثْبَاتُهُ. وَأَنْكَرَ ذَلِكَ بَعْضُ الْمَعْتَزِلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَمَنْ وَاقَفَهُمْ، وَزَعَمُوا أَنَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ مُرَدُّةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعَاثَمَ الَّذِينَ﴾ [الاحزاب، آية: ١٥] بِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا نَبِيَّ بَعْدِي...». وَهَذَا اسْتِدْلَالٌ فَاسِدٌ، لِأَنَّهُ لَيْسَ الْمَرَادُ بِنَزُولِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ يَنْزِلُ نَبِيًّا يَشْرَعُ يَنْسَخُ شَرْعَنَا، وَلَا فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ وَلَا فِي غَيْرِهَا شَيْءٌ مِنْ هَذَا. بَلْ صَحَّتْ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ هُنَا وَمَا سَبَقَ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ وَغَيْرِهَا أَنَّهُ يَنْزِلُ حَكَمًا مُقْسَطًا بِحُكْمِ شَرْعِنَا».

قَالَ الْعَبْدُ الضَّعِيفُ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ: الْأَوْضَحُ فِي الْجَوَابِ عَنْ اسْتِدْلَالِهِمْ أَنَّ الْمَرَادَ مِنْ كَوْنِهِ ﷺ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَمِنْ كَوْنِهِ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ أَنَّهُ لَا يُولَدُ بَعْدَهُ نَبِيٌّ، لَا أَنَّ جَمِيعَهُمْ يَمُوتُونَ قَبْلَهُ. وَلَيْسَ مَرَادُ الْقَاضِي عِيَاضِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ يُمْكِنُ وَلَادَةُ نَبِيٍّ بَعْدَهُ ﷺ بِشَرَطِ أَنْ لَا يَأْتِيَ بِشَرْعٍ جَدِيدٍ، كَمَا ادَّعَى ذَلِكَ بَعْضُ الْمُتَعَبِّثِينَ فِي عَصْرِنَا، وَإِنَّمَا مَرَادُهُ أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِنْ كَانَ نَبِيًّا، وَلَكِنَّهُ يَحْكُمُ بَعْدَ نَزُولِهِ بِشَرْعِ نَبِينَا ﷺ، فَافْهَمُ.

قوله: (كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ) يَعْنِي: أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَشَابَهُ عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ فِي صُورَتِهِ.

قوله: (دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ) أَي: وَسَطُهُ، وَكَبِدُ كُلِّ شَيْءٍ وَسَطُهُ.

فِي خَفَةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السَّبَاعِ. لَا يَمَرُقُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا. فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَعْجِلُونَ؟ فَيَقُولُونَ: قَمَا نَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ. وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌ
رَزَقَهُمْ، حَسَنَ عَيْشِهِمْ. ثُمَّ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ. فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيَتَأَمَّرَ لِيَتَأَمَّرَ. قَالَ:
وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ. قَالَ: فَيَضَعُ، وَيَضَعُ النَّاسُ. ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ - أَوْ
قَالَ: يَنْزِلُ اللَّهُ - مَطَرًا كَأَنَّهُ الظِّلُّ أَوْ الظِّلُّ، نُعْمَانُ الشَّائِكِ، فَتَنْبُثُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يَنْفُخُ
فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ. ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، هَلُمُّ إِلَى رَبِّكُمْ. وَفَقَوْهُمْ إِنَّهُمْ
مَسْئُولُونَ. قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعَثَ النَّارَ.

قوله: (في خفة الطير وأحلام السباع) الأحلام جمع حلم، بضم الحاء، بمعنى العقل،
ومعناه: أنهم يكونون في سرعتهم إلى الشرور وقضاء الشهوات والفساد كطيران الطير، وفي
العدوان وظلم بعضهم بعضاً في أخلاق السباع العادية. كذا في شرح النووي.

قوله: (دارٌ رزقهم) بضم القاف على أنه فاعل لقوله دارٌ) وهو اسم فاعل من دَرَّ يَدْرُ.

قوله: (أصغى ليتاً ورفع ليتاً) اللَّيْتُ، بكسر اللام: صفحة العنق، والإصغاء: الإمالة يعني:
أن كل من يسمع نفخة الصُّور، فإنه يُضْغِي جانباً من عنقه ويرفع الجانب الآخر، وهو كناية عن
سقوط رأسه إلى أحد الشقيين بسبب الصعقة التي تأخذه عند ذلك فلا تمهله.

قوله: (يلوط حوض إبله) أي: يَطِينُ ويصلح، ولاط الحوض نَوَاطٌ وَلَيْطٌ: أصلحه، وأصل
الَلَوَاط: اللصوق. واللاط الشيء بالشيء: ألصقه، وألاط الولد بآبيه: نسبته إليه. والمحتلظ:
اللاحق بالفقير في النسب.

وهذا الحديث يدل على أن نفخة الصور يسمعها بعض قبل بعض.

قوله: (فَيَضَعُ) أي: يموت. وأصل الصعقة: ذهاب الحواس.

قوله: (كأنه الظِّلُّ، أو الظِّلُّ) شك الراوي، وذكر العلما أن الأصح (الظِّلُّ) بالطاء، وهو
ما ينزل في وقت الليل من الرطوبة.

قوله: (ثم ينفخ فيه أخرى) وذكر الغزالي في نفخة البعث أنها نفخ حقيقة. وقيل: إنها كلام
يقوله صاحب الصُّور، يقول: أيتها الأجسام البالية والعظام النخرة! إن الله يأمركن أن تجتمعن
لفصل القضاء. كذا في شرح الأبي.

قوله: (أخرجوا بعث أهل النار) وقد مر في آخر كتاب الإيمان في حديث أبي سعيد أن
هذا القول يخاطب به آدم عليه السلام، ولفظه: «يقول الله عز وجل: يا آدم! فيقول: لبيك
وسعديك، والخير في يديك. قال: يقول: أخرج بعث النار. قال: وما بعث النار؟ قال: من كل

فَيَقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيَقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ، تِسْعِمِئَةٌ وَتِسْعَةٌ وَتِسْمِينَ. قَالَ: فَذَاكَ يَوْمٌ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا. وَذَلِكَ يَوْمٌ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ».

٧٣٠٨ - (١١٧) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الثَّعْمَانِ بْنِ سَالِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ يَعْقُوبَ بْنَ عَاصِمٍ بْنَ عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: إِنَّكَ تَقُولُ: إِنَّ السَّاعَةَ تَقُومُ إِلَى كَذَا وَكَذَا. فَقَالَ: لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أُحَدِّثَكُمْ بِشَيْءٍ. إِنَّمَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ تَرَوْنَ بَعْدَ قَلِيلٍ أَمْرًا عَظِيمًا. فَكَانَ حَرِيقَ النَّيْتِ - (قَالَ شُعْبَةُ: هَذَا، أَوْ نَحْوَهُ) قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَالُ فِي أَمْتِي»، وَسَاقُ الْحَدِيثِ يَمْتَلِئُ حَدِيثَ مُعَاذٍ، وَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: «فَلَا يَنْقَى أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ إِلَّا قَبِضَتْهُ».

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ: حَدَّثَنِي شُعْبَةُ بِهَذَا الْحَدِيثِ مَرَّاتٍ، وَغَرَضُهُ عَلَيْهِ.

٧٣٠٩ - (١١٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، عَنْ أَبِي حَيَّانَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: خَفِضْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ. سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنْ أَوَّلَ آيَاتِ خُرُوجِ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ

أَلْفِ تِسْعِمِئَةٍ وَتِسْعَةٍ وَتِسْمِينَ. قَالَ: فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ الْحَدِيثُ.

قوله: (فيقال: من كم؟) أي: يقول المخاطبون بالإخراج: بأية نسبة نخرج أهل النار من بين سائرهم؟

قوله: (وذلك يوم يكشف عن ساق) إشارة إلى الآية المعروفة. والكشف عن ساق كناية عن شدة الأمر وصعوبة الخطب، واستعماله بهذا المعنى شائع عند العرب، يقال: كشفت الحروب عن ساقها: إذا اشتد أمرها. وأصله أن المجذ في الأمر يشمر إزاره ويرفعه عن ساقه، والحاصل أنه عندما يظهر أن تسعمائة وتسعة وتسعين نفساً من كل ألف يصيرون إلى جهنم، يفرح الناس ويشد الأمر.

١١٨ - (٢٩٤١) - قوله: (إن أول الآيات خروجا: طلوع الشمس من مغربها) قال الطيبي في شرح المشكاة (١٠: ١٠٦): «فإن قيل: طلوع الشمس ليس بأول الآيات، لأن الدخان والدجال قبله؟ أجيب: بأن الآيات إما أمارات دالة على قرب قيام الساعة، وإما أمارات دالة على وجود قيام الساعة وحصولها، ومن الأول: الدخان وخروج الدجال ونحوهما. ومن الثاني ما نحن فيه من طلوع الشمس من مغربها، والرجفة، ونبأ الجبال، وخروج النار وطردها إلى المحشر. وإنما سمي أولاً، لأنه مبدأ انقسام الثاني».

مُغْرِبَهَا، وَخُرُوجَ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحَى. وَإِلَيْهِمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا.

٧٣١٠ - (١٠٠) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ. حَدَّثَنَا أَبِي. حَدَّثَنَا أَبُو حَيَّانَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ. قَالَ: جَلَسَ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بِالْمَدِينَةِ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. فَسَمِعُوهُ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنِ الْآيَاتِ: أَنَّ أَرْثَهَا خُرُوجَ الدَّجَالِ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: لَمْ يَقُلْ مَرْوَانُ شَيْئًا. قَدْ حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا لَمْ أُنْسُهُ بَعْدُ. سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: قَدْ ذَكَرَ بِمِثْلِهِ.

٧٣١١ - (١٠٠) وَحَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ. حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ. حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي حَيَّانَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ قَالَ: تَذَكَّرُوا السَّاعَةَ عِنْدَ مَرْوَانَ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: بِمِثْلِ حَدِيثِهِمَا. وَلَمْ يَذْكُرْ ضُحَى.

(٢٤) - باب: قصة الجساسة

٧٣١٢ - (١١٩) حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَبْدِ الْوَارِثِ، وَحَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ. كِلَاهُمَا عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ، (وَاللَّفْظُ لِعَبْدِ الْوَارِثِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ)، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ جَدِّي، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ ذَكْوَانَ. حَدَّثَنَا ابْنُ بَرِئَةَ. حَدَّثَنِي عَامِرُ بْنُ شَرَّاحِيلَ الشَّعْبِيُّ، شَعْبٌ هَمْدَانٌ؛ أَنَّهُ.....

(١٠٠) - قوله: (لم يقل مروان شيئاً) يعني: أنه قد أخطأ في قوله إن خروج الدجال أول الآيات، وإنما أول الآيات طلوع الشمس من مغربها، ولعلَّ سياق الكلام كان في القسم الثاني من الآيات التي هي جزء من حوادث الساعة، وليست أمارات دالة على قربها فقط والله أعلم.

(٢٤) - باب قصة الجساسة

الجساسة، بفتح الجيم وتشديد السين، اسم لذئبة عجيبة وآها تميم الداري رحمه الله، كما سيأتي في متن الحديث. قبل: سميت بذلك لتجسسها الأخبار لندجال. فكانها كانت جاسوسة له. وجاء عن عبد الله بن عمرو أنها دابة الأرض. كذا في شرح النووي.

١١٩ - (٢٩٤٢) - قوله: (شعب همدان) بفتح الهاء، عنى كونه منسوباً بفعل مقدر. وهو (أعني) وهو تفسير لنسبة شعبي، يعني: أنه منسوب إلى شعب همدان، لأن شعباً بطن من همدان، كما في الأنساب للسمعاني (٨: ١٠٦)، وذكر ابن الأثير في جمهرة الأنساب (ص: ٤١٦) أنه من حمير. ولا يبعد أن يكون هناك شعبان: شعب همدان، وشعب حمير، فأراد الراوي أن يبين أن عامر بن شراحيل الشعبي من شعب همدان، لا من شعب حمير.

سَأَلَ فَاطِمَةُ بِنْتُ قَيْسٍ، أَخْبَتَ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسٍ. وَكَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُولَى. فَقَالَ حَدَّثَنِي حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. لَا تُسَيِّدِيهِ إِلَى أَحَدٍ غَيْرِهِ. فَقَالَتْ: لَيْتَنِي شِئْتُ لَأَفْعَلَنَّ. فَقَالَ لَهَا: أَجَلٌ. حَدَّثَنِي. فَقَالَتْ: نَكَحْتُ ابْنَ الْمُغِيرَةِ. وَهُوَ مِنْ خِيَارِ شَبَابِ قُرَيْشٍ يَوْمَئِذٍ. فَأَصِيبَ فِي أَوَّلِ الْجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَلَمَّا تَأَيَّمْتُ خَطْبَنِي

قوله: (سأل فاطمة بنت قيس) هذا الحديث أخرجه أبو داود في الملاحم، باب في خبر الجساسة، (٤٣٢٥ إلى ٤٣٢٧)، والترمذي في الفتن، باب بعد باب ما جاء في النهي عن سب الرياح (٢٢٥٣)، وابن ماجه في الفتن، باب طلوع الشمس من مغربها (٤١٢٥)، وأحمد في مسنده (٦: ٣٧٣)، والبغوي في شرح السنة (١٥: ٦٥). وقد مر ترجمة فاطمة بنت قيس في كتاب الطلاق، باب المطلقة الباش لا نفقة لها.

قوله: (نكحت ابن المغيرة) اسمه عبد الحميد أبو عمرو بن حفص بن المغيرة، وهو ابن عم خالد بن الوليد، وقد مر ترجمته في الطلاق.

قوله: (فأصيب في أول الجهاد) ظاهر هذا الكلام أنه استشهد في الجهاد مع رسول الله ﷺ، وليس الأمر كذلك، فإنه لم يستشهد في غزوة غزاها مع رسول الله ﷺ. فتأول فيه بعض العلماء بأن المراد من قولها (أصيب) أنه أصيب بجراحات، لا أنه مات في الجهاد. وإنما ذكرته فاطمة كبيان فضائله لا كسبب بينوتها منه. وذكر الحافظ في الفتح (٩: ٤٧٨) أنه كان رسول الله ﷺ يبعثه مع عليٍّ إلى اليمن، وذكر جماعة أنه مات هناك، فيصدق أنه أصيب في الجهاد مع رسول الله ﷺ، أي: في طاعة رسول الله ﷺ، ولا يلزم من هذا أن تكون بينوتها منه بالموت، بل بالطلاق السابق على الموت. ولكن هذا التأويل لا يلتزم مع قولها (في أول الجهاد) لأن ذهابه إلى اليمن لا يصدق عليه أنه أول الجهاد. ثم إنه مخالف لقولها (تأيمت) فإن ظاهره أنها تأيمت بشهادة زوجها في الجهاد. وذكر جماعة من أهل السير أنه لم يموت في اليمن، وإنما بقي إلى خلافة عمر رضي الله عنه، وهذا أيضاً لا ينطبق بما ذكره الحافظ.

والظاهر - فيما يبدو لهذا العبد الضعيف عفا الله عنه - أنه وهم من أحد الرواة، وذلك لأنه روى هذا الحديث سيار أبو الحكم عن الشعبي - كما سيأتي في الرواية الآتية - فلم يذكر فيه إصابته في الجهاد، وإنما ذكر قول فاطمة: «طلقتني بعلي ثلاثاً» فلعلها ذكرت بعض فضائل زوجها، ومن جملتها كونه أصيب بجهاد معه ﷺ فلعل أحد الرواة زعم أن تأيمها كان بسبب موت زوجها في الجهاد، فذكره بالسياق المذكور، وقد ذكر الحافظ في الفتح احتمال كونه وهماً.

قوله: (فلما تأيمت) تأوله النووي بأن المراد منه كونها أيماً، أي: غير ذات زوج، وذلك بالطلاق.

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَخَطَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَوْلَاهُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ. وَكُنْتُ قَدْ حَدَّثْتُ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحْبَبَنِي فَلْيَجِبْ أُسَامَةَ فَلَمَّا كَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: أَمْرِي بِيَدِكَ. فَأَنكِحْنِي مَنْ شِئْتَ. فَقَالَ: «انْتَقِلِي إِلَى أُمِّ شَرِيكٍ» وَأُمُّ شَرِيكٍ امْرَأَةٌ غَنِيَّةٌ، مِنَ الْأَنْصَارِ. عَظِيمَةُ الثَّمَنَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. يَنْزِلُ عَلَيْهَا الضِّيْفَانُ. فَقُلْتُ: سَأَفْعَلُ. فَقَالَ: «لَا تَفْعَلِي. إِنَّ أُمَّ شَرِيكٍ امْرَأَةٌ كَثِيرَةُ الضِّيْفَانِ. فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسْقُطَ عَنْكَ خِمَارُكَ، أَوْ يَنْكَشِفَ الثَّوبُ عَنْ سَائِقِيكِ، فَيَرَى الْقَوْمُ مِنْكَ بَعْضَ مَا تُكْرِهِينَ. وَلَكِنْ انْتَقِلِي إِلَى ابْنِ عَمِّكَ، عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ» - (وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي فَهْرٍ، فَهْرٌ قُرَيْشِي وَهُوَ مِنَ الْبَطْنِ الَّذِي هِيَ مِنْهُ) - فَانْتَقَلْتُ إِلَيْهِ. فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتِي سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِي، مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يُنَادِي: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ. فَخَرَجْتُ إِلَى

قوله: (في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ) وقد مر في الطلاق أنه خطبها أيضاً معاوية وأبو جهم ﷺ، وقد مر هناك أيضاً أن هذه الخطبة كانت بعد انقضاء عدتها، لا قبله، كما يوهمه ظاهر رواية الباب، ففي هذه الرواية شيء من التقديم والتأخير.

قوله: (امراة غنية من الأنصار) قال النووي: «هذا قد أنكره بعض العلماء وقال: إنما هي قرشية من بني عامر بن لؤي، واسمها غربة، وقيل: غريفة، وقال آخرون: هما ثنتان: قرشية وأنصارية» وتقدم في الطلاق أن المراد هنا الأنصارية.

قوله: (انتقلي إلى ابن عمك) ذكر القاضي عياض أن ابن أم مكتوم لم يكن ابن عم لها، ولا من البطن الذي هي منه، بل من بني محارب بن فهر. وأجاب عنه النووي بأن المراد بالبطن هنا القبيلة، لا البطن الذي هو أخص منها، والمراد أنه ابن عمها مجازاً، لكونه من قبيلتها، فالرواية صحيحة.

قوله: (عبد الله بن عمرو ابن أم مكتوم) بإثبات الهمزة في ابن قبل (أم مكتوم) لأن (ابن) هذا صفة لعبد الله، لا لعمرو، فعمرو والد لعبد الله، وأم مكتوم والدة لها، فنسب عبد الله إلى أبويه معاً، وهذا مثل عبد الله بن مالك ابن يحيى، وعبد الله بن أبي ابن سلول.

قوله: (الصلاة جامعة) ذكر النووي أن كلا اللفظين منصوبان. أما (الصلاة) فلإغراء، وأما (جامعة) فعلى كونها حالاً. ولكن ذكر التوربشتي أن كليهما مرفوعان، أي: هذه الصلاة جامعة ويجوز أن تكون (الصلاة) مرفوعة على الوجه المذكور وجامعة منصوبة على الحائية، فالتركيب ثلاثي. وراجع مرقاة المفاتيح (١٠: ٢٠٨).

ثم إن هذا الحديث يدل على جواز الثوب بعد الأذان، لأن قصة حديث الباب وقعت بعد مشروعية الأذان قطعاً، فلا معنى لهذا النداء إلا الثوب. ويمكن لمناعي الثوب أن يقولوا: إن

الْمَسْجِدِ. فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ. فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاتَهُ، جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ. فَقَالَ: «لِيَلْزُمَ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهٌ». ثُمَّ قَالَ: «اتَذَرُونَ لِيَمَ جَمْعَتُكُمْ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «إِنِّي، وَاللَّهِ، مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ. وَلَكِنِّي جَمَعْتُكُمْ، لِأَنْ تَمِيعَ الدَّارِي، كَمَا رَجَلَا نَضْرَأِيْنَا، فَبَجَاءَ قَبَائِعِ وَأَسْلَمَ. وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافِقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدُّجَالِ. حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بِخَرِيقَةٍ، مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَحْمٍ وَجُدَامٍ. فَلَمَبَّ بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ. ثُمَّ أَرْفَقُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ. فَجَلَسُوا فِي أَقْرَبِ السَّفِينَةِ.

(الصلاة) منصوبة على كونها مفعولاً لقولها (ينادي) و (جامعة) حال منه، والمراد من هذا النداء هو الأذان، وليس كلمة (الصلاة جامعة) بخصوصها، والله سبحانه أعلم.

قوله: (لرغبة ولا لرهبة) أي: لأمر مرغوب فيه من عطاء كغنيمة، ولا لخوف من عذو وغيره، كذا فسره علي القاري في المرقاة (١٠: ٢٠٨).

قوله: (لأن تميم الداري) هو تميم بن أوس أبو ربيعة الداري. كان راهب أهل فلسطين، وعابد أهل فلسطين، أسلم سنة تسع، هو وأخوه نعيم ولهما صحبة، قدم المدينة وغزا مع النبي ﷺ. وهو أول من أسرج السراج في المسجد، رواه الطبراني من حديث أبي هريرة، وأول من قص، وذلك في عهد عمر، رواه إسحاق بن راهويه وابن أبي شبة (قلت: وكذا رواه عمر بن شبة في تاريخ المدينة أنه كان يعظ الناس قبل صلاة الجمعة) انتقل إلى الشام بعد قتل عثمان وسكن فلسطين، وكان النبي ﷺ أقطعها بها قرية عينون قبل أن تفتح، فأقره عمر ﷺ وكان كثير التهجد، قام ليلة بآية حتى أصبح، وهي: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَنْجَرُوا النَّبِيَّ﴾ [التوبة: آية: ١٢١] إلخ رواه البخاري في الجعديات بإسناد صحيح إلى مسروق. مات بالشام، وفيه بيت حبرين من بلاد فلسطين. كذا في الإصابة (١: ١٨٦). وقد ألف القريزي في ترجمته جزءاً سماه: (ضوء الساري في خبر تميم الداري).

قوله: (وحدثني حديثاً) عُدَّ من مناقب تميم الداري ﷺ أن النبي ﷺ روى عنه حديثاً بقوله (حدثني) وهو جواب اللغز: من هو الذي حدث عنه رسول الله ﷺ؟ وفيه رواية الأفضل عن المفضل، وقول خبر الواحد.

قوله: (من لحم وجُدَامٍ) لحم، بفتح اللام وسكون الخاء، قبيلة معروفة، وهو اسم متصرف وقد لا يتصرف، وكذلك جُدَامٍ، بضم الجيم قبيلة.

قوله: (ارفعوا إلى جزيرة) يعني: قربوا سفنهم، والمرقأ: الميناء الذي توقف عليه السفن.

قوله: (في أقرب السفينة) بفتح الهمزة وضم الراء، جمع قارب، بكسر الراء، وفتحها أشهر وأكثر، وحكي ضمها، وهي سفينة صغيرة تكون مع الكبيرة كالجنينة، يتصرف فيها ركاب السفينة

فَدَخَلُوا الْبَحْرِيَّةَ. فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةُ أَهْلِ الْبَحْرِ. لَا يَذْرُونَ مَا قَبْلَهُ مِنْ دُبُرِهِ. مِنْ كَثْرَةِ الشَّعْرِ. فَقَالُوا: وَيْلَكَ، مَا أَنْتَ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ. قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: أَتَيْتُ الْقَوْمَ، انْطَلَقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدُّيْرِ. فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ. قَالَ: لَمَّا سَمِعْتُ لَنَا رَجُلًا فَرَقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً. قَالَ: فَأَنْطَلَقْنَا سِرَاعًا. حَتَّى دَخَلْنَا الدُّيْرَ. فَإِذَا فِيهِ أَكْثَرُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا. وَأَشَدَّهُ وَثَاقًا. مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ، بِالْحَدِيدِ. قُلْنَا: وَيْلَكَ، مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي. فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أَتَّاسٌ مِنَ الْعَرَبِ. رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بِخَرِيَّةٍ. فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمْنَا. فَلَمِيتَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا. ثُمَّ أَرْقَانَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ. فَجَلَسْنَا فِي أَقْرِبِهَا. فَدَخَلْنَا الْبَحْرِيَّةَ. فَلَقِيْنَا دَابَّةَ أَهْلِ الْبَحْرِ كَثِيرِ الشَّعْرِ. لَا يَذْرَى مَا قَبْلَهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعْرِ. فَقُلْنَا: وَيْلَكَ، مَا أَنْتَ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ. قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: اعْبُدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدُّيْرِ. فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ

لقضاء حوائجهم. وهذا الجمع على خلاف القياس. وقيل: المراد بأقرب السفينة: أخرياتنا وما قرب منها للنزول.

قوله: (دابة أهل البحر) الهلب: الشعر، والأهلب: كثير الشعر، وما بعده تفسير له.

قوله: (أنا الجساسة) تقدم أول الباب وجه تسميته به.

قوله: (إلى هذا الرجل في الدير) بفتح الدال، وهو في الأصل صومعة راهبان النصراني، والمراد هنا: القصر كما سيأتي.

قوله: (إلى خبركم بالأشواق) أي: أنه كثير الشوق إلى إخباركم.

قوله: (فرقنا منها) بكسر الراء، بمعنى (خفنا).

قوله: (أن تكون شيطانة) إما هو بدل من التضمير المجرور، أو مضافه محذوف تقديره: خشية أن تكون إلخ.

قوله: (وأشدّه وثاقًا) بفتح الواو، ويكسر. والوثاق: القيد، أي: كان مقيداً بالسلاسل تقييداً شديداً.

قوله: (بالحديد) متعلق بقوله (مجموعة) و (ما بين ركبتيه إلى كعبيه) بدل اشتغال من (يداه) يعني: كانت يده وساقاه مجموعة إلى عنقه بالحديد.

قوله: (قدرتم على خبري) يعني: وصلتم إلى حال تمكنتم فيه من الاطلاع على خبري، لأنني سأخبركم بذلك.

قوله: (فصادفنا البحر حين اغتلم) أي: هاج وجاوز حده المعتاد، والاعتلام: أن يتجاوز الإنسان ما حدّه من الخير والمباح.

بِالْأَشْوَاقِ. فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا. وَفَرَعْنَا مِنْهَا. وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً. فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ. قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخِيرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا، هَلْ يَثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا يَثْمِرَ. قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبْرِيةِ. قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخِيرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ. قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ. قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرٍ. قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخِيرُ؟ قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ. هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ

قوله: (عن نخل بيسان) بفتح الباء الموحدة وسكون الياء ذكره الطيبي أنها قرية بالشام، وزاد ابن الملك وقال الحموي في معجم البلدان (٢: ٥٢٦): «مدينة بالأردن بالغور الشامي، ويقال: هي لسان الأرض، وهي بين حوران وفلسطين، وبها عين القلوس يقال: إنها من الجنة، وهي عين فيها ملححة يسيرة. جاء ذكرها في حديث الجساسة... وتوصف بكثرة النخل، وقد رأيتها مراراً، فلم أر فيها غير نخلتين حائلتين، وهو من علامات خروج الدجال. وهي بلدة وبنة حارة، أهلها سمر الألوان، لجعد الثعور، نشة الحر الذي عندهم».

ثم ذكر في الأخير أن هناك موضعاً آخر اسمه بيسان، وهو باليمامة، ثم قال: «وانذري أراه أن هذا الموضع هي الموصوف بكثرة النخل، لأنهم إنما احتجوا على كثرة نخل بيسان بقول أبي دؤاد الإيادي:

نَخْلَاتُ مَنْ نَخْلُ بَيْسَانَ أَيْنُفُ نَ جَمِيعاً وَتَبَتَّهِنَّ ثَوَامُ
وَتَدَلَّتْ عَلَى مَنَاهِلٍ يُرْوِ وَفَلِيجٍ مِنْ دُونِهَا وَسَنَامُ

والله سبحانه وتعالى أعلم.

قوله: (عن بحيرة الطبرية) تقدم ذكرها وتعريفها قبل بابين في حديث الثواس بن سمعان رضي الله عنه.

قوله: (عن عين زُغَرٍ) بوزن زُفَرٍ. قال النووي: هي بلدة معروفة في الجانب القبلي من الشام. وقال الحموي في معجم البلدان (٤: ١٤٣): «قرية بمشارف الشام... وقيل: زُغَرُ اسم بنت لوط عليه السلام، نزلت بهذه القرية فسميت باسمها... وجاء ذكر زُغَرٍ في حديث الجساسة... وحدثني الثقة أن زُغَرَ هذه في طرف البحيرة الممتدة في واد هناك، بينها وبين البيت المقدس ثلاثة أيام، وهي من ناحية الحجاز، ولهم هناك ذروع. قال ابن عباس رضي الله عنه: لما هنك قوم لوط مضى لوط عليه السلام وبناته يريدون الشام، فماتت الكيرى من بناته، وكان يقال لها: ربة، فدفنت عند عين هناك، فسميت باسمها (عين ربة) ثم ماتت بعد ذلك الصغرى، وكان اسمها (زُغَر) فدفنت عند عين، فسميت عين زُغَر. وهذه في واد وخم رديثي في أسام بقعة، إنما يسكنه أهله لأجل الوطن».

مَائِلًا. قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ. قَالُوا: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ. قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يَطِيعُوهُ. وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي. إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ. وَإِنِّي أَوْشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ. فَأَخْرَجَ فَأَسِيرُ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدْعُ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً. غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ. فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ. كِلْتَاهُمَا. كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً، أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا، اسْتَقْبَلَنِي مَلَكَ بَيْنَهُ السَّيْفُ صَلَّنَا. يَصُدُّنِي عَنْهَا. وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقَبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا. قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذِهِ طَيْبَةُ. هَذِهِ طَيْبَةُ. هَذِهِ طَيْبَةُ» يَعْنِي الْمَدِينَةَ «أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟» فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ. «فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ. أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّامِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ. لَا بَلَّ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ،

قوله: (إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ) أي: الدجَان.

قوله: (وَطَيْبَةُ) بفتح الطاء وسكون الياء، اسم من أسماء المدينة المنورة، ويقال: طابئة أيضاً.

قوله: (صَلَّنَا) بفتح الصاد، ويُضَمُّ، وبسكون اللام، أي: مجرداً عن الغمد، يقال: أصلت السيف: إذا جرّده عن غمده.

قوله: (على كل نقب) بفتح النون وسكون القاف، أي: طريق أو باب.

قوله: (بمخصرته) بكسر الميم، اسم آلة، وهي بمعنى العصا.

قوله: (هَذِهِ طَيْبَةُ) يعني: أن المدينة المنورة هي الموضع الذي سماه الرجل طيبة، والذي ذكر فيه أنه لا يستطيع أن يدخلها، وقال ذلك رسول الله ﷺ افتخاراً على مدينته، ومسرّة على مرافقة الخبر بما أخبره.

قوله: (أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّامِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ) قال الطيبي في التكاشف (١٠: ١٢٣): «لَمَّا حَدَّثَهُمْ يَقُولُ تَمِيمُ الدَّارِي لَمْ يَرَأْ أَنْ يَبَيِّنَ لَهُمْ مَوْطِنَهُ وَمَجْلِسَهُ كُلَّ التَّبْيِينِ، لَمَّا رَأَى فِي الْإِنْتِبَاسِ مِنَ الْمَصْنُوحَةِ، فَرَدَّ الْأَمْرَ فِيهِ إِلَى التَّرَدُّدِ بَيْنَ كَوْنِهِ فِي بَحْرِ الشَّامِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، وَلَمْ تَكُنِ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ تَسَافِرُ إِلَّا فِي هَذَيْنِ الْبَحْرَيْنِ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ أَرَادَ بِبَحْرِ الشَّامِ مَا يَلِي الْجَانِبَ الشَّامِيَّ، وَبِحَحْرِ الْيَمَنِ مَا يَلِي الْجَانِبَ الْيَمَانِيَّ، وَالْبَحْرُ بَحْرٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْمَسْتَدُّ عَلَى أَحْذِ جَوَانِبِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ. ثُمَّ أَضْرَبَ عَنِ الْقَوْلَيْنِ مَعَ حَصُولِ الْبَقِيَّةِ فِي أَحَدِهِمَا، فَقَالَ: لَا بَلَّ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ».

قوله: (لَا، بَلَّ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ) قال الأشرف: يمكن أنه ﷺ كان شاكاً في موضعه، وكان

مَا هُوَ. مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ. مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ وَأَوْماً يَبْدُوهُ إِلَى الْمَشْرِقِ. قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

٧٣١٣ - (١٢٠) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ. حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ الْهَجَمِيُّ، أَبُو عُمَانَ. حَدَّثَنَا قُرَّة. حَدَّثَنَا سَيَّارٌ، أَبُو الْحَكَمِ. حَدَّثَنَا الشَّعْبِيُّ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ فَأَتَتْهُنَا بِرُطَبٍ يُقَالُ لَهُ: رُطَبُ ابْنِ طَابٍ. وَأَسْقَيْنَا سَوِيقَ سُلَيْمٍ. فَسَأَلَتْهَا عَنِ الْمُطَلَّقَةِ ثَلَاثًا أَيْنَ تَعْتَدُ؟ قَالَتْ: طَلَّقَنِي بَعْلِي ثَلَاثًا. فَأَذِنَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ أُعْتَدَ فِي أَهْلِي. قَالَتْ: فَنُودِيَ فِي النَّاسِ: إِنَّ الصَّلَاةَ جَامِعَةٌ. قَالَتْ: فَأَنْطَلَقْتُ فِيمَنْ انْطَلَقَ مِنَ النَّاسِ. قَالَتْ: فَكُنْتُ فِي الصَّفِّ الْمُقَدِّمِ مِنَ النِّسَاءِ. وَهُوَ يَلِي الْمَوْحَرَّ مِنَ الرِّجَالِ. قَالَتْ: فَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَخْطُبُ فَقَالَ: «إِنَّ بَنِي عَمِّ لَتَيْمِ الدَّارِي رَكِبُوا فِي الْبَحْرِ، وَسَاقَ الْحَدِيثِ، وَزَادَ فِيهِ: قَالَتْ: فَكَأَنَّمَا أَنْظَرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَأَهْوَى بِمَخْصَرَتِهِ إِلَى الْأَرْضِ، وَقَالَ: «هَلْهُ طَيْنَةٌ» يَعْنِي الْمَدِينَةَ.

٧٣١٤ - (١٢١) وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلَوَانِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ عُثْمَانَ التُّوْقَلِيُّ. قَالَا: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ. حَدَّثَنَا أَبِي. قَالَ: سَمِعْتُ غَيْلَانَ بْنَ جَرِيرٍ يُحَدِّثُ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنِ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ، قَالَتْ: قَدِمَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَمِيمَ الدَّارِي. فَأَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ رَكِبَ الْبَحْرَ. فَتَاهَتْ بِهِ سَفِينَتُهُ. فَسَقَطَ إِلَى جَزِيرَةٍ. فَخَرَجَ إِلَيْهَا يَلْتَمِسُ الْمَاءَ. فَلَقِيَ إِنْسَانًا يَجْرُ شَعْرَهُ. وَافْتَنَصَ الْحَدِيثَ. وَقَالَ فِيهِ: ثُمَّ قَالَ: أَمَا إِنَّهُ لَوْ قَدْ أَذِنَ لِيَ

في ظنه أنه لا يخلو عن هذه المواضع الثلاثة. فلما ذكر بحر الشام وبحر اليمن تيقن له من جهة الوحي، أو غلب على ظنه أنه من قبل المشرق، فنفى الأولين وأضرب عنهما وحقق الثالث. كذا في المرقاة (١٠: ٢١٣).

قوله: (ما هو) قال القاضي: «اللفظة (ما) ههنا زائدة، صلة للكلام وليست بنافية، والمراد إثبات أنه في جهة المشرق» وقال التوريشتي: «ويحتمل أن يكون خبراً، أي: الذي هو فيه، أو الذي هو يخرج منه... ومن مصطلح الأطباء في ذكر طباع العقاقير ووصف طعم الأدوية: إلى الحرارة ما هو، إلى الميوسة ما هو، إلى العفوسة ما هو... أي: أمر ظهوره من قبل المشرق».

١٢٠ - (٠٠٠) - قوله: (فأتقننا) أي: أهدت إلينا كتخفة.

قوله: (يقال له: رطب ابن طاب) هو نوع من تمر المدينة.

قوله: (سويق سُلَيْمٍ) بضم السين، هو حب يشبه القمح ويشبه الشعير. كذا فسره النووي. وجعله في القاموس نوعاً من الشعير.

قوله: (فتاهت به سفينته) أي: ضلّت عن الطريق.

فِي الْخُرُوجِ، قَدْ وَطِئْتُ الْبِلَادَ كُلَّهَا، غَيْرَ طَيْبَةٍ. فَأَخْرَجَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى النَّاسِ فَحَدَّثْتُهُمْ قَالَ: «هَذِهِ طَيْبَةٌ. وَذَلِكَ الدُّجَالُ».

٧٣١٥ - (١٢٢) حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ إِسْحَاقَ. حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ. حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ، (يَعْنِي الْحِزَامِيَّ)، عَنْ أَبِي الزُّنَادِ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ قَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَعَدَ عَلَى الْمِثْرَةِ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، حَدَّثَنِي تَيْمِمُ الدَّارِيُّ؛ أَنَّ أَنَسًا مِنْ قَوْمِهِ كَانُوا فِي الْبَحْرِ، فِي سَفِينَةٍ لَهُمْ. فَانْكَسَرَتْ بِهِمْ. فَارْتَكَبَ بَعْضُهُمْ عَلَى لَوْحٍ مِنَ الْوَحِ السَّفِينَةَ. فَخَرَجُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ». وَنَاقَ الْحَدِيثَ.

٧٣١٦ - (١٢٣) حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ. حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ. حَدَّثَنِي أَبُو عَمْرٍو، (يَعْنِي الْأَوْزَاعِيَّ)، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ. حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطُوهُ الدُّجَالُ. إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ».

قوله: (وذلك الدجال) هذا تصريح من رسول الله ﷺ بكونه دجالاً، ولم يقع هذا التصريح إلا في هذا الطريق. وهو يدل على أن الدجال لا يزال مشدوداً بجزيرة إلى أن يخرج في آخر الزمان. أما كون الناس لم يصلوا إليه حتى الآن، فلم يثبت أن الناس قد وصلوا إلى كل مكان في كل جزيرة. ويحتمل أيضاً أن الله تعالى جعله مخفياً عن أعين الناس وإنما أظهره مرة على تميم الداري رضي الله عنه لتصديق أخبار النبي ﷺ فقط، والله سبحانه أعلم.

١٢٣ - (٢٩٤٣) - قوله: (حدثني أنس بن مالك) هذا الحديث أخرجه البخاري في فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة (١٨٨١)، وفي الفتن، باب ذكر الدجال (٧١٢٤)، وباب لا يدخل الدجال المدينة (٧١٣٤)، وفي التوحيد، باب في المشيئة والإرادة (٧٤٧٣). وأخرجه الترمذي في الفتن، باب ما جاء في الدجال لا يدخل المدينة (٢٢٤٢).

قوله: (إلا سيطوه الدجال) أي: يدخله ويدوسه ويفسده. قال الحافظ في الفتح (٤: ٩٦): «هو على ظاهره وعمومه عند الجمهور. وشذ ابن حزم فقال: المراد: إلا يدخله بعثه وجنوده. وكأنه استبعد إمكان دخول الدجال جميع البلاد لقصر مدته، وغفل عما ثبت في صحيح مسلم أن بعض أيامه يكون قدر السنة».

قوله: (فينزل بالسبخة) قال علي القاري في المرقاة (٦: ٢٤): «السبخة، بكسر الباء، صفة، وهو الأرض التي تعنوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر، ويفتحها اسم، وهو موضع قريب من المدينة» قلت: ويؤيد الأول حديث أبي سعيد عند البخاري في الفتن: «ينزل بعض السباخ التي في المدينة».

وَلَيْسَ نَقَبٌ مِنْ أَتْقَابِهَا إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَابِكَةُ صَافِيْنَ نَحْرُهَا، فَيَنْزِلُ بِالسَّبْخَةِ. فَتَرْجُفُ الْمَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ. يُخْرَجُ إِلَيْهِ مِنْهَا كُلُّ كَافِرٍ وَمُتَافِقٍ.

٧٣١٧ - (٥٠٠) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فُذِّكِرَ نَحْوُهُ. غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: فَيَأْتِي سَبْخَةُ الْجُرُفِ فَيَضْرِبُ رِوَاقَهُ. وَقَالَ: فَيُخْرَجُ إِلَيْهِ كُلُّ مُتَافِقٍ وَمُتَافِقَةٍ.

(٢٥) - باب: في بقية من أحاديث الدجال

٧٣١٨ - (١٢٤) حَدَّثَنَا مُنْصُورُ بْنُ أَبِي مُزَاحِمٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَمْرَةَ، عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَمْرِو، أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَتَّبِعُ الدَّجَالُ، مِنْ يَهُودٍ أَصْبَهَانَ، سَبْعُونَ أَلْفًا. عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ».

قوله: (فترجف المدينة ثلاث رجفات) أي: تصيبها زلازل، وليس ذلك من رعب الدجال، وإنما هو لإخراج الكفار والمتافقين منها.

(٥٠٠) - قوله: (فيأتي سبخة الجurf) بضم الجيم والراء، وهو موضع معروف بقرب المدينة في جهة الشام، وأخرج الحاكم وأحمد عن محمد بن الأدرع مرفوعاً: «يحيى الدجال فيصعد أحناء، فيتطلع فينظر إلى المدينة فيقول لأصحابه: ألا ترون إلى هذا القصر الأبيض؟ هذا مسجد أحمد. ثم يأتي المدينة فيجد بكل نقب من نقابها ملكاً مصلاً سيفه، فيأتي سبخة الجurf فيضرب رواقه».

قوله: (فيضرب رواقه) والرواق، بضم الراء وكسرهما، بيت كالفسطاط، أو سقف في مقدم البيت. والمراد هنا أنه يتزل فيها ويضع ثقله أو خيمته.

(٢٥) - باب: في بقية من أحاديث الدجال

١٢٤ - (٢٩٤٤) - قوله: (عن عمه أنس بن مالك) هذا الحديث مما تفرد بإخراجه المؤلف رحمه الله.

قوله: (يتبع الدجال) يمكن أن يكون بوزن (يفتح) أي: يسير خلفه، وأن يكون بتشديد التاء من باب الافتعال بمعنى أنهم يطعمونه.

قوله: (من يهود أصبهان) بفتح الهمزة وكسرهما، وبالباء والفاء، بلد معروف، وأطال علي التماري في المرقاة (١٠: ٢٠٦) في تحقيق ضبطه، وذكر أن أصبهان اثنان، أحدهما في العراق واثنيهما في الغرب.

قوله: (عليهم الطيالة) هو جمع طيلسان، وهو ثوب معروف مثل الرداء أو العباء.

٧٣١٩ - (١٢٥) حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ. حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: حَدَّثَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ: أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: أَخْبَرَنِي أُمُّ شَرِيكٍ: أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَيُفْرَزَنَّ النَّاسُ مِنَ الدُّجَالِ فِي الْحِجَابِ». قَالَتْ أُمُّ شَرِيكٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «هُمْ قَلِيلٌ».

٧٣٢٠ - (١٠٠) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ. قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ.

٧٣٢١ - (١٢٦) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ. حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْحَضْرَمِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، (بِعْنِي ابْنُ الْمُخْتَارِ)، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ، عَنْ رَهْطٍ، مِنْهُمْ أَبُو الدَّهْمَاءِ وَأَبُو قَتَادَةَ. قَالُوا: كُنَّا نَمُرُّ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ، فَأُتِيَ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ. فَقَالَ ذَاتَ يَوْمٍ: إِنَّكُمْ لَتَجَاوِزُونِي إِلَى رِجَالٍ،

١٢٥ - (٢٩٤٥) - قوله: (أخبرتني أم شريك) هذا الحديث أخرجه الترمذي في المناقب، باب فضل العرب، وأخرجه أحمد في مسنده (٦: ٤٦٢).

قوله: (فأين العرب يومئذ) قال الطيبي في الكاشف (١٠: ١١٨): «الفاء فيه جزاء شرط محذوف، أي: إذا كان حال الناس هذا، فأين المجاهدون في سبيل الله الذابون عن حريم الإسلام المانعون عن أهله صولة أعداء الله؟ فكفى عنهم بها».

١٢٦ - (٢٩٤٦) - قوله: (عن حميد بن هلال) هذا الحديث لم يخرجته غير المصنف أحد من الأئمة الستة، وأخرجه أحمد في مسنده (٤: ١٩)، والحاكم في المستدرک (٤: ٥٢٨).

قوله: (كنّا نمرّ على هشام بن عامر) هو هشام بن عامر بن أمية الأنصاريّ ﷺ، قتل أبوه شهيداً في أحد، فقدم على من معه في القبر، لكونه أكثر قرآناً، كما في مسند أحمد (٤: ١٩)، وأخرج ابن المبارك في الزهد عن جعفر بن زيد قال: «خرجنا في غزوة إلى كابل، وفي الجيش صلة بن أشيم، فذكر قصة وفيها: فحمل هو وهشام بن عامر، فصنعا بهم طعنًا وضرباً وقتلاً». قال: فقال العدو: رجالان من العرب صنعا بنا هذا، فكيف لو قاتلونا، يعني: فانهزموا. قال: فقيل لأبي هريرة: إن هشام بن عامر ألقى بيده إلى التهلكة، فقال أبو هريرة: لا، ولكنه انتمس هذه الآية: ﴿وَمِنَ الْكَافِرِينَ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْغَاةٍ أَلَا الْبَقْرَةُ آيَةٌ﴾ [البقرة: ١٢٠٧]، ويقال: كان اسمه شهاباً، فسماه رسول الله ﷺ هشاماً. وكان نزل البصرة وعاش إلى زمن زياد. كذا في الإصابة (٣: ٥٧٣).

قوله: (فقال ذات يوم) أي: قال هشام بن عامر ﷺ، فالحديث المرفوع الآتي مروى عنه، وتوهم الخطيب التبريزي رحمه الله صاحب مشكاة المصابيح أن قاتله عمران بن حصين، فجعل الحديث من مرويات عمران بن حصين. والحق أن الحديث مروى عن هشام بن عامر.

مَا كَانُوا بِأَخْضَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنِّي . وَلَا أَعْلَمَ بِحَدِيثِهِ مِنِّي . سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَالِ» .

٧٣٢٢ - (١٢٧) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ . حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ الرَّقِّي . حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو ، عَنْ أَيُّوبَ ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ ، عَنْ ثَلَاثَةِ رَهْطٍ مِنْ قَوْمِهِ ، فِيهِمْ أَبُو قَتَادَةَ ، قَالُوا : كُنَّا نَمُرُّ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ ، إِلَى عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ . بِجِثْلٍ حَدِيثِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحْتَارٍ . عُبِّرَ أَنَّهُ قَالَ : «أَمَرَ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَالِ» .

٧٣٢٣ - (١٢٨) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَابْنُ حُجْرٍ . قَالُوا : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ، (يَعْنُونَ ابْنَ جَعْفَرٍ) ، عَنِ الْعَلَاءِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا : طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، أَوِ الدُّخَانُ ، أَوِ الدَّجَالُ ، أَوِ الذَّابَّةُ ، أَوْ خَاصَّةٌ أَحَدِكُمْ» .

كما يظهر من مسند أحمد ومن مستدرک الحاكم، ولفظ الحاكم : «عن حميد بن هلال قال : كان الناس يعمرون على هشام بن عامر، ويأتون عمران بن حصين، فقال هشام : إن هؤلاء يجتازون إلى رجل قد كنا أكثر مشاهدة لرسول الله ﷺ منه وأحفظ عنه، لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول» فذكر الحديث .

قوله : (ما كانوا بأخضر) إشارة إلى أن عمران بن حصين ؓ لم يكن أكثر إتياناً لمجلس رسول الله ﷺ من نفسه، يعني : من هشام بن عامر . وإنما حمّله على هذا الكلام حرصه على تبليغ ما سمعه من رسول الله ﷺ وعلى نبيل أجره .
قوله : (ما بين خلق آدم) (ما) هنا نافية .

قوله : (خلق أكبر من الدجال) أي : أكبر منه فتنة وتليساً، أو أكثر منه شوكة، أو أعظم منه جسماً، والأول أولى بدليل الرواية الآتية .

١٢٨ - (٢٩٤٧) - قوله : (عن أبي هرير) هذا الحديث مما تفرد بإخراجه المؤلف من بين الأئمة الستة، وأخرجه أحمد في مسنده (٢ : ٣٣٧) والبخاري في شرح السنة (١٥ : ٤٤) والحاكم في المستدرک (٤ : ٥١٦) .

قوله : (بادرُوا بالأعمال سِتًّا) يعني : أسرعوا في تكميل الأعمال الصالحة وسابقوا فيها قبل أن تظهر هذه العلامات الستة، إذ يعسر العمل فيما بعدها، أو لا يقبل عند الله تعالى .

قوله : (أو خاصة أحدكم) يعني : العلامة التي تخص أحدكم . والمراد منها الموت، فإن من مات قامت قيامته . وقيل : هي ما يختص به الإنسان من الشواغل المتعلقة في نفسه وماله وما يهتم به . ووقع في الرواية الآتية (خويصة) بالتصغير لاستنصغارها في جنب الحوادث الأخرى .

أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ.

٧٣٢٤ - (١٢٩) حَدَّثَنَا أُمِيَّةُ بِنْتُ بَسْطَامَ الْغُبَيْيَّةُ. حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ الْحَسَنِ، عَنْ زِيَادِ بْنِ رِيَّاحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: الدُّجَالُ، وَالذُّخَانُ، وَذَابَةُ الْأَرْضِ، وَظُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَأَمْرُ الْعَامَّةِ، وَخَوْنُضَةُ أَحَدِكُمْ».

٧٣٢٥ - (١٠٠) وَحَدَّثَنَا هُذَيْلُ بْنُ حَرْبٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى. قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ. حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، مِثْلَهُ.

(٢٦) - باب: فضل العبادة في الهرج

٧٣٢٦ - (١٣٠) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى. أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ زِيَادٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، ح. وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ. حَدَّثَنَا حَمَّادُ، عَنِ الْمُعَلَّى بْنِ زِيَادٍ، رَدَّهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ. رَدَّهُ إِلَى مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ. رَدَّهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرَجِ، كَهَجْرَةِ إِلَيَّ».

قوله: (أو أمر العامة) ذكر النووي أن المراد به القيامة لأنها نعم الناس كلهم، وقال علي الفاري في المراقبة (١٠): أي: الفتنة التي نعم الناس، أو الأمر الذي يستبد به العوام، ويكون من قبلهم دون الخواص.

(٢٦) - باب: فضل العبادة في الهرج

١٣٠ - (٢٩٤٨) - قوله: (عن معقل بن يسار) هذا الحديث أخرجه الترمذي في الفتن، باب ما جاء في الهرج والعبادة فيه (٢٢٠١)، وابن ماجه في الفتن، باب الوقوف عند الشبهات (٤٠٣٣)، وأحمد في مسنده (٥: ٢٧)، والبيهقي في شرح السنة (١٥: ٢٣).

ومعقل هذا، بوزن منزل، صحابي منزني أسلم قبل الحديبية وشهد بيعة الرضوان، وهو الذي حفر نهر معقل بالبصرة بأمر عمر فتسبب إليه، ونزل البصرة وبنى بها داراً ومات بها في خلافة معاوية رضي الله عنه، وروى البيهقي عن يونس بن عبيد قال: ما كان ههنا - يعني: البصرة - أحد من أصحاب النبي ﷺ أهنأ من معقل بن يسار. كذا في الإصابة (٣: ٤٢٧).

قوله: (ردّه إلى معاوية بن قرة) أي: نسبه إليه وروى عنه.

قوله: (العبادة في الهرج) بفتح الهاء وسكون الراء، أصله الاختلاط والقتل: والمراد منه هنا: الفتنة.

قوله: (كهجرة إلي) والهجرة إلى رسول الله ﷺ من أعظم القربات. وإنما عظم أجر العبادة في الفتنة، لكثرة الشواغل والذواهل وقلة الفراغ فيها.

٧٣٢٧ - (١٠٠) وَحَدَّثَنِيهِ أَبُو كَامِلٍ. حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، نَحْوَهُ.

(٢٧) - باب: قرب الساعة

٧٣٢٨ - (١٣١) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ. حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، (يَعْنِي ابْنَ مَهْدِيٍّ)، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْأَقْمَرِ، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ».

٧٣٢٩ - (١٣٢) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ. حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَعَبْدُ الْغَنِيِّ بْنُ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ح وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، (وَالنَّفْطَلَةُ)، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ؛ أَنَّهُ سَمِعَ سَهْلًا يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُشِيرُ بِإصْبَعِهِ إِلَى تَلِي الْإِبْهَامِ وَالْوُسْطَى، وَهُوَ يَقُولُ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ هَكَذَا».

٧٣٣٠ - (١٣٣) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ. قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ. قَالَ: سَمِعْتُ قَتَادَةَ. حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ».

(٢٧) - باب: قرب الساعة

١٣١ - (٢٩٤٩) - قوله: (عن عبد الله) يعني: ابن مسعود ﷺ، وهذا الحديث من أفراد مسلم، وأخرجه أحمد في مسنده (١: ٤٣٥) الحاكم في المستدرک (٤: ٤٩٤)، والبخاري في شرح السنة (١٥: ٨٨).

قوله: (إلا على شرار الناس) لما مر من أن أهل الإيمان تقبض أرواحهم قبل ذلك.

١٣٢ - (٢٩٥٠) - قوله: (عن سهل بن سعد) هذا الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة النازعات (٤٩٣٦)، وفي الطلاق، باب النعان (٥٣٠١)، وفي الرقاق، باب قول النبي ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» (٦٥٠٣)، وأخرجه أحمد في مسنده (٥: ٣٣٠) والبخاري في شرح السنة (١٥: ٩٨).

قوله: (بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ هَكَذَا) يعني: ليس بيني وبين الساعة فصل كبير، كما أنه لا فصل بين هاتين الإصبعين، وهو كناية عن قرب القيامة، وإن فصل ألف سنة أو ألفين أو أكثر ليس فصلاً كبيراً بالنسبة إلى عمر الدنيا كلها، وقوله (الساعة) يجوز فيه الرفع على كونه معطوفاً على ضمير المتكلم المرفوع، ويجوز النصب على كونه منعولاً معه.

١٣٣ - (٢٩٥١) - قوله: (حدثنا أنس بن مالك) هذا الحديث أخرجه البخاري في الرقاق،

قَالَ شُعْبَةُ: وَسَمِعْتُ قَتَادَةَ يَقُولُ فِي قَصَصِهِ: كَفُضِلَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى. فَلَا أَذِيرُ أَذْكُرُهُ عَنْ أَنَسٍ، أَوْ قَالَهُ قَتَادَةُ.

٧٣٣١ - (١٣٤) وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ. حَدَّثَنَا خَالِدٌ، (يَعْنِي ابْنَ الْحَارِثِ)، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ. قَالَ: سَمِعْتُ قَتَادَةَ وَأَبَا الثَّيَّاحِ يُحَدِّثَانِ: أَنَّهُمَا سَمِعَا أَنَسًا يُحَدِّثُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ هَكَذَا». وَقَرَنَ شُعْبَةُ بَيْنَ إِضْبَعَيْهِ. الْمُسْبَحَةِ وَالْوُسْطَى، يَخْبِيهِ.

٧٣٣٢ - (١٠٠) وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ. حَدَّثَنَا أَبِي. ح. وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ. حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَا: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي الثَّيَّاحِ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. بِهَذَا.

٧٣٣٣ - (١٠٠) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ. حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ خَمْرَةَ، (يَعْنِي الصَّبِيَّ)، وَأَبِي الثَّيَّاحِ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. بِمِثْلِ حَدِيثِهِمْ.

٧٣٣٤ - (١٣٥) وَحَدَّثَنَا أَبُو عَسَانَ الْمُسَمِّيُّ. حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مَعْبُدٍ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ». قَالَ: وَضَمَّ السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَى.

٧٣٣٥ - (١٣٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ. قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ الْأَعْرَابُ إِذَا قَدَمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَأَلُوهُ عَنِ السَّاعَةِ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَتَنَظَّرَ إِلَى أَحَدِثِ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ فَقَالَ: «إِنْ يَعْشَى هَذَا، لَمْ

باب قول النبي ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» (٦٥٠٤)، والترمذي في الفتن، باب ما جاء في قول النبي ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» (٢٢١٤)، وأخرجه أحمد في مسنده (٣: ١٢٤) و (١٣٠).

قوله: (يقول في قصصه) أي: في روايته.

قوله: (كفضل إحداهما على الأخرى) وهذا أحد التفسيرات المحتملة لقوله عليه السلام «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ هَكَذَا» ومعناه: أن الفرق بيني وبين القيامة كالفرق فيما بين السبابة والوسطى في الطول، وهو قدر أنملة تقريباً.

١٣٦ - (٢٩٥٢) - قوله: (عن عائشة) هذا الحديث أخرجه البخاري في الرقاق، باب سكرات الموت (٦٥١١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٥: ١٦٨).

قوله: (إلى أحدث إنسان منهم) أي: أصغرهم سناً، ووقع في الرواية الآتية أنه كان غلاماً

يَذْرِكُهُ الْهَرَمُ، قَامَتْ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ.

٧٣٣٦ - (١٣٧) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ؛ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ؟ وَعِنْدَهُ غُلَامٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ يَعِشَ هَذَا الْغُلَامُ، فَمَتَى أَنْ يَذْرِكُهُ الْهَرَمُ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ».

٧٣٣٧ - (١٣٨) وَحَدَّثَنِي حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ. حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ. حَدَّثَنَا حَمَّادُ، (يَعْنِي ابْنَ زَيْدٍ)، حَدَّثَنَا مَعْبُدُ بْنُ هِلَالٍ الْغَزَّيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ؛ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ؟ قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُنَيْهَةً. ثُمَّ نَظَرَ إِلَى غُلَامٍ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ أُرْدَشُوَّةَ. فَقَالَ: «إِنْ عُمِرَ هَذَا، لَمْ يَذْرِكُهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ».

قَالَ: قَالَ أَنَسٌ: ذَاكَ الْغُلَامُ مِنْ أَتْرَابِي يَوْمِيذٍ.

٧٣٣٨ - (١٣٩) حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ. حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ. حَدَّثَنَا هَمَّامٌ.

من الأنصار اسمه محمد، وفي أخرى بعدها أنه كان من أزد شنوءة، وفي أخرى بعدها أنه كان غلاماً للمغيرة بن شعبة، وكان من أقران أنس، وكان أنس حينئذ نحو سبع عشرة سنة، كما في فتح الباري (١١: ٣٦٣).

قوله: (قامت عليكم ساعتكم) يعني: موتكم. كذا نشره هشام بن عروة عند البخاري. والدليل عليه أن رسول الله ﷺ أضاف الساعة إلى المخاطبين، والقبامة لا تخص ببعض دون بعض. وهو نظير قوله عليه السلام: «أرأيتمكم لينتكم هذه، فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى على وجه الأرض ممن هو عليها الآن أحد؟» ووقع الأمر كذلك، فإن آخر من بقي ممن رأى النبي ﷺ أبو الطفيل عامر بن واثلة، كما جزم به مسلم وغيره، وكانت وفاته سنة عشر ومائة من الهجرة، وذلك عند رأس مائة سنة من وقت تلك المقالة. كذا في فتح الباري.

١٣٧ - (٢٩٥٣) - قوله: (عن أنس) هذا الحديث لم يخرج أحد من الأئمة الستة غير المصنف، وأخرجه أحمد في مسنده (٣: ٢٢٨).

قوله: (من أزد شنوءة) بفتح الشين، اسم قبيلة.

قوله: (من أترابي) جمع ترب بكسر التاء، وهو متحد السر، مشتق من التراب لأن الأتراب يلعبون في التراب معاً، وقد سبق أن أنساً كان يومئذ ابن نحو سبع عشرة سنة.

قوله: (حتى تقوم الساعة) هذا المطلق محمول على المقيد المذكور في الرواية الأولى، يعني: (ساعتكم).

حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: مَرَّ عَلَامٌ لِلْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، وَكَانَ مِنْ أَقْرَانِي. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنْ يُؤَخَّرَ هَذَا، قَلْبُ يُذِرْكُمُ الْهَرَمَ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ».

٧٣٣٩ - (١٤٠) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ. حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَبِي الزُّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرَّجُلُ يَحْلُبُ اللَّفْحَةَ، فَمَا يَصِلُ الْإِنَاءُ إِلَى فِيهِ حَتَّى تَقُومَ. وَالرَّجُلَانِ يَتْبَايَعَانِ الثُّوبَ، فَمَا يَتْبَايَعَانِهِ حَتَّى تَقُومَ. وَالرَّجُلُ يَلِطُ فِي حَوْضِهِ، فَمَا يَصْدُرُ حَتَّى تَقُومَ».

(٢٨) - باب: ما بين النفختين

٧٣٤٠ - (١٤١) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ. مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ. حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ». قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَيْتُ. قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَيْتُ. قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَيْتُ: «ثُمَّ يَنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ.....»

قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أيضاً مما تفرد بإخراجه المصنف رحمه الله.

قوله: (اللفحة) بكسر اللام وسكون القاف: الناقة الحلوب.

قوله: (يلط في حوضه) روي بفتح الياء وكسر اللام وتخفيف الطاء، كما ذكره النووي، وروى بتشديد الطاء، كما ذكره القاضي عياض، وروى بزيادة الياء قبل الطاء، ومعنى الجميع واحد، وهو الإصلاح والتطمين.

قوله: (فما يصدر) بضم الدال، أي: يرجع.

(٢٨) - باب: ما بين النفختين

١٤١ - (٢٩٥٥) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة الزمر، باب ﴿وَيُفْعَلُ فِي الصُّورِ﴾ (٤٨١٤)، وفي تفسير سورة ﴿عَمَّ يَسْتَلُونَ﴾ (١)، باب ﴿يَوْمَ يُفْعَلُ فِي الصُّورِ﴾ (٤٩٣٥)، وأخرجه أبو داود في السنة، باب في ذكر البعث والصور (٤٧٤٣)، وأخرجه الترمذي في الجنازة، باب أرواح المؤمنين (٢٠٧٧)، وابن ماجه في الزهد، باب ذكر القبر والبلى (٤٣٢٠)، والبخاري في شرح السنة، في الفتن (٤٣٠٠).

قوله: (أبيت) معناه: أبيت أن أجزم بأن المراد أربعون يوماً، أو أربعون سنة، أو أربعون شهراً، بل الذي أجزم به أنه أربعون مجعلة. ولا بن مردويه من طريق أبي بكر بن عياش عن الأعمش في هذا الحديث قال: (أعيت) من الإعياء وهو التعب وكأنه أشار إلى كثرة من يسأله عن تبين ذلك فلا يجيبه. وأخرج ابن مردويه من طريق سعيد بن الصلت عن الأعمش في هذا

فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ».

قَالَ: «وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَنْبُتُ. إِلَّا عَظْماً وَاحِداً، وَهُوَ عَجَبُ الذَّنْبِ. وَبَيْنَهُ يَرْكَبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

٧٣٤١ - (١٤٢) وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ. حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ، (تَغْيِي الْجَزَائِمِي)، عَنْ أَبِي الرِّزَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ مَتَى خُلِقَ وَفِيهِ يَرْكَبُ».

٧٣٤٢ - (١٤٣) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ. حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ. حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ فِي الْإِنْسَانِ عَظْماً لَا تَأْكُلُهُ الْأَرْضُ أَبَداً، فِيهِ يَرْكَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» قَالُوا: أَيُّ عَظْمٍ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «عَجَبُ الذَّنْبِ».

الحديث: (أربعون سنة) وهو شاذ. وأخرج من وجه ضعيف عن ابن عباس قال: «ما بين النضفة والنضفة أربعون سنة» ووقع في جامع ابن وهب (أربعون جمعة) وسنده منقطع. كذا في فتح الباري (٨: ٥٥٦).

قوله: (فينبتون كما ينبت البقل) أي: يحيى الناس مرة أخرى، كما ينبت الزرع بالماء.

قوله: (عَجَبُ الذَّنْبِ) بفتح العين وسكون الجيم، هو عظم لطيف في أصل الصلب، وهو رأس العَصَصِ، وهو مكان رأس الذَّنْبِ (بفتح النون) من ذوات القوائم الأربعة. وأخرج الحاكم وأبو يعلى عن أبي سعيد رضي الله عنه: «قيل: يا رسول الله! ما عجب الذَّنْبِ؟ قال: مثل حبة خردل». قال ابن الجوزي: «قال ابن عقيل: لله في هذا سر لا يعلمه إلا الله. لأن من يظهر الوجود من العدم لا يحتاج إلى شيء ينشأ عليه. ويحتمل أن يكون ذلك جعل علامة للملائكة على إحياء كل إنسان بجوهره ولا يحصل العلم للملائكة بذلك إلا بإيقاظ عظم كل شخص ليعلم أنه إنما أراد بذلك إعادة الأرواح إلى تلك الأعيان التي هي جزء منها. ولولا إيقاظ شيء منها لجوزت الملائكة أن الإعادة إلى أمثال الأجساد لا إلى نفس الأجساد» كذا في فتح الباري، والله سبحانه أعلم.

وقد تم بفضل الله تعالى شرح كتاب الفتن وأشراف الساعة، وذلك بين أذاني العصر يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر ذي القعدة سنة (١٤١٤ هـ) والله الحمد والمنة، وأسأل الله سبحانه أن يوفقني لإكمال شرح هذا الكتاب بفضلته كما يحبه ويرضاه، إنه على كل شيء قدير، وصلى الله تعالى على نبيه وسلم تسليماً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٣ - كتاب: الزهد والرفائق

٧٣٤٣ - (١) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ. حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، (يَعْنِي الْمَدْرَ أَوْ رَدِّي)، عَنْ

كتاب الزهد والرفائق

المقصود بعقد هذا الكتاب إيراد الأحاديث التي تؤكد على الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، وقد أفرده جماعة من العلماء والمحدثين بالتأليف، منهم وكيع بن الجراح، وعبد الله بن المبارك، وأحمد بن حنبل، وهناد بن السري رحمه الله تعالى.

والزهد في اللغة بمعنى قلّة الرغبة. يقال: زهد فيه، من باب فتح وسمع وكرم، زُهداً وزَهداً، أي: رغب عنه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَاثُرًا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ (يوسف، آية: ٢٠)، والزَّهيد: الشيء القليل. والزَّاهد في الشيء: الراغب عنه.

والزُّهْد في الاصطلاح: الرغبة عن الدنيا والميل إلى الآخرة. وقال الإمام الغزالي رحمه الله في إحياء علوم الدين:

«هو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه. فكل من عدل عن شيء إلى غيره بمعاوضة وبيع وغيره، فإنما عدل عنه لرغبته عنه، وإنما عدل إلى غيره لرغبته في غيره. فحالُه بالإضافة إلى المعدول عنه يسمى زُهداً، وبالإضافة إلى المعدول إليه يسمى رغبة وحباً. فإذا ن يستدعي حال الزهد مرغوباً عنه ومرغوباً فيه، هو خير من المرغوب عنه. وشرط المرغوب عنه أن يكون هو أيضاً مرغوباً فيه بوجه من الوجوه. فمن رغب عما ليس مطلوباً في نفسه لا يسمى زهداً، إذ تارك الحجر والتراب والحشرات لا يسمى زاهداً، وإنما يسمى زاهداً من ترك الدراهم والدنانير».

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: «الزهد على ثلاثة أوجه. الأول: ترك الحرام، وهو زهد العوام

والثاني: ترك الفضول من الحلال (أي: ترك ما فضل عن الحاجة) وهو زهد الخواص. والثالث: ترك ما يشغل عن الله، وهو زهد العارفين».

فالدرجة الأولى من الزهد واجب تحصيلها على كل مسلم. والدرجة الثانية وإن كانت

الْعَلَاءُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

مستحبة في نفسها، ولكن الدرجة الأولى لا تكاد نتحصل إلا بها، لأن من كثر انهماكه في ما يفضل عن حاجته، أو شك أن يقع في محذور، والدرجة الثالثة إنما تحصل بعد حصول الدرجتين.

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين (٢: ١٢): «والذي أجمع عليه العارفون: أن الزهد سفر القلب من وطن الدنيا، وأخذ في منازل الآخرة... ومتعلقه ستة أشياء لا يستحق العبد اسم الزهد حتى يزهد فيها، وهي المال، والصور، والرئاسة، والناس، والنفس، وكل ما دون الله».

قال: «وليس المراد رفضها من الملك. فقد كان سليمان وداود عليهما السلام من أزهد أهل زمانهما، ولهما من المال والملك والنساء ما لهما. وكان نبيتنا ﷺ من أزهد البشر على الإطلاق، وله تسع نسوة، وكان علي بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف والزبير وعثمان من الزهاد، مع ما كان لهم من الأموال. وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما من الزهاد، مع أنه كان من أكثر الأمة محبة للنساء وتكاحاً لهن، وأغناهم. وكان عبد الله بن المبارك من الأئمة الزهاد مع مال كثير، وكذلك الليث بن سعد من أئمة الزهاد، وكان له رأس مال يقول: لولا هو لتمتلد بنا هؤلاء».

قال: «ومن أحسن ما قيل في الزهد كلام الحسن أو غيره: ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يديك، وأن تكون في ثواب المصيبة، إذا أصبت بها، أرغب منك فيها لو لم تُصيبك. فهذا من أجمع كلام في الزهد وأحسنه. وقد روي مرفوعاً».

وانحاصل: أن حقيقة الزهد منافية لأسباب الدنيا، وإنما حقيقته أن لا تتعلق أسباب الدنيا بقلب الإنسان بما يلهيه عن ذكر الله وذكر الآخرة، وأن يكون الإنسان دائماً يؤثر نعيم الآخرة على نعيم الدنيا. ومن هنا يفسر الزهد عن الرهبانية التي ابتدعها النصارى، فإن الرهبانية تترك أسباب الدنيا بأسرها من رأسها، والزهد لا يقتضي ذلك وإنما يقتضي أن يكون الإنسان رغبته في الآخرة أكثر من رغبته في الدنيا، وأن لا تشغله أسباب الدنيا عن سعيه للآخرة، والله سبحانه أعلم.

(٢٩٥٦) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه الترمذي في الزهد، باب ما جاء أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر (٢٣٢٤)، وابن ماجه في الزهد، باب مثل الدنيا (٤١٦٥)، وأحمد في مسنده (٢: ٣٢٣ و ٣٨٩ و ٤٨٥)، والبيهقي في شرح السنة (١٤: ٢٩٦)، وابن حبان في صحيحه. كما في الإحسان لابن بلبان (٢: ٣٨).

«الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ».

قوله: (الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ) قال النووي رحمه الله: «معناه: أن كل مؤمن مسجون ممنوع في الدنيا من الشهوات المحرمة والمكروهة، مكلف بفعل الطاعات الشاقة. فإذا مات استراح من هذا، وانقلب إلى ما أعدَّ الله تعالى له من النعيم الدائم والراحة الخالصة من النقصان. وأما الكافر فإنما له من ذلك ما حصل في الدنيا، مع قلته وتكديره بالمنغصات. فإذا مات صار إلى العذاب الدائم وشقاء الأبد».

واعلم أن هذا الباب وردت فيه أحاديث كثيرة في ذم الدنيا ومتاعها، وكذلك ورد ذمها في آيات كثيرة من القرآن الكريم. ولكن ليس المقصود منها أن يترك الإنسان أسباب الدنيا رأساً، وإنما المقصود أن لا يؤثرها على الآخرة، وأن يكون شوقه ورغبته إلى الله تعالى وإلى ما أعدَّ لعباده في الآخرة من النعيم أكثر وأقوى من رغبته إلى مُتَع الدنيا الفانية. وقد تكلم العلماء على حقيقة الدنيا ومعرفة المذموم منها والمحمود قديماً وحديثاً. وفذلكة الكلام ما ذكره العلامة ابن قدامة المقدسي رحمه الله في مختصر منهاج القاصدين لابن الجوزي (وأصله للإمام الغزالي رحمه الله) قال رحمه الله:

«قد سمع خلق كثير ذم الدنيا مطلقاً، فاعتقدوا أن الإشارة إلى هذه الموجودات التي خلقت للمنافع، فأعرضوا عما يصلحهم من المطاعم والمشارب. وقد وضع الله في الطباع توقان النفس إلى ما يصلحها، فكلما تأقت ممنوعها، ظناً منهم أن هذا هو الزهد المراد، جهلاً بحقوق النفس، وعلى هذا أكثر المتزهدين، وإنما فعلوا ذلك لقلّة العلم، ونحن نصدع بالحق من غير محاباة، فنقول:

اعلم أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة للإنسان فيها حظ... وكل ذلك علف لمراحلة بدنه السائر إلى الله عز وجل، وإنه لا يبقى إلا بهذه المصالح، كما لا تبقى الناقة في طريق الحج إلا بما يصلحها، فمن تناول منها ما يصلحه على الوجه المأمور به مُدِج، ومن أخذ منها فوق الحاجة يكتنف الشّر وقع في الذم، فإنه ليس للشّر في تناول الدنيا وجه، لأنه يخرج عن النفع إلى الأذى، ويشغل عن طلب الآخرة فيفوت المقصود، ويصير بمثابة من أقبل يعلف الناقة، ويرد لها الماء، ويغير عليها ألوان الثياب، وينسى أن الرفقة قد سارت، فإنه يبقى في البادية فريسة للسباع، هو وناقة».

ولا وجه أيضاً للتقصير في تناول الحاجة، لأن الناقة لا تقوى على السّير إلا بتناول ما يصلحها. فالطريق السليم هي الوسطى، وهي أن يؤخذ من الدنيا قدر ما يحتاج إليه من الزاد للسلوك وإن كان مشتهى، فإن إعطاء النفس ما تشتهي عون لها وقضاء لحقها.

وقد كان سفيان الثوري يأكل في أوقات من طيب الطعام، ويحمل معه في السفر الفالودج.

٧٣٤٤ - (٢) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنُ قَعْنَبٍ. حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ، (يَعْنِي ابْنَ بِلَالٍ)، عَنْ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ، دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ، وَالنَّاسُ كَنَفَتْهُ. فَمَرَّ بِجَدِي أَسْكَ مَيْتٍ. فَتَنَازَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بِدْرُهُمْ؟» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ. وَمَا نَضَعُ بِهِ؟ قَالَ: «اتَّجِبُونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟» قَالُوا: وَاللَّهِ، لَوْ كَانَ حَيًّا، كَانَ غَنِيًّا فِيهِ، لِأَنَّهُ أَسْكَ. فَكَيْفَ وَهُوَ مَيْتٌ؟ فَقَالَ: «قَوْلَ اللَّهِ، لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ».

٧٣٤٥ - (١٠٠) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى الْعَنَزِيُّ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَرُورَةَ

وكان إبراهيم بن أدهم يأكل من الطيبات في بعض الأوقات ويقول: إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال، وإذا فقدنا صبرنا صبر الرجال.

ولينظر في سيرة رسول الله ﷺ وصحابته، فإنهم ما كان لهم إفراط في تناول الدنيا، ولا تفريط في حقوق النفس. وينبغي أن يتلمح حظ النفس في المشتبه، فإن كان في حفظها حفظها وما يقيمها ويصلحها وينشطها للخير، فلا يمنعها منه. وإن كان حفظها مجرد شهوة ليست متعلقة بمصلحتها المذكورة فذلك حظ مذموم، والزهد فيه يكون راجع مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة (ص: ١٩٤).

استطواد

وفي سراج الملوك أن يهوديًا رث الهيئة رأى فقيهاً وعليه لباس حسن، فقال: ألتئم تروون عن نبيكم أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، فأين ذلك من حالك وحالي؟ فأجابه بأنه إذا مت وسرت إلى ما أعد الله لك من العذاب، علمت أن الدنيا جنة لك. وإذا مت أنا، وسرت إلى ما أعد الله لي من النعيم، علمت أن الدنيا كانت سجنًا لي. كذا في شرح الأبي.

٢ - (٢٩٥٧) - قوله: (عن جابر بن عبد الله) هذا الحديث لم يخرج له غير المصنف أحد من الأئمة الستة، وأخرجه أحمد في مسنده (٣: ٣٦٥).

قوله: (داخلًا من بعض العالية) يعني: كان قد ذهب إلى بعض عوالي المدينة، فرجع منها ودخل السوق.

قوله: (والناس كَنَفَتْهُ) بثلاث فتحات، أي: في جانبه، وناحيته. وفي بعض النسخ (كنفته) بالثنية، أي: في جانبيه.

قوله: (فَمَرَّ بِجَدِي أَسْكَ) أي: صغير الأذنين، وهو صيغة صفة من السَّكَل بفتحين، وهو صغير الأذن، وربما يستعار للصمم، يقال: استكَّت أسماعهم: أي: صمَّت.

(١٠٠) - قوله: (إبراهيم بن محمد بن عرورة السامي) هذه نسبة إلى سامة بن لؤي بن

السَّامِيُّ. قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّؤُوفِ، (يَعْنِيَانِ الثَّقَفِيَّ)، عَنْ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، بِمِثْلِهِ. غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ الثَّقَفِيِّ: فَلَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ هَذَا السُّكُّكُ بِهِ عَيْبًا.

٧٣٤٦ - (٣) حَدَّثَنَا هَذَابُ بْنُ خَالِدٍ. حَدَّثَنَا هَمَامٌ. حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١]. قَالَ: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي. مَالِي. (قَالَ): وَهَلْ لَكَ، يَا ابْنُ آدَمَ، مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَقْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَلْبَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟».

غالب، كما في الأنساب للسمعاني (٧: ٣٠)، وإبراهيم هذا كنيته أبو إسحاق البصري نزيل بغداد، قال أبو حاتم: صدوق، وقال ابن معين: ثقة معروف بالحديث مشهور بالطلب كيس الكتاب. وقال الحاكم: هو إمام من حفاظ الحديث. وقد أخرج له مسلم والنسائي، مات في رمضان سنة (٢٣١هـ). كذا في التهذيب (١: ١٥٧).

قوله: (عن أبيه) يعني: عبد الله بن السَّخِيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو بكسر الشين والخاء المشددة. ذكره ابن سعد في طبقة مسلمة الفتح، وقال ابن مندة: وفد في وفد بني عامر. روى عنه بنوه مطرف وهانيء ويزيد، وعداده في أهل البصرة. كذا في التهذيب (٥: ٢٥١). وابنه مطرف كان ثقة عابداً ذا فضل وورع وأدب، وروى أنه كان بينه وبين رجل كلام، فكذب عليه، فقال مطرف: اللهم إن كان كاذباً فأمته، فخرّ مكانه ميتاً. وعن غيلان بن جرير: أن مطرفاً كان يلبس المطارف ويركب الخيل ويغشى السلطان، ولكن إذا أفضيت إليه أفضيت إلى قرة عين. وله مناقب كثيرة مات في طاعون الجارف سنة (٨٧هـ) كما في التهذيب (١٠: ١٧٣).

وحديثه هذا أخرجه الترمذي في تفسير سورة التكاثر (٣٣٥٤)، والنسائي في الوصايا، باب الكراهية في تأخير الوصية (٣٦١٣)، وأخرجه الحاكم في المستدرک (٤: ٣٢٢)، وأحمد في مسنده (٤: ٢٤ و ٢٦). والبخاري في شرح السنة (١٤: ٢٥٨) وابن حبان كما في ترتيبه لابن بلبان (٥: ١٣٨).

٣ - (٢٩٥٨) - قوله: (الهاكم التكاثر) أي: شغلكم عن ذكر الله طلب كثرة المال ومفاخرتكم بها.

قوله: (مالي مالي) يعني: يفرح بنسبة المال إلى نفسه، ويفتخر به، فيكثر في كلامه من ذكر ذلك.

قوله: (هل لك يا ابن آدم) إلخ: أي: هل يحصل لك من ذلك المال، ويتفعل في المال إلا ما كان داخلاً في هذه الثلاثة، إما أن يكون طعاماً فانتفعت به بالأكل، أو أن يكون لباساً فتتمتع بلبسه حتى يبلى، أي: يخلق من كثرة اللبس، أو يكون صدقةً أمضيتها لتكون ذخراً لك في الآخرة. وأشار رسول الله ﷺ بهذا الكلام البليغ إلى أن القسمين الأولين وإن كانا نافعين في

٧٣٤٧ - (١٠٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ. قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ. وَقَالَا جَمِيعًا: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ سَعِيدٍ. ح وَحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى. حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ. حَدَّثَنَا أَبِي. كُلُّهُمْ عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ مُطْرِفٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَكَرْتُ بِمِثْلِ حَدِيثِ هَمَّامٍ.

٧٣٤٨ - (٤) حَدَّثَنِي سُؤْدَةُ بْنُ سَعِيدٍ. حَدَّثَنِي حَفْصُ بْنُ مَيْسَرَةَ، عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ الْعَبْدُ: مَالِي، مَالِي، إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ: مَا أَكَلَ فَأَقْنَى. أَوْ لَبَسَ فَأَبْلَى. أَوْ أُعْطِيَ فَأَقْنَى. وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ دَاهِبٌ، وَنَارُكَ لِلنَّاسِ».

٧٣٤٩ - (١٠٠) وَحَدَّثَنِيهِ أَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْحَاقَ. أَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ. أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ. أَخْبَرَنِي الْعَلَاءُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ. مِثْلُهُ.

٧٣٥٠ - (٥) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ. كِلَاهُمَا عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ. قَالَ يَحْيَى: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ. قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ. فَيُرجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ.

الجملة، ولكن نفعهما محدود إلى أن يفنى أو يلبس. أما نفع القسم الثالث، فهو النفع الدائم المستمر لكونه مذكراً للإنسان في حياته الأبدية. أما ما سوى هذه الأقسام الثلاثة من المال الذي يذخره الإنسان في الدنيا من غير حاجة، فلا يعود نفعه إليه، لا في الدنيا ولا في الآخرة، لأنه يصير إلى ورثته.

٤ - (٢٩٥٩) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث مما تفرد بإخراجه المصنف من بين الأئمة الستة، وأخرجه أحمد في مسنده (٢: ٣٦٨) وابن حبان في صحيحه، كما في ترتيبه لابن بلبان (٥: ١٠٠ و ١٣٨).

قوله: (أو أعطى، فافتنى) أي: تصدق، فاذخره للآخرة. والافتناء: الادخار. ووقع في بعض النسخ: أفنى، أي: أرضى الله سبحانه وتعالى. واليقنى، بكسر القاف والألف المقصورة في آخره: الرضا.

٥ - (٢٩٦٠) - قوله: (سمعت أنس بن مالك) هذا الحديث أخرجه البخاري في الرقاق، باب سكرات الموت (٦٥١٤)، والترمذي في الزهد، باب ما جاء مثل ابن آدم وأهله وولده إلخ (٢٣٧٩)، والنسائي في الجنائز، باب النهي عن سب الأموات (١٩٣٧)، والحاكم في المستدرک (١: ٧٤)، وابن حبان في صحيحه كما في ترتيبه لابن بلبان (٥: ٤٢)، والبيهقي في شرح السنة (١٤: ٢٥٩).

يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ. فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ، وَمَالُهُ. وَيَبْقَى عَمَلُهُ.

٧٣٥١ - (٦) حَدَّثَنِي حَرَمَلَةُ بْنُ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، (يَعْنِي ابْنَ حَرَمَلَةَ بْنَ عِمْرَانَ التُّجِيبِيَّ)، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ. أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ؛ أَنَّ الْمُسَوَّرَ بْنَ مَخْرَمَةَ أَخْبَرَهُ؛ أَنَّ عَمْرُو بْنَ عَوْفٍ، وَهُوَ خَلِيفُ بَنِي عَامِرٍ بْنِ لُؤَيٍّ، وَكَانَ شَهِيدَ بَدْراً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَخْبَرَهُ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ. يَأْتِي بِجَزْيَتِهَا. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ صَالِحُ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ.....

قوله: (يتبعه أهله وماله) أي: بعض ماله، كعبيده وإمائه، ودابته وخيمته، وسريه. قال الطبري رحمه الله في الكاشف (٩: ٢٩٥): «متابعة الأهل على الحقيقة. وأما متابعة المال والعمل فعلى الاتساع. فإن المال حينئذ له نوع تعلق بالميت، من التجهيز والتكفين ومؤونة الغسل والحمل والدفن. فإذا دُفِنَ انقطع تعلقه بالكلية».

قوله: (وبقى عمله) أي: معه في صورة الثواب، وقد روي في بعض الأحاديث أن العمل يأتيه في القبر في صورة آدمي، فقد أخرج أحمد في حديث طويل عن البراء بن عازب ؓ: «ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب حسن الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك. فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح» وقال في حق الكافر: «ويأتيه رجل قبيح الوجه» الحديث، وفيه: «بالذي يسوءك» وفيه: «عملك الخبيث» وراجع فتح الباري (١١: ٣٦٦).

٦ - (٢٩٦١) - قوله: (التجيبى) بضم التاء وكسر الجيم.

قوله: (أن عمرو بن عوف أخبره) هذا الحديث أخرجه البخاري في الجزية، باب الجزية، والموادعة من أهل الذمة والحرب (٣١٥٨)، وفي المغازي، باب بدون ترجمة (٤٠١٥)، وفي الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها (٦٤٢٥)، وأخرجه الترمذي في صفة القيامة، باب بدون ترجمة، (٦٤٦٢)، وابن ماجه في الفتن، باب فتنة المال (٤٠٤٥)، وأحمد في مسنده (٤: ١٣٧)، والبغوي في شرح السنة (١٤: ٢٥٦).

وعمر بن عوف هذا صحابي، وكان مولى سهيل بن عمرو، وقيل: اسمه عمير بن عوف، شهد بَدْراً وما بعدها، وسكن المدينة ومات في خلافة عمر فصلى عليه، ولم يخلف عقباً، كما في الإصابة (٣: ١٠) وورد عند البخاري في الجزية أنه أنصاري، ولكن حقق الحافظ في الفتح (٦: ٢٦٢) أن ذلك وهم.

قوله: (إلى البحرين) أي: البلد المشهور، وكان غالب أهلها إذ ذاك المجوس. وذكر ابن سعد أن النبي ﷺ بعد قسمه الفنائم بالجعرانة أرسل العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى عامل البحرين يدعوهُ إلى الإسلام، فأسلم وصالح مجوس تلك البلاد على الجزية. كذا في فتح الباري (٦: ٢٦٢).

وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ الْعَلَاءُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتْ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَوَافُوا صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جِئَ رَأَهُمْ، ثُمَّ قَالَ: «أَظَنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ؟» فَقَالُوا: أَجَلٌ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَأَبْشِرُوا وَأَمْلُوا مَا يَسُرُّكُمْ فَوَاللَّهِ، مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسِطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بَسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ».

قوله: (وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي) هو صحابي شهير، واسم الحضرمي عبد الله بن مالك بن ربيعة، وكان من أهل حضرموت، فقدم مكة فحالف بني مخزوم، ويقال: إن أصله من أهل فارس، فأسر، حتى اشتراه رجل من حضرموت، ثم افتداه رجل وقدم به إلى مكة، فعتق وأقام بها، حتى ولد له أولاد، وتزوج أبو سفيان ابنته الصعبة، ثم تزوجها عبيد الله بن عثمان والد طلحة أحد العشرة، فولدت له طلحة، وراجع فتح الباري.

قوله: (فوافوا صلاة الفجر) أي: حضروها مجتمعين، ويؤخذ منه أنهم كانوا لا يجتمعون في كل الصلوات إلا لأمر يطرأ، وكانوا يصلون في مساجدهم، إذ كانوا لكل قبيلة مسجد يجتمعون فيه، فلاجل ذلك عرف النبي ﷺ أنهم اجتمعوا لأمر، ودلت القرينة على تعيين ذلك الأمر، وهو احتياجهم إلى المال للتوسعة عليهم، أفاده الحافظ في الفتح.

قوله: (ما الفقر أخشى عليكم) بنصب (الفقر) لكونه مفعولاً مقدرًا لقوله (أخشى). وقال الطيبي في الكاشف (٩: ٢٩٣): «فإن قلت: ما الفائدة في تقديم المفعول في القرينة الأولى، دون الثانية (يعني: في قوله: ولكنني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا) قلت: فائدته الاهتمام بشأن الفقر، لأن الأب المشفق إذا احتضر، إنما يكون اهتمامه بشأن الولد ضياعه وإعدامه المال كأنه يقول: حالي معكم خلاف حال الوالد، فإني لا أخشى الفقر كما يخشاه الوالد، ولكن خوفي من الغنى الذي هو مطلوب الوالد للولد».

قوله: (فتنافسوها) بفتح التاء والفاء، والأصل: (فتتنافسوها) فحذفت إحدى التاءين. والتنافس والمنافسة: الرغبة في الشيء النفيس وحب الانفراد به.

قوله: (وتهلككم كما أهلكتهم) قال علي القاري في المرقاة (٩: ٣٥٥): «الظاهر أن المراد بالفقر ما لم يكن عنده جميع ما يحتاج إليه من ضروريات الدين والبدن، وبالعنى: الزيادة على مقدار الكفاية الموجبة للطغيان، وشغل الإنسان عن عبادة الرحمن. فالمعنى، كما قال الطيبي رحمه الله: ترغبون فيها فتشتغلون بجمعها، وتحرصون على إمساكها، فتطغون بها فتهلكون بها».

قوله: (وتلهيكم) هو من الإلهاء، أي: فتشغلكم وتجعلكم غافلين عن أعمال الآخرة.

٧٣٥٢ - (١٠٠) حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَلَوَانِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، جَمِيعًا عَنْ يَتْقُوبَ بْنِ إِسْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، ح وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، كِلَاهُمَا عَنِ الزُّهْرِيِّ، بِإِسْنَادِ يُونُسَ وَمِثْلَ حَدِيثِهِ. غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِ صَالِحٍ: «وَتَلْهَيْكُمْ كَمَا أَلْهَيْتَهُمْ».

٧٣٥٣ - (٧) حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ سَوَادٍ الْعَامِرِيُّ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ؛ أَنَّ بُكْرَ بْنَ سَوَادَةَ حَدَّثَهُ؛ أَنَّ يَزِيدَ بْنَ رِبَاحٍ، (هُوَ أَبُو فِرَاسٍ، مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ)، حَدَّثَهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ قَارِصٌ وَالرُّومُ، أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟» قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللَّهُ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ. فَتَنَافَسُونَ، ثُمَّ تَتَحَاسَنُونَ. ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ. ثُمَّ تَتَبَاغُضُونَ. أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ. ثُمَّ تُنْطَلِقُونَ فِي مَسَاجِدِ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَجْعَلُونَ بَعْضُهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ».

٧٣٥٤ - (٨) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَفُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ. (قَالَ فُتَيْبَةُ: حَدَّثَنَا. وَقَالَ

٧ - (٢٩٩٢) - قوله: (عن عبد الله بن عمرو بن العاص) هذا الحديث أخرجه ابن ماجه في الفتن، باب فتنة المال (٤٠٤٤)، وابن حبان في صحيحه، كما في ترتيبه لابن بلبان (٨): (٢٤٣).

قوله: (أي قوم أنتم؟) أي: كيف يكون حالكم؟ وماذا تصنعون في رخاء العيش؟.

قوله: (نقول كما أمرنا الله) معناه: نحمده ونشكره تعالى ونسأله المزيد من فضله. وقيل: (نقول) ههنا بمعنى نفعل أي: نمثل بما أمرنا الله تعالى به في مثل تلك الحالة.

قوله: (أو غير ذلك) بسكون الواو، تقديره: أو يقع غير ذلك؟ ويمكن أن يكون بفتح الواو، تقديره: أو غير ذلك سيقع؟ ويحتمل أن يكون (غير) منصوباً بفعل محذوف تقديره: أو تفعلون غير ذلك.

قوله: (ثم تتدابرون ثم تتباغضون) التداير: التقاطع، وهو أن لا يلقى أحد آخر، ولكن يمكن في التداير أن يبقى شيء من المودة في القلب. أما التباغض فهو أكثر من التداير، فإنه لا يجتمع بشيء من المودة، فالترتيب الفعلي يوافق الترتيب المذكور هنا، فيقع أولاً: التنافس، ثم التحاسد ثم التداير، ثم التباغض، أعادنا الله تعالى منها.

قوله: (فتجعلون بعضهم على رقاب بعض) أي: تجعلون بعضهم أمراء على بعض. وحاصل المعنى أن الذين يُعدّون اليوم من فقراء المهاجرين ومساكينهم سوف يكون بعضهم أميراً على بعض، فيقع التنافس في المال والجاه جميعاً.

يَخْبِي: أَخْبَرَنَا) الْمُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجَزَامِيُّ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ مِنْ فَضْلٍ عَلَيْهِ».

٨ - (٢٩٦٣) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في الرقاق، باب لينظر إلى من هو أسفل منه (٦٤٩٠)، والترمذي في صفة القيامة، باب بدون ترجمة (٢٥١٣)، وابن ماجه في الزهد، باب القناعة (٤١٩٤)، وأحمد في مسنده (٢: ٣١٤)، والبيهقي في شرح السنة (١٤: ٢٩٢)، وابن حبان في صحيحه كما في ترتيبه (٢: ٤٨).

قوله: (في المال والخلق) بفتح الخاء وسكون اللام، أي: في حسن الصورة وصحة الجسم.

قوله: (فليتنظر إلى من هو أسفل منه) أي: من هو أقل منه مالاً، أو أقيح منه صورة، أو أضعف جسماً. وقد أخرج الترمذي في صفة القيامة (باب ٥٨، رقم: ٢٥١٢) هذا المعنى عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً بسياق أتم من هذا، ولفظه: «اخصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكراً صابراً، ومن لم تكونا فيه لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً. من نظر في دينه إلى من هو فوقه فافتدى به، ونظر في دنياه إلى من هو دونه، فحمد الله على ما فضله به عليه، كتبه الله شاكراً صابراً. ومن نظر في دينه إلى من هو دونه، ونظر في دنياه إلى من هو فوقه، فأسف على ما فاتته منه، لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً».

قال ابن بطال: «هذا الحديث جامع لمعاني الخير، لأن المرء لا يكون بحال تتعلق بالدين من عبادة ربه مجتهداً فيها، إلا وجد من هو فوقه. فمضى طلبت نفسه اللحاق به استقص حاله، فيكون أبداً في زيادة تقربه من ربه، ولا يكون على حال خسيصة من الدنيا، إلا وجد من أهلها من هو أحسن حالاً منه. فإذا تفكر في ذلك علم أن نعمة الله وصلت إليه دون كثير ممن فضّل عليه بذلك من غير أمر أوجبه، فيلزم نفسه الشكر، فيعظم اغتباطه بذلك في معاده» حكاه الحافظ في الفتح (١١: ٣٢٣).

وأخرج الحاكم عن عبد الله بن الشخير مرفوعاً: «أَقْلُوا الدُخُولَ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ، فَإِنَّهُ قَمِيرٌ أَنْ لَا تَزِدُّوهُ نِعَمَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» صححه الحاكم وأقره عليه الذهبي، راجع المستدرک (٤: ٣١٢).

والحق أنه لا سبيل إلى حصول الراحة في هذه الدنيا إلا بالقناعة، ولا تحصل القناعة إلا بقلة الحرص، ولا يقل الحرص إلا بالعمل بهذه الأحاديث الشريفة، فإن جعل ينظر إلى من فضّل عليه في الرزق ازداد همّه، وكثر حسده، وفلّ شكره. أمّا من جعل ينظر إلى من هو دونه في الرزق والمال، فإنه يكثر شكره، ويزداد ارتياحه، وقناعته بما آتاه الله تعالى. وعن عون بن

٧٣٥٥ - (١٠٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ. حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي الزُّنَادِ. سَوَاءٌ.

٧٣٥٦ - (٩) وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ. حَدَّثَنَا جَرِيرٌ. ح وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ. حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ. ح وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، (وَاللَّفْظُ لَهُ)، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ وَوَكَيْعٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «انظَرُوا إِلَى مَنْ أَنْظَلَ مِنْكُمْ. وَلَا تَنْظَرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ. فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزِدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ». قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: «عَلَيْكُمْ».

٧٣٥٧ - (١٠) حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ قُرُوحٍ. حَدَّثَنَا هَمَّامٌ. حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ. حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي عَمْرَةَ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصٌ وَأَقْرَعٌ وَأَعْمَى. فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَنْتَلِيَهُمْ. فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا. فَاتَى الْأَبْرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْ أَنَّ حَسَنًا وَجِلَدَ حَسَنٌ

عَبْدَ اللَّهِ قَالَ: «صَحِبْتَ الْأَغْنِيَاءَ فَلَمْ أَرِ أَحَدًا أَكْبَرَ هَمًّا مِنِّي: أَرَى دَابَّةَ خَيْرًا مِنْ دَابَّتِي، وَثَوْبًا خَيْرًا مِنْ ثَوْبِي. وَصَحِبْتَ الْفُقَرَاءَ فَاسْتَرَحْتَ» ذكره الترمذي تعليقا في أبواب اللباس، باب ما جاء في ترقيع الثوب.

٩ - (٠٠٠) - قوله: (أَنْ لَا تَزِدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ) أي: تحقروها وتعييوها. والازدراء: الاحتقار والانتقاص والعيب. وهو افتعال من (زَرَيْتُ عَلَيْهِ، زَرَايَةً): إِذَا عَيْبَهُ، وَأَزْرَيْتَ بِهِ إِزْرَاءً: إِذَا قَصُرْتَ بِهِ وَتَهَاوَنْتَ. وَأَصْلُ (أَزْرَيْتَ): أَزْرَيْتَ، فَقُلِبَتْ ائْتَاءً دَالًّا لِأَجْلِ الزَّاي. كَذَا فِي الْكَاشِفِ لِلْخَطَّابِيِّ (٩: ٣٣٤).

قوله: (قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: عَلَيْكُمْ) أي: زَادَ لَفْظَ (عَلَيْكُمْ) بَعْدَ قَوْلِهِ (أَلَا تَزِدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ). ١٠ - (٢٩٦٤) - قوله: (أَنْ أَبَا هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُ) هَذَا الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَنْبِيَاءِ، بَابَ حَدِيثِ أَبْرَصٍ وَأَعْمَى وَأَقْرَعٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ (٣٤٦٤)، وَفِي الْأَيْمَانِ وَالنَّذْرِ، بَابَ لَا يَقُولُ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ، وَهَلْ يَقُولُ: أَنَا بِاللَّهِ ثُمَّ يَك؟ (٦٦٥٣).

قوله: (وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَدَّرَ النَّاسُ) يَفْتَحُ الْقَافَ وَكَسَرَ الذَّالَ، أَيُّ: وَأَحَبُّ أَنْ يَذْهَبَ عَنِّي الَّذِي قَدَّرَنِي النَّاسُ مِنْ أَجْنِهِ. وَفِي رِوَايَةٍ: (قَدَّرُونِي النَّاسَ) وَهُوَ مِنْ قَبِيلٍ: (أَكْلُونِي الْبِرَاغِيثَ).

قوله: (نَاقَةُ عُشْرَاءَ) بِضَمِّ الْعَيْنِ وَفَتْحِ الشَّيْنِ، هِيَ النَّاقَةُ الْحَامِلَةُ الَّتِي أَتَى عَلَيْهَا فِي حَمْلِهَا عَشْرَةَ أَشْهُرٍ مِنْ يَوْمِ طَرَقَهَا الْفَحْلُ. وَقِيلَ: يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ إِذَا تَلَدَ وَبَعْدَ مَا تَضَعُ. وَكَانَتْ الْعُشْرَاءُ تَعْدُ مِنْ أَنْفُسِ الْمَالِ.

وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَدَّرَنِي النَّاسُ. قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَدَرُهُ. وَأَعْطَنِي لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا. قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ، (أَوْ قَالَ: الْبَقَرُ. شَكَّ إِسْحَاقُ) - إِلَّا أَنَّ الْأَبْرَصَ أَوْ الْأَقْرَعَ قَالَ أَحَدُهُمَا: الْإِبِلُ. وَقَالَ الْآخَرُ: الْبَقَرُ. قَالَ: فَأَعْطَنِي نَاقَةً عَشْرَاء. فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا. قَالَ: فَأَتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَدْ قَدَّرَنِي النَّاسُ. قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ. وَأَعْطَنِي شَعْرًا حَسَنًا. قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ. فَأَعْطَنِي بَقْرَةً حَامِلًا. فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا. قَالَ: فَأَتَى الْأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ. قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ. قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ. فَأَعْطَنِي شاةً وَالِدًا. فَأَتَيْتُ هَذَانِ وَوُلِدَ هَذَا. قَالَ: فَكَانَ لِهَذَا وَاِدٌ مِنَ الْإِبِلِ. وَلِهَذَا وَاِدٌ مِنَ الْبَقَرِ. وَلِهَذَا وَاِدٌ مِنَ الْغَنَمِ.

قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ: رَجُلٌ مُسْكِينٌ. قَدْ انْقَطَعَتْ بِي الْجِبَالُ فِي سَفَرِي. فَلَا بَلَاعَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَ. أَسْأَلُكَ، بِالَّذِي أُعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ، بَعِيرًا أَتَبْلُغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي. فَقَالَ: الْحَقُّوْكَ كَثِيرَةً. فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي

قوله: (فذهب عنه) يعني: القَرَعَ.

قوله: (شاةً وَالِدًا) أي: ذات ولد، وظاهر معناه أنها كانت وضعت الولد وكان معها. وقيل: معناه أنها كانت حاملة بالولد، فقيل لها (والد) باعتبار ما ستولد إليه.

قوله: (فأتيت هذان) بفتح الهمزة والتاء، وهي لغة قليلة الاستعمال، والمشهور (نتج) بفتح النون والتاء ثلاثياً. ومعناه تولي الولادة. فُتِجَ بالبناء للمجهول معناه: ولد و (هذان) المراد منه صاحب الإبل والبقر يعني: ولدت الإبل والبقر له أولاداً آخر.

قوله: (وولد هذا) بتشديد اللام، ومعناه: نتج، أي: تولي الولادة.

قوله: (في صورته وهيئته) يعني: في الصورة التي كان عليها يوم أتاه وهو أبرص، ليكون أبلغ في الحجة عليه.

قوله: (قد انقطعت بي الجبال) بكسر الحاء، جمع جبل، أي: الأسباب. وانقطاع الأسباب كناية عن كونه لا طريق له في الحصول على الرزق، فإن الطرق المعروفة كلها فشلت. وقد وقع في بعض النسخ (الحيال) بالياء المشناة من تحت، وهو جمع حيلة. ووقع في بعضها (الجبال) بالجيم وهو تصحيف. وقال ابن التين: لا قول الملك له، (رجل مسكين) أراد به أنك كنت هكذا، وهو من المعارض، والمراد به ضرب المثل ليتيقظ به المخاطب.

قوله: (أتبلغ عليه) أي: أكفي به، وهو من (البلغة) بمعنى الكفاية.

أَعْرِفُكَ. أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ بِقُدْرِكَ النَّاسَ؟ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْعَمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ. فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَضَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

قَالَ: وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا. وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَى هَذَا. فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَضَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

قَالَ: وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ: رَجُلٌ مُسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ. انْقَطَعَتْ بَيْنِي وَالْجَبَانُ فِي سَفَرِي. فَلَا بِلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَ. أَسَأَلْتُكَ، بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ، شَاءَ أَتُبْلَغَ بِهَا فِي سَفَرِي. فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي. فَخَذْتُ مَا شِئْتُ. وَدَعَا مَا شِئْتُ. فَوَاللَّهِ، لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ شَيْئًا أَخَذْتَهُ لَلَّهِ. فَقَالَ: أَمْسِكْ مَا لَكَ. فَإِنَّمَا ابْتَلَيْتُمْ. فَقَدْ رَضِيَ عَنْكَ وَسَخَطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ.

٧٣٥٨ - (١١) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْعَظِيمِ - وَاللَّفْظُ لِإِسْحَاقَ - (قَالَ عَبَّاسٌ: حَدَّثَنَا. وَقَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا) أَبُو بَكْرِ الْحَنْفِيُّ. حَدَّثَنَا بُكَيْرُ بْنُ مِسْمَارٍ. حَدَّثَنِي غَامِرُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ: كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي إِيلِهِ. فَجَاءَهُ ابْنُهُ عَمْرُو. فَلَمَّا رَأَى سَعْدٌ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّكِيبِ. فَمَرَّ. فَقَالَ لَهُ: أَنْزَلْتُ فِي يَدِكَ

قوله: (كابرًا عن كابر) أي: كبير عن كبير في العز والشرف. يعني: ورثته من أبائي الذين كانوا كبارا قومهم.

قوله: (ورد عليه) أي: أجابه الأقرع بمثل ما أجاب به الأبرص، يعني: أبي أن يعطيه شيئاً.

قوله: (لا أجهدك اليوم) يسكون، النجم وفتح الهاء، أي: لا أجعلك في جهد، أي: تعب. وورد في أكثر روايات البخاري (لا أحمذك) أي: لا أحمذك على ترك شيء تحتاج إليه من المال.

قوله: (فقد رضي عنك) يضم النراء على البناء للمجهول، أي: رضي عنك الله، وكذلك (سخط) مبني للمجهول، يعني: سخط عنهما الله.

١١ - (٢٩٦٥) - قوله: (كان سعد بن أبي وقاص) هذا الحديث ثم يخرج غير المصنف أحد من الأئمة الستة، وأخرجه أحمد في مسنده (١: ١٦٨)، والبيهقي في شرح السنة (١٥: ٢١).

قوله: (أنزلت في إيلك وغنمك) إلخ: وفي رواية أحمد والبيهقي: «يا أبت، أَرْضَيْتَ أَنْ تَكُونَ أَعْرَابِيًّا فِي غَنَمِكَ وَالنَّاسُ يَتَنَازَعُونَ فِي الْمَلِكِ بِالْمَدِينَةِ» وكان ذلك أيام الفتنة. ومقصود عمر بن سعد أن اعتزل سعد بن أبي وقاص إلى الإبل والغنم لا يناسب، بل يجب أن يذهب إلى المدينة وينصر المحق، أو مقصوده أن يطلب الملك لنفسه.

وَعَنَّمِكَ وَتَرَكْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ الْمُلْكَ بَيْنَهُمْ؟ فَضَرَبَ سَعْدٌ فِي صَدْرِهِ فَقَالَ: اسْكُتْ. سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ».

٧٣٥٩ - (١٢) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبٍ الْخَارِجِيُّ. حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ. قَالَ: سَمِعْتُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، عَنْ سَعْدٍ. ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ. حَدَّثَنَا أَبِي وَابْنُ بَشِيرٍ. قَالَا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، عَنْ قَيْسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ يَقُولُ: «وَاللَّهِ، إِنِّي لَأَوَّلُ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَلَقَدْ كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مَا لَنَا طَعَامٌ نَأْكُلُهُ إِلَّا وَرَقُ الْحُبْلَةِ، وَهَذَا السَّمَرُ. حَتَّى.....

قوله: (يحب العبد التقى الغنى الخفى) أما التقى فهو: من يتقى الله، وأما الغنى فالمراد منه هنا: غنى النفس، وهو المناسب للمقام، لأن المراد رجل يستغنى عن الملك والإمارة. وقيل: معناه هنا الغنى بالمال، وهو مناسب لكونه مشغولاً بالليل والنوم. وأما الخفى فهو: الذي يخفى عن أعين الناس فيبقى خاملاً منقطعاً إلى العبادة والاشتغال بأمور نفسه. ورواه بعضهم بالحاء المهملة، ومعناه: الوصول للرحم اللطيف بهم وبغيرهم من الضعفاء. والصحيح أنه (الخفى) بالخاء المعجمة. ودل الحديث على فضيلة الاعتزال في الفتنة التي لا يتضح فيها الحق، وقد مر الكلام على ذلك.

١٢ - (٢٩٦٦) - قوله: (سمعت سعد بن أبي وقاص) هذا الحديث أخرجه البخاري في المناقب، باب مناقب سعد بن أبي وقاص (٣٧٢٨)، وفي الأُطعمة، باب ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون (٥٤١٢)، وفي الرفاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه، وتخلفهم عن الدنيا (٦٤٥٣)، وأخرجه الترمذي في الزهد، باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ (٢٣٦٦)، وابن ماجه في المقدمة، باب فضائل رسول الله ﷺ (١١٨)، وأحمد في مسنده (١: ١٨١ و ١٨٦)، وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان لابن بلبان (٩: ٦٦).

قوله: (لأول رجل رمى بسهم في سبيل الله) كان ذلك في سرية عبدة بن الحارث بن عبد المطلب في السنة الأولى من الهجرة، بعث ناساً من المسلمين إلى رايغ ليلقوا عبداً لقريش، فتراموا بالسهام ولم يكن بينهم مسابقة. وكانوا ستين ركباً من المهاجرين وفيهم سعد، وعقد له اللواء، وهو أول لواء عقده رسول الله ﷺ، فالتقى عبدة وأبو سفيان الأموي، وكان هو على المشركين. وهذا أول قتال جرى في الإسلام، وأول من رمى إليهم سعد، وفيه أنشد سعد:

ألا، هل جاء رسول الله آتياً
خَمَيْتُ صَحَابَتِي بِصُدُورِ نَيْلِي
فَمَا يُغْنِدُ رَامٍ مِنْ مَعْدٍ
بِهِمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ قَبْلِي
كذا في عمدة القاري (٧: ٦٤٥).

قوله: (لا ورق الحبله وهذا السمر) الحبله، بضم الحاء وسكون الباء: ثمر العضاء،

إِنْ أَحَدُنَا لَيَضَعُ كَمَا تَضَعُ الشَّاةُ. ثُمَّ أَصْبَحَتْ بَنُو أَسَدٍ تُعَزِّرُنِي عَلَى الدِّينِ. لَقَدْ خَبِتَ إِذَا، وَضَلَّ عَمَلِي.

وَلَمْ يَقُلْ ابْنُ ثَمِيرٍ: إِذَا.

٧٣٦٠ - (١٣) وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى. أَخْبَرَنَا وَكِيعٌ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ. وَقَالَ: حَتَّى إِنْ كَانَ أَحَدُنَا لَيَضَعُ كَمَا تَضَعُ الْعَنَزُ. مَا يَخْلِطُهُ بِشَيْءٍ.

٧٣٦١ - (١٤) حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ قَرُوحٍ. حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ. حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ هِلَالٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ عَمْرِو الْعَدَوِيِّ. قَالَ: خَطَبَنَا عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ. فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ

وَالسُّمْرَ، بِفَتْحِ السِّينِ وَضَمِّ الْمِيمِ، شَجَرٌ ذُو شَوْكٍ مَعْرُوفٌ، وَكِلَاهُمَا نَوْعَانِ مِنْ شَجَرِ الْبَادِيَةِ، وَفِيهِمَا أَشْوَاكٌ. وَفِيهِ بَيَانٌ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَشَاقِّ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

قوله: (إِنْ أَحَدُنَا لَيَضَعُ كَمَا تَضَعُ الشَّاةُ) أي: يضع عند قضاء الحاجة، أي: تخرج فضلتهم كفضلة الشاة تكون مثل البعر في ييسها وعدم الغذاء المألوف. وزاد البخاري: (ماله خلط) أي: لا يختلط بعضه ببعض لجفافه.

قوله: (ثُمَّ أَصْبَحَتْ بَنُو أَسَدٍ تُعَزِّرُنِي عَلَى الدِّينِ) زاد البخاري: (وكانوا وشوا به إلى عمر رضي الله عنه قالوا: لا يحسن يصلي) وأشار ابن بطال أن سعداً عرض في هذا الكلام بعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وليس بصواب، فإن عمر من بني عدي بن كعب بن لؤي، وليس من بني أسد. وزعم بعضهم أن المراد منهم بنو الزبير بن العوام وهو وهم أيضاً، والصحيح أن المراد به بنو أسد بن خزيمه بن مدركة، كما حققه الحافظ في الفتح (٩: ٨٤). وكانت بنو أسد هؤلاء ارتدوا بعد النبي ﷺ وتبعوا طليحة بن خويلد، ثم تاب طليحة فسكن معظمهم الكوفة بعد ذلك، أفاده الحافظ في الرقاق من الفتح (١١: ٢٩) وكانوا ممن شكوا سعداً إلى عمر فعزله، وكان من جملة ما شكوا به أنه لا يحسن الصلاة. وقد أخرج البخاري هذه القصة في الصلاة، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها (رقم الحديث: ٧٥٥).

قوله: (لَقَدْ خَبِتَ إِذَا) أي: إذا كنت محتاجاً إليهم في معرفة الصلاة فقد ضلَّ عملي فيما مضى، حاشاه عن ذلك.

١٤ - (٢٩٦٧) - قوله: (خَطَبَنَا عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ) بضم العين وسكون التاء في اسمه، وفتح العين المعجمة وسكون الزاي في اسم أبيه، وهو من السابقين الأولين، هاجر إلى الحبشة، ثم رجع مهاجراً إلى المدينة رقيقاً للمقداد، وشهد بدرأ وما بعدها، وولاه عمر في الفتوح فاحتفظ البصرة وفتح فتوحاً، وكان طويلاً جميلاً. قدم على عمر يستعفيه من الإمرة، فأبى فرجع في

ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ. فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنْتَ بِضُرْمٍ وَوَلَّتْ حَذَاءً. وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ. يَتَصَابُهَا صَاحِبُهَا. وَإِنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لَا رَوَالَّ لَهَا. فَانْتَقِلُوا بِخَيْرٍ مَا بِحَضْرَتِكُمْ. فَإِنَّهُ قَدْ ذَكَرَ لَنَا أَنَّ الْحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفَةِ جَهَنَّمَ. فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا لَا يُدْرِكُ لَهَا فَعْرًا. وَاللَّهُ، لَثُمْلَانٌ. أَفَعَجِبْتُمْ؟ وَلَقَدْ ذَكَرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً. وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَطَبِيطٍ مِنَ الرِّحَامِ. وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ. حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا. فَالْتَقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ. فَانْتَرَزْتُ بِنِصْفِهَا وَانْتَرَزَ سَعْدٌ بِنِصْفِهَا. فَمَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَصْبَحَ أَمِيرًا عَلَى مِصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ. وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيمًا وَعِنْدَ اللَّهِ صَغِيرًا. وَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ نُبُوءَةً قَطُّ إِلَّا تَنَاسَخَتْ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُ عَاقِبَتِهَا

الطريق بمعدن بني سليم (سنة: ١٧هـ)، وقيل: (سنة: ٢٠هـ) وقيل: قبل ذلك، وعاش سبعا وخمسين سنة ودعا الله فمات. كذا في الإصابة (٢: ٤٤٨).

وحديثه هذا أخرجه الترمذي في صفة جهنم، باب ما جاء في صفة قعر جهنم (٥٢٧٥)، وابن ماجه في الزهد، باب معيشة أصحاب النبي ﷺ (٤٢٠٨)، وأحمد في مسنده (٤: ١٧٤ و ١٧٥)، والبيهقي في شرح السنة (١٤: ٢٨١).

قوله: (قد آذنت بضرم) الإيذان: الإعلام والإعلان، والضرم: بضم الصاد وسكون الراء: الانقطاع، أي: قد أعلنت انقطاعا.

قوله: (وولت حذاء) بفتح الحاء وتشديد الذال، أي: ولت مذبذبة بسرعة. والحذاء معناه في اللغة: قصيرة الذنب، والحمارة الأحذ: قصير الذنب. قال أبو عبيد: هي السريعة الخفيفة التي انقطع آخرها. وقال القاضي عياض: وهذا مثل، لأن قصير الذنب، أو ما قطع ذنبه لا يبقى وراءه شيء، فكأنه قال: الدنيا أدبرت منقطعة سريعة الانقطاع. كذا في شرح الأبي.

قوله: (لم يبق منها إلا صُبَابَةٌ) بضم الصاد، وهي البقية اليسيرة من الشراب. ويتصابها أي: يشرب صاباتها.

قوله: (بخير ما بحضرتكم) أي: بخير ما عندكم من الأعمال الصالحة.

قوله: (وهو كطبيب) أي: معتل. يقال: كطفتي الأمر، أي: ملاني وشغلني.

قوله: (حتى قرحت أشدأقنا) بكسر الراء أي: صار فيها قروح وجراح من خشونة الورق الذي نأكله وحرارته. والأشدأق جمع الشدق، بكسر الشين، وهو طرف الفم عند ملتقى الشفتين.

قوله: (وبين سعد بن مالك) يعني سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

قوله: (وإنها لم تكن نبوة قط إلا تناسخت) قال القرطبي: «يعني أن زمن النبوة يقام فيه

مُلْكًا. فَسْتَخْبِرُونَ وَتُجَرَّبُونَ الْأَمْرَاءَ بَعْدَنَا.

٧٣٦٢ - (٠٠٠) وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ عُمَرَ بْنِ سَلَيْطٍ. حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ. حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ هِلَالٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ عَمِيرٍ. وَقَدْ أَذْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ. قَالَ: غَطَبَ عُثْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ، وَكَانَ أَمِيرًا عَلَى الْبُضْرَةِ. فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ شَيْتَانَ.

٧٣٦٣ - (١٥) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ. مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ. حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ قُرَّةَ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ عَمِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ عُثْبَةَ بْنَ غَزْوَانَ يَقُولُ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. مَا طَعَامُنَا إِلَّا وَرَقُ الْحُبْلَةِ. حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا.

٧٣٦٤ - (١٦) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ. حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ تَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظُّهْرِ، لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لَا. قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لَا. قَالَ: «قَوْلِي نَفْسِي بَيْنَهُ، لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا. قَالَ: فَيُلْقَى الْعَبْدُ فَيَقُولُ: أَيُّ قُلٍّ، أَلَمْ أَكْرِمَكَ، وَأَسَوَّدَكَ، وَأَزَوَّجَكَ، وَأَسَخَّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ،

بالحق، ويزهد في الدنيا ويرغب في الآخرة. ثم إنه بعد انفراضها وانقراض خلفائها بتغير الحال وينعكس الأمر، ثم لا يزال الأمر يتناقض حتى يرتفع ما كان في المصدر الأول. وهذا هو المعبر عنه بالتناسخ والحاصل أن الناس بعد أنبيائهم وخلفائهم يعودون إلى الملك.

قوله: (فستخبرون) يفتح التاء وضم الباء، أي: تجربون، وفسره بعد ذلك بنفس هذه الكلمة.

١٥ - (٠٠٠) - قوله: (خالد بن عمر بن سليط) بفتح السين وكسر اللام.

(٢٩٦٨) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه أبو داود في السنة، باب في الرؤية (٤٧٣٠)، وأحمد في مسنده (٢: ٢٩٣، و ٥: ٥٣٤)، وابن حبان في صحيحه كما عند ابن بليان (٩: ٢٥٩).

قوله: (هل تضارون) بضم التاء، على أنه من باب المفاعلة، أو يفتحها على أنه من باب التفاعل، وهو مشتق من الضرر، أي: هل يحصل لكم تراحم وتنازع يتضرر به بعضكم من بعض. كذا في المرقاة (١١: ٢٦٦).

قوله: (أي: قُلٍّ) يعني: أي: فلان! وهو ترخيم على غير قياس. وقيل: هي لغة في (فلان).

قوله: (واسودك) أي: أجعلك سيّداً في قومك.

وَأَذْرَكَ تَرَأْسُ وَتَرَبُّعٌ؟ فَيَقُولُ: بَلَى. قَالَ فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟ فَيَقُولُ: لَا. فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي. ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِي فَيَقُولُ: أَيُّ قُلٍّ أَلَمْتُ أَكْرَمَكَ، وَأَسَوَّدَكَ، وَأَزْوَجَكَ، وَأَسَحَّرَ لَكَ الْحَبِيلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذْرَكَ تَرَأْسُ وَتَرَبُّعٌ؟ فَيَقُولُ: بَلَى. أَيُّ رَبِّ؟ فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟ فَيَقُولُ: لَا. فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي. ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ. وَيُسْئِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَهُنَا إِذَا.

قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبِمْتُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ. وَتَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيَخْتُمُ عَلَى فِيهِ. وَيُقَالُ لِفَجْزِهِ وَلَخِيمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطَلِقِي. فَتَنْطِقُ فَجْزُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ. وَذَلِكَ لِتُعَذِّبَ مِنْ نَفْسِهِ.

وَذَلِكَ الْمُتَأَفِّقُ. وَذَلِكَ الَّذِي يَسْحَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ.

٧٣٦٥ - (١٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ النَّضْرِ بْنِ أَبِي النَّضْرِ، حَدَّثَنِي أَبُو النَّضْرِ، هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ. حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ الْأَشْجَعِيُّ، عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ الْمُكَتَبِ،

قوله: (وَأَذْرَكَ تَرَأْسُ وَتَرَبُّعٌ) أي: أَلَمْتُ أَدْعَكَ تَرَأْسُ الْقَوْمِ (أي: تصبح رئيساً لهم) وتأخذ منهم ربع الغنيمة، وكان ملوك الجاهلية يأخذونه لأنفسهم. وَتَرَبُّعٌ، بفتح التاء والتاء، أي: تأخذ منهم المربع. وقال القاضي عياض: معناه: تستريح، وهو من قولهم: (أربع على نفسك) أي: أرفق بها. ورواه بعضهم (ترتع) بتاءين، أي: تتنعم وتأكل في سعة.

قوله: (فَيَقُولُ: رَبِّ آمَنْتُ بِكَ) إلخ: يعني: يكذب في المرة الثالثة، فيدعي أنه كان مؤمناً، وهو كاذب.

قوله: (ويُسْئِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ) أي: يثني على نفسه بما يستطيع من الكلمات الحسنة.

قوله: (هَهُنَا إِذَا) أي: إِنْ، أمكث ههنا، ليشهد عليك أعضاؤك.

قوله: (لِيُعَذِّبَ مِنْ نَفْسِهِ) هو من الإعذار، وهو إقامة الحجة على أحد بحيث لا يبقى له عذر، والهمزة فيه تسلب المأخذ. والمعنى: ليزيل الله عذره من قبل نفسه.

١٧ - (٢٩٦٩) - قوله: (عن عبيد المكتب) بضم الميم وسكون الكاف ويفتح التاء، على أنه اسم مفعول من الإكتاب. وقيل: هو اسم مفعول من التكتيب، كما في المعنى الكجراني. فيضبط بفتح الكاف وتشديد التاء.

وهو عبيد بن مهران المكتب الكوفي، أخرج عنه مسلم والنسائي، ثقة قليل الحديث كما في التهذيب (٧: ٧٤).

عَنْ فَضِيلٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَصَحَّحَ فَقَالَ: «هَلْ تَذَرُونَ مِمَّ أَصْحَكُ؟» قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَغْلَمَ. قَالَ: «مِنْ مُحَاظَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ. يَقُولُ: يَا رَبِّ، أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟» قَالَ: يَقُولُ: بَلَى. قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أَجِيرُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي. قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا. وَبِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا. قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ. فَيَقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي. قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ. قَالَ: ثُمَّ يَخْلَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ. قَالَ: فَيَقُولُ: بَعْدًا لَكُنَّ وَسُخْقًا. فَعَنْكَرَ كُنْتُ أَنَا ضِلُّ.»

٧٣٦٦ - (١٨) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فَضِيلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ الْقُعْقَاعِ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قَوْنًا.»

٧٣٦٧ - (١٩) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَمْرُو النَّاقِدُ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَأَبُو كُرَيْبٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ. حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ الْقُعْقَاعِ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قَوْنًا.» وَفِي رِوَايَةِ عَمْرٍو: «اللَّهُمَّ ارْزُقْ.»

٧٣٦٨ - (٢٠) وَحَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشَجِيُّ. حَدَّثَنَا أَبُو أَسَامَةَ. قَالَ: سَمِعْتُ الْأَعْمَشَ، ذَكَرَ عَنْ عُمَارَةَ بْنِ الْقُعْقَاعِ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ. وَقَالَ: «كَفَافًا.»

٧٣٦٩ - (٢٠) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، (قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا.

قوله: (عن أنس بن مالك) هذا الحديث أخرجه المصنف فقط من بين الأئمة الستة، وأخرجه أيضاً ابن حبان، كما في ترتيب ابن بلبان (٩: ٤٦).

قوله: (فيقال لأركانها) أي: لأعضائها.

قوله: (فعنكر كنت أناضل) أي: أدافع. يخاطب أعضاءه فيقول: إنما كنت أريد أن أدفع عنكم النار.

١٨ - (١٠٥٥) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه المصنف أيضاً في الزكاة، باب في الكفاف والقناعة، والبخاري في الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ (٦٤٦٠)، والترمذي في الزهد، باب القناعة (٤١٩١)، وأحمد في مسنده (٢: ٢٣٢ و ٤٤٦ و ٤٨١)، وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان (٨: ٨٧) وقد مر شرحه في الزكاة.

قوله: (كفافاً) أي: بقدر ما يكفي لدفع الجوع وغيره.

وَقَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْأَسْوَدِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: مَا شَبِعَ آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ، مُنْذُ قَدِيمِ الْمَدِينَةِ، مِنْ طَعَامٍ بُرٍّ، ثَلَاثَ لَيَالٍ تَبَاعًا. حَتَّى قُبِضَ.

٧٣٧٠ - (٢١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ. (قَالَ) إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا. وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْأَسْوَدِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا شَبِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تَبَاعًا، مِنْ خُبْزِ بُرٍّ، حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ.

٧٣٧١ - (٢٢) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ يَزِيدٍ يُحَدِّثُ، عَنِ الْأَسْوَدِ، عَنْ عَائِشَةَ؛ أَنَّهَا قَالَتْ: مَا شَبِعَ آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ، يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ، حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

٧٣٧٢ - (٢٣) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَائِشٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: مَا شَبِعَ آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ خُبْزِ بُرٍّ، فَوْقَ ثَلَاثٍ.

٧٣٧٣ - (٢٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ

قوله: (عن عائشة) هذا الحديث أخرجه البخاري في الأطعمة، باب ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون (٥٤١٦)، وفي الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه (٦٤٥٤)، والترمذي في الزهد، باب ما جاء في معيشة النبي ﷺ وأهله (٢٣٥٧)، وابن ماجه في الأطعمة، باب خبز البر (٣٣٨٧)، وباب خبز الشعير (٣٣٨٩)، وأحمد في مسنده (٦: ١٢٨ و ١٥٦)، والبيهقي في شرح السنة (١٤: ٢٧٢).

قوله: (حتى قبض) قال الطبري: استشكل بعض الناس كون النبي ﷺ وأصحابه كانوا يظوون الأيام جوعاً، مع ما ثبت أنه كان يرفع لأهله قوت سنة، وأنه قسم بين أربعة أنفس ألف بعير مما أفاء الله عليه، وأنه ساق في عمرته مائة بدنة فتحرها وأطعمها المساكين، وأنه أمر لأعرابي بقطيع من الغنم وغير ذلك... والجواب أن ذلك كان منهم في حالة دون حالة، لا لعوز وضيق، بل تارة للإيثار وتارة لكرهه الشيع والكره الأكل ذكره الحفاظ في الفتح (١١: ٢٩١) ثم قال: «وما نفاء مطلقاً فيه نظر لما تقدم من الأحاديث... نعم؛ كان ﷺ يختار ذلك مع إمكان حصول التوسع والتبسط في الدنيا له، كما أخرج الترمذي من حديث أبي أمامة: «عرض عليّ ربّي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً، فقلت: لا، يا ربّ! ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً، فإذا جعت تضرعت إليك، وإذا شبعت شكرتك».

عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: مَا شَبِعَ آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ خَيْرِ الْبُرِّ، ثَلَاثًا، حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ.

٧٣٧٤ - (٢٥) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ. حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ مُسْعَرٍ، عَنْ هِلَالِ بْنِ خُمَيْدٍ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا شَبِعَ آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ يَوْمَيْنِ مِنْ خَيْرِ بُرٍّ، إِلَّا وَأَخَذَهُمَا تَمْرٌ.

٧٣٧٥ - (٢٦) حَدَّثَنَا عَمْرُو النَّاقِدُ. حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ. قَالَ: وَبَحِيحُ بْنُ يَمَانَ، حَدَّثَنَا عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: إِنْ كُنَّا، آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ، لَتَمَكُّتُ شَهْرًا مَا نَسْتَوْفِدُ بَنَارٍ. إِنْ هُوَ إِلَّا التَّمْرُ وَالْمَاءُ.

٧٣٧٦ - (١٠٠) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ. قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ وَابْنُ ثُمَيْرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ: إِنْ كُنَّا لَتَمَكُّتُ. وَلَمْ يَذْكُرْ آلَ مُحَمَّدٍ. وَزَادَ أَبُو كُرَيْبٍ فِي حَدِيثِهِ عَنِ ابْنِ ثُمَيْرٍ: إِلَّا أَنْ يَأْتِنَا اللَّحِيمُ.

٧٣٧٧ - (٢٧) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ بْنِ كُرَيْبٍ. حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا فِي رَفِيٍّ مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ

٢٦ - (٢٩٧٢) - قوله: (قال: وبحيح بن يمان حدثنا) هذا قول لعمرُو الناقد، وحاصله أن عمرًا الناقد رَوَاهُ عن عبدة وعن يحيى بن يمان.

قوله: (عن أبيه، عن عائشة) هذا الحديث أخرجه البخاري في الهبة، باب الهبة وفضلها والتحريض عليها (٢٥٦٧)، وفي الرقاق، باب كيف عيش النبي ﷺ وأصحابه (٦٤٥٨ و ٦٤٥٩)، والترمذي في القيامة، باب بدون ترجمة (٢٤٧١)، وأحمد في مسنده (٦: ٥٠ و ٧١ و ٨٦)، والبخاري في شرح السنة (١٤: ٢٧٣).

قوله: (كنا، آل محمد) هو منصوب على الاختصاص. وفيه دليل على أن لفظ آل تدخل فيه الأزواج.

(١٠٠) - قوله: (إلا أن يأتينا اللحيم) بضم اللام، تصغير للحجم، وفي التصغير إشارة إلى قلته. وسيأتي هذا الحديث مفصلاً بعد رواية واحدة.

٢٧ - (٢٩٧٣) - قوله: (عن عائشة، قالت: توفي) إلخ: هذا الحديث أخرجه البخاري في فرض الخمس، باب نفقة نساء النبي ﷺ بعد وفاته (٣٠٩٧)، وفي الرقاق، باب فضل الفقر (٦٤٥١)، والترمذي في القيامة، باب بدون ترجمة (٢٤٦٧)، وابن ماجه في الأطعمة، باب خبز الشعير (٣٣٨٨)، وابن حبان في صحيحه، كما في ترتيبه لابن بلبان (٨: ١١٠).

قوله: (وما في رفي) الرف، بفتح الراء وتشديد الفاء، شبه الطفاق في الحائط. وقال

ذُو كَيْدٍ. إِلَّا شَطْرُ شُعْبِرٍ فِي رَفْتٍ لِي. فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَلَا عَلَيَّ. فَنَكَلْتُهُ فَقَنِي.

٣٣٧٨ - (٢٨) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى. حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ رُوْمَانَ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ؛ أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ: وَاللَّهِ، يَا بْنَ أُكْتَيْ، إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ ثُمَّ الْهِلَالِ ثُمَّ الْهِلَالِ. ثَلَاثَةَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ. وَمَا أَوْقَدَ فِي أَيْتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارٌ. قَالَ: قُلْتُ: يَا خَالَه، فَمَا كَانَ يُعْيِشُكُمْ؟ قَالَتْ: الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ. إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ. وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ. فَكَانُوا

عياض: الرفت خشب يرتفع عن الأرض في البيت يوضع فيه ما يراد حفظه. والأول أقرب للمراد.

قوله: (إلا شطر شعبر) الشطر ههنا بمعنى البعض.

قوله: (فكلته ففني) يعني: أتي ما زلت أكل منه قبل أن أكيله، فلما كِلته تعجل نفاده. قال ابن بطال: «فيه أن الطعام المكمل يكون فتاؤه معلوماً للعلم بكيله، وأن الطعام غير المكمل فيه البركة، لأنه غير معلوم مقداره» وتعقبه الحافظ في الفتح (١١: ٢٨٠)، وقال: «في تعميم كل الطعام بذلك نظر. والذي يظهر أنه كان من الخصوصية لعائشة بركة النبي ﷺ... ويؤيده ما أخرجه مسلم من طريق معقل بن عبيد الله عن أبي الزبير، عن جابر: «أن رجلاً أتى النبي ﷺ يستطعمه، فأطعمه شطر وسق شعبر، فما زال الرجل يأكل منه وأمرأته وضيافتهما حتى كاله، فأنى النبي ﷺ فقال: لو لم تكله لأكلتم منه ونقام لكم» قال القرطبي: سبب دفع الماء من ذلك عند العصر والكيل - والله أعلم - الالتفات بعين الحرص مع معاينة إدراك نعم الله ومواهب كراماته ورؤية المنة لله تعالى، ولا يحدث في تلك الحالة تغييراً».

٢٨ - (٢٩٧٢) - قوله: (عن يزيد بن رومان) بضم الراء، هو الأسدي أبو روح المدني، مولى آل الزبير، تابعي ثقة كثير الحديث، مات (سنة: ١٣٠هـ) وأخرج له الجماعة.

قوله: (ثلاثة أهلة في شهرين) المراد بالهلال الثالث خلال الشهر الثالث، وهو يرى عند انقضاء الشهرين ويرويته يدخل الشهر الثالث.

قوله: (فما كان يعيشتكم) بضم الياء وكسر العين يقال: أعاشه الله، أي: أعطاه العيش. كذا ذكره الحافظ في الفتح (١١: ٢٩٣). وضبطه النووي بفتح العين وتشديد الياء، وهو من التعيش، والمعنى واحد، والمقصود: ما هو الذي كنتم تعيشون به؟

قوله: (الأسودان: التمر والماء) التمر أسود، فتعت الماء أيضاً بالأسود تغليباً، لكونه مقترناً به.

قوله: (وكانت لهم منافع) جمع منبحة، وهي الشاة أو الناقة التي تُعطى عارية، فالمراد

يُرْسَلُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَلْبَانِهَا، فَيُسْقِيْنَاهُ.

٧٣٧٩ - (٢٩) حَدَّثَنِي أَبُو الظَّاهِرِ أَحْمَدُ. أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ. أَخْبَرَنِي أَبُو صَخْرٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُسَيْطٍ. ح وَحَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ. حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ. أَخْبَرَنِي أَبُو صَخْرٍ، عَنْ ابْنِ قُسَيْطٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: لَقَدْ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَمَا شَبِعَ مِنْ خُبْرٍ وَرَلَيْتَ، فِي يَوْمٍ وَاجِدٍ، مَرَّتَيْنِ.

٧٣٨٠ - (٣٠) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى. أَخْبَرَنَا دَاوُدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَكِّي الْعَقَّارُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أُمِّهِ، عَنْ عَائِشَةَ. ح وَحَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ. حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَقَّارُ. حَدَّثَنِي مَنْصُورُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَجَبِيُّ، عَنْ أُمِّهِ، صَفِيَّةَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: تُوْفِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حِينَ شَبِعَ النَّاسُ مِنَ الْأَسْوَدَيْنِ: التَّمْرِ وَالْمَاءِ.

٧٣٨١ - (٣١) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى. حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ صَفِيَّةَ، عَنْ أُمِّهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: تُوْفِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ شَبِعْنَا مِنَ الْأَسْوَدَيْنِ: الْمَاءِ وَالتَّمْرِ.

٧٣٨٢ - (١٠٠) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ. حَدَّثَنَا الْأَشْجَعِيُّ. ح وَحَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ. حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ. كِلَاهُمَا عَنْ سُفْيَانَ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثَيْهِمَا عَنْ سُفْيَانَ: وَمَا شَبِعْنَا مِنَ الْأَسْوَدَيْنِ.

٧٣٨٣ - (٣٢) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَادٍ وَابْنُ أَبِي عُمَرَ. قَالَا: حَدَّثَنَا مَرْوَانُ، (بَعْيَانِ الْفَرَارِيِّ)، عَنْ يَزِيدَ، (وَهُوَ ابْنُ كَيْسَانَ)، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: وَالَّذِي

أَنَّهُمْ كَانُوا يَمْنَحُونَ شِيَاهَهُمْ نَلَآخِرِينَ، وَيَبْعَثُونَ بِأَلْبَانِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَوْ الْعَرَادِ أَنْ الْآخِرِينَ يَمْنَحُونَ لَهُمْ مَوَاشِيَهُمْ، فَيُؤْثَرُونَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَلْبَانِهَا.

٢٩ - (٢٩٧٤) - قوله: (عن عائشة زوج النبي ﷺ) هذا الحديث نفرد بإخراجه المصنف رحمه الله، والحديث الآتي جزء من الحديث السابق.

(١٠٠) - قوله: (وما شبعنا من الأسودين) ظاهره معارض للمرويات السابقة، حيث ذكرت أن رسول الله ﷺ توفي حين شبع الناس من التمر والماء، وحيث قالت: «توفي رسول الله ﷺ وقد شبعنا من الأسودين: التمر والماء» والجواب: أن الناس شبعوا بعد ما افتتحت خبير، وشبع أهل رسول الله ﷺ أيضاً من حيث إنهم قدروا على ذلك، ولكنهم أثروا بذلك الفقراء، فلم يشبعوا أياماً متوالية. كذا أفاده الأبى في شرحه.

٣٢ - (٢٩٧٦) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في الأطعمة، باب

نَفْسِي بِيَدِهِ - (وَقَالَ ابْنُ عَبَّادٍ: وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ) - مَا أَشْبَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَهْلَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تَبَاعًا، مِنْ خُبْرِ جَنْظَلَةٍ، حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا.

٧٣٨٤ - (٣٣) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ. حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ كَيْسَانَ. حَدَّثَنِي أَبُو حَازِمٍ. قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يُشِيرُ بِإِصْبَعِهِ مِرَارًا يَقُولُ: وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ، مَا شَبِعَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلُهُ، ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ تَبَاعًا، مِنْ خُبْرِ جَنْظَلَةٍ، حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا.

٧٣٨٥ - (٣٤) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو الْأَخْوَصِ، عَنْ سِمَاكِ. قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ: أَلَسْتُ فِي طَعَامٍ وَشَرَابٍ مَا شَبِعْتُمْ؟ لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ وَمَا يَجِدُ مِنَ الذَّقْلِ، مَا يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ. وَقُتَيْبَةُ لَمْ يَذْكُرْ بِهِ.

٧٣٨٦ - (٣٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ. حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ. حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ. ح وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ. أَخْبَرَنَا الْمُلَائِكِيُّ. حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ. كِلَاهُمَا عَنْ سِمَاكِ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، نَحْوَهُ. وَزَادَ فِي حَدِيثِ زُهَيْرٍ: وَمَا تَرْضَوْنَ دُونَ أَلْوَانِ الثَّمَرِ وَالزُّبَيْدِ.

٧٣٨٧ - (٣٦) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ، (وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى)، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ. قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ يَخْطُبُ قَالَ: ذَكَرَ عُمَرُ مَا أَصَابَ النَّاسُ مِنَ الدُّنْيَا. فَقَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَظِلُّ الْيَوْمَ يَلْتَوِي، مَا يَجِدُ دَقْلًا يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ.

ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون (٥٤١٤)، والترمذي في الزهد، باب ما جاء في معيشة النبي ﷺ وأهله (٢٣٥٨)، وابن ماجه في الأَطْعَمَةِ، باب خبز البر (٣٣٨٦)، وأحمد في مسنده (٢: ٤٣٤)، والبيهقي في شرح السنة (١٤: ٢٨٤).

قوله: (سمعت النعمان بن بشير) هذا الحديث أخرجه الترمذي في الزهد، باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ (٢٣٧٢)، وأحمد في مسنده (٤: ٢٦٨)، والبيهقي في شرح السنة (١٤: ٢٧٢).

٣٤ - (٢٩٧٧) - قوله: (من الذقل) يفتحين، هو الثمر الرديء.

٣٦ - (٢٩٧٨) - قوله: (ذكر عمر) يعني: ابن الخطاب ؓ، وأخرج حديثه هذا ابن ماجه في الزهد، باب معيشة آل محمد ﷺ (٤١٩٨)، وأحمد في مسنده ١: ٢٤، وابن حبان في صحيحه، كما في ترتيبه (٨: ٨٦).

٧٣٨٨ - (٣٧) حَدَّثَنِي أَبُو الظَّاهِرِ، أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ سَرِجٍ. أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ. أَخْبَرَنِي أَبُو هَانِيءٍ. سَمِعَ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبَلِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: أَلَسْنَا مِنْ فَقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ؟ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: أَلَا إِنَّكَ امْرَأَةٌ تَأْرِي إِلَيْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَلَا مَسْكَنٌ تَسْكُنُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَأَنْتَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ. قَالَ: فَإِنَّ لِي خَادِمًا. قَالَ: فَأَنْتَ مِنَ الْمُلُوكِ.

(...) قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ: وَجَاءَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، وَأَنَا عَنْدَهُ، فَقَالُوا: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، إِنَّا وَاللَّهِ، مَا نَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ. لَا نَفَقَةَ، وَلَا دَابَّةً، وَلَا

قوله: (بلتوي) أي: يقلب جسمه الشريف بسبب الجوع.

٣٧ - (٢٩٧٩) - قوله: (أبا عبد الرحمن الحبلي) بضم الحاء والياء، تقدم ترجمته في كتاب الإمارة، باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله.

قوله: (سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص) هذا الحديث ثم يخرج أحده من الستة إلا المصنف رحمه الله، وأخرجه أحمد في مسنده (٢: ١٦٩)، وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان (٢: ٣٤).

قوله: (ألسنا من فقراء المهاجرين؟) قال القرطبي: «هو سؤال تقرير. وكأنه سأل شيئاً من الشيء الذي قال الله تعالى فيه: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ (النشر، آية: ٨). فكانه قال: ألسنا من الفقراء المهاجرين المستحقين أن يأخذوا من الشيء؟».

قوله: (فأنت من الأغنياء) أفاد القرطبي رحمه الله ما حاصله أن عبد الله بن عمرو لم يؤد أن من له زوجة ودار، لا يستحق الأخذ من الشيء، ولم يرد أيضاً أن من له زوجة ودار لا يكون مهاجراً. وإنما رد عليه لتسمية نفسه فقيراً مهاجراً، وإدخاله في الجماعة الذين تحمّلوا من المتاعب ما لم يتحمّلها السائل، فذكر أن فضائل الفقراء المهاجرين إنما حصلت لأولئك الذين لم يكن لهم أهل ولا دار، كما كان أصحاب الصفة في أول الأمر. وكأنه آتس من السائل شيئاً من عدم الالتفات إلى النعم التي أنعم الله تعالى عليه بها، فأراد تذكيره بذلك وتوجيهه إلى ما يجب عليه من الشكر، والله أعلم.

قوله: (فأنت من الملوك) قال علي القاري في المرقاة (١٠: ٢٠): «ولعله اقتبس هذا الكلام من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ (العنكبوت، آية: ٢٠) على ما رواه عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾، قال: الزوجة والخادم، وزاد ابن جرير عنه: وكان الرجل من بني إسرائيل إذا كانت له الزوجة والخادم والدار يسمى ملكاً.

(٠٠٠) - قوله: (وجاء ثلاثة نفر إلى عبد الله) قال القرطبي: «هذه قضية أخرى. أخبروه

مَتَاع. فَقَالَ لَهُمْ: مَا شِئْتُمْ. إِنْ شِئْتُمْ رَجَعْتُمْ إِلَيْنَا فَأَعْطَيْنَاكُمْ مَا يَسَّرَ اللَّهُ لَكُمْ. وَإِنْ شِئْتُمْ ذَكَّرْنَا أَمْرَكُمْ لِلْسلْطَانِ. وَإِنْ شِئْتُمْ صَبَرْتُمْ. فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنْ فُقِرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الْأَغْنِيَاءَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَى الْجَنَّةِ، بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا». قَالُوا: فَإِنَّا نَصْبِرُ. لَا نَسْأَلُ شَيْئًا.

(١) - باب: «لا تدخلوا مساكن الذين

ظلموا أنفسهم، إلا أن تكونوا باكين»

٧٣٨٩ - (٣٨) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ. جَمِيعًا عَنْ إِسْمَاعِيلَ. قَالَ ابْنُ أَيُّوبَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ. أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،

أنهم فقراء، فخيرهم أن يصبروا، فيكونوا ممن وعد بالسبق إلى الجنة، أو يرفع أمرهم إلى السلطان فيعينهم، أو يواسيهم من ماله، فاخترأوا الصبر والبقاء على مضض الفقر.

قوله: (ما شئتم) (ما) استفهامية، أي: ماذا تشاؤون؟ ويمكن أن تكون موصولة وهي مع صلتها مبتداً، وخبره محذوف، تقديره: ما أردتم من الأمور التي ستعرض عليكم، فعلناه.

قوله: (أربعين خريفاً) أي: أربعين سنة، لأن فصل الخريف إنما يأتي مرة في السنة. وقد ورد عند الترمذي في الزهد من جامعه عن أبي هريرة مرفوعاً (رقم: ٢٣٥٤): «يدخل فقراء المسلمين قبل الأغنياء بنصف يوم، وهو خمسمائة عام» وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وظاهره معارض لحديث الباب، لأنه ذكر الفصل بين الأغنياء والفقراء أربعين سنة، وذكره حديث الترمذي خمسمائة عام. وأجاب عنه القرطبي بأن سَبَاقَ الفقراء يسبقون سَبَاقَ الأغنياء بأربعين عاماً، وفي غير سَبَاقِ الأغنياء بخمسمائة عام. إذ في كل صنف من الفقراء سَبَاق. كذا قال رحمه الله، كما نقل عنه الأبي. ويحتمل أن يكون عدد (أربعين) في حديث الباب لبيان طول المدة لا للتحديد.

ولعل سبب تقدم الفقراء إلى الجنة ما عانوه في الدنيا من المتاعب، وسبب تأخر الأغنياء أنه يطول حسابهم بحسب ما أوتوا في الدنيا من النعم، ولأنَّ الغنى ربما يقع الإنسان في الآثام والذنوب. أعادنا الله تعالى منها.

(١) - باب: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا باكين

٣٨ - (٢٩٨٠) - قوله: (سمع عبد الله بن عمر) هذا الحديث أخرجه البخاري في الصلاة، باب الصلاة في مواضع الخسف والعذاب (٤٣٣)، وفي الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَلْيَلِكُ سَمُودَ أَهْلَهُمْ مَكِيلًا﴾ (٣٣٨٠ و ٣٣٨١)، وفي المغازي، باب نزول النبي ﷺ الحجر (٤٤١٩)

لأَصْحَابِ الْحِجْرِ: «لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْمُعَذِّبِينَ. إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ. فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، أَنْ يَصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ».

٧٣٩٠ - (٣٩) حَدَّثَنِي حَزْمَةُ بْنُ يَحْيَى. أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ. أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، وَهُوَ يَذْكُرُ الْحِجْرَ، مَسَاكِينَ ثُمُودَ. قَالَ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ قَالَ: مَرَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْحِجْرِ. فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ. خَذَرًا أَنْ يَصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ» ثُمَّ زَجَرَ فَأَسْرَعَ حَتَّى خَلَفَهَا.

و (٤٤٢٠)، وفي التفسير، باب «وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ» (٤٧٠٢) وأخرجه أحمد في مسنده (٢: ٦٦ و ٩٦)، والبيهقي في شرح السنة (١٤: ٣٦١)، وابن حبان كما في ترتيبه (٨: ٢٧).

قوله: (لأصحاب الحجر) بكسر الحاء وسكون الجيم، وهي منازل ثمود، مر عليها رسول الله ﷺ عند توجهه إلى تبوك، وهي ما بين خيبر وتبوك، يشاهد فيها آثارهم حتى اليوم. وقوله (قال لأصحاب الحجر) معناه: قال في شأنهم لا أنه خاطبهم. وثمرود قبيلة من العرب الأولى، وهم قوم صالح عليه السلام، سميت بذلك لقلة مائها، والتمد: الماء القليل الذي لا مادة له. وقيل: ثمود اسم رجل. وكانت هذه القبيلة تنزل في وادي القرى إلى البحر والسواحل وأطراف الشام، وكانت أعمارهم طويلة، وكانوا يبنون المساكن فتنهدم، فاتخذوا من الجبال بيوتاً ينحتونها. ويقال: كانت منازلهم أولاً بأرض كوش من بلاد عالج، ثم انتقلوا إلى الحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى. كذا في عمدة القاري (٧: ٣٧٧).

قوله: (إلا أن تكونوا باكين) أي: اعتباراً بهم، ومراقبة لما أصابهم من العذاب عند عصيانهم. وزاد أحمد في رواية: «فإن لم تكونوا باكين فتباكوا» ذكره الحافظ في الفتح (٦: ٣٨٠).

قوله: (أن يصيبكم مثل ما أصابهم) أي: خشية أن يصيبكم، أو كراهية أن يصيبكم. قال عياض: «ومن عرف تقصير نفسه وعظيم سلطان ربه لم يأمن، فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون».

وفي هذا الحديث دلالة على أن منازل الأقوام المعذبة لا ينبغي أن يدخلها المرء إلا لضرورة، أو للاعتبار.

٣٩ - (٠٠٠) - قوله: (ثم زجر) أي: زجر مركبه ليُسرع. وقوله: (دخلها) أي: ترك منازل ثمود خلفه.

٧٣٩١ - (٤٠) حَدَّثَنِي الْحَكَمُ بْنُ مُوسَى، أَبُو صَالِحٍ. حَدَّثَنَا شُعَيْبُ بْنُ إِسْحَاقَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ؛ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ أَخْبَرَهُ؛ أَنَّ النَّاسَ نَزَلُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْحَجَرِ، أَرْضِي لَمُودَ. فَاسْتَقَوْا مِنْ آبَارِهَا. وَاعْتَجَنُوا بِهِ الْعَجِينَ. فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُهْرِيقُوا مَا اسْتَقَوْا وَيَعْلِفُوا الْإِبِلَ الْعَجِينَ. وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ الْبُئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرُدُّهَا النَّافَةُ.

٧٣٩٢ - (٤٠٠) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مُوسَى الْأَنْصَارِيُّ. حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ. حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، مِثْلَهُ. غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: فَاسْتَقَوْا مِنْ بَنَارِهَا وَاعْتَجَنُوا بِهِ.

(٢) - باب: الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم

٧٣٩٣ - (٤١) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمَةَ بْنِ قَعْنَبٍ. حَدَّثَنَا مَالِكٌ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي الْغَيْثِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،

٤٠ - (٢٩٨١) - قوله: (أي: يهريقوا ما استقوا) أي: يقدفوا الماء الذي استقوه من تلك الآبار. قال الحافظ في الفتح (٦: ٣٨): «ويلتحق بها نظائرها من الآبار والعيون التي كانت لمن هلك بتعذيب الله تعالى على كفره. واختلف في الكراهة المذكورة هل هي للتنزيه أو للتحريم؟ وعلى التحريم: هل يمنع صحة التطهر من ذلك الماء أم لا؟ وقال العيني في عمدة القاري (٧: ٣٨١): «والظاهر: لا يمتنع».

قال العبد الضعيف عفا الله عنه: وهذا النهي إنما يتأتى في الآبار والعيون التي تحقق فيها أن المعذبين كانوا يستقون منها، وليس المراد سائر الآبار والعيون التي تقع في تلك المنطقة، بدليل أن النبي ﷺ أمر الصحابة أن يستقوا من البئر التي كانت ترددها النافاة، كما سيأتي.

قوله: (ويعلفوا الإبل المعجين) فإن الماء لم تكن فيه نجاسة ظاهرة، وإنما منع من شربها لئلا يورث أخلاقهم الباطنة، والإبل غير مكلفة، فلم يكن هناك بأس في أن تعلف الإبل ذلك العجين.

قوله: (أن يستقوا من البئر التي كانت ترددها النافاة) قال الحافظ في الفتح: «سئل شيخنا الإمام البلقيني: من أين علمت تلك البئر؟ فقال: بالتواتر، إذ لا يشترط فيه الإسلام، انتهى. والذي يظهر أن النبي ﷺ علمها بالنوحى، ويحمل كلام الشيخ على من سيجيء بعد ذلك».

(٢) - باب: الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم

٤١ - (٢٩٨٢) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في النفقات، باب فضل النفقة على الأهل، وقول الله عز وجل (٥٣: ٥٣)، وفي الأدب، باب الساعي على الأرملة

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَأَحْسَبُهُ قَالَ - وَكَالْقَائِمِ لَا يَفْتُرُ، وَكَالضَّائِمِ لَا يَفْطُرُ».

٧٣٩٤ - (٤٢) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ. حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عِيسَى. حَدَّثَنَا مَالِكٌ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدٍ الدَّبَلِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْقَيْثِ يُحَدِّثُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَافِلُ الْيَتِيمِ، لَهُ أَوْ لغيرِهِ، أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ» وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى.

(٦٠٠٦)، وباب الساعي على المسكين (٦٠٠٧)، وأخرجه الترمذي في البر والصلة، باب ما جاء في السعي على الأرملة واليتيم (١٩٦٩)، والنسائي في الزكاة، باب فضل الساعي على الأرملة (٢٥٧٧)، وابن ماجه في التجارات، باب الحديث على المكاسب (٢١٥٦)، وأحمد في مسنده (٢: ٣٦١).

قوله: (الساعي على الأرملة) المراد بالساعي على الأرملة واليتيم: الكاسب لهما، العامل على مؤونتهما. والأرملة من لا زوج لها، سواء كانت تزوجت أم لا. وقيل: هي التي فارقت زوجها. قال ابن قتيبة: سميت أرملة لما يحصل لها من الإرمال، وهو الفقر وذهاب الزاد بفقد الزوج. يقال: أرمل الرجل، إذا فني زاده.

قوله: (وأحسبه قال) هذا الشك من عبد الله بن مسلمة القعنبي، كما صرح به البخاري في الأدب.

قوله: (لا يفتُر) بوزن (ينصر) أي: لا ينقطع من القيام ولا يتوانى. وهو من الفتور بمعنى الانقطاع.

٤٢ - (٢٩٨٣) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه المصنف فقط من بين الأئمة الستة، وأخرجه أحمد في مسنده (٢: ٣٧٥) وأخرج البخاري مثله عن سهل بن سعد في الأدب (٦٠٠٥).

قوله: (كافل اليتيم له أو لغيره) أي: القيم بأموره من النفقة والكسوة والتأديب وغير ذلك. أما قوله (له أو لغيره) فالمراد: أن هذه الفضيلة تحصل سواء كان اليتيم قريباً له وتحت ولايته الشرعية، كجده وعمه مثلاً، أو كان أجنبياً عنه، وإنما كفله في سبيل الله تعالى. ثم قال النووي: هذه الفضيلة تحصل لمن كفله من مال نفسه أو من مال اليتيم بولاية شرعية.

قوله: (كهاتين في الجنة) يعني: يكون قريباً مني في الدرجة؛ كما السبابة قريبة من الوسطة. قال ابن بطال: «حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك» كذا في فتح الباري (١٠: ٣٣٦).

(٣) - باب: فضل بناء المساجد

٧٣٩٥ - (٤٣) حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ عِيسَى - قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ - أَخْبَرَنِي عَمْرُو، (وَهُوَ ابْنُ الْحَارِثِ) أَنَّ بُكَيْرًا حَدَّثَهُ؛ أَنَّ عَاصِمَ بْنَ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ حَدَّثَهُ؛ أَنَّهُ سَمِعَ عُبَيْدَ اللَّهِ الْحَوْلَانِيَّ يَذْكُرُ؛ أَنَّهُ سَمِعَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، عِنْدَ قَوْلِ النَّاسِ فِيهِ جِئْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّكُمْ قَدْ أَكْثَرْتُمْ. وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا - قَالَ بُكَيْرٌ: حَبِثْتُ أَنَّهُ قَالَ - يَنْتَفِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ، بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ».

وَفِي رِوَايَةِ هَارُونٍ: «بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ».

٧٣٩٦ - (٤٤) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى - كِلَاهُمَا عَنِ الضَّحَّاكِ - قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى: حَدَّثَنَا الضَّحَّاكُ بْنُ مَخْلَدٍ - أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْحَمِيدُ بْنُ جَعْفَرٍ - حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ لَبِيدٍ؛ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ أَرَادَ بِنَاءَ الْمَسْجِدِ - فَكَّرَ النَّاسُ ذَلِكَ - وَأَحْبَبُوا أَنْ يَذْعَهُ عَلَى هَيْئَتِهِ - فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ، بَنَى اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ مِثْلَهُ».

٧٣٩٧ - (٥٠٠) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ الْحَنْفِيُّ وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ الصَّبَّاحِ - كِلَاهُمَا عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ جَعْفَرٍ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، غَيْرَ أَنَّ فِي حَدِيثِهِمَا: «بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ».

(٣) - باب: فضل بناء المساجد

٤٣ - (٢٩٣٣) - قوله: (سمع عثمان بن عفان) هذا الحديث أخرجه المصنف أيضاً في المساجد، باب فضل بناء المساجد والحث عليها وأخرجه البخاري في الصلاة، باب من بنى مسجداً، والترمذي في الصلاة، باب ما جاء في فضل ببناء المسجد (٣١٨)، وأحمد في مسنده (١: ٦١ و ٧٠)، وابن حبان في صحيحه كما في ترتيبه لابن بلبان (٣: ٦٨).

قوله: (عند قول الناس فيه) بيانه في الرواية الآتية أن الناس كرهوا من عثمان رضي الله عنه أن يغير من هيئة المسجد النبوي عما كان عليه في عهد الرسول الله ﷺ وفي عهد الشيخين. وقد مر شرح هذا الحديث مبسوطاً في كتاب المساجد، باب فضل بناء المساجد والحث عليها.

(٤) - باب: الصدقة في المساكين

٧٣٩٨ - (٤٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، (وَاللَّفْظُ لِأَبِي بَكْرٍ)، قَالَا: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ وَهْبِ بْنِ كَيْسَانَ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ اللَّيْثِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا رَجُلٌ بِقَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فَلَانٍ. فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابَ. فَأَقْرَعَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ. فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشَّرَاجِ قَدْ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ. فَتَتَبَعَ الْمَاءَ. فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمَسْحَاتِهِ. فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فَلَانٌ. لِلْإِسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي

(٤) - باب: الصدقة في المساكين

٤٥ - (٢٩٨٤) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث تفرد به المصنف من بين الأئمة الستة. وأخرجه أحمد في مسنده (٢: ٢٩٦)، وابن حبان في صحيحه، كما عند ابن بلبان (٥: ١٤٧).

قوله: (فسمع صوتاً في سحابة) أي: سمع هاتفاً يقول هذا الكلام وهو في سحابة، والظاهر أنه صوت ملك.

قوله: (اسقى حديقة فلان) يعني: أن الهاتف أمر السحاب بأن يسقي حديقة رجل سماه باسمه، فكنى عنه في الحديث بفلان.

قوله: (فتنحى ذلك السحاب) يعني: قصد. يقال: تنحيت الشيء وانتحيته: إذا قصدته. ويمكن أن يكون (تنحى) بمعنى أعرض. يعني: أعرض عن الطريق الذي كان يسير عليه، وقصد أرض فلان.

قوله: (فأقرع ماءه في حرّة) الحرّة: أرض ذات حجارة سود. والمراد أن ذلك السحاب أمطر على هذه الأرض.

قوله: (فإذا شرجة من تلك الشرايح) الشرجة، بفتح الشين وسكون الراء، مسيل الماء وجمعها شرايح. ووقع في رواية أحمد في مسنده: «فإذا هو في أذنان شراج، وإذا شرجة من تلك الشرايح قد استوعبت ذلك الماء» ومثله لابن حبان. والمعنى أن الحرّة كانت تخرج منها شراج، وشرجة واحدة منها جمعت الماء الذي نزل من السحاب.

قوله: (فتتبع الماء) يعني: سار مع تلك الشرجة ليعلم إلى أين تذهب هذه الشرجة بالماء؟ وفي رواية أحمد: «تبع الماء».

قوله: (يحول الماء بمسحاته) بكسر الميم، وهي المجرفة من الحديد أو غيره، وهي الآلة التي يقشر بها الطين، يقال: سحا الطين يسحبه ويسحوه ويسحاه، سحياً: إذا قشره وجرفه. والمراد أنه كان يحول الماء في حديقته من مكان إلى مكان، ويفعل ذلك بالمسحاة.

السُّحَابَةِ. فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السُّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَبِيبَتَهُ فَلَان. لَا سَمِيكَ. فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَا إِذْ قُلْتُ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلْثِهِ، وَأَكُلُ أَنَا وَهَيْبَالِي ثُلْثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلْثَهُ.

٧٣٩٩ - (٥٠٠) وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الضَّبِّيُّ. أَخْبَرَنَا أَبُو دَاوُدَ. حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ. حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ كَيْسَانَ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «وَأَجْمَلُ ثُلْثُهُ فِي الْمَسَاكِينِ وَالسَّائِلِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ».

(٥) - باب: من أشرك في عمله غير الله

(وفي نسخة: باب تحريم الرياء)

٧٤٠٠ - (٤٦) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ. حَدَّثَنَا إسماعيلُ بْنُ إبراهيمَ. أَخْبَرَنَا رَوْحُ بْنُ الْقَاسِمِ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْقُوبَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ:

قوله: (لا سمك) أي: قلت (لفلان) لا سمك المخصوص وبذله، فإن الهاتف صرح بالاسم.

قوله: (فما تصنع فيها؟) أي: ما تعمل فيها من الخير حتى تستحق هذه الكرامة؟

قوله: (فأتصدق بثلثه) فيه فضيلة الصدقة فوق مقدار الزكاة، وفيه استحباب أن يجعل المرء حصة معلومة من دخله للإنفاق في سبيل الله، ويعزله عن استعماله، فإنه يعينه على كثير من أعمال البر والخير.

وقال القرطبي: «وفي الحديث كرامة الأولياء، وأن الضيعة والمال لا ينافيان الولاية. وحديث: «لا تتخذوا الضيعة فتركتموها إلى الدنيا» هو فيمن اتخذها تكسراً وتمشاً بزهرتها. وأما من اتخذها معاشاً بصون بها الدين والعيال، فاتخاذها بهذه النية من أفضل الأعمال» كذا في شرح الأبي.

(٥) - باب: من أشرك في عمله غير الله

(وفي نسخة: باب تحريم الرياء)

٤٦ - (٢٩٨٥) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه ابن ماجه في الزهد، باب الرياء والسمعة (٤٢٥٥)، وأحمد في مسنده (٢: ٣٠١)، وابن خزيمة في صحيحه (٢: ٦٧)، وابن حبان في صحيحه، كما في ترتيبه لابن بلبان (١: ٣٠٧)، والبيهقي في شرح السنة (١٤: ٣٢٤).

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ. مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشَرَكْتُهُ».

٧٤٠١ - (٤٧) حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ بْنُ غِيَاثٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ سُمَيْعٍ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ أَبَانَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَمِعَ سَمْعَ اللَّهِ بِهِ. وَمَنْ رَأَى رَأْيَ اللَّهِ بِهِ».

قوله: (أشرك فيه معي غيري) إما بأن يُشركه في العمل صراحة، وهو الشرك الجلي، وإما بأن يطلب من وراء العمل رضا غير الله، وإن لم يصرح بالشرك، وهو الشرك الخفي الذي يسمى رياء.

قوله: (تركته وشركه) منصوب بواو المعية، والشرك هنا بمعنى الشريك، يعني: تركته مع الشريك الذي أراد هو رضاه، ولا أقبله لنفسه، فيكون عمله باطلاً لا ثواب فيه. ويحتمل أن يكون الشرك بمعنى المصداق، يعني: تركته على شركه استدراجاً له، حتى يستحق العذاب، أعاذنا الله تعالى منه.

٤٧ - (٢٩٨٦) - قوله: (إسماعيل بن سميع) بضم السين مصغراً، وهو أبو محمد الحنفي الكوفي يتبع الثياب السابرة كان بهسياً، وهم طائفة من الخوارج، يرى رأيهم، لكن خالفهم بأنه يقول: إن صاحب الكبيرة لا يكفر إلا إذا رفع إلى الإمام فأقيم عليه الحد، فحيث لا يحكم بكفره. قال أبو نعيم: إسماعيل بهسي جاور المسجد أربعين سنة لم يُر في جمعة ولا جماعة. تركه بعض المحدثين لمذهبه مثل زائدة وجريز وابن عيينة، لكن قال الآخرون إنه ثقة في الحديث، وهو قول البخاري وأحمد والقطان وغيره. وأخرج عنه مسلم وأبو داود والنسائي، وراجع تهذيب التهذيب (١: ٣٠٥).

قوله: (عن ابن عباس) هذا الحديث أخرجه المصنف فقط من بين الأئمة الستة، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، راجع الإحسان (١: ٣١٢).

قوله: (من سمع سمع الله به) يعني: من عمل عملاً يقصد به حسن سمعته وشهرته فيما بين الناس ليكرموا، ولم يقصد بالعمل رضا الله سبحانه، فإن الله تعالى يفضحه ويسيء سمعته يوم القيامة. وقيل: معناه أن من جعل يشهر عيوبه ويذيعها ليسمعها الناس، أظهر الله عيوبه. وقيل: أسمع ما يكرهه.

قوله: (ومن رأى رأى الله به) أي: من عمل عملاً يقصد به الرياء، ليراه الناس يفعل ذلك فيعتقدوا خيره، أرى الله الناس عيوبه في الآخرة ليفتضح أمامهم، وقيل: أراه الله ثواب ذلك للعمل من غير أن يعطيه إياه، ليكون حسرة عليه يوم القيامة، أعاذنا الله عنه.

٧٤٠٢ - ٤٨ - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كَهِيلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ جُنْدَباً الْعَلَقِيَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يَسْمَعْ يَسْمَعْ اللَّهُ بِهِ. وَمَنْ يَرَاهُ يَرَاهُ اللَّهُ بِهِ».

٧٤٠٣ - (١٠٠) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ. حَدَّثَنَا الْمَلَائِكِيُّ. حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ. وَرَأَى: وَلَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا غَيْرَهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

٧٤٠٤ - (١٠٠) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو الْأَشْعَثِيُّ. أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ حَرْبٍ - (قَالَ سَعِيدٌ: أَظَنُّهُ قَالَ: ابْنُ الْحَارِثِ بْنُ أَبِي مُوسَى) قَالَ: سَمِعْتُ سَلَمَةَ بْنَ كَهِيلٍ

٤٨ - (٢٩٨٧) - قوله: (سمعت جندباً العلقياً) بفتح العين واللام، منسوب إلى العلقمة، وهي بطن من بجيلة. واسمه جندب بضم الجيم والدال. وقد تفتح الدال كما في التقريب. وهو ابن عبد الله بن سفيان، وقد ينسب إلى جده، له صحبة، وقال البغوي عن أحمد: ليست له صحبة قديمة. وقال ابن حبان: هو جندب الخير. وقال خليفة: مات في فتنة ابن الزبير، وذكره البخاري فيمن توفي من السنين إلى السبعين. كذا في التهذيب (٢٠: ١١٨).

وحدث هذا أخرجه البخاري في الرقاق، باب الرياء والسمعة (٦٤٩٩)، وفي الأحكام، باب من شاق شاق الله عليه (٧١٥٢)، وابن ماجه في الزهد، باب الرياء والسمعة (٤٢٦٠)، وأحمد في مسنده (٤: ٣١٢)، والبغوي (١٤: ٣٢٣).

قوله: (من يسمع يسمع الله به) إلخ: معناه مثل ما تقدم في حديث ابن عباس. وقال ابن عبد السلام: (الرياء أن يعمل لغير الله، والسمعة أن يخفي عمله لله، ثم يحدث به الناس) كذا في فتح الباري (١١: ٣٣٦).

(١٠٠) - قوله: (ولم أسمع أحداً يقول: قال رسول الله ﷺ) قال الحافظ في الفتح: «قائل ذلك هو سلمة بن كهيل، ومراده أنه لم يسمع من أحد من الصحابة حديثاً مسنداً إلى النبي ﷺ إلا من جندب» ثم حقق الحافظ أنه كان في الكوفة في زمن سلمة بن كهيل عدة من الصحابة، ولكنه لم يسمع من أحد منهم بعد ما سمع هذا الحديث من جندب ﷺ.

(١٠٠) - قوله: (وأظنه قال: ابن الحارث) فسرّه الأبي بأن سفيان إنما سمّاه (وليد بن الحارث) دون (وليد بن حرب)، ولكن الصحيح (وليد بن حرب) ولعله قال ذلك لأنه ليس من الرواة أحد يسمى وليد بن الحارث يروي عن سلمة بن كهيل. أما وليد بن حرب، فهو كوفي معروف من ولد أبي موسى الأشعري ﷺ، كما ذكره ابن منجويه في رجال صحيح مسلم (٢: ٣٠٠، رقم: ١٧٤١). وبهذا الاسم ذكره الحافظ في التهذيب (١١: ١٣٣) والذهبي في الكاشف (٣: ٢٠٩، رقم: ٦١٧٠). ولكن يحتمل أن يكون مراد سعيد أنه يظن أن سفيان ذكر اسم جده مع اسم أبيه، فقال: (الوليد بن حرب بن الحارث بن أبي موسى) فذكر اسم الحارث كاسم جد

قَالَ: سَمِعْتُ جُنْدُباً (وَلَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَيْرَهُ) يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: بِبُئْلِ حَدِيثِ النَّوْزِيِّ.

له، لا أنه سماه (وليد بن الحارث) بدل (الوليد بن حرب) ثم وجدت في تاريخ الإمام البخاري ما يعين هذا الاحتمال، حيث قال: «وقال مسلم بن إبراهيم هو الوليد بن حرب بن الحارث بن أبي موسى الأشعري» راجع التاريخ الكبير (قسم ٢ ج ٤ ص: ١٤٣). والحارث بن أبي موسى اسم لأبي بردة التميمي المشهور، كما في التهذيب (١٢: ١٨).

وقد رأيت في الرواية السابقة أن سفيان روى هذا الحديث عن سلمة بن كهيل بلا واسطة، ورواه هنا بواسطة الوليد بن حرب، فإنه سمع الحديث بكلتا الطريقتين والله أعلم.

حقيقة الرياء ودرجاته

وإن أحاديث هذا الباب كلها تدل على حرمة الرياء والسمعة، وكونهما شعبة من الشرك، وسبباً لمقت الله تعالى وعذابه. فإليك جملة من حقيقة هذا الداء الأعضاء وبيان صورته الجليلة والخفية ملتقطاً من كلام الإمام الغزالي رحمه الله في إحياء علوم الدين (٣: ٢٩٠) قال رحمه الله تعالى:

«اعلم أن الرياء مشتق من الرؤية، والسمعة مشتقة من السماع. وإنما الرياء أصله طنب المنزلة في قلوب الناس بإراءتهم خصال الخير، إلا أن الجاه والمنزلة تطلب في القلب بأعمال سوى العبادات وتطلب بالعبادات، واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادات وإظهارها. فحذّ الرياء هو إرادة المنزلة بطاعة الله عز وجل. فالمرائي هو العابد، والمرأي له هم الناس المطلوب رؤيتهم لطلب المنزلة في قلوبهم، والمرأي به هو الخصال التي قصد المرائي إظهارها، والرياء هو قصده إظهار ذلك، والمرأي به كثير. ويجمعه خمسة أقسام هي مجامع يتزين به العبد للناس، وهو البدن، والزّي، والقول، والعمل، والاتباع، والأشياء الخارجة. وكذلك أهل الدنيا يراؤون بهذه الأسباب الخمسة، إلا أن طلب الجاه وقصد الرياء بأعمال ليست من الطاعات أهون من الرياء بالطاعات».

الأول: الرياء في الدين من جهة البدن، وذلك بإظهار النحول والاصفرار، ليوهم بذلك شدة الاجتهاد، وعظم الحزن على أمر الدين، وغلبة خوف الآخرة، وليدل بالنحول على قلة الأكل، وبالاصفرار على سهر الليل وكثرة الاجتهاد، وعظم الحزن على الدين. وكذلك يراني يتشعث الشعر ليدل به على استغراق الهم بالدين، وعدم الفراغ لتسريح الشعر... ويقرب من هذا خفض الصوت، وإغارة العينين، وذبول الشفتين ليستدل بذلك على أنه صائم مواظب على الصوم، وأن وقار الشرع هو الذي خفض من صوته وضعف الجوع هو الذي أضعف قوته... ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه أصبحوا صياماً مدهنين (رواه أبو نعيم في الحلية، كما في إتحاف السادة المتقين للزيدي ٨: ٢٦٩) فهذه مرآة أهل الدين بالبدن».

٧٤٥ - (١٠٠) وَحَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ . حَدَّثَنَا سُفْيَانُ . حَدَّثَنَا الصَّدُوقُ الْأَمِينُ ،
الْوَلِيدُ بْنُ حَرْبٍ ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ .

... الثاني : الرياء بالزِّي والهيئة . أما الهيئة فتشعبت شعر الرأس وحلق الشارب وإطراق الرأس في المشي ، والهدوء في الحركة ، وإيقاء أثر السجود على الوجه ، وغلظ الثياب ، وليس الصوف ، وتشميرها إلى قريب من نصف الساق ، وتقصير الأكمام ، وترك تنظيف الثوب ، وتركه مخرقاً ، كل ذلك يراني به ليظهر من نفسه أنه متبع للسهل فيه ، ومقتد فيه بعباد الله الصالحين . . .

... الثالث : الرياء بالقول ، ورياء أهل الدين بالوعظ والتذكير ، والتطق بالحكمة ، وحفظ الأخبار والآثار ، لأجل الاستعمال في المحاوراة ، وإظهاراً لغزارة العلم ، ودلالة على شدة العناية بأحوال السلف الصالح ، وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق ، وإظهار الغضب للمنكرات ، وإظهار الأسف على مقارفة الناس للمعاصي ، وإضعاف الصوت في الكلام وترقيق الصوت بقراءة القرآن ، ليُدل بذلك على الحزن والخوف ، وإدعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ ، والرد على من يروي الحديث بيان خلل في لفظه ، ليُعرف أنه بصير بالأحاديث ، والمبادرة إلى أن الحديث صحيح أو غير صحيح ، ليظهر للناس قوته في علم الدين . والرياء بالقول كثير ، وأنواعه لا تنحصر . . .

... الرابع : الرياء بالعمل ، كمرعاة المصلي بطول القيام ومد الظاهر ، وتطويل السجود والركوع ، وإطراق الرأس ، وترك الالتفات ، وإظهار الهدوء والسكون ، وتسوية القدمين واليدين . وكذلك الصوم والغزو ، والحج والصدقة ، وإطعام الطعام ، وبالإحبات في الشيء عند اللقاء ، كإرخاء الجفون ، وتنكيس الرأس ، والوقار في الكلام ، حتى أن المرائي قد يسرع في المشي إلى حاجته ، فإذا أطلع عليه واحد من أهل الدين ، رجع إلى الوقار وإطراق الرأس ، خوفاً من أن ينسبه إلى المعجلة وقلة الوقار ، فإن غاب الرجل عاد إلى عجلته ، وإذا رآه عاد إلى خشوعه ، ولم يحضره ذكر الله حتى يكون يجدد الخشوع له ، بل هو لا اطلاع لإنسان عليه ، يخشى أن لا يعتد فيه أنه من العباد والصلحاء . . .

... الخامس : المرعاة بالأصحاب والزائرين والمخالطين ، كالذي يتكلف أن يستزير عالماً من العلماء ، ليقال إن فلاناً قد زار فلاناً ، أو عابداً من العباد ليقال إن أهل الدين يتبركون بزيارته ويترددون إليه ، أو ملكاً من الملوك ، أو عاملاً من عمال السلطان ، ليقال إنهم يتبركون به ، لعظم رتبته في الدين . وكذلك الذي يكثر ذكر الشيوخ ، ليُرى أنه لقي شيوخاً كثيراً ، واستفاد منهم ، فيباهي بشيوخه . . . فهذه حقيقة الرياء وما يقع به الرياء .

«فإن قلت : فالرياء حرام ، أو مكروه ، أو مباح ، أو فيه تفصيل ؟ فأقول : فيه تفصيل ، فإن الرياء هو طلب الجاه ، وهو إما أن يكون بالعبادات أو بغير العبادات . فإن كان بغير العبادات ، فهو كطلب المال ، فلا يحرم ، من حيث إنه طلب منزلة في قلوب العباد ، ولكن كما يمكن كسب

المال بتلبيسات وأسباب محظورات، فكذلك الجاه، وكما أن كسب قليل من المال، وهو ما يحتاج إليه الإنسان، محمود، فكذلك كسب قليل من الجاه، وهو ما يسلم به من الآفات، محمود. وهو الذي طلبه يوسف عليه السلام حيث قال: ﴿إِنِّي خِفْتُ عَلَىٰ غَيْرِي﴾، وكما أن المال فيه سمّ نافع وترياق نافع، فكذلك الجاه. وكما أن كثير المال يُنهي ويُطغّي وينسي ذكر الله تعالى والدار الآخرة، فكذلك كثير الجاه، بل أشدّ، لأن فتنة الجاه أعظم من فتنة المال. وكما أنا لا نقول: تملك المال الكثير حرام، فلا نقول: تملك القلوب الكثيرة حرام، إلا إذا حمّله كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز. نعم! انصرف الهمّ إلى سعة الجاه مبدأ الشرور، كانصراف الهمّ إلى كثرة المال. ولا يقدر محبّ المال والجاه على ترك معاصي القلب واللسان وغيرها. فأما سعة الجاه، من غير حرص منك على طلبه، ومن غير اعتماد بزواله إن زال، فلا ضرر فيه. فلا جاء أوسع من جاء رسول الله ﷺ، وجاء الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين^٥.

«ولكن انصراف الهمّ إلى طلب الجاه نقصان في الدين، ولا يوصف بالتحريم. فعلى هذا نقول: تحمين الثوب الذي يلبسه الإنسان عند الخروج إلى الناس مراعاة، وهو ليس بحرام، لأنه ليس رياء بالعبادة، بل بالنديا. وقس على هذا كل تجمل للناس وتزين لهم. والتدليل عليه ما روي عن عائشة رضي الله عنها: «أن رسول الله ﷺ أراد أن يخرج يوماً على أصحابه، فكان ينظر في جب ثيابه ويسوي عمامته وشعره، فقالت: أو تفعل ذلك يا رسول الله؟ فقال: نعم، إن الله يحب من العبد أن يتزين إذا خرج لإخوانه» رواه ابن عدي في الكامل، كما في إتحاف السادة (٨: ٢٧٣) وذكر الحارثي في كتاب الطهارة (١: ١٣٧) أن ابن عدي قال: هذا حديث منكره.

نعم، هذا كان من رسول الله ﷺ عبادة لأنه كان مأموراً بدعوة الخلق إلى الله تعالى، وترغيبهم في الاتباع، واستمالة قلوبهم، ولو سقط من أعينهم لم يرغبوا في اتباعه، فكان يجب عليه أن يظهر محاسن أحواله، لكيلا تزدرية أعينهم، لأن أعين عوام الخلق تمتد إلى الظواهر دون السرائر، فكان ذلك قصد رسول الله ﷺ. ولكن لو قصد قاصد به أن يحسن نفسه في أعينهم خدراً من ذمهم ولومهم، واسترواحاً إلى توقيهم واحترامهم، كان قصداً مباحاً...^٨.

... فإذا، المراءاة بما ليس من العبادات قد تكون مباحة، وقد تكون طاعة، وقد تكون مذمومة، وذلك بحسب الغرض المطلوب بها^٩.

... وأما الرياء بالعبادات، كالصدقة، والصلاة، والقرآن، والحج، فللمرائي فيه حالتان: إحداهما أن لا يكون له قصد إلا الرياء المحض، دون الأجر. وهذا يبطل عبادته لأن الأعمال بالنيات. وهذا ليس بقصد العبادة. ثم لا يقتصر على إحباط عبادته حتى نقول: صار كما كان قبل العبادة، بل يعصي بذلك ويأثم لما دلت عليه الأخبار والآيات... فأما إذا قصد الأجر

(٦) - باب: التكلم بالكلمة يهوي بها في النار (وفي نسخة: باب حفظ اللسان)

٧٤٠٦ - (٤٩) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا بَكْرٌ، (يَعْنِي ابْنَ مُضَرَ)، عَنْ ابْنِ الْهَادِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَيْسَى بْنِ ظَلْحَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ

والحمد جميعاً في صدقته أو صلاته، فهذا الشرك الذي ينافض الإخلاص.

ثم ذكر رحمه الله تعالى أن من طلب الأجر والحمد جميعاً، له درجات بعضها فوق بعض، فأغلقها أن يكون طلب الحمد غالباً على طلب الأجر، بحيث لو كان في خنوة لم يعمل ذلك العمل، وأخف منها أن يكون قصد الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد خالياً عن الآخر ثم بيعته على العمل، فلما اجتماعا انبعث الرغبة، أو كان كل واحد لو انفرد لاستغنى بحمته على العمل. فهذا قد أفسد مثل ما أصلح، ويكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب، وظواهر النصوص تدل على أن مثل هذا الرجل لا يسلم.

وأخف درجات الرياء أن يكون اطلاع الناس مرجحاً ومقوياً لنشاطه، ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة، ولو كان قصد الرياء وحده، لما أقدم عليه. فالذي نظنه - والعلم عند الله - أنه لا يحبط أصل الثواب، ولكنه ينقص منه، أو يعاقب على مقدار قصد الرياء، ويثاب على مقدار قصد الثواب. وأما قوله عليه السلام: (أنا أغنى الأغنياء عن الشرك) فهو محمول على ما إذا تساوى الفصدان، أو كان قصد الرياء أرجح.

وقد أطال الإمام الغزالي رحمه الله في بيان أنواع الرياء، خفيها وجلتها، وطريق معالجة القلب لإزالة داء الرياء عنه، وحاصل المعالجة أن يستحضر المرء ما فيه من العقاب، وإحباط الأعمال الصالحة، ويتفكر في كون حمد الناس لا اعتبار له ولا قرار، وأن ذلك لا ينفع ولا يضر، وأن يتكلف مباشرة الأعمال النافلة في الخلوات مهما أمكن، ويتفكر في عظيم نعم الله تعالى عليه، وشناعة أن يطلب حمد غيره من وراء عبادته، وينظر في النصوص الواردة في ذم الرياء وكونه محبطاً للأعمال وشعبة من الشرك، أعادنا الله تعالى منه ومن جميع شعبه وفروعه. ومن أراد التفصيل فليراجع إحياء علوم الدين، وفي هذا القدر كفاية للمطالعين هنا إن شاء الله تعالى.

(٦) - باب: التكلم بالكلمة يهوى بها في النار (وفي نسخة: باب حفظ اللسان)

٤٩ - (٢٩٨٨) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في الرقاق، باب حفظ اللسان، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت (٦٤٧٧ و ٦٤٧٨)، وأخرجه الترمذي في الزهد، باب فيمن يتكلم بكلمة يضحك بها الناس (٢٣١٤)، وابن ماجه في

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْمَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، يَنْزِلُ بِهَا فِي النَّارِ، أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ».

الفتن، باب كَفَّ اللسان في الفتن (٤٠١٨)، وأحمد في مسنده (٢: ٣٣٤ و ٣٧٩)، والبخاري في شرح السنة (١٤: ٣١٣)، وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان (٧: ٤٨٥).

قوله: (لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ) أي: الكلام المشتمل على ما يفهم. وقد تطلق الكلمة على الكلام سواء طال أو قصر، كما يقال: كلمة الشهادة، وكما يقال للخطبة: كلمة فلان. وزاد في الرواية الآتية بعد هذا: «ما يتبين فيها» أي: لا يتطلب معناها، أي: لا يشتبه بفكره ولا يتأملها حتى تثبت فيها، فلا يقولها إلا إن ظهرت المصلحة فيها. وقال بعض الشراح: المعنى أنه لا يبينها بعبارة واضحة. كذا في فتح الباري (١١: ٣١٠).

ويحتمل أن يكون المراد أنه يتكلم بكلام دون تحقيق وتثبت، فينسب إلى رجل قولاً أو فعلاً بدون أن يتحقق من صحة النسبة إليه. وهذا كما ورد في الحديث: «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع».

قوله: (ينزل بها) وفي رواية البخاري: (يزل بها) ومعناها قريب.

قوله: (أبعد ما بين المشرق والمغرب) يعني: ينزل بها إلى أعماق جهنم بقدر أبعد مسافة ما بين المشرق والمغرب. قال ابن عبد البر: «الكلمة التي يهوي صاحبها بسببها في النار هي التي يقولها عند السلطان الجائر» وزاد ابن بطال: «بالبغي أو بالسعي على المسلم، فتكون سبباً لهلاكه، وإن لم يرد القاتل ذلك، لكنها ربما أدت إلى ذلك فيكتب على القاتل إثمها» ونقل عن ابن وهب أن المراد بها التلطف بالسوء والفحش ما لم يرد بذلك الجحد لأمر الله في الدين. وقال القاضي عياض: «يحتمل أن تكون تلك الكلمة من الخني والرفث، وأن تكون في التعريض بالمسلم بكبيرة أو بمجون، أو استخفاف بحق النبوة والشرعة وإن لم يعتقد ذلك. وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: «هي الكلمة التي لا يعرف القاتل حسناتها من قبحها» كذا في الفتح.

وقال النووي رحمه الله: «وهذا كله حث على حفظ اللسان، كما قال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت». وينبغي لمن أراد النطق بكلمة أو كلام أن يتدبره في نفسه قبل نطقه، فإن ظهرت مصلحته تكلم وإلا أمسك».

وقد وردت أحاديث كثيرة في الحث على الصمت والحذر من آفات اللسان، فمنها قوله ﷺ: «من يتوكل لي بما بين لحييه ورجليه أتوكل له بالجنة» رواه البخاري عن سهل بن سعد. ومنها حديث معاذ: قلت: يا رسول الله! أتؤاخذ بما نقول؟ فقال: «نكلتك أمك». وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم». أخرجه الأثرمزي والحاكم وصححا. ومنها قوله عليه السلام: «إن أكثر خطايا بني آدم في لسانه». أخرجه الطبراني والبيهقي في الشعب بسند

٧٤٠٧ - (٥٠) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ الْمُصَنِّفُ. حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ الدَّرَاوَرْدِيُّ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْهَادِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْرَاهِيمَ، عَنْ عِيسَى بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَّبِعُ مَا فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ، أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ».

(٧) - باب: عقوبة من يامر بالمعروف

ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله

٧٤٠٨ - (٥١) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ ثُمَيْرٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِسْرَاهِيمَ وَأَبُو كُرَيْبٍ - وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ - (قَالَ يَحْيَى وَإِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا. وَقَالَ الْآخَرُونَ: حَدَّثَنَا) أَبُو مُعَاوِيَةَ. حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: قِيلَ لَهُ: أَلَا تَدْخُلُ عَلَى عُثْمَانَ فَتُكَلِّمُهُ؟ فَقَالَ: أَتُرَوْنَ أَنِّي لَا أَكَلِّمُهُ إِلَّا أَسْمِعُكُمْ؟ وَاللَّهِ، لَقَدْ كَلَّمْتُهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ.....

حسن. كما في تخريج الإحياء للعراقي (٣: ١٠٦)، ولا بن أبي الدنيا جزء لطيف في الموضوع باسم (فضائل الصمت وآداب اللسان) وهو مطبوع متداول. وللإمام الغزالي رحمه الله كلام مستوعب في آفات اللسان، راجع له إحياء العلوم (٣: ١٠٤).

(٧) - باب: عقوبة من يامر بالمعروف ولا يفعله إلخ

٥١ - (٢٩٨٩) - قوله: (عن أسامة بن زيد) هذا الحديث أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة (٣٢٦٧)، وفي الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر (٧٠٩٨)، وأحمد في مسنده (٥: ٢٠٥ إلى ٢٠٩)، والحاكم في المستدرک (٤: ٨٩)، والبيهقي في شرح السنة (١٤: ٣٥١).

قوله: (ألا تدخل على عثمان فتكلمه) أي: في بعض الأمور التي أنكرها المنكرون على عثمان رضي الله عنه. وذكر المهلب أنهم قالوا ذلك عند ما نسب إلى الوليد بن عقبة أنه شرب الخمر، فأرادوا أن يكلمه أسامة ليقم عليه الحد، وكان أسامة من خواصه. ولكن لم يبين المهلب مستنده في ذلك. وسياق الرواية الآتية يدفعه، لفظها: «أما يمنعك أن تدخل على عثمان فتكلمه فيما يصنع» وظاهره أنهم أرادوا الكلام فيما يتعلق بصنيع عثمان رضي الله عنه، لا في صنيع غيره. وجزم الكرمانني بأن المراد أن يكلمه فيما أنكره الناس على عثمان من تولية أقاربه وغير ذلك مما اشتهر.

قوله: (أترؤن) بضم التاء، بمعنى تظنون، ويجوز أن يكون بفتح التاء، وهو من رأى رأياً.

قوله: (أني لا أكلمه إلا أسمعكم) يعني: هل تظنون أنني أخبركم بكل ما أكلم به عثمان،

مَا دُونَ أَنْ أَفْتَحَ أَمْرًا لَا أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ.

أو هل تظنون أنني لا أكلّمه إلا بمحضر منكم ومسمع؟ والاستفهام للتنفي. يعني: ليس الأمر كذلك، وإنما أكلّمه في الخلوة، وقد فعلت.

قوله: (ما دون أن أفتح أمراً لا أحب أن أكون أول من فتحه) المراد من الأمر ههنا الفتنة، ومن افتتاح الأمر إثارة الفتنة، والمقصود أنني أعظ الخليفة بدون أن أثير فتنة لا أريد أن أكون أول من أثارها، فلا أجاهر بالإنكار على الخليفة في ملا، وإنما أفعل ذلك سراً.

أدب النصيحة إلى السلطان

قال النووي: «وفيه الأدب مع الأمراء، واللفظ بهم، ووعظهم سراً، وتبليغهم ما يقول الناس فيهم ليكتفوا عنه. وهذا كله إذا أمكن ذلك، فإن لم يكن الوعظ سراً والإنكار، فليفعله علانية، لئلا يضيع أصل الحق».

قال العبد الضعيف عفا الله عنه: ما ذكره أسامة بن زيد عليه السلام مبنياً على إرشاد النبي صلى الله عليه وسلم فإنه قد روى عنه عياض بن غنم رضي الله عنه أنه قال: «من أراد أن ينصح لسلطان بأمر، فلا يبد له علانية، ولكن ليأخذ بيده فيخلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدى الذي عليه له» أخرجه أحمد في أحاديث هشام بن حكيم بن حزام من مسنده (٣: ٤٠٤)، وابن أبي عاصم في كتاب السنة (٢: ٥٠٧) ورجاله ثقات كما في مجمع الزوائد (٥: ٢٢٩)، وأخرجه أيضاً ابن عدي في الكامل (٤: ١٣٩٣) في ترجمة صدقة بن عبد الله أخرجه الحاكم في المستدرک (٣: ٢٩٠) بسند يتابع سند مسند أحمد، وإن كان فيه ابن زريق، وهو واه كما ذكره الذهبي.

ومن هنا، كان معظم الصحابة رضي الله عنهم يلتزمون هذا الأدب في نصيحهم للأمراء والحكام. وقد رفع سعيد بن جهمان إلى عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه شكوى السلطان، وقال: «إن السلطان يظلم الناس ويفعل بهم ويفعل بهم» فتناول عبد الله بن أبي أوفى يده فغمزها غمزة شديدة ثم قال: «ويحك يا بن جهمان، عليك بالسواد الأعظم مرتين. إن كان السلطان يسمع منك ما فاتته في بيته فأخبره بما تعلم. فإن قبل منك، وإلا فدعه، فإنك لست بأعلم منه» أخرجه أحمد في مسنده (٤: ٢٨٢ و ٢٨٣) وذكر الهيثمي في المجمع أن رجاله ثقات.

وقد أخرج البزار في مسنده عن زيد بن وهب قال: «أنكر الناس من أمير في زمن حذيفة شيئاً، فأقبل رجل في المسجد الأعظم يتخلل الناس، حتى انتهى إلى حذيفة وهو قاعد في حلقة، فقام على رأسه فقال: يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فرفع حذيفة رأسه، فعرف ما أراد، فقال حذيفة: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لحسن، وليس من السنة أن تشهر السلاح على أميرك» راجع كشف الأستار عن زوائد البزار (٢: ٢٥١)، رقم: (١٦٣٣) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥: ٢٢٤): «وفيه حبيب بن خالد، وثقه ابن حبان، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي».

وَلَا أَقُولُ لِأَحَدٍ، يَكُونُ عَلَيَّ أَمِيرًا: إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَنَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ

وبهذه الأحاديث والآثار يتبين أن كلمة الحق عند سلطان جائر إنما يقال بها نصحاً نه في خلوة ما وجد الإنسان إلى ذلك سبيلاً دون أن يجاهر بها المرء في المجامع بما يستب إهانتة وشتمه، وأما الخروج على السلطان، فقد بسطنا الكلام عليه وعلى جواز شروطه في كتاب الإمارة والحمد لله تعالى، فليراجعه من شاء.

قوله: (ولا أقول لأحد يكون عليّ أميراً إنه خير الناس) إلخ: اختلف الشراح في المقصود بهذا الكلام. فذكر القاضي عياض رحمه الله أن مقصوده نفى المداينة والتملق من نفسه، فإنه لما ذكر ما يدل على مداراته للسلطان، وعلى كراهية المجاهرة بالإنكار عليه، أتبعه بنفي المداينة، فقال: إني مع هذا لست مدايناً ولا مجاملاً للأمير بأن أقول له إنه خير الناس. فثبت المداراة ونفي شبهة المداينة. وضابط المداراة أن لا يكون فيها فحش في الدين. والمداينة المذمومة أن يكون فيها تزوين القبيح وتصويب الباطل ونحو ذلك.

وربما يتضح على هذا التفسير وجه قوي للاستدلال بالحديث الذي حدث به بعد ذلك، فإنه لا علاقة له في الظاهر بالمداينة، وإنما هو وارد في مذمة من يأمر الناس بالبر وينسى نفسه. لكن قال المهلب: «وذكر لهم قصة الرجل يطرح في النار لكونه كان يأمر بالمعروف ولا يفعله، لئبراً مما ظنوا به من سكوته عن عثمان» وذكر الحافظ في الفتح أن كلام المهلب ليس بواضح ولعل مراد المهلب أنهم ظنوا به أنه يداين أمام السلطان، مع كونه ينهى عن المداينة، فرد عليهم بهذا الكلام ويبن أنه لا يداين، لأنه سمع من رسول الله ﷺ الوعيد الشديد لمن ينهى الناس عن شيء، ويرتكبه بنفسه.

وذكر الأبني وجهاً آخر في وجه استدلاله بالحديث، فقال: «الحديث كما دل بالنص على عقوبة من ينهى عن المنكر ويفعله، فهو أيضاً يدل بالضرورة على عقوبة من لم ينه، فكأنه قال: لم لا أنهى وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول».

قال العبد الضعيف عفا الله عنه: ويحتمل أيضاً أن يكون مراد أسامة ﷺ أنه لا يقول للأمير إنه خير الناس، لأن من وظائف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكنه قد يقع بمقتضى البشرية في بعض ما ينهى عنه الناس، فيصير مصداقاً لوعيد الحديث، فكيف يكون خير الناس؟

وقد فسر الحافظ كلام أسامة بطريق آخر، فذكر ما حاصله أنه نيس مقصود هذا الكلام نفي المداينة عن نفسه، وإنما أراد أنه لا يحب لنفسه أن يقبل الإمارة، لأن الأمير في معرض قوي لوعيد هذا الحديث، لكونه يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر حسب وظيفة الإمامة، ولكنه قد يقع منه تقصير في عمل نفسه، فيصير مصداقاً لهذا الحديث. فتقوله (لا أقول...) إنه خير الناس) المقصود منه أن الأمير لا يكون أفضل الناس حتى يتمنى الإنسان أن يكون أميراً،

«يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَيُلْقَى فِي النَّارِ. فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ. فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى. فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ. فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ، مَا لَكَ، أَلَمْ تُكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى. قَدْ كُنْتُ أَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ».

لأنه معرض لوعيد الحديث. هذا ما فهمته من كلام الحافظ في الفتح (١٣: ٥٢)، وهو - على بعده - محتمل، ولعل التفسير الأول أولى وأرجح، والله سبحانه وتعالى أعلم.

قوله: (يؤتى بالرجل) وفي رواية عاصم بن بهدلة عند أحمد: «يجاء بالرجل الذي كان يطاع، في معاصي الله فيقذف في النار».

قوله: (فتندلق أقتاب بطنه) الاندلاق: الخروج بسرعة. يقال: اندلق السيف من غمده: إذا خرج من غير أن يسله أحد. والأقتاب جمع القُتْب، بكسر القاف وسكون التاء، وهي الأمعاء. وقال الأصمعي: مفردا قُتْبَة. وبه سمي الرجل قُتْبِيَّة، لأنه تصغيرها. وقيل: الأقتاب: ما استدار من البطن، وهي الحوايا، وأما الأمعاء، فهي الأقتاب. كذا في شرح الأبي.

قوله: (أمر بالمعروف ولا آتية) وجه العذاب هو الجزء الثاني، أعني عدم إتيانه بالمعروف، لا أمره بالمعروف، لما تقرر من أنه ليس من شرط الأمر بالمعروف أن يعمل الأمر بذلك. وكذلك يقال في النهي عن المنكر.

متى يجب الأمر بالمعروف ومتى لا يجب

وقد تكلم العلماء في الأحوال التي يجب فيها الأمر بالمعروف وفيما لا يجب فيه. وأحسن ما رأيت فيه كلام جامع نقله العيني رحمه الله في البناية شرح الهداية (٣: ٨٨١) (في أواخر كتاب الغصب) عن يستان أبي الليث وغيره، ونصه: «الأمر بالمعروف على وجوه: إن كان يعلم بأكبر رايه أنه لو أمر بالمعروف يقبلون منه ويمتنعون عن المنكر، فالأمر واجب عليه لا يسعه تركه، ولو علم بأكبر رايه أنهم يقذفون بذلك ويشتمونه فتركه أفضل. وكذا لو علم أنهم يضربونه ولا يصبر على ذلك وتقع بينهم العداوة يهيج منه القتال فتركه أفضل. ولو علم أنه يصبر على ضربهم ولم يشك إلى أحد فلا بأس به وهو مجاهد. ولو علم أنهم لا يقبلون منه ولا يخاف ضرباً ولا شتماً فهو بالخيار، والأمر بالمعروف أفضل. وذكر المحبوبي مطلقاً، فقال: الأمر بالمعروف واجب أو فرض إذا غلب على ظنه أنهم يتركون الفسق بالأمر، ولو غلب على ظنه أنهم لا يتركون، لا يكون آمناً في تركه» ونقله ابن عابدين في تنقيح الحامدية (٢: ٣٦٣) مسائل شتى.

وفي الهداية (٣: ٣٨٨): «الأمر بالمعروف باليد إلى الأمراء لقدرتهم، وباللسان إلى غيرهم» وذكر في العالمكية (٥: ٣٥٣): «ويقال: الأمر بالمعروف باليد على الأمراء، وباللسان على العلماء، وبالقلب لعوام الناس».

٧٤٠٩ - (٠٠٠) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ. قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ. فَقَالَ رَجُلٌ: مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَدْخُلَ عَلَى عُثْمَانَ فَتُكَلِّمَهُ فِيمَا يَضُنُّ؟ وَسَأَى الْحَدِيثَ بِمِثْلِهِ.

(٨) - باب: النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه

٧٤١٠ - (٥٢) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ. (قَالَ عَبْدُ) حَدَّثَنِي. وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ. حَدَّثَنَا ابْنُ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَمِّهِ. قَالَ: قَالَ سَالِمٌ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّ أَمْنِي مُعَافَاةٌ إِلَّا الْمَجَاهِرِينَ».....

(٨) - باب: النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه

٥٢ - (٢٩٩٠) - قوله: (ابن أخي ابن شهاب) هو محمد بن عبد الله بن مسلم الزهري، وقد روى عن عمه محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أحاديث، اختلفت أقوال العلماء في توثيقه وجرحه، وقد روى عنه الجماعة. قال الواقدي: قتله غلمان بأمير ابنه لأمواله بناحية شعب، وكان ابنه سقيهاً شاطراً قتله للميراث في آخر خلافة أبي جعفر (سنة: ١٥٢ هـ) قال ابن حبان: كان رديء الحفظ وكثير الوهم. لكن قال ابن عدي: لم أر بحديثه بأساً، ولا رأيت له حديثاً منكراً. وقد ذكره محمد بن يحيى الذهلي في الطبقة الثانية من أصحاب الزهري مع أسامة بن زيد وابن إسحاق وابن أويس وفليح، ولكن ذكر أنه روى ثلاثة أحاديث لم يجد لها أصلاً، وذكر من جملتها حديث الباب: «كل أمني معافي إلا المجاهرين» كما في تهذيب التهذيب (٩: ٢٧٩) ولكن ذكر الحافظ في هدى الساري (ص: ٤٤٠) أن البخاري لم يخرج من أحاديثه إلا ما توبع عليه موصولاً ومعلقاً، ولم يذكر هناك متابعاً له في حديث الباب، لكن ذكر في فتح الباري (١٠: ٤٨٦) أنه تابعه فيه إبراهيم بن سعد فروى هذا الحديث مرة بواسطة ابن أخي الزهري، وأخرى عن الزهري الكبير بدون واسطة ابن أخيه. فلعل الشيوخ أخرجوا هذا الحديث من أجل هذه المتابعة، والله سبحانه أعلم.

قوله: (سمعت أبا هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه (٦٠٦٩).

قوله: (كل أمني معافاة) كذا وقع في معظم نسخ مسلم بالتاء في آخره، وهي تاء التأنيث تعود إلى الأمة. ووقع في رواية البخاري: (معافي) وهو راجع إلى لفظ (كل). وعلى كلا التقديرين هو اسم مفعول من المعافاة المشتقة من العافية، وهو إما بمعنى (عفا الله عنه) أو بمعنى سلمه الله وأعطاه العافية.

قوله: (إلا المجاهرين) كذا وقع منصوباً في أكثر الروايات عند البخاري ومسلم. ووقع في

وَأَنَّ مِنَ الْإِجْهَارِ أَنْ يَعْمَلَ الْمُعْبِدُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُضَيِّعُ قَدْ سَتَرَهُ رَبُّهُ، فَيَقُولُ: يَا فَلَانُ، قَدْ

رواية النسفي للبخاري: (إلا المجاهرون) بالرفع. وصوابه عند البصريين بالنصب لكون المستثنى منه مذكوراً، وهو (أمتي). وأول بعضهم رواية الرفع بأن (إلا) بمعنى (لكن) (مخففة) والمجاهرون مبتدأ، خبره محذوف، وهو (لا يُعافون).

والمجاهر هو الذي أظهر معصيته وكشف ما ستر الله عليه فيحدث بها لغير ضرورة ولا حاجة. أو ارتكب المعصية علناً بمحضر من الناس. ودلّ الحديث على كون المجاهرة بالمعصية أشدّ وأشدّ من ارتكابها في الخلوات. قال ابن بطال: «في الجهر بالمعصية استخفاف بحق الله ورسوله وبصالح المؤمنين، وفيه ضرب من العناد لهم، وفي الستر بها السلامة من الاستخفاف، لأن المعاصي تذلل أهلها».

ثم قد يستشكل حديث الباب بأنه إن كان المراد من العافية السلامة من العذاب بالتوبة، فذلك حاصل للمجاهر أيضاً، فكيف يصح الاستثناء، وإن كان المراد السلامة بدون التوبة فهي غير حاصل للمسّر بالمعصية أيضاً فكيف يصح المستثنى منه؟ ويمكن الجواب عن هذا الإشكال بطرق:

١ - ذكر الطيبي في الكاشف ٩ : ١٠٧ أن المراد من العافية في الحديث السلامة من الغيبة، فمن أسرّ بمعصيته حرم على الناس اغتيابه. أمّا من جاهر بالمعصية فلا يحرم على الناس غيبته، (يعني: لا يحرم على أحد أن يذكر في غيبته أنه ارتكبها) فالمسّر مُعَافَى من قِبَل الناس بأنهم يتركون اغتيابه، وليس يصدق ذلك على المجاهر.

٢ - ذكر علي القاري في المرقاة (٩ : ١٤٥) ما حاصله أن المراد من العافية السلامة من العذاب الشديد، وهي حاصلة للمسّر، دون المجاهر، لأن عذاب المجاهر شديد.

٣ - يحتمل أن يكون المراد من العافية السلامة من الكفر، ومن المجاهر المستحلّ للمعصية القطعية، والحاصل أن من أسرّ بمعصية مع اعتقاده أنها معصية يسلم من الكفر. أمّا من جاهر بها اعتقاداً بكونها حلالاً، فإنه يكفر إن كانت المعصية قطعية.

٤ - والأظهر - فيما يبدو لهذا العبد الضعيف عفا الله عنه - أن يقال: إن من يُسّر بمعصيته، فإنه يُرجى منه التوبة لأن إسراره بالمعصية مشعر بكونه نادماً عليها، بخلاف المجاهر، فإنه لا يندم على ما فعله، فلا يتوقع من ظاهر حاله أن يتوب منها إلا ما شاء الله. فالمراد من العافية في الحديث رجاء التوبة منه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

قوله: (وإنّ من الإجهار) كذا وقع في أكثر النسخ بالهمزة في أوله، ووقع في بعضها (جهار) بدون الهمزة، وهو مصدر جَهَرَ. ووقع في رواية البخاري (من المجاهرة) وكل واحد من هذه الألفاظ صحيح، لأن جهر وأجهر وجاهر بمعنى واحد. وذكر المصنف في آخر الحديث أن

عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا. وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، فَيَبِثُ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُضِيحُ يَكْثِفُ يَسْرُ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ زُهَيْرٌ: «وَإِنْ مِنَ الْهَجَارِ».

(٩) - باب: تشميت العاطس، وكراهة التثاؤب

٧٤١١ - (٥٣) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شُمَيْرٍ. حَدَّثَنَا حَفْصُ، (وَهُوَ ابْنُ غِيَاثٍ)، عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: عَطَسَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلَانِ فَشَمَّتْ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُشَمِّتِ الْآخَرَ. فَقَالَ الَّذِي لَمْ يُشَمِّتْهُ: عَطَسَ فَلَا أُنْفِثُهُ، وَعَطَسْتُ أَنَا فَلَمْ تُشَمِّتْنِي. قَالَ: «إِنْ هَذَا عَجَدَ اللَّهُ. وَإِنَّكَ لَمْ تَحْمِدِ اللَّهَ».

٧٤١٢ - (١٠٠) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ. حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ، (يَعْنِي الْأَحْمَرَ)، عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَنَسِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. بِمِثْلِهِ.

زُهَيْرًا رَوَاهُ (وَإِنْ مِنَ الْهَجَارِ) وَهُوَ مِنَ الْهَجَرِ، بِضَمِّ الْهَاءِ، بِمَعْنَى الْفَحْشِ وَالْخَنَاءِ.

وقد وقع في بعض روايات البخاري: «وَإِنْ مِنَ الْمَجَانَةِ» وقد اختارها صاحب المشكاة، وأنكرها ابن بظال وزعم أنه تصحيف. لكن قال الحافظ في الفتح (١٠: ٤٨٧): «بل الذي يظهر رجحان هذه الرواية، لأن الكلام المذكور بعده لا يرثب أحد أنه من المجاهرة، فليس في إعادة ذكره كبير فائدة. وأما الرواية بلفظ المجانة، فتفيد معنى زائداً، وهو أن الذي يجاهر بالمعصية يكون من جملة المجان. والمجانة مذمومة شرعاً وعرفاً».

(٩) - باب: تشميت العاطس وكراهة التثاؤب

قوله: (عن أنس بن مالك) هذا الحديث أخرجه البخاري في الأدب، باب الجهر للعاطس (٦٢٢١)، وباب لا يشمت العاطس إذا لم يحمد الله (٦٢٢٥)، وأبو داود في الأدب، باب فيمن يعطس ولا يحمد الله (٥٠٣٩)، والترمذي في الأدب، باب ما جاء في إيجاب التشميت بحمد العاطس (٢٧٤٢)، وابن ماجه في الأدب، باب تشميت العاطس (٣٧٥٧)، وأحمد في مسنده (٣: ١١٧)، والبيهقي في شرح السنّة (١٢: ٣١١)، وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان لابن بظال (١: ٤٠٢).

قوله: (فشمت أحدهما) ينصب الدان، وضمير الفاعل راجع إلى النبي ﷺ.

قوله: (وَإِنَّكَ لَمْ تَحْمِدِ اللَّهَ) فيه دليل على أنه لا يجب التشميت إذا لم يحمد العاطس. وقد استوفينا الكلام بفضل الله تعالى على مسائل التشميت في كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، (رقم: ٥٦٠٦).

٧٤١٣ - (٥٤) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَصَحَّمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، (وَاللَّفْظُ لِرُهَيْرٍ)، قَالَ: حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ مَالِكٍ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ كُلَيْبٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي مُوسَى، وَهُوَ فِي بَيْتِ بِنْتِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ. فَعَطَسْتُ فَلَمْ يُشْمَنْتَنِي. وَعَظَسْتُ فَشَمَّتْنِي. فَرَجَعْتُ إِلَى أُمِّي فَأَخْبَرْتَهَا. فَلَمَّا جَاءَهَا قَالَتْ: عَطَسَ عِنْدَكَ ابْنِي فَلَمْ تُشَمِّتْهُ، وَعَظَسْتُ فَشَمَّتْنِي. فَقَالَ: إِنَّ ابْنَكَ عَطَسَ، فَلَمْ يَحْمِدِ اللَّهَ، فَلَمْ أَشَمِّتْهُ. وَعَظَسْتُ فَحَمِدَتِ اللَّهَ، فَشَمَّتْنِي. سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدِ اللَّهَ فَشَمِّتُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَحْمِدِ اللَّهَ، فَلَا تُشَمِّتُوهُ».

٧٤١٤ - (٥٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ. حَدَّثَنَا وَكِيعٌ. حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَارٍ، عَنْ إِيَّاسِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ، عَنْ أَبِيهِ. ح وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، (وَاللَّفْظُ لَهُ)، حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ. حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَارٍ. حَدَّثَنِي إِيَّاسُ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ؛ أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ؛ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، وَعَظَسَ رَجُلٌ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: «يَزْحَمُكَ اللَّهُ» ثُمَّ عَطَسَ أُخْرَى فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الرَّجُلُ مَرْكُومٌ».

٧٤١٥ - (٥٦) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ.

٥٤ - (٢٩٩٢) - قوله: (دخلت على أبي موسى) هذا الحديث أخرجه المصنف فقط من بين الأئمة الستة، وأخرجه أحمد في مسنده (٤: ٤١٢)، والحاكم في المستدرک (٤: ٢٦٥)، والبيهقي في شرح السنة (١٢: ٣١٢).

قوله: (في بيت بنت الفضل بن عباس) هي أم كلثوم بنت الفضل بن عباس امرأة أبي موسى الأشعري، تزوجها بعد فراق الحسن بن علي لها، وولدت لأبي موسى ومات عنها، فتزوجها بعده عمران بن طلحة ففارقها، ومات بالكوفة ودفنت بظاهرها، كذا في شرح النووي.

قوله: (فرجعت إلى أمي) وهي ضرة لبنت الفضل بن عباس، وكانت غارت على ابنها.

٥٥ - (٢٩٩٣) - قوله: (أن أباه حدثه) يعني: سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، وهذا الحديث أخرجه أبو داود في الأدب، باب كم مرة يشمت العاطس (٥٠٣٧)، والترمذي في الأدب، باب ما جاء كم يشمت العاطس (٢٧٤٣)، وابن ماجه في الأدب، باب تشمت العاطس (٣٧٥٨)، وأحمد في مسنده (٤: ٤٦ و ٥٠)، وابن حبان عند ابن بلبان (١: ٤٠٣).

قوله: (الرجل مركوم) إنما قال ذلك في المرة الثانية لما علم أنه مركوم، وإلا فقد ورد في الأحاديث الأخرى أنه ينبغي التشمت إلى ثلاث مرّات. وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتاب السلام.

قَالُوا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، (يَعْتُونَ ابْنَ جَعْفَرٍ)، عَنِ الْمَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «التَّائِبُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَنَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَكْظُمْ مَا اسْتَطَاعَ».

٧٤١٦ - (٥٧) حَدَّثَنِي أَبُو عَسَاةٍ الْيَمَعِيُّ، مَالِكُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ. حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ

٥٦ - (٢٩٩٤) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده (٣٢٨٩)، وفي الأدب، باب ما يستحب من العطاس وما يكره من التثاؤب (٦٢٢٣)، وباب إذا تئأب فليضع يده على فيه (٦٢٢٦)، وأخرجه أبو داود في الأدب، باب ما جاء في التثاؤب (٥٠٢٨)، والترمذي في الصلاة، باب ما جاء في كراهية التثاؤب في الصلاة (٣٧٠)، وفي الأدب، باب ما جاء أن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب (٢٧٤٦ و ٢٧٤٧)، وأحمد في مسنده (٢: ٤٢٨)، وابن خزيمة في صحيحه (٢: ٦١)، وابن حبان في صحيحه كما في ترتيبه (١: ٤٠١ و ٤: ٤٤)، والبيهقي في شرح السنة (١٢: ٣٠٦).

قوله: (التثاؤب من الشيطان) التثاؤب مهموز، وتُثِب الرجل، بالبناء للمجهول، وتثأب: إذا أصابه كسل وفترة، كما في القاموس، ثم استعبر للفعل المخصوص الذي يفتح فيه المرء فمه لإدخال الهواء أو إخراجهِ. والاسم منه ثوباء. قال ابن بطال: «إضافة التثاؤب إلى الشيطان بمعنى إضافة للرضا والإدارة، أي: أن الشيطان يحب أن يرى الإنسان متثائباً، لأنها حالة تتغير فيها صورته فيضحك منه، لا أن المراد أن الشيطان فعل التثاؤب».

وقال ابن العربي: «قد بينا أن كل فعل مكروه نسبته الشيطان لأنه واسطته، وأن كل فعل حسن نسبته الشيطان لأنه الملك لأنه واسطته... والتثاؤب من الامتلاء وينشأ عنه التكاسل، وذلك بواسطة الشيطان» كذا في فتح الباري (١٠: ٦١٢).

وقال النووي: «وفي البخاري أن النبي ﷺ قال: إن الله تعالى يحب العطاس ويكره التثاؤب. قالوا: لأن العطاس يدل على النشاط وخفة البدن، والتثاؤب بخلافه، لأنه يكون غالباً مع ثقل البدن وامتلائه واسترخائه وميله إلى الكسل. وإضافته إلى الشيطان لأنه الذي يدعو إلى الشهوات، والمراد التحذير من السبب الذي ينولد منه ذلك، وهو التوسع في المأكل وإكثار الأكل».

قوله: (إذا تئأب أحدكم) أي: إذا أراد أن يتثأب، أو كاد أن يتثأب. وقد وقع في بعض النسخ (تأوب) بالواو، وذكر أكثر أهل اللغة أنه خطأ لغة، ومنهم من صححه من جهة أن الهمز قد تبدل واواً. وكذلك يقال في الروايات الآتية التي وردت بالواو.

قوله: (فليكظم ما استطاع) أي: فليأخذ في أسباب رده، مثل أن يمسك شفته السفلى بشنايه، أو بطريق آخر. والتجربة أن عدم الالتفات إلى التثاؤب والاشتغال بعمل ينافي الكسل يفيد في كظم التثاؤب. ومن أقوى طرق ردة التثاؤب أن يستحضر هذا الحديث.

الْمُقَصِّل. حَدَّثَنَا سُهَيْلُ بْنُ أَبِي صَالِحٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ يُحَدِّثُ أَبِي عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا تَنَافَوْا أَحَدُكُمْ، فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ عَلَى فِيهِ. فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ».

٥٧ - (٢٩٩٥) - قوله: (سمعت ابناً لأبي سعيد) هو عبد الرحمن بن أبي سعيد، كما صرح به عبد العزيز بن محمد، عن سهيل في الرواية الآتية.

قوله: (عن أبيه) يعني: عن أبي سعيد الخدري رحمه الله. وهذا الحديث أخرجه أيضاً أبو داود في الأدب، باب ما جاء في التناوب (٥٠٢٦ و ٥٠٢٧)، والدارمي في الصلاة من سننه، باب التناوب في الصلاة (١٣٨٩)، وأحمد في مسنده (٣: ٣٧ و ٩٣ و ٩٦). وابن خزيمة في صحيحه (٢: ٦٠) والبيهقي في شرح السنة (١٢: ٣١٥).

قوله: (فليمسك بيده على فيه) قال الحافظ: «يتناول ما إذا انفتح بالتناوب فيغطي بالكف ونحوه، وما إذا كان منطبقاً، حقاً له عن الانفتاح بسبب ذلك. وفي معنى وضع اليد على الفم وضع الثوب ونحوه مما يحصل ذلك المقصود» ثم ذكر أن المصنعي يفعل ذلك أيضاً، وأنه يستثنى عن النهي من أن يغطي الرجل فاه في الصلاة. وهذا النهي مروى عند ابن ماجه (رقم: ٩٥٣) في باب ما يكره في الصلاة.

قوله: (فإن الشيطان يدخل) قال الحافظ في الفتح: (١٠: ٦١٢): «يحتمل أن يراد به الدخول حقيقة، وهو وإن كان يجري من الإنسان مجرى الدم، لكنه لا يتمكن منه ما دام ذاكرة لله تعالى، والمتناوب في تلك الحالة غير ذاكر، فيتمكن الشيطان من الدخول فيه حقيقة. ويحتمل أن يكون أطلق الدخول وأراد التمكن منه» يعني بالنوسوسة.

وقد ورد عند البخاري في حديث أبي هريرة (رقم: ٦٢٢٦): «فإن أحدكم إذا تشاءب، ضحك منه الشيطان» وذلك لأنه يفرح بما يورث الكسل، ويشوه صورة الإنسان. وورد عند ابن ماجه (في باب ما يكره في الصلاة) في حديث أبي هريرة: «فليضع يده على فيه، ولا يعوي، فإن الشيطان يصحك منه» وهو نهى عن إخراج الصوت عند التناوب، شبهه بعواء الكلب تنفيراً عنه واستباحاً له، فإن الكلب يرفع رأسه ويفتح فاه ويعوي. والمتناوب إذا أفرط في التناوب شابهه.

ثم إن أحاديث هذا الباب مطلقة في الأمر بكظم التناوب، سواء كان في حالة الصلاة أو في غيرها، وقد وردت بعض الأحاديث مقيدة بالصلاة. كما أخرج الترمذي حديث أبي هريرة بنقطة: «التناوب في الصلاة من الشيطان، فإذا تشاءب أحدكم فليكظم ما استطاع» وكذا أخرجه النسائي. فحمل بعض العلماء الشافعية المطلق على المقيد، فزعم أن النهي منحصر في حالة الصلاة، ولكن ذهب أكثرهم إلى أن أصل الأمر مطلق، ولكنه يتأكد في حالة الصلاة أكثر منه في غيرها.

٧٤١٧ - (٥٨) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا تَنَاقَبَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَمْسِكْ يَدَيْهِ. فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ».

٧٤١٨ - (٥٩) حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا تَنَاقَبَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ، فَلْيَكْظُمْ مَا اسْتَطَاعَ. فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ».

٧٤١٩ - (١٠٠) حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، وَعَنْ ابْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بِمِثْلِ حَدِيثِ بَشِيرٍ وَعَبْدِ الْعَزِيزِ.

(١٠) - باب: في أحاديث متفرقة

٧٤٢٠ - (٦٠) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ. (قَالَ عَبْدُ: أَخْبَرَنَا. وَقَالَ ابْنُ رَافِعٍ: حَدَّثَنَا) عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ. قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ نَارٍ،

وقال الحافظ في الفتح: «ومما يؤمر به المتناوب إذا كان في الصلاة أن يمسك عن القراءة، حتى يذهب عنه لثلا يتغير نظم قراءته. وأسند ابن أبي شيبة نحو ذلك عن مجاهد وعكرمة والتابعين المشهورين. ومن الخصائص النبوية ما أخرجه ابن أبي شيبة والبخاري في التاريخ من مرسل يزيد بن الأصم قال: ما نشأ النبي ﷺ قط. وأخرج الخطابي من طريق مسلمة بن عبد الملك بن مروان قال: ما نشأ نبي قط، ومسلمة أدرك بعض الصحابة وهو صدوق. ويؤيد ذلك ما ثبت أن التناوب من الشيطان. ووقع في الشفاء لابن سبع أنه ﷺ كان لا يتمطى، لأنه من الشيطان، والله أعلم».

(١٠) - باب: في أحاديث متفرقة

٦٠ - (٢٩٩٦) - قوله: (عن عائشة) هذا الحديث مما تفرد به المصنف من بين الأئمة الستة، وأخرجه أحمد في مسنده (٦: ١٥٣ و ١٦٨)، وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان (٨: ٩).

قوله: (خلق الجان) قيل: المراد به إبليس، وقيل: جنس الجن، وقيل: الجان اسم لأبي الجن كما أن آدم عليه السلام أب لنوع الإنسان.

قوله: (من مارج) وهو الذهب المختلط بسواد دخان النار.

وَخَلَقَ آدَمَ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ ۝

(١١) - باب: في الفار وأنه مسخ

٧٤٢١ - (٦١) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى الْعَنْزِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّزَّازِيُّ. جَمِيعاً عَنِ الثَّقَفِيِّ، (وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى)، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ. حَدَّثَنَا خَالِدٌ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَقَدَتْ أُمَّةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَا يُدْرِي مَا فَعَلَتْ. وَلَا أَرَاهَا إِلَّا الْفَارَ. أَلَا تَرَوْنَهَا إِذَا وُضِعَ لَهَا أَلْبَانُ الْإِبِلِ لَمْ تَشْرَبْهُ. وَإِذَا وُضِعَ لَهَا أَلْبَانُ الشَّاءِ شَرِبْتَهُ ۝».

قوله: (مما وُصف لكم) أي: مما وصفه الله سبحانه بقوله: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ [آل عمران، آية: ٥٩] ويقول ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن، آية: ١٤] ويقول: ﴿إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ [ص، آية: ٧١].

(١١) - باب: في الفار وأنه مسخ

٦١ - (٢٩٩٧) - قوله: (عن أبي هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال (٣٣٠٥)، وأحمد في مسنده (٢: ٢٣٤ و ٥٠٧)، والبيهقي في شرح السنة (١٢: ٢٠٠).

قوله: (لا يُدري ما فعلت) أي: لا يدري أحد أين ذهبت.

قوله: (ولا أراها إلا الفار) بضم الهمزة في (أراها) بمعنى (لا أظنها) وهذا اللفظ صريح أنه كان ظناً منه ﷺ ولم يُقرَّ عليه كما سيأتي.

قوله: (إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشربه) أي: لم تشرب شيئاً منها، وإلا فالقياس أن يرجع إلى (الألبان) ضمير المؤنث. وعدم شرب الفار ألبان الإبل جعل علامة على كونها أمة مسوخة من بني إسرائيل، لأن بني إسرائيل كان قد حرم عليهم لحوم الإبل وألبانها، فاحتمل أن تكون الفار تجتنب من شرب ألبانها لكونها أمة من بني إسرائيل مسخت.

وذكر الحافظ في الفتح (٦: ٣٥٣) أن ذلك كان ظناً من النبي ﷺ قبل أن يعلم بالوحي أن الممسوخ لا نسل له ولا عقب، كما ورد في حديث ابن مسعود ﷺ: «وذكرت عنده (أي: عند النبي ﷺ) القردة. (قال مسعر: وأراه قال: والخنازير) من مسخ، فقال: إن الله لم يجعل لمسوخ نسلًا ولا عقبًا، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك» وقد مرَّ هذا الحديث عند المصنف في كتاب القدر، باب بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر، فلما علم ذلك بالوحي علم أن الفار ليست من الأمم الممسوخة، والله سبحانه أعلم.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَحَدَّثْتُ هَذَا الْحَدِيثَ كَغَيْبًا فَقَالَ: أَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟
قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ ذَلِكَ مَرَارًا. قُلْتُ: أَأَقْرَأُ التَّوْرَةَ؟
قَالَ إِسْحَاقُ فِي رِوَايَتِهِ: «لَا تُذَرِّي مَا فَعَلْتُ».

٧٤٢٢ - (٦٢) وَحَدَّثَنِي أَبُو كُرَيْبٍ، مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ. حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ
هِشَامٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «الْفَأْرَةُ مَسْحٌ». وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّهُ يُوضَعُ بَيْنَ يَدَيْهَا لَبَنٌ
الْعَنَمُ فَتُشْرَبُهُ. وَيُوضَعُ بَيْنَ يَدَيْهَا لَبَنٌ الْإِبِلِ فَلَا تَذُوقُهُ، فَقَالَ لَهُ كَعْبٌ: أَسَمِعْتَ هَذَا مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: أَفَأَنْزَلْتُ عَلَيَّ التَّوْرَةَ؟

(٦٢) - بَاب: لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جَحْرِ مَرْتَيْنِ

٧٤٢٣ - (٦٣) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ. حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ
ابْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ، مِنْ جُحْرِ وَاحِدٍ،

قوله: (فَحَدَّثْتُ هَذَا الْحَدِيثَ كَغَيْبًا) يعني: كَعْبُ بْنُ مَاتِعٍ الْحَمِيرِيُّ الْمَعْرُوفُ بِكَعْبِ
الْأَحْبَارِ. أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَأَسْلَمَ أَيَّامَ أَبِي بَكْرٍ، كَانَ عَلَى دِينِ يَهُودِ فَأَسْلَمَ وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ ثُمَّ خَرَجَ
إِلَى الشَّامِ فَسَكَنَ حِمَصَ حَتَّى تَوَفَّى بِهَا (سنة ٣٢هـ) فِي خِلَافَةِ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَدْ بَلَغَ مِائَةَ وَأَرْبَعِ
سِنِينَ، وَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ قِصَّةَ إِسْلَامِهِ، رَاجِعٌ لَهَا الْإِصَابَةَ (٣: ٢٩٨) وَكَانَ عَالِمًا لِكُتُبِ بَنِي
إِسْرَائِيلَ.

قوله: ((أَقْرَأُ التَّوْرَةَ؟)) وَفِي الرِّوَايَةِ الْآتِيَةِ: «أَفَأَنْزَلْتُ عَلَيَّ التَّوْرَةَ؟ وَهَذَا الْاسْتِفْهَامُ لِلإِنْكَارِ.
وَالْمَقْصُودُ أَنِّي لَا أَقْرَأُ التَّوْرَةَ وَلَا أَنْزَلْتُ عَلَيَّ حَتَّى أَحَدِّثَكُمْ مِنْهَا، إِنَّمَا أَحَدِّثُكُمْ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَاسْتَدَلَّ بِهِ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ عَلَى أَنَّ الصَّحَابَةَ إِنْ ذَكَرَ خَبْرًا لَا يَدْرِكُ بِإِثْقَاسٍ
وَالْعَقْلِ فَهُوَ فِي حَكْمِ الْمَرْفُوعِ. وَقَدْ وَقَعَ فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ (٢: ٥٠٧) أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذَكَرَ أَنَّ
النَّفَارَ مِمَّا مَسَحَ وَلَمْ يَنْسِبْهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَنَسِبَهُ إِلَيْهِ ﷺ بَعْدَ سُؤَالِ كَعْبٍ.

(٦٢) - بَاب: لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جَحْرِ مَرْتَيْنِ

٦٣ - (٢٩٩٨) - قوله: (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ) هَذَا الْحَدِيثَ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ، بَابُ لَا
يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جَحْرِ مَرْتَيْنِ (٦١٣٣)، وَأَبُو دَاوُدَ فِي الْأَدَبِ، بَابُ فِي الْحَذَرِ مِنَ النَّاسِ
(٤٨٦٢)، وَابْنُ مَاجَهَ فِي الْفَتَنِ، بَابُ الْعِزَّةِ (٤٠٣٠)، وَأَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (٢: ١١٥ وَ ٣٧٩)،
وَالدَّارِمِيُّ فِي الرِّقَاقِ، بَابُ لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ (إِلخ) (٢٧٨٤)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي شَرْحِ السُّنَنِ (١٣: ٨٧)،
وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ، كَمَا فِي الْإِحْسَانِ (٢: ٢٩).

قوله: (لَا يُلْدَغُ) بضم الغين على أكثر الروايات، فهو خير، وإن كان يستنبط منه النهي

مرتين».

٧٤٢٤ - (٠٠٠) وَحَدَّثَنِي أَبُو الظَّاهِرِ وَحَرَمَلَةُ بْنُ يَحْيَى. قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ يُونُسَ. ح وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ. قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِسْرَاهِيمَ. حَدَّثَنَا ابْنُ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَمِّهِ، عَنْ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، بِمِثْلِهِ.

أيضاً. ورواه بعضهم بكسر الغين على أنه نهي، والاول أكثر وأصح وأوفق بما سيأتي من سبب هذا الحديث. واللذع إنما يكون من ذوات السموم كالحية والعقرب، واللذع بالنار.

قوله: (مرتين) وسبب هذا الحديث ما ذكره ابن إسحاق في المغازي وابن هشام في تهذيب سيرته أن أبا عزة الجمحي الشاعر كان قد أسر يوم بدر، فمن عليه رسول الله ﷺ بغير فداء لكونه محتاجاً ذات بنات، وأخذ عليه ألا يظاهر عليه أحداً. ثم أسر مرة أخرى بأحد، فقال: يا رسول الله! أفلني، فقال رسول الله ﷺ: واللّه لا تمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول: خدعت محمداً مرتين، اضرب عنقه يا زبير. قال ابن هشام: «وبلغني عن سعيد بن المسيب أنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين. اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت، فضرب عنقه» راجع الروض الأنف للسيهلي (٣: ١٧٥).

وذكر ابن بطلان أن أول من قال هذه الكلمة رسول الله ﷺ، وقال ابن التين: إنه مثل قديم. وعليه يدل صنيع أبي عبيد في كتاب الأمثال، كما في فتح الباري (١٠: ٥٣٠).

قال الخطابي: «هذا لفظه خبر، ومعناه أمر، أي: ليكن المؤمن حازماً حذراً لا يؤتى من ناحية الغفلة، فيخدع مرة بعد أخرى. وقد يكون ذلك في أمر الدين كما يكون في أمر الدنيا، وهو أولاهما بالحذر» وقال أبو عبيد: «معناه: ولا ينبغي للمؤمن إذا نكب من وجه أن يعود إليه» وهذا تفسير للحديث هو الذي اختاره أكثر العلماء. ولكن أخرج أبو داود الطيالسي هذا الحديث في مسنده (ص: ٢٥٠، رقم: ١٨١٣) عن ابن عمر رضيهما الله عنهما، ثم قال: «لا يعاقب على ذنبه في الدنيا، فيعاقبه في الآخرة» فإن أراد رحمه الله تعالى، أن عموم الخبر يتناول هذا المعنى فممكّن، وإلا فهو متناف لما قدمناه من سبب هذا الحديث. وقد فهم منه الزهري راوي هذا الحديث عين ما ذكره الخطابي وأبو عبيد والجمهور. فقد أخرج ابن حبان في صحيحه عن سعيد بن عبد العزيز: «أن هشام بن عبد الملك أذى عن الزهري سبعة آلاف دينار ديناً كان عليه، ثم قال للزهري: لا تعودن تدان. فقال الزهري: كيف يا أمير المؤمنين! وقد حدثني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين» راجع الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان لابن بلبان (٢: ٢٩).

(١٣) - باب: المؤمن أمره كله خير

٧٤٢٥ - (٦٤) حَدَّثَنَا مَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ الْأَزْدِيُّ وَشَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ. جَمِيعاً عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ الْمُغِيرَةِ (وَاللَّفْظُ لِشَيْبَانَ)، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ. حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ صُهَيْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجَباً لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ. إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ. وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ. إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ. فَكَانَ خَيْراً لَهُ. وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ».

(١٣) - باب: المؤمن أمره كله خير

٦٤ - (٢٩٩٩) - قوله: (عن صهيب) يعني: ابن سنان المعروف بالرومي ﷺ، ولم يكن رومي الأصل، وإنما كان من العرب، لكن أباه أو عمه كان عاملاً لكسرى على أيلة، وكانت منازلهم على دجلة من جهة الموصل، فسياء أهل الروم صغيراً، فنشأ فيهم، فكان لا يحسن التلطف بالعربية. ثم اشتراه رجل من كلب فباعه بمكة فاشتراه عبد الله بن جدعان التميمي فأعتقه. ويقال: بل هرب من الروم، فقدم مكة وحالف ابن جدعان. وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام، وتمن عَذَّب من قبل المشركين. هاجر إلى المدينة مع علي ﷺ وشهد المشاهد كلها. وروى الحميدي والطبراني عنه قال: «لم يشهد رسول الله ﷺ إلا كنت حاضره، ولم يبايع بيعة قط إلا كنت حاضرها، ولم يُسر سرية قط إلا كنت حاضرها ولا غزى غزاة إلا كنت فيها عن يمينه أو شماله، وما خافوا أمامهم قط إلا كنت أمامهم، ولا ما وراءهم قط إلا كنت وراءهم، وما جعلت رسول الله ﷺ بيني وبين العدو قط» - ولما مات عمر أوصى أن يصلي عليه صهيب وأن يصلي بالناس إلى أن يجتمع المسلمون على إمام. رواه البخاري في تاريخه. توفي بالمدينة سنة: ٣٨ هـ أو ٣٩ هـ وهو ابن ٧٣ سنة. ويقال: فيه نزلت ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُسْرِى نَفْسَهُ أَبْنَاءَ مَهْشَاةٍ﴾ الآية. وراجع التهذيب (٤: ٤٣٨) والإصابة (٢: ١٨٨).

وحديثه هذا أخرجه المصنف فقط فيما بين الأئمة الستة. وأخرجه أحمد في مسنده (٤: ٣٣٢)، والدارمي في الرقاق، باب المؤمن يؤجر في كل شيء (٢٧٨٠)، وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان (٤: ٢٤٣).

قوله: (عجبا لأمر المؤمن) زاد حماد بن سلمة قبله عند الدارمي في سننه (٢: ٢٢٦): «بينما رسول الله ﷺ جالس وضحك، فقال: ألا تسألوني مما أضحك؟ فقالوا: مم تضحك قال: عجبا: إلخ: وفي إسناده روح بن أسلم، قال البخاري: يتكلمون فيه، ووثقه ابن حبان. قوله: (فكان خيراً له) فيه فضيلة الشكر والصبر، ولا ينبغي للمؤمن أن تخلو أوقاته من أحد منهما.

(١٤) - باب: النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط،

وخيف منه فتنة على الممدوح

٧٤٢٦ - (٦٥) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى. حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، عَنْ خَالِدِ الْحَذَاءِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: مَدَحَ رَجُلٌ رَجُلًا، عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «وَيْحَكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ. تَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ» مَرَارًا «إِذَا كَانَ أَخَذَكُمْ مَادِحًا

(١٤) - باب: النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط إلخ

٦٥ - (٣٠٠٠) - قوله: (عن أبيه) يعني: أبا بكره ﷺ، واسمه نعيم بن الحارث، والمشهور أن الحارث بن كلدة الطيب استلحقه من سمية، فكان أخا زياد لأمه، وكانت سمية أمة للحارث بن كلدة. وإنما قيل له أبو بكره لأنه تدلى من حصن الطائف إلى النبي ﷺ ببكرة، فسمي أبا بكره، فأعتقه النبي ﷺ، ولذلك كان يقول: أنا مولى النبي ﷺ. وكان من خيار الصحابة، جلده عمر ﷺ للقدف في قصة المغيرة بن شعبة المشهورة، ولم يقبل شهادته، لكن عدم قبول الشهادة إنما كان لأمر فني كما لا يخفى على من يعلم القصة، فلا يقدح ذلك في روايته للحديث، لأن الصحابة كلهم عدول، لا سيما في رواية الحديث. وراجع لترجمته التهذيب (٣: ٤٦٩)، والإصابة (٣: ٥٤٢).

وحديثه هذا أخرجه البخاري في الشهادات، باب إذا زكى رجل رجلاً كفاه (٢٦٦٢)، وفي الأدب، باب ما يكره من التمداح (٦٠٦١)، وباب ما جاء في قول الرجل (ويلك) (٦١٦٢)، وأخرجه أبو داود في الأدب، باب في كراهية التمداح (٤٨٠٥)، وابن ماجه في الأدب، باب المدح (٣٧٨٩)، وأحمد في مسنده (٥: ٤١ و ٥١)، والبخاري في شرح السنة (١٣: ١٤٩)، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان (٧: ٥٠٩).

قوله: (قطعت عنق صاحبك) أي: أهلكته، لأن مثل هذا المدح ربما يورث في الممدوح إعجاباً بنفسه، والعجب مهلكة له في دينه وربما يكون إهلاكاً له في دنياه أيضاً لأنه يحمله على التكبر والتعاضد، فيصيبه بذلك ضرر. قال عياض: «قال العلماء: وهذا فيما يتغالى من المدح ووصف الإنسان بما ليس فيه، أو فيمن يخاف عليه الإعجاب والفساد، وإلا فقد مُدح ﷺ، ومُدح بحضرته فلم ينكر. بل حض كعب بن زهير على بعض هذا. وأما مع القصد فلا كذا في شرح الأبي».

قال العبد الضعيف عفا الله عنه: يظهر من الرواية الآتية أن النبي ﷺ إنما قال هذا الكلام لمن ادعى لممدوحه أنه أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، وقد أطلق هذا القول دون أي شرط أو قيد، مع أن الفضيلة عند الله لا تُعرف إلا بالنقل، ولذلك أمره النبي ﷺ بأن لا يذكر ذلك إلا بعد التصريح بأنه ظن منه وليس يقيناً، فلا يتأنى هذا النهي فيمن مدح آخر على فعل حسن يتيقن

صَاحِبُهُ لَا مَحَالَةَ، فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ فَلَانًا. وَاللَّهُ حَسْبِيَّةٌ. وَلَا أَزْكِي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا. أَحْسِبُهُ، إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ، كَذَا وَكَذَا.

٧٤٢٧ - (٦٦) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ بْنِ جَبَلَةَ بْنِ أَبِي رَوَادٍ. حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ. ح وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ نَافِعٍ. أَخْبَرَنَا عُذْرُ. قَالَ: شُعْبَةُ حَدَّثَنَا، عَنْ خَالِدِ الْحَذَاءِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ أَنَّهُ ذَكَرَ عِنْدَهُ رَجُلٌ. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا مِنْ رَجُلٍ، بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَفْضَلُ مِنْهُ فِي كَذَا وَكَذَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَنَحْكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ» مِزَارًا يَقُولُ ذَلِكَ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَا دَحَا أَخَاهُ، لَا مَحَالَةَ، فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ فَلَانًا، إِنْ كَانَ يُرَى أَنَّهُ كَذَلِكَ. وَلَا أَزْكِي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا».

٧٤٢٨ - (١٠٠) وَحَدَّثَنِيهِ عَمْرُو النَّاقِذُ. حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ. ح وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا شَيْبَانَةُ بْنُ سَوَّارٍ. كِلَاهُمَا عَنْ شُعْبَةَ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، نَحْوَ حَدِيثِ يَزِيدَ بْنِ زُرَيْعٍ. وَلَيْسَ فِي حَدِيثِهِمَا: فَقَالَ رَجُلٌ: مَا مِنْ رَجُلٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَفْضَلُ مِنْهُ.

٧٤٢٩ - (٦٧) حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ، مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ. حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ زَكْرِيَّاءَ، عَنْ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلًا يُنْبِي عَلَى

بكونه حسناً، دون أن يتعرض لكونه مثاباً عند الله. ولذلك أجاز النبي ﷺ فيما بعد أن يقول المرء في آخر: «أحسب أن فلاناً كذا».

قوله: (لا محالة) بفتح الميم، أي: لا حيلة له في ترك ذلك، وهي بمعنى (لا بد) والميم زائدة، ويحتمل أن يكون من الحول، أي: القوة والحركة.

قوله: (أحسب فلاناً، والله حسبي) أي: أحسب أن فلاناً كذا، والله حسبي، أي: كافيه، وهو من الحسب (بفتح الحاء وسكون السين) بمعنى الكفاية. ويحتمل أن يكون بمعنى المحاسب، وهو حينئذ فاعل بمعنى الفاعل، وَحَسِبَ (من باب نصر) بمعنى المحاسبة، والجملة معترضة معناها أن الله محاسبه على عمله.

قوله: (ولا أزكي على الله أحداً) أي: لا أقطع على عاقبة أحد، ولا أجزم بحكم الله فيه، لأن الله تعالى هو العالم بما في ضميره وسريته. والتزكية بمعنى تصديق كونه زكياً السيرة.

قوله: (إن كان يعلم ذلك) شرط معترض، والتقدير: فليقل: أحسبه كذا وكذا، أي: صالحاً، وإنما يقول ذلك إن كان يعلم أن هذا الوصف صحيح فيه.

٦٧ - (٣٠١) - قوله: (عن أبي موسى) هذا الحديث أخرجه البخاري في الشهادات، باب

رَجُلٍ، وَيُظَرِّيه فِي الْمَدْحَةِ. فَقَالَ: «لَقَدْ أَهْلَكْتُمْ، أَوْ قَطَعْتُمْ، ظَهَرَ الرَّجُلِ».

٧٤٣٠ - (٦٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى. جَمِيعاً عَنْ ابْنِ مَهْدِيٍّ، (وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى)، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ. عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ حَبِيبٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ، قَالَ: قَامَ رَجُلٌ يُنْبِي عَلَى أَمِيرٍ مِنَ الْأَمْراءِ. فَجَعَلَ الْمَقْدَادُ يَخْشِي عَلَيْهِ الشَّرَابَ، وَقَالَ: أَمَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.....

ما يكره من الإطناب في المدح (٢٦٦٣)، وفي الأدب، باب ما يكره من التمداح (٦٠٦٠)، وأحمد في مسنده (٤: ٤١٢).

قوله: (رجلاً يشي على رجل) قال الحافظ في الفتح (١٠: ٤٧٦): «لم أقف على اسمهما صريحاً، ولكن أخرج أحمد والبخاري في الأدب المفرد من حديث مجاهد بن الأدرع الأسلمي قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي، فذكر حديثاً قال فيه: «فذخل المسجد فإذا رجل يصلي، فقال لي: من هذا؟ فأنشيت عليه خيراً، فقال: اسكت، لا تسمعه فشهلكه» وفي رواية له: فقلت: يا رسول الله! هذا فلان وهذا وهذا» وفي أخرى له: «هذا فلان، وهو من أحسن أهل المدينة صلاة، أو من أكثر أهل المدينة الحديث. والذي أنشئ عليه مجاهد يشبه أن يكون هو عبد الله ذو السجادين المزني، فقد ذكرت في ترجمته في الصحابة ما يقرب ذلك».

قوله: (ويُظَرِّيه في المدحة) الإطناب: المبالغة في المدح والمدحة بكسر الميم، اسم من المدح.

٦٨ - (٣٠٠٢) - قوله: (عن أبي معمر) هذا حديث مقداد بن عمرو ؓ، أخرجه أيضاً أبو داود في الأدب، باب ما يكره من التمداح (٤٨٠٤)، والترمذي في الزهد، باب ما جاء في كراهية المدحة والمداحين (٢٣٩٣)، وابن ماجه في الأدب، باب المدح (٣٧٨٧)، وأحمد في مسنده (٦: ٥)، والبيهقي في شرح السنة (١٣: ١٥٠).

قوله: (يشي على أمير من الأمراء) وهو عثمان بن عفان ؓ كما سيأتي في الرواية اللاحقة.

قوله: (فجعل المقداد) يعني: ابن عمرو ؓ، المعروف بالمقداد بن الأسود، أبوه عمرو، ولكن تبناه حليفه الأسود بن عبد يغوث فنسب إليه. أسلم قديماً وشهد بدرًا والمشاهد كلها، وكان هو الفارس الوحيد يوم بدر، أخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبد الله بن رواحة. وذكر ابن مسعود ؓ أن أول من أظهر إسلامه سبعة، ومنهم المقداد، وروي أن النبي ﷺ أمر بريدة بحب أربعة: علي والمقداد وأبو ذر وسلمان. مات ﷺ (سنة: ٣٣هـ) بالجرف، على ثلاثة أميال من المدينة، فحمل إلى المدينة ودفن بها، وهو ابن سبعين سنة. كذا في التهذيب (١٠: ٢٨٥).

أَنْ نَحْثِي فِي وَجْهِهِ الْمَذَاحِينَ التُّرَابَ .

قوله: (أَنْ نَحْثِي فِي وَجْهِهِ الْمَذَاحِينَ التُّرَابَ) قد فسر العلماء هذا الحديث على وجوه: الأول: أنه محمول على حقيقة، فينبغي أَنْ يُحْثَى التُّرَابُ عَلَى وَجْهِ الْمَادِحِ حَقِيقَةً، وهو الذي استعمله المقداد رضي الله عنه راوي الحديث. وقد ورد مثل ذلك عن بعض السلف، وقد حكى الأبي في ذلك قصة للشيخ أبي إسحاق الجبائي.

الثاني: أَنْ حُثِيَ التُّرَابُ كناية عن تخييبه، والمراد من المذاحين من يتملق لأخذ المال والفضلة وتخيبه أَنْ لَا يُعْطَى، أو من يريد الفتنه بالقاء العُجْب في نفس الممدوح، فتخييبه أَنْ لَا يُعْجِبَ الْإِنْسَانُ بِنَفْسِهِ.

الثالث: المراد أَنْ يَقُولَ الممدوح للمادح: (بفك التراب) والعرب تستعمل ذلك لَمَنْ تَكَرَّهَ قَوْلُهُ.

الرابع: أَنْ الْمَقْصُودُ أَنْ يَأْخُذَ الممدوح تراباً، فيبذره بين يديه ليتذكر أصله وَأَنْ مَصِيرُهُ إِلَيْهِ فَلَا يُطْفِئُ بِالْمَدْحِ الَّذِي سَمِعَهُ. وعلى هذا، فقوله (في وجوه المذاحين) معناه: بين أيديهم وفي مواجعتهم.

الخامس: أَنْ الْمُرَادُ بِحُثَى التُّرَابِ فِي وَجْهِ الْمَادِحِ إِعْطَاؤُهُ مَا طَلِبَ، لِأَنْ كُلَّ مَا فَوْقَ التُّرَابِ تَرَابٌ. وبهذا جزم البيضاوي وقال: شبه الإعطاء بالحثي على سبيل الترشيح والمباغة في التقليل والاستهانة كذا في الفتح.

السادس: معنى الحديث أنه ينبغي للممدوح أَنْ يَقُومَ عَنْ مَجْلِسِ الْمَادِحِ وَيُثِرَ بِقِيَامِهِ التُّرَابَ عَلَيْهِ. ذكره الأبي، وقال: إنه أبعد التأويلات.

ويبدو أَنْ أَوَّلَى التَّأْوِيلَاتِ هُوَ الثَّانِي، وَالْمَقْصُودُ الْحَثُّ عَلَى مَنَعِهِ مِنَ الْمَدْحِ، وَعَدَمُ تَشْجِيعِهِ عَلَى ذَلِكَ. وهو الذي اختاره أكثر السلف.

قال الخطابي: «المذاحون هم الذين اتخذوا مدح الناس عادة، وجعلوه بضاعة يتأكلون به الممدوح. فأما من مدح الرجل على الفعل الحسن والأمر المحمود يكون منه ترغيباً له في أمثاله، وتحريضاً للناس على الاقتداء به في أشباهه، فليس يمدح. وقد استعمل المقداد الحديث على ظاهره في تناول عين التراب، وحشيه في وجه المادح. وقد يُتَأَوَّلُ أَيْضاً عَلَى وَجْهِ آخَرٍ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: الْخِيبةُ وَالْحَرَمَانُ، أَي: مَنْ تَعَرَّضَ لَكُمْ بِاللِّثَاءِ وَالْمَدْحِ، فَلَا تَعْطَوْهُ وَاحْرَمُوهُ. كُنِيَ بِالتُّرَابِ عَنِ الْحَرَمَانِ، كَقَوْلِهِمْ: مَا فِي يَدِهِ غَيْرُ التُّرَابِ، وَكَقَوْلِهِ رضي الله عنه: «إِذَا جَاءَكَ يَطْلُبُ ثَمَنَ الْكَلْبِ، فَأَمْلَأْ كَفَّهُ تَرَاباً»^(١).

(١) هذا الحديث أخرجه أبو داود في البيوع، باب في أثمان الكلاب ٣٤٨٢ وأحمد في مستدرك ٢٧٨: ١.

٧٤٣١ - (٦٩) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، (وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى) قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ؛ أَنَّ رَجُلًا جَعَلَ يَمْدَحُ عُثْمَانَ. فَعَيِدَ الْمُقْدَادُ. فَجِئْنَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ. وَكَانَ رَجُلًا ضَخْمًا. فَجَعَلَ يَخْشُو فِي وَجْهِهِ انْحِصَابًا. فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَاحِينَ، فَاحْشُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ».

٧٤٣٢ - (٥٠٠) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ. قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ مَنْصُورٍ. ح وَحَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا الْأَشَجَعِيُّ، عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُبَيْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنِ الْأَعْمَشِ وَمَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ هَمَّامٍ، عَنِ الْمُقْدَادِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، بِمِثْلِهِ.

(١٥) - باب: مناولة الأكبر

٧٤٣٣ - (٧٠) حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْظِيُّ. حَدَّثَنِي أَبِي. حَدَّثَنَا صَخْرٌ، (يَعْنِي ابْنَ جُوَيْرِيَةَ)، عَنْ نَافِعٍ؛ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ حَدَّثَهُ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَرَانِي فِي

نَفْسِهِ الْبَغْوِي فِي شَرْحِ السَّنَةِ (١٣ : ١٥١)، ثُمَّ قَالَ: «وَفِي الْجُمْلَةِ الْمَدْحُ وَالشَّاءُ عَلَى الرَّجُلِ مَكْرُوهٌ، لِأَنَّهُ قَلَّمَا يَسْلَمُ الْمَدْحُ عَنْ كَذِبٍ يَقُولُهُ فِي مَدْحِهِ، وَقَلَّمَا يَسْلَمُ الْمَمْدُوحُ مِنْ عَجَبٍ يَدْخُلُهُ. وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا أَتَى عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ عَمْرِ، فَقَالَ عَمْرٌ: عَقَرْتَ الرَّجُلَ، عَقَرَكَ اللَّهُ».

وَالْحَاصِلُ؛ أَنَّ الْمَدْحَ يَغْرُسُ تَشْجِيعَ الْمَمْدُوحِ عَلَى أَفْعَالِ الْخَيْرِ جَائِزًا، كَمَا ذَكَرَهُ الْخَطَّابِيُّ. لِأَنَّ ذَلِكَ ثَابِتٌ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَنَاسِبَاتٍ كَثِيرَةٍ. وَالْمَدْحُ الْمَكْرُوهُ هُوَ مَا خِيفَ فِيهِ أَنْ يَفْتِنَ الْمَمْدُوحَ بِالْعَجَبِ، أَوْ مَا قَصَدَ بِهِ التَّمَلُّقُ وَأَكَلَ الْأَمْوَالَ بِالْبَاطِلِ. وَيَسَا أَنْ تَفْرُقَ بَيْنَهُمَا دَقِيقَ رَبِّمَا لَا يَدْرِكُهُ الْمَرءُ، فَالْأَحْوَطُ مَا ذَكَرَهُ الْبَغْوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْاجْتِنَابِ عَنْهُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مُشْتَبِهٍ. وَاللَّهُ سَبِّحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

٦٩ - (٥٠٠) - قَوْلُهُ: (وَكَانَ رَجُلًا فَخْمًا) يَعْنِي: سَمِينًا عَظِيمَ الْجِسْمِ، وَلَعَلَّ الرَّاوي ذَكَرَ ذَلِكَ لِيُبَيِّنَ أَنَّهُ مَعَ كَوْنِهِ جَسَمًا، تَكَبَّدَ مَشَقَّةَ الْحِنُوِّ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، اِهْتِمَامًا بِمَا زَعَمَهُ مِنَ الْاِمْتِنَالِ بِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ.

(١٥) - باب: مناولة الأكبر

٧٠ - (٣٠٠٣) - قَوْلُهُ: (أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو حَدَّثَهُ) تَقْدَمُ هَذَا الْحَدِيثُ مَعَ تَخْرِيجِهِ وَشَرْحِهِ فِي كِتَابِ الرُّؤْيَا، بَابِ رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ، (رَقْم: ٥٨٨٦)، وَهُوَ فِي الْمَجْلَدِ الرَّابِعِ مِنْ هَذِهِ التَّكْمِلَةِ.

الْمُتَّامُ أَنْتَوُكَ بِسَوَاكِ. فَجَذَبَنِي رَجُلَانِ. أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ. فَنَازَلْتُ السَّوَاكِ الْأَصْغَرَ مِنْهُمَا. فَقِيلَ لِي: كَبُرَ. فَذَفَعْتُهُ إِلَى الْأَكْبَرِ.

(١٦) - باب: التثبت في الحديث، وحكم كتابة العلم

٧٤٣٤ - (٧١) حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ. حَدَّثَنَا بِهِ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ وَيَتْلُو: اِسْمِعِي يَا رَبَّةَ الْحُجْرَةِ، اِسْمِعِي يَا رَبَّةَ الْحُجْرَةِ، وَعَائِشَةُ تُصَلِّي. فَلَمَّا قَضَتْ صَلَاتَهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ: أَلَا تَسْمَعُ إِنِّي هَذَا وَمَقَالِيهِ آيَافاً؟ إِنَّمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحَدِّثُ حَدِيثاً، تُوِ عَدَّهُ الْعَادُّ لِأَخْصَاءِهِ.

٧٤٣٥ - (٧٢) حَدَّثَنَا هَذَابُ بْنُ خَالِدٍ الْأُرْدِيُّ. حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَقْدَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَكْتُبُوا عَلَيَّ».

(١٦) - باب: التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم

٧١ - (٢٤٩٣) - قوله: (عن أبيه) يعني: عروة بن الزبير، وحديثه هذا قد مرّ طرف منه في كتاب الفضائل، باب من فضائل أبي هريرة ﷺ، وأخرجه البخاري في المناقب، باب صفة النبي ﷺ (٣٥٦٧ و ٣٥٦٨)، وأبو داود في العلم، باب في سرد الحديث (٣٦٥٤ و ٣٦٥٥)، والترمذي في المناقب، باب في كلام النبي ﷺ (٣٦٣٩).

قوله: (يا ربّة الحجرة) أي: مالكة هذه الحجرة، يعني: به عائشة ﷺ. وإنما كان يتأديها لتقرّه على الحديث الذي يرويه، فيتقوى به روايته.

قوله: (ألا تسمع إلى هذا ومقالته؟) كأنها أنكرت أن يتأديها أبو هريرة وهي تصلي. ولعلّ العذر لأبي هريرة أنه لم يعرف أنها في الصلاة لكونها محتاجة في بيتها.

قوله: (لو عدّه العادّ لأحصاه) يعني: أن النبي ﷺ لا يكثر من الحديث في مجلس واحد، وإنما كان يحدث بأحاديث معدودة ليفهمها الناس ويحفظوها. فلم تنكر عائشة على أبي هريرة نفس التحديث، وإنما أنكرت الإكثار منه في مجلس واحد. وقد استوفينا الكلام على عذر أبي هريرة في الإكثار، في كتاب الفضائل، باب فضائل أبي هريرة ﷺ، وقد ذكرنا هناك ما يرد به طعن بعض الملاحدة عليه في ذلك.

٧٢ - (٣٠٠٤) - قوله: (عن أبي سعيد الخدري) هذا الحديث لم يخرج من الستة أحد غير المصنف رحمه الله. وأخرجه الدارمي في العلم، باب من لم ير كتابة الحديث (٤٥٦)، وأحمد في مسنده (١: ٩٨)، والحاكم في المستدرک (١: ١٢٧)، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان (١: ١٤٢)، والبقوي (١: ٢٩٤).

قوله: (لا تكتبوا عليّ) ومثل هذا الحديث في النهي عن كتابة الحديث ما أخرجه أحمد في

وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُحْهُ. وَخَذُوا عَنِّي، وَلَا حَرْجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ - قَالَ هَمَامٌ أَخْبِيئَهُ قَالَ: مُتَعَمِّدًا - فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

(١٧) - باب: قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام

٧٤٣٦ - (٧٣) حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ حَالِدٍ. حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ. حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ صُهَيْبٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

مسنده (٥: ١٨٢) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «إن رسول الله ﷺ نهى أن تكتب شيئاً من حديثه» ومن أجل هذا الحديث امتنع جمع من الصحابة من كتابة الحديث في الصدر الأول، ولكن سبب ذلك ما ذكره الخطيب البغدادي رحمه الله في كتابه (تقييد العلم) (ص: ٥٧) بقوله: «أفقد ثبت أن كراهة من كره الكتاب من الصدر الأول، إنما هي ثلثا يضاهاى بكتاب الله غيره، أو يُشْتَعَلَّ عن القرآن بسواه ونهى عن الكتب القديمة أن تُتَّخَذَ، لأنه لا يعرف حقها من باطلها، وصحبتها من فاسدها، مع أن القرآن كفى منها، وصار مهيمناً عليها. ونهى عن كتابة العلم في صدر الإسلام وجذته ثقله الفقهاء في ذلك الوقت، والتميز بين الوحي وغيره، لأن أكثر الأعراب لم يكونوا فقهوا في الدين، ولا جالسوا العلماء العارفين، فلم يؤمن أن يلحقوا ما يجدون من الصحف بالقرآن، ويعتقدوا أن ما اشتملت عليه كلام الرحمن. وأمر الناس بحفظ السنن، إذ الإسناد قريب، والعهد غير بعيد، ونهى عن الاتكال على الكتاب، لأن ذلك يؤدي إلى اضطراب الحفظ حتى يكاد يطل. وإذا عدم الكتاب، قوي لذلك الحفظ الذي يصحب الإنسان في كل مكان».

وهذا ظاهر في البيئة التي نزل فيها القرآن الكريم، حيث لم يكن مكتوباً بصورة كتاب مدون، وإنما كان يكتب على العظام وجريد النخل والحجارة ونحوها، فلو كتبت الأحاديث معها لوقع التباس القرآن بغيره. فنهى عن ذلك في أول الأمر حيث يخشى الالتباس. أما في حادثة الأمن منه، فقد أجاز رسول الله ﷺ الكتابة بنفسه لعدة من الصحابة مثل علي، وعبد الله بن عمرو، وأبي هريرة، ورافع بن خديج، وأبي شاه، وغيرهم رضي الله عنهم. وقد كتبت أحاديث كثيرة في عهد رسول الله ﷺ، كما ثبت في روايات كثيرة تجدها مجموعة في كتاب (تقييد العلم) للخطيب رحمه الله. ولفضيلة شقيقي الأكبر مولانا الشيخ محمد رفيع العثماني بحث قَبَمَ في الموضوع، قد طبع باللغة الأردنية باسم (كتابت حديث). وقد ألقت في الموضوع كتب كثيرة باللغة العربية وغيرها، ومن أحسنها كتاب (السنة قبل التدوين) للدكتور محمد عجاج الخطيب. وليس هذا موضع البسط في هذا الموضوع.

(١٧) - باب: قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب إلخ

٧٣ - (٣٠٠٥) - قوله: (عن صهيب) هذا الحديث أخرجه الترمذي في تفسير سورة البروج (٣٣٤٠)، والنسائي في سننه الكبرى (٦: ٥١٠) وأحمد في مسنده (٦: ١٧)، وابن حبان في

«كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ. وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ. فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ. فَأَبْنَتْ لِي غُلَامًا أَهْلَمُهُ السَّحَرُ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يَعْلَمُهُ. فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ، رَاهِبٌ. فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ. فَأَعْجَبَهُ. فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرًّا بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ. فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ. فَشَكَكَ ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ. فَقَالَ: «إِذَا خَشِيتُ السَّاحِرَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي. وَإِذَا خَشِيتُ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ. فَقَالَ: الْيَوْمَ أَهْلَمُ السَّاحِرَ أَفْضَلَ أَمْ الرَّاهِبَ أَفْضَلَ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ. حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ. فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا. وَمَضَى النَّاسُ. فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ. فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيُّ بَنِي، أَنْتَ، الْيَوْمَ، أَفْضَلُ مِنِّي. قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى. وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى. فَإِنْ ابْتَلَيْتَ فَلَا تُدُلْ عَلَيَّ. وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ. فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ فَأَتَاهُ بِهِدَابًا كَثِيرَةً. فَقَالَ: مَا هَهنا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي. فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا.

صحيحه كما في الإحسان (٢: ١١٦ و ١١٧).

قوله: (كان ملك فيمن كان قبلكم) لم أقف على اسمه وتعيين مكانه، غير أن الظاهر أنه كان في زمن الفترة، ما بين عيسى ونبينا عليهما الصلاة والسلام.

قوله: (فإذا أتى الساحر ضربه) أي: لإتيانه إليه مؤخرًا.

قوله: (فقل: حبسني أهل) قال القاضي عياض «فيه جواز الكذب للضرورة، لا سيما في الله تعالى والدفع عن الإيمان» وقال القرطبي: «وجه الدليل منه كونه ﷺ ذكره في معرض الثناء على الراهب والغلام واستحسان فعلهما، إذ لو كان غير جازئ لبيته» وذكر الأبي أنه يحتمل أن يكون ثورية، لأن أهل الرجل في الحقيقة إنما هم المرشدون إلى السعادة، فأراد بهذا اللفظ الراهب. وكذلك قوله لأهله (حبسني الساحر) يمكن تأويله على الثورية بأنه لا يصل إلى أهله إلا بعد المكث عند الساحر والراهب جميعاً، فيصدق قوله (حبسني الساحر) لأنه كان أحد الحابسين.

قوله: (قد حبست الناس) أي: تعرضت في الطريق فمנعت الناس من المرور، ووقع في رواية الترمذي قول بعض الرواة أن الدابة كانت أسداً.

قوله: (اليوم أعلم) إلخ: قال الأبي: «ليس شكاً منه، وإنما هو استنبات واطمئنان منه».

قوله: (ما ههنا لك أجمع) بضم العين، تأكيد لقوله (ما ههنا) وهو مبتدأ خبره (لك) يعني: إن أنت شفيتني، فإن هذا المال الذي هو موجود ههنا، سأعطيكه أجمع.

إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ. فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ. فَأَمَّنَ بِاللَّهِ. فَشَفَاهُ اللَّهُ. فَأَتَيْنِ الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي. قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ. فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يَعْذِبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغَلَامِ. فَجِيءَ بِالْغَلَامِ. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيُّ بَنِي، قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ. فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا. إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ. فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يَعْذِبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ. فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ. فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ. فَأَبَى. فَذَعَا بِالْمُتَشَارِ. فَوَضَعَ الْمُتَشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ. فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ. ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ. فَأَبَى. فَوَضَعَ الْمُتَشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ. فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ. ثُمَّ جِيءَ بِالْغَلَامِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ. فَأَبَى. فَذَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا. فَاضْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ. فَإِذَا بَلَغْتُمْ قُرُونَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا قَاطَرَحُوهُ. فَذَهَبُوا بِهِ فَضَعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِئْهُمْ بِمَا شِئْتَ. فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلَ فَسَقَطُوا. وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَّابِيهِمُ اللَّهُ. فَذَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْدِفُوهُ. فَذَهَبُوا بِهِ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِئْهُمْ بِمَا شِئْتَ. فَانْكَفَّتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَفَرَّقُوا.

قوله: (ولك رب غيري) فيه دليل على أنه كان يدعي الألوهية، فيه رد على من زعم أن هذا الملك كان يهوديًا.

قوله: (حتى دل على الراهب) قال القرطبي: «إن قيل: كيف دل عليه بالقتل؟ أجيب بأنه غير بالغ. ولو سلم أنه بالغ، فلم يعلم أن الراهب يقتل».

قوله: (فذعا بالمتشار) هو مهموز في رواية الأكثرين ويجوز تخفيف الهمزة بقلبها ياء. وروي (المتشار) بالنون، وهما لغتان سبق بيانهما. وهي آلة يقطع بها الخشب.

قوله: (فرجف بهم الجبل) أي: تحرك واضطرب اضطراباً شديداً، وأصابتهم زلزلة.

قوله: (فاحملوه في قُرُورٍ) بضم القاف، أي: في سفينة، وذكر بعض العلماء أن القُرُور سفينة عظيمة، وذكر بعضهم أنها سفينة صغيرة. والراجح في سياق الحديث هو الثاني، لأن في مثل هذه المواقع إنما تستعمل سفينة صغيرة.

قوله: (فتوسطوا به البحر) أي: اذهبوا به إلى وسط البحر.

قوله: (فانكفات بهم السفينة) أي: انقلبت، يقال: كفأه، كمنعه، وأكفأه: إذا قلبه وكتبه، فانكفأ.

وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَّاهُمُ اللَّهُ. فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَنْتَ بِقَائِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمْرُكَ بِهِ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ. وَتَضْلُبُنِي عَلَى جَذَعٍ. ثُمَّ خَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي. ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قُلْتُ: بِاسْمِ اللَّهِ، رَبِّ الْغَلَامِ. ثُمَّ ارْمِنِي. فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي. فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ. وَضَلَبَهُ عَلَى جَذَعٍ. ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ. ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، رَبِّ الْغَلَامِ. ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ. فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ. فَمَاتَ. فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغَلَامِ. آمَنَّا بِرَبِّ الْغَلَامِ. آمَنَّا بِرَبِّ الْغَلَامِ. فَأَتَى الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ، وَاللَّهِ، نَزَلَ بِكَ حَدْرُوكَ. قَدْ آمَنَ النَّاسُ فَأَمَرَ بِالْأَخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السَّكَكِ فَخُدَّتْ وَأُضْرِمَ النَّيرانَ. وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا. أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَنِجِم. فَفَعَلُوا. حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا. فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا.

قوله: (وجاء يمشي إلى الملك) وإنه نجا بعد انقلاب السفينة بالسباحة، أو بما يشاء الله.

قوله: (في صعيد واحد) الصعيد: وجه الأرض. والمراد أن تجمعهم في أرض بارزة.

قوله: (كبد القوس) كبد القوس: مقبضها عند الرمي.

قوله: (فمات) فإن قيل: كيف أمر الغلام ذلك الملك بقتل نفسه وهو حرام؟ فالجواب: أنه قد علم أنه لا بد أن يُقتل، وإنما نجا حتى الآن بطريق الكرامة لإحقاق الحق، فأمره بما يتضح به الحق على جميع الناس فيؤمنوا، فيكون سبباً لهدايتهم. وهذا كالمجاهد يقحم نفسه في معركة القتال لإعلاء كلمة الله.

قوله: (نزل بك حدرك) أي: وقع ما كنت تحذر منه وتخاف، وهو إيمان الناس.

قوله: (فأمر بالأخدود) هو الشق العظيم في الأرض كالخندق، وجمعه أخاديد، وقوله (خُدَّتْ) بضم الخاء فعل منه، أي: شُقَّتْ وَخُفِرَتْ.

قوله: (في أفواه السكك) بكسر السين، جمع سكة، وهي الطريق، وأفواهها: أبوابها ومداخلها، وإنما شق الأخدود في مداخل الطريق، لئلا يتمكن الناس من الهروب.

قوله: (وأضرم النيران) أي: أشعلها.

قوله: (فأحموه فيها) بفتح الهمزة، أي: أرموه فيها، يقال: حميت الحديد ونحوها: إذا أدخلتها النار لتحمي، أي: لتصير حارة. ووقع في بعض الروايات: (أقحموه) أي: أدخلوه. وبهذا اللفظ رواه النسائي.

قوله: (فتقاعست) أي: توقفت ولزمت موضعها وكرهت الدخول في النار.

فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمُّهُ، اضْئِرِّي، فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ».

(١٨) - باب: حديث جابر الطويل، وقصة أبي اليسر

٧٤٣٧ - (٧٤) حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبَادٍ، (وَتَقَارَبَ فِي لَفِظِ الْحَدِيثِ)، وَالسِّيَاقُ لِهَارُونَ، قَالَا: حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ مُجَاهِدٍ، أَبِي حَزْرَةَ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي نَظْلُبُ الْوَيْلَمَ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَبْلَ أَنْ يَهْلِكُوا. فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ لَقِينَا أَبَا الْيَسْرِ، صَاحِبَ

قوله: (فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ) إلخ: قيل: إن هذا الغلام أحد السنة الذين تكلموا في المهد، كما في شرح الأبي. وكونه في المهد ليس صريحاً في رواية المصنف، ولكن وقع عند النسائي في السنن الكبرى: «فجاءت امرأة بابن لها ترضعه» وهو صريح في كون الصبي رضيعاً. وزاد الترمذي بعد هذه القصة: «قال: يقول الله تعالى: ﴿وَقِيلَ اصْحَبِ الْأَخْدُوذِ﴾» أَلَا تَرَى ذَلِكَ الْوَفُو؟ - حتى بلغ - الْفَرِيزَ الْقَوِيدَ قال: فأما الغلام فإنه دفن، فيذكر أنه أخرج في زمن عمر بن الخطاب وأصبعه على ضدغه كما وضعها حين قتل.

وبرواية الترمذي استدلل بعض المفسرين أن المراد من أصحاب الأخدود في سورة البروج هؤلاء الذين آمنوا بالله بعد شهادة الغلام، ولكن رواية الترمذي ليست صريحة في ذلك، أما أولاً، فلأن تلاوة آيات من سورة البروج مدرجة من أحد الرواة، وليست جزءاً من حديث مرفوع. وأما ثانياً، فلأن مجرد تلاوة هذه الآيات لا يقتضي أن تكون نزلت في هذه القصة، وربما ينسب بعض الروايات الآيات لكونها مناسبة بالقصة أو منطقاً عليها، كما تقرر في أصول التفسير. وقد ذكر ابن إسحاق قصة لأهل نجران تشابه هذه القصة، وذكر أنها هي القصة المقصودة في القرآن الكريم، وراجع لها تفسير ابن كثير (٤: ٤٩٤). ولمولانا الشيخ حفظ الرحمن رحمه الله تعالى كلام طويل مستوعب في تعيين أصحاب الأخدود، راجع له قصص القرآن (٣: ٣١٧).

(١٨) - باب: حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر

هذا حديث يجمع أحاديث سمعها عبادة بن الوليد (حفيد عبادة بن الصامت رضي الله عنه) من أبي اليسر وجابر رضي الله عنه، رواها في سياق واحد، ونذكر تخريج كل حديث على حدة إن شاء الله تعالى، فإنه لم يخرج أحد بهذا السياق الطويل مجموعاً إلا المصنف رحمه الله تعالى.

قوله: (أَبِي حَزْرَةَ) بفتح الحاء وسكون الزاي، يقال: كنيته أبو يوسف، وأبو حزرة لقب، وهو يعقوب بن مجاهد القرشي الأمدي القاصص مؤلف بني مخزوم، وثقة النسائي وابن حبان، وقال أبو زرعة: لا بأس به. وعن ابن معين قال: صويلح الحديث، وقال ابن سعد: كان قليل الحديث مات بالإسكندرية (سنة: ١٤٩هـ أو ١٥٠هـ). كذا في التهذيب (١١: ٣٩٤).

قوله: (فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِينَا أَبَا الْيَسْرِ) بفتح الياء والسين، وهو كعب بن عمرو رضي الله عنه،

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَمَعَهُ غُلَامٌ لَهُ. مَعَهُ ضِمَامَةٌ مِنْ صُحُفٍ. وَعَلَى أَبِي الْيَسْرِ بُرْدَةٌ وَمَعَاوِرِيٌّ. وَعَلَى غُلَامِهِ بُرْدَةٌ وَمَعَاوِرِيٌّ. فَقَالَ لَهُ أَبِي: يَا عَمَّ، إِنِّي أَرَى فِي وَجْهِكَ سُفْعَةً مِنْ غَضَبٍ. قَالَ: أَجَلٌ، كَانَ لِي عَلَى فُلَانٍ بِنِ فُلَانٍ الْحَرَامِيِّ مَالٌ. فَأَتَيْتُ أَهْلَهُ فَسَلَّمْتُ. فَقُلْتُ: تَمَّ هُوَ؟ قَالُوا: لَا. فَخَرَجَ عَلَيَّ ابْنُ لَهْ جَفَرٍ. فَقُلْتُ لَهُ: أَيْنَ أَبُوكَ؟ قَالَ: سَمِعَ صَوْتَكَ.....

مشهور بكنيته واسمه، شهد العقبة وبدوأ، وله فيها آثار كثيرة، وهو الذي أسر العباس ﷺ وقال المدايني: كان قصيراً دحداً عظيم البطن، مات بالمدينة سنة خمس وخمسين، وقال ابن إسحاق: كان من آخر من مات من الصحابة، كأنه يعني أهل بدر. كذا في الإصابة (٤: ٢١٧).

قوله: (معه ضمامة من صحف) الضمامة، بكسر الضاد المعجمة: الرزمة، ومجموعة الشيء، لأنها يضم بعضها إلى بعض. وقد وقع في بعض النسخ (إضمامة) بزيادة الهمزة المكسورة في أولها، وهو المشهور في اللغة بهذا المعنى. والحاصل أنه كان عنده مجموعة من الصحف.

قوله: (وعلى أبي اليسر بردة ومعافري) البردة: شملة مخططة، وقيل: كساء مربع فيه صفر يليه الأعراب وجمعه البرد، والمعافري: بفتح الميم، نوع من الثياب يصنع بقرية تسمى معافر. وذكر القاضي عياض أن أصل هذه التسمية أنها لقييل من اليمن، سموا بذلك وأراهم نزلوها، أو أصل ما سموا به جبل ببلادهم يقال له معافر. كذا في شرح الأبي.

والمقصود من هذا الكلام التنبيه على أن أبا اليسر ﷺ كان يلبس ما يلبسه غلامه. وإن كان من الممكن أن يلبس معافريين، ويلبس غلامه بردين، أو على العكس ليصير لكل واحد منهما حلة متوافقة، ولكنه فعل ذلك عملاً بقوله ﷺ: «البسوهم ممّا تلبسون» كما سيأتي في كلامه.

قوله: (سفعة) بضم السين وسكون الفاء، وذكر النووي أنه يجوز فتح السين أيضاً، أي: تغيراً. والسفعة في أصل اللغة: السواد والشحوب. وقيل: نوع من السواد ليس بالكثير. قال ابن منظور في اللسان (٦: ٢٨١): «ومنه حديث أبي اليسر: «أرى في وجهك سفعة من غضب» أي: تغيراً إلى السواد».

قوله: (على فلان بن فلان الحرامى) هذه نسبة إلى بني حرام بفتح الحاء والراء. ورواه الطبري وغيره: (الحزامي) بالزاي المعجمة مع كسر الحاء. ورواه ابن مهران: (الجذامي) بجيم مضمومة وذال معجمة.

قوله: (ثم هو؟) هو استفهام بتقدير الهمزة، يعني: أهو ثمة؟ و (ثمة) معناه: في ذلك المكان.

قوله: (ابن له جفر) قال النووي: «الجفر هو الذي قارب البلوغ، وقيل: هو الذي قوي على الأكل وقيل: ابن خمس سنين» وهو في أصل اللغة ولد المعز الذي بلغ أربعة أشهر وجفر

فَدَخَلَ أَرِيكَهُ أُمِّي. فَقُلْتُ: أَخْرِجْ إِلَيَّ. فَقَدْ عَمِيتُ أَيْنَ أَنْتَ. فَخَرَجَ. فَقُلْتُ: مَا حَمَلْتُكَ عَلَى أَنْ اخْتَبَأْتَ مِنِّي؟ قَالَ: أَنَا، وَاللَّهِ، أَحَدُكُمْ. ثُمَّ لَا أَكْذِبُكَ. خَشِيتُ، وَاللَّهِ، أَنْ أَحْذَنُكَ فَأَكْذِبُكَ. وَأَنْ أَعِدَّكَ فَأُخْلِفَكَ. وَكُنْتُ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَكُنْتُ، وَاللَّهِ، مُعْسِرًا. قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ. قَالَ: اللَّهُ. قُلْتُ: اللَّهُ. قَالَ: اللَّهُ. قُلْتُ: اللَّهُ. قَالَ: اللَّهُ. قَالَ: فَأَتَنِي بِصُحْبَتِهِ فَمَحَاها بِيَدِهِ. فَقَالَ: إِنْ وَجَدْتُ قَضَاءً فَأَقْضِيهِ. وَإِلَّا، أَنْتَ فِي حِلٍّ. فَأَشْهَدُ بِصُرِّ عَيْنَيَّ هَاتَيْنِ (وَوَضَعَ إصْبَعَيْهِ عَلَى عَيْنَيْهِ) وَسَمِعْتُ أُذُنَيَّ هَاتَيْنِ، وَوَعَاةَ قَلْبِي هَذَا

جنباه وفصل عن أمه وأخذ في الترمي، والمؤنث منه جفرة. وراجع لسان العرب (٦: ٣١٤).

قوله: (فدخل أريكة أُمِّي) قال المازري: «قال ابن ثعلب: الأريكة: السرير في الحجرة، ولا يسمى منفرداً أريكة. وقال الأزهرى: كل ما اتكىء عليه أريكة» كذا في شرح الأبي. وقال الزجاج: «الأرائك: القُرُش في الحجال. وقيل: هي الأسرة، وهي في الحقيقة القُرُش، كانت في الحجال أو في غير الحجال. وقيل الأريكة: سرير متجد مزين في قبة أو بيت، فإذا لم يكن فيه سرير فهو حَجَلَة» كذا في نسان العرب (١: ١٢٢). والحاصل أنه اختفى تحت أريكة أمه لئلا تقع مواجهته لأبي اليسر عليه السلام.

قوله : (أَنْ اخْتَبَاتِ) أَيْ : اخْتَبَيْتِ .

قوله: (أنا والله أحذثك ثم لا أكذبك) يعني: أنني أصدقك الآن في بيان سبب اختلافي، وهو أنني خشيت إن واجهتك أن أكذب في وعدي، وأنت صاحب رسول الله ﷺ، وأرفع من أن يكذب في مواجهتك أحد.

قوله: (قال: قلت: أَلله؟) بِمَدْ أَهْمِزَةٍ، وهي همزة الاستفهام دخلت على همزة الوصل في كلمة (الله) وحرف القسم محذوف، فالهاء في الأخير مجرورة. وقد روى بعضهم فتح الهاء أيضاً، ولكنه غير موافق نقباس العربية في قول أكثر النحاة، لأن واو القسم إذا عُوِضَتْ بهمزة الاستفهام فلا يجوز فيه إلا الخفض.

قوله: (قال: اللهم) ذكر النووي أن الهمزة هنا غير ممدودة، وذلك لأنه جواب، فلا تصلح فيه همزة الاستفهام. والهمزة فيه قطعية، وربما تعوض واو القسم بقطع همزة الوصل، وفي مثله يجوز على الهاء الحركات الثلاثة، كما حققه الأبي.

قوله: (فأني بصحيفته فمحاها بيده) كأنه كان قد كتب في صحيفة أن له ديناً على فلان، فمحا هذه الكتابة ثلثاً ببقى الدين مسجلاً. وإنما فعل ذلك لأنه عزم بعد ذلك أن لا يظاليه بالدين، إلا أن يجد سعة فيؤديه بنفسه.

قوله: (والا، أنت في حِلٍّ) أي: بحلِّك أن لا تقضيني ديني.

بقوله: (بَصُرْتُ عَيْنِي هَاتَيْنِ) الرواية هنا يفتح الصاد وضمة الراء على كونه مصدرًا مضافًا إلى

(وَأَشَارَ إِلَى مَنَاطِ قَلْبِهِ) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «مَنْ أَنْظَرَ مُغْصِبًا، أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظْلَمَهُ اللَّهُ فِي ظُلْمِهِ».

قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ أَنَا: يَا عَمَّ، لَوْ أَنَّكَ أَخَذْتَ بُرْدَةَ غُلَامِكَ وَأَعْطَيْتَهُ مَغَافِرَتِكَ، وَأَخَذْتَ مَغَافِرَتَهُ وَأَعْطَيْتَهُ بُرْدَتَكَ، فَكَانَتْ عَلَيْكَ حُلَّةٌ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ. فَمَسَحَ رَأْسِي وَقَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِ. يَا بَنَ أَخِي، بَصُرْتُ عَيْنَيَّ هَاتَيْنِ، وَسَمِعْتُ أُذُنَيَّ هَاتَيْنِ، وَوَعَاةَ قَلْبِي هَذَا (وَأَشَارَ إِلَى مَنَاطِ قَلْبِهِ) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «أَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ. وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا

فاعله. وكذلك (سَمِعْتُ أُذُنَيَّ) بفتح النون وسكون الميم، وهو محاوراة من محاورات العرب. قال سيبويه: «العرب تقول: سَمِعْتُ أُذُنَيَّ زَيْدًا، وَرَأَيْتُ عَيْنَيَّ يَقُولُ ذَلِكَ وَيَفْعَلُ ذَلِكَ» وهو مصدر استعير للمعنى الفعل لزيادة التأكيد، ومفعوله (رسول الله ﷺ) ولذلك هو منصوب، وقبل ذلك جملة معترضة، وهي (ووعاء قلبي)، يعني: وعى قلبي ما رأيته وسمعته منه. والفصل بين الفاعل والمنعول بمثل هذه الجملة المعترضة فصل بغير أجنبي، فإنه يفيد التأكيد. وقوله (أشهد) قبل هذا الكلام في معنى القسم.

قوله: (وَأَشَارَ إِلَى مَنَاطِ قَلْبِهِ) بفتح الميم، وقد روي في بعض النسخ (نياط قلبه) بكسر النون، وكلاهما بمعنى عرق معلق بالقلب.

قوله: (مَنْ أَنْظَرَ مُغْصِبًا) إلخ: أي: أمهله مع بقاء الدين بمقدار ما كان. وقوله (وضع عنه) معناه: نقص منه شيئاً، أو عفا عن كذبه.

وحديث أبي اليسر هذا أخرجه ابن ماجه في الأحكام، باب إنظار المعسر (٢٤٤٤)، وأحمد في مسنده: (٣: ٤٢٧)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩: ١٦٥ إلى ١٦٨)، والبيهقي في شرح السنة (٨: ١٩٨)، وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان (٧: ٢٥١)، والقضاعي في مسند الشهاب (١: ٢٨١).

(٣٠٠٧) - قوله: (وَأَخَذْتَ مَغَافِرَتَهُ وَأَعْطَيْتَهُ بُرْدَتَكَ) كذلك وقع في جميع الروايات والنسخ بلفظ الواو في أول هذه الفقرة، ولكنه لا يستقيم معنى، فالصواب: (أَوْ أَخَذْتَ مَغَافِرَتَهُ) إلخ وذلك لأنه يريد أن يكون على كل واحد منهما حلة متوافقة، كما هو ظاهر من قوله (فكانت عليه حلة وعليه حلة) وإنما يحصل ذلك إذا أخذ بردته وأعطاه مغافيرته حتى يصير عنده بردتان وعند غلامه مغافرتان، أو بالعكس، بأن يأخذ مغافيرته ويعطيه بردته، حتى يصير عنده مغافرتان وعند نفسه بردتان، ولا يحصل ذلك المقصود بالجمع بين الأمرين، بأن يأخذ بردته ويعطيه بردة نفسه، ويأخذ مغافيرته ويعطيه مغافيرته نفسه، فإن ذلك لا يؤول إلا إلى تغيير الثياب، بدون أن يجتمع عند أحد منهما حلة كاملة.

قوله: (وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ) هذا الحديث من رواية أبي اليسر لم يخرج به إلا مسلم

تَلْبَسُونَهُ». وَكَانَ أَنْ أُعْطِيَتْهُ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ خَسَنَاتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ثُمَّ مَضَيْنَا حَتَّى أَتَيْنَا جَابِرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فِي مَسْجِدِهِ، وَهُوَ يُصَلِّي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، مُشْتَمِلًا بِهِ. فَتَحَقَّقْتُ الْقَوْمَ حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ. فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، أَتُصَلِّي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَرَدَاؤُكَ إِلَيَّ جَنِّبِكَ؟ قَالَ: فَقَالَ يَبْدُو فِي صَدْرِي هَكَذَا. وَفَرَّقَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ وَقَوْسَهَا: أَرَدْتُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيَّ الْأَحْمَقُ مِثْلَكَ، فَيَرَانِي كَيْفَ أَصْنَعُ، فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ.

رحمه الله. وقد أخرجه البخاري في "العتق" (رقم: ٢٥٤٥) من حديث أبي ذر رضي الله عنه، ولفظه: «إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس».

وحمل أبو اليسر رضي الله عنه هذا الحديث على المساواة حتى في أصناف الثياب، ولذلك لم يرض بأن تكون عليه حلة بردة وعلى غلامه حلة معافرة أو بالعكس. وذلك احتياط منه رضي الله عنه ورع. والجمهور على أن الحديث مقصوده المواساة لا المساواة. ويؤيد ذلك حديث أبي هريرة عند البخاري في "العتق" (رقم: ٢٥٥٧): «إِذَا أَتَى أَحَدَكُمْ خَادِمُهُ بَطْعَانَهُ، فَإِنْ لَمْ يُجْلِسْهُ مَعَهُ فَلْيُتَاوَلْهُ لِقْمَةً أَوْ لَعْنَةً» وحديث أبي هريرة مرفوعاً: «الْمَمْلُوكُ ضِعَاثُهُ وَكِسْوَتُهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَا يَكْلَفُ مِنْ أَعْمَالٍ مَا لَا يَطِيقُ» وهو يقتضي الرد في ذلك إلى العرف، فمن زاد عليه كان منطوعاً. كذا في فتح الباري (٥: ١٧٤).

وقال الأبى رحمه الله: «إِذَا كَانَ بَعْضُ شِبْوَخَانَا يَقُولُ: الْمُرَادُ مِمَّا تَلْبَسُونَ الْإِتِّحَادَ بِالنُّوعِ، لَا بِالنَّصَفِ. إِذَا لَبَسَ السَّيِّدُ الْمَلْفَ، وَبَسَ الْمَمْلُوكُ ثَوْباً مِنْ نَسِجِ الْحَائِكِ صَدَقَ أَنَّهُ كَسَاهُ مِمَّا يَلْبَسُ».

(٣٠٠٨) - قوله: (في ثوب واحد مشتملاً به) أي: ملتحقاً شتملاً لا ليس باشتمال الصفاء المنهي عنه. وفيه دليل لجواز الصلاة في ثوب واحد مع وجود الثياب، تكن الأفضل أن يزيد على ثوب عند الإمكان. وإنما فعل جابر هذا للتعليم وليبيان الجواز، كما بين ذلك في قوله الآتي.

قوله: (وفرق بين أصابعه وقوسها) لعله يريد أنه بعد التفريق بين الأصابع نواها إلى ظاهر الكف، حتى صار مجموع الكف كالقوس.

قوله: (أردت أن يدخل عليّ الأحمق مثلك) المراد بالأحمق هنا الجاهل. وحقيقة الأحمق من يعمل ما يضره مع علمه بضره. وفي هذا جواز مثل هذا اللفظ للتعزير والتأديب وزجر المتعلم وتنبهه. ولأن لفظة الأحمق والطائم قل من يفتك من الاتصاف بهما. وهذه الألفاظ هي التي يؤدب بها المتقون والودعون من استحق التأديب. كذا في شرح النووي.

قوله: (فيراني كيف أصنع) أي: فيتعلم أن الصلاة في الثوب الواحد جائز.

أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَسْجِدِنَا هَذَا. وَفِي يَدِهِ عُرْجُونُ ابْنِ طَابٍ. قَرَأَ فِي وَبَلَّةِ الْمَسْجِدِ نُخَامَةً فَحَكَّهَا بِالْعُرْجُونِ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يَحِبُّ أَنْ يُغْرِضَ اللَّهُ عَنْهُ؟» قَالَ: فَخَشَعْنَا. ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يَحِبُّ أَنْ يُغْرِضَ اللَّهُ عَنْهُ؟» قَالَ: فَخَشَعْنَا. ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يَحِبُّ أَنْ يُغْرِضَ اللَّهُ عَنْهُ؟» قُلْنَا: لَا أَيُّنَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَإِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَبْلَ وَجْهِهِ. فَلَا يَبْصُقُ قَبْلَ وَجْهِهِ. وَلَا عَنْ يَمِينِهِ. وَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ، تَحْتَ رِجْلِهِ الْيُسْرَى. فَإِنْ عَجَلَتْ بِهِ بَادِرَةٌ فَلْيَقْلُ بِثَوْبِهِ هَكَذَا» ثُمَّ طَوَى ثَوْبَهُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَقَالَ: «أَرُونِي عَبِيرًا» فَقَامَ فَتَى مِنَ الْخَيْ يَسْتَنْدُ إِلَى أَهْلِهِ. فَجَاءَ بِخَلْقٍ فِي رَاحَتِهِ. فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَهُ عَلَى رَأْسِ الْعُرْجُونِ، ثُمَّ لَطَخَ بِهِ عَلَى أَثَرِ النُّخَامَةِ.

قوله: (أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) هذا الحديث لا علاقة له بما ذكر من جواز الصلاة في الثوب الواحد، وإنما ذكره مستقلاً لكون عبادة بن الوليد وأبيه أتيا إليه طالبين للحديث. وهذا الحديث أخرجه أبو داود في الصلاة، باب في كراهية البزاق في المسجد (٤٨٥)، وأحمد في مسنده (٣: ٣٩٦).

قوله: (عرجون ابن طاب) بضم العين وسكون الراء: عود القنو من التخل، ويشتمل على شماريخ. وابن طاب نوع من التخل.

قوله: (نُخَامَةً) بضم النون: المُخَاط الذي يخرج من الأنف.

قوله: (فَخَشَعْنَا) والمراد منه هنا الخوف. ورواه بعضهم بالجيم بدل الخاء، ومعناه: جزعنا.

قوله: (لَا أَيُّنَا) أي: لا يحب ذلك أحد منا.

قوله: (فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَبْلَ وَجْهِهِ) قال النووي: «تأويله، أي: الجهة التي عظمها، أو الكعبة التي عظمها قبل وجهه».

قوله: (فَإِنْ عَجَلَتْ بِهِ بَادِرَةٌ) أي: غلبته بصفة أو نخامة بدت منه.

قوله: (فَلْيَقْلُ بِثَوْبِهِ هَكَذَا) أي: فليحكه بثوبه هكذا.

قوله: (أَرُونِي عَبِيرًا) وهو ضرب من الطيب ذو لون يجمع من أخلاط، وقد يطلق على الزعفران.

قوله: (بِخَلْقٍ) بفتح الخاء، وهو نوع من الطيب، وقيل: الزعفران. والأصح أنه يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب، وتغلب عليه الحمرة والصفرة، كانت تستعمله النساء. وقوله: (فِي رَاحَتِهِ) أي: في كفه.

قوله: (لَطَخَ بِهِ عَلَى أَثَرِ النُّخَامَةِ) لإزالة رائحتها الكريهة ومنظرها القبيح.

فَقَالَ جَابِرٌ: فَمِنْ هُنَاكَ جَعَلْتُمْ الْخُلُقَ فِي مَسَاجِدِكُمْ.

سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ بَطْنِ بَوَاطٍ. وَهُوَ يَطْلُبُ الْمَجْدِيَّ بْنَ عَمْرِو الْجُهَنِيِّ. وَكَانَ النَّاضِحُ يَغْتَبُهُ مِمَّا الْخُمْسَةُ وَالسَّنَةُ وَالسَّبْعَةُ. فَذَارَتْ عُقْبَةُ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاضِحٍ لَهُ. فَأَنَاحَهُ فَرَكِبَهُ. ثُمَّ بَعَثَهُ فَنَلَدَنَ عَلَيْهِ بَعْضُ الثَّلَثِينَ. فَقَالَ لَهُ: شَأْنُكَ اللَّهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ هَذَا اللَّاعِنُ بِعِمْرَةٍ؟» قَالَ: أَنَا. يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «أَنْزِلْ عَنْهُ. فَلَا تَصْحَبْنَا بِمَلْعُونٍ. لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تَوَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يَسْأَلُ فِيهَا عِظَاءَهُ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ».

(٣٠٠٩) - قوله: (سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) هذا حديث آخر لجابر رضي الله عنه سمعه عباد بن الوليد منه فرواه مجموعاً مع أحاديث أخرى.

وهذا الحديث أخرجه أبو داود في الصلاة، باب النهي أن يدعو الإنسان على أهله وماله (١٥٣٢)، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان لابن بليان (٧: ٤٩٨).

قوله: (فِي غَزْوَةِ بَطْنِ بَوَاطٍ) بضم الباء وقيل: بفتحها، والأول أشهر، جبل من جبال جهينة بناحية رضوى كما في معجم البلدان للحموي (٢: ٥٠٣). وإن رسول الله ﷺ غزا هذه الغزوة في السنة الثانية من الهجرة في شهر ربيع الأول، قبل غزوة بدر، يريد قريشاً، واستعمل على المدينة السائب بن مظعون، وهو أخو عثمان بن مظعون رضي الله عنه، حتى بلغ بواط، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً. وراجع سيرة ابن هشام مع الروض الأنف للسيهلي (٢: ٥٧).

وذكر الواقدي في مغازيه (١: ١٢) أنه ﷺ خرج يعترض لعير قريش، فيها أمية بن خلف ومائة رجل من قريش، والفران وخمسمائة بعير، ثم رجع ولم يلق كيداً، فيمكن أن يكون المجدي بن عمرو الجهني المذكور في هذا الحديث من جملة أصحاب العير، والله سبحانه أعلم.

قوله: (وَكَانَ النَّاضِحُ يَغْتَبُهُ مِمَّا الْخُمْسَةُ) بضم القاف، أي: يتناوب الخمسة في ركوبه، فيركب واحد عقب الآخر. والناضح: البعير الذي يستقى به، ثم قد يستعمل لكل بعير.

قوله: (فَذَارَتْ عُقْبَةُ رَجُلٍ) بضم العين وسكون القاف، وهي بمعنى النوبة.

قوله: (فَنَلَدَنَ عَلَيْهِ) أي: تَلَكَّا وَتَوَقَّفَا، فلم يقم.

قوله: (شَأْنُكَ) وفي بعض الروايات (سَأْ) بالسین المهملة، وكلاهما كلمتان يزرع بهما البعير ومنه يقال: شَأَشَأْتُ البعير: إذا زجرته بقولي (شَأْ).

قوله: (فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ) هو ينصب الباء على أنه جواب للنهي، ويرفعها بتقدير (هو). والحديث يدل على عدم جواز لعن البعير والدواب الأخرى، وعدم جواز الدعاء على نفسه وأهله.

سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. حَتَّى إِذَا كَانَتْ عُشْيِيَّةٌ وَذَنُونا مَاءً مِنْ مِياهِ الْعَرَبِ، قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ رَجُلٌ يَتَقَدَّمُنَا فَيَمْدُرُ الْحَوْضَ فَيَشْرَبُ وَيَسْقِينَا؟» قَالَ جَابِرٌ: فَقُلْتُ: هَذَا رَجُلٌ، يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّ رَجُلٍ مَعَ جَابِرٍ؟» فَقَامَ جَابِرُ بْنُ صَخْرٍ. فَأُتِلَفْنَا إِلَى الْبُيُوتِ. فَتَزَعْنَا فِي الْحَوْضِ سَجَلًا أَوْ سَجَلَيْنِ. ثُمَّ مَدَرْنَاهُ. ثُمَّ تَزَعْنَا فِيهِ حَتَّى أَفْهَقْنَاهُ. فَكَانَ أَوَّلَ طَالِعِ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ: «أَتَأَذَنَانِ؟» قُلْنَا: نَعَمْ. يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَشْرَعَ نَاقَتَهُ فَشَرِبَتْ.

قوله: (٣٠١٠) - قوله: (سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) هذا الحديث أخرجه أبو داود في الصلاة، باب إذا كان الثوب ضيقاً (١٣٤)، وأحمد في مسنده (٣: ٣٣٥)، والبيهقي في سننه الكبرى (٢: ٢٣٩)، والبخاري في شرح السنة (٣: ٣٨٥).

قوله: (حتى إذا كانت عُشْيِيَّةٌ) بضم العين وفتح الشين الأولى وكسر الثانية وتخفيف الياء الثانية، تصغير للعشية على خلاف القياس، لأن قياس تصغيرها أن يكون (عُشْيَةً).

قوله: (قِمْدُرُ الْحَوْضِ) أي: يطئنه ويصلحه. والمْدُرُ يسكون الدال: نطيتك وجه الحوض بالطين الحر لئلا ينشف، كما في لسان العرب (١٣: ٥٣).

قوله: (هذا رجل يا رسول الله) يريد نفسه، يعني: أئني أنا الرجل الذي يستعد لهذا الأمر. قوله: (فقام جبار بن صخر) الأنصاري ثم السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يكنى أبا عبد الله، ذكره موسى بن عقبة عن ابن شهاب في أهل العَقَبَةِ، وذكره أبو الأسود عن عروة في أهل بدر. وكان يخرص نخيل خببر بعد عبد الله بن رواحة، ولا يعرف له حديث في غير هذه القصة، وراجع الإصابة (١: ٢٢١).

قوله: (سَجَلًا) أي: دلوًا كبيرًا، وهو بفتح السين وسكون الجيم.

قوله: (حتى أفهقناه) أي: ملأنا الحوض، وفي بعض النسخ: (أصفقناه) ومعناها واحد. والحاصل أنه كان هناك بشر وحوض، فتزعا أولاً دلوًا أو دلوين لتحويل الثراب إلى الطين، ثم طَبْنَا الحوض لينظف ويستقر فيه الماء الطيب، ثم نزعا من البئر وملأنا ذلك الحوض.

قوله: (أتأذنان؟) أي: للشرب من هذا الحوض. وإنما استأذن منهما لأنهما كانا أحق بهذا الماء الذي نزعهما، وبهذا الحوض الذي صنعاه وملأناه. وكان من المعروف لديه ﷺ أنهما راخيان بأن يشرب منه ﷺ أو يسقي ناقته، ولكنه أخذ بأفضل الأخلاق وبالورع تعليمًا للامة لتقتدي به في مثله.

قوله: (فأشرع ناقته) أي: أرسل رأسها في الماء لتشرب. يقال: شرعت الدابة في الماء: شربت منه بضمها، وأشرعها: أي: جعلتها تشرب.

سَنَوُ لَهَا فَشَجَّتْ قَبَالَتْ. ثُمَّ عَدَلَ بِهَا فَأَنَاحَهَا. ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْخُوَصِ فَنَوَّضًا مِنْهُ. ثُمَّ قُمْتُ فَنَوَّضْتُ مِنْ مَنَوَّضَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَذَهَبَ جَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ يَقْضِي حَاجَتَهُ. فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ. وَكَانَتْ عَلَيَّ بُرْدَةٌ ذَهَبْتُ أَنْ أَخَالِفَ بَيْنَ طَرَفَيْهَا فَلَمْ تَبْلُغْ لِي. وَكَانَتْ لَهَا ذَبَابٌ فَكَغَسْتُهَا ثُمَّ خَالَفْتُ بَيْنَ طَرَفَيْهَا. ثُمَّ تَوَاقَعْتُ عَلَيْهَا. ثُمَّ جِئْتُ حَتَّى قُمْتُ عَنْ يَسَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَذَارَنِي حَتَّى أَقَامَنِي عَنْ يَمِينِهِ. ثُمَّ جَاءَ جَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ فَنَوَّضًا. ثُمَّ جَاءَ فَقَامَ عَنْ يَسَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدَيْنَا جَمِيعًا. فَذَفَعَنَا حَتَّى أَقَامَنَا خَلْفَهُ. فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْمُقُنِي وَأَنَا لَا أَشْعُرُ. ثُمَّ قُطِنْتُ بِهِ. فَقَالَ هَكَذَا، بِيَدِهِ. يَغْنِي شُدَّ وَسَطُكَ. فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَا جَابِرُ، قُلْتُ: لُبَيْكَ. يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِذَا كَانَ وَاسِعًا فَخَالِفْ بَيْنَ طَرَفَيْهِ. وَإِذَا كَانَ ضَيِّقًا

قوله: (سَنَوُ لَهَا) أي: كَفَّهَا بِزَمَامِهَا. وقال ابن دريد: هو أن تجذب زمامها حتى تقارب رأسها فادّمة الرجل.

قوله: (فَشَجَّتْ) الفاء هنا أصلية والحجم مخففة، يقال: فشج البعير: إذا فرّج بين رجليه للبول. ووقع في بعض الروايات: (فَشَجَّتْ) بتشديد الجيم، وإثاء على هذه الرواية عاطفة، ومعنى (شَجَّتْ) أي: قطعت الشرب. والأول أولى، وقوله (سَنَوُ لَهَا) و (فَشَجَّتْ) يقدر قبل كل واحد منها حرف للعطف، أي: و سَنَوُ لَهَا وَفَشَجَّتْ.

قوله: (ذَهَبْتُ أَنْ أَخَالِفَ بَيْنَ طَرَفَيْهَا فَلَمْ تَبْلُغْ لِي) أي: كانت عندي بردة واحدة لجميع يدي، فأردت أن أعطي بها جميع يدي بأن أجعل طرفه الأيمن على منكبي الأيسر، وطرفه الأيسر على منكبي الأيمن، ولكنني لم أستطع ذلك فصغر البردة، فلم يبلغ طرفه إلى المنكب.

قوله: (كَانَتْ لَهَا ذَبَابٌ فَكَغَسْتُهَا) الذباب: الأَهْدَابُ، واحدها: ذُبَابٌ، بكسر الذالين. وقوله (نَكَسْتُهَا) بتخفيف الكاف، معناه: قَبَسْتُهَا. والظاهر أن مراده أن الذباب كانت في الطول، وكان عرضها قصيراً، فبسه من جانب الطول، فبلغ الرداء إلى المنكب بفضل هذه الذباب.

قوله: (ثُمَّ تَوَاقَعْتُ عَلَيْهَا) أي: أمسكت الرداء بعنقي، وزاد أبو داود: (لَا تَسْقُطْ) أي: إنما فعلت ذلك لئلا يسقط الرداء. وذلك أن الرداء وإن بلغ إلى المنكب بفضل الذباب، ولكنه مع ذلك كان بحيث لا يستقرّ على المنكب بنفسه، فاحتاج إلى أن يمسه ما بين ذفته وعنقه.

قوله: (حَتَّى أَقَامَنَا خَلْفَهُ) وبهذا علمهما سَنَةُ الموقف في صلاة الجماعة، أن المفتدي إن كان واحداً يقوم عن يمين الإمام لا عن يساره، وإذا كانا اثنين قاما خلف الإمام. ودلّ الحديث أيضاً على أن مثل هذه الحركات لإصلاح الصلاة جائزة.

قوله: (يَرْمُقُنِي) بضم الميم، أي: ينظر إليّ نظراً متتابعاً.

فَاشْدُدْ عَلَى حَقْوِكَ.

سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَكَانَ قُوْتُ كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا، فِي كُلِّ يَوْمٍ، ثَمْرَةً. فَكَانَ يَمَضُّهَا ثُمَّ يَصْرُهَا فِي ثَوْبِهِ. وَكُنَّا نَخْتَبِطُ بِقِسِينَا وَنَأْكُلُ. حَتَّى قَرَحَتْ أَشْدَاقُنَا. فَأَقْسِمُ أَخِطْنَهَا رَجُلٌ مِنَّا يَوْمًا. فَانْطَلَقْنَا بِهِ نَنْعِشُهُ. فَشَهِدْنَا أَنَّهُ لَمْ يُعْطَهَا. فَأَعْطِيَهَا فَقَامَ فَأَخَذَهَا.

قوله: (فاشدده على حقوك) بفتح الحاء، وهو معقد الإزار، والمراد منه هنا: فوق السرّة. ودل الحديث على جواز الصلّة برداء واحد يتزر به الرجل بحيث يستر ما بين سرّته وركبته فقط. وأرشد النبي ﷺ إلى أنه إذا كان الرداء ضيقاً فإنه لا حاجة إلى أن يتكلف المرء إيصاله إلى المنكب، بل يشده فوق سرّته ويصلي.

وهذا الحديث مناسب لما سبق من أن عبادة بن الوليد رأى جابراً يصلي في رداء واحد، فسأله عبادة عن ذلك. فقال: أردت أن يدخل عليّ الأحمق مثلك إلخ. وقد أخرجه أحمد في مسنده (٣: ٣٣٥) بهذا السياق عن شرحبيل أبي سعيد: «أنه دخل على جابر بن عبد الله وهو يصلي في ثوب واحد وحوله ثياب، فلما فرغ من صلاته، قال، قلت: غفر الله لك يا أبا عبد الله! تصلي في ثوب واحد، وهذه ثيابك إلى جنبك؟ قال: أردت أن يدخل عليّ الأحمق مثلك فبراني أصلي في ثوب واحد، أو كان لكل أصحاب رسول الله ﷺ ثوبان؟ قال: ثم أنشأ جابر يحدثنا، فقال: قال رسول الله ﷺ: إذا ما اتسع الثوب فتعاطف به على منكبيك ثم صل، وإذا ضاق عن ذاك فشدّ به حقوك، ثم صل من غير ردّة له».

(١١١) - قوله: (سرنا مع رسول الله ﷺ) هذا الحديث من أفراد مسلم.

قوله: (ثم يصرها في ثوبه) بضم الصاد، أي: يلقها في ثوبه، وأصل الصرّ: الجمع والشّد. والمعنى أنه كان يعطي ثمرة واحدة لساثر اليوم، فيمض شيئاً منها ثم يلقها في ثوبه ليأكلها في وقت آخر.

قوله: (وكنا نختبط بقسینا) يعني: كنا نضرب بأقواسنا الشجر ليتحات الورق، فنأكل منها.

قوله: (حتى قرحت أشداقنا) بكسر الراء، أي: تجرّحت من خشونة الورق وحرارته.

قوله: (فأقسم) معنى أقسم: أحلف. وقوله (أخطئها) مبني على المجهول أي: أخطأ رجلاً فلم يعطه الثمرة حتى فاتته. والمقصود أنه كان للتمر قاسم يقسمه بينهم فيعطي كل إنسان ثمرة كل يوم، فقسم في بعض الأيام ونسي إنساناً فلم يعطه ثمرة وظن أنه أعطاه، فتنازعا في ذلك وشهدنا له أنه لم يعطها، فأعطياها بعد الشهادة.

قوله: (ننعمشه) بفتح العين، أي: نرفعه ونقيمّه. يعني: أنه كان من شدة الجوع والجهد كاد أن يسقط فحملناه. وذكر القاضي عياض أن معناه أننا قوينا دعواه بشهادتنا، وليس المراد الحمل بالأيدي.

سَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَزَلْنَا وَادِيًا أَفْجَحَ. فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ. فَاتَّبَعْتُهُ بِإِذَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ. فَتَطَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ. فَإِذَا شَجَرَتَانِ بِشَاطِئِ الْوَادِي. فَاذْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْنِ إِحْدَاهُمَا فَأَخَذَ بَعْضُي مِنْ أَغْصَانِهَا. فَقَالَ: «انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ» فَاثْقَاضَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ، الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدُهُ. حَتَّى أَتَى الشَّجَرَةَ الْآخَرَى. فَأَخَذَ بَعْضُي مِنْ أَغْصَانِهَا. فَقَالَ: «انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ» فَاثْقَاضَتْ مَعَهُ كَذَلِكَ. حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمُنْصَفِ مِمَّا بَيْنَهُمَا، لِأَمْ بَيْنَهُمَا، (يَعْنِي جَمْعَهُمَا)، فَقَالَ: «النِّسْبَا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ» فَالْتَأَمَتَا. قَالَ جَابِرٌ: فَخَرَجْتُ أَخْضِرُ مَخَافَةَ أَنْ يُجَسَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقُرْبِي فَيَتَبَعَدَ (وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ: فَيَتَبَعَدُ) فَجَلَسْتُ أَحَدُتُ نَفْسِي. فَحَانَتْ مِنِّي لَفْتَةٌ، فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُقْبِلًا. وَإِذَا الشَّجَرَتَانِ قَدْ افْتَرَقَتَا. فَقَامَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَى سَاقٍ. فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَفَ وَقَفَةً.....

(٣٠١٢) - قوله: (سرنا مع رسول الله ﷺ) هذا الحديث لم يخرج غير المصنف من الأئمة الستة، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٦: ٩).

قوله: (واديًا أفجح) بوزن (أفجح) يعني: واسعاً. و (شاطئ الوادي) جانبه.

قوله: (فاثقاضت معه كالبعير المخشوش) وهو الذي يجعل في أنفه خشاش، بكسر الخاء، وهو عود يجعل في أنف البعير إذا كان صعباً، ويشد فيه حبل ليدل وينقاد، وقد يتمانع لصعوبته، فإذا اشتد عليه وآلمه انقاد شيئاً، ولهذا قال: (الذي يصانع قائده) أي: يتفاعل معه ويستسلم له.

قوله: (حتى إذا كان بالمنصف) بفتح الميم والصاد، وهو نصف المسافة.

قوله: (فخرجت أخضر) بضم الهمزة من باب الإكram، أي: أعدو وأركض بشدة وذلك لأنه إن شعر رسول الله ﷺ بقربي، فإنه لا يجلس لقضاء حاجته في ذلك المكان، بل يذهب إلى مكان أبعد منه، وذلك يشق عليه، فتبعدت أنا منه لئلا يتعب هو بالعشي إلى مكان بعيد.

قوله: (فحانت مني لفطة) بفتح اللام وسكون الفاء، وهي بمعنى النظرة إلى جانب. ووقع في بعض الروايات: (فحالت) بدل قوله (فحانت) وكلاهما بمعنى واحد.

قوله: (وإذا الشجرتان قد افترقتا) وحاصل الكلام أن النبي ﷺ كان يريد التستر لقضاء حاجته، وما كان يتيسر له ذلك بشجرة واحدة، فأمر الشجرتين حتى انتقلتا إلى مكان متوسط بينهما ثم أمرهما حتى التأمنا بحيث صارتا كجسم واحد، فستر بهما وقضى حاجته، ثم عادت الشجرتان إلى هيتهما المستقلة ورجعت كل واحدة منهما إلى مكانها. وهذه معجزة من معجزات النبي ﷺ.

قوله: (فرأيت رسول الله ﷺ وقف وقفاً) وإنما وقف كذلك لما سيأتي أنه شعر أن هناك قيرين يعذب صاحباهما.

فَقَالَ بِرَأْسِهِ هَكَذَا، (وَأَشَارَ أَبُو إِسْمَاعِيلَ بِرَأْسِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا)، ثُمَّ أَقْبَلَ. فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيَّ قَالُ: «يَا جَابِرُ، هَلْ رَأَيْتَ مَقَامِي؟» قُلْتُ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَانْطَلِقْ إِلَى الشَّجَرَتَيْنِ فَاقْطَعْ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عُصْنًا. فَأَقْبِلْ بِهِمَا. حَتَّى إِذَا قُمْتَ مَقَامِي فَأَرْسِلْ عُصْنًا عَنْ يَمِينِكَ وَعُصْنًا عَنْ يَسَارِكَ».

قَالَ جَابِرُ: فَقُمْتُ فَأَخَذْتُ حَجَرًا فَكَسَرْتُهُ وَحَسَرْتُهُ. فَأَتَدَلَّقَ إِلَيَّ. فَأَتَيْتُ الشَّجَرَتَيْنِ فَقَطَعْتُ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عُصْنًا. ثُمَّ أَقْبَلْتُ أَجْرُهُمَا حَتَّى قُمْتُ مَقَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. أَرْسَلْتُ عُصْنًا عَنْ يَمِينِي وَعُصْنًا عَنْ يَسَارِي. ثُمَّ لَحِقْتُهُ فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَعَمَّ ذَاكَ؟ قَالَ: «إِنِّي مَرَرْتُ بِقَبْرَيْنِ يُعَذَّبَانِ. فَأَخْبَيْتُ، بِشَفَاعَتِي، أَنْ يُرْفَعَ عَنْهُمَا، مَا دَامَ الْعُصْنَانِ رَطْبَيْنِ».

قَالَ: فَأَتَيْتُمَا الْعُسْكَرَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا جَابِرُ نَادِ بِوُضُوءٍ» فَقُلْتُ: أَلَا

قوله: (فقال برأسه هكذا) أي: أشار برأسه وحركه يميناً وشمالاً، لأن أحد القبرين كان في جانب اليمين، والآخر كان في جهة اليسار.

قوله: (هل رأيت مقامي؟) يعني: هل رأيت المكان الذي وقفت فيه وفئة؟

قوله: (فأرسل عصناً) إلخ: يعني: أتركه موضوعاً هناك.

قوله: (وحسرتُه) أي: أحددته ونحبت عنه ما يمنع حدثه بحيث يمكن لي أن أقطع به العصن. وأصل الحسر: كشطك الشيء عن الشيء ونحوه. ومنه (حاسر الرأس) وهو الذي ليس على رأسه قنسوة أو عمامة، كأنه كشطها عن رأسه. وقوله (فاندلق) أي: صار حاداً.

قوله: (فعمم ذاك؟) (عن) ههنا سبيبة، و (ما) موصولة، أدغمت نون الأول في ميم الثاني وحذفت الألف من آخره، يعني: لماذا أمرتني بهذا الفعل؟

قوله: (أن يرفقه عنهما) أي: أن يخفف عنهما في العذاب. وهذه الفصة غير النقص المعروفة التي تقدمت قبيل كتاب الحيض رواها ابن عباس رضي الله عنه أنه ﷺ مر على قبرين فقال: «أما إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير إلخ» ثم دعا بعسيب رطب فسقاه بائنين ثم غرس على هذا واحداً وعلى هذا واحداً، وقد ذكر الحافظ في الفتح (١: ٣١٩) وجوه التمايزة بين حديث جابر وحديث ابن عباس رضي الله عنه، وأما حكم وضع الجريدة أو العصن على القبر، فقد تقدم الكلام عليه قبيل كتاب الحيض. وقوله ﷺ (بشفاعتي) في هذا الحديث ظاهر في أن التخفيف في العذاب إنما كان بشفاعته النبي ﷺ وأن ذلك من خصائصه، والحكم ليس بعام، والله سبحانه أعلم.

(٣٠١٣) - قوله: (نادِ بوضوء) بفتح الواو، وهو الماء الذي يتوضأ به، يعني: اسأل الناس

هل عند أحدكم ماء للوضوء؟

وَضُوءٌ؟ أَلَا وَضُوءٌ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا وَجَدْتُ فِي الرُّكْبِ مِنْ قُطْرَةٍ. وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُبْرِدُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَاءَ، فِي أَشْجَابٍ لَهُ، عَلَى جِمَارَةٍ مِنْ جَرِيدٍ. قَالَ: فَقَالَ لِي: «انْطَلِقْ إِلَى فَلَانِ بْنِ فَلَانٍ الْأَنْصَارِيِّ، فَانْظُرْ هَلْ فِي أَشْجَابِهِ مِنْ شَيْءٍ؟» قَالَ: فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهِ فَتَنْظَرْتُ فِيهَا فَلَمْ أَجِدْ فِيهَا إِلَّا قُطْرَةً فِي عِزْلَاءٍ شَجِبَ مِنْهَا، لَوْ أَنِّي أَفْرَعُهُ لَشَرِبَهُ يَابِسُهُ. فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَمْ أَجِدْ فِيهَا إِلَّا قُطْرَةً فِي عِزْلَاءٍ شَجِبَ مِنْهَا. لَوْ أَنِّي أَفْرَعُهُ لَشَرِبَهُ يَابِسُهُ. قَالَ: «اذهب فأتيني به» فَأَتَيْتُهُ بِهِ. فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ فَجَعَلَ يَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ لَا أَدْرِي مَا هُوَ. وَيَغْمِزُهُ بِيَدِيهِ. ثُمَّ أَغْطَانِيهِ فَقَالَ: «يَا جَابِرُ، نَادِ بِجَفْنَةٍ» فَقُلْتُ: يَا جَفْنَةُ الرُّكْبِ، فَأَتَيْتُ بِهَا تُحْمَلُ. فَوَضَعْتُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ فِي الْجَفْنَةِ هَكَذَا. فَبَسَطَهَا وَفَرَّقَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ. ثُمَّ وَضَعَهَا فِي قَعْرِ

قوله: (في أشجابه له على حمارة من الجريد) الأشجابه جمع شَجِب، يسكون الجيم، وهو السقاء الذي قد أخلق وبلي وصار شئاً يابساً. والحمارة، بكسر الحاء وتخفيف الميم والراء: أعواد تعلق عليها أسقية الماء، والجريد غصن التخل. والمعنى أن رجلاً من الأنصار كان يضع الماء في شئ يابس ويعلقه على أعواد من الجريد ليبرد الماء فبشر به رسول الله ﷺ. فظن رسول الله ﷺ أنه يوجد عنده بعض الماء.

قوله: (إلا قطرة في عزلاء شجب منها) العزلاء: بفتح العين وسكون الزاي: قم القرية. يعني: كان هناك قطرة، أي: قليل من الماء، في قم قرية من القرب التي كانت عنده.

قوله: (لو أنني أفرغه لشربه يابس) يعني: أن الماء كان من القلة بحيث لو سكبته في إناء ليست القطرة قبل أن تبلغ الإناء، لأن الشئ اليابس يجذبه.

قوله: (يتكلم بشيء لا أدري ما هو) كأنه ﷺ دعا بكلمات لم يسمعها جابر ﷺ.

قوله: (ويغمزه بيديه) وفي بعض النسخ: (بيده) والمراد أنه ﷺ جعل يغمز الشَّجِبَ بيده ليعصره.

قوله: (ناد بجفنة) أي: ناد الناس ليأتي أحدهم بجفنة، وهي بفتح النجم إناء يوضع فيه الطعام، وهي الفصعة الكبيرة. والجمع جفان.

قوله: (يا جفنة الركب) قال النووي: أي يا صاحب جفنة الركب، فحذف المضاف للعلم بأنه المراد، وأن الجفنة لا تُنادى. ومعناه: يا صاحب جفنة الركب التي تشبعهم أحضرها. أي: من مكان عنده جفنة بهذه الصفة فليحضرها.

قوله: (فأتيت بها تُحمل) يعني: يحملها الناس، وفيه إشارة إلى كبرها وثقلها.

قوله: (ثم وضعها في قعر الجفنة) أي: وضع يده الشريفة في أسفلها.

الْجَفْنَةِ. وَقَالَ: «خُذْ. يَا جَابِرُ، فَصُبَّ عَلَيَّ. وَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ» فَصَبَّتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ: بِاسْمِ اللَّهِ. فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. ثُمَّ فَازَتْ الْجَفْنَةُ وَذَارَتْ حَتَّى امْتَلَأَتْ فَقَالَ: «يَا جَابِرُ، نَادِ مَنْ كَانَ لَهُ حَاجَةٌ بِمَاءِهِ» قَالَ فَأَتَى النَّاسُ فَاسْتَقَوْا حَتَّى زُوُوا. قَالَ: قُلْتُ: هَلْ بَقِيَ أَحَدٌ لَهُ حَاجَةٌ؟ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ مِنَ الْجَفْنَةِ وَهِيَ مَلَأَتْ.

وَشَكَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْجُوعَ. فَقَالَ: «عَسَى اللَّهُ أَنْ يَطْعِمَكُمْ» فَأَتَيْنَا سَيْفَ الْبَحْرِ. فَزَحَرَ الْبَحْرُ زَحْرَةً.

قوله: (فَصَبَّ عَلَيَّ) أي: اسكب على يدي الماء من القرية.

قوله: (فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) قال القاضي عياض: «هذه من باهر معجزاته ﷺ، وقد روي عنه هذه في مواطن متفقة المعنى. وكذلك من معجزاته ﷺ ما تقدم من أمر الشجرتين، وكذلك اكتفاؤهم بالثمرة ببركته ﷺ».

(٣٠١٤) - قوله: (فَأَتَيْنَا سَيْفَ الْبَحْرِ) بكسر السين وسكون الباء، وهو بمعنى الساحل. وإن هذه السرية تسمى سرية سيف البحر، وتسمى سرية الخط أيضاً، لأن الصحابة اضطروا فيها إلى أكل الخبط، وهي ورق الشجر. وقد مضت قصة هذه السرية مبسطة في كتاب الصيد والذباح، باب إباحة ميتات البحر، وذكرنا هناك أنها وقعت سنة ست أو قبلها، وكان أميرهم أبو عبيدة بن الجراح ﷺ، وخرجوا يثقفون عيراً لقريش ويسيرون إلى جهينة.

ثم يظهر من سياق الحديث هنا أنهم كانوا مع النبي ﷺ في هذا الغزو. ولكن سياق حديث جابر في كتاب الصيد أن النبي ﷺ لم يكن معهم في سرية سيف البحر، حيث قال: «بعثنا رسول الله ﷺ وأمر علينا أبا عبيدة بن الجراح» وكذلك وقع في روايات البخاري في المغازي (رقم: ٤٣٦٠ وما بعدها).

ومن أجل هذا الاختلاف مال بعض العلماء كالفاضي عياض رحمه الله، إلى أنهما قصتان، فما تقدم في كتاب الصيد سرية لم يكن معها رسول الله ﷺ، وهذه غزوة شهدها رسول الله ﷺ بنفسه. ولكن هذا بعيد بالنظر إلى موافقة الحديثين في أكثر أجزاء القصة، فإرجاع ما ذكره القاضي رحمه الله احتمالاً، وهو أن القصة واحدة، ولكن أوردها جابر هنا بعد ذكر ما شاهده مع رسول الله ﷺ، وعطف هذه القضية عليها. وشرحه الحافظ في الفتح (٨: ٨١) بقوله: «يمكن حمل قوله: فَأَتَيْنَا سَيْفَ الْبَحْرِ على أنه معطوف على شيء محذوف تقديره: بعثنا النبي ﷺ في سفر فَأَتَيْنَا إلخ) والحاصل أن قوله: (شكا الناس إلى رسول الله ﷺ الجوع، فقال عسى الله أن يطعمكم) منفصل عما بعده. والأسلوب الذي سردت به أحاديث مختلفة في هذا الحديث الطويل لا يأبى هذا التقدير، والله سبحانه أعلم.

قوله: (فَزَحَرَ الْبَحْرُ زَحْرَةً) أي: مَدَّ وكثر في ماؤه وارتفعت أمواجه.

فَأَلْقَى دَابَّةً. فَأَوْرَيْنَا عَلَى شِقْمِهَا النَّارَ. فَاطْبَعْنَا وَاشْتَوَيْنَا، وَأَكَلْنَا حَتَّى شَبِعْنَا. قَالَ جَابِلٌ: قَدْ خَلْتُ أَنَا وَقُلَانٌ وَقُلَانٌ، حَتَّى عَدَّ خُمُسَهُ، فِي حِجَاجِ عَيْنَيْهَا. مَا يَرَانَا أَحَدٌ. حَتَّى خَرَجْنَا. فَأَخَذْنَا ضِلْعاً مِنْ أَضْلَاعِهِ فَقَوَّسْنَاهُ. ثُمَّ دَعَوْنَا بِأَعْظَمِ رَجُلٍ فِي الرُّكْبِ، وَأَعْظَمِ جَمَلٍ فِي الرُّكْبِ، وَأَعْظَمِ كِفَلٍ فِي الرُّكْبِ، فَدَخَلَ نَحْتَهُ مَا يُطَاطَىءُ رَأْسُهُ.

(١٩) - باب: في حديث الهجرة. ويقال له: حديث الرُّحْل

٧٤٣٨ - (٧٥) حَدَّثَنِي سَلَمَةُ بْنُ شَيْبٍ. حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أُعَيْنٍ. حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ. حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ قَالَ: سَمِعْتُ الْبِرَاءَ بْنَ عَازِبٍ يَقُولُ: جَاءَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ إِلَى أَبِي فِي مَتْرَلِهِ. فَاشْتَرَى مِنْهُ رَحْلاً. فَقَالَ لِعَازِبٍ: ابْعَثْ مَعِيَ ابْنَكَ يَحْمِلُهُ مَعِيَ إِلَى مَتْرَلِي. فَقَالَ لِي

قوله: (فألقي دابة) تقدم في كتاب الصيد أنه كان حوتاً عظيماً يقال له العنبر.

قوله: (فأورينا) أي: أوقدنا.

قوله: (في حجاج عينها) بكسر الحاء وفتحها، وهو عظمها المستدير بالعين.

قوله: (ما يرانا أحد) يعني: أن خمسة رجال دخلوا في حجاج عينها، فغابوا فيها حتى لا يراهم أحد من الخارج.

قوله: (وأعظم كفل) بكسر الكاف وسكون الفاء، وهو الكساء الذي يحويه راكب البعير على سنامه ثلاثاً يسقط، فيحفظ الكفل الراكب. وذكر القاضي عياض رحمه الله أنه ضبطه بعض الرواة بفتح الكاف والفاء، وهو بمعنى العُجْز. وذكر النووي أن الأول أصح.

قوله: (ما يطاطىء رأسه) أي: لم يحتج هذا الراكب أن يخفض رأسه لعظم الضلع المقوس.

(١٩) - باب: في حديث الهجرة، ويقال له: حديث الرحل

٧٥ - (٢٠٠٩) - قوله: (سمعت البراء بن عازب) قد تقدم بعض أطراف هذا الحديث في كتاب الأشربة، باب شرب اللبن، وتقدم شرحه وتخريجه هناك. وأخرجه أيضاً أحمد في مسنده (١: ٢)، وابن حبان في صحيحه، كما في ترتيبه (٩: ١٠)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢: ٤٨٣)، وأبو نعيم في الدلائل (٢: ٣٢٥).

قوله: (فاشترى منه رحلاً) بفتح الراء وسكون الحاء، وهو للناقة كالسرج للفرس.

قوله: (فقال لعازب) يعني: عازب بن الحارث والد البراء رضي الله عنه. قال ابن سعد: «قالوا: وكان عازب قد أسلم ولم يسمع له بذكر في المغازي، وقد سمعنا بحديثه في الرحل الذي اشتراه منه أبو بكر الصديق» كذا في الإصابة (٢: ٢٣٥) وأما ابنه البراء رضي الله عنه، فقد ثبت أنه شهد أحداً

أَبِي: أَحْمِلْهُ. فَحَمَلْتُهُ وَخَرَجَ أَبِي مَعَهُ يَنْتَقِدُ ثَمَنَهُ. فَقَالَ لَهُ أَبِي: يَا أَبَا بَكْرٍ، حَدَّثَنِي كَيْفَ صَنَعْتُمَا لَيْلَةَ سَرَيْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: نَعَمْ. أَسْرَيْنَا لَيْلَتَنَا كُلَّهَا. حَتَّى قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ. وَخَلَا الطَّرِيقُ فَلَا يَمُرُّ فِيهِ أَحَدٌ. حَتَّى رُفِعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ طَوِيلَةٌ لَهَا ظِلٌّ. لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ الشَّمْسُ بَعْدُ. فَتَرَلْنَا عِنْدَهَا. فَأَتَيْتُ الصَّخْرَةَ فَسَوَّيْتُ يَدَيَّ مَكَانًا، يَنَامُ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي ظِلِّهَا. ثُمَّ بَسَطْتُ عَلَيْهِ فُرُوءًا. ثُمَّ قُلْتُ: ثُمَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَنَا أَنْقُضُ لَكَ مَا حَوْلَكَ. فَتَنَامَ. وَخَرَجْتُ أَنْقُضُ مَا حَوْلَهُ. فَإِذَا أَنَا بِرَاغِي عَنْهُمْ مُقْبِلٍ يَغْتَمُو إِلَى الصَّخْرَةِ، يُرِيدُ مِنْهَا الَّذِي أَرَدْنَا. فَلَقِيْتُهُ فَقُلْتُ: لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلَامُ؟ فَقَالَ: لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ. قُلْتُ: أَفِي عَنَيْكَ لَبَنٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: أَفَتَحْلُبُ لِي؟ قَالَ: نَعَمْ. فَأَخَذَ شَاةً. فَقُلْتُ لَهُ:

وما بعدها، ولم يشهد بدرأ لصغره، وناصر علياً عليه السلام في الجمل وصفين، وهو الذي افتتح الري سنة أربع وعشرين، وشهد غزوة تستر مع أبي موسى، ونزل الكوفة ومات في إمارة مصعب (سنة: ٧٢هـ) وروى عن النبي ﷺ أحاديث. راجع الإصابة (١: ١٤٧).

قوله: (ينتقد ثمنه) أي: ليستوفي ثمنه.

قوله: (حتى قام قائم الظهيرة) قال النووي: «قائم الظهيرة: نصف النهار، وهو حال استواء الشمس، سمي قائماً لأن الظل لا يظهر، فكانه واقف قائم. ووقع في أكثر النسخ: قائم الظهر بضم الظاء وحذف الباء».

قوله: (رفعت لنا صخرة) أي: ظهرت لنا. وقوله (لم تأت عليه الشمس بعد) معناه أنه كان ظل أول النهار.

قوله: (بسطت عليه فرواً) وهي ملبوس يصنع من وبر أو صوف يلبس كالجبة.

قوله: (وأنا أنقض لك ما حولك) يعني: من الغبار ونحو ذلك. وقيل: معنى النفض هنا الحراسة. يقال: نفضت المكان: إذا نظرت جميع ما فيه. ويؤيده ما بعده: (وخرجت أنقض ما حوله) ووقع في رواية إسرائيل عند البخاري: «ثم انطلقت أنظر ما حولي، هل أرى من الطلب أحداً».

قوله: (يريد منها الذي أردنا) أي: يريد من الصخرة ما أردنا منها، يعني: الاستغلال بها.

قوله: (لرجل من أهل المدينة) وهي هنا بمعناها اللغوي، والمراد هنا مكة، لأن المدينة المنورة كانت تسمى يومئذ يثرب، ولأنه لم تجر العادة من الرعاية أن يبعدوا في المراعي هذه المسافة البعيدة. ووقع في رواية إسرائيل عند البخاري في مناقب أبي بكر (٣٦٥٢): «فقال: لرجل من قريش سماء فعرفته» ولم يكن قريش يسكنون المدينة حينئذ.

قوله: (أفتحلب لي؟) قال الحافظ في الفتح (٦: ٦٢٣): «الظاهر أن مراده بهذا

أَنْفَضَ الصَّرْعَ مِنَ الشَّعْرِ وَالثَّرَابِ وَالْقَذَى (قَالَ: فَرَأَيْتُ الْبَرَاءَ يَضْرِبُ بِيَدِهِ عَلَى الْأَخْرَجِ
يَنْفَضُ) فَحَلَبَ لِي، فِي قَعْبٍ مَعَهُ، كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ. قَالَ: وَمَعِيَ إِدَاوَةٌ أُرْتَوِي فِيهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ،
يَشْرَبُ مِنْهَا وَيَتَوَضَّأُ. قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ. وَكَرِهْتُ أَنْ أَوْقِفَهُ مِنْ تَوْبِهِ. فَوَافَقْتُهُ
اسْتَيْقَظَ. فَصَبَّيْتُ عَلَى اللَّبَنِ مِنَ الْمَاءِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اشْرَبْ مِنْ
هَذَا اللَّبَنِ. قَالَ: فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيْتُ. ثُمَّ قَالَ: «أَلَمْ يَأْنِ لِلرَّجُلِ؟» قُلْتُ: بَلَى. قَالَ:
فَارْتَحَلْنَا بَعْدَ مَا رَأَتْ الشَّمْسُ. وَاتَّبَعْنَا سُرَاقَةَ بَنِي مَالِكٍ. قَالَ: وَنَحْنُ فِي جِلْدٍ مِنَ الْأَرْضِ.
قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَيْنَا. فَقَالَ: «لَا تُخْرَجَنَّ إِنْ اللَّهَ مَعَنَا» فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.
فَارْتَطَمَتْ فَرْسُهُ إِلَيَّ بَطْنِهَا. أَرَى فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمَا قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَيَّ. فَادْعُوا لِي.

الاستفهام: أمعك إذن في الحلب لمن يمر بك على سبيل الضيافة؟ وبهذا التقرير يندفع الإشكال
الماضي في النقطة، وهو كيف استجاز أبو بكر أخذ اللبن من الراعي بغير إذن مالك الغنم؟
ويحتمل أن يكون أبو بكر لما عرفه عرف رضاه بذلك بصداقته له أو إذنه العام لذلك.

قوله: (في قعب معه كثبة من لبن) القعب: قدح من خشب. الكثبة، بضم الكاف وسكون
الثاء: قدر الحلبة، يعني: القدر الذي يخرج من ضرع الدابة في حلبة واحدة. وقيل: هي القليل
من اللبن.

قوله: (ومعي إداوة) وهي المظهرة، والإناء الذي يجمع فيه الماء، وقوله (أرتوي) معناه:
أستقي.

قوله: (ونحن في جلد من الأرض) بفتح الجيم واللام، أي: في أرض صلبة. وإنما ذكر
ذلك لبيان أن مثل هذه الأرض لا تسوخ فيه قوائم الدابة عادة، ولكنه كان معجزة للنبي ﷺ.

قوله: (أتينا) بضم الهمزة على البناء للمجهول، يعني: أنانا طالبنا.

قوله: (فارتطمت فرسه) أي: غاصت قوائمه في الأرض إلى بطنها. ورطمه يרטطه (بضم
الطاء في المضارع) أي: أوحله في أمر لا يخرج منه، وارتطم في القطين: وقع فيه فتخبط. كذا
في لسان العرب (٥: ٢٣٨).

وسبب اتباع سراقه له ﷺ، على ما ذكر عنه ابن إسحاق في السير، أنه قال: «لما خرج
رسول الله ﷺ مهاجراً جعلت قريش لمن يرده مائة ناقة. قال سراقه: فبينما أنا جالس في نادي
قومي، إذ أقبل رجل منا، قال: لقد رأيت ثلاثة مرّوا عليّ أنفاً، وما أظنه إلا محمداً وأصحابه.
قال سراقه: فأومأت عليه أن اسكت، وقلت: إنما هم بنو فلان يبتغون ضالّة. ثم قمت فدخلت
بيتي، ثم أمرت بفرسي فقدم لي، وخرجت من دبر حجرتي، ثم أخذت قداحي، فاستقسمت
فخرج إليّ الشهم الذي أكره ولا يضُرّ. ثم لبست لأمتي وخرجت، وجاء أن أردّه وأخذ المائة

فَاللَّهُ لَكُمْ أَنْ أَرُدَّ عَنْكُمَا الطَّلَبَ. فَدَعَا اللَّهَ. فَسَجَى. فَرَجَعَ لَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا قَالَ: قَدْ كَفَيْتُكُمْ مَا هُنَا. فَلَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا رَدَّهُ. قَالَ: وَوَقَى لَنَا.

(...) وَحَدَّثَنِيهِ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ. حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمرَ. ح وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ. أَخْبَرَنَا النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ. كِلَاهُمَا عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ. قَالَ: اشْتَرَى أَبُو بَكْرٍ مِنْ أَبِي رَحْلًا ثَلَاثَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا. وَسَاقَ الْحَدِيثَ. بِمَعْنَى حَدِيثِ زُهَيْرٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، وَقَالَ فِي حَدِيثِهِ، مِنْ رِوَايَةِ عُثْمَانَ بْنِ عُمرَ: فَلَمَّا دَنَا دَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَسَاحَ قَرَسُهُ فِي الْأَرْضِ إِلَى بَطْنِهِ. وَوَتَبَ عَنْهُ. وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ هَذَا عَمْدُكَ. فَأَدْعُ اللَّهَ أَنْ يُخَلِّصَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ. وَلَكَ عَلَيَّ لِأَعْمِيْنُ عَلَيَّ مَنْ وَرَائِي. وَهَذِهِ كِنَاتِي. فَخَذَ سَهْمًا مِنْهَا. فَإِنَّكَ سَتَمُرُّ عَلَيَّ إِبِلِي وَغِلْمَانِي بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا

ناقة فكان من أمره ما ذكر في الحديث. كذا في شرح الأبي. وقد أخرج البخاري حديث سراقه هذا بسياق أتم من سياق ابن إسحاق (راجع في المناقب رقم: ٣٩٠٦).

قوله: (فَالله لكما أن أرد عنكما الطلب) قال الشيخ محمد ذهني في تعليقه على صحيح مسلم: «معناه: فالله ينفعكم بردي عنكما الطلب، والله أعلم» قلت: ويحتمل أيضاً أن يكون التقدير: «فَالله شاهدي لكما على أن أرد عنكما الطلب» والحاصل أنه أقسم بالله أنه إن نجا من هذه المصيبة، فإنه لا يدل أحداً على مكان رسول الله ﷺ، بل يرد عنه من يطلبه.

قوله: (قد كفيتمكم ما ههنا) يعني: بحثت عن رسول الله ﷺ في هذا المكان فلا حاجة لكم أن تبحثوا عنه فيه مرة أخرى، وذلك وفاء بوعده أنه يرد عنهما الطلب.

قوله: (فساح فرسه) أي: غاصت فوائمه.

قوله: (لك علي لأعميين علي من ورائي) قوله (لك علي) كلمة قسم. وقوله: (لأعميين) يفتح العين وكسر الميم المشددة، من باب التفعيل. وعنى الرجل: صيره أعمى. وكذلك أعماء. فيحتمل أن يكون (لأعميين) بسكون العين وكسر الميم المخففة. يعني: أتى أضل عنكما من يأتي ورائي في طلبكم، وأجعلهم غفياً عنكم.

قوله: (فخذ سهماً منها) أي: لتكون علامة عندك تريها أهلي، فيعلمون بها أنك لفيتني، وأتني أدنت لك في أن تأخذ من مالي ما شئت. ووقع في حديث سراقه عند البخاري في المناقب: «ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ، فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الذية، وأخبرتهم إخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الرزاد والمتاع، فلم يبرزاني. ولم يسألاني إلا أن قال: أخف عنا» وفيه كمال استغناء رسول الله ﷺ، عن متاع الدنيا مع حاجته إليه في السفر، وتوقره له بطريق حلال، فصلّى الله تعالى عليه وبارك وسلم كثيراً.

فَخُذْ مِنْهَا حَاجَتَكَ . قَالَ : «لَا حَاجَةَ لِي فِي إِيْلِكَ» فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ لَيْلًا . فَتَنَازَعُوا أَيُّهُمْ يَنْزِلُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . فَقَالَ : «أَنْزِلْ عَلَى بَنِي الشَّجَارِ ، أَخْوَالِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، أَكْرَمُهُمْ بِذَلِكَ» فَضَعِدَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ فَوْقَ الْبُيُوتِ . وَتَفَرَّقَ الْغُلَمَانُ وَالْخَدَمُ فِي الطُّرُقِ ، يَتَادَوْنَ : يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ . يَا مُحَمَّدُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ .

وبهذا تم بفضل الله تعالى شرح كتاب الزهد لينة التاسع والعشرين من شهر محرم الحرام (سنة: ١٤١٥) من الهجرة النبوية على صاحبها السلام، وأسأل الله تعالى أن يوفقني لإكمال باقي الشرح على ما يحبه ويرضاه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٤ - كتاب: التفسير

٧٤٣٩ - (١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ. حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ. حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ

كتاب: التفسير

هذا آخر كتاب في صحيح مسلم، وقد اختصره المصنف رحمه الله تعالى، فلم يورد فيه إلا ثمانية عشر حديثاً، وذلك لأن الأحاديث المرفوعة الخاصة بتفسير القرآن الكريم يقل فيها توفر الشروط التي التزم بها الإمام مسلم رحمه الله تعالى لإخراج الأحاديث في هذا الكتاب. وأما الأحاديث التي يستنبط منها مسألة من مسائل التفسير، أو لها علاقة بآية من آيات القرآن الكريم، وإن لم تكن في صميم موضوع التفسير، فإن المصنف رحمه الله تعالى أخرجها في الأبواب الأخرى من هذا الكتاب، وليس من عادته التكرار. ولهذا قلت أحاديث هذا الكتاب.

وقد اشتهر فيما بين المتأخرين ممن كتبوا في مصطلح الحديث أن اسم (الجامع) إنما يطلق على الكتاب الذي يجمع أحاديث تتعلق بثمانية مواضيع، وهي العقائد، والأحكام، والرفاق، والآداب، والتفسير، والسير، والفتن، والمناقب. وذكروا أن صحيح البخاري جامع لتضمنه أحاديث هذه الأبواب كلها. أما صحيح مسلم، فقالوا إنه ليس جامعاً لقلّة التفسير فيه. وقد مرّ الكلام على ذلك في مقدمة هذا الكتاب (١: ٣٩٣) تحت عنوان (أنواع المصنفات في الحديث).

وقد بحثت عن تعريف اصطلاح (الجامع) في كتب المتقدمين، فلم أجد عندهم هذا الاصطلاح بهذا التعريف، ولكنهم أطلقوا هذا اللفظ على صحيح البخاري وجامع سفيان الثوري وجامع عبد الرزاق وموطأ الإمام مالك وغيره. وقد عرّفه الشيخ محمود محمد خطاب السبكي رحمه الله لفظ الجامع بطريق آخر، فقال في مقدمة (المنهل العذب المورود) شرح أبي داود (١: ١٥): «والجامع ما كان مرتباً على أبواب الفقه كالكتب الستة، أو على ترتيب الحروف في أوائل الترجمة ككتاب الإيمان والبرّ والتوبة والثواب. وهكذا فعله صاحب جامع الأصول، أو باعتبار رعاية الحروف في أوائل الحديث، كما فعل السيوطي في الجامع الصغير، وقد جمع في جامعه الكبير بين الجامع والمستند.

وأول من عرّف اصطلاح (الجامع) بما يجمع العلوم الثمانية - فيما أعلم - هو الشيخ

هَمَامُ بْنُ مُتَبِّهِ، قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا:

عبد العزيز المحدث الدهلوي رحمه الله تعالى، وذلك في رسالته الوجيزة المسماة بالعجالة النافعة، وهو الذي صرح فيها بأن صحيح مسلم ليس جامعاً، لأنه لا يوجد فيها أحاديث التفسير والقراءات.

وقد مرّ في مقدمة هذا الكتاب أن مجد الدين الشيرازي صاحب القاموس قد أطلق لفظ الجامع على صحيح مسلم. وكذلك ذكر حاجي خليفة في كشف الظنون (١: ٥٥٥) صحيح مسلم بلفظ (الجامع الصحيح) وكذلك فعل العلامة علي الفاري رحمه الله تعالى في مرقاة المفاتيح (١: ١٧) حيث قال في ترجمة الإمام مسلم رحمه الله: «وله المصنفات الجليلة غير جامعه الصحيح».

وإن إطلاق هذا اللفظ على صحيح مسلم هو الراجح، على كلا التعريفين (للجامع). أما على تعريف الخطاب السبكي، فظاهر، لأن كتاب مسلم مرتب على أبواب الفقه بشيء زائد. وأما على تعريف الشيخ عبد العزيز الدهلوي رحمه الله ف كذلك. وذلك لوجهين:

الأول: أن الإمام مسلماً رحمه الله تعالى لم يترك أحاديث التفسير رأساً، وإنما عقد لها هذا الباب. أما قلّة الأحاديث فيه فلما ذكرنا من أن الأحاديث المرفوعة التي هي في صميم موضوع التفسير والتي تستجمع الشروط التي التزم بها الإمام مسلم قليلة. وقد أخرج المصنف رحمه الله أحاديث كثيرة في الأبواب الأخرى لها علاقة بالتفسير. وإنما طال كتاب التفسير في صحيح البخاري لأنه يورد الأحاديث بأدنى مناسبة، ولا يرى بالتكرار رأساً، ولأنه دخل كثيراً في تفسير غريب القرآن. وقد التمت من بعض أصحابي (وهو الشيخ أبو طاهر الأركاني حفظه الله) أن يتتبع الأحاديث التي أخرجها البخاري في كتاب التفسير، كم أخرج منها مسلم في غير كتاب التفسير. وتبين من هذا تتبع أن هناك اثنين وستين حديثاً أخرجها البخاري في التفسير، وأخرجها مسلم في الأبواب الأخرى غير كتاب التفسير. وإذا أضفنا إليها هذه الثمانية عشر التي أخرجها مسلم في كتاب التفسير، بلغ عددها إلى ثمانين حديثاً. وهناك أحاديث أخرى في صحيح مسلم يمكن أن تدرج في كتاب التفسير لمناسبة من المناسبات، لم يخرجها البخاري في التفسير، فيزداد هذا العدد، فأحاديث التفسير في صحيح مسلم ليست قليلة بما يخرجها من كونه جامعاً.

والوجه الثاني: أن أحاديث التفسير في جامع سفيان الثوري وجامع سفيان بن عيينة قليلة أيضاً، كما ذكره الكثاني في الرسالة المستطرفة (ص: ٩) ناقلاً عن فوت القلوب، ومع ذلك فإنهما أطلق عليهما لفظ (الجامع) بالاتفاق. وراجع أيضاً ما كتبه أخونا الأستاذ الدكتور محمد عبد الحليم الجشني في تعليقاته القيّمة باسم (الفوائد الجامعة) على رسالة (العجالة النافعة) (ص: ١٥٤ - ١٥٨).

١ - (٣٠١٥) - قوله: (حدثنا أبو هريرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في الأنبياء، باب

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: «ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ» [البقرة: ٥٨] فَبَدَّلُوا. فَادْخُلُوا الْبَابَ يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْأَفِهِمْ.....

حديث الخضر مع موسى عليهما السلام (٣٤٠٣)، وفي تفسير سورة البقرة، باب ﴿وَبَدَّلْنَا آيَاتِنَا هَذِهِ الْقُرْآنَ فَكُلُّوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾، (٤٤٧٩)، وفي تفسير سورة الأعراف، باب ﴿وَقُولُوا حِطَّةً﴾ (٤٦٤١). وأخرجه الترمذي في التفسير، باب ومن سورة البقرة (٢٩٥٦)، وأحمد في مسنده (٢: ٣١٢ و ٣١٨)، والسنائي في سننه الكبرى (٦: ٢٨٦)، وابن حبان في صحيحه، كما في ترتيبه لابن بليان (٨: ٤٩).

قوله: (قيل لبني إسرائيل) أي: عند ما طلبوا لغذائهم غير المن والسلوى مما تنبت الأرض، فأمرُوا أن يدخلوا قرية متواضعين لله تائبين من ذنوبهم، فيجدون فيها ما يشتهون.

قوله: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ [البقرة، آية ٥٨] حمله بعض المفسرين، كالحسن البصري رحمه الله، على حقيقته، فقال: أمروا أن يسجدوا على وجوههم حال دخولهم. واسعده الرازي في التفسير الكبير (٢: ٨٨)، وذلك لأنه لا يتصور السجود والدخول معاً. ويمكن أن يؤول بأنه ليس المراد السجود في عين حالة الدخول، بل المقصود السجود قبل الدخول أو بعده، ووضع (سجداً) في موضع الحال من قوله (ادخلوا) لكونهما متقاربين. وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد من السجود هنا: الركوع، وهو مروي عن ابن عباس من طريق سعيد بن جبير، كما ذكره ابن كثير (١: ٩٨). ورجح الإمام الرازي أن المراد من السجود هنا الخضوع.

وكذلك اختلف المفسرون في تعيين هذا الباب. فقيل: هو باب من أبواب بيت المقدس، وهو الذي رُجحه ابن كثير. وقيل: هو باب ليلند أريحا، وقيل: باب لإحدى مدن مصر، والله أعلم.

قوله: (وقولوا حِطَّةً) قال الزمخشري في الكشاف: «حِطَّةٌ: فِعْلَةٌ مِنَ الْحِطِّ، كَالْجِلْسَةِ وَالرُكْبَةِ، وَهِيَ خَيْرٌ مَبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ. أَي: مَسْأَلَتُنَا حِطَّةً، أَوْ أَمْرُكَ حِطَّةً، وَالْأَصْلُ النَّصْبُ بِمَعْنَى: حُطَّ عَنَّا ذُنُوبُنَا حِطَّةً. وَإِنَّمَا رَفَعْتَ لِنُعْطِيَ مَعْنَى الثَّبَاتِ» والحاصل أنهم أمروا بالاستغفار والتوبة عن ذنوبهم وقت دخول القرية.

قوله: (فبدلوا) أي: غيروا الطريق الذي أمروا بالتزامه عند الدخول.

قوله: (يزحفون على أسفائهم) الأسفاه جمع الأسف. والمعنى أنهم خالفوا الأمر بالسجود، فدخلوا جالسين على أسفائهم يزحفون عليها، وذلك تكبراً وعناداً. وروي عن ابن عباس أن الباب الذي أمروا بالدخول فيه كان صغيراً لا يتمكن الإنسان من الدخول فيه إلا بأن يكون راكعاً، فكانهم أعظموا أنفسهم من أن يدخلوا بهذه الهيئة المتواضعة، فاختاروا هذه الهيئة التي فيها سخرية وتكبر.

وَقَالُوا: حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ.

٧٤٤٠ - (٢) حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ بُكَيْرٍ النَّاقِدُ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحُلَوَانِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ. (قَالَ عَبْدُ: حَدَّثَنِي. وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا) يَغْقُوبُ - يَغْنُونُ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ - حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ - وَهُوَ ابْنُ كَيْسَانَ - عَنِ ابْنِ شِهَابٍ. قَالَ: أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَابَعَ الْوَحْيَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ وَفَاتِهِ. حَتَّى تُوْفِيَ، وَأَكْثَرَ مَا كَانَ الْوَحْيُ يَوْمَ تُوْفِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

٧٤٤١ - (٣) حَدَّثَنِي أَبُو حَيْثَمَةَ، زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، (وَاللَّفْظُ لَابْنِ الْمُثَنَّى)، قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، (وَهُوَ ابْنُ مَهْدِيٍّ)، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ:

قوله: (وقالوا: حبة في شعرة) أي: بدلاً من أن يقولوا (حطة) والمقصود من قولهم هذا أن (مطلوبنا حبة حطة في شعرة) وذلك أيضاً استهزاء منهم وعناد.

٢ - (٣٠١٦) - قوله: (أخبرني أنس بن مالك) هذا الحديث أخرجه البخاري في فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل (٤٩٨٢)، وأحمد في مسنده (٢٣٦: ٣).

قوله: (تابع الوحي على رسول الله ﷺ قبل وفاته) قال الحافظ في الفتح (٩: ٨): (أي: أكثر إنزاله قرب وفاته ﷺ، والسّر في ذلك أن الوفود بعد فتح مكة كثروا، وكثر سؤالهم عن الأحكام، فكثر النزول بسبب ذلك. ووقع لي سبب تحديث أنس بذلك من رواية الدراوردي عن الإمامي عن الزهري: (سألت أنس بن مالك: هل فتر الوحي عن النبي ﷺ قبل أن يموت؟ قال: أكثر ما كان وأجمه). أورده ابن يونس في تاريخ مصر في ترجمة محمد بن سعيد بن أبي مريم).

قوله: (وأكثر ما كان الوحي يوم توفي رسول الله ﷺ) قال الأبي: (لم أر من تكلم على هذا) قلت: لعله وقع له الإشكال بلفظ (يوم توفي) فإنه لم يرو أنه ﷺ نزل عليه الوحي كثيراً يوم وفاته. والذي يظهر لي أن المراد من قوله (يوم توفي) الزمان الذي توفي فيه، وهو آخر أيام حياته، وليس خصوص ذلك اليوم الواحد. ويؤيده لفظ البخاري: (تابع على رسول الله ﷺ قبل وفاته حتى توفاه أكثر ما كان الوحي، ثم توفي رسول الله ﷺ بعد).

٣ - (٣٠١٧) - قوله: (عن طارق بن شهاب) هو ممن رأى النبي ﷺ ولم يسمع منه شيئاً، وروى عنه ﷺ مرسلًا، وعن الخلفاء الأربعة وغيرهم من الصحابة، وكان من ثقات أصحاب عبد الله بن مسعود (مات سنة ٨٢هـ، أو ٨٣هـ، أو ٨٤هـ). كذا في التهذيب (٥: ٤).

وحديثه هذا أخرجه البخاري في الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه (٤٥)، وفي المغازي، باب حجة الوداع (٤٤٠٧)، وفي تفسير سورة المائدة، باب ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾

أَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا لِعُمَرَ: إِنَّكُمْ تَقْرَؤُونَ آيَةً. نُو أَنْزَلْتَ فِينَا لِاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا. فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي لَا أَعْلَمُ حَيْثُ أَنْزَلْتَ. وَأَيُّ يَوْمٍ أَنْزَلْتَ. وَأَيْنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ أَنْزَلْتَ. أَنْزَلْتَ بِعَرَفَةَ. وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ.

قَالَ سُفْيَانُ: أَشُكُّ كَأَن يَوْمَ جُمُعَةٍ أَمْ لَا. يَغْنِي: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ١٣].

٧٤٤٢ - (٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ، (وَاللَّفْظُ لِأَبِي بَكْرٍ)، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، قَالَ: قَالَتِ الْيَهُودُ لِعُمَرَ: نُو عَلَيْنَا، مَعَشَرَ يَهُودَ، نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] نَعْلَمُ الْيَوْمَ الَّذِي أَنْزَلْتَ فِيهِ، لِاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا. قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: فَقَدْ عَلِمْتُ الْيَوْمَ الَّذِي أَنْزَلْتَ فِيهِ. وَالسَّاعَةَ. وَأَيْنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ نَزَلْتَ. نَزَلْتَ لَيْلَةَ جُمُعٍ. وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِعَرَفَاتٍ.

٧٤٤٣ - (٥) وَحَدَّثَنِي عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ. أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ. أَخْبَرَنَا أَبُو عُمَيْسٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ. قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى عُمَرَ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَؤُونَهَا. لُو عَلَيْنَا نَزَلَتْ، مَعَشَرَ الْيَهُودِ، لِاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا. قَالَ: وَأَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي لَا أَعْلَمُ الْيَوْمَ الَّذِي نَزَلْتَ فِيهِ. وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلْتَ فِيهِ. نَزَلْتَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِعَرَفَاتٍ. فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ.

(٤٦٠٦)، وفي الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٦٨). وأخرجه الترمذي في تفسير سورة المائدة (٣٠٤٣)، والنسائي في الإيمان، باب زيادة الإيمان (٥٠١٢)، وفي الحج، باب ما ذكر في يوم عرفة (٣٠٠٢)، وفي السنن الكبرى (٣٣٢: ٦) وأحمد في مسنده (١: ٢٨ و ٣٩).

قوله: (أن اليهود قالوا لعمر) وقد وقع في رواية قبيصة بن ذؤيب عند مسدد والطبري والطبراني في الأوسط أن القائل هو كعب الأخبار، ولعله معه رجال آخرون من اليهود وقت هذا السؤال، ذكره الحافظ في الفتح (١: ١٠٥).

قوله: (إنني لأعلم حيث أنزلت) إلخ: ويتضح مطابقة هذا الجواب للسؤال برواية قبيصة المذكورة، ونلفظها: «نزلت يوم الجمعة ويوم عرفة، وكلاهما بحمد الله لنا عيدة وكذا وقع عند الترمذي من حديث ابن عباس: أن يهودياً سأله عن ذلك فقال: نزلت في يوم عيدين: يوم الجمعة ويوم عرفة» قال الحافظ: «فظهر أن الجواب تضمن أنهم اتخذوا ذلك اليوم عيداً، وهو يوم الجمعة، واتخذوا يوم عرفة عيداً لأنه ليلة العيد».

٧٤٤٤ - (٦) حَدَّثَنِي أَبُو الظَّاهِرِ، أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ سَرْحٍ وَحَزْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى الشَّجِيئِيُّ، (قَالَ أَبُو الظَّاهِرِ: حَدَّثَنَا. وَقَالَ حَزْمَلَةُ: أَخْبَرَنَا) ابْنُ وَهْبٍ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقِيطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِسُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ الْيَسَاءِ مَثْنً وَذَلِكَ وَرَرٌّ﴾ النساء: ١٣ قَالَتْ: يَا بَنَ أُخْتِي، هِيَ الْيَتِيمَةُ تَكُونُ فِي حَجَرٍ وَلِيَّهَا. تُشَارِكُهُ فِي مَالِهِ. فَيُعْجِبُهُ مَالُهَا وَجَمَالُهَا. فَيُرِيدُ وَلِيَّهَا أَنْ

٦ - (٣٠١٨) - قوله: (سَأَلَ عَائِشَةَ) هذا الحديث أخرجه البخاري في الشركة، باب شركة اليتيم وأهل المبرات (٢٤٩٤)، وفي الرصايا، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَتَاوَا الْيَتَامَى أَنْوَالَهُمْ﴾ (٢٧٦٣)، وفي تفسير سورة النساء، باب ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقِيطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ (٤٥٧٣ و ٤٥٧٤)، وباب ﴿وَتَسْتَفْتُونَكَ فِي الْيَسَاءِ﴾ (٤٦٠١)، وفي النكاح، باب الترغيب في النكاح لقوله تعالى ﴿فَانكِسُوا مَا طَابَ لَكُمْ﴾ إلخ (٥٠٦٤)، وباب الأكفاء في المال وتزوج المقل المثرية (٥٠٩٢)، وباب لا يتزوج أكثر من أربع لقوله تعالى: ﴿مَثْنً وَذَلِكَ وَرَرٌّ﴾ (٥٠٩٨)، وباب من قال: لا نكاح إلا بولي (٥١٢٨)، وباب إذا كان الولي هو الخاطب (٥١٣١)، وباب تزويج اليتيم لقول الله تعالى ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقِيطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِسُوا﴾ (٥١٤٠)، وفي التحيل، باب ما ينهى عن الاحتيال للولي في اليتيمة المرغوبة (٦٩٦٥)، وأخرجه أبو داود في النكاح، باب ما يكره أن يجمع بينهن من النساء (٦٠٦٨)، والنسائي في النكاح، باب القسط في الأصدقة (٣٣٤٦)، وفي سننه الكبرى (٦: ٣١٩)، والدارقطني في سننه (٣: ٢٦٥)، وابن حبان في صحيحه، كما في ترتيبه لابن بلبان (٦: ١٥٠).

قوله: (هي اليتيمة تكون في حجر وليها) إلخ: حاصل كلام عائشة رضي الله عنها أن من ولي يتيمة من أبناء أعمامها كان يظلمها في الجاهلية من ناحيتين، فإن كانت اليتيمة ذات مال وجمال رغب في أن يتزوجها بنفسه دون أن يعطيها صداق مثلها، فكان ينكحها بأقل من مهر المثل. فأمره الله سبحانه وتعالى أن لا يتزوجها في هذه الحالة بل يتزوج غيرها ممن أحل الله له بما شاء من المهر، لئلا يخص اليتيمة حقها في المهر. وهذا هو المراد من قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقِيطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِسُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ الْيَسَاءِ﴾.

وأما إذا كانت اليتيمة قليلة الجمال، ولها مال، فلا يتزوجها الولي لعدم رغبته في جمالها، ولا يزوجه أحد آخر خشية أن يذهب الزوج بمالها، فيمسكها عنده غير متزوجة، ولا يخفى ما في ذلك من الظلم عليها، فنهاه الله سبحانه وتعالى من هذا الظلم، وأمره بأحد الأمرين، إما أن يتزوجها بنفسه على مهر مثلها، وإما أن ينكحها غيره. وهذا هو المراد من قوله تعالى: ﴿ثَلَايَ الْيَتَامَى فِيهِمْ وَمَا يُنْقَلُ عَلَيْهِمْ فِي الْكِتَابِ فِي يُسَمَّى الْيَسَاءِ الَّذِي لَا تُؤْتَوْنَهُمْ مَا كُتِبَ لَهُمْ وَرَرَّوْنَ أَنْ تَنكِحُوهُمْ﴾ (النساء: ١٢٧). وقال الآنوسي في روح المعاني (٥: ١٩٠): في تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَرَّوْنَ أَنْ تَنكِحُوهُمْ﴾: أي: في أن تنكحوهن، أو عن أن تنكحوهن، فإن أولياء اليتامى - كما

يَتَزَوَّجَهَا بِغَيْرِ أَنْ يُقْبِطَ فِي صَدَاقِهَا. فَيُعْطِيَهَا مِثْلَ مَا يُعْطِيَهَا غَيْرُهُ. فَهَؤُلَاءِ أَنْ يَنْكِحُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يُقْسِطُوا لَهُنَّ. وَيَبْلَغُوا بِهِنَّ أَعْلَى سُنَّتِهِنَّ مِنَ الصَّدَاقِ. وَأَمْرُوا أَنْ يَنْكِحُوا مَا طَابَ لَهُمْ مِنَ النِّسَاءِ، مِوَاهُنَّ.

قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: ثُمَّ إِذَا النَّاسُ اسْتَفْتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ، فِيهِنَّ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفَيِّصُكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُنْقِلُ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَسْنَى النِّسَاءِ إِلَيْهِ لَا تَقُولُنَّ لَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَغِبْنَ أَنْ يَنْكِحُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٢٧].

قَالَتْ: وَالَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى؛ أَنَّهُ يُنْقِلُ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ، الْآيَةُ الْأُولَى الَّتِي قَالَ اللَّهُ فِيهَا: ﴿وَإِنْ حَقَّقْتُمْ إِلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَمَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣].

قَالَتْ عَائِشَةُ: وَقَوْلُ اللَّهِ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿وَرَغِبْنَ أَنْ يَنْكِحُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٢٧]، رَغَبَ أَحَدِكُمْ عَنِ النِّسَاءِ الَّتِي تَكُونُ فِي حَاجِرِهِ، حِينَ تَكُونُ قَلِيلَةُ الْمَالِ وَالْجَمَالِ. فَهَؤُلَاءِ أَنْ يَنْكِحُوا مَا رَغِبُوا فِي مَالِهَا وَجَمَالِهَا مِنْ يَتَامَى النِّسَاءِ إِلَّا بِالْقِسْطِ. مِنْ أَجْلِ رَغْبَتِهِمْ عَنْهُنَّ.

ورد في غير خبير - كانوا يرغبون فيهن إن كنَّ جميلات ويأكلون مالهنَّ، وإلا كانوا يعضلوهنَّ طمعاً في ميراثهنَّ. وحذف الجار هنا لا يُعَدُّ لباساً، بل لإجمال، فكل من الحرفين مراد على سبيل البذل.

قوله: (فنهوا أن ينكِحوهنَّ) هذا صريح في أن جزاء الشرط في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ حَقَّقْتُمْ إِلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَمَى﴾، محذوف، وهو (فلا تنكِحوهنَّ) فاندحض به ما تمسك به بعض الكتاب المعاصرين على أن إباحة النكاح بأكثر من امرأة واحدة مشروط بأن يخشى عدم الإقسط في اليتامى. فزعموا أن تعدد الأزواج إنما يباح إذا كان في المجتمع عدد كبير من اليتامى زاد على عدد الرجال، ولا يباح ذلك في الأحوال العادية. ولا يخفى بطلان هذا الزعم بالنظر إلى أسلوب هذه الآية الكريمة، ولا سيما في ضوء تفسير سيدتنا عائشة ؓ. وقد سيطت الكلام في إبطال هذا الزعم في كتابي باللغة الأردية (همار عائلى مسائل).

قوله: (ويبلغوا بهنَّ أعلى سنتهنَّ) أي: أعلى عاداتهنَّ في المهور، والمقصود أن يفرضوا لهنَّ من المهر ما يبلغ أعلى مهر أمثاله من النساء.

قوله: (من أجل رغبتهنَّ عنهنَّ) أي: في حالة كونها قليلة المال والجمال. والمقصود أنهم كما لا يتزوجونها إن كانت قليلة المال والجمال، فكذلك ينبغي أن لا يتزوجوها إن كانت جميلة إذا لم يكن عندهم ما يعطونها من مهر مثلهما، ففي الكلام حذف، ويوضحه ما أخرجه البخاري في النكاح، باب الأكفاء في المال رقم (٥٠٩٢) ولفظه: «قالت: فكما يتركونها حين يرغبون عنها، فليس لهنَّ أن ينكِحوها إذا رغبوا فيها إلا أن يسقطوا لها ويعطوها حقها الأولى من الصداق».

٧٤٤٥ - (٠٠٠) وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ الْحُلَوَانِيُّ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ. جَمِيعاً عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْرَاهِيمَ بْنِ سَعِيدٍ. حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ. أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ؛ أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ [النساء: ٥٣]، وَسَأَلَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِ حَدِيثِ يُونُسَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، وَزَادَ فِي آخِرِهِ: مِنْ أَجْلِ رَغَبَتِهِمْ عَنْهُمْ، إِذَا كُنَّ قَلِيلَاتِ الْمَالِ وَالْجَمَالِ.

٧٤٤٦ - (٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ. قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ. حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ [النساء: ٥٣]. قَالَتْ: أَنْزِلَتْ فِي الرَّجُلِ تَكُونُ لَهُ الْيَتِيمَةُ وَهُوَ وَلِيُّهَا وَوَارِثُهَا. وَلَهَا مَالٌ. وَلَيْسَ لَهَا أَحَدٌ يُخَاصِمُ دُونَهَا. فَلَا يَنْكِحُهَا بِمَالِهَا. فَيُضْرَبُ بِهَا وَيُسَيِّءُ صُحْبَتَهَا. فَقَالَ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِسُوا مَا مَلَكَ لَكُمْ مِنَ الْمَالِ﴾ [النساء: ٥٣]. يَقُولُ: مَا أَخَذْتُ لَكُمْ. وَدَعُ هَذِهِ الَّتِي تَضُرُّ بِهَا.

٧٤٤٧ - (٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ سَلِيمَانَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَتْلُ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَى الْمَالِ الَّذِي لَا تُوَفُّوهُمْ مَا كُتِبَ لَهُمْ وَرَرَعُونَ أَنْ تَسْكَمُوا عَنْهُ﴾ [النساء: ١٢٧]. قَالَتْ: أَنْزِلَتْ فِي الْيَتِيمَةِ. تَكُونُ عِنْدَ الرَّجُلِ فَتَشْرِكُهُ فِي مَالِهِ. فَيَرْغَبُ عَنْهَا أَنْ يَتَزَوَّجَهَا. وَيَكْرَهُ أَنْ يُزَوَّجَهَا غَيْرَهُ. فَيَشْرِكُهُ فِي مَالِهِ، فَيَغْضُلُهَا فَلَا يَتَزَوَّجَهَا وَلَا يُزَوِّجَهَا غَيْرَهُ.

٧٤٤٨ - (٩) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ. حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ. أَخْبَرَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ

٧ - (٠٠٠) - قوله: (فَيُضْرَبُ بِهَا) أي: بعد تزوجها بنفسه، بأن لا يعطيها مهر مثلها. وضرَّ وأضرَّ كلاهما بمعنى.

٨ - (٠٠٠) - قوله: (فَيَشْرِكُهُ فِي مَالِهِ) أي: تشاركه، فإن ولي اليتيم له أن يأكل من ماله بالمعروف. أو المراد أنها تشاركه في ماله حقيقة، فيخاف إن تزوجها أحداً أنه يشترط بشركتها في ماله بسبب زوجها.

قوله: (فَيَرْغَبُ عَنْهَا أَنْ يَتَزَوَّجَهَا) أي: لقلّة جمالها.

قوله: (فَيَشْرِكُهُ فِي مَالِهِ) لأن اليتيم إذا تزوجت غير وليها انقطع حق الولي من ماله، وصار الزوج أحق بها، فكانه انقطع نصيباً من مال الولي، وإلا فلا شركة له في مال الولي حقيقة. أو المراد أن اليتيم كانت شريكة في ماله حقيقة، فيقوم زوجها بالإشراف على نصيبها، فكانه شارك الولي في ماله.

عائشة، في قوله: ﴿وَنَسْتُوْنَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْضِلُكُمْ فِيهِنَّ﴾ [النساء: ١٢٧]. الآية. قالت: هي النِّسْمَةُ الَّتِي تَكُونُ عِنْدَ الرَّجُلِ. لَعَلَّهَا أَنْ تَكُونَ قَدْ شَرَكْتَهُ فِي مَالِهِ. حَتَّى فِي الْعَدَقِ. فَيَرْعَبُ، يَغْنَى، أَنْ يُنْكِحَهَا. وَتَكْرَهُ أَنْ يُنْكِحَهَا رَجُلًا فَيُشْرِكُهُ فِي مَالِهِ. فَيُعْضِلُهَا.

٧٤٤٩ - (١٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا عَبْدُ بَنِي سُلَيْمَانَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٦] قَالَتْ: أُنْزِلَتْ فِي مَالِ الْيَتِيمِ الَّذِي يَقُومُ عَلَيْهِ وَيُصْلِحُهُ. إِذَا كَانَ مُحْتَاجًا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ.

قوله: (فيعضلها) بكسر الصاد وضمها، وعضل الرجل امرأة: إذا منعها من الزوج ظلماً.

٩ - (١٠٠) - قوله: (حتى في العلق) بفتح العين وسكون الهمزة، وهو النخلة.

١٠ - (٣٠١٩) - قوله: (عن عائشة) هذا الحديث أخرجه البخاري في البيوع، باب من أجرى أمر الأمصار على ما يتعارفون بينهم (٢٢١٢)، وفي الوصايا، باب وما نلوصي أن يعمل في مال اليتيم وما يأكل منه بقدر عمالته (٢٧٦٥)، وفي تفسير سورة النساء، باب ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (٤٥٧٥).

قوله: (إذا كان محتاجاً أن يأكل منه) والمسألة خلافة وفيها أقوال:

١ - يجوز لولي اليتيم أن يأخذ من ماله قدر عمالته، وهو قول عائشة وعكرمة والحسن، وهو رواية عن ابن عباس.

٢ - لا يجوز له أن يأكل من مال اليتيم إلا عند الحاجة، فيصير كالتنفقة التي يحتاج إليها، وهو مروي عن الحسن وإبراهيم وعطاء ومكحول.

٣ - لا يجوز له أن يأكل من مال اليتيم على كونه أجرة أو نفقة، وإنما يجوز أن يأخذ منه مالاً على سبيل القرض، ثم يفضيه عند اليسار، وهو مروي عن عمر وعبيدة السلماني وسعيد بن جبير ومجاهد وغيرهم.

٤ - إن كان المال ذهباً أو فضة، لم يجز أن يأخذ منه شيئاً إلا على سبيل القرض، وإن كان غير ذلك جاز بقدر الحاجة. وهو أصح الأقوال عن ابن عباس، وبه قال الشعبي وأبو العالية.

٥ - إنه يأخذ أقل التقديرين من أجرته ونفقته، وهو مذهب الشافعي رحمه الله وإن هذه الأقوال منلخصة من أحكام القرآن للجصاص (٢: ٦٤)، وفتح الباري (٥: ٣٩٢).

وذكر الجصاص أن مذهب الحنفية أنه لا يأخذه فرضاً ولا غيره، غنياً كان أو فقيراً، ولا يقرضه غيره أيضاً، وتناول في الآية بقوله: «إِن قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿تَأْكُلُوهُمَا بِهَرَافٍ وَإِن كُنْتُمْ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾» [النساء: ١٢]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [النساء: ١٠].

٧٤٥٠ - (١١) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ. حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ. حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْعِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء: ٦) قَالَتْ: أُنْزِلَتْ فِي وَلِيِّ الْيَتِيمِ، أَنْ يُصِيبَ مِنْ مَالِهِ، إِذَا كَانَ مُحْتَاجًا، بِقَدْرِ مَالِهِ، بِالْمَعْرُوفِ.

٧٤٥١ - (١٠٠) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ. حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ. حَدَّثَنَا هِشَامٌ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ.

٧٤٥٢ - (١٢) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا عَبْدُ بَنٍ سُلَيْمَانَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذَا جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ زَاعَتِ الْأَبْصَارُ وَلَفَتِ الْقُلُوبُ أَلْحَسَايَرُ﴾ (الأحزاب: ١٠) قَالَتْ: كَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ.

٢١٥٢ وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ (النساء: ١٠) إلخ... وهذه الآية محكمة حاظرة لمال اليتيم على وليه في حال الغنى والفقر. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء: ٦) متشابهة محتملة للوجوه التي ذكرنا. فأولى الأشياء بها حملها على موافقة الآي المحكمة، وهو أن يأكل من مال نفسه بالمعروف، لئلا يحتاج إلى مال اليتيم، لأن الله تعالى قد أمرنا ببرد المتشابه إلى المحكم.

ولا يخفى أن ما تأول به الجصاص هذه الآية بعيد جداً، وإن جواز أكل الولي لا يتعارض مع الآيات التي سردها، لأنها إنما تمنع الأكل من مال اليتيم بغير حق، أما أكل الولي منه بقدر عمله أو نفقته فليس من الأكل بالباطل في شيء. ولعل أقوى الأقوال في ذلك أنه يجوز له أن يأخذ بقدر نفقته إذا كان محتاجاً، ولهذا أمر بالاستعفاف عند الغنى، ولو كان الأكل على طريق الأجرة لم يكن هناك فرق بين الغني والفقير. وعلى هذا مشى شيخ مشايخنا التهانوي رحمه الله في بيان القرآن، ووائدي العلامة المفتي محمد شفيع رحمه الله في معارف القرآن، وهو مؤيد بما أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن عندي يتيماً له مال، وليس عندي شيء، أفأكل من ماله؟ قال: بالمعروف» ذكره الحافظ في الفتح (٨: ٢٤١) وقال: إسناده قوي، والله سبحانه أعلم.

١١ - (٠٠٠) - قوله: (بقدر ماله) لعل مراده أنه يأكل بقدر ما كان يأكل لو كان له مال قليل في حالة الفقر، فلا يتجاوز ذلك القدر، والله أعلم.

١٢ - (٣٠٢٠) - قوله: (عن عائشة في قوله عز وجل: ﴿إِذَا جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾) إلخ: هذا الحديث أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة الخندق، وهي الأحزاب (٤١٠٣).

قوله: ﴿إِذَا جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ (الأحزاب: ١٠) أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «جاءهم من فوقهم عيينة بن حصن، والذي جاءهم من أسفلهم أبو سفيان بن

٧٤٥٣ - (١٣) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاصًا﴾ [النساء: ١٢٨]. الْآيَةُ. قَالَتْ: أَنْزَلْتُ فِي الْمَرْأَةِ تَكُونُ عِنْدَ الرَّجُلِ. فَتَطْلُوقُ صُحْبَتَهَا. فَيُرِيدُ طَلَاقَهَا. فَتَقُولُ: لَا تُطْلِقْنِي، وَأَمْسِكْنِي، وَأَنْتَ فِي حِلٍّ مِنِّي. فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

٧٤٥٤ - (١٤) حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ. حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ. حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاصًا﴾ [النساء: ١٢٨]. قَالَتْ: نَزَلَتْ فِي الْمَرْأَةِ تَكُونُ عِنْدَ الرَّجُلِ. فَلَعَلَّهُ أَنْ لَا يَسْتَكْثِرَ مِنْهَا، وَتَكُونُ لَهَا صُحْبَةً وَوَلَدًا. فَتَكْذَرُ أَنْ يَفَارِقَهَا فَتَقُولُ لَهُ: أَنْتَ فِي حِلٍّ مِنِّي شَأْنِي.

٧٤٥٥ - (١٥) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى. أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ،

حَرْبٍ، وَذَكَرَ ابْنَ إِسْحَاقَ أَنَّ الَّذِينَ جَاؤُوهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ بَنُو قَرِظَةَ، وَمِنْ أَسْفَلٍ مِنْهُمْ قَرِيشٌ وَغَطَفَانٌ. ذَكَرَهُ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (٨: ٤٠٠) وَلَا مَنَافَاةَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ، فَإِنَّ عَيْنَةَ بَنِ حِصْنٍ كَانَ مَعَ بَنِي قَرِظَةَ، وَأَبَا سَفِيَانَ مَعَ قَرِيشٍ وَغَطَفَانَ.

قوله: (عن عائشة: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ﴾) إلخ: هذا الحديث أخرجه البخاري في المظالم، باب إذا حلَّله من ظلمه فلا رجوع فيه (٢٤٥٠)، وفي الصلح، باب قول الله تعالى: ﴿أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾، (٦٢٩٤)، وفي تفسير سورة النساء، باب ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا﴾ إلخ (٤٦٠١)، وفي النكاح، باب لا تطيح المرأة زوجها في معصية (٥٢٠٦). وأخرجه أبو داود في النكاح، باب في القسم بين النساء (٢١٣٥)، والنسائي في السنن الكبرى (٦: ٣٢٩).

قوله: (نشوزاً أو إعرافاً) فتر ابن عباس النشوز هنا بالبغيض، أخرجه ابن أبي حاتم. وهو في أصل اللغة بمعنى الارتفاع. قال أبو إسحاق: النشوز يكون بين الزوجين، وهو كراهة كل واحد منهما صاحبه، واشتقاقه من النَّشَرَ، وهو ما ارتفع من الأرض. ونشزت المرأة بزوجها وعلى زوجها، تَنْشِزُ (بكسر الشين) وتَنْشِزُ (بضمها) نشوزاً، وهي ناشز: ارتفعت عليه واستعصت عليه وأبغضته وخرجت عن طاعته وفرخته... ونشز هو عليها نشوزاً كذلك، وضربها وجفاها وأضر بها. كذا في لسان العرب (١٤: ١٤٣).

قوله: (وأنت في حِلٍّ مِنِّي) أي: أجل لك أن لا تقسم لي في نوبتي، وأتنازل عن حقي في القسم. وقد أخرج الترمذي وأبو داود وغيرهما ما يدل على أن النبي ﷺ أراد أن يطلق سودة رضي الله عنها، فوهبت نوبتها لعائشة رضي الله عنها، فنزلت هذه الآية. وقد أشبعنا الكلام على هذه القصة في كتاب الرضاع، باب جواز هبتها نوبتها لغيرها، والحمد لله تعالى.

عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَتْ لِي عَائِشَةُ: يَا بَنَ أُخْتِي، أَمُرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَبُّهُمْ.

٧٤٥٦ - (٠٠٠) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ. حَدَّثَنَا هِشَامٌ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ مِثْلَهُ.

٧٤٥٧ - (١٦) حَدَّثَنَا عُيَيْنَةُ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ. حَدَّثَنَا أَبِي. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ الْمُؤَيَّرَةِ بِنِ الثُّعْمَانِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: اخْتَلَفَ أَهْلُ الْكُوفَةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ١٩٣] فَرَحَلْتُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عُبَّاسٍ فَسَأَلْتُهُ عَنْهَا، فَقَالَ: لَقَدْ أَنْزَلْتُ آخِرَ مَا أَنْزَلَ. ثُمَّ مَا نَسَخَهَا شَيْءٌ.

١٤ - (٠٠٠) - قوله: (فلعله أن لا يستكثر منها) أي: لا يكثر حبه إياها وإعجابه بها.

١٥ - (٣٠٢٢) - قوله: (عن أبيه قال: قالت لي عائشة) هذا الحديث من أفراد مسلم، ثم يخرج غيره من الأئمة الستة.

قوله: (أمرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ) قال النووي: «قال القاضي: الظاهر أنها قالت هذا عند ما سمعت أهل مصر يقولون في عثمان ما قالوا، وأهل الشام في علي ما قالوا، والحرورية في الجميع ما قالوا. وأما الأمر بالاستغفار الذي أشارت إليه، فهو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾، وبهذا احتج مالك في أنه لا حق في النفي لمن سب الصحابة ؓ، لأن الله تعالى إنما جعله لمن جاء بعدهم ممن يستغفر لهم، والله أعلم.

١٦ - (٣٠٢٣) - قوله: (عن سعيد بن جبیر) هذا الحديث أخرجه البخاري في مناقب الأنصار، باب ما نفي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة (٣٨٥٥)، وفي تفسير سورة النساء، باب ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ (٤٥٩٠). وفي تفسير سورة الفرقان، باب ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ (٤٧٦٢ و ٤٧٦٣ و ٤٧٦٤)، وباب «يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً» (٤٧٦٥)، وباب ﴿إِلَّا مَنْ قَبِلَ وَهَانَكَ وَعَمِلَ عَمَلًا مَبْلُغًا فَأُولَئِكَ يَرْجُو اللَّهُ سِتْرَاتِهِمْ حَسَنَةً﴾ (٤٧٦٦)، وأخرجه أبو داود في الغشن، باب في تعظيم قتل المؤمن (٤٢٧٣ إلى ٤٢٧٥)، والنسائي في تحريم الدم، باب تعظيم الدم (٤٤٠١ و ٤٤٠٢).

قوله: (اختلف أهل الكوفة في هذه الآية) يعني: اختلفوا: هل تقبل توبة القاتل المتعمد؟

قوله: (لقد أنزلت آخر ما أنزل) أي: في هذا الباب، وليس المراد أنه آخر ما نزل من القرآن الكريم، ولذلك أعقبه بقوله: «ثم ما نسخها شيء».

لخلاف العلماء في توبة القاتل:

وحاصل قول ابن عباس رضي الله عنه أن قاتل المؤمن متعمداً يخلد في النار ولا توبة له، أما آية سورة الفرقان: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ التي لحقها قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ إلخ مما يدل على قبول توبة القاتل، فقد أجاب عنها ابن عباس بوجهين الأول أن آية الفرقان مكية، وآية سورة النساء مدنية تأخر نزولها، ولم ينسخها شيء، فيكون الحكم للمتأخرة، وليس فيها ذكر للتوبة. وهذا معنى قوله في هذه الرواية: «ثم ما نسخها شيء».

والوجه الثاني أن آية سورة الفرقان نزلت في المشركين الذين ارتكبوا القتل في حالة الشرك، وإنهم إن أسلموا وتابوا قبلت توبتهم، لأن الإسلام يهدم ما كان قبله. أما من كان مؤمناً، ثم ارتكب قتل نفس مؤمنة بغير حق، فلا تقبل توبته. وهذا مفاد قوله في رواية منصور الآتية: «نزلت (أي: آية الفرقان) في أهل الشرك» وأوضح منه ما في روايته الأخيرة: «فأما من دخل في الإسلام وعقله، ثم قتل، فلا توبة له».

وإن هذا الذي ذكر في هذه الروايات مذهب مشهور عن ابن عباس رضي الله عنه. وقد أخرج أحمد والطبري من طريق يحيى الجابر، والنسائي وابن ماجه من طريق عمار الذهبى، كلاهما عن سالم بن أبي الجعد قال: «كنت عند ابن عباس بعد ما كُفَّت بصره، فأتاه رجل فقال: ما ترى في رجل قتل مؤمناً متعمداً؟ قال: جزاءه جهنم خالداً فيها. ومساق الآية إلى (عَظِيمًا)». قال: لقد نزلت في آخر ما نزل، وما نسخها شيء حتى قبض رسول الله ﷺ، وما نزل وحي بعد رسول الله ﷺ. قال: أفرأيت إن تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ثم اهتدى؟ قال: وأتى له التوبة والهدى؟ وجاء على وفق ما ذهب إليه ابن عباس في ذلك أحاديث كثيرة. منها ما أخرجه أحمد والنسائي عن معاوية مرفوعاً: «كل ذنب عسى الله أن يغفره، إلا الرجل يموت كافراً، والرجل يقتل مؤمناً متعمداً» كذا في فتح الباري (٨: ٤٩٦).

وذكر أبو جعفر النحاس أن للعلماء في هذه الآية أقوالاً:

الأول: أن قاتل المؤمن لا توبة له. روي ذلك عن ابن عباس، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمر، وأبي هريرة، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، وعبيد بن عمير، والحسن البصري، والفضحاك، فقالوا: الآية محكمة.

الثاني: أنه له توبة، قال جماعة من العلماء، وروي أيضاً عن ابن عمر، وابن عباس، وزيد بن ثابت.

الثالث: أن أمره إلى الله تعالى، تاب أو لم يتب، وعليه الفقهاء أبو حنيفة وأصحابه ومحمد بن إدريس.

الرابع: قال أبو مجلز لاحق بن حميد: المعنى جزاؤه إن جازاه، وروى عاصم بن أبي النجود عن أبي جبير، عن ابن عباس أنه قال: هو جزاؤه إن جازاه.

هذا ملخص ما ذكره العيني رحمه الله في عمدة القاري (٨: ٥٥٩ و ٥٦٠).

وذكر النووي والحافظ ابن حجر وغيرهما أن مذهب جمهور أهل السنة وأكثر الصحابة والتابعين هو الثاني، أن القاتل له توبة. وحجتهم في ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنْ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ أَنْ تُشْرَكَ بِهِمْ وَيَعْلَمُونَ مَا هُوَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] ويحدث الإسرائيلي الذي قتل تسعة وتسعين نفساً، فأخبره راهب بأنه لا توبة له، فقتله فأكمل به مائة، ثم أفتاه رجل عالم حتى قال: من يحول بينه وبين التوبة؟ وقد مر هذا الحديث بشرحه في كتاب التوبة، باب قول توبة القاتل.

أما آية سورة النساء التي استدلل بها ابن عباس رضي الله عنه، فقد تأول فيها الجمهور بتأويلات:

الأول: أنها منسوخة. ثم قيل: نسختها آية سورة الفرقان، وهو ضعيف لما علمت أنها مكية وهذه مدنية، ولأنه يمكن التوفيق بينهما، على ما بيّنه ابن عباس من أن آية الفرقان تتعلق بالمشركين وآية النساء بالمؤمنين. وقيل: نسخها قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ أَنْ يُشْرَكَ بِهِمْ﴾ [النخ].

الثاني: أنها محمولة على الزجر والتغليظ، والمراد من قوله (خَالِدًا فِيهَا) طول المكث.

الثالث: أنها لمن استحلّ قتل المؤمن، واستحلال القتل كفر، فجزاؤه الخلود في النار.

الرابع: أن الله سبحانه وتعالى إنما يبين أن جزاء القتل أن يخلد القاتل في النار، وليس كل جزاء يجازى به الجاني. وحاصل المعنى أن فعله هذا يستحق الخلود، وإن كان الله سبحانه يغفر له برحمته إن تاب. وهو قريب لما ذكرنا عن أبي مجلز وغيره: (هو جزاؤه إن جازاه).

الخامس: إن الآية وردت في الكفار الذين قتلوا مؤمناً، وماتوا على كفرهم. ويؤيده ما حكاه الواحدي في أسباب النزول (ص: ١٦٣، رقم: ٩٣) عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس في سبب نزول هذه الآية، قال: «إن مقيس بن ضبابة وجد أخاه هشام بن ضبابة قتيلاً في بني النجار، وكان مسلماً، فأتى رسول الله ﷺ، فذكر له ذلك، فأرسل رسول الله ﷺ معه رسولا من بني فهر، فقال له: ائت بني النجار، فأقرئهم السلام وقل لهم: إن رسول الله ﷺ يأمركم إن علمتم قاتل هشام بن ضبابة أن تدفعوه إلى أخيه فيقتص منه، وإن لم تعلموا له قاتلاً أن تدفعوا إليه دية. فأبلغهم الفهري ذلك عن النبي ﷺ، فقالوا: سمعاً وطاعة لله ولرسوله، والله ما تعلم له قاتلاً، ولكن نؤدي إليه دية، فأعطوه مائة من الإبل ثم انصرفوا راجعين نحو المدينة، وبينهما وبين المدينة قريب. فأتى الشيطان مقيساً، فوسوس إليه فقال: أي شيء صنعت؟ تقبل دية أخيك فيكون عليك سبّة؟ اقتل الذي معك فيكون نفس مكان نفس وفضل الدية! فعزل مقيس ذلك،

٧٤٥٨ - (١٧) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ. قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ح وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ. أَخْبَرَنَا النَّضَرُ. قَالَ جَمِيعًا: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ.

فِي حَدِيثِ ابْنِ جَعْفَرٍ: نَزَلَتْ فِي آخِرِ مَا أُنْزِلَ.

وَفِي حَدِيثِ النَّضَرِ: إِنَّهَا لَمِنْ آخِرِ مَا أُنْزِلَتْ.

٧٤٥٩ - (١٨) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ. قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: أَمَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِيزَا أَنْ أَسْأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ حَكِيمًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣]. فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: لَمْ يَنْسَخْهَا شَيْءٌ، وَعَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٦٨] قَالَ: نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ.

٧٤٦٠ - (١٩) حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ. حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ. هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ اللَّيْثِيُّ. حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، (بُغْيِي شَيْبَانُ)، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بِمَكَّةَ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾، إِلَى قَوْلِهِ ﴿مُكَنَّا﴾ [الفرقان: ٦٨] فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: وَمَا بُغْيِي عَنَّا الْإِسْلَامَ وَقَدْ عَدَلْنَا بِاللَّهِ وَقَدْ قَتَلْنَا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ وَاتَّبَعْنَا الْفَوَاحِشَ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الفرقان: ٧٠] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

قَالَ: فَأَمَّا مَنْ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامَ وَعَقَلَهُ. ثُمَّ قَتَلَ، فَلَا تَوْبَةَ لَهُ.

٧٤٦١ - (٢٠) حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَاشِمٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ بَشِيرٍ الْعَبْدِيُّ. قَالَ:

فَرَمَى الْفَهْرِيُّ بِصَخْرَةٍ فَشَدَخَ رَأْسَهُ، ثُمَّ رَكِبَ بَعِيرًا مِنْهَا وَسَاقَ بِقَيْشَهَا رَاجِعًا إِلَى مَكَّةَ كَافِرًا... فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ الْآيَةُ. ثُمَّ أَهْدَرَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَمَهُ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، فَأَدْرَكَهُ النَّاسُ بِالسُّوقِ فَقَتَلُوهُ.

وهذه القصة، وإن رواها الواحدي من طريق الكلبي وهو ضعيف جداً، ولكنها مروية بطرق متعددة فأخرجها ابن المنذر من طريق ابن جريج عن عكرمة، وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير، كما في الدر المنثور (٢: ١٩٣) وكذلك أخرجه ابن جرير في تفسيره (٥: ٢١٧) عن ابن جريج عن عكرمة.

١٩ - (٠٠٠) - قوله: (وما يُغْنِي عَنَّا الْإِسْلَامَ وَقَدْ عَدَلْنَا بِاللَّهِ) إلخ: يعني: كيف يحفظنا إسلامنا من العذاب وقد أشركنا بالله وقتلنا إلخ ومعنى قولهم (عدلنا بالله) أي: أشركنا.

حَدَّثَنَا يَحْيَى (وَهُوَ ابْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ)، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ. حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ أَبِي بَرَّةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قُلْتُ لَابْنِ عَبَّاسٍ: أَلَيْسَ قَتْلُ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَتَلَوْتُ عَلَيْهِ هَذِهِ آيَةَ الْتَّبِي فِي الْفُرْقَانِ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَتُوبُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَيْهَا آخِرَ وَلَا يَقْتُلُونَ أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (الفرقان: ١٧٨)، إِلَى آخِرِ آيَةِ. قَالَ: هَذِهِ آيَةُ مَكِّيَّةٌ. نَسَخْتُهَا آيَةُ مَدِينِيَّةٌ: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ جَهَنَّمَ حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧٣].

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ هَاشِمٍ: فَتَلَوْتُ هَذِهِ آيَةَ الْتَّبِي فِي الْفُرْقَانِ: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ (الفرقان: ١٧٠).

٧٤٦٢ - (٢١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَهَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ. قَالَ عَبْدُ: أَخْبَرَنَا. وَقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ. أَخْبَرَنَا أَبُو عُمَيْسٍ، عَنْ عَبْدِ الْمَجِيدِ بْنِ سَهِيلٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَةَ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: تَعْلَمُ (وَقَالَ هَارُونُ: تَذَرِي) آخِرَ سُورَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ، نَزَلَتْ جَمِيعًا؟ قُلْتُ: نَعَمْ. إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ. قَالَ: صَدَقْتُ.

قوله: (أخبرنا أبو عيسى) بضم العين وفتح الميم مصغراً، اسمه عتبة بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، من رجال الجماعة. قال علي بن المديني: له نحو أربعين حديثاً. وقال أحمد وابن معين: ثقة. وقال أبو حاتم: صالح الحديث. وذكره ابن حبان في الثقات. وراجع التهذيب (٧: ٩٧).

قوله: (عن عبد المجيد بن سهيل) هو حفيد عبد الرحمن بن عوف، مر ترجمته في باب بيع المدبر قبيل كتاب القسامة، وذكر بعضهم أن اسمه (عبد الحميد بن سهيل) وبهذا الاسم أخرج له مالك في الموطأ.

قوله: (عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة) هذا الحديث لم يخرج له أحد غير المصنف من الأئمة الستة.

قوله: (قلت: نعم، ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾) يعني: أن هذه السورة آخر سورة نزلت دفعة واحدة. نزلت بعد فتح مكة، وروى عن ابن عمر أنها نزلت بمعنى في حجة الوداع، ثم أنزلت ﴿آلَيْكُمْ أَكَلْتُمْ لَبَنًا وَبَنَنًا﴾ [البقرة: ١٧٣] وعاش بعدها ثمانين يوماً، ثم نزلت آية الكلاله، وعاش بعدها خمسين يوماً، ثم نزل: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، فعاش بعدها خمسين وثلاثين يوماً، ثم نزل: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾، فعاش بعدها أربعين وعشرين يوماً، وقال مقاتل: سبعة أيام. كذا في شرح الأبي عن القرطبي. وورد في تفسير ابن جرير (٣٠: ٣٣٥) أن هذه السورة نزلت بالمدينة، وذكر قتادة أنه ﷺ عاش بعدها سنتين.

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ: تَعْلَمُ أَيُّ سُورَةٍ. وَلَمْ يَقُلْ: آخِرَ.

٧٤٦٣ - (١٠٠) وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ. أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ. حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرِو، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، مِثْلَهُ. وَقَالَ: آخِرَ سُورَةٍ. وَقَالَ: عَبْدُ الْمُجِيدِ، وَلَمْ يَقُلْ: ابْنِ سُهَيْلٍ.

٧٤٦٤ - (٢٢) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الصَّمِي - وَاللَّفْظُ لِابْنِ أَبِي شَيْبَةَ - (قَالَ: حَدَّثَنَا. وَقَالَ الْآخَرَانِ: أَخْبَرَنَا) سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرِو، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. قَالَ: لَقِيَ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَجُلًا فِي غَنِيمَةٍ لَهُ. فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ. فَأَخَذُوهُ فَفَقَلُّوهُ وَأَخَذُوا تِلْكَ الْغَنِيمَةَ. فَتَرَلْتُ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَحَ إِلَيْكُمْ أَلَسَلْتُمْ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ١٩٤].

٢٢ - (٣٠٢٥) - قوله: (عن ابن عباس) هذا الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة النساء، باب ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَحَ إِلَيْكُمْ أَلَسَلْتُمْ مُؤْمِنًا﴾ (٤٥٩١)، وأخرجه الترمذي في التفسير، باب ومن سورة النساء، (٣٠٣٠)، وأبو داود في الحروف والنقراءات (٣٩٧٤)، وأحمد في مسنده (١: ٢٢٩ و ٢٧٢ و ٣٢٤)، والنسائي في سننه الكبرى (٦: ٣٢٦).

قوله: (رجلاً في غنيمة له) وفي رواية سماك عن عكرمة عن ابن عباس عند الترمذي وأحمد: «امر رجل من بني سليم يتفر من الصحابة، وهو يسوق غنماً له، فسلم عليهم» و (غنيمة) تصغير لغنم.

قوله: (فقتلوه) زاد سماك في روايته: «وقالوا: ما سلم علينا إلا ليتعوذ منا».

قوله: (وأخذوا تلك الغنيمة) وفي رواية سماك: «وأوتوا بغنمة النبي ﷺ فتزلت».

وذكر الحافظ في الفتح (٨: ٢٥٨) أنه روى البزار من طريق حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في سبب نزول هذه الآية قصة أخرى، قال: «بعث رسول الله ﷺ سرية فيها المقداد، فلما أتوا القوم وجدوهم قد تفرقوا، وبقي رجل له مال كثير، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله فقتله المقداد. فقال له النبي ﷺ: كيف لك بلا إله إلا الله غداً؟ وأنزل الله هذه الآية».

قال الحافظ: «وهذه القصة يمكن الجمع بينها وبين التي قبلها (أي: القصة المذكورة في المنن) ويستفاد منها تسمية القاتل. وأما المقتول، فروى الثعلبي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وأخرجه عبد بن حميد من طريق قتادة نحوه، واللفظ للكلبي، أن اسم المقتول مرداس بن نهيك من أهل فدك، وأن اسم القاتل أسامة بن زيد، وأن اسم أمير السرية غالب بن فضالة اللثبي، وأن قوم مرداس لما انهزموا بقي هو وحده، وكان ألجأ غنمه بجبل، فلما لحقوه

وَقَرَأَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ: السَّلَامَ.

٧٤٦٥ - (٢٣) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عُذْرَةُ، عَنْ شُعْبَةَ، ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَابْنُ بَشَّارٍ، (وَاللَّفْظُ لَابْنِ الْمُثَنَّى)، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ يَقُولُ: كَانَتْ الْأَنْصَارُ إِذَا حَجَّوْا فَرَجَعُوا، لَمْ

قَالَ: هَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَتَلَهُ أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ. فَلَمَّا رَجَعُوا نَزَلَتْ الْآيَةُ.

ثم ذكر الحافظ أنه ورد في سبب نزول هذه الآية قصة أخرى أيضاً، أخرجها أحمد وابن إسحاق عن عبد الله بن أبي حذرد الأسلمي قال: «بعثنا رسول الله ﷺ في نفر من المسلمين، فيهم أبو قتادة ومحكم بن جثامة. فمر بنا عامر بن الأضيظ الأشجعي فسلم علينا، فحمل عليه محكم فقتله. فلما قدمنا على النبي ﷺ وأخبرناه الخبر نزل القرآن، فذكر هذه الآية. وأخرجها ابن إسحاق من طريق ابن عمر أتم سياقاً من هذا، وزاد أنه كان بين عامر ومحكم عداوة في الجاهلية. قال الحافظ: «وهذه عندي قصة أخرى، ولا مانع أن تنزل الآية في الأمرين معاً».

قوله: (وقرأها ابن عباس: السَّلَام) والحاصل أن هناك ثلاث قراءات: السَّلَام (بفتحتين) والسَّلَام (بالألف بين اللام والميم) والسَّلَام، بكسر الشين وسكون اللام. فالأول قراءة نافع وابن عامر وحمزة، والثاني قراءة الباقرين، والثالث قراءة رويت عن عاصم بن أبي النجود. كذا في فتح الباري.

٢٣ - (٣٠٢٦) - قوله: (سمعت البراء يقول) هذا الحديث أخرجه البخاري في العمرة، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْبَيْتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ (١٨٠٣)، وفي تفسير سورة البقرة، باب ﴿وَلَيْسَ الْكَبِيرُ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ (٤٥١٢)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى (٦: ٢٩٧).

قوله: (كانت الأنصار إذا حجَّوا فرجعوا) وفي رواية البخاري في التفسير: «إذا أحرَموا في الجاهلية) والحاصل أنهم إذا أحرَموا للحج أو للعمرة، ثم عرضت لهم حاجة في الرجوع إلى البيت في تلك الحالة، لم يدخلوها من أبوابها. وبين الزهري سبب ذلك فيما رواه عنه الطبري، فقال: «كان ناس من الأنصار إذا أهلوا بالعمرة لم يحل بينهم وبين السماء شيء، يتحرجون من ذلك. وكان الرجل يخرج مهلاً بالعمرة، فتبدو له الحاجة بعد ما يخرج من بيته، فيرجع ولا يدخل من باب الحجر من أجل سقف الباب أن يحول بينه وبين السماء، فيفتح الجدار من ورائه، ثم يقوم في حجرته فيأمر بحاجته، فتخرج إليه من بيته» راجع تفسير ابن جرير (٢: ١٨٧).

ثم قد ذكر في الحديث أن الأنصار كانوا يفعلون ذلك، ولكن ثبت بحديث جابر أخرجه

يَدْخُلُوا الْبَيْوتَ إِلَّا مِنْ ظُهُورِهَا. قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَدَخَلَ مِنْ بَابِهِ. فَقِيلَ لَهُ يَبْنَ
ذَلِكَ. فَتَرَلْتُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩].

(١) - باب: في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ

آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦]

٧٤٦٦ - (٢٤) حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الصَّدْفِيُّ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ.
أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ، عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ
ابْنَ مَسْعُودٍ قَالَ: مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلَامِنَا وَبَيْنَ أَنْ عَابَتَنَا اللَّهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا
أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] إِلَّا أَرْبَعُ سِنِينَ.

ابن خزيمة والحاكم أن الأنصار وسائر العرب كانوا لا يدخلون من الأبواب، إلا الخمس، وهم
قبائل معروفة من قريش وخزاعة وغيرهما.

قوله: (فجاء رجل من الأنصار فدخل من بابه) وقد ورد في حديث جابر عند ابن خزيمة
والحاكم أن اسمه قُطَيْبَة (بضم القاف وسكون الطاء) ابن عامر. وقد أخرج عبد بن حميد وابن
جرير عن قيس بن جبير النهشلي أن هذا الرجل يقال له رفاعَة بن تابوت. وحقّق الحافظ في
الفتح (٣: ٦٢١ و ٦٢٢) أن حديث جابر أقوى إسناداً، فيرجع على حديث قيس، إلا أن يحملها
على تعدد القصة، وراجعها للتفصيل.

(١) - باب: في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الخ

٢٤ - (٣٠٢٧) - قوله: (أن ابن مسعود قال) هذا الحديث أخرجه النسائي في السنن
الكبرى (٦: ٤٨١) ولم يخرجها الأئمة الأربعة الباقون.

قوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾ [الخ: أي: ألم يحضر الوقت. وأنى الشيء، بأنى أنياً وأناي: حان
وأدرك، وكذلك أَنْ يَيْتُنْ. وذكر ابن منظور في اللسان (١: ٢٤٩) أن الأول أجود، وهو الذي في
القرآن الكريم.

قوله: (لذكر الله) أي: أن تلين قلوبهم لذكر الله، وما نزل من الحق هو القرآن.

(٢) - باب: في قوله تعالى:

﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]

٧٤٦٧ - (٢٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، ح وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ نَافِعٍ (وَاللَّفْظُ لَهُ)، حَدَّثَنَا عُثْمَرُ بْنُ حَزْمٍ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ، عَنْ مُسْلِمِ الْبَطِينِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَتْ الْمَرْأَةُ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَهِيَ عُرْيَانَةٌ. فَقَالَتْ: مَنْ يُعِيرُنِي تَطَوُّافًا؟ تَجْعَلُهُ عَلَيَّ قُرْجَاهَا. وَتَقُولُ:

(٢) - باب: في قوله تعالى ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾

٢٥ - (٣٠٢٨) - قوله: (من مسلم البطين) هو مسلم بن عمران، ويقال: ابن أبي عمران، والبطين، بفتح الباء وكسر الطاء، لقبه. وكنيته أبو عبد الله، وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم والنسائي، كما في التهذيب (١٠: ١٣٤)، مات (سنة: ١١٠هـ) كما في شذرات الذهب لابن العماد (١: ١٤٠).

قوله: (من ابن عباس) هذا الحديث أخرجه النسائي في المجتبى، في الحج، باب قوله تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (٢٩٥٦)، وفي السنن الكبرى (٦: ٣٤٥).

قوله: (من يعيرني تطوافاً) بكسر التاء، هو الثوب الذي تطوف به. وقيل: بفتح التاء بمعنى المصدر، أي: ذا تطواف، كما في لسان العرب (٨: ٢٢٢) وحاصل المعنى واحد.

واعلم أن الطائفتين بالبیت في الجاهلية كانوا على صنفين: صنف يطوف عرياناً، وصنف يطوف في ثيابه. والصنف الأول يقال له: (الحلّة) والثاني يقال له (الحمس) وكانت الحلّة إذا أتوا مكة للعمرة أو الحج لا يطوفون في ثيابهم، بل يستعبرون ثياب أحد من الحمس، وهم قریش وخزاعة وغيرهم، فإن وجدوا ثياب أحدهم طافوا فيها، وإلا طافوا عراة، كذا ذكره ابن حبيب في المحبر (ص: ١٨٠ و ١٨١) وذكر أيضاً أن عياض بن حمار المجاشعي كان إذا قدم مكة طاف في ثياب رسول الله ﷺ وراجع لتعبير الحلّة من الحمس. وأخرج ابن جرير في تفسيره (٨: ١٦١) عن الزهري قال: «إن العرب كانت تطوف بالبیت عراة، إلا الحمس، قریش وأحلافهم، فمن جاء من غيرهم وضع ثيابه وطاف في ثياب أحمس، فإنه لا يحلّ له أن يلبس ثيابه، فإن لم يجد من يعيره من الحمس، فإنه يلقي ثيابه ويطوف عرياناً، وإن طاف في ثياب نفسه ألقاها إذا قضى طوافه بحرّمها، فيجعلها حراماً عليه» وأخرج أيضاً عن قتادة قال: «كان حيّ من أهل اليمن كان أحدهم إذا قدم حاجاً أو معتمراً يقول: لا ينبغي أن أطوف في ثوب قد دُست فيه، فيقول: من يعيرني منزراً؟ فإن قدر على ذلك، وإلا طاف عرياناً».

فظهر بهذه الروايات أن غير الحمس من العرب كانوا يكرهون أن يطوفوا بثيابهم التي أذنوا فيها، فكانوا إذا أتوا للطواف سألوا أحداً من الحمس (وهم من قریش وكنانة وغيرهم) أن يعيره

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ قَمَابِدًا مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ
فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

ثيابه، ليلبسها عند الطواف، فإن لم يجد أحداً يعيره طاف عرياناً. وعلى هذا فمعنى قول المرأة: (من يعبرني تطوفاً) أنها تسأل أحداً من الخمس ليعيرها ثوباً، ولو قصيراً، لتواري به عورتها.

قوله: (اليوم يبدو بعضه أو كله) التضمير للفرج. والمعنى أنها إن وجدت خرقه تواري بها عورتها، فإنها قد لا تكون كافية لستر العمرة كلها، فتبدو بعض أجزائها، وإن لم تجد خرقه ربما ظهرت العمرة كلها. وأخرج الطبري عن ابن عباس قال: «إن النساء كنَّ يطفن بالبيت عراة، وقال في موضع آخر: بغير ثياب، إلا أن تجعل المرأة على فرجها خرقه فيصا وصف إن شاء الله وتقول: اليوم يبدو بعضه أو كله إلخ» وأخرج عبد بن حميد عن سعيد بن جبير قال: «كان الناس يطوفون بالبيت عراة يقولون: لا تطوف في ثياب أذنبتا فيها. فجاءت امرأة فألقت ثيابها وطافت ووضع يدها على قبلها وقالت: اليوم يبدو بعضه أو كله إلخ» ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣: ٧٨).

قوله: (فما بدا منه فلا أحله) أي: لا أبيع لأحد أن ينظر إليه أو يتمتع به. والمقصود أنني لا أبدي عورتي بقصد الفحشاء، وإنما أبديه لحاجة، وهي أن لا أطوف بثياب أذنت فيها.

وإن هذا الشعر منسوب إلى امرأة جميلة. قيل: هي ضباعة بنت عامر بن صعصعة، كما ذكره السهيلي في الروض الأنف (١: ١٣٤) ثم قال: «ومما ذكر من تعريتهم في الطواف أن رجلاً وامرأة طافا كذلك، فانضم الرجل إلى المرأة تلذذاً واستمتاعاً، فلصق عضده ببعضها، ففرعا عند ذلك وخرجا من المسجد وهما ملتصقان ولم يقدر أحد على فك عضده من عضدها، حتى قال لهما قائل: توبا مما كان في ضميركما وأخلصا لله التوبة، ففعلا، فأنحل أحدهما من الآخر».

ثم اختلفت الروايات في تفصيل التعري في الطواف، فذكر بعضهم أن طواف الطوائف عرياناً إنما يكون للمرة الأولى، فإذا عاد طواف بعد ذلك لبس ملابسه. وذكر بعضهم أنه إذا خلع ثيابه عند الطواف ألقاها على الأرض لا يلبسها أحد، وترك كما هي تداس بالأقدام إلى أن تتمزق وتهرى، وتسمى هذه الثياب (اللقى). راجع لسان العرب (١٢: ٣١٩). والله سبحانه أعلم.

قوله: (فنزلت هذه الآية) وكذلك نزل فيه أيضاً على بعض الروايات قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَالُوا فَتَحْنَا الْقَابَاطَ وَبَدَدْنَا عَلَيْهِمَا مَاءً مَاءً وَأَنَّا مُرْسَا بِهَا قُلْ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨] كما ذكره ابن جرير في تفسيره (٨: ١٥٤) عن مجاهد وسعيد بن جبير والشعبي وغيرهم.

(٣) - باب: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِنَتَكُمْ عَلَى الْإِغْلَاءِ﴾

٧٤٦٨ - (٢٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو كُرَيْبٍ، جَمِيعاً عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ، (وَاللَّفْظُ لِأَبِي كُرَيْبٍ)، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي سُوَيْدٍ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي إِبْنِ سَلُولٍ يَقُولُ لِحَارِثَةَ لَه: أَذْهَبِي فَأَبِغِينَا شَيْئاً. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِنَتَكُمْ عَلَى الْإِغْلَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ نَصْرًا يَنْتَفِعُوا بِعَرَمِ الْخِيُودِ﴾ [النور: ٢٣] وَمَنْ يُكْرِهْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ يَنْتَفِعُ بِإِكْرَاهِهِمْ (لَهُمْ) غَفُورٌ رَحِيمٌ [النور: ٢٣].

٧٤٦٩ - (٢٧) وَحَدَّثَنِي أَبُو كَامِلٍ الْجَحْدَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُوَيْدٍ، عَنْ جَابِرٍ: أَنَّ حَارِثَةَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي إِبْنِ سَلُولٍ يَقُولُ لَهَا: مُسِيكَةً. وَأُخْرَى يَقُولُ لَهَا: أُمَيْمَةً. فَكَانَ يُكْرِهُهُمَا عَلَى الزَّوْنِ. فَشَكَّنا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِنَتَكُمْ عَلَى الْإِغْلَاءِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٣].

(٣) - باب: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِنَتَكُمْ عَلَى الْإِغْلَاءِ﴾

٢٦ - (٣٠٢٩) - قوله: (عن جابر) هذا الحديث أخرجه أبو داود في الطلاق، باب تعظيم الزنا ٢٣١١، والنسائي في السنن الكبرى ٦: ٤١٩.

قوله: (من بعد إكراههم لهم) قال النووي: «هكذا وقع في النسخ كلها (لهم غفور رحيم) وهذا تفسير، ولم يُرد به أن لفظة (لهم) مُنْزَلَةٌ، فإنه لم يقرأ بها أحد^(١)، وإنما هي تفسير وبيان يريد أن المغفرة والرحمة لهم لتكونهن مكرهات، لا لمن أكرههن» ودلت الآية على أن المكرهه على الزنا إكراهاً ملجئاً معذورة عند الله تعالى. وذكر فقهاء الحنفية أنه لا يجوز ارتكاب الزنى للرجل وإن كان مكرهاً إكراهاً ملجئاً، لأن فيه تضييعاً للنولد، بخلاف المرأة، فإن النسيء يلحق بها، والله سبحانه أعلم.

٢٧ - (٠٠٠) - قوله: (يقال لها: مسيكة) إلخ: وأخرج الطبري في تفسيره (١٨: ١٣٢) عن جابر قال: «كانت حارثة لعبد الله بن أبي ابن سلول، يقال لها مُسِيكَةً، فأجرها وأكرهها - الطبري شك - فأنت النبي ﷺ فشكك ذلك إليه، فأنزل الله ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِنَتَكُمْ﴾ إلخ» وأخرج عن الزهري مرسلاً: أن رجلاً من قریش أسره عبد الله بن أبي يوم بدر، وكان لعبد الله حارثة يقال لها معاذة، فكان القرشي الأسير يريدها على نفسها، وكانت مسلمة فكانت تمتنع منه لإسلامها،

(١) قلت: أخرج ابن جرير في تفسيره (١٨: ١٣٣) عن سعيد بن جبير أنه كان يقرأ لهم غفور رحيم ولكن الظاهر أنه تفسير لا قراءة وقد يطلق لفظ القراءة على التفسير أيضاً.

(٤) - باب: في قوله تعالى:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧]

٧٤٧٠ - (٢٨) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي مُعْمَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧]. قَالَ: كَانَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ أَسْلَمُوا. وَكَانُوا يُعْبُدُونَ. فَبَقِيَ الَّذِينَ كَانُوا يُعْبُدُونَ عَلَىٰ عِبَادَتِهِمْ. وَقَدْ أَسْلَمَ النَّفَرُ مِنَ الْجِنِّ.

وكان ابن أبي يكرهها على ذلك ويضربها، رجاء أن تحمل للقرشي فيطلب فداء ولده، فقال الله: ﴿وَلَا تُكْرِمُوا قَبَائِلَكُمْ﴾ [الحج].

وقال الثوري رحمه الله: «وقيل: نزلت في ست جوار له كان يكرههن على الزنا: معادة، ومسيكة، وأميمة، وعمرة، وأروى، وقتيلة، والله أعلم».

(٤) - باب: في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ﴾ [الحج]

٢٨ - (٣٠٣٠) - قوله: (عن عبد الله) يعني: ابن مسعود رضي الله عنه، وهذا الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة بني إسرائيل، باب ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ مِنْ دُونِي. فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ أَنْفُسِكُمْ وَلَا تَحْصِيلًا﴾ (٤٧١٤)، وبأبواب ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ (٤٧١٥)، والنسائي في سننه الكبرى (٦: ٣٨٠).

قوله: (وكانوا يُعْبُدُونَ) بضم الياء على البناء للمجهول، يعني: كان بعض المشركين يعبدون الجن الذين أسلموا، فأسلم الجن وبقي عابدهم على شركهم، فنزلت فيهم هذه الآية، وتمايم الآية: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ هَذَلِكَ رَبُّكَ كَانَ مُخَوِّدًا﴾ [الإسراء: ٥٧] وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ مبتدأ، وتقديره: «أولئك الجن الذين يدعوه هؤلاء المشركون إلهاً»، وقوله: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ خبره. والوسيلة بمعنى التقرب. والمعنى أن الجن الذين يعبدهم المشركون يطلبون التقرب إلى الله سبحانه، ويتنافسون فيما بينهم في كونهم أقرب إلى الله تعالى، لأنهم أسلموا، وهؤلاء باقون على شركهم.

وهذا أحد الأقوال في تفسير هذه الآية. وقال بعض المفسرين: المراد (بأولئك الذين يدعون). الأنبياء الذين عبدوا من دون الله تعالى، مثل عيسى وعزير عليهما السلام، وقال بعضهم: هم الملائكة الذين كانوا يعبدهم بعض أهل العرب. وألفاظ الآية تحتمل الجميع، فكل من كان عابداً لله وعبيده غيره فقد دخل في عموم الآية، فإن المقصود التنبيه على أن من زعمه هؤلاء

٧٤٧١ - (٢٩) حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ نَافِعٍ الْعَبْدِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي مُعْمَرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِكْرَامَهُمُ الْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧]. قَالَ: كَانَ تَقْرَأُ مِنَ الْإِنْسِ يَعْبُدُونَ نَقْرًا مِنَ الْجِنِّ، فَاسْلَمَ النَّقْرُ مِنَ الْجِنِّ، وَاسْتَمْسَكَ الْإِنْسُ بِعِبَادَتِهِمْ. فَتَرَلْتُ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِكْرَامَهُمُ الْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧].

٧٤٧٢ - (١٠٠) وَحَدَّثَنِيهِ بِشْرُ بْنُ خَالِدٍ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدٌ، (يَعْنِي ابْنَ جَعْفَرٍ)، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ.

٧٤٧٣ - (٣٠) وَحَدَّثَنِي حَجَّاجُ بْنُ الشَّاعِرِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ، حَدَّثَنِي أَبِي. حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْبُدٍ الرَّمَازِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثَيْبَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِكْرَامَهُمُ الْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧]. قَالَ: نَزَلَتْ فِي نَقْرٍ مِنَ الْعَرَبِ كَانُوا يَعْبُدُونَ نَقْرًا مِنَ الْجِنِّ. فَاسْلَمَ الْجِنِّيُونَ. وَالْإِنْسُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ. فَتَرَلْتُ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِكْرَامَهُمُ الْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧].

(٥) - باب: في سورة براءة، والأنفال، والحشر

٧٤٧٤ - (٣١) حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُطِيعٍ، حَدَّثَنَا هُشَيْنٌ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قُلْتُ لَابْنِ عَبَّاسٍ: سُورَةُ التَّوْبَةِ؟ قَالَ:

المشركون إلهاً يريء من زعمه هذا، بل هو عابد لله تعالى مستسلم له يطلب التقرب إلى الله تعالى.

٣٠ - (١٠٠) - قوله: (عن عبد الله بن معبد الرَّمَازِيِّ) بكسر الزاي وتشديد الميم، نسبة إلى زمان بن مالك، وهو من ربيعة، وآخر من أزد، كما في الأنساب لسميعاني (٦: ٣١٤) وعبد الله ابن معبد هذا ناهي بصري ثقة أخرجه مسلم والأربعة، وثقه النسائي والعجلي والبرقي، كما في التهذيب (٦: ٤٠).

(٥) - باب: في سورة براءة والأنفال والحشر

٣١ - (٣٠٣١) - قوله: (عن سعيد بن جبيرة) هذا الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة الحشر (٤٨٨٢ و ٤٨٨٣)، وفي تفسير الأنفال: في فاتحتها (٤٦٤٥)، وفي المغازي، باب حديث بني النضير ومخرج رسول الله ﷺ إليهم ودية الرجلين (٤٠٢٩).

قوله: (سورة التوبة؟) فيه استفهام مقدر، يعني: ما هي سورة التوبة؟ وكيف نزلت؟ أو لماذا سميت؟

الْتَّوْبَةُ؟ قَالَ: بَلْ هِيَ الْفَاضِحَةُ. مَا زَالَتْ تَنْزَلُ: وَمِنْهُمْ، وَمِنْهُمْ، حَتَّى ظَنُّوا أَنْ لَا يَبْقَى مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا ذُكِرَ فِيهَا. قَالَ: قُلْتُ: سُورَةُ الْأَنْفَالِ؟ قَالَ: بَلْكَ سُورَةُ بَدْرٍ. قَالَ: قُلْتُ: فَالْحَشْرِ؟ قَالَ: نَزَلَتْ فِي بَنِي النَّضِيرِ.

(٦) - باب: في نزول تحريم الخمر

٧٤٧٥ - (٣٢) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، عَنْ أَبِي حَيَّانَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: خَطَبَ عُمَرُ عَلَى مِنبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، أَلَا وَإِنَّ الْخَمْرَ نَزَلَ تَحْرِيمُهَا، يَوْمَ نَزَلَ، وَهِيَ مِنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ:

قوله: (الْتَّوْبَةُ؟) استفهام إنكار، أي: أنها لبست سورة توبة.

قوله: (بل هي الفاضحة) لأنها فضحت الكفار والمنافقين ببيان مكائدهم وعزائهم. وليس مراده أن تسميتها بسورة التوبة لا يجوز، وإنما ذكر أن هذه السورة تتضمن بيان فضائحهم أكثر مما تتضمن بيان التوبة، ومن سماها توبة فلأنها ذكر فيها توبة كعب بن مالك وصاحبيه من المتخلفين عن تبوك.

قوله: (ومنهم ومنهم) يعني: أن منهم من يفعل كذا ومنهم من يفعل كذا، كقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ﴾ [التوبة، آية: ٧٥]، ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة، آية: ٥٨]، ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ [التوبة، آية: ٦١]، وغير ذلك.

قوله: (تلك سورة بدر) لأنها مشتملة على بيان ما وقع في غزوة بدر،

(٦) - باب: في نزول تحريم الخمر

٣٢ - (٣٠٣٢) - قوله: (عن ابن عمر) هذا الحديث أخرجه البخاري في تفسير سورة المائدة، باب ﴿إِنَّمَا أَفْخَرُ وَالتَّبِيرُ وَالْأَصَابُ وَالْأَكْلُ يَجْسُ مِنْ عَلَى الشَّيْطَانِ﴾ (٦٤١٩)، وفي الأشربة، باب الخمر من العنب وغيره (٥٥٨١)، وباب ما جاء في أن الخمر ما خامر العقل من الشرب (٥٥٨٨ و ٥٥٨٩)، وفي الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما ذكر النبي ﷺ وحض على اتفاق أهل العلم (٧٣٣٧)، وأخرجه أبو داود في الأشربة، باب في تحريم الخمر (٣٦٦٩)، والنسائي في الأشربة، باب ذكر أنواع الأشياء التي كانت منها الخمر حين نزل تحريمها (٥٥٧٨ و ٥٥٧٩)، وابن حبان في صحيحه، كما في ترتيبه لابن بلبان (٧: ٣٧١).

قوله: (وهي من خمسة أشياء) الجملة حالية، أي: نزل تحريم الخمر في حال كونها تصنع من خمسة أشياء، ويجوز أن تكون استثنائية، أي: معطوفة على ما قبلها، والمراد أن الخمر

مِنَ الْجَنْطَةِ، وَالشَّعِيرِ، وَالتَّمْرِ، وَالتَّرْبِيبِ، وَالْعَسَلِ، وَالْخَمْرُ مَا خَامَرَ الْعَقْلَ. وَثَلَاثَةُ أَشْيَاءٍ وَدِدْتُ، أَيُّهَا النَّاسُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ عَهْدَ إِلَيْنَا فِيهَا: الْجَدُّ، وَالْكَلَالَةُ، وَأَبْوَابُ مِنَ أَبْوَابِ الرَّبَا.

٧٤٧٦ - (٣٣) وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ. أَخْبَرَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ. حَدَّثَنَا أَبُو حَيَّانَ، عَنِ الشُّعْبِيِّ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، عَلَى مِثْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّهُ نَزَلَ تَحْرِيمُ الْخَمْرِ وَهِيَ مِنْ خَمْسَةِ: مِنَ الْعِنَبِ، وَالتَّمْرِ، وَالْعَسَلِ، وَالْجَنْطَةِ، وَالشَّعِيرِ. وَالْخَمْرُ مَا خَامَرَ الْعَقْلَ. وَثَلَاثُ، أَيُّهَا النَّاسُ، وَدِدْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ عَهْدَ إِلَيْنَا فِيهِنَّ عَهْدًا تَنْتَهِي إِلَيْهِ: الْجَدُّ، وَالْكَلَالَةُ، وَأَبْوَابُ مِنَ أَبْوَابِ الرَّبَا.

تصنع من هذه الأشياء، لا أن ذلك يختص بوقت نزولها، والأول أظهر لقوله: (وإن الخمر نزل تحريمها يوم نزل).

قوله: (والخمر ما خامر العقل) أي: غطاه وخالطه ولم يتركه على حاله، استدل به جمهور الفقهاء على أن كل مسكر خمر في حرمة تناول والبيع وفي النجاسة. وتناول فيه الحنفية بأن كل ما خامر العقل فهو في حكم الخمر في حرمة التناول، ولا يلزم منه أن يكون في حكمها في حرمة البيع وفي النجاسة. وقد بسطنا الكلام على هذه المسألة في كتاب الأشربة، باب تحريم الخمر، فلا نعيده.

قوله: (كان عهد إلينا فيها) أي: أوصانا فيها بأحكام مفصلة واضحة لا مجال فيها للاختلاف والشبهات، وإلا فإن كل واحد من هذه المسائل فيها نصوص من النبي ﷺ.

قوله: (الجد والكلالة) أي: مقدار ما يرثه الجد من مال حفيده، وهل يشاركه الإخوة في الميراث؟ وقد اختلف فيه الصحابة اختلافاً كثيراً، حتى روي عن عبيدة أنه قال: حفظت عن عمر في الجد سبعين قضية كلها تخالف بعضها بعضاً، كما في عمدة القاري (١٠: ٨٨). وقد تقدمت هذه المسألة مبسطة في كتاب الفرائض، باب ميراث الكلالة، وكذلك تقدم ما اشبهه على سيدنا عمر رضي الله عنه من مسائل الكلالة في ذلك الباب مستقصى، والله الحمد.

قوله: (وأبواب من أبواب الربا) قال الحافظ في الفتح (١٠: ٥٠): «وأما أبواب الربا، فلعله يشير إلى ربا الفضل، لأن ربا النسبة متفق عليه بين الصحابة. وسياق عمر يدل على أنه كان عنده نص في بعض من أبواب الربا دون بعض، فلهذا تمنى معرفة البقية».

فبطل ما قاله بعض أهل عصرنا من أن حرمة الربا ليست قطعية لمكان الإجماع في تعريفه

٧٤٧٧ - (٠٠٠) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُثَيْبَةَ. ح وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ. أَخْبَرَنَا عِيْسَى بْنُ يُوْنُسَ. كِلَاهُمَا عَنْ أَبِي حَبَّانَ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، بِجُلَيْ حَدِيثِهِمَا، عَمْرٌ أَنَّ ابْنَ عُثَيْبَةَ فِي حَدِيثِهِ: الْعِنَبِ. كَمَا قَالَ ابْنُ إِدْرِيسَ، وَفِي حَدِيثِ عِيْسَى: الرَّيْبِ كَمَا قَالَ ابْنُ مُسْهِرٍ.

(٧) - باب: في قوله تعالى:

﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩]

٧٤٧٨ - (٣٤) حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ زُرَّارَةَ. حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ أَبِي هَاشِمٍ، عَنْ أَبِي مَجْلَزٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ يَقُولُ قَسَمًا إِنَّ: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي

وأَنواعه، وتدرجوا بذلك إلى تحليل فائدة البنوك. والواقع أن ربا القرض والنسيئة الذي حرمه القرآن الكريم لم يشك أحد في حرمة، ولا اشتب على أحد حقيقته وتعريفه، وإلا لزم أن يكون الله سبحانه قد آذن بالحرب على فعل لم يوضح حقيقته، وذلك محال من الله عز وجل. وإنما وقع الاشتباه لسيدنا عمر في أمر ربا الفضل، فإن النبي ﷺ إنما حرم التفاضل في بيع مئة أشياء بجنسها، ولم يبين الحكم فيما عداها، ومن هنا نشأ اختلاف الآراء بين الفقهاء، فمنهم من قصر الحرمة على هذه الأشياء الستة فقط، ومنهم علّلها بعلّة، فعذّي الحرمة إلى كل ما وجدت فيه العلّة، ثم اختلفوا في تعيين العلّة، فقيل: إنها الكيل أو الوزن، وقيل: إنها الطعم والشمية، وقيل: هي الاقتنيات أو الادخار، كما مرّ تفصيله في كتاب البيوع. فتمنّى عمر رضي الله عنه أن يكون رسول الله ﷺ بيّن في هذه الأمور بياناً لا يترك المجال لاختلاف الآراء. أمّا ربا القرض والنسيئة، فكانت حقيقته واضحة، فلم ينقل من أحد من الصحابة أنه تردّد في حرمة أو تعريفه، فلا يتأتى قول عمر هذا في ربا القرض والنسيئة.

وقما يدلّ على أن عمر رضي الله عنه إنما أراد مثل هذه المسائل الجزئية دون حقيقة الربا وتعريفه، ما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٨: ٢٦) (رقم: ١٤١٦١) عن القاسم بن محمد، قال: قال عمر بن الخطاب: «إنكم تزعمون أنا لا نعلم أبواب الربا، ولأن أكون أعلمها أحبّ إليّ من أن يكون لي مثل مصر وكورها، ومن الأمور أمور لا يكتنّ بخفين على أحد. هو أن يبتاع الذهب بالورق نسيئاً، وأن يبتاع الثمرة وهي معصرة لم تطب، وأن يُسَلِّمَ في سنٍّ، وأخرجه أيضاً البيهقي في سننه (٦: ٢٣) مقتصراً على قوله (وأن يُسَلِّمَ في سنٍّ).

(٧) - باب: في قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾

٣٤ - (٣٠٣٣) - قوله: (سمعت أبا ذرٍّ) هذا الحديث أخرجه البخاري في المغازي، باب قتل أبي جهل (٣٩٦٦ و ٣٩٦٨ و ٣٩٦٩)، وفي تفسير سورة الحج، باب ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا

رَبِّهِمْ ﴿الْحَجَّ: ١٩﴾ إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ بَرَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ: حَمْزَةُ، وَعَلِيٌّ، وَعُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ، وَعُتْبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ.

فِي رَبِّهِمْ ﴿٤٧٤٣﴾، وابن ماجه في الجهاد، باب المبارزة والتسلب (٢٨٦٢)، والنسائي في سننه الكبرى (٦: ٤١٠).

قوله: (نزلت في الذين برزوا يوم بدر) إلخ: وكان ذلك في أول القتال، حيث برز من المشركين عتبة بن ربيعة مع أخيه شيبة بن ربيعة وولده الوليد بن عتبة. وأخرج أبو داود في سننه (كتاب الجهاد، باب في المبارزة، رقم: ٢٦٦٥) عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «انقدم - يعني: عتبة بن ربيعة وتبعه ابنه وأخوه، فتأدى: من يبارز؟ فانتدب له شباب من الأنصار، فقال: من أنتم؟ فأخبروه، فقال: لا حاجة لنا فيكم، إنما أردنا بني عمناء، فقال رسول الله ﷺ: قم يا حمزة، قم يا علي، قم يا عبيدة بن الحارث. فأقبل حمزة إلى عتبة، وأقبلت إلى شيبة، واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان، فأئخذ كل واحد منهما صاحبه، ثم ملأ علي الوليد فقتلناه، واحتملنا عبيدة كذا رواه أبو داود. والمشهور عند أصحاب السير أن علياً عليه السلام أقبل إلى الوليد فقتله، وتقاتل عبيدة مع شيبة، حتى ضرب شيبة على ركية عبيدة، فتعازل علي وحمزة عليه السلام في قتل شيبة. ورواية أبي داود أصح إسناداً، ويؤيدها ما أخرجه الطبراني بإسناد حسن عن علي قال: «أعنت أنا وحمزة عبيدة بن الحارث على الوليد بن عتبة، فلم يعب النبي ﷺ ذلك علينا» ذكره الحافظ في الفتح (٧: ٢٩٨)، لكن قال إن الثلاث بالمقام ما ذكره أصحاب السير، لأن عبيدة وشيبة كانا شخين، كعتبة وحمزة، بخلاف علي والوليد فكانا شاتين، فالله سبحانه أعلم.

أما أن قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصِمَانِ تَلَفَعَا فِي رَبِّهِمْ﴾ نزل في هذه المبارزة يوم بدر، فقد ثبت بحديث علي أيضاً. أخرج البخاري من طريق قيس بن عباد، عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «أنا أول من يجتو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القبامة». وقال قيس بن عباد: وفيهم أنزلت ﴿هَذَانِ خَصِمَانِ تَلَفَعَا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج، آية: ١٩]. قال: هم الذين تبارزوا يوم بدر الحديث. ونزول هذه الآية في هذه المبارزة موقوف في هذا الحديث على قيس بن عباد، لكن أخرج النسائي من طريق سليمان التيمي بهذا الإسناد إلى علي قال: «فبنا نزلت هذه الآية وفي مبارزتنا يوم بدر: ﴿هَذَانِ خَصِمَانِ﴾» مما يدل على أن قيساً سمع ذلك من علي عليه السلام.

وهذا أحد الأقوال في سبب نزول هذه الآية. وقد روى الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس أنها نزلت في أهل الكتاب والمسلمين، ومن طريق الحسن قال: هم الكفار والمؤمنون، ومن طريق مجاهد: هو اختصاص المؤمن والكافر في البعث. وأخرج عن عكرمة قال: ﴿هَذَانِ خَصِمَانِ تَلَفَعَا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج، آية: ١٩]، قال: هما الجنة والنار اختصمتا، فقالت النار: خلقتني الله لعقوبته، وقالت الجنة: خلقتني الله لرحمته. ولكنه مروى من طريق جابر، عن عكرمة، والظاهر أن جابراً هذا هو جابر بن يزيد الجعفي، وهو معروف بالضعف. ثم رجع الحافظ ابن

٧٤٧٩ - (١٠٠) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ. حَدَّثَنَا وَكِيعٌ. ح وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى. حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ. جَمِيعاً عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ أَبِي هَاشِمٍ، عَنْ أَبِي مَجْلَزٍ، عَنْ

جرير رحمه الله بعد سرد هذه الأقوال أن المراد من الخصمين جميع المؤمنين في جانب، وجميع الكفار في جانب آخر، وذلك بدليل سياق الآية وسبأها، حيث ذكر قبل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [الحج، آية: ١٨] ثم قال: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ [الحج، آية: ١٨]. ثم ذكر الخصمين، وأتبعه صفة الصنفين كليهما وما هو فاعل بهما، فقال: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ مَنَافِقُهُمْ يَبْتَغُونَ مَخْرَجًا مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ لَئِيْلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الحج، آية: ١٤].

وأما حديث أبي ذر وحديث علي رضي الله عنهما، فقد اعترف الحافظ الطبري بأن الآية نزلت فيهم، ولكن الآية قد تنزل بسبب من الأسباب، ثم تكون عامة في كل مكان نظير ذلك السبب. وإن الذين تبارزوا إنما كان أحد الفريقين منهم أهل شرك وكفر، والآخر أهل إيمان وطاعة. فكل كافر في حكم فريق الشرك منهما في أنه خصم لأهل الإيمان، وكذلك كل مؤمن في حكم فريق الإيمان منهما في أنه خصم لأهل الشرك. وراجع تفسير الطبري (١٧ : ١٣٣).

ثم إن هذا الحديث مما استدركه الدارقطني على البخاري ومسلم لإخراجهما إياه في صحيحهما. وزعم الدارقطني رحمه الله أن في إسناده اضطراباً. فمرة رواه قيس بن عباد عن أبي ذر، وأخرى روي عن علي بن قولة: «أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن» ثم أضاف من عنده أن الآية نزلت فيهم، وفي رواية النسائي نسبة إلى علي بن قولة. وقد ذكر البخاري من طريق جرير، عن منصور، عن أبي هاشم، أنه قول أبي مجلز.

وأجاب العلامة النووي والحافظ ابن حجر في فتح الباري (٨ : ٤٤٤) عن هذا الاعتراض بأنه ليس اضطراباً. وإنما سمعه قيس بن عباد من أبي ذر وعلي رضي الله عنهما، فمرة رواه عن أبي ذر وأخرى عن علي. واكتفى مرة في روايته عن علي بقوله: «أنا أول من يجثو إلخ» ورواه أخرى عنه بنماه. وكذلك أبو مجلز رواه مرة عن قيس بن عباد عن أبي ذر، وأخرى ذكر سبب النزول من عنده نفسه، فالراوي تارة يروي وثارة يفتي، ولا منافاة بين الأمرين، ولا يكون ذلك اضطراباً، ولا يقدح ذلك في صحة الحديث إذا كان الرواة في جميع الروايات ثقافت حفاظاً، ورجال كل واحد من هذه الروايات ثقات أثبات، والله سبحانه وتعالى أعلم وعلمه أنتم وأحكم.

وبهذا تم بتوفيق الله تعالى وفضله شرح الكتاب، وذلك ظهيرة يوم الأربعاء السادس والعشرين من شهر صفر الخير سنة ألف وأربعمائة وخمسة عشر من الهجرة النبوية على صاحبها السلام. فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات أحمدته حمداً دائماً مع دوامه، وأحمده حمداً خالداً مع خلوده، وأحمده حمداً لا ينتهي له دون مشيئته، وأحمده حمداً لا يريد قائله إلا

قُيْسُ بْنُ عُبَادٍ. قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ يُقْسِمُ، لَنَزَلَتْ: ﴿هَٰذَا خَصَمَانِ﴾ [الحج: ١١٩] بِمِثْلِ حَدِيثِ هُثَيْمٍ.

رضاه، وله الحمد زنة عرشه ومداد كلماته وعدد خلقه ورضا نفسه، وأصنني وأسلم على نبيته وصفته وحبيبه سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل المتواضع لخالص وجهه الكريم، ويجعله وقاية لهذا العبد الضعيف من سخطه وعذابه، ويتقبله في رفيع جنابه. وأسأله تعالى أن يغفر لي ما فرط مني أثناء هذا التأليف من خطأ أو سوء أدب، ربنا تقبل مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وتب علينا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

المحتويات

٥ ٤٩ - كتاب: التوبة
٥	(١) - باب: في الحض على التوبة والفرح بها
٩	(٢) - باب: سقوط الذنوب بالاستغفار، توبة
١٠	(٣) - باب: فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة، والمراقبة، وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات، والاشتغال بالدنيا
١٢	(٤) - باب: في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه
١٩	(٥) - باب: قبول التوبة من الذنوب، وإن تكررت الذنوب والتوبة
٢٢	(٦) - باب: غير الله تعالى، وتحريم الفواحش
٢٥	(٧) - باب: قوله تعالى: إن الحسنات يذهبن السيئات
٢٨	(٨) - باب: قبول توبة القاتل، وإن كثر قتله
٣٤	(٩) - باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبه
٤٧	(١٠) - باب: في حديث الإفك وقبول توبة القاذف
٧٢	(١١) - باب: براءة حرم النبي ﷺ من الرية
٧٤ ٥٠ - كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم
٨٧ ٥٠ - كتاب: صفة القيامة والجنة والنار
٩١	(١) - باب: ابتداء الخلق، وخلق آدم عليه السلام
٩٢	(٢) - باب: في البعث والنشور، وصفة الأرض يوم القيامة
٩٣	(٣) - باب: نُزُل أهل الجنة
٩٦	(٤) - باب: سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح، وقوله تعالى: ﴿وَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾، الآية
١٠٠	(٥) - باب: في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا اللَّهُ لِنُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾
١٠١	(٦) - باب: قوله: ﴿إِنَّا آتَيْنَاكَ الْكِتَابَ ۖ وَإِنَّ آتَيْنَاكَ لَظُلْمًا ۖ﴾ ﴿٦﴾ ﴿أَنْ تَأْمُرَ أَتَتَقَى ۖ﴾ ﴿٧﴾
١٠٢	(٧) - باب: الدخان
١٠٨	(٨) - باب: انشقاق القمر

- (٩) - باب: لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل ١١٣
- (٩) - باب لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل ١١٣
- (١٠) - باب: طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً ١١٤
- (١١) - باب: يحشر الكافر على وجهه ١١٦
- (١٢) - باب: صيغ أنعم أهل الدنيا في النار، وصيغ أشدهم يؤساً في الجنة ١١٧
- (١٣) - باب: جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة، وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا ١١٧
- (١٤) - باب: مثل المؤمن كالزروع، ومثل الكافر كشجر الأرز ١١٨
- (١٥) - باب: مثل المؤمن مثل النخلة ١٢١
- (١٦) - باب: تحرش الشيطان، وبعثه سراياه لفتنة الناس، وأن مع كل إنسان قريناً ١٢٥
- (١٧) - باب: لن يدخل أحد الجنة بعمله، بل برحمة الله تعالى ١٢٨
- (١٨) - باب: إكثار الأعمال، والاجتهاد في العبادة ١٣٢
- (١٩) - باب: الاقتصاد في الموعظة ١٣٣
- ٥١ - كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها ١٣٦
- (١) - باب: إن في الجنة شجرة، يسير الراكب في ظلها مائة عام، لا يقطعها ١٣٨
- (٢) - باب: إحلال الرضوان على أهل الجنة، فلا يسخط عليهم أبداً ١٤٠
- (٣) - باب: ثرائي أهل الجنة أهل الغرف، كما يرى الكوكب في السماء ١٤١
- (٤) - باب: فيمن يود رؤية النبي ﷺ، بأهله وماله ١٤٣
- (٥) - باب: في سوق الجنة، وما ينالون فيها من النعيم والجمال ١٤٣
- (٦) - باب: أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، وصفاتهم وأزواجهم ١٤٥
- (٧) - باب: في صفات الجنة وأهلها، وتسيبهم فيها بكرة وعشياً ١٤٩
- (٨) - باب: في دوام نعيم أهل الجنة، وقوله تعالى: ١٥١
- ﴿وَوَدُّوا أَنْ يَنْفُكُوا مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ يَسْتَوُوا بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ١٥١
- (٩) - باب: في صفة خيام الجنة، وما للمؤمنين فيها من الأهلين ١٥٢
- (١٠) - باب: ما في الدنيا من أنهار الجنة ١٥٣
- (١١) - باب: يدخل الجنة أقوام، أفندتهم مثل أفئدة الطير ١٥٦
- (١٢) - باب: في شدة حر نار جهنم، وبعد قعرها، وما تأخذ من المعذبين ١٥٨
- (١٣) - باب: النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء ١٦١

- (١٤) - باب: فناء الدنيا، وبيان الحشر يوم القيامة ١٤٢
- (١٥) - باب: في صفة يوم القيامة، أعاننا الله على أهوائها ١٧٧
- (١٦) - باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ١٨٠
- (١٧) - باب: عرض مقعد النमित من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر، والتعوذ منه ١٨٥
- (١٨) - باب: إثبات الحساب ١٩٦
- (١٩) - باب: الأمر بحسن الظن بالله تعالى، عند الموت ١٩٨
- ٥٢ - كتاب: الفتن وأشراط الساعة ٢٠١
- (١) - باب: اقتراب الفتن، وفتح ردم يأجوج ومأجوج ٢٠١
- (٢) - باب: الخسف بالجيش الذي يؤم البيت ٢٠٧
- (٣) - باب: نزول الفتن كمواقع القطر ٢١١
- (٤) - باب: إذا تواجه المسلمان بسيفيهما ٢١٥
- (٥) - باب: هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ٢١٩
- (٦) - باب: إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة ٢٢٢
- (٧) - باب: في الفتنة التي تموج كموج البحر ٢٢٤
- (٨) - باب: لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من الذهب ٢٢٧
- (٩) - باب: في فتح قسطنطينية، وخروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم ٢٣١
- (١٠) - باب: تقوم الساعة والروم أكثر الناس ٢٣٦
- (١١) - باب: إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال ٢٣٨
- (١٢) - باب: ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال ٢٤٠
- (١٣) - باب: في الآيات التي تكون قبل الساعة ٢٤٢
- (١٤) - باب: لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز ٢٤٤
- (١٥) - باب: في سكنى المدينة وعمارتها قبل الساعة ٢٤٧
- (١٦) - باب: الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان ٢٤٨
- (١٧) - باب: لا تقوم الساعة حتى تُعْبَدَ دُوسُ ذَا الْحُلَاصَةِ ٢٥٠
- (١٨) - باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت، من البلاء ٢٥٣
- (١٩) - باب: ذكر ابن صياد ٢٦٩

- (٢٠) - باب: ذكر الدجال وصفته وما معه ٢٨٢
- (٢١) - باب: في صفة الدجال، وتحريم المدينة عليه، وقتله المؤمن وإحيائه ٣٠٩
- (٢٢) - باب: في الدجال وهو أهون على الله عزَّ وجلَّ ٣١٢
- (٢٣) - باب: في خروج الدَّجَال ومكثه في الأرض، ونزول عيسى وقتله إياه وذهاب أهل الخير والإيمان، وبقاء شرار الناس وعبادتهم الأوثان، والنسخ في الصور، وبعث من في القبور ٣١٣
- (٢٤) - باب: قصة الجساسة ٣١٧
- (٢٥) - باب: في بقية من أحاديث الدَّجَال ٣٢٦
- (٢٦) - باب: فضل العبادة في الهرج ٣٢٩
- (٢٧) - باب: قرب الساعة ٣٣٠
- (٢٨) - باب: ما بين الفختين ٣٣٣
- ٥٣ - كتاب: الزهد والرقائق ٣٣٥
- (١) - باب: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، إلا أن تكونوا باكين» ٣٦٠
- (٢) - باب: الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم ٣٦٢
- (٣) - باب: فضل بناء المساجد ٣٦٤
- (٤) - باب: الصدقة في المساكين ٣٦٥
- (٥) - باب: من أشرك في عمله غير الله (وفي نسخة: باب تحريم الرياء) ٣٦٦
- (٦) - باب: التكلم بالكلمة يهوي بها في النار (وفي نسخة: باب حفظ اللسان) ٣٧٢
- (٧) - باب: عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله ٣٧٤
- (٨) - باب: النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه ٣٧٨
- (٩) - باب: تشميت العاطس، وكراهة الثأوب ٣٨٠
- (١٠) - باب: في أحاديث متفرقة ٣٨٤
- (١١) - باب: في الفأر وأنه مسخ ٣٨٥
- (١٢) - باب: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ٣٨٦
- (١٣) - باب: المؤمن أمره كله خير ٣٨٨
- (١٤) - باب: النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط، وخيف منه فتنة على الممدوح ٣٨٩
- (١٥) - باب: مناولة الأكبر ٣٩٣
- (١٦) - باب: الثبوت في الحديث، وحكم كتابة العلم ٣٩٤

- ٣٩٥ (١٧) - باب: قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام
- ٣٩٩ (١٨) - باب: حديث جابر الطويل، وقصة أبي اليسر
- ٤١٣ (١٩) - باب: في حديث الهجرة. ويقال له: حديث الرُّحْل
- ٤١٨ ٥٤ - كتاب: التفسير
- ٤٣٦ (١) - باب: في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾
- ٤٣٧ (٢) - باب: في قوله تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾
- ٤٣٩ (٣) - باب: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِمُوا فَبَيْتَكُمْ عَلَى الْإِنْفَاءِ﴾
- ٤٤٠ (٤) - باب: في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾
- ٤٤١ (٥) - باب: في سورة براءة، والأنفال، والحشر
- ٤٤٢ (٦) - باب: في نزول تحريم الخمر
- ٤٤٤ (٧) - باب: في قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصِمَانِ اِخْتَصِمَا فِي رَبِّهِمْ﴾